إصدارات الجمعية العلمية السعودية
للقرآن الكريم وعلومه - الرسائل العلمية (٢٦)

علوم القرآن

عند الصحابة والتابعين

تأليف
د. برنك بن سعيد القرني

تقديم

د. عبدالله عبدالمحسن التركي
أ. د. محمد بن سريع السريع

دار التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

◆ أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد تمت مناقشتها في مساء يوم الثلاثاء الموافق : ١٤٣٢/٤/٢٤هـ ، وقد تكونت لجنة المناقشة من:

١- أ.د. بدر بن ناصر البدر مشرفاً على الرسالة .

٢- د. رياض بن محمد المسيميري مناقشاً .

٣- د. محمد بن عبد العزيز العواجي مناقشاً .

وقد أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

◆ فازت هذه الدراسة بجائزة الرسالة العلمية المتميزة في الدراسات القرآنية لعام ١٤٣١-١٤٣٢هـ (فرع رسالة الدكتوراه) ، والتي تنظمها الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان) .

دار التدمرية

الرياض - ص.ب:٢٦١٧٣ - الرمز البريدي : ١١٤٨٦

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM.COM

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يعد ولا يحصى، عدد ما وهب من آلاء ونُعمى، هو أهل الفضل والنعمة، وسابغ العطاء والمنة، والصلاة والسلام على إمام الورى، الرسول المجتبى والنبي المصطفى، وآله وصحابته الأتقياء الأنقياء الألباء الأصفياء، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وسلم تسليماً مزيداً كثيراً.

أما بعد:

فإن كتاب الله العظيم عظيم الفوائد، ثري الفرائد، قد حاز السلف الأوائل من علومه المعارف، وكان قِبلةً للعلم لا تحول دونه الصوارف، فهموا علوم القرآن وأتقنوها، وغاصوا على جواهره وحصلوها، هم أعرف الناس بأحواله، وأمكن البشر لهداياته وتفسير آيه.

فلا جرم أن الخلف عن حياضهم صدروا، وأن المنجحين برسم دروبهم سلكوا، إذ هم أئمة الشأن وسادة العلم ومعدنه، ومع كثرة الدراسات القرآنية المعاصرة والتي احتوت كتاب الله من جميع جوانبه، وفتقت عن معان فائقة وفهوم رائقة، فإن المتبصر في موروث الأولين لا يكاد ينفك عن تحصيل فائدة أو تقييد شاردة أو استضاءة بفكرة، أو إلماحة يعقبها معان جمة وعلم نفيس، وذلك كلما أمعن النظر وفكَّر، وتدبر بعناية وتبصر، ومن طالع كتابات أهل العصر في علوم القرآن رأى غزارة البحوث وتنوع الموضوعات ونهم الباحثين، وبان له أن القرآن لا تنقضي منه العجائب، وأن نفائسه عدد ما أقلت السحائب، لكن بقي موضوع منتظر للدراسة من شأنه أن يضيف إلى منظومة هذه الدراسات ويُعلى من بنائها السامق الرصين.

فكان هذا الموضوع الذي عنوانه: **«علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، دراسة وتأصيل»**، وهو عودة إلى العصر الأول وزمن الصفوة أغزر الناس علماً وأثقبهم فهماً، إذ الراصد الممعن في مسار الدراسات القرآنية الحديثة يدرك ما

مرت به من تنوع مفيد واختلاف في التوجه والاهتمام في كل عصر بحسبه، حتى توالت البحوث وأثرت المكتبة القرآنية بالمفيد الجديد، وهذه طبيعة العلوم وسجية المعارف، كل يضرب بسهم في بنائها المنيف فتتغازر التصانيف في تنافس محمود وهِمَمٍ وقَّادة.

ثم تأتي الحاجة الملحة في عودٍ إلى ما تحصل به المراجعة في تأسيس العلوم وتنقيحها وتأصيل قضايا الفنون وتهذيبها، بعد تعاقب المصنفات المتكاثرة والجهود النهمة في ميادين علوم القرآن ومعارفه.

وهذا البحث خطوة سابقة في طريق تقعيد انبثاق علوم القرآن منذ عصوره الأولى، فهو يرصد أحوال المعارف وخصائصها وبواكير نشوئها، وكيف كانت بداياتها حتى تطورت ونمت وأصبحت في قالبها الذي عليه اليوم في العصر الحديث.

وما كان شأن التنقيب عن أُسس علوم القرآن وجذورها المتينة التي ربت فوقها دوحة المعارف المورقة إلا انطلاقاً من زمن الصحابة الذين انفردوا بالتلقي عن النبي ﷺ وحضور التنزلات ووقائع الأحداث، والعيش مع آيات الذكر تتنزل وتشع بنورها وهداها، ثم تفيض علومهم بما تلقوه وأتقنوه من معلمهم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام إلى من بعدهم، فهم نقلة العلوم وحملة المعارف، يبلغونها تلامذتهم من التابعين، حفظة موروث الصحب والآخذين عنهم علومهم، أهل السبق في الزمان والقدر المنيف في المنزلة الذي فضلوا لأجله وأدركوا، ومُيزوا به واختصوا، رضي الله عنهم وأرضاهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ - الحاجة إلى تأصيل هذه العلوم القرآنية من كلام الصحابة والتابعين، ومعرفة ما تكلم فيه السلف والرعيل الأول من غيره، واستظهار مناهجهم في هذه العلوم، إذ هم من عاصر التنزيل وأخذ من المورد المعين والبحر العذب ومعدن العلم الزاكي، وهذا الموضوع إن تأخر زمناً إلا أنه متقدم رتبة مُعتلٍ قدراً؛ لأن علوم السلف الأوائل خير ما يُولى بالنظر الفائق، والبحث المؤصل.

٢ ـ أن جمع الآثار عند الصحابة والتابعين في جملة من علوم القرآن تورث علماً نفيساً، وأصالةً مزيدةً تفتح آفاقاً لاستنباط الدقائق وتفريع المعاني، فيستخرج منها إذا جمعت فوائد جمة لا يتحصل عليها طالبها وهي مبثوثة منثورة في تضاعيف المؤلفات، وهو كذلك كشف عن وجوه جديدة لعلوم القرآن عند السلف التي أولوها اهتماماً مزيداً وعنايةً أكيدةً مما لم تأت عليه أقلام الباحثين ـ وإن أتت عليه ـ ففيه فسحة من الجديد المبتكر والتقعيد المتقن.

٣ ـ تجدد النظر في هذه العلوم ترتيباً وأهمية حسب الأثر والرواية، وكشف منازل علوم الكتاب ومقادير كل علم من العناية والمدارسة التي تنبيء عنها المرويات والنصوص.

٤ ـ أن أنواعاً من علوم القرآن قد علمت وتقررت عند أهل الاختصاص وتواردت عليها التآليف، بينما لو جاء السؤال عن أصل هذه العلوم ونصوصها من كلام السلف فلربما عيي المسؤول بالجواب، من أجل هذا ظهرت الدعوات إلى تبيين أصول هذه العلوم عند الرعيل الأول ومعرفة موروثهم من غيره، فيتميز ما هو من علوم السلف وما حدث مبتكراً واستجد بعد عصرهم مما للنظر والرأي فيه نصيب.

٥ ـ أنني لم أعلم من جمع آثار الصحابة والتابعين في هذه العلوم، واستنطق نصوصها ودوَّن عزيز ما فيها من مسائل وفوائد، وأصَّل لهذه الأنواع من علوم القرآن بهذه المنهجية المتبعة في هذا البحث، ورأيت أن أهل المعارف القرآنية قد اكتفوا ببرهان الزركشي وإتقان السيوطي، وهما كتابان موسوعان على قدر عظيم من النفاسة والجلالة، وَرَد إلى حياضهما أهل التصانيف وصدروا، فكان ينبغي أن يعرف ما وراء هذين المصنفين من آثار السلف ونصوص الأوائل، وعودهم إلى السابقين وما خلفوه من إرث عظيم وعلوم رفيعة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى **دراسة علوم القرآن عند الصحابة والتابعين روايةً ودرايةً**، وستكون محاور البحث التي يسعى إلى تبيينها وكشف النقاب عنها ما يلي:

١ ـ التأصيل لعلوم القرآن التي كانت عند الصحابة والتابعين وتقرير أفرادها وموضوعاتها، والعكوف على جمل من الروايات والآثار تستبين بها طرائقهم ونهجهم في هذه العلوم القرآنية.

٢ ـ إبراز أنواع من علوم القرآن أكدتها نصوصهم والتقعيد لها، وإظهارها من ضمن الأنواع المستجدة وكشف النقاب عنها وعن مسائلها.

٣ ـ إظهار مناهج الصحابة والتابعين في علوم القرآن، وتوضيح مسالكهم في عرض مكنونات العلوم، وأهم ما قرروه وتواردوا على بيانه في كل فنٍّ قرآني.

٤ ـ بيان أنواع من علوم القرآن أثرية الصبغة أصيلة النشأة من علوم الصحابة والتابعين، بحيث تفترق عن العلوم الناشئة بعدُ مما هي محصلة النظر والاجتهاد، وجمع ما تفرق من أفراد الرواية التأصيلية في مكان واحد واستنطاقها لتبين ما فيها من علم واستنباط وتقعيد، وكشف ما في العلوم القرآنية من تأصيل ومنهج، ظفراً بالفوائد الرائقة، والفرائد المشرقة.

٥ ـ معرفة مقدار إفادة أهل التصانيف القرآنية من نصوص الأوائل ومروياتهم في مختلف الفنون وطرائق تلك الإفادة، وموقع الأثر والرواية من تلكم التآليف، وحظ علوم القدماء وأهل الريادة من القضايا القرآنية وموضوعاتها، وما يمكن أن يضاف إلى ما عند المؤلفين ويزاد على ما أصلوه من المعارف أنواعاً ومسائل.

الدراسات السابقة:

اعتنت البحوث المعاصرة بدراسة الجانب التاريخي لعلوم القرآن والتآليف التي سطرها العلماء قديماً وحديثاً من القرن الأول إلى العصور الحديثة، بمعنى أن فكرة ومنهجية هذا البحث لم أجد فيها دراسة أو بحثاً أكاديمياً، إنما كانت هناك ثلاثة بحوث درست علوم القرآن من الجانب التدويني، ولولا خشية انصراف الذهن إلى هذه الرسائل والظن بأنها تسير في فلك هذا الموضوع لما ذكرتها أصلاً؛ لاختلاف المنهج المتبع فيها وتباين أهدافها عن مجالات موضوعي وأهدافه، وهذه الرسائل كالتالي:

١ ـ (تأريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري) رسالة ماجستير للباحث: أحسن محمد أشرف الدين، في الجامعة الإسلامية ونوقشت بتاريخ ٧/ ٢/ ١٤٠٦هـ.

٢ ـ (تأريخ علوم القرآن من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن العاشر)، رسالة دكتوراه، للباحث: محمد حميد القرشي، ونوقشت بتاريخ ٦/ ٨/ ١٤١٨هـ.

٣ ـ (تدوين علوم القرآن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، عرض ودراسة) للباحثة: رقية الوهيبي، وهي رسالة ماجستير حديثة التسجيل بالقسم، ولم تناقش إلى الآن.

وجميع الرسائل انصرفت إلى قضية التطور التاريخي لعلوم القرآن وحركة التدوين والتأليف فيها، وعليه فموضوع هذا البحث ومضمونه وأهدافه تختلف كلياً عن هذه الدراسات المعاصرة، وإنما أوردتها هنا للعلم بالشيء، وإن كان بعيدة الصلة عن موضوعي. . . والله أعلم.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وستة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وتشمل: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والأهداف، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد: ويشتمل على ما يلي:

نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره، وتعريف الصحابة والتابعين.

الباب الأول: علوم القرآن المتعلقة بالنزول عند الصحابة والتابعين، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: نزول القرآن.

الفصل الثاني: أسباب النزول.

الفصل الثالث: أول ما نزل وآخر ما نزل.

الفصل الرابع: المكي والمدني.

الفصل الخامس: المبهمات.

الباب الثاني: علوم القرآن المتعلقة بالمعاني عند الصحابة والتابعين، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الوجوه والنظائر.

الفصل الثاني: المقدم والمؤخر.

الفصل الثالث: مشكل القرآن.

الفصل الرابع: موهم الاختلاف والتعارض.

الفصل الخامس: أمثال القرآن.

الفصل السادس: الجدل في القرآن.

الباب الثالث: علوم القرآن المتعلقة بدلالة الألفاظ عند الصحابة والتابعين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المحكم والمتشابه.

الفصل الثاني: العام والخاص.

الفصل الثالث: النسخ.

الباب الرابع: علوم القرآن المتعلقة بالوقوف عند الصحابة والتابعين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: الوقف والابتداء.

الفصل الثاني: المفصول والموصول.

الباب الخامس: أنواع متفرقة من علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: الأحرف السبعة.

الفصل الثاني: جمع القرآن وكتابته.

الفصل الثالث: مفردات القرآن.

الفصل الرابع: تعضيد السُّنَّة بالقرآن.

الفصل الخامس: ملح التفسير ولطائفه.

الفصل السادس: تحزيب القرآن والمفصل.

الفصل السابع: الاستنباط من القرآن.

الباب السادس: سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين، وآثار تأصيل هذه العلوم، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين.

الفصل الثاني: آثار التأصيل لعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين.

الفصل الثالث: إفادة المؤلفين في علوم القرآن من هذه النصوص والآثار.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج وتوصيات الباحث.

الفهارس: وتشمل الفهارس اللازمة للبحث:

١ ـ فهرس الآيات الكريمة.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٣ ـ فهرس آثار الصحابة والتابعين.

٤ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥ ـ ثبت المصادر والمراجع.

٦ ـ فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقصائي والتحليلي وفق الآتي:

١ ـ كان مقصود دراسة علوم القرآن عند الصحابة والتابعين وهدفها الرئيس هو التأصيل لمجموعة من العلوم عبر الآثار والمرويات المؤسسة، أو من طريق نصوصهم التطبيقية التي يتوصل بها إلى التقعيد واستبانة المناهج وإيضاح الطرائق التي سلكوها في هذه المعارف، وعلى ذلك ستكون طريقة الدراسة من شقين:

أ ـ جمع الآثار والمرويات.

ب ـ فقه النصوص وفوائد الآثار.

٢ ـ قصرت مجال البحث على طبقة **الصحابة والتابعين** معتمداً على تقريب الحافظ ابن حجر في تعيين التابعين من النازلين درجةً عن طبقتهم،

وخاتمة طبقة التابعين المعتمدة في هذه الدراسة، كما حققه ابن حجر هي: **الطبقة الخامسة**، وحَدُّها: **الطبقة الصغرى من التابعين، الذين رأوا الواحد والاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة كالأعمش**، وعليه فلم تستهدف الدراسة هذه تأصيل معارف التنزيل في زمن أتباع التابعين، إلا أن هناك مواضع اضطررت فيها إلى ذكر الأتباع لغاية مقصودة في مسائل مخصوصة، لأجله امتد الأمر إلى أن بلغ مرحلة الأتباع، وذلك في علوم المكي والمدني ـ المقدم والمؤخر ـ مفردات القرآن ـ الوجوه والنظائر، واختصت هذه الآنفة بقضايا محددة لا احتواءً للعلم بأطرافه، ولا استفاضةً في موضوعاته كلها.

٣ ـ استقرأت بادي الأمر أسفار الرواية وتصانيف الأثر ودواوين السُّنَّة حتى تجمعت مئات النصوص عن الصحابة والتابعين في سائر فنون الكتاب، ثم قسمت لكل علم قرآني نصيبه من آثارهم ومروياتهم، ورأيت أن هذه المعارف أحظاها لدى الأوائل ذكراً وأشدها إفاضة في مسائلها ومفرداتها، وأوفرها مدارسة، فكانت ثلاثة وعشرين علماً قرآنياً.

٤ ـ صنفت العلوم تحت خمسة أبواب، وكل باب يضم مجموعة من العلوم التي تلتقي في رابط مشترك، فالمعارف المتعلقة بالمعاني بعضها مضموم إلى بعض، وما يتعق بالدلالة كذلك وهكذا، بخلاف الباب الخامس فتحته أنواع متفرقة من علوم القرآن.

٥ ـ بعد جمع آثار كل علم وحصر نصوص الفن القرآني صنفت ما تحصل في مسائل، وتحت كل مسألة حظها من الرواية، ومن الطبعي أن تختلف العلوم في قدر المسائل التي كانت محور دراستهم ومحط إفاضتهم، كلٌّ بحسبه، كماً ونوعاً.

٦ ـ أبدأ مع كل مسألة بمرويات الصحابة حسب وفياتهم، ثم التابعين كذلك حسب الوفيات أيضاً، وأحياناً قد يختلف هذا النهج لمقصد، كأن تكون الروايات المتعددة تدور حول آية واحدة، فاستبدل تفريق الروايات بجمعها تحت أقدم الرواة من الصحابة والتابعين ثم أسردها مرتبة في موطنها المجموع.

٧ ـ خرجت النصوص من مصادرها من كتب السُّنَّة ومصنفات الأثر

تخريجاً مطولاً، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به في التخريج إلا ما كان اللفظ المقصود في الأثر جاء بأوضح منه في غيرهما، أو جاء بزيادة وتصريح أظهر فأذكره مع الصحيحين، أما ما عدا صحيحي الإمامين البخاري ومسلم فأستكمل التخريج من كل ما خرجته كتب الروايات، أُتبع ذلك بذكر كلام أهل العلم تصحيحاً وتضعيفاً وتوثيقاً وتوهيناً، سواء من أئمة نقاد الأثر وصيارفة الحديث أو ممن حقق تصانيف العلم من الباحثين، وذلك كله حسب الطاقة.

أما ما تكرر دورانه في مشاهير المصنفات؛ كتفسير الطبري وابن أبي حاتم وأمثالهما من الأسانيد المشهورة في رواية التفسير وعلوم القرآن فهذه غالباً لا أُتبع الأثر بشيء إلا عند الحاجة، كأن أذكر طريق الرواية عن ابن عباس أو مجاهد مما حكم عليه أهل العلم وبينوا صحته من ضعفه، نسجاً على المقولة الذائعة: من أسند لك فقد برئ من العهدة، فهنا: من أحالك على دواوين الأثر والإسناد فقد برئ من العهدة.

٨ ـ رتبت مصادر التخريج من السنن والمسانيد والمصنفات حسب وفيات أصحابها.

٩ ـ بعد الانتهاء من تصنيف الآثار وتبويبها أُفرد عنوان لـ«التأصيل» فيه كشف ما ضمته النصوص من تأصيل هذه العلوم واستخراج مكنوناتها وتجلية قضاياها.

١٠ ـ تدوين الجانب التأصيلي لكل نوع من هذه العلوم على ضوء هذه المرويات وتُعنى بالقضايا التي تركزت حولها الآثار والنصوص مثل: تسمية كل نوع وأصله من الحديث النبوي ـ إن وجد ـ، أهمية هذه العلوم، التعاريف والضوابط، ذكر ثمراته وأنواعه، وغير ذلك من القضايا التأصيلية للعلوم القرآنية التي ضمتها مروياتهم وآثارهم، وكل علم له خصائصه التي تسفر عنها الرواية والأثر مما يشترك مع الفنون الأخرى وما ينفرد عنها.

١١ ـ توصيف مناهج الصحابة والتابعين في مجمل هذه العلوم وكشف طرائقهم فيها، والموضوعات التي حفلت باهتمامهم وعنايتهم مما يؤكد تباين هذه العلوم أهميةً وشأناً.

١٢ ـ بعد اختتام التأصيل والتقعيد أُفرد عنواناً لـ: **العلم القرآني عند أهل علوم القرآن** وفيه بيان مكانة هذه الآثار عند المؤلفين ومعرفة كيف وظفوها وقدر إفادتهم منها، وقد اصطفيت من مئات التآليف ـ خاصة الحديثة منها ـ نخبةً مُنتقاةً، رأيتها أوسع ذيوعاً وأوفر اعتماداً من سواها عند أهل العلم وطلاب الاختصاص.

١٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها في كتب السُّنَّة، وإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإنني أكتفي بالعزو إليهما.

١٤ ـ توثيق النصوص من مصادرها الأصيلة، ولا أنقل بواسطة إلا إذا تعذر النقل من المصدر الأصيل.

١٥ ـ أفدت من سبق أهل العلم وتقريراتهم في تأصيل مضامين الروايات، مما بينوه وأسسوه من القضايا المعرفية والمسائل العلمية استخلاصاً من مروي الصحابة والتابعين.

١٦ ـ لم ألتزم ـ في الغالب ـ الترضي عن الصحابة والترحم عن التابعين كتابةً؛ لأن دوران أسمائهم كثيراً يضيق عنها الالتزام الذي لا يتخلف، واستعضت عن ذلك بالترضي والترحم لفظاً ونطقاً، رضي الله عنهم أجمعين.

١٧ ـ شرح الكلمات الغريبة والأمكنة بما يوضح المعنى ويرفع الإبهام.

١٨ ـ التعريف بالأعلام، واقتصرت في هذا على غير المشهورين ممن يُحتاج إلى التعريف بهم.

١٩ ـ مناقشة القضايا والمسائل العلمية، وإبداء الرأي مدعوماً بالدليل والتعليل.

٢٠ ـ كتابة البحث وفق القواعد الإملائية والنحوية، ومراعاة علامات الترقيم.

٢١ ـ تذييل الرسالة بالفهارس العلمية اللازمة.

وبعد:

فإن الإبحار بين لجج الروايات، والسير وسط خمائل الآثار مدارسة وتأصيلاً لعلوم الكتاب أمر جليل وغاية عظيمة، وقد تهيبت معاناة ذلك والتصدي له، وأولئك قد حازوا من المعارف أجلها ومنحوا من البصائر

أثقبها، فهم معادن الفواضل والفوائد ومجامع المكارم والمحامد، خصوصاً أنهم أهل عبارة وجيزة وإشارة خفية، وجمل معدودة الحروف بطينة المحتوى، ولازم تلقف مرادهم وفهمه حق الفهم نظر متكرر حصيف وإدامة تفكر مسترشد وتفكيك للعبارات الوجيزة وغور مراميها، وبرغم قصوري في ذلك كله توجه القصد ونهضت العزيمة يقودها طموح وثاب وتطلع صادق للإفادة والإثراء بما يخدم الكتاب المبين وعلومه السنِّية الأثيرة، فبذلت غاية الوسع وأقصى الاستطاعة مؤملاً بلوغ المراد أو المقاربة، أو نيل شرف الاجتهاد لو حرمت الإصابة، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

وإني أحمد المولى حق حمده، وأشكره على توفيقه وعونه، حمداً لا ينتهي ولا ينفد، لا يبلغ مداه ولا يوصل أقصاه، فهو سبحانه أهل الثناء والمجد والطول والإنعام، كم من عسير أبدله يسيراً، وقليل باركه ونماه، وسبيل يسره وقرب بعيده، وغمة دفعها وكربة كشفها، لا زالت منائحه تتوالى، وفيوضه الغديقة تترا، ثم أخص بالدعاء الصادق والعرفان المترادف والدي الكريمين على حسن توجيههما وفائق حرصهما واسأل المولى الكريم لهما المثوبات العظام والهبات الجسام وجميل الختام، ثم الشكر البالغ العطر إلى فضيلة الشيخ الأُستاذ الدكتور **بدر بن ناصر البدر**، ذي الخلق الزكي والسمت البهي، فقد غمرني بإشراف كريم وصدر رحيب وبصر مستنير، إن وجد نقصاً سده، أو عوجاً قوَّمه، أو فتوراً بعث فيه روح الإصرار والعزيمة، مع غاية اللطف والإحسان، فبارك الله له ما آتاه من العلم والفضل، وكافأه بالخير المدرار العظيم والجزاء العميم، والشكر موصول إلى صاحبي الفضيلة الشيخ الدكتور رياض بن محمد المسيميري والشيخ الدكتور محمد بن عبد العزيز العواجي، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وأبديا ملاحظات قيّمة أفاد منها الباحث وقوم بها دراسته فلهما الشكر العاطر والدعاء الوافر، وجزاهما الله خيراً.

كما أُزجي الشكر والعرفان للمشايخ الفضلاء والإخوة الزملاء أعضاء قسم القرآن وعلومه، بارك الله جهودكم وكافأهم بالإحسان، والشكر والامتنان موصول إلى إخوتي وجميع الأهل والأحباب ممن ذُللت الصعاب بدعائهم،

وتقاصرت طوال الدروب بسؤالهم، وعظيم مؤازرتهم وحفزهم، فلهم من الدعاء وافره، ومن الشكر جزيله، واللهَ أدعو ولا غيره أرجو أن يكلل المساعي ويباركها، ويخلص القصد والنية لوجهه الكريم، وأن يشمل بعفوه ورحمته وإحسانه كل سهو وزللٍ، أو تقصير وخطلٍ.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً.

التمهيد

ويشتمل على ما يلي:

- أولاً : نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.
- ثانياً: تعريف الصحابة والتابعين.

أولاً: نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره

أ ـ في نصوص أحاديث النبي ﷺ وهي في صنوف متنوعة:

١ ـ أحاديث آمرة بتعلم القرآن حاثّةٌ على تعليمه:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**[١].

وعنه بلفظ: **«إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»**[٢].

وفي معنى هذا الحديث النبوي كل حديث فيه حث على تعلم القرآن وتعليمه، وهي كثيرة متوافرة.

٢ ـ التعبير باستخدام مصطلح «عِلْمُ القرآن»:

جاء عن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً قال:

عِلْمُ القرآن على ثلاثة أجزاء: حلال فاتبعه، وحرام فاجتنبه، ومتشابه يشكل عليك فكِله إلى عالمه[٣].

٣ ـ ذكر شيء من فنون القرآن وعلومه:

ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نزلت الكتب من باب واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف.

وفي بعض المصادر بزيادة: زآجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، [٥٠٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، [٥٠٢٨].

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس (٣/ ٤١) [٤١٠٣]، وعزاه إليه في كنز العمال (١/ ١٦٤) [٢٨٧٠].

ومتشابه، وأمثال(١).

- عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن مسعود: «**إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد، وإن القرآن أُنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وضرب الأمثال، وآمر وزاجر...**»(٢).

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنزل القرآن على عشرة أحرف، بشيرٌ ونذيرٌ، وناسخ ومنسوخ، وعِظة ومَثَل، ومحكم ومتشابه، وحلال حرام**»(٣).

- عن أبي قلابة قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف، أمرٌ وزجرٌ، وترغيبٌ وترهيبٌ، وجدل وقصص وأمثال**»(٤).

ب - في مرويات الصحابة والتابعين، وهي على وجوه:

١ - آثارهم في الحث على تعلم القرآن؛ الأمثلة على ذلك:

---

(١) روي مرفوعاً صراحة وموقوفاً على ابن مسعود، وله حكم الرفع، فرواه النسائي في الكبرى (٢/ ١٢٣٦) [٧٩٣]، وابن حبان في صحيحه مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٣/ ٢٠) [٧٤٥]، وأعله محققه للانقطاع، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٧٥) وقال: هذا حديث لا يثبت، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١٥) [٣١٠٢]، والطبراني في الكبير (٩/ ١١، ١٢) [٨٢٩٦]، والحاكم (٢/ ٢٥٣) [٢٠٧٥]، و(٣/ ٥، ٦) [٣١٩٨]، والهروي في ذم الكلام (٣/ ٦٣، ٦٤) [٥٦٧]، وضعفه الطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١٦)، وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٤٦)، وجعله ابن كثير موقوفاً على ابن مسعود. انظر: فضائل القرآن (١٢١)، وحسنه الألباني في الصحيحة بطرقه (٢/ ١٣٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ١١، ١٢) [٨٢٩٦]. قال في مجمع الزوائد: وفيه عمار بن مطر وهو ضعيف جداً وقد وثقه بعضهم (٧/ ٢٣٠).
وقال في فيض القدير: ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن أبي سلمة مرفوعاً بلفظ: «**نزل القرآن على سبعة أحرف حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وضرب أمثال...**» قال الكمال ابن أبي شريف: ورجال إسناده أئمة من رجال الصحيحين إلا عمر بن أبي سلمة فمن رجال السنن، لكن فيه انقطاع.اهـ. (٣/ ٥٦).

(٣) أخرجه السجزي في الإبانة كما في جامع الأحاديث للسيوطي (٢/ ١٩٨) [٤٨٢١]، وكنز العمال للمتقي الهندي (١/ ١٦٧) [٢٩٥٦]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزياداته (ص١٩٣) [١٣٣٩].

(٤) أخرجه الطبري في مقدمة تفسيره (١/ ٦٣)، وعزاه المتقي الهندي إلى الطبري فقط في كنز العمال (١/ ١٧٤) [٣٠٩٦] وهو مرسل كما ترى.

- عن ابن مسعود ﷺ قال: من تعلم القرآن فليتعلم الفرائض(١).

- عن الضحاك قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً(٢).

٢ - استخدام مصطلح **علوم القرآن**، وقريب منه **المعرفة بالقرآن**، **أو علم القرآن**، **أو القرآن ذو فنون**:

- قال الحسن البصري: أنزل الله مئة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، ثم أودع **علوم القرآن** المفصل، ثم أودع علوم المفصل، فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة(٣).

- ومثله ما جاء عند قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

قال عبد الله بن هانئ(٤): ما غاب من علوم القرآن(٥).

أما المعرفة بالقرآن:

- فجاء في أثر ابن عباس ﷺ في تفسيره: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بتحقيق الأعظمي (١/ ٢٨) [٣]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٦/ ٢١٣) [٣١٦٧٩]، [٣١٦٨٠]، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٤٠) [١٢٤٢٥]، والصغرى (٢/ ٣٥٣) [٢٢٧٨].

(٢) أخرجه ابن المنذر (١/ ٢٦٨) [٦٤٥]، وابن أبي حاتم (٢/ ١٨٥) [٣٨٠١].

(٣) ساقه الثعلبي في تفسيره بسنده (١/ ٩١)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٠، ٤٥١) [٢٣٧١].

قال محققو الإتقان عن سند البيهقي: في إسناده الربيع بن صبيح السعدي، متكلم فيه، قال الحافظ ابن حجر: صدوق سيئ الحفظ.اهـ. انظر: الإتقان (٥/ ١٨٣١).

قلت: وسند الثعلبي مطابق لإسناد البيهقي ففيه الربيع بن صبيح.

(٤) ترجم محققو البحر المحيط لعبد الله بن هانئ بأنه ابن عبد الله بن الشخير العامري أبو الحصين البصري. انظر: البحر المحيط (١/ ١٦٤). وفي تقريب التهذيب أكثر من راوٍ اسمه عبد الله بن هانئ، فمنهم من ذكره محققو البحر، وقال عنه ابن حجر: ابن أخي مطرف العامري، أبو الحصين البصري، مقبول من السادسة.اهـ. (ص٥٥٤) [٣٧٠٠].

وهناك عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الأكبر الأزدي، الكوفي وثقه العجلي، من الثانية. تقريب التهذيب (٥٥٤) [٣٧٠١].

(٥) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/ ١٤٧)، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٦٤).

ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[(١)].

ومفردة: **علم القرآن** أو ما كان بمعناه.

ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد العلم فليقرأ القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين[(٢)].

وجاء بألفاظ:

إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين[(٣)].

وبلفظ: من أراد علماً فلينثر القرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين[(٤)].

وكذلك: من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين[(٥)].

وبلفظ: من أراد العلم فليُثوِّر القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين[(٦)].

وعنه: من أراد علماً فليُثوِّر القرآن، فإنه خير الأولين وخير الآخرين[(٧)].

وكذلك: من أراد خير الأولين والآخرين فليُثوِّر القرآن، فإن فيه خير الأولين والآخرين[(٨)].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص٥، ٦) [٣]، والمحاسبي في فهم القرآن (٣٢٧/ ٣٢٨)، والطبري في تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (٥/ ٩)، وابن أبي حاتم بالإسناد نفسه (٢/ ٤٥) [٢٨٦٧]، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٤١١) [٤]، وطريق علي بن أبي طلحة من الطرق الثابتة إلى ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٦٦) [٣٠٦٤١].

(٣) كما عند ابن المبارك في الزهد بسنده (ص٢٨٠) [٨١٤]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٧٦) [٧٩]، والفريابي في فضائل القرآن بنحوه (١٨١ ـ ١٨٢) [٧٨].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩/ ٥٤٣) [٣٦٩٨٩].

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ٧) [١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٣٢) [١٩٦٠].

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد (ص١٩٦)، ومسدد كما في المطالب العالية (١٣/ ١٧) [٣١٠٠]، والحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص٢٩١، ٢٩٢)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٦) [٨٦٦٦]، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٩٦، ١٩٧) [١٩٤]، وقال: إلا أن إسرائيل قال: «خبر»، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٣٢) [١٩٦٠].

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٤٦) [٨٦٦٥].

(٨) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٤٥، ١٤٦) [٨٦٦٤]. قال في المجمع: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

ـ قال أبو عمرو البصري[(١)]: لقد حفظت في **عِلْم القرآن** أشياء لو كتبت لما قدر الأعمش على حملها[(٢)].

ـ قيل للشعبي: إن إسماعيل السدي قد أعطي حظاً من **عِلْم القرآن**، قال: إن إسماعيل قد أعطي حظاً من جهل القرآن أو من جهلٍ بالقرآن[(٣)].

أما استخدام مفردة: **فنون**، فجاء:

ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن القرآن ذو شجونٍ **وفنونٍ** وظهورٍ وبطونٍ[(٤)].

٣ ـ ذكر أنواع من علوم القرآن في آثارهم:

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أُنزل القرآن على خمسة أوجه، حرام، وحلال، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحِلَّ الحلال، وحَرِّم الحرام، وآمِنْ بالمتشابه، واعمل بالمحكم، واعتبر بالأمثال»[(٥)].

ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إلٰه غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أُنزلت؟ ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه»[(٦)].

ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين لوحي المصحف آية تخفى عليّ فيم أُنزلت؟ ولا أين

---

(١) القارئ المشهور وقد عده ابن حجر في الطبقة الخامسة: وهي الطبقة الصغرى من التابعين، الذين رأوا الواحد والاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة كالأعمش. انظر: تقريب التهذيب (ص١١٨٢) [٧٣٣٤].

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/ ١٠٥)، والذهبي في طبقات القراء (١/ ٩٨)، وابن الجزري في غاية النهاية (١/ ٢٦٤).

(٣) ذكرته بعض كتب التراجم مثل: تهذيب الكمال (٣/ ١٣٦)، تهذيب التهذيب (١/ ١٥٩)، وساقه ابن عدي في الكامل بسنده إلى الشعبي (١/ ٤٤٦، ٤٤٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣/ ٤٥٨).

(٥) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٣٠) رقم الأثر [١٣٠]، والطبري في تفسيره (١/ ٦٤)، قال محقق الطبري: القاسم بن عبد الرحمٰن لم يدرك ابن مسعود.اهـ، وابن المنذر من طريق القاسم عن ابن مسعود (١/ ١٣٣) [٢٦١].

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب رسول الله ﷺ (ص٨٩٧) [٥٠٠٢]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه، (٢/ ١١٥٠) [٢٤٦٣].

أُنزلت؟ ولا ما عُني بها»[١].

وبلفظ: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أُنزلت؟ وأين أُنزلت؟ إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً»[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: **المعرفة بالقرآن** ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[٣].

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن القرآن ذو شجونٍ وفنونٍ، وظهورٍ وبطونٍ، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف غوى، أخبار، وأمثال، وحرام وحلال، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن... إلخ»[٤].

ـ فسَّر ابن عباس رضي الله عنهما المحكمات والمتشابهات في رواية عنه بمجموعة من علوم القرآن، قال عن ابن عباس: المحكمات: ناسخه وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وما يؤمن به ويعمل به...، والمتشابهات: منسوخه، ومقدمه ومؤخره، وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به[٥].

وجاء عنه كذلك قال: هو التقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام[٦].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٠) في ترجمة علي بن أبي طالب، وقال محقق الإتقان: وفي إسناده أبو بكر بن عياش السلمي وهو مقبول. الإتقان (٦/ ٢٣٢٦).

(٣) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص٥، ٦) [٣]، والمحاسبي في فهم القرآن (٣٢٧/ ٣٢٨)، والطبري في تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (٥/ ٩)، وابن أبي حاتم بالإسناد نفسه (٢/ ٤٥) [٢٨٦٧]، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٤١١) [٤]، وطريق علي بن أبي طلحة من الطرق الثابتة إلى ابن عباس.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر المنثور (٣/ ٤٥٨).

(٥) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (٦، ٧) [٤]، والطبري (٥/ ١٩٣)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١١٩) [٢٢٢]، و(١/ ١١٧) [٢١٧]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٩٧) [٣٢١٣]، الأثر (٢/ ٩٨) [٣٢٢١]، وهو من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وكذا ابن بطة في الإبانة الكبرى بنحوه (١/ ٦٠٥، ٦٠٦) [٧٨١]، وأخرج أوله المحاسبي في فهم القرآن بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ص٣٢٦)، وحسَّن محققو الإتقان هذا الأثر (٤/ ١٣٣٧).

(٦) ذكر هذا القول عن ابن عباس هودُ بنُ محكَّم في تفسيره قال: وبلغنا عن أبي حازم عن =

التأصيل

لا تكاد تختلف العلوم الشرعية في نشأتها ولا تفترق في بداياتها من حيث إن الفنون عامة تبدأ مواكبة لعلوم أُخرى، تلتحف عباءة واحدة، فمثلاً علوم القرآن والتفسير والحديث كانت ملتئمةً في بواكير هذه العلوم تؤخذ كعلم واحد لا يعرف لها انفصال ولا استقلال، ولهذا كان التفسير في أولياته باباً في التآليف من أبواب الحديث، ثم تتطور العلوم وتبدأ نزعة الاستقلال والانفكاك عن العلوم الأخرى سواء في مصطلحاتها أو في تآليفها وخصائصها وما يتعلق بها شيئاً فشيئاً حتى تتمايز وتصبح علماً منفصلاً له مصطلحاته وتصانيفه وذاته المتحيزة عن غيره، وبهذا يمكن تقرير أولى مسائل هذا الموضوع بما يلي:

أ ـ كل ما اتصل بكتاب الله الكريم من أنواع علومه ومختلف فنونه كانت علماً واحداً تؤخذ ككل لا يتجزأ، سواء ما يتعلق بألفاظه وأداء حروفه «القراءات»، أو تفسيره وتأويل معانيه «التفسير»، أو ما تعلق بالقرآن من علومه المختلفة «من مثل النسخ، المكي والمدني، وأسباب النزول» فلا يعرف افتراقٌ بين هذه العلوم تعلماً وتعليماً وحفظاً وتلقياً ونشراً.

والذي يعني هنا: معرفة استخدام المصطلح **«علوم القرآن»** تطوراً ودلالةً في نصوص الصحابة والتابعين، وقبلهم في الحديث النبوي، أما موضوع التآليف فهو مستوفى في الدراسات المعاصرة.

ويمكن تقسيم ذلك باعتبار المرحلة الزمنية إلى ثلاثة مراحل:

أ ـ في العهد النبوي.

ب ـ في زمان الصحابة والتابعين.

ج ـ مرحلة ما بعد ذلك من زمن الأتباع فمن بعدهم.

أما في أحاديث النبي ﷺ فبسبرها قسمت إلى قسمين:

الأول: الأحاديث الآمرة بقراءة القرآن الحاثة على ذلك العمل العظيم، من قول: اقرؤا القرآن، من قرأ القرآن، وغيرها من الألفاظ.

الثاني: ما كان فيها الأمر بتعلم القرآن وتعليمه من نحو حديث عثمان بن

= ابن عباس ثم ذكره (١/ ٢٥٧)، والحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص٣٣٠).

عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«خيركم أو أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»**.

فهذان اتجاهان في حديث النبي ﷺ، إما أمر بالقراءة، أو التعلم والتعليم، وهذا التفريق بينهما في عمل السلف وما كانوا عليه في تلقيهم القرآن هو تفريق يسير وليس بالواسع؛ لما تقرر من أن الأوائل كانوا يتلقون القرآن حروفه ومعانيه وعلومه، فلا فصل بين تلقي كل ما يتعلق بالكتاب العزيز لا في ألفاظه ولا في معانيه.

لكن ظواهر الأحاديث التي تُرَغِّب في قراءة القرآن: اقرؤا القرآن، من قرأ القرآن، وهكذا تتجه في المقام الأول إلى إقامة حروفه وحفظ ألفاظه وكلماته، وعلى ذلك رتب الأجر الوفير والثواب الجزيل من الله تعالى: **«لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف كان له بكل حرف عشر حسنات»**.

وإن لزم من هذا أن السلف والرعيل الأول لم يفرقوا بين تعلم حروفه وتعلم معانيه وعلومه، بل هو عندهم مأخوذ بتمامه، ولهذا جاء أثر أبي عبد الرحمٰن السلمي[1]: «حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قال: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[2].

لكن الأمر مع من جاء بعدهم قد يختلف فتُنسأ مرحلة تعلم المعاني وفهم العلوم عن زمن تلقيه أداءً وحروفاً.

ب ـ الأحاديث المرغبة في تعلم القرآن وتعليمه، فهذه من نحو:

تعلموا القرآن، من تعلم القرآن، خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وأمثالها.

تتجه إلى عموم العلم وشمول التعلم للكتاب المطهر، فتشمل:

---

(١) هو: أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، سمع علياً وعثمان، وابن مسعود، وغيرهم، كان مقرئ الكوفة، قرأ القرآن وجوده وبرع في حفظه، كان ثبتاً في الحديث والقراءة، توفي سنة (٧٤هـ)، وقيل: (٧٣هـ).
التاريخ الكبير (٥/ ٧٢، ٧٣، ١٨٨)، طبقات القراء للذهبي (١/ ٣١)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣١٩).

(٢) سيأتي تخريجه في موضعه إن شاء الله.

- ألفاظه أداءً وحروفاً.
- ومعانيه وتأويله.
- وعلومه النابعة من القرآن من صنوف المعارف المختلفة.

فلفظة: التعلم والتعليم أشمل من القراءة.

وهي رتبة أعم من مجرد تلاوة الألفاظ وأداء الحروف.

جاء في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» زيادة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وكان قد علَّم القرآن في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى بلغ الحجاج بن يوسف(١).

فظاهر هذه الرواية أنهم فهموا من حديث النبي ﷺ، أن التعلم والتعليم واقع على: اقراء القرآن والجلوس لتعليمه الناس أداءً وحروفاً، فتمثلوا ذلك واقعاً وترجموه عملاً.

فيقال جواباً: إنهم طبقوا ما حث عليه الحديث، ورغبوا في تحصيل الخيرية في أحد ما دل عليه الخبر من معان، وهي المتعلقة بضبط حروفه وتلقي أدائه، وتعليمه كذلك.

وبقيت دلالة الحديث واسعة تشمل تعلم معانيه وما تفتق من علومه وتعليمها، وإذا عرفنا نهج السلف المتقدمين من أنهم كانوا يتعلمون القرآن بكل فروع علمه ألفاظاً ومعانٍ وعلوماً ولا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل عرفنا أن قعودهم للإقراء لا يتنافى مع تلقي علم القراءة ومعارف القرآن الأخرى المتصلة بالمعاني والتفسير وصنوف علومه المعروفة.

ج - جاء في أثر مرفوع إلى النبي ﷺ أن عِلْمَ القرآن ثلاثة أقسام: حلال، وحرام، ومتشابه.

وهذا الأثر لا يعني إرادة عِلْم القرآن بمعناه الاصطلاحي إنما يعود معناه إلى أن في القرآن ما هو واضح الحل والحرمة؛ أي: محكمٌ، وما هو متشابه.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ص٩٠١) [٥٠٢٧].

كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٧]. وهذا تقسيم ثنائي للقرآن باعتبار الإحكام والتشابه وهذا ما سيتبين لاحقاً من أنه لقلة دوران مصطلح **علوم القرآن** وما في معناه من **فنون القرآن ومعارف القرآن** فقد واكبه اتساع معنى هذا المصطلح، فهو فضفاض المعنى في تلك الحقبة الزمنية، فلم ينطبق تماماً على ما استقر عليه معنى «**علوم القرآن**» في آخر الأمر، وهذا طبعي في نشأة المصطلحات ومسميات الفنون وتطورها دلالةً واصطلاحاً.

د ـ جاء في أثر علي رضي الله عنه مرفوعاً أن القرآن على عشرةِ أوجهٍ، وفي هذه الأوجه ما هو من **علوم القرآن ومعارفه** من مثل: الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، والأمثال، والحلال والحرام، ومثله بعض الآثار عن ابن مسعود رضي الله عنه وهي مأثورة مرفوعة وموقوفة، ومما ذكره من العلوم: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، ومثله عن أبي سلمة مرفوعاً فقد تضمن هذه العلوم الثلاثة، أما في خبر أبي قلابة المرسل فوردت ثلاثة علوم: الجدل، القصص، الأمثال.

وهذا الاتجاه سيأتي في مرويات الصحابة بعد ذلك، وهو أن تذكر طائفة من **فنون القرآن وعلومه** على سبيل التمثيل لا الحصر.

وفي هذا فوائد ستذكر في الوارد عن الصحابة والتابعين مجموعةً هنالك.

شهد مصطلح «**علوم القرآن**» وأشباهه من الألفاظ في عهد الصحابة والتابعين شيئاً من التطور والنزوع نحو تشكله وتمايزه عن جملة المعارف المتصلة بالكتاب المبين، وإن بقي في بعض نواحيه متبعاً للإشارات الخفية على ما كان عليه «**مصطلح علوم القرآن**» في الآثار النبوية، وذلك في جزئيتين:

الأولى: في نصوصهم المرغبة في تعلم القرآن وتعلمه كما ورد فيما تقدم في مرويات ابن مسعود، والضحاك، وغيرهما، وهي شواهد لا تعني الحصر بل التمثيل، فهي كما هي في حديث النبي ﷺ تشمل تعلم كل ما يتصل بالكتاب العزيز أدائه وتأويله وعلومه.

الثانية: في ذكر جملة من **علوم القرآن** على سبيل المثال، كما أتى في آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ.

فمن المذكور في آثارهم من معارف التنزيل:

ـ في أثر ابن عباس رضي الله عنهما: الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، المقدم والمؤخر، الحلال والحرام، والأمثال.

وفي رواية ثانية: الأخبار، الأمثال، الحرام والحلال، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه.

ـ أثر ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: «أُنزل القرآن على خمسة أوجه» وذكر من العلوم: الحلال والحرام، المحكم والمتشابه، والأمثال.

ـ فسر ابن عباس رضي الله عنهما المتشابهات بطائفة من **علوم القرآن**: المنسوخ، المقدم والمؤخر، الأمثال، الأقسام.

وفي رواية: التقديم والتأخير، المقطوع والموصول، الخاص والعام.

قلت: وفي هذا الاتجاه من ذكر هذه العلوم القرآنية سواء في الحديث النبوي أو في آثار الصحابة فوائد:

ـ أن من علوم الكتاب ما جاءت النصوص بتسميته وإشهار أسماء هذه المعارف كالناسخ والمنسوخ، المقدم والمؤخر، والأمثال وغيرها.

ـ أن لتلك العلوم التي ذكرت مزيةً ورتبةً عليةً على غيرها من العلوم حين ذكرها أولئك في نصوصهم، فما كانوا ليذكروا من فنون القرآن إلا أهمها وأعلاها شأناً.

ولحظت أن عدداً منها تكرار دورانه في معظم المرويات في حين لم تُذكر أفرادٌ منها إلا مرة أو مرتين.

فما تكرر دورانه يزيد درجة على ما لم يتكرر، وما صرحوا به ولو مرة يزيد شأنه على ما لم يأتوا بذكره في المرويات.

وأهم العلوم المتكررة ذكراً:

الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، ـ وأسميتُه قرين علم النسخ ـ، الحلال والحرام، والأمثال.

ثم يلي هذا علم المقدم والمؤخر فهو يقل عن سابقيه فلم يذكر في بعض الآثار.

ومن العلوم ما لم يُمثل به ويأتي ظهوره إلا مرة واحدة من نحو: الجدل، الأقسام، الخاص والعام.

ـ ينبغي أن تلاحظ العلوم الأربعة التي أكثروا منها أمثلةً لفنون القرآن ومعارفه بعين العناية، وأن يتبحر في مسائلها وتثار قضاياها، وتتمعن موضوعاتها؛ لأنهم لم يولوها هذا الاهتمام في آثارهم، إلا وفيها غزير العلم ونفيس المعاني ومهمات المسائل.

أما ما جاء في نصوصهم زيادة على ما سبق في الحديث النبوي ما كان للمصطلح من تطور فذلك في أمور متعددة:

أ ـ ظهرت مفردة «**المعرفة بالقرآن**» عن ابن عباس رضي الله عنهما وأكد أن المراد معارفه وعلومه بأن أتبع هذه الجملة نماذج من علوم القرآن الأصيلة كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه وغيرها.

ثم أتت مفردة «**فنون القرآن**» حين قال ابن عباس: «إن القرآن ذو شجونٍ **وفنون**»، وأكد أن مراده بالفنون العلوم والمعارف المتصلة بالكتاب تمثيله بعدة علوم قرآنية في خاتمة الأثر حين أورد الحلال والحرام، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والأخبار.

فهذه الأمثلة **كمعارف القرآن** تكشف ما عناه ابن عباس بقوله:

(المعرفة بالقرآن)، و(إن القرآن ذو فنون).

وبالتالي لا زال مصطلح «**علوم القرآن**» **غائباً لفظاً حاضراً بمصطلحات مرادفة** مثل: «**المعرفة بالقرآن، فنون القرآن**».

ب ـ دل قول ابن مسعود رضي الله عنه في أثره الشهير: «من أراد العلم فليُثوِّر القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين» على سعة ما في الكتاب المجيد من علوم، وإلى ما يكتنزه من المعارف كثرةً والفنون وفرةً.

وهذا الأثر جعله السيوطي في صدر علم: العلوم المستنبطة من القرآن، ثم حشد ما في القرآن من العلوم والفنون الدينية والدنيوية بما يبهر ويدهش[1].

---

(١) الإتقان (٥/١٩٠٦ ـ ١٩٢٧). ونقل ما فسر البيهقي الأثر من قول: «يعني: أصول العلم».

وهذا القول من ابن مسعود ﷺ أصل لمن يقرر اشتمال القرآن على العلوم الغزيرة والفنون البديعة الجزيلة.

ج ـ أحياناً قد يشير الصحابي إلى علم القرآن وينبه على فضله وجلالته دون أن يسميه باسمه، إنما يصفه بما ينطبق عليه دون تسمية، ومثاله ما جاء عن علي وابن مسعود أنه ما من آية إلا وهما يعلمان: أين نزلت؟ وفيم نزلت؟.

فقولهما: أين نزلت؟ إشارة إلى علم المكي والمدني.

و: فيم نزلت؟ إشارة إلى علم أسباب النزول.

وفي بعض ألفاظ الروايات: فيمن نزلت؟ وهذا متجه إلى علم المبهمات[١].

د ـ يعتبر أول ظهور لمصطلح «**علوم القرآن**» ما أخرجه البيهقي في الشعب عن الحسن البصري: ... ثم أودع **علوم القرآن** المفصل.

ومن تأمل ورود المصطلح في سياق الأثر علم أنه لم يعنِ به ما عناه أهل علوم القرآن بالمصطلح، وإنما يشمل قوله: «**علوم القرآن**» ما اتصل بالكتاب المجيد من المعارف والعلوم على اختلافها.

وهذا التأويل يساعده أن زمان الحسن البصري ـ زمان الصحابة والتابعين ـ كانت **علوم القرآن** تستقى مع كل ما يتعلق بالقرآن دون تمييز ولا فصل بينها، فهو في عصرٍ لم تستقل **علوم القرآن** حتى عن التفسير وضبط قراءاته وحروفه.

ولهذا وجَّهَ السيوطي هذا الأثر مع مراعاة سياقاته بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة:

علم الأصول ـ أي: المعرفة بالله وصفاته ـ والنبوات، والمعاد، وعلم العبادات، وعلم السلوك، وعلم القصص، وكلها مستوعبة في الفاتحة[٢].

ويلاحظ ههنا شمول تفسير مفردة «**علوم القرآن**» بحيث ذكرت بعض العلوم، وليست داخلة في المصطلح الذي استقر عليه عند أهل الفن، كعلم

---

(١) سيأتي تحقيق معنى هذه الجملة «فيم نزلت» عند علم أسباب النزول.

(٢) الإتقان (٥/ ١٨٣١، ١٨٣٢).

العبادات والسلوك والأصول، ومثل قول الحسن ما جاء عن عبد الله بن هانئ.

وعليه فيمكن تلخيص حال المصطلح في هذه الحقبة:

بأنه ظهر نادراً ـ أعني: المصطلح الأصل ـ في آثارهم لكنه كان فضفاض المعنى يشمل كل ما حواه القرآن من علوم وفنون، وكان أصدق منه وأكثر مباشرة لمعنى المصطلح المتعارف عليه ما رادفه من مثل: **المعرفة بالقرآن، وفنون القرآن**، فقد جاء استعمالها مستتبعاً بعلوم قرآنية وطيدة، فكانا لفظين أخص بمفهوم علوم القرآن من المصطلح الرئيس **«علوم القرآن»** الذي ظهر بندرةٍ مع اتساع ما يعنون به ويريدون من إطلاقه.

هـ ـ استعمل في مرويات للتابعين مفردة **«عِلْم القرآن»** وهو على ما ساد في تلك الأزمنة من إيراده ما يتصل بالقرآن من مختلف الفنون لا يقصدون به اصطلاحاً خاصاً. والله أعلم.

قال الإمام الغزالي: «... وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ، كتعلم القراءات ومخارج الحروف، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير، وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والنص والظاهر...»[1].

فانظر إلى تبيانه علم القرآن بكل ما اتصل بالكتاب العزيز من فنون ومعارف تشمل الألفاظ والمعاني والعلوم.

و ـ هذا مجمل ما كان عليه مصطلح **علوم القرآن** وما رادفه من ألفاظ، تطوراً في استعماله ودلالته في عهد الصحابة والتابعين، فماذا كان عليه زمن أتباع التابعين؟

في زمن أتباع التابعين شاع مصطلح **علوم القرآن** في سياق حادثةٍ ذكرت فيها طائفة من العلوم القرآنية، مما يعني: أنه قصد بالمصطلح معناه الذي رسى عليه بعد ذلك.

فقد جاء في قصة للإمام الشافعي مع هارون الرشيد ما نصه:

«... فقال هارون الرشيد: فكيف علمك بكتاب الله؟ فإنه أولى أن يبتدأ

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ١٨).

به؟ قال: جمعه الله في صدري وجعل جنبي دفتيه، قال: فكيف علمك به؟ قال: أي علم تريد يا أمير المؤمنين؟ أعلم تأويله أم تنزيله؟ أم مكيه أم مدنيه؟ أم ليليه أم نهاريه؟ أم سفريه أم حضريه؟ أم هجريه أم عربيه؟ أم إنسيه أم وحشيه؟ أم[١] . . . وضعه أم تسوية سوره؟

فقال له الرشيد: لقد ادعيت من **علوم القرآن** أمراً عظيماً»[٢].

وقد ساقه الرازي بلفظ: . . . فقال الشافعي: إن **علوم القرآن** كثيرة تسألني عن محكمه ومتشابهه؟ وعن تقديمه وتأخيره؟ وعن ناسخه ومنسوخه؟ قال: وما زال الشافعي يعدد هذه العلوم حتى عد ثلاثة وسبعين نوعاً من أنواع **علوم القرآن**[٣].

وكان هذا الأثر ـ حسب ما نقبت عنه ـ أول شيوع لمصطلح **علوم القرآن** متصلاً بطائفة من فنون الكتاب التي عددها الإمام الشافعي، لتصدق على معنى المصطلح بذكر هذه العلوم متمايزاً عن العلوم الأخرى المتصلة بالقرآن.

قال الرازي: «واعلم أن هذه الحكاية تروى على وجوه كثيرة، وأنا قد أخذت من كل رواية أجود ما كان فيها، والله أعلم»[٤].

والإمام الشافعي (٢٠٤هـ) يعد في الطبقة الصغرى من أتباع التابعين، ومعه في هذه المرتبة عبد الرزاق، ويزيد بن هارون، وأبو داود الطيالسي[٥].

وورد كذلك **«فنون القرآن»** فقد قال أبو ثور: «كتب عبد الرحمٰن بن مهدي إلى الشافعي أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع **فنون القرآن** فيه، وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسُّنَّة». اهـ[٦].

ويظهر منه التفريق بين معاني القرآن والمقصود به التفسير وفنون القرآن التي تحوي علوماً من أمثال: النسخ، والمقدم والمؤخر، والمكي والمدني وغيرها.

---

(١) قال محقق تاريخ دمشق: كلمة غير واضحة (٥١/ ٣٢٠)، ولعها: تنسيق وضعه. انظر: مناقب الشافعي للرازي (ص٧٥).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٣) مناقب الإمام الشافعي للرازي (ص٧٥).

(٤) مناقب الإمام الشافعي للرازي (ص٨٠).

(٥) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص٨٢).

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي (١/ ٩٥).

وذيوع المصطلح في هذه الحقبة الزمنية وما تلاها بهذا الطَّرْز من رسوه وانصرافه لطائفة العلوم الخاصة بالقرآن لا يمنع من تداول لفظة **«علم القرآن»** في هذه الفترة الزمنية مقصوداً به مفهومه الواسع الشامل لما يتصل بالقرآن من حروف ومعانٍ ومعارف.

قال أبو إسحاق إبراهيم الحربي (٢٨٥هـ): «العلوم ثلاثة: علم دنياوي وأخراوي، وعلم ديناوي، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة، فالعلم الذي للدنيا والآخرة **علم القرآن** والسنن والفقه فيهما»[١].

وقال ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ): «**وعلوم القرآن** وما يستنبطه منه بحرٌ لا ساحل له»[٢]، قاله السيوطي بعد أن سرد خمسة عشر علماً لا يتمكن المفسر من الإصابة في تفسيره إلا بتحصيلها، ومنها: علوم العربية، والقراءات، وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، وعلوم الحديث وغيرها.

ثم قال ابن أبي الدنيا شارحاً قوله السابق: «فهذه العلوم ـ التي هي كالآلة للمفسر ـ لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه»[٣].

قلت: فدل هذا الكلام على أن مقصوده بـ **«علوم القرآن»** ما يشمل علوم القرآن بمعناها الاصطلاحي، وما هو كذلك بمثابة العلوم المساندة للمفسر المعينة على تفسير القرآن تفسيراً صحيحاً من نحو علوم البلاغة والعربية بمختلف فنونها، والله أعلم.

وكان الحارث المحاسبي سابقاً في هذه المرحلة الزمنية إلى التأليف في علوم القرآن دون استخدام المصطلح والعنوان، حيث جمع في كتابه «فهم القرآن» طائفة من العلوم القرآنية هي: فضائل القرآن، فقه القرآن، المحكم

---

(١) ذكره الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٢) [١٤٧٦].
(٢) نقله عنه السيوطي في الإتقان (٦/ ٢٢٩٧).
(٣) الإتقان للسيوطي (٦/ ٢٢٩٧، ٢٢٩٨).

والمتشابه، النسخ وذكر فيه: السور المكية والمدنية، وأساليب القرآن، وتحتها مباحث: التقديم والتأخير، والإضمار، والحروف الزائدة، والمفصَّل والموصول.

إذن تميزت هذه المرحلة بأول مصنف في **علوم القرآن** من حيث المحتوى لا العنوان(١).

هذا محصلة ما وصلت إليه من حال استعمال مصطلح **علوم القرآن** حتى نهاية المائتين من الهجرة.

أ ـ أما في القرن الرابع وما بعد المائة الثالثة فقد اختصت هذه الحقبة بخاصية مهمة ألا وهي استخدام المصطلح في تآليف وتصانيف لكنها ـ في جملتها ـ كتب تفسير لا علوم قرآن حسب ما وقف عليها منها أو أشارت إلى مضمونه كتبُ التراجم والسير.

١ ـ **«المختزن في علوم القرآن»**، لأبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، وقد صرح ابن العربي بأنه كتاب في التفسير في ٥٠٠ مجلد وأنه سماه «المختزن»(٢).

٢ ـ **«الأمد في علوم القرآن»**، لعبيد الله بن محمد بن جرو الأسدي المعتزلي (٣٨٧هـ)(٣)، وقد أفاد الحموي في ترجمته أنه كتاب تفسير.

---

(١) هذا ما جزم به الدكتور حازم حيدر في كتابه: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٩٤، ٩٥). وهو قول يستراح إليه، وظاهر التحقيق، ولم يأت إلى الآن ما ينقض أولية الحارث المحاسبي في التأليف في علوم القرآن دون استخدام المصطلح (علوم القرآن).

(٢) انظر: العواصم من القواصم لابن العربي، بتحقيق: عمار الطالبي (ص٧١، ٧٢).

(٣) هو: عبيد الله بن محمد بن جِرْو الأسدي، أبو القاسم النحوي العروضي المعتزلي، قال ياقوت: من أهل الموصل، قدم بغداد وقرأ على شيوخها، وأخذ الأدب عن الفارسي والرماني والسيرافي، وكان ذكياً حاذقاً، جيد الخط صحيح الضبط، له عدة مؤلفات منها: الموضح في العروض، والمفصح في القوافي، توفي سنة (٣٨٧هـ). انظر: معجم الأدباء (٤/ ١٥٧٧) [٦٨٥]، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٧١، ٣٧٢) [٣٢٣]. وانظر: تحقيق الدكتور حازم حيدر أنه كتاب في التفسير لا علوم القرآن،: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٨٤).

٣ ـ **«الاستغناء في علوم القرآن»** لأبي بكر محمد بن علي الأُدفوي[١][٢] (ت٣٨٨هـ).

٤ ـ **«الحاوي في علوم القرآن»** ألفه محمد بن خلف بن المَرْزُبان المتوفى (٣٠٩هـ)[٣]، وقد جعله الشيخ صبحي الصالح أسبق التآليف ظهوراً لمصطلح (علوم القرآن)[٤]، ومثله د. فهد الرومي[٥].

ووصف ابن النديم كتاب «الحاوي» هذا بأنه كبير سبعة وعشرون جزءاً[٦].

ووصفه بهذا الحجم يصدق على ما يكون تفسيراً في العادة، ولا يجزم بذلك، والله أعلم.

قال الدكتور حازم حيدر: وقد استنطقت تسعة عشراً مصدراً ترجمت لابن المَرْزُبان لأعثر على نص يفيدني ما مضمون هذا الكتاب، لكني لم أجد سوى سبعة مصادر ذكرت اسمه، إلا ما كان من ابن النديم الذي ذكره في موضعين، ونعته بأنه سبعة وعشرون جزءاً وأنه كبير، وبقيتها صمتت ولم تذكر عنه شيئاً. اهـ[٧].

ثم احتج على أنه لا يمكن القطع بأنه باكورة التصنيف في هذا العلم

---

(١) محمد بن علي بن أحمد أبو بكر الأُدفوي المقرئ المصري المفسر، لزم أبا جعفر النحاس، وبرع في علوم القرآن، وكان سيد أهل عصره بمصر، قال أبو عمر الداني: انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته في قراءة نافع مع سعة علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته، مات سنة (٣٨٨هـ). نص ابن الجزري على أن كتابه في التفسير هو: الاستغناء في علوم القرآن في مائة وعشرين مجلداً. طبقات القراء للذهبي (١/ ٤٤٨) [٣٩١]، غاية النهاية (٢/ ١٧٥) [٣٢٤٠].

(٢) قال السيوطي في حسن المحاضرة: له كتاب في التفسير في مائة وعشرين مجلداً وسماه الاستغناء في علوم القرآن. اهـ. (١/ ٤٩٠). وقد حقق الدكتور عبد الله عبد الغني كحيلان سورة الفاتحة منه، رسالة ماجستير في جامعة الإمام (١٤٠٥هـ).

(٣) هو: محمد بن خلف بن المَرْزُبان البغدادي الآجري، أبو عبد الله، وصفه الذهبي بالإمام العلامة الإخباري، صاحب التصانيف، له تآليف منها: «الحاوي في علوم القرآن»، «الحماسة»، «أخبار الشعراء» وكان صدوقاً، مات سنة (٣٠٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٤)، تاريخ بغداد (٣/ ١٢٨).

(٤) مباحث في علوم القرآن (١٢٣/ ١٢٤).

(٥) دراسات في علوم القرآن (ص٤٤).

(٦) الفهرست (ص١٦٦).

(٧) علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٩٢).

المجموع بمجرد اسم الكتاب؛ لأن من معاصريه وأهل قرنه من سمى كتابه بـ«المختزن في علوم القرآن» لأبي الحسن الأشعري، و«الاستغناء في علوم القرآن» للأُدفوي وهما كتابان في التفسير، وهذه قرينة قوية ـ إذا كان المصطلح شائعاً ويراد منه التفسير ـ تصرف اعتبار كتاب ابن المَرْزُبان أن له السبق والأولوية[(١)].

قلت: ومن أقوى ما يدل على أنه كتاب في التفسير ضخامة حجمه، وهذا الكِبَر شأن كتب التفسير، إذ لا يتصور في تلك المرحلة من مراحل نشوء **علوم القرآن** تصنيف كتاب بهذا القدر؛ لأن العلوم في بداياتها غالباً ما تكون مقتصرة على عدة أنواع، ثم تنمو شيئاً فشيئاً حتى تضم بين دفتيها عشرات العلوم بعد ذلك.

٥ ـ ومما يضاف لهذه الكتب الموسومة **بعلوم القرآن** في عناوينها ما ذكره أبو الفرج المعافي بن زكريا النهرواني الجريري (٣٩٠هـ)[(٢)] أن له كتاباً سمَّاه **«البيان الموجز في علوم القرآن المعجز»**[(٣)]، وهو له كتاب في التفسير في ستة مجلدات كما ذكر الذهبي وغيره.

وذكر ابن النديم له كتاباً في «تأويل القرآن»[(٤)] فهل هذا هو التفسير، وكتاب البيان كتاب آخر؟ أم أن البيان الموجز هو مؤلفه في التفسير؟ هذا لا يقطع به، إنما أود الإشارة إلى فشو استعمال مصطلح **«علوم القرآن»** في تآليف العلماء في هذه الفترة الزمنية، والله أعلم.

---

(١) علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٩٣).

(٢) هو: المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد أبو الفرج النهرواني الجريري، نسبةً إلى أنه كان يذهب مذهب محمد بن جرير الطبري، نعته الذهبي بـ: الفقيه الحافظ القاضي المتفنن عالم عصره، قال الخطيب: كان من أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة وأصناف الأدب.

قال الذهبي: له تفسير كبير في ستة مجلدات جم الفوائد، والجليس والأنيس في مجلدين، كان من بحور العلم، مات سنة (٣٩٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣٠٨) [٧١٥١]، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٤)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٢٣) (٦٣٧).

(٣) ذكره في كتابه: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (٢/ ٤٣٢)، وفي موطن آخر أشار له (٣/ ١٣٤).

(٤) الفهرست (ص٢٩٣).

ح ـ أما في المائة الرابعة ـ يعني: في القرن الخامس ـ فإن هذه المرحلة الزمنية يصح أن تجعل توقيتاً لبداية تشكل مصطلح **«علوم القرآن»** وانصرافه إلى مجموعة المعارف والفنون القرآنية منفصلاً عن علم التفسير والعلوم الأخرى المتصلة بحروفه وضبط أدائه.

ويؤيد هذا الحكم ثلاثة منطلقات رئيسة هي:

أ ـ شيء من نصوص العلماء.

ب ـ بعض تراجم وسير بعض من ألَّف في تراجم أهل العلم وسيرهم.

ج ـ ظهور مؤلف حمل عنوان: **«علوم القرآن»**، وهو سابق لمطابقة المضمون لعنوان مصنفه.

فأما نصوص العلماء فهي كما يلي:

قال الثعلبي (٤٢٨هـ) في تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]:

«فهذه من علم النسخ، وهو نوعٌ كثير من **علوم القرآن** لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير». اهـ[(١)].

فجعل النسخ علماً من **علوم القرآن**، وجعله مما لا يسع جهله لمن تصدى للتفسير، وانظر إلى ذكره فنين **علوم القرآن**، والتفسير، فمايز بينهما، وجعل النسخ علماً قرآنياً مهماً للمفسر.

وقال الواحدي (٤٦٨هـ): «... وبعد، فإن **علوم القرآن** غزيرة وضروبها جمة كثيرة، يقصر عنها القول وإن كان بالغاً، ويتقلص عنها ذيله وإن كان سابغاً... غير أن الرغبات اليوم عن **علوم القرآن** صادفة[(٢)] كاذبة فيها، قد عجزت قوى الملامة عن تلافيها، فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين بعلوم الكتاب إبانة ما أُنزل فيه من الأسباب». اهـ[(٣)].

---

(١) الكشف والبيان (١/ ٢٥٤).

(٢) من الصَّدف: وهو الإعراض عن الشيء، تقول: صَدَف عن الرجل صَدْفاً وصُدُوفاً: أعرض عنه، وفي القرآن ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٣) أسباب النزول (ص٩٥).

هذا مقدمة كلامه وفاتحة كتابه في أسباب النزول، وظاهر جداً إراداته بعلوم القرآن معناها المنصرف إلى مجموعة العلوم والمعارف المختصة بالقرآن لما وصفها بالغزيرة الكثيرة، واستخدامه المصطلح في معناه الذي استقر عليه عند أهل العلم منفصلاً عن التفسير متمايزاً عن غيره مما يتصل بكتاب الله العزيز.

ب ـ أما ما جاء في تراجم وسير العلماء فهذه قطوف منها:

١ ـ قال ابن النديم عن ابن مجاهد: «صاحب السبعة: وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات **وعلوم القرآن**، حسن الأدب، رقيق الخلق...». اهـ(١).

فاستعمل عنوان **«علوم القرآن»** مع فصله عن علم القراءات وهذه إضاءة مهمة لما كان جزءاً من **علوم القرآن** بمعناه الشامل لعلوم التفسير وأداء الحروف وضبط الألفاظ مع معارف القرآن وفنونه المعهودة.

٢ ـ قال الحاكم في كتابه «تاريخ نيسابور» في ترجمة أبي بكر محمد بن إبراهيم بن عمران الجوري الأديب النحوي(٢):

وكان من الأدباء المتقنين، علَّامة في معرفة الأنساب، **وعلوم القرآن**(٣).

٣ ـ جاء في ترجمة: أبي سعيد السيرافي أنه كان يُدرِّس القرآن، والقراءات، **وعلوم القرآن**، والنحو، واللغة، والفقه..(٤).

٤ ـ قال الخطيب البغدادي عن أبي الحسين الخزَّاز النحوي: وكان ثقة، وله مصنفات في **علوم القرآن**، غزيرة الفوائد(٥).

فقوله: مصنفات في **علوم القرآن**، ولم يقل: مصنفاً في **علوم القرآن**

---

(١) الفهرست (ص٣٤).

(٢) هو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عمران الجوري، من جور فارس، أديب نحوي، كان أديباً فاضلاً، سمع أبا بكر بن دريد، مات سنة (٣٥٩هـ). انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ٣٦٠)، معجم الأدباء للحموي (٥/ ٢٢٩٤) [٩٤٥]، وعنده: الجوزي بدل الجوري.

(٣) انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ٣٦٠).

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمة: الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبان، أبو سعيد القاضي السيرافي النحوي (٨/ ٣١٦).

(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٣) [٥٢٠٣].

لينصرف إلى التفسير أو ما يتصل بالقرآن عموماً، فمصنفات في **علوم القرآن** تنصرف إلى معناه الاصطلاحي، والله أعلم.

٥ ـ وفي ترجمة الإمام العالم إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل أبو إسحاق الأزدي القاضي المشهور.

قال الخطيب البغدادي: «. . . وصنف المسند، وكتباً عدة في **علوم القرآن**، وجمع حديث مالك. . .»[(١)].

والإمام الذهبي ذكر من تآليف الإمام إسماعيل القاضي أحكام القرآن، قال: لم يُسبق إلى مثله، ومعاني القرآن، وكتاب في القراءات. اهـ[(٢)].

وهذه أجزاء من **علوم القرآن** وبعض أنواعها، تكشف هذه المؤلفات عن قول الإمام الخطيب الآنف الذكر.

٦ ـ قال الخطيب عن الإمام أبي بكر بن الأنباري، ومثله عند أبي يعلى: . . . وصنف كتباً كثيرة في **علوم القرآن**، وغريب الحديث، والمشكل، والوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة[(٣)].

فكأن ذكره للمشكل، والوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة نماذج لهذه المؤلفات في **علوم القرآن**.

٧ ـ جاء في ترجمة أبي الحسين ابن المنادي (٣٣٦هـ)[(٤)] ما قاله ابن الجوزي: ونقلت من خط أبي يوسف القزويني (٤٨٨هـ)[(٥)] قال: أبو الحسين

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٣). (٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٠).

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٠٠)، طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٣/ ١٣٤).

(٤) هو: الإمام المقرئ الحافظ أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المحدث أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن أبي داود بن المنادي البغدادي، صاحب التواليف، قال الداني: مقرئ جليل غاية في الإتقان، فصيح اللسان، عالم بالآثار، نهاية في علم العربية، صاحب سنةٍ، ثقة مأمون. اهـ.

له مصنفات عديدة، قال ابن الجوزي: ومن تأمل مصنفاته عرف قدر الرجل، مات سنة (٣٣٦هـ). انظر: المنتظم (١٤/ ٦٥) [٢٤٩٣]، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦١) [١٨٥].

(٥) أبو يوسف، عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني، نزيل بغداد، قال الذهبي: الشيخ العلامة، شيخ المعتزلة وفاضلهم. قال السمعاني: كان أحد الفضلاء المقدمين، جمع التفسير الكبير الذي لم يُر في التفاسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد، لولا أنه مزجه بالاعتزال، وبث فيه معتقده. اهـ.

=

ابن المنادي من القراء المجوِّدين ومن أصحاب الحديث الكبار، وله في **علوم القرآن** أربعمائة كتاب ونيف وأربعون كتاباً، أعرف منها واحداً وعشرين كتاباً أو دونها، وسمعت بالباقين وكان من المصنفين، ولا نجد في كلامه شيئاً من الحشو، بل هو نقي الكلام، وجمع بين الرواية والدراية. اهـ(١).

وأبو يوسف القزويني هذا متوفى سنة ٤٨٨هـ.

وهذه التآليف المتكاثرة التي تبلغ (٤٠٠) مؤلف لا يمكن أن تكون إلا لأنواع عديدة من **علوم القرآن**، فصَحَّ بذلك استخدام المصطلح مراداً به معناه الخاص لا الشامل من ما يتصل بالقرآن من معارف.

ج - وجد في هذه الحقبة ظهور أول مصنف في **علوم القرآن** وافق مضمونه عنوانه، وهو ما سبق به ابن حبيب النيسابوري (٤٠٦هـ)(٢) حيث ألف: **«التنبيه على فضل علوم القرآن»** كما مال إلى ذلك الدكتور: حازم حيدر(٣).

هذا هو ما كان عليه مصطلح **علوم القرآن** بعد المائة الرابعة بدايةً إلى القرن السادس.

لكن هذا التطور في استعمال المصطلح ودلالته لا يعني: أنه لا يأتي مراداً به التفسير كما هو الاتساع الذي كان عليه في ثنايا المائة الثالثة.

فقد جاء تفسير علي بن إبراهيم الحَوْفي (٤٣٠هـ)(٤) وسماه: **«البرهان في**

= قيل إنه صنف تفسيراً في ثلاثمائة مجلد ونيف، وقيل سبعمائة مجلد، مات سنة (٤٨٨هـ). انظر: المنتظم (١٧/ ٢١)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦١٦) [٣٦٥١].

(١) انظر: المنتظم (١٤/ ٦٦).

(٢) هو: الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري المفسر الواعظ، كان أديباً نحوياً، صنف التفسير المشهور، وكان عارفاً بالمغازي والقصص والسير، جعله بعضهم أشهر مفسري خراسان، وأن أبا القاسم الثعلبي من خواص تلاميذه، له تصانيف في القراءات والتفسير والآداب، وكتاب اسمه (عقلاء المجانين)، توفي عام (٤٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣٧) [١٤٣]، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٤٠، ١٤١).

(٣) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٨٥، ٨٦).

(٤) هو: علي بن إبراهيم بن سعيد الحَوْفي، العلامة، نحوي مصر أبو الحسن كما نعته الذهبي، كان نحوياً قارئاً، وله من التصانيف غير ما تقدم من كتابه «البرهان»: الموضح في النحو، وإعراب القرآن في عشر مجلدات، توفي سنة (٤٣٠هـ).
انظر: معجم الأدباء للحموي (٤/ ١٦٤٣، ١٦٤٤) [٧١٣]، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٢١) [٣٤٦].

علوم القرآن»، وسمّى الزركشي والسيوطي هذا الكتاب تفسيراً[(١)]، وقال بقولهما طائفة من المصنفين المعاصرين[(٢)].

بينما جعلت كوكبة أخرى من المعاصرين ـ كالزرقاني، والقطان ـ كتاب «الحَوْفي» الآنف أول ما دُوِن في علوم القرآن، لكن على نهج خاص فليس على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها لبعض تحت عنوان واحد لنوع واحد، بل على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها[(٣)].

ومن التصانيف التي استخدمت مصطلح **علوم القرآن** وهي من كتب التفاسير ـ على أغلب الظن ـ التي تعزز ما طبعت به المؤلفات هذه الفترة الزمنية.

ما حكاه الإمام الذهبي عن أبي داود سليمان بن نجاح الأموي الأندلسي (٤٩٦هـ)[(٤)]، حين قال: قرأتُ بخط بعض تلامذة أبي داود تسميةَ الكتب التي

---

(١) انظر: البرهان ٣/٢٦١، أما كلام السيوطي ففي إحدى طبعات الإتقان ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ ذكره السيوطي من تفاسير غير المحدثين، بين ذكره تفسير الأصبهاني وتفسير أبي حيان (١/٤١)، أما في طبعة مجمع الملك فهد الحديثة بتحقيق مجموعة من الباحثين فبدل (الحَوْفي)، (الخُوَيِّي ٦٣٧هـ) (١/٣٩)، وعليه فما قيل عن وصف السيوطي كتاب (الحوفي) أنه تفسيرٌ يشكل عليه ماذكر، وقد اعتمد الدكتور حازم حيدر على طبعة الإتقان التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم، ولهذا قال: إن السيوطي وصف كتاب الحوفي بالتفسير. انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٨٩).

(٢) مثل محمد أبو شهبة. انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (٣٥، ٣٦)، والدكتور فهد الرومي في دراسات في علوم القرآن (ص٤٤)، والدكتور حسن العتر في مقدمة تحقيقه: فنون الأفنان لابن الجوزي (ص٧٢، ٧٣)، والدكتور حازم حيدر في كتابه: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (٨٨، ٨٩).

(٣) مناهل العرفان (١/٣٣ ـ ٣٤)، مباحث في علوم القرآن (٩/١٠).

(٤) هو: سليمان بن أبي القاسم نجاح الإمام أبو داود الأموي الأندلسي، أخذ القراءات عن أبي عمرو الداني، ولازمه مدة وهو أجل أصحابه، وكتب العلم عن ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي، قال ابن بشكوال: كان من جلة المقرئين، وفضلائهم وخيارهم، عالماً بالقراءات، له تواليف كثيرة في معاني القرآن العظيم وغيره.اهـ. له مصنفات مثل: التبيين لهجاء التنزيل، وعقود الديانة، والبيان الجامع لعلوم القرآن، توفي في بلنسية عام (٤٩٦هـ). انظر: الصلة لابن بشكوال (١/٣٢١) [٤٦١]، وطبقات القراء للذهبي (٢/٦٨٦) [٥٧٢]، غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٨٧) [١٣٩٢].

صنفها أبو داود: كتاب «**البيان الجامع لعلوم القرآن**» في ثلاثمائة جزء.اهـ[١].

قلت: وهذا الحجم الضخم للكتاب يقوي أنه كتاب في التفسير لا في علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي. والله أعلم.

٨ ـ أما في القرن السادس وبعد المائة الخامسة فقد تأكد اختصاص مصطلح علوم القرآن بمعنى خاص، وزاد المصطلح انفصالاً وتبايناً عن علوم التفسير والقراءات.

وبدا واضحاً جلياً في كلام أهل العلم أو في تآليفهم التي وافق فيها العنوان المضمون.

وأشهر المصنفات ما دبجه ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في كتابه الموسوم بـ«**فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**».

وفي كلام أئمة العلم من أمثال الراغب الأصفهاني، والغزالي، وابن العربي، وابن الجوزي وغيرهم كثير استخدامُ مصطلح **علوم القرآن** يُعنون به معناه الخاص المنصرف إلى مجموعة العلوم والمعارف، فمثلاً: قال الراغب الأصفهاني في مقدمة مفرداته: ... وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من **علوم القرآن** العلوم اللفظية[٢].

وكلامه هنا لعله يفسر بما ذكره في مقدمة تفسيره من العلوم التي لا بد فيها للمفسر وهي علوم لفظية، وعقلية، وموهبية، وفي ضمنها عشرات العلوم القرآنية التي هي كالآلة للمفسر ولا يتم صناعته إلا بها[٣].

وقال الغزالي: ... فابتدئ بكتاب الله ثم بسُنَّة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر **علوم القرآن** من علم الناسخ والمنسوخ، والمفصول والموصول، والمحكم والمتشابه.. اهـ[٤].

---

(١) طبقات القراء (٢/ ٦٨٦).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٤). وجعلي قوله هنا بناءً على ما قيل في أنه توفي سنة (٥٠٣هـ)، أو (٥٠٢هـ) أو نحوها من الأقوال على خلاف طويل في تعيين سنة وفاته. انظر: مقدمة محقق مفردات ألفاظ القرآن (ص٢٤، ٢٥).

(٣) مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني (٤٣٣ ـ ٤٣٥).

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٤٠).

وقال ابن العربي المالكي عند قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]: «ما ادعي فيها من نسخ قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣].

وقد بينا في القسم الثاني من الناسخ والمنسوخ من **علوم القرآن** أن هذا ليس بنسخ». اهـ[١].

وقال الدكتور حازم حيدر: والذي أميل إليه في نشأة مصطلح **«علوم القرآن»** بالمعنى الاصطلاحي، أنه نشأ في المئة الخامسة من الهجرة، وقبل ذلك كان يطلق على من ألف في التفسير مؤلفاً أنه في **«علوم القرآن»** لانتساب العلم المتحدث عنه للقرآن... اهـ[٢].

قلت: بل تقدم ذلك وبدأ يتشكل المصطلح بمعناه الخاص من المئة الرابعة للهجرة، وتقدمت أدلة ذلك، إنما تأكد هذا وأصبح أكثر سفوراً في المئة الخامسة.

وأختم بالتأكيد على أن **علوم القرآن**، وإن اصطلح فيه على معنىً خاص يتمايز به عن علم التفسير وعلم القراءات، إلا أنه غير مانع من استعماله مراداً به ما يتصل بالقرآن من علوم وفنون، سواء كانت تفسيراً، أم قراءات وحروفاً على سبيل السعة والتجوز في الاستعمال للمصطلح، ولهذا رأينا من المؤلفات المقطوع بأنها من التفاسير من سمَّى تفسيره بـ **التسهيل لعلوم التنزيل** لابن جزي الكلبي (٧٤١هـ).

وابن عادل الحنبلي سمَّى كتابه: **اللباب في علوم الكتاب** (ت بعد ٨٨٠هـ)، كل ذلك على سبيل التوسع في استعمال مصطلح **علوم القرآن**، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ٣٤٠).

(٢) علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٨٥).

ثانياً: تعريف الصحابة والتابعين

تعريف الصحابي:

اختلف أهل العلم في تعريف الصحابي، كما قال الحافظ العراقي في مقدمته[١].

ومعرفة الصحابي فن جليل معتبر عند أهل الحديث، مصنف فيه تآليف عديدة[٢].

وفي تعريف الصحابي أقوال أُجملها في ما يلي:

١ ـ كل من رأى النبي ﷺ مسلماً:

وجعله السخاوي قول الجمهور من المحديثن والأصوليين[٣].

وعند ابن الصلاح والسيوطي: المعروف عند المحدثين[٤].

وبنحوه عند ابن كثير، وقال: وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً، هذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً[٥].

وهو قول البخاري في صحيحه: «من صحب أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»[٦].

وهو قبل ذلك نص الإمام أحمد[٧] وعلي بن المديني[٨].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٣).
(٢) انظر لمعرفة هذه المصنفات: فتح المغيث للسخاوي (٤/ ٥ ـ ٩).
(٣) فتح المغيث (٤/ ٨).
(٤) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٣)، تدريب الراوي (٢/ ٦٦٧).
(٥) الباعث الحثيث (٢/ ٤٩١).
(٦) صحيح البخاري في أول كتاب فضائل الصحابة (ص٦١٢).
(٧) كما ساقه الخطيب بسنده عن الإمام أحمد في الكفاية في علم الرواية (ص٥١). ونصه: كل من صحب سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه. اهـ.
(٨) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٧).

وجعله الآمدي قول أكثر أهل الأُصول[١].

ونسبه الشوكاني للجمهور[٢]، وقال في المسودة في أُصول الفقه: وإليه ذهب أصحابنا[٣]، وجعله النووي مذهب المحدثين كافة، وأكثر أصحاب الفقه والأصول[٤].

وهذا القول يستند إلى أن أهل اللغة لا يختلفون في أن الصحابي مشتق من الصحبة، وهذا جارٍ على كل من صحب محمد ﷺ قليلاً أو كثيراً، يقال: صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة، وذلك يوجب في اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم[٥].

قال النووي عقب نقله كلام الباقلاني الآنف:

«ويستدل به على ترجيح مذهب المحدثين، فإن هذا الإمام قد نقل عن أهل اللغة: أن الاسم يتناول: صحبة ساعة، وأكثر أهل الحديث قد نقلوا الاستعمال في الشرع والعرف على وفق اللغة فوجب المصير إليه». اهـ[٦].

وهذا القول أورد عليه بعض الإيرادات؛ كابن أم مكتوم، ومن صحبه ثم ارتد[٧].

قال الحافظ العراقي شارحاً التعريف: «ومرادهم بذلك مع زوال المانع من الرؤية كالعمى، وإلا فمن صحبه ﷺ ولم يره لعارض النظر؛ كابن أم مكتوم ونحوه معدود في الصحابة بلا خلاف»[٨].

٢ ـ ذهب آخرون إلى أن الصحابي من رأى النبي ﷺ واختص به اختصاص المصحوب، وطالت مدة صحبته وإن لم يرو عنه، فاشترط هذا

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ١١٢). (٢) إرشاد الفحول (١/ ٣٤٢).

(٣) المسودة (ص٢٩٢).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ٣٥، ٣٦).

(٥) هذا قول الباقلاني كما نقله عنه بسنده الخطيب في الكفاية (ص٥١).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ٣٦).

(٧) انظر في هذه الإيرادات: والتقييد والإيضاح للعراقي (ص٢٥١، ٢٥٢)، تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٦٦٧).

(٨) شرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٢٠).

القول طول الصحبة وكثرة المجالسة مع الرؤية، وهو ما حكاه الآمدي وغيره[١].

وجعلها ابن السمعاني طريقة الأصوليين[٢].

وهو قول الباقلاني[٣]، وأبي الحسين البصري من المعتزلة[٤]، وأبي نصر القشيري[٥]، والغزالي[٦].

قال السخاوي: «وصنيع أبي زرعة الرازي وأبي داود يشعر بالمشي على هذا المذهب، فإنهما قالا في طارق بن شهاب: له رؤية وليست له صحبة»[٧].

قال السيوطي متعقباً هذا القول: «ورُدَّ بإجماع أهل اللغة على أنه مشتقٌّ من الصحبة لا من قدر مخصوص، وذلك يطلق على كل من صحب غيره قليلاً أو كثيراً، يقال: صحبت فلاناً حولاً وشهراً ويوماً وساعة». اهـ[٨].

وبنحوه عن السخاوي[٩].

ويستدل بعضهم على هذا بقول أنس ﷺ لما قيل له: أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: قد بقي قوم من الأعراب، فأما أصحابه فأنا آخر من بقي[١٠].

وأُجيب عن قول أنس هذا بأنه أراد صحبة خاصة ليست لأولئك الأعراب[١١].

والجواب نفسه عما نفاه أبو زرعة، وأبو داود من أن طارق بن شهاب ليست له صحبة[١٢].

---

(١) الإحكام (٢/ ١١٢)، وانظر: المسودة في أصول الفقه (ص٢٩٢)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ١٨٥)، ومقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٣)، وفتح المغيث (٤/ ١٩، ٢٠).

(٢) قواطع الأدلة (٢/ ٤٨٦، ٤٨٧).

(٣) فتح المغيث (٤/ ٢٠).

(٤) المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري (٢/ ٦٦٦).

(٥) ذكره عنه الزركشي في البحر المحيط (٤/ ٣٠٢).

(٦) المستصفى (٢/ ٢٧٠).

(٧) فتح المغيث (٤/ ٢١).

(٨) تدريب الراوي (٢/ ٦٦٩).

(٩) فتح المغيث (٤/ ٢١).

(١٠) رواه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٤٨)، وابن عساكر في تاريخه (٩/ ٣٧٩)، وجوَّد العراقي سنده في شرح مقدمة ابن الصلاح (ص٢٥٨)، والسيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٦٧٠).

(١١) الباعث الحثيث لابن كثير (٢/ ٤٩٥)، شرح التبصرة للعراقي (٢/ ١٢٤)، فتح المغيث (٤/ ٢١).

(١٢) الباعث الحثيث (٤/ ٢١).

ولم يضبط أحد ممن قال باشتراط طول الصحبة وكثرة المجالسة هذا الطول بقدر معين[١]، وهذا مما يشكل على القول ويضعفه.

ونبه بعض أهل العلم إلى أن هذا القول طريقة بعض الأُصوليين، وأن جمهورهم على القول الأول[٢].

٣ ـ قول سعيد بن المسيب أن الصحابي من أقام مع النبي ﷺ عاماً أو عامين، وغزا معه غزوة أو غزوتين[٣].

وهذا القول عنه ساقه الخطيب البغدادي بسنده في الكفاية[٤]، وقد ضعف الحافظ العراقي هذا عنه فقال: وهو لا يصح عنه؛ فإن في الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدي وهو ضعيف الحديث[٥].

وظاهر كلام ابن الصلاح توقفه في صحته عن سعيد بن المسيب إذ قال: «إن صح عنه». اهـ[٦].

وهذا القول راجع إلى المحكي عن الأُصوليين[٧]، فكأنه لا بد من طول الصحبة وكثرة المجالسة.

واعترض على هذا القول مع ما تقدم من ظاهر ضعف روايته عن سعيد بن المسيب، بأن مقتضاه أنه لا يعد جرير بن عبد الله البجلي وشبهه كوائل بن حُجْر من الصحابة، ولا خلاف أنهم صحابة[٨].

ونقل عن الواقدي: «رأيت أهل العلم يقولون غير ذلك، ويذكرون

---

(١) كما قال ذلك الغزالي بنحوه. انظر: المستصفى (٢/ ٢٧٠)، وفتح المغيث (٤/ ٢٢٠).

(٢) نبه على ذلك الحافظ السخاوي في فتح المغيث (٤/ ٢٠)، وبنحوه عند العراقي في شرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٢٣).

(٣) انظر: الباعث الحثيث لابن كثير (٢/ ٤٩٣، ٤٩٤)، ومقدمة ابن الصلاح (٢٩٣)، والتقييد والإيضاح للعراقي (ص٢٥٦)، وفتح المغيث (٤/ ٢٢)، وتدريب الراوي (٢/ ٦٧٠).

(٤) الكفاية في علم الرواية (ص٥٠).

(٥) التقييد والإيضاح (ص٢٥٧)، وشرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٢٥).

(٦) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٣).

(٧) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٣)، فتح المغيث (٤/ ٢٣).

(٨) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٤)، التقييد والإيضاح للعراقي (ص٢٥٧، ٢٥٨)، فتح المغيث (٤/ ٢٣، ٢٤)، تدريب الراوي (٢/ ٦٧٠).

جرير بن عبد الله وإسلامه قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها.». اهـ[(١)].

قال ابن حجر معقباً هذا القول: «والعمل على خلاف هذا القول؛ لأنهم اتفقوا على عد جمع جمٍّ في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع». اهـ[(٢)].

٤ ـ رابع الأقوال في تعريف الصحابي قول الحافظ العراقي وتلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام.

فيدخل من لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: «به» يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

ويدخل في قولنا: «مؤمناً به» كل مكلف من الإنس والجن، فحينئذ يتعين ذكر من حفِظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور.

وخرج بقولنا: «ومات على الإسلام» من لقيه مؤمناً به ثم ارتد، ومات على ردته والعياذ بالله.

ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواءٌ اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، هذا هو الصحيح المعتمد[(٣)].

وعبارة الحافظ ههنا هي تابعة لما قاله شيخه العراقي، ونص قوله: «فالعبارة السالمة من الاعتراض أن يقال: الصحابي من لقي النبي ﷺ مُسلماً ثم مات على الإسلام...»[(٤)].

---

(١) انظر: الكفاية للخطيب فقد ساقه بسنده إلى الواقدي (ص٥٠)، وفتح المغيث للسخاوي (٤/ ١٨، ٢٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٦).

(٣) هذا نص كلام الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٧، ٨).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٢٠)، والتقييد والإيضاح (ص٢٥١).

وهناك أقوال أخرى قيلت في حد الصحابي ومنها:

١ ـ أنه يشترط مع طول الصحبة الأخذ عنه.

٢ ـ من رآه مسلماً بالغاً عاقلاً.

٣ ـ من أدرك زمانه ﷺ وهو مسلمٌ وإن لم يره.

٤ ـ من ظهر منه ـ مع الصحبة ـ الاتصاف بالعدالة فمن لم يظهر منه ذلك لا يطلق عليه اسم الصحبة.

٥ ـ لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه(١).

وقد وصف ابن حجر بعض هذه الأقوال بأنها شاذة(٢).

وبلغت الأقوال في تعريف مَن هو الصحابي اثني عشر قولاً(٣).

وتعريف الحافظ ابن حجر وقبله العراقي من أصوب التعريفات، وعليه المعول عند المحققين من أهل العلم.

تعريف التابعي:

وهو نوع مهم من أنواع علوم الحديث، وأصل عظيم في معرفة «المرسل» و«المتصل».

ولهذا قال الحاكم: «ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يُفرق بين الصحابة والتابعين، ثم لم يُفرق بين التابعين وأتباعهم»(٤).

ولأهل العلم في تعيين حد التابعي أقوالٌ كالتالي:

١ ـ قال الخطيب البغدادي: «التابعي من صحب الصحابي»(٥).

---

(١) انظر في هذه الأقوال: شرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٢٥، ١٢٦)، الإصابة لابن حجر (١/ ٧، ٨)، فتح المغيث للسخاوي (٤/ ٢٤ ـ ٢٦)، تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٦٧١، ٦٧٢).

(٢) انظر: الإصابة (١/ ٧، ٨).

(٣) انظر: معرفة الصحابة عند المحدثين، د. أحمد الباتلي (ص١٦ ـ ٢٦).

(٤) معرفة علوم الحديث (ص٢٠٢). وانظر في أهمية العلم: مقدمة ابن الصلاح (ص٣٠١)، وفتح المغيث للسخاوي (٤/ ٩٤)، تدريب الراوي (٢/ ٦٩٩، ٧٠٠).

(٥) الكفاية في علم الرواية (ص٢٢).

وفهم من هذا التعريف عدم الاكتفاء فيه بمجرد اللقي، بخلاف الصحابي مع النبي ﷺ لشرف منزلة النبي ﷺ فالاجتماع به يؤثر في النور القلبي أضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار[١].

وقيد هذا الإطلاق ابن الصلاح فقال: «ومطلقه مخصوص بالتابع بإحسان»[٢].

٢ ـ قال الحاكم: «من شافه أصحاب رسول الله ﷺ»[٣].

هذا نص تعريفه التابعي.

وفهم أهل العلم من كلام الحاكم أنه يعني: أن التابعي من لقي واحداً من الصحابة فأكثر[٤].

وقال ابن كثير: «وفي كلام الحاكم ما يقتضي إطلاق التابعي على من لقي الصحابي وروى عنه وإن لم يصحبه». اهـ[٥].

وعن ابن الصلاح: «وكلام الحاكم أبي عبد الله وغيره، مشعرٌ بأنه يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه وإن لم توجد الصحبة العرفية». اهـ[٦].

فكأن هذا الحد للتابعي يُكتفى فيه بمجرد اللقاء والرؤية دون اشتراط الصحبة، وهو ـ أي: تعريف الحاكم ـ الأقرب عند ابن الصلاح[٧]، والأظهر عند النووي[٨]، وقد استدل عليه الحافظ العراقي بعمل أئمة الحديث؛ كمسلم بن الحجاج، وأبي حاتم، وابن حبان، وأبي عبد الله الحاكم، وعبد الغني المقدسي وغيرهم.

فقد ساق بعض من جعلوهم في طبقة التابعين لمجرد رؤيتهم أحداً من الصحابة[٩].

---

(١) هذا كلام السيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٧٠٠، ٧٠١)، وبنحوه عند ابن كثير في الباعث الحثيث (٢/ ٥٢٠).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص٣٠٢).

(٣) معرفة علوم الحديث (ص٢٠٣).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة للعراقي (٢/ ١٥٩).

(٥) الباعث الحثيث (٢/ ٥٢٠).

(٦) مقدمة ابن الصلاح (ص٣٠٢).

(٧) مقدمة ابن الصلاح (ص٣٠٢).

(٨) المنهل الراوي من تقريب النواوي للإمام النووي (١٦٥، ١٦٦).

(٩) التقييد والإيضاح (ص٢٧٤).

وقال في شرح التبصرة: «وهذا مصيرٌ منهم إلى أن التابعي: من رأى الصحابي»[(١)].

وقد فهم ابن كثير من كلام الحاكم في حد التابعي ما يقتضي عدم الاكتفاء باللقاء وأنه لا بد من الرواية وإن لم يصحبه، وقد تقدم، وتعقبه السخاوي فقال:

«على أن ما نسبه للحاكم فيه نظر، فقد قال الحاكم: وطبقةٌ تعد من التابعين، ولم يصح سماع أحد منهم من الصحابة؛ يعني: اكتفاءً منهم بالرؤية». اهـ[(٢)].

٣ ـ اشترط ابن حبان مع رؤية الصحابي أن يكون رآه في سن من يحفظ عنه، فإن كان صغيراً لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته[(٣)].

ويبدو الخلاف في معرفة من التابعي أخف من الخلاف في معرفة الصحابي من هو؟

والظاهر أن من لقي صحابياً ولو واحداً منهم فهو من التابعين، فلا يشترط طول الصحبة ولا الرواية. والله تعالى أعلم.

---

(١) شرح التبصرة والتذكرة (٢/ ١٥٩).
(٢) انظر: فتح المغيث (٤/ ٩٦).
(٣) انظر كتابه: الثقات (٦/ ٢٦٩، ٢٧٠)، وكذلك شرح التبصرة للعراقي (ص١٥٩، ١٦٠)، وفتح المغيث للسخاوي (٤/ ٩٥)، وتدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٧٠٠، ٧٠١).

الباب الأول

علوم القرآن المتعلقة بالنزول عند الصحابة والتابعين

وفيه خمسة فصول:

- الفصل الأول: نزول القرآن.
- الفصل الثاني: أسباب النزول.
- الفصل الثالث: أول ما نزل وآخر ما نزل.
- الفصل الرابع: المكي والمدني.
- الفصل الخامس: المبهمات.

الفصل الأول

علم نزول القرآن

وفيه ست مسائل:

- المسألة الأولى: آيات قرآنية دالة على هذا العلم، ونصوصهم في جملتها تفسير لهؤلاء الآيات.
- المسألة الثانية: النزول الكلي الزماني.
- المسألة الثالثة: النزول الكلي المكاني للقرآن مع وصف هذا المُنَزَّل.
- المسألة الرابعة: مدة نزول القرآن وما بين أوله وآخره.
- المسألة الخامسة: الوارد عنهم في نزول بعض السور نزولاً كاملاً.
- المسألة السادسة: مقدار ما كان ينزل من الآيات في غالب الأحوال.

[علم نزول القرآن]

۞ المسألة الأولى ۞

آيات قرآنية دالة على نزول القرآن، ونصوصهم في جملتها تفسير لهؤلاء الآيات

١ ـ قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢].

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ٣].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥].

٦ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

وكلام الصحابة والتابعين عن هذه الآيات هو معظم نصوصهم وآثارهم الواردة في هذا العلم، وهو ما بوَّبته مفصلاً في ثنايا هذا العلم القرآني.

۞ المسألة الثانية ۞

النزول الكلي الزماني

١ ـ عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُنزلت صحف إبراهيم** عليه السلام **في أول ليلة من رمضان، وأُنزلت التوراة لستٍ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربعٍ وعشرين خلت**

من رمضان»(١).

٢ ـ ومثله عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عن النبي ﷺ وفيه: **«أُنزلت الصحف على إبراهيم في ليلتين من رمضان، وأُنزل الزبور على داود في ست، وأُنزلت التوراة على موسى لثمان عشرة من رمضان، وأُنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من رمضان»**(٢).

٣ ـ روي عن جابر بن عبد الله موقوفاً عليه(٣).

٤ ـ كذا عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً عليها(٤).

٥ ـ روى قتادة عن أبي الجلد(٥) مثله(٦).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ١٩١) [١٦٩٨٤]، وضعفه محققو المسند؛ لأن فيه عمران القطان وهو ممن لا يحتمل تفرده، وقد ضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي وابن معين في روايته (٢٨/ ١٩١)، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢٠٣) [٨٢٣]، ومحمد بن نصر المروزي. انظر: مختصر قيام رمضان (١١٩) [٢٣٦]، والطبري (٣/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٧) [١٦٧٤]، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٥) [١٨٥]، وفي الأوسط (٤/ ٤٤٥) [٣٧٥٢]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٦٨، ٥٦٩) [٤٩٤]، وفي السنن الكبرى (٩/ ٣١٥) [١٩١٦١]، والواحدي في أسباب النزول (ص١١٢) [١٩] من طريق عمران القطان عن قتادة، وفي تفسير الوسيط (١/ ٢٧٩، ٢٨٠)، والثعالبي في حديثه (٢/ ١٣١)، وقوام السُّنَّة في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٧٨) [١٨١٨]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٢)، وعبد الغني المقدسي في فضائل القرآن (ص٦٩) [٣٢] عن عمران القطان به عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة مرفوعاً، قال الألباني: وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات، وفي القطان كلام يسير، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً نحوه.
انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ١٠٤) [١٥٧٥]. قلت: ومدار هذا الحديث عن واثلة بهذا الإسناد في كل ما تقدم من مصنفات أخرجت الحديث.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٨٤).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤/ ١٣٥، ١٣٦) [٢١٩٠]. قال ابن حجر في المطالب العالية: هذا مقلوب، وإنما هو عن واثلة رضي الله عنه. انظر: المطالب العالية (١٤/ ٣٥٠) [٣٤٨٢]، وضعفه محققو المطالب العالية (١٤/ ٣٥١)، ونسبه إلى ابن مردويه ابنُ كثير في تفسيره (٢/ ١٨٠) والسيوطيُ في الدر المنثور (٢/ ٢٣١).

(٤) كما عند محمد بن نصر المروزي. انظر: مختصر قيام رمضان للمقريزي (ص١١٩)، ونسبه السيوطي إليه في الدر المنثور (٢/ ٢٣٢).

(٥) اسمه جيلان بن فروة الأسدي البصري، كان ثقةً، روى عنه أبو عمران الجوني. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٩/ ٢٢١)، والإكمال لابن ماكولا (٢/ ١٧٦).

(٦) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص١٢٩) [١٢٨]، وتفسير الطبري (٢٤/ ٣٢٥)، =

٦ ـ روي عن قتادة مثله[(١)].

٧ ـ روي بنحوه مع اختلاف في الأزمان عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً[(٢)].

٨ ـ عن أبي قلابة قال: نزلت التوراة لست ليالٍ خلون من رمضان، وأُنزل القرآن لأربع وعشرين[(٣)].

٩ ـ عن أبي قلابة قال: نزلت الكتب كلها ليلة أربع وعشرين من رمضان[(٤)].

١٠ ـ جاء أن الحسن بن علي لما قُتل علي ﷺ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، والله لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رُفع عيسى ابن مريم، وفيها قُتل يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام[(٥)].

١١ ـ سئل زيد بن أرقم عن ليلة القدر، فقال: ما أشك وما أمتري أنها ليلة سبع عشرة، ليلة نزول القرآن ويوم التقى الجمعان[(٦)].

= وفي تاريخه تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٢٩٤)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد في الدر المنثور (١٣/ ٢٤٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن سفيان عمن أخبره عمن سمع أبا العالية يذكر عن أبي الجلد مثله إلا أن فيه: والإنجيل في ثمان عشرة، ونزل الزبور في ست (١٥/ ٥٢٨) [٣٠٨١٧].

(١) رواه الطبري بسنده عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة (٢١/ ٥، ٦).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره عن طارق بن شهاب عن أبي ذر الغفاري (٢/ ٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٢٧) [٣٠٨١٤]، وساقه الطبري في تاريخه بلفظ: أُنزل الفرقان على رسول الله ﷺ لثمانيَ عشرة ليلة خلت من رمضان (٢/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٢٧) [٣٨٠١٥].

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ١٢٤) [٦٧٥٧] وصحح محقق مسند أبي يعلى إسناده (١٢/ ١٢٥)، ورواه البزار (٤/ ١٧٩) [١٣٤٠]، والطبراني في الأوسط (٩/ ٢١٤) [٨٤٦٤]، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، وأبو يعلى باختصار، والبزار بنحوه، ورواه أحمد باختصار كثير، وإسناد أحمد وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حِسانٌ (٩/ ١٤٣)، ورواه الدولابي في الذرية الطاهرة (ص٧٩) برقم [١٣٢]، وابن عساكر (٤٢/ ٥٨٢)، قلت: ولهذا الأثر ألفاظ متعددة بسط القول في إسنادها الألباني في الصحيحة (٥/ ٦٦٠) [٢٤٩٦]، وقد خلص إلى تحسين الأثر بمجموع طرقه، وإن كان هذا الأثر بهذا اللفظ مختلفاً فيه.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٩٨) [٥٠٧٩]، قال في مجمع الزوائد: وحوط الخزاعي قال البخاري: حديثه منكر، وانظر: مجمع الزوائد (٣/ ٣١٣)، وأخرجه أحمد بن =

١٢ ـ عن الشعبي قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر(١).

قلت: نزول القرآن في ليلة القدر هو نص القرآن، ومرويات الصحابة والتابعين كثيرة في تقرير هذه المسألة، وقد أرجأتها إلى ما يأتي من تقاسيم الموضوع؛ لتعلقها بمجموعة من المسائل المتصلة بعلم النزول مضمومةً في مكان واحد.

المسألة الثالثة

النزول الكلي المكاني للقرآن مع وصف هذا المُنْزَل

١ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جُملةً واحدةً، ثم فُرق في السنين بعد، قال: وتلا ابن عباس: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥]. قال: نزل مفرقاً، أو قال: «متفرقاً»(٢).

٢ ـ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل القرآن كله جُملةً واحدةً في ليلة القدر من رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه(٣).

٣ ـ عن عكرمة عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جُملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة قال: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ

= منيع كما في المطالب العالية (٦/ ٢٤٢) [١١٢٠]، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٣٤٢، ٤٤٣) [٣٩٦]، ورواه ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم بلفظ: ليلة تسع عشرة ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان (٩٦٢٤)، وكذلك عند البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٩١) [٣١٥] في ترجمة حوط الخزاعي الراوي عن زيد بن أرقم، وقال البخاري: وهذا منكر لا يتابع عليه. والأثر ضعفه البوصيري في إتحاف الخيرة (٣/ ١٣٤) [٢٣٧٤].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٤٣)، وانظر: القرطبي.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ١٩١)، وكرره في (٢٤/ ٥٤٢)، والحاكم في المستدرك وصححه (٣/ ٢٨٨، ٢٨٩) [٣٨٣٣]، وكرره الحاكم في (٣/ ٣٥٨) [٤٠١١٢]، وابن عبد البر في التمهيد بسنده عن سعيد عن ابن عباس (١٧/ ٥١)، والنسائي في الكبرى بنحوه (٣/ ١٨٣٨) [١١٥٠]، وابن منده في الإيمان بنحوه (١/ ٧٠٥) [٧٠٥].

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٢٥) [١١٨]، والطبري (٣/ ١٩٠)، وكرره في (٢٤/ ٥٤٢)، والحاكم (٢/ ٥٩٤٠) [٢٩٣٢] وصححه.

إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]. ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦][1].

٤ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جُملةً واحدةً في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان بمواقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثر بعض ثم قرأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢][2].

٥ ـ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن ـ وفي لفظ ـ جُملةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه، فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه[3].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن بسنده عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (٢/ ٢٠٢) [٨٢٠]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٨٠٤) [١١٣٠٨]، والطبراني (١٥/ ١١٥)، وابن منده في الإيمان (١/ ٧٠٤) [٧٠٣]، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩٤، ٥٩٥) [٢٩٣٤] وكرره في [٣٤٤٢]، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٩٨) [٣١٢١]، وفي الأسماء والصفات (١/ ٥٧١) [٤٩٧]، وقال النحاس عن سند حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: وهذا إسناد لا يُدفع. انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٣٩٥)، ورواه أبو العلاء الحسن العطار بسنده في التمهيد في معرفة التجويد (١٤٨، ١٤٩) (٢٤٦)، (٢٤٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٨٦٠)، والطبراني (٣/ ١٨٨) و(٢٤/ ٥٤٣)، والحاكم (٢/ ٥٩٤) [٢٩٣٣]، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وكرره في (٣/ ٣٨٥) [٤٠١١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٢٠) [٣٦٥٩]، والأسماء الصفات للبيهقي (١/ ٥٦٩، ٥٧٠) [٤٩٥]، وفي دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٩٨) [٣١٢١]، وكذا في فضائل الأوقات للبيهقي (ص٥٥) [١٠٠]، وابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٥٠)، والواحدي في تفسير الوسيط (٤/ ٥٣٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٢٧) [٣٠٨١٣]، والطبري (٢٤/ ٥٤٢) و(٣/ ١٩٠)، والنسائي في الكبرى (٢/ ١٢٣٧) [٧٩٣٥]، وفي فضائل القرآن (ص٦٩) [١٤، ١٥]، والطبراني في الكبير بنحوه (١١/ ٣٤٧) [١١٨٣٩]، وفي الأوسط (٢/ ٢٨٧) [١٥٠٢] قال في المجمع: وفي إسناده عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات (٧/ ٢١٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ٧٠٥) [٧٠٤] بزيادة في بعض رواياته: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، والحاكم في مستدركه وصححه، (٢/ ٥٩٤) [٢٩٣٢]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٢) [٤٩٨]، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان (٤/ ٢٢٦).

٦ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥]. قال: نزل القرآن جُملةً واحدةً إلى السماء الدنيا، ثم نزل نجوماً بعد إلى النبي ﷺ(١).

٧ ـ عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَّقۡنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، مُثقلةً: قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان جُملةً واحدةً، فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً، ففرقه الله في عشرين سنة(٢).

٨ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١]: أُنزل القرآن في ليلة القدر جُملةً واحدةً من الذكر الذي عند رب العزة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ثم جعل جبريل ينزل على محمد بجواب كلام العباد وأعمالهم(٣).

وفي رواية: دُفع إلى جبريل ليلة القدر جُملةً، فوضع في بيت العزة ثم جَعل يُنزله تنزيلاً(٤).

٩ ـ عن ابن عباس قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤) [١٢٤٢٦]، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه حكيم بن جبير وهو متروك (٧/ ١٨٥)، ورواه الطبراني في الكبير كذلك بنحوه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (١١/ ٢٤٦) [١٢٢٤٣]، وقال السيوطي: إسناده لا بأس به، الإتقان (١/ ٢٧٠)، ورواه الضياء المقدسي في المختارة من طريق الطبراني بنحوه (١٠/ ١٦٥، ١٦٦) [١٦٢]، وحسن محقق المختارة إسناده.

(٢) عزاه السيوطي بهذه الألفاظ إلى ابن أبي حاتم، انظر: الإتقان (١/ ٢٦٩، ٢٧٠)، ونسبه في الدر المنثور إلى ابن مردويه (٩/ ٤٥٦، ٤٥٧).

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٢٦) [١٢١، ١٢٢]، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٢) [١٢٣٨٢]، والبزار مختصراً (١١/ ٢٣٦) [٥٠٠٩]، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف (٧/ ٢١٢). قال ابن حجر في مختصر زوائد البزار: صحيح، (٢/ ١١٩، ١٢٠) (١٥٣٥).

(٤) كما عند ابن أبي شيبة بسنده عن حسان بن الأشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٥/ ٥٢٧، ٥٢٨) [٣٠٨١٦]، قال محققو الإتقان: رجاله بين ثقة وصدق، وأيضاً له شواهد ومتابعات يتقوى بها. انظر: الإتقان (١/ ٢٧١)، وأخرج ابن الضريس نحوه في فضائل القرآن (١٢٦) [١٢٠].

السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي ﷺ يُرتله ترتيلاً[(١)].

١٠ ـ عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جُملةً من الذكر في ليلة أربعٍ وعشرين من رمضان فجعل في بيت العزة[(٢)].

١١ ـ عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] فقال: إنه أُنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جُملةً واحدةً، ثم أُنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رَسَلاً في الشهور والأيام[(٣)].

وعند الطبري كذلك بلفظ: شهر رمضان والليلة المباركة: ليلة القدر، فإن ليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في رمضان، نزل القرآن جُملةً واحدةً من الزبور إلى البيت المعمور، وهو موقع النجوم إلى السماء الدنيا، حيث وقع القرآن ثم نُزِّل على محمد ﷺ بعد ذلك في الأمر والنهي، وفي الحروب رَسَلاً رَسَلاً[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٢٣٧) [٧٩٣٧]، وفي فضائل القرآن (ص٦٨، ٦٩) [١٦]، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٢) [١٢٣٨١] قال في المجمع: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف (٧/ ٢٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) [٢٩٣٦]، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحح الحافظ ابن حجر إسناد الحاكم كما صحح إسناد ابن أبي شيبة في الأثر السابق. انظر: فتح الباري (٨/ ٦٢٠)، وصححه الحافظ السيوطي، الإتقان (١/ ٢٧٠)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٠) [٤٩٦] بسندين أحدهما من طريق ابن مردويه، والضياء في المختارة (١٠/ ١٥٣، ١٥٤) [١٥١، ١٥٣]، ورواه أبو العلاء الحسن العطار بسنده في التمهيد في معرفة التجويد (١٤١) [٢٢١].

(٢) أخرجه الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (٣/ ١٨٨، ١٨٩)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن مردويه ومحمد بن نصر، الدر المنثور (٢/ ٢٣٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٧) [١٦٥٧]، ومحمد بن نصر في قيام رمضان (ص١١٧، ١١٨) [٢٣٥]، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٩١) [١٢٠٩٥]، قال في المجمع عن سند الطبراني ـ وهو عنده بلفظ قريب ـ: وفيه سعيد بن طريف وهو متروك (٧/ ١٨) [١٠٨٤٥]، والواحدي في الوسيط (١/ ٢٨٠، ٢٨١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٤) [٥٠١]، وحسن محققه هذا الإسناد، ونسبه ابن كثير في تفسيره إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه (٢/ ١٨٠)، وفي الدرالمنثور إلى ابن مردويه (٢/ ٢٣٢)، وساق إسناد ابن مردويه في كتابه التحبير (ص١١٥).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن أسباط عن السدي عن ابن عباس (٣/ ١٩٠)، ومعنى قوله رَسَلاً =

١٢ ـ عن ابن جريج عن ابن عباس قال: نزل القرآن جُملةً واحدةً على جبريل في ليلة القدر، فكان لا ينزل منه إلا ما أُمر(١).

وبلفظ: أُنزل القرآن في ليلة القدر، ثم نزل جبريل على رسول الله ﷺ نجوماً بجواب كلام الناس(٢).

١٣ ـ عن الضحاك عن ابن عباس: نزل القرآن جُملةً واحدةً من عند الله في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ عشرين سنة، فقال المشركون: لولا نزل عليه القرآن جُملةً واحدةً فقال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]؛ أي: أنزلناه عليك متفرقاً ليكون عندك جواب ما يسألونك عنه، ولو أنزلناه عليك جُملةً واحدةً ثم سألوك لم يكن عندك جواب ما يسألونك عنه(٣).

١٤ ـ عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا جُملةً واحدةً، ثم نزل إلى الأرض نجوماً، وفرق بعد ذلك خمس آيات خمس آيات وأقل وأكثر. فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥](٤).

= رَسَلاً: فِرقاً متقطعة يتبع بعضها بعضاً، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٢٢)، قال أبو شامة: رَسَلاً؛ أي: رفقاً، وقوله: على مواقع النجوم؛ أي: على مثل مواقع النجوم ومواقعها مساقطها، يريد: أُنزل مفرقاً يتلو بعضه بعضاً على تؤدة ورفق.اهـ. انظر: المرشد الوجيز (ص١١).

(١) أخرجه الطبري بسنده عن ابن جريج عن ابن عباس (٣/ ١٩١).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه في الدر المنثور (١٣/ ٢٤٨).

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الإتقان (١/ ٢٧٤، ٢٧٥)، وهو عند محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام رمضان (ص١١٨)، وعزاه السيوطي إلى المصاحف لابن الأنباري في الدر المنثور (٩/ ٤٥٧)، وطريق الضحاك عن ابن عباس من الطرق الضعيفة للانقطاع بين ابن عباس والضحاك الذي يروي عنه ولم يُدركه. قال ابن حجر: وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة. انظر: فتح الباري (٨/ ٦٢٠).

(٤) أخرجه أبو بكر بن الأنباري في «المصاحف» وساق القرطبي هذا الأثر بسند ابن الأنباري وفيه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا الطريق من الطرق الواهية، وأخرجه يحيى بن سلام بهذا الإسناد كما ذكر ابن أبي زمنين (٤/ ١٩٨)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٢١٩).

مرويات التابعين

١ ـ عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جُملةً من السماء العليا إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل مفصلاً[(١)].

٢ ـ عن سعيد بن جبير قال: أُنزل القرآن جُملةً واحدةً، ثم أنزل ربنا في ليلة القدر ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤][(٢)].

وفي رواية: نزل القرآن جُملةً واحدةً في ليلة القدر في شهر رمضان، فجعل في السماء الدنيا[(٣)].

٣ ـ عن إبراهيم النخعي قال: أُنزل القرآن جُملةً على جبريل عليه السلام، وكان جبريل يجيء بعدُ إلى محمد ﷺ[(٤)].

٤ ـ عن الشعبي قال: بلغنا أن القرآن نزل جُملةً واحدةً إلى السماء الدنيا[(٥)].

٥ ـ عن عكرمة قال: إن القرآن نزل جميعاً، فوضع بمواقع النجوم، فجعل جبريل يأتي بالسورة وإنما نزل جميعاً في ليلة القدر[(٦)].

٦ ـ عن ابن جريج قال: كان يُنزَّل من القرآن في ليلة القدر كل شيء ينزَّل من القرآن في تلك السنة فيتنزَّل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا، فلا يُنزِّل جبريل من ذلك على محمد إلا ما أمره به ربُّه، ومثل ذلك: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣][(٧)].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٩٣) [٧٩]، وضعفه محقق السنن، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور في الدر المنثور بلفظ قريب (١٣/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عن مسلم عن سعيد بن جبير (٢٤/ ٥٤٣).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عن حسان عن سعيد بن جبير (٣/ ١٨٩)، وابن الضريس في فضائل القرآن بنحوه بزيادة: «فجعل في بيت العزة» (ص١٢٦) [١٢٠]، وأخرجه كذلك الدولابي في الأسماء والكنى بمثل ما عند ابن الضريس (١/ ٣٦١) [٦٤٣].

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٩٢) [٧٨]، وضعفه محقق السنن.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عُليَّة عن داود عن الشعبي (٣/ ١٩١)، (٢٤/ ٥٤٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عن المعتمر عن أبيه عن عكرمة (٢٢/ ٣٦٠).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٩١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٧) [١٦٧٨] لكنه عن ابن أبي نجيح.

٧ ـ عن الربيع بن أنس قال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١] أنزل الله القرآن جُملةً في ليلة القدر كلِّه[١].

۞ المسألة الرابعة ۞

مدة نزول القرآن وما بين أوله وآخره

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن عائشة وابن عباس: أن رسول ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً[٢].

٢ ـ عن سعيد بن جبير أن رجلاً أتى ابن عباس فقال: أُنزل على النبي ﷺ عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة؟ فقال: من يقول ذلك؟ لقد أُنزل عليه بمكة خمس عشرة، خمساً وستين وأكثر[٣].

٣ ـ عن ابن عباس قال: أُنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين[٤].

٤ ـ وعنه كذلك: أقام بمكة خمس عشرة سنة، ثمان سنين أو سبعاً يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانياً أو سبعاً يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً[٥].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد (١٥/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب وفاة النبي ﷺ (ص٧٥٨) [٤٤٦٤، ٤٤٦٥].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠/ ٢٢٩) [٣٧٧٠٥] بلفظ: (لقد أُنزل عليه بمكة عشراً)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٩١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٧٦) [٢٠٣٥]، قال ابن كثير في البداية والنهاية: وهذا من أفراد أحمد إسناداً ومتناً (٨/ ١١٦)، قال محققو المسند: العلاء بن صالح روى له أبو داود والترمذي والنسائي، وثقه ابن معين وأبو داود... وقال ابن المديني: روى أحاديث مناكير، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح (٣/ ٤٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (ص٦٤٦) [٣٨٥١]، والترمذي (ص٨٢٦) [٣٦٢١] وابن أبي شيبة (١٨/ ٣٣١) [٣٤٥٥٥] و[٣٧٧٠٦] وغيرهم.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب: كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، (٢/ ١١٠٥) (٢٣٥٣)، وجاء في صحيح مسلم كذلك عن ابن عباس لما سئل بلفظ: .. أمسك: أربعين بعث لها خمس عشرة بمكة يأمن ويخاف، وعشر من مهاجره إلى المدينة. (٢/ ١١٠٥) [٢٣٥٣]

٥ ـ وعنه كذلك أن رسول الله ﷺ بُعث وهو ابن أربعين، وأقام بمكة خمس عشرة، وبالمدينة عشراً، فقبض وهو ابن خمس وستين(١).

٦ ـ عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ على رأس أربعين فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً، وتوفي على رأس ستين سنة(٢).

٧ ـ عن الحسن قال: أُنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين، فمكث بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين(٣).

٨ ـ عن الحسن البصري قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشر سنة... أُنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين(٤).

وعنه كذلك: أُنزل القرآن على النبي ﷺ في ثمان سنين بمكة، وعشراً بعدما هاجر، وكان قتادة يقول: عشر بمكة وعشر بالمدينة(٥).

٩ ـ عن قتادة قال: لم ينزل في ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة وما شاء الله من ذلك(٦).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٨/ ٣٣٢) [٣٤٥٥]، ورواه خليفة بن خياط في تاريخه (ص٥٣) بلفظ: «فأقام بمكة خمساً مختفياً وعشراً معلناً وبالمدينة عشراً».

(٢) أخرجه البخاري (ص٥٩٦) [٣٥٤٨].

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٩١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ١١٨)، والواحدي في أسباب النزول (٩٣، ٩٤) [١] مختصراً، وقال ابن كثير: فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور وهو أنه عليه الصلاة والسلام أُنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة فقد ذهب إلى أنه عليه الصلاة والسلام عاش ثمانياً وخمسين سنة، وهذا غريب جداً، البداية والنهاية (٨/ ١١٨).

(٤) ساقه ابن الضريس بسنده عن سعيد عن قتادة عن الحسن في فضائل القرآن (ص١٢٩) [١٢٧]، وخليفة بن خياط في تاريخه (ص٥٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١١٨)، وابن الضريس في فضائل القرآن بسنده عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة (ص١٢٨) [١٢٦].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٨/ ٣٣٣) [٣٤٥٥٤] وكرره في [٣٧٧٠١]، وخليفة بن خياط في تاريخه (ص٥٤).

١٠ ـ عن الشعبي قال: فرق الله تنزيله، فكان بين أوله وآخره عشرون أو نحواً من عشرين سنة(١).

١١ ـ عن الحسن عند قوله: ﴿وَرَتَّلْنَهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] وكان بين أوله وآخره نحوٌ من عشرين سنة(٢).

١٢ ـ عن قتادة قال عند قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]: لم ينزل جميعاً، وكان بين أوله وآخره نحوٌ من عشرين سنة(٣).

١٣ ـ عن سعيد أن النبي ﷺ أُنزل عليه القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين(٤).

المسألة الخامسة

الوارد عنهم في نزول بعض السور نزولاً كاملاً

١ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في غار فنزلت عليه ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]، فأخذتها من فِيه وإن فاه رطبٌ بها، فما

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص٩٤) [٢].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٥٨) [٢٠٨٨]، والطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٦، ٤٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٤٤٥) [١٥٩٣٠]، كلاهما من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الحسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بإسناده عن معمر عن قتادة (١/ ٣٣١) (١٦٣٦)، وساقه الطبري بسنده عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (١٥/ ١١٥، ١١٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٨/ ٣٢٩) [٣٤٥٤٩] وكرره [٣٧٧٠٣]، والطبري في تاريخه مختصراً (٢/ ٢٩٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٠).
وقد علق ابن حجر على هذه الرواية حيث نقل رواية الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ولفظه: أُنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما وضعت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.
ثم علق الحافظ فقال: فعلى هذا فيحسُن ـ بهذا المرسل إن ثبت ـ الجمعُ بين القولين في قدر إقامته بمكة بعد البعثة، فقد قيل: ثلاث عشرة، وقيل: عشر، ولا يتعلق ذلك بقدر مدة الفترة، والله أعلم... وأنكر الواقدي هذه الرواية المرسلة، وقال: لم يقرن به من الملائكة إلا جبريل، انتهى، ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم، والله أعلم. فتح الباري (١/ ٣٧)، وصحح الحافظ ابن كثير الأثر الذي يرويه الشعبي وخرجه الإمام أحمد في تاريخه. انظر: البداية والنهاية (٤/ ١٠)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦١، ١٦٢).

أدري بأيها ختم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات: ٥٠] أو ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨﴾ [المرسلات: ٤٨] فسبقتنا حية فدخلت في جحر...(١).

٢ ـ عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب عند الله عملناه؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف: ١] إلى آخر السورة، فقرأها علينا رسول الله ﷺ.

وفي بعض الألفاظ: فقرأ علينا رسول الله ﷺ السورة كلها من أولها إلى آخرها.

وفي لفظ: فقرأها علينا رسول الله حتى ختمها(٢).

٣ ـ عن ابن مسعود قال: نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة(٣).

٤ ـ عن علي رضي الله عنه قال: أُنزل القرآن خمساً خمساً، ومن حفظ خمساً خمساً لم يَنْسَهُ إلا سورة الأنعام فإنها نزلت جُملةً في ألف يتبعها(٤).

---

(١) أخرجه الحميدي (١/ ٢١٣) [١٠٦]، وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٤٤٥) [٨٣٨٩]، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٤٥) [٣٥٧٤]، وقال محققه: صحيح لغيره، وأبو يعلى (٨/ ٣٨٣) [٤٩٧٠]، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٨٣) [٧٠٧] وحسن محققه إسناده، والطبراني في الكبير (١٠/ ١١٨) [١٠١٥٣]، و[١٠١٥٤]، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٨) [١٥٦٢] في (٢/ ٤٨٣) [٧٠٧]، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٣٥) [٣٠٤٨]، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢٠٥، ٢٠٦) [٢٣٧٨٨] و[٢٣٧٨٩]، والترمذي في التفسير (ص٧٥٢، ٧٥٣) [٣٣٠٩]، والدارمي، كتاب الجهاد، باب: الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال (٣/ ١٥٤٥) [٢٤٣٥]، وأبو يعلى (١٣/ ٤٨٤، ٤٨٧) [٧٤٩٧] [٧٤٩٩]، وابن حبان (١٠/ ٤٥٤) [٤٥٩٤]، والحاكم في المستدرك وصححه (٢/ ٣٨٥) [٢٤٣١]، والواحدي في أسباب النزول (٦٦٩) [٤٢١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٦) [٤٢٠٦]، قال ابن حجر: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزوله وإسناده صحيح، قلَّ أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه، فتح الباري (٨/ ٥٠٩).

(٣) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٦/ ٦)، وساق ابن كثير سنده عن السدي عن مرة عن عبد الله (٦/ ٦).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٧١) [٢٤٣٥]، وقال: وفي إسناده من لا يعرف، قال السيوطي: أخرجه البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف، الإتقان (١/ ٢٤٥)، وأخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ٢١١) [٣٧٠٩]، قال في ميزان الاعتدال: موضوع على سليم بن عيسى (٢/ ١٦، ١٧).

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جُملةً، وحولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح(١).

٦ ـ ومن طريق آخر عن ابن عباس قال: أُنزلت سورة الأنعام جميعاً بمكة، فتبعها موكب من الملائكة يشيعونها قد طبقوا ما بين السماء والأرض لهم زَجَلٌ بالتسبيح(٢).

٧ ـ وعنه كذلك قال: سورة الأنعام نزلت بمكة جُملةً واحدةً فهي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى تمام الآيات الثلاث(٣).

٨ ـ عن أسماء بنت يزيد(٤) قالت: نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جُملة واحدةً، وأنا آخذةٌ بزمام ناقة النبي ﷺ إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة(٥).

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٥٧) [١٩٧]، وأبو عبيد في فضائل القرآن من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس (٢/٤٧) [٤٥٠]، وكرره في (٢/٢٠١) [٨١٤].
وعلي بن جدعان ضعيف، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/١٦٦) [١٢٩٣٠] من طريق علي بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، ورواه المستغفري في فضائل القرآن من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس (٢/ ٥٤٥) [٧٨٤].

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن من طريق أبان عن شهر بن حوشب عن ابن عباس (ص١٥٩) [٢٠٢] وفي سنده شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام. انظر: تقريب التهذيب (ص٤٤١) [٢٨٤٦]، ورواه المستغفري في فضائل القرآن من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس (٢/ ٥٤٤) [٧٨٢]، وساقه عبد الرزاق بسنده عن معمر قال: يقال إن سورة الأنعام أُنزلت جُملةً واحدة معها من الملائكة ما بين السماء والأرض لهم زَجَلٌ بالتسبيح (١/ ١٩٦) [٧٦٩].
ومعنى قوله: زَجَلٌ؛ أي: صوتٌ رفيع عالٍ. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/٣١٦) [٤٦٥]، وفي إسناده: (يموت بن المُزَرَّع) قال الذهبي: لا أعلم به بأساً، وقال ابن حجر: (صدوق، أخباري، وقد رمي برأي الخوارج)، ويونس بن حبيب وثقه السيوطي وبقية رجاله ثقات.اهـ. ملخصاً من كلام محقق الناسخ للنحاس (٢/٣١٦).

(٤) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأشهلية أُم سلمة، وقيل: أم عامر، هي من المبايعات، مدنية، كانت من ذوات العقل والدين. انظر: الاستيعاب (ص٨٧٣) [٣٢٠٧]، الإصابة (٤/ ٢٤٢١) [١٠٨٠٧].

(٥) أخرجه الطبراني (٢٤/١٧٨) [٤٤٩]، قال في مجمع الزوائد: وفيه شهر بن حوشب وهو =

٩ ـ عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت المائدة جميعاً وآنا آخذة بزمام ناقة رسول الله العضباء وكادت من ثقلها أن تدق عنق الناقة(١).

١٠ ـ عن أبي جُحيفة(٢) قال: نزلت الأنعام جُملةً معها سبعون ألف ملك، كلها مكية، إلا ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١] فإنها مدنية(٣).

١١ ـ عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها(٤).

١٢ ـ عن أنس بن مالك قال: نزلت سورة الكهف جُملةً، معها سبعون ألفاً من الملائكة(٥).

= ضعيف وقد وثق (٧/ ٥٩) [١٠٩٩٣]، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه، الدر المنثور (٦/ ٦).

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده: (وليس فيه لفظة جميعاً) (٥/ ١٧٤، ١٧٥) [٢٢٩٨]، والإمام أحمد في مسنده (٤٥/ ٥٥٧) [٢٧٥٧٥]، والطبري في تفسيره (٨/ ٨٩)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٧٨) [٤٤٨] وفي [٤٤٩] بلفظ: نزلت الأنعام على النبي ﷺ جُملةً واحدةً، والإسناد عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء، وحسنه محققو المسند لغيره وإن كان إسناد أحمد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب.
قال البوصيري: هكذا وقع هنا أن سورة المائدة نزلت جميعاً، وخالف في ذلك أحمد بن منيع، ثم ساق خبر نزول سورة الأنعام جُملةً ثم قال: فيحتمل أنه وهم من بعض الرواة، ويحتمل أن كلاً من السورتين نزلت جُملةً، إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٦/ ٢٠٢)، قال في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق (٧/ ٥١) [١٠٩٦٣]، وفي سنده كذلك ليث بن أبي سليم قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فتُرِك (ص٨١٧، ٨١٨) [٥٧٢].

(٢) أبو جُحيفة وهب بن عبد الله السُّوائي، مشهور بكنيته، يقال له: وهب الخير، صحابي معروف، كان من صغار الصحابة، نزل الكوفة وابتنى بها، روى عن علي بن أبي طالب وعن البراء بن عازب، روى له الجماعة، وتوفي سنة (٧٤هـ)، وقيل: توفي في ولاية بشر بن مروان. انظر: الاستيعاب (ص٧٥٠) [٢٧٠٢]، تهذيب الكمال (٣١/ ١٣٢، ١٣٣) [٦٧٦٠]، تقريب التهذيب (ص١٠٤٤) [٧٥٢٩].

(٣) أخرجه ابن المنذر كما عند السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧) [١٦]، والحاكم (٣/ ٢٥٨) [٣٧٦٢] وصححه، وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه، وفيه محمد بن إسحاق وقد عنعن، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٢٣) [١٥١٧] وصحح المحقق إسناده، وكذا البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٣/ ٤٠٨) [١٨٦٦٢]، والواحدي في أسباب النزول (٦٠٧) (٣٧٨).

(٥) أخرجه الديلمي في مسنده الفردوس (٤/ ٢٧٥) (٦٨١٢).

١٣ ـ عن مجاهد قال: نزلت سورة الأنعام كلها جُملةً، معها خمسمائة ملك يزفُّونها ويحفُّونها[١].

١٤ ـ عن شهر بن حوشب قال: نزلت الأنعام جُملةً واحدةً معها رجزٌ من الملائكة قد نظموا ما بين السماء الدنيا إلى الأرض، قال: وهي مكية غير آيتين ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] والآية التي بعدها[٢].

١٥ ـ عن الكلبي قال: نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود، وهو الذي قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١][٣].

١٦ ـ عن عطاء قال: أُنزلت الأنعام جميعاً، ومعها سبعون ألف ملك[٤].

وقد ورد في نزول الأنعام جُملةً حديث مرفوع رواه أُبي بن كعب عن النبي ﷺ، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ[٥].

قال ابن الصلاح: الحديث الوارد في أنها نزلت جُملةً رويناه من طريق أُبي بن كعب، وفي إسناده ضعف ولم نَرَ له إسناداً صحيحاً، وقد روي ما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بنحوه عن مجاهد (١/ ١٩٦) [٧٧٠]، ونسبه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، الدر المنثور (٦/ ٨).

(٢) انظر: مسند إسحاق بن راهويه (٥/ ١٧٥)، وليس فيه (جُملةً واحدةً)، وأخرجه المستغفري بسنده عن شهر بن حوشب في فضائل القرآن (٢/ ٥٤٦) [٧٨٦]، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي، وعبد بن حميد (٦/ ٩).

(٣) أخرجه الداني في البيان بسنده (ص١٥١)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٦/ ٩).

(٤) عزاه في الدر المنثور إلى أبي الشيخ (٦/ ٩)، وأخرجه بنحوه المستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٥٤٦) [٧٨٧]، وقال ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف: وفيه يوسف بن عطية وهو ضعيف (٢/ ٨١)، ورواه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني وقال: غريب من حديث ابن عون ولم نكتبه إلا من حديث إسماعيل عن يوسف. انظر: الحلية (٣/ ٤١).

(٥) انظر: الدر المنثور (٦/ ٧، ٨)، وذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ ١٣١)، وساق الزيلعي إسناده عند الثعلبي فقال: من حديث أبي عصمة عن يزيد العمي عن أبي نضرة عن ابن عباس عن أُبي عن النبي ﷺ انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (١/ ٤٥٠، ٤٥١)، قال ابن حجر: وفيه أبو عصمة وهو متهم بالكذب. انظر: الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٨١).

يخالفه، فروي أنها لم تنزل جُملةً واحدةً بل نزلت آيات منها بالمدينة(١).

وكذا عن ابن عمر مرفوعاً كما عند الطبراني في المعجم الصغير(٢).

المسألة السادسة

مقدار ما كان ينزل من الآيات في غالب الأحوال

١ ـ عن عمر قال: تعلموا القرآن خمسَ آياتٍ خمسَ آياتٍ، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً(٣).

قال ابن كثير: واستحب عمر بن الخطاب أن يُلقن خمسَ آياتٍ خمسَ آياتٍ، رويناه عنه بسند جيد(٤).

٢ ـ عن عبد الله بن مسعود: كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر التي أُنزلت بعدها حتى نتعلم ما فيه، قيل لشريك: من العلم؟ قال: نعم(٥).

٣ ـ عن علي بن أبي طالب قال: أُنزل القرآن خمساً خمساً، ومن حفظ خمساً خمساً لم ينْسَهُ(٦).

---

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢٤٩).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (١/ ٨١)، وقال الطبراني: لم يروه عن ابن عون إلا يوسف بن عطية تفرد به إسماعيل بن عمرو، وانظر: مجمع البحرين للهيثمي (٦/ ٢٢) [٣٣١٦]، وعزاه السيوطي كذلك إلى ابن مردويه (٦/ ٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٧)، قال الهيثمي في المجمع: وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف (٧/ ٥٩) [١٠٩٩٠]، قال الزيلعي: وعند الطبراني أيضاً رواه ابن مردويه في تفسيره بسنده ومتنه. انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (١/ ٤٥١).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٣١، ٣٣٢) [١٩٥٩]، قال البيهقي: خالف وكيعاً في رفعه إلى عمر ﷺ، ورواية وكيع أصح، والخطيب في تاريخ بغداد (١٥/ ٣٨٩) في ترجمة نصر بن مالك الخزاعي [٧٢٠٦]، قال أبو زرعة: أبو نعيم رواه عن أبي خَلْدة عن أبي العالية لم يذكر فيه عمر وهو الصحيح، علل الحديث لابن أبي حاتم الرازي (٤/ ٧٠٢) [١٧٤٩].

(٤) انظر: فضائل القرآن لابن كثير (٢٢٦، ٢٢٧)، وقد رواه عنه في كتابه مسند الفاروق وعزاه إلى الإسماعيلي (١/ ١٧٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده عن الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود (١/ ٧٤)، وصحح الطبري هذا الإسناد. انظر: جامع البيان (١/ ٨٣).

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٧١) [٢٤٣٥]، والخطيب في تاريخه (٨/ ٢١١) =

٤ ـ وعنه كذلك: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[(١)].

٥ ـ عن ابن عباس من طريق أبي صالح عنه ـ وقد تقدم ـ: ... وفُرِّق بعد ذلك خمس آيات خمس آيات وأقل وأكثر فذلك قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥][(٢)].

٦ ـ عن ابن عباس كذلك: ثم أُنزل إلى الأرض نجوماً ثلاث آيات وخمس آيات وأقل وأكثر فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥][(٣)].

٧ ـ ومن طريق أبي نضرة[(٤)] قال: كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمسَ آياتٍ بالغداة وخمسَ آياتٍ بالعشي، ويُخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمسَ آياتٍ خمسَ آيات[(٥)].

٨ ـ عن أبي العالية قال: تعلموا القرآن خمسَ آياتٍ خمسَ آياتٍ، فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً[(٦)].

= [٣٧٠٩]، قال في ميزان الاعتدال: موضوع على سليم بن عيسى. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١٦، ١٧)، وضعف السيوطي الخبر في الإتقان (١/ ٢٨٧).

(١) أخرجه عبد الرزاق بنحوه (٣/ ٣٨٠) [٦٠٢٧]، وابن سعد (٨/ ٢٩٢)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٤٣٦) [٣٠٥٤٩]، والطبري (١/ ٧٤)، والفريابي في فضائل القرآن (ص٢٤١) [١٦٩]، والرازي في فضائل القرآن وتلاوته (ص٨٢٧) [٩٧]، وعند المستغفري في فضائل القرآن بنحوه ١/ ٣٢٢ (٣٦٠).

(٢) تقدم تخريج هذا الأثر عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٢٥٩) [٢٠٩١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٣٠، ٣٣١) [١٩٥٣]، وفي السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ١٧٧) [٥٣٩٠].

(٤) أبو نضرة المنذر بن مالك بن قِطعةالعبدي ثم العوفي البصري، أدرك طلحة بن عبيد الله، روى عن أنس وجابر، وسمرة بن جندب، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي موسى الأشعري وطوائف، وثقه الإمام أحمد وأبو زرعة والنسائي، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال عنه ابن سعد: كان ثقةً كثيرَ الحديث.اهـ.
كان من فصحاء الناس، خُلج في آخر عمره، مات سنة (١٠٨هـ) أو (١٠٩هـ)، وأوصى أن يصلي عليه الحسن فصلى عليه. انظر: الطبقات لابن سعد (٩/ ٢٠٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٩)، تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٠٩، ٥١٠) [٦١٨٣٦].

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٩١).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٤٣٧) [٣٠٥٥٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٣١) [١٩٥٨]، قال ابن حجر: وهو مرسل جيد، =

٩ ـ عن عكرمة قال: أُنزل القرآن نجوماً ثلاثَ آياتٍ وأربعَ آياتٍ وخمسَ آياتٍ[١].

١٠ ـ عن إسماعيل بن أبي خالد[٢] قال: كان أبو عبد الرحمٰن السلمي يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين بالعشي ويخبرهم بموضع العشر والخمس، ويُقرئ خمساً خمساً يعني: خمس آيات خمس آيات[٣].

١١ ـ عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يُقرؤننا أنهم كانوا يستقرؤون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشرَ آياتٍ لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[٤].

التأصيل

١ ـ علم نزول القرآن مما نصَّ عليه الكتاب العزيز، فهو من العلوم التي تستمد أثريتها من آي القرآن، وقد تضمنت الآيات التي تؤصل هذا العلم القرآني قضيتين:

الأولى:

ذكر نزوله زماناً في شهر رمضان، في الليلة المباركة ليلة القدر، وهو ما أسميته (النزول الكلي زماناً).

= فتح الباري (٨/ ٦٩٥)، والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ٣٢٠) [٣٥٨]، وتقدم تعليق أبي زرعة على حديث عمر، وأن الصحيح روايته عن أبي العالية لا رفعه إلى عمر.

(١) أخرجه الطبري بسنده عن يزيد عن عكرمة (٢٢/ ٣٦٠)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره، ونسبه السيوطي إلى ابن أشته في المصاحف. انظر: الإتقان (١/ ٢٨٦).

(٢) هو إسماعيل بن أبي خالد، واسمه: هرمز، وقيل: سعد، وقيل: كثير البَجَلي الأحْمَسي، مولاهم أبو عبد الله الكوفي، رأى أنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع، وثقه أئمة العلم؛ كابن مهدي، والعجلي والنسائي، وابن معين، قال عنه الشعبي: ابن أبي خالد يحسو العلم حسْواً، أو يزْدَرِدُ العلم ازدراداً، نعته الذهبي بـ الحافظ الإمام الكبير، وقال: أجمعوا على إتقانه، والاحتجاج به، ولم يُنبز بتشيع ولا بدعة، توفي سنة (١٤٦هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٦٩) [٤٣٩]، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٧٦) [٨٣].

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٩٢)، وابن مجاهد في السبعة (١/ ٦٩)، والداني في البيان في عد آي القرآن (ص٣٤)، والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ٣٢١) [٣٥٩].

(٤) أخرجه الداني في البيان في عد آي القرآن ٣٣، والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ٣٢٢) [٣٦٠]، وعزاه في الدر المنثور إلى ابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه (١٤/ ٢١٩).

الثانية:

بيان نزوله متفرقاً حسب الأحداث ونجوماً على الوقائع، وردٌ دعوى المشركين حين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

٢ ـ ليعلم أن مفردات هذا العلم إن خلت من حديث نبوي صحيح، مرفوع صراحة إلى النبي ﷺ تستند إليه في تقرير مسائله، فإن آثار الصحابة والتابعين في موضوعات علم نزول القرآن مما لا مجال للرأي فيها؛ لأنها إخبار عن مغيباتٍ فكان حكمها الرفع، فأمر نزول القرآن إلى السماء الدنيا وزمانه، وما ذكر من نزوله في بيت العزة إلى ما سوى ذلك، كلها لا مدخل للاجتهاد فيها، والمظنون أنهم تلقوا هذا سماعاً من النبي ﷺ، هذا في حق الصحابة، وما أُثر عن التابعين فمن ما تلقوه من الصحابة.

وبهذا تعلم أن هذا العلم عمدته النقول ولا مجال فيه للعقول؛ لأنه جملةٌ من الأخبار المروية عن أمور غيبية.

المسائل التأصيلية في نزول القرآن نزولاً كلياً زماناً:

جاء فيه حديث مرفوع عن واثلة بن الأسقع وهو حديث حسن عند بعض علماء الحديث، وتعضده آثار الصحابة والتابعين، ويكاد أن يكون هذا أحد الأثرين اللذين رُفعا صراحة إلى النبي ﷺ وما ورد في نزول الأنعام دون بقية آثارهم، ومن المتقرر أنها في حكم المرفوع وقد تقدم.

وتكاد نصوصهم تتفق في معظمها على نزول القرآن ليلة أربع وعشرين من رمضان، كما في رواية واثلة بن الأسقع، وجابر، وعائشة، وابن عباس، وأبي الجلد، وقتادة، وأبي قلابة.

وتختلف في بقية الكتب السماوية، أعني: في زمان نزولها.

وبقي أثر الحسن بن علي، وفيه أنهم قتلوا علياً في ليلةٍ نزل فيها القرآن، والمشهور أنه قتل رضي الله عنه في السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ، وهذا الأثر مختلف فيه إسناداً، ولو صح فإنه لا يقوى على معارضة الصحيح المتكاثر من رواياتهم أن نزوله النزول الأول الكلي كان ليلة أربع وعشرين من رمضان، وأما أثر زيد بن أرقم حين قال: ما أشك أنها ليلة سبع عشرة ليلة نزول

القرآن، فإنه ضعيف الإسناد، وظاهره يُشعر أن نزول القرآن الكلي كان في تلك الليلة، وهو كما عُلم مخالف لما عليه أجلاء الصحابة والتابعين أنها ليلة أربع وعشرين. والآية الكريمة ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] مؤولة المعنى على غير ما يُدعى، فطائفة من أهل التفسير جعلوا المراد بما أُنزل يعني: في شأن الغنيمة، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١][(١)].

وعليه فالمقصود نزول خاص لا النزول الكلي محل الحديث، ومن أهل التأويل من جعل النازل ههنا نزول الآيات والعظائم الباهرة التي أُنزلت يوم بدر، لا الآيات القرآنية.

وهذا ما قوّاه ابن عطية، وهو تفسير أبي حيان وغيرهم[(٢)].

وما رشح من أثر زيد بن أرقم قد نطق به بعضهم؛ كابن عاشور الذي قال: «فإن المشهور ابتداء نزول القرآن كان يوم سبعة عشر من رمضان»[(٣)].

وما نُص عليه في حديث واثلة المرفوع وتظاهرت عليه آثار الصحابة والتابعين يخالف ما شهّره ابن عاشور من أنها ليلة أربع وعشرين، وهو ما نطقت به النصوص وما يتعين القول به[(٤)].

ومن نافلة القول أن نزول القرآن النزول الكلي كان ليلة القدر بنص القرآن، لكن بقي تعيين أي الليالي كانت؟ وهو ما سبق بحثه في هذا الجزء من أجزاء علم نزول القرآن.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١١/ ٢٠٣)، تفسير معالم التنزيل (٢/ ٢٢٦)، تفسير ابن كثير (٧/ ٨٩).

(٢) الكشاف (٢/ ٢١٦)، المحرر الوجيز (٤/ ١٩٩)، البحر المحيط (٤/ ٤٩٥)، روح المعاني (١٠/ ٥، ٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥).

(٤) قال الزرقاني: وأما مبدأ نزول الوحي بالقرآن فمعلوم أنه كان في اليوم الذي هبط فيه جبريل على النبي ﷺ بغار حراء بصدر سورة اقرأ، وقد قالوا: إنه يوافق السابع عشر من رمضان، واعتمدوا في ذلك على قوله سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] ولا ريب أنه احتمال في الآية مقبول، ولكن هذا الاحتمال لا يكفي في مثل هذا المقام؛ لأنه احتمال مرجوح، وظاهر الأدلة على خلافه، «ثم أورد النصوص في نزوله ليلة القدر»، ثم قال: ولا جدال في أن هذه نصوص تنافي أن تكون ليلة القدر ليلة السابع عشر من رمضان، ثم ذكر أن آية الأنفال ليست نصاً صريحاً في مرادهم. مناهل العرفان (١/ ٨٧، ٨٨).

واشتهر عن عكرمة أنه يقول: هي ليلة النصف من شعبان عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ٣] ونُسِبَ كذلك إلى الشعبي[١]، وهو خطأ محض، قال ابن كثير: «ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان ـ كما روي عن عكرمة ـ فقد أبعد النجعة فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي روي عن النبي ﷺ قال: حديث مرسل، ومثله لا يُعارض به النصوص»[٢].

بل وصف ابن العربي، وأبو شامة، وابن جزي، والشنقيطي، هذا القول بالبطلان[٣]، واستبعده أبو شامة في موطن آخر من كتابه المرشد الوجيز، وهو حقيق بذلك[٤].

واستغرب الزركشي هذا القول وقال: وعجب كيف غفل عن ذلك[٥].

وتبقى مسألة هل كان هذا النزول في ليلة القدر نزولاً كلياً إلى السماء الدنيا أم المراد ابتداء النزول في هذه الليلة الشريفة؟ وهو ما سيتجلى في تضاعيف هذا العلم.

٣ ـ المسائل التأصيلية للنزول الكلي للقرآن ووصف ذلك المنزل.

ثلاث قضايا تركزت حولها آثار الصحابة والتابعين في نزول القرآن نزولاً كلياً، وهي:

أ ـ كونه نزل جُملةً، وهذا يقصدُ به النزول الأول الكلي.

ب ـ أن القرآن بمجموعه نزل إلى السماء ـ وهذا نزول أولي كلي على قول الجمهور ـ ثم فُرق حسب الوقائع وعلى توالي السنين.

ج ـ أنه نزل في ليلة القدر، وهذا متعلق بزمان نزوله النزول الأول أو الكلي ـ وسبق بيانه ـ.

---

(١) الكشف والبيان (٨/ ٣٤٨)، النكت والعيون (٥/ ٢٤٤)، معالم التنزيل (٤/ ١١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٣٤)، ويقصد بالحديث ما روي من أن الآجال تقطع من شعبان إلى شعبان.

(٣) أحكام القرآن (٤/ ١٦٩٠)، المرشد الوجيز (ص١٠)، التسهيل (٢/ ٣٢١)، أضواء البيان (٧/ ٢٠٨).

(٤) المرشد الوجيز (ص٢٠).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٠٥).

فأما نزول القرآن كله جُملةً إلى السماء الدنيا فهذا قول جماهير أهل العلم[١]، بل حكي الإجماع على ذلك ـ وسيأتي ـ.

وعليه مدار رواية ابن عباس الذي تلتف حولها روايات مَن بعده من التابعين ومَن بعدهم.

وقد صحت منه طرق متعددة أفراداً، وهي بمجموعها ترتقي إلى درجة الاحتجاج والقبول.

فآثاره التي تعددت طرقها ورواياتها هي معتمد أهل التفسير وعلوم القرآن في موضوع النزول الكلي أو نزوله جُملةً إلى السماء الدنيا.

وهذا القول هو الذي تطفح به دواوين أهل العلم، قال ابن حجر: «وما تقدم من أنه نزل جُملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم أُنزل بعد ذلك مفرقاً هو الصحيح المعتمد»[٢].

وقال الزركشي: «والقول الأول ـ يريد قول ابن عباس ـ أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون»[٣].

وقال القرطبي: «ولا خلاف أن القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جُملةً واحدةً فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا...»[٤].

وقال السيوطي: «وهو الأصح والأشهر»[٥].

ولعل القرطبي قصد بالإجماع على هذه المسألة قول الأكثرين أو الجماهير؛ لأن في المسألة خلافاً سيأتي ذكره.

وإذا تقرر هذا القول فإن عدداً من الروايات عينت مكان نزول القرآن من السماء الدنيا بأنه في بيت العزة، وذُكر في عدة آثار كما عند الحاكم وابن أبي شيبة من حديث ابن عباس وهو ما صحّحه الحافظ ابن حجر،

---

(١) نسبه الكرمي إلى جمهور العلماء في كتابه قلائد المرجان (٢٩٧)، والقطان في مباحث في علوم القرآن (ص٩٦).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٢٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٠)، وكذا وصفه ابن عقيلة بأنه الأصح الأشهر (١/ ١٥٣)، والسيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٩٧).

(٥) الإتقان للسيوطي (١/ ٢٦٨).

وصحَّح كذلك حديثاً رواه الطبراني والبزار، وصححه كذلك السيوطي في الإتقان[١].

فثبت بهذا تحديد مكان نزول القرآن من السماء الدنيا بأنه في بيت العزة، كما صحت بذلك الآثار.

أما القول الثاني في مسألة نزول القرآن جُملةً إلى السماء الدنيا فقول الشعبي في رواية ونُسب إلى ابن إسحاق أن المراد: ابتداء نزول القرآن كان في ليلة القدر[٢].

وهذا اختاره ثلة من العلماء من المعاصرين وضعَّفوا أثر ابن عباس[٣]، ومن يذهب هذا المذهب لا يتحصل عنده إلا نزول واحد وهو النزول المنجم، ولا يقول بنزول كلي أولي.

وبقيت أقوال رويت عن مجاهد، والضحاك، وهي ضعيفة لا تقوى على مصافة القولين السابقين.

فمنهم من جعل المراد: ما أنزل الله من القرآن في فرض صيام رمضان أو في فضله لا نزولاً كلياً، كما هو قول الجماهير الدال عليه أثر ابن عباس[٤].

ومنهم كما في رواية الضحاك عن ابن عباس ومضمونها أن القرآن نزل في عشرين ليلة من عشرين سنة، وسبق ذكر هذا الأثر وضعفه ظاهر فإن طريق

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٢٧٠)، وقد رأيت عدداً من الأئمة يذكرون نزول القرآن إلى بيت العزة من السماء الدنيا دون توهين هذا ولا رده؛ كابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير وغيرهم من الأئمة.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٤٤٣)، المرشد الوجيز لأبي شامة (ص٢٨، ٣٠)، زاد المسير (١/ ١٨٧)، التفسير الكبير (٥/ ٧٣)، البحر المحيط (٢/ ٤٦).

(٣) هو الشيخ ابن عثيمين في كتابه تفسير سورة البقرة (٢/ ٣٣٢)، وتفسير جزء عم [٢٦٩]، وكذلك قال به محمد عبده. انظر: تفسير جزء عم (١٢٨)، ومحمد رشيد رضا (٢/ ١٦١)، وابن عاشور في تفسيره (٢/ ١٧١)، وهذا مال إليه صبحي الصالح، ـ أعني: رأي الشعبي ـ وإن رأى صحة أسانيد المأثور عند نزول القرآن جُملةً إلى السماء الدنيا، مباحث في علوم القرآن (ص٥١).

(٤) النكت والعيون (١/ ٢٤٠)، الكشاف (١/ ٢٢٥)، المحرر الوجيز (١/ ٤٤٣)، زاد المسير (١/ ١٨٧)، التفسير الكبير (٥/ ٧٣)، ونسبه الرازي إلى سفيان بن عيينة، البحر المحيط (٢/ ٤٦).

الضحاك عن ابن عباس من الطرق الضعيفة للانقطاع، وكذا يخالف القول الأول المنصور(١).

وإذا تمعنت في مرويات جمهور الصحابة والتابعين تجدها تضم التنصيص على نزولين:

نزول أولي جُملةً إلى السماء الدنيا، ثم نزول ثانٍ مفرق حسب السنين، ولعل في هذا توفيقاً لما أشكل على بعضهم من آيات تحدد النزول بشهر رمضان وليلة القدر والليلة المباركة مع ما يُرى من تنزله في أوقات مختلفة وأزمانٍ متنوعة، وهو ما رفع به ابن عباس ما توهم من هذا الاختلاف في أحد آثاره.

٤ ـ على ضوء جملة الآثار السابقة يكون للقرآن نزولان:

١ ـ **النزول الأول الكلي**، ويعني: نزوله جُملةً واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة في ليلة القدر في الرابع والعشرين من رمضان.

٢ ـ **النزول المنجم حسب الوقائع وعلى مقتضى الأسباب**، وهذا النزول بوحي الله تعالى إلى جبريل ما يوحيه من كلامه، وليس أخذاً من بيت العزة من السماء الدنيا، بل هو ما يتكلم الله ﷻ إلى أمينه على وحيه بما يشاء وهذا مضمون حديث النواس بن سمعان المشهور، وابن مسعود وأبي هريرة وغيرهم(٢).

وإذا نظرت إلى آثار الصحابة والتابعين تجدها خالية من ذكر كيفية تلقي جبريل للقرآن الموحى؛ لأن القضية محسومةٌ لديهم فهم يُقرون بكلام الله ﷻ كلاماً حقيقياً على ما يليق بجلاله، وأنه يوحي إلى جبريل ما يوحيه تكليماً بلا واسطة فتجافوا عما شُغل به من بعدهم من المتأخرين، وشحنت به دواوين علوم القرآن من خوضٍ في أمر الكيفية مما ولد أقوالاً مبتدعة زاغ كثير منها عن الحق.

ولقطعية هذه المسألة عندهم وتقررها خلت آثارهم من ذكرها.

---

(١) انظر: المرشد الوجيز (٢٧ ـ ٣٠).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٤/ ٢٨٢) [١٢٩٣].

فأوجه الافتراق بين النزولين الأول والثاني ما يلي:

١ ـ النزول الأول نزول كلي جُملةً واحدةً. والثاني: نزول منجم.

٢ ـ النزول الأول إلى السماء الدنيا. والثاني: على قلب محمد ﷺ.

٣ ـ النزول الأول نزول مكتوب. والثاني: نزول مسموع سمعه جبريل من ربه وسمعه محمد ﷺ من جبريل مباشرة[1].

ولا خلاف في النزول الثاني عند من يثبت نزولاً أولياً؛ لأن نزوله منجماً هو نص القرآن، وقد دحض دعوى المشركين في طلب نزوله جُملةً واحدةً.

إنما موطن النزاع في الأول، فآثار ابن عباس وغيره في النزول الأول إلى السماء الدنيا سنداً، وما يفهم من الآيات المثبتة نزول القرآن في ليلة القدر وفي ليلة مباركة وفي شهر رمضان معنى، هما متعلق المثبت والنافي.

فمن يُصحح الآثار ويُنزل تأويل الآيات السابقة على ذلك التنزل الأول الكلي وهم الجماهير مثبتون، ومن يضعف الآثار ويحمل معنى الآيات على ابتداء نزول القرآن لا نزولاً أولياً كلياً مختلفاً عن نزوله نجوماً هم النفاة وهم أفرادٌ من العلماء.

أما المثبتون فهم الجماهير وقولهم هو الصواب، لا شك في ذلك.

٥ ـ لما رد الله على المشركين شغبهم في عدم نزول القرآن جُملةً واحدةً، بين سبحانه الحكمة من ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، والمراد تقوية القلب حتى يعي القرآن ويحفظه ويفهم معانيه ويضبط حروفه وألفاظه.

ولم يُطِل الصحابة والتابعون العبارة في استقصاء الحكم والأسرار من نزول القرآن منجماً، وهو النزول الثاني بعد النزول الأول الكلي، إنما فهموا الحكمة المنصوص عليها في القرآن ولم يتجاوزوا ذلك، ولعل لفظ القرآن ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، يكتنز قطوفاً من الثمار والأسرار لهذا النزول المنجم، وهو ما تنوعت عبارات أهل التفسير وعلوم القرآن في تعدادها وتجليتها.

---

(١) النزول الأول في ليلة القدر الرابع والعشرين من رمضان، والثاني على مرِّ ثلاث وعشرين سنة من بعثة النبي ﷺ إلى أن حمي الوحي وتتابع قبل وفاته، ونزول آخر آية من القرآن.

٦ ـ من المسائل التي تكلم فيها الصحابة والتابعون في نزول القرآن مسألة المدة التي نزل فيها القرآن من السنين ومقدار ما بين أوله وآخره، ومجمل الأقوال:

١ ـ أن مدة النزول ثلاث وعشرون سنة.

٢ ـ أن مدة النزول عشرون سنة.

٣ ـ أن مدة النزول ثماني عشرة سنة كما هو قول الحسن، وروي عنه ما يخالف ذلك وأنها عشرون سنة.

ولم يختلفوا في مدة نزول القرآن بالمدينة وأنها عشر سنين، وإنما الخلاف في ما كان بمكة.

ومعظم الروايات عنهم، وصح عن عائشة وابن عباس أنها عشر بمكة وعشر بالمدينة، فيكون بين أوله وآخره عشرون سنة، وعلى هذا فلم يحسبوا الثلاث الأُوَلَ بمكة إنما عدُّوا ابتداء الوحي حين حمي وتتابع وأسقطوا ما عُرف بفترة الوحي، والله أعلم.

قال الحافظ أبو شامة موضحاً علة الاختلاف في ذلك:

«وكان بين نزول أول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة.

وهو مبني على الخلاف في مدة إقامة النبي ﷺ بمكة بعد النبوة، فقيل: عشر، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: خمس عشرة، ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر، والله أعلم»[(١)].

والصحيح أن وفاته ﷺ عن ثلاث وستين سنة، وبعث على رأس الأربعين، فتحصل من هذا ثلاث وعشرون سنة، فمن قال بمكثه في مكة ثلاث عشرة سنة يتنزل عليه القرآن فقد أدخل مع العشر ثلاثاً هي فترة الوحي كما يقوله بعض العلماء، ومن قال بعشر في مكة لم يحسب هذه الثلاث.

وبهذا يجمع بين أرجح القولين في مدة نزول القرآن عليه في مكة، والأمر يسير، والله أعلم.

---

(١) المرشد الوجيز (٢٩)، وكذا قاله الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٤).

وللعلماء استدراكات على بعض ما مرّ من تحديد مدة نزول القرآن.

فابن عطية غمز قول الحسن السالف بأن مدة الوحي ثماني عشرة سنة بقوله: «وهو قول مختل لا يصح عن الحسن»(١).

وقال النووي: «واتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون، وتأولوا الباقي عليه، فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر، ورواية الخمس متأولة أيضاً، وحصل فيها اشتباه، وقد أنكر عروة على ابن عباس».اهـ(٢).

قلت: وكلامه هذا في تعيين عمر الرسول ﷺ وينبني عليه خلافهم في تحديد مدة نزول الوحي.

والقول بأن مدة الوحي في أحد الآراء خمس وعشرون سنة لم أجده أثراً صريحاً، إنما هو مستخلص من القول بأن عمره خمس وستون سنة.

٧ ـ محل البحث في نزول سور كاملة هو في السور الطويلة أو متوسطة الطول.

أما نزول سورٍ قصارٍ نزولاً كاملاً كالإخلاص والمعوذات والمسد والفيل ونحوها من السور فهذا مما لا ينبغي الاختلاف فيه، ومن الظهور بمكان، أما السور الطويلة أو متوسطة الطول فحملت آثارهم تعيين ست سور نزلت كاملة، وهي:

١ ـ الصف، وصح الخبر بذلك.

٢ ـ المرسلات، وهو خبر صحيح.

٣ ـ الفتح، في خبر المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، وصححوا الأثر.

٤ ـ سورة الكهف، وأتى الخبر عن نزولها جُملةً، في حديث أنس بن مالك عند الديلمي.

٥ ـ سورة المائدة، وجاء في خبرٍ فريدٍ عن أسماء بنت يزيد وفيه كلام.

٦ ـ سورة الأنعام، وهي أكثرُ السور آثاراً بذلك وهي من السبع الطوال، أما الأوليان فهما من أوساط المفصل، والمائدة من الطوال، والفتح من أواسط السور.

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٥٥٥).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٥/ ٩٩).

وسورة الأنعام المكية تكاثرت أخبار نزولها جُملةً واحدةً في حشدٍ شيَّعها من الملائكة، وتنوعت المرويات إلى ما هو حديث مرفوع، وموقوف على الصحابة، ومن رواية التابعين، وسَلَفَ كلام ابن الصلاح في أنه لم يرَ لهذا إسناداً صحيحاً، وروي ما يخالفه وأن آياتٍ منها نزلت بالمدينة، وهذا يعارض دعوى نزولها جُملةً بمكة ليلاً.

قلت: وتعدد طرق الرواية في نزولها جُملةً، والشواهد المذكورة يقوي بعضها بعضاً مما يتوجه إلى أن الخبر بمجموع طرقه وشواهده ثابت له أصل، وتبقى هذه الدعوى مستلزمة للتوجيه؛ لأن هناك آثاراً تستثني من مكيتها بعض الآيات، وبعض آياتها قد أوردوا أسباباً لنزولها، فكيف يلتئم ذلك ويتفق مع نزولها جُملةً واحدة؟.

أما استثناء آيات من مكيتها فتقدمت رواية الكلبي، وروي عن ابن عباس وغيره استثناء ست آيات منها نزلت بالمدينة(١).

ومن يختار نزولها جُملةً واحدةً لا يستثني منها شيئاً نزل بالمدينة ويقرر أنها مكية كلها دون استثناء.

وأما ما ذكر لبعض آياتها من أسباب كان جلها من وقائع المشركين وسؤالاتهم للنبي ﷺ.

وقليل منها وقائع لليهود نزلت الآية بسببهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١](٢).

فيجاب عن هذا: بجواز اجتماع أسباب متعددة ووقائع مختلفة ثم تنزل السورة كلها وفي ثناياها الآيات ذوات الأسباب، ويبقى أمر استثناء آيات منها نزلت بالمدينة قَلِقٌ؛ لأن حادثة السبب كانت بالمدينة مما يلزم فيه التخريج.

وقد قال ابن عاشور جواباً لهذا بعد أن صحح نزولها جُملةً واحدةً ما نصه:

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٥)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨)، التفسير الكبير (١٢/ ١١٧)، البحر المحيط (٤/ ٧٢)، التحرير والتنوير (٧/ ١٢١).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٧٤، ٣٧٥).

«واعلم أن نزول هذه السورة جُملةً واحدة على الصحيح لا يناكد ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها؛ لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة، فقد تجتمع أسباب كثيرة في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة فيكون نزول تلك الآيات مسبباً على تلك الحوادث.

وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مدنية أُلحقت بسورة الأنعام لمناسبات، على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارنة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه».اهـ[١].

قلت: واجتماع أسباب في العهد المكي ثم نزول السورة كاملة بسببه على تلك الوقائع توجيه معتبر.

أما الأسباب الواقعة في المدينة من حوادث وقعت من اليهود نزلت بسببها بعض آيات السورة فلا تتواءم مع توجيه ابن عاشور، وهي موطن نظر وتأمُّل.

وقد أجاب المفسر محمد رشيد رضا عن هذا الإشكال وهو ممن يرى نزول السورة جُملةً واحدةً، فقال: «ويمكن أن يدفع الإشكال:

أولاً: بأنه لم يقل أحد بأن لكل آية من آيات هذه السورة سبباً، وإنما قيل ذلك في زهاء عشرٍ من آياتها.

ثانياً: أن ما قيل في أسباب نزول تلك الآيات بعضه لا يصح، والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة، وإنما قالوا: إن آية كذا نزلت في كذا أو في قول المشركين كيت وكيت، وهذا هو الأكثر، فإذا صح كان معناه: أن تلك الآيات نزلت بعد تلك الوقائع مبينةً حكم الله فيها، وهذا لا ينافي نزولها دالةً على ذلك في ضمن السورة».اهـ[٢].

ورابع السور المدعى نزولها كاملة هي سورة الفتح كما في خبر المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

وقولهم: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها، يحتمل تفسيرين:

---

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١٢٣).

(٢) تفسير المنار (٧/ ٢٨٦).

الأول: أن قولهم: (من أولها إلى آخرها) لا يقتضي نزولها دفعة واحدة، بل كان نزولها في مدة لبثه بالحديبية، أو من زمان سفره من مكة إلى رجوعه المدينة، فتكون على دفعات حسب مكثه بالحديبية.

الثاني: أن مرادهم نزولها جُملةً واحدةً، وهذا لا يشوش عليه لما نزل صدرها قال المؤمنون: هذا لك يا رسول الله فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥]، كما ذكروا في سبب النزول، فليس ثمة فاصل مؤثر برغم هذا السبب، فقد نزل صدر السورة ثم تكامل نزولها دفعة واحدة، فصح ما أُثر من نزولها جُملةً، والله أعلم.

وأما ما ورد نزول المائدة كلها فلم يأت إلا في خبر أسماء بنت يزيد وهو خبر ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وتقدم ما قاله البوصيري تعليقاً على خبر أسماء، وبالجملة فقد تفردت به، ولعل هناك وهماً مع سورة الأنعام، سيما وأنها روت كذلك خبر نزول الأنعام جُملةً في موقف مطابق لأثر المائدة، وهي آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ.

ومثل تفرد الخبر بنزول المائدة جُملةً كان الخبر بنزول سورة الكهف جُملةً في حديث أنس بن مالك، وقال ابن عاشور بمضمون هذا الخبر وعدَّها من السور التي نزلت جُملةً، قال: وقد أغفل هذا صاحب الإتقان.اهـ[(١)]؛ يعني: أن السيوطي لم يعدها ضمن ما نزل جُملةً من سور القرآن، مع أنه لم يأت فيها إلا خبر أنس عند الديلمي، وليس مظنة الصحة سنداً، والله أعلم.

٨ ـ تعددت آثارهم في أن نزول القرآن كان خمساً خمساً كما جاء عن عمر، وأبي سعيد الخدري، وعلي، وابن عباس، وطائفة من التابعين، ولهذا يستحبون تعليم القرآن بمقدار خمس آيات خمس آيات؛ لمكان الاقتداء بالوحي عند نزوله.

وهذا القدر أدعى للحفظ، وأجود للضبط، وأظهر للعناية بمن يُوحى إليه إذا تجدد النزول بتجدد الوقائع.

وهذا المقدار في نزول القرآن محمول على غالب أحوال الوحي المنزل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٤٢).

أو في ما كان نزوله ابتداء دونما سبب، وما ذاك إلا لورود آثار قل عدد الآيات حين نزولها عن هذه الخمس أو زادت، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ نزول جزء من الآية فلم يصل حتى لآية كاملة عند قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ثم نزلت في الخبر الصحيح ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]. فهذا جزء من آية لا آية كاملة.

٢ ـ في حادثة الإفك وتبرئة القرآن الصدِّيقة المطهرة نزلت عشر آيات متتابعات، وقيل: بل نزلت في شأن ذلك ثماني عشر آية، وقيل: خمس عشرة آية[(١)].

وهذا الملحظ عرض له السيوطي في الإتقان[(٢)].

والمقصود ثبوت نزول القرآن في غالب أحواله خمساً خمساً؛ لأن تعدد آثارهم واختلاف طرقها وإن ضعفت بعض المرويات منها إلا أنها بمجموعها يثبت بها الخبر.

وإذا عُلم هذا فيحسن التأكيد على أمور:

١ ـ أن تَعَلُّمَ خمس آيات من القرآن كما نطقت به نصوصهم محمول على الاستحباب لا على الحتم والإيجاب.

٢ ـ أن ما روي عن ابن مسعود، وأبي عبد الرحمٰن السلمي من أنهم كانوا يتعلمون عشر آيات، ولا يجاوزونهن حتى يعملوا بهن لا يخالف المتقرر من تعلم القرآن خمساً خمساً، ومَردُّ ذلك من وجهين:

أ ـ أن هناك فرقاً بين تعلم المرة الواحدة وتعلم اليوم الواحد، فيحتمل أن العشر تتعلم في اليوم الواحد لا المرة، فيكون نصيب الغداة خمساً والعشي خمساً، وهذا أُشير له في إحدى الروايات عن أبي عبد الرحمٰن السلمي.

ب ـ أن تعلم العشر لا يدل ضرورة على أنها في مجلس واحد، بل قد يكون على مرتين، ثم لا تتجاوز هذه العشر حتى يعرف معانيهن ويطبق ما فيهن من عمل.

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٧٦)، التفسير الكبير (٢٣/ ١٥١)، روح المعاني (١٨/ ١١٥).
(٢) الإتقان (١/ ٢٨٦).

وعلى كلٍّ، فهذا الجانب يُذكي الهمم ويقدح زناد العزائم لمزيد التأمل وعميق النظر في أحوال الوحي ونزوله، وانظر إلى ما خرج به الصحابة وغيرهم من تأمل غالب أحوال نزول القرآن خمساً فبنوا عليه مشروعية التعلم بهذا القدر احتذاءً بالوحي واستناناً به.

وعلم نزول القرآن إن وصف بأنه علم تأريخي يصف مراحل نزول القرآن وزمانه، ويكشف عن هذه الحقبة النورية المهمة، ومستنده الآثار والمرويات، فإن ذلك لا يمنع من استخراج الفوائد، والتقاط المعاني وإن كان وصفاً تاريخياً.

وما هذه المسألة الآنفة وما تفنن فيه المتأخرون من توصيف أسرار حِكَم النزول المنجم إلا من ذلك.

نزول القرآن عند أهل علوم القرآن

[أ] تسمية هذا العلم:

لم يؤثر عن الصحابة والتابعين تسمية هذا العلم القرآني كما سموا بعض العلوم القرآنية، وإطلاق علم (نزول القرآن) تسمية مطابقة، وبدا تنوع عنونة أهل العلم هذا الفن القرآني.

فمنهم من أطلق عليه (نزول القرآن)(١).

ومنهم من عنون له بـ (تنجيم القرآن) وهذه لفتة بارعة؛ لأن مدلول هذا العنوان الاقتصار على النزول المنجم وإشارة خفية إلى عدم تكرار النزول فليس عندهم إلا النزول المتفرق المنصوص عليه في القرآن، ولا يذهبون إلى صحة النزول الأول الكلي إلى السماء الدنيا، وممن سماه بهذا من أهل علوم القرآن طائفة من المعاصرين(٢).

والتسمية للعلم بنزول القرآن أو تنجيم القرآن يفهم منه ما سبق غالباً، ولا يعني: ضرورةً أن من يسميه بـ نزول القرآن يستلزم منه القول بتعدد النزول.

ولا كذلك من يطلق عليه (تنجيم القرآن)؛ يعني: أنه لا يرى القول بنزول القرآن جُملةً إلى السماء الدنيا.

ومن المسميات الأُخرى عندهم لهذا العلم:

---

(١) الزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٣٧)، وأبو شهبة في المدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٠)، والقطان في مباحث في علوم القرآن (ص٩٥)، وعبد الله الجديع في المقدمات الأساسية (٣٢)، وفهد الرومي في دراسات في علوم القرآن (٢١٠).

(٢) منهم: الشيخ صبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن (٤٩)، ومحمد لطفي الصباغ في لمحات في علوم القرآن (٥٦)، وغانم قدوري الحمد في محاضرات في علوم القرآن (٢٨)، وظهر منه ميل إلى القول بالنزول إلى السماء الدنيا جُملةً، لكن عنون للعلم بـ: تنجيم القرآن والحكمة منه.

(في البيان عن كيفية نزول القرآن وتلاوته) أبو شامة[١]، (في كيفية إنزاله) الزركشي[٢]، (في كيفية إنزاله) السيوطي[٣]، (علم نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا) ابن عقيلة[٤].

ولا أحبذ تصدير العلم بلفظة (كيفية)؛ لأن فيه ما يُشعر بالوجهة العقدية عند كثير من المصنفين الذين بسطوا العبارة في كيفية هذا النزول ونَحَوا بالعلم منحى عقدياً تباينت فيه الآراء وتشعبت المناهج، والحق واضح مستنير.

[ب] انقسم علماء علوم القرآن إلى فريقين:

فريق يرى أن للقرآن تنزيلين إلى السماء الدنيا جُملةً، ونزوله مفرقاً على عددٍ من السنين.

وفريق آخر يرى أن القرآن لم ينزل إلا النزول المنجم على النبي ﷺ، والمراد بالآيات التي أثبتت نزوله في شهر رمضان وليلة القدر والليلة المباركة ابتداء النزول لا نزوله جُملةً[٥].

وكلٌ دعم قوله بالأدلة التي يراها، وقد برع الحافظ السيوطي في جمعه الآثار المروية في نزول القرآن جُملةً، وحكم على أسانيد بعضها بالصحة، وهذا دأبه الذي تفرد به من استقصاء الآثار وتجلية كثير منها بالحكم على السند وبيان قوته من ضعفه[٦].

---

(١) المرشد الوجيز (ص١٧). (٢) البرهان (١/ ٢٨٩).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (ص٢٦٨)، وفي التحبير (كيفية النزول) (ص١١٥).
(٤) الزيادة والإحسان (١/ ١٥٢).
(٥) من أصحاب القول الأول أبو شامة في المرشد الوجيز (ص٢٨)، والزركشي في البرهان (١/ ٢٨٩، ٢٩٠)، والسيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٨)، وابن عقيلة في الزيادة والإحسان (١/ ١٥٢، ١٥٣)، والزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٤٠)، وأبو شهبة في المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٥٢)، والقطان في مباحث في علوم القرآن (ص٩٨)، والرومي في دراسات في علوم القرآن (ص٢١٦)، وعبد الله الجديع في المقدمات الأساسية (ص٣٥)، ومحمد الشائع في نزول القرآن (ص٣٩).
ومِمن ذهب إلى القول الثاني: صبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن (ص٥٠، ٥١)، ومحمد لطفي الصباغ في لمحات في علوم القرآن (ص٥٦)، ود. فضل عباس في غذاء الجنان بثمر الجنان محاضرات في علوم القرآن (ص٨٥، ٨٦).
(٦) الإتقان (١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٥).

وجمعت من أدلة من يرى للقرآن نزولاً واحداً وينفي النزول الكلي إلى السماء الدنيا، ما يلي:

- رد محمد عبده قول الجماهير بحجة أن مضمون خبر ابن عباس لا يُقبل إلا بنص متواتر من القرآن، أو خبر متواتر عن النبي ﷺ، وأنه لا يجوز الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه، ووافقه صبحي الصالح في عدم الاعتماد إلا على ما تواتر يقيناً من الكتاب والسُّنَّة، وصحة الأسانيد في هذا القول لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده(١).

وزاد كذلك أن القرآن لم يصرح إلا بتفريق القرآن وتنجيمه(٢).

وتوسع د. فضل عباس في الاحتجاج لرد هذا القول بأدلة يراها كفيلة في اطراح هذا القول:

- لم يصل من كتاب أو سُنَّة صحيحة، إنما هي آثار موقوفة على ابن عباس تحتاج إلى تمحيص أسانيدها.
- يمكن أن يكون ابن عباس فهم ذلك من الآية، والقول بأنه لا يمكن أن يكون رأياً لابن عباس رأيٌ غير مسلَّم.
- يلزم بأن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ في رمضان؛ لأن آثارهم تقول بنزوله إلى السماء الدنيا.

وهذا خلاف إجماع الأمة من أن القرآن نزل على محمد ﷺ في رمضان.

- لو كان المقصود بنزوله إلى السماء الدنيا لم يكن لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] كبير فائدة.

أن الله منَّ علينا بالهداية بأن كرَّمنا بهذا القرآن.

وهذه المنة إنما تتحقق بنزول القرآن ليتعظ ويعتبر، وهذا غير متحقق بنزوله إلى السماء الدنيا(٣).

وبعض العلماء أشار إلى أن أثر ابن عباس ضعيف، دون تفصيل في ذلك(٤).

---

(١) تفسير جزء عم (ص١٣٢).
(٢) مباحث في علوم القرآن (ص٥٠، ٥١).
(٣) غذاء الجنان بثمر الجنان، محاضرات في علوم القرآن (٨٥ ـ ٨٧).
(٤) تفسير سورة البقرة للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٣٣٢).

والجواب عن هذه الأدلة أن الآثار المروية عن ابن عباس وجماعة لها حكم الرفع، وقد تعددت طرقها وأسانيدها مما يقطع بأنها أخبار ثابتة صحيحة، ولهذا اعتمدها العلماء المحققون واستندوا إليها في تصنيف نزول القرآن إلى نزولين.

ويلاحظ أن محمد عبده، وصبحي الصالح وغيرهما من العلماء لا يَرُدُّون الآثار لضعفها، بل لأن مثلها لا يقبل إلا بأخبار متواترة من الكتاب والسُّنَّة، وهذا يرجع إلى رأي ابتدعته بعض الفرق المخالفة وتشبث به العقلانيون المعاصرون، ألا وهو ردهم أخبار الآحاد واطراحها في كثير من المسائل بدعوى أن ما تحمله من مضامين لا يقبل فيه إلا المتواتر المقطوع به.

وهذه طريقة يبطلها أهل العلم الأثبات فلا يفرق بين الأخبار بهذا، بل كل ما صح إسناده وسلم من الشذوذ والعلة القادحة قُبل واحتُج به.

ثم إن مضمون أخبار نزول القرآن جُملةً إلى السماء الدنيا ليست من مسائل الاعتقاد حتى يقفوا منها هذا الموقف الرافض، وهذا الوجه رد به الشيخ محمد أبو شهبة على محمد عبده(١).

أما من قال بأن الأثر ضعيف، فالجواب عنه قد سلف، أما القول بأن القرآن لم يصرح إلا بتفريق القرآن وتنجيمه، فالجواب عن هذا أن الآثار الصحيحة صرحت بذلك وهي في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وما قاله النبي ﷺ وصح إسناده تعين قبوله واعتماده.

أما ما حشده الدكتور فضل عباس من أدلة لرد قول الجمهور فالجواب عنها كما يلي:

١ ـ الآثار الموقوفة على ابن عباس قد محَّص أسانيدها العلماء النقاد، وخلصوا إلى صحتها والحكم بأنها من المرفوع.

٢ ـ لم يقل أحدٌ من العلماء إن ما ذكره ابن عباس في تلكم الآثار قد يكون من قبيل رأيه وحسب فهمه الآية، بل هم مجمعون قاطبة على أن ذلك مما لا مجال للرأي فيه.

---

(١) المدخل إلى دارسة القرآن الكريم (ص٥٤).

والقول بأن ذلك قد يكون رأياً منه قول باطل، ولو نظر الناظر في الآيات القرآنية لظل عاجزاً ما بقي، ولما استطاع استخلاص مسائل النزول تلك من ظواهر الآيات.

٣ ـ قوله بأن لازم ذلك القول أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ في رمضان، قد يعتبر إذا لم يكن في الدنيا إلا رمضان واحد!!، وبقية الأدلة ذكرها كافٍ في إبطالها.

[ب] نص بعض مصنفي علوم القرآن بأن للقرآن ثلاث تنزلات، والثالث الذي أضافوه: نزوله في اللوح المحفوظ، مدعمين هذا الرأي بآية: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢][(١)].

ولم أجد من السلف من نصَّ على هذا النزول، وليس في الآية المحتَج بها ذكرٌ للنزول، إنما هو إثبات للقرآن مكتوباً في اللوح المحفوظ، فأين هذا وأين النزول؟ ومجرد إثباته لا يطلق عليه إنزال، ولا يصح ذلك لغة، ولم يطلق عليه في الذكر تنزيل أو نزول.

[ج] ذكر بعضهم حِكَماً لنزول القرآن جُملةً إلى السماء الدنيا، وهذا مما لم يذكر في نصوص الصحابة والتابعين عند نزولهم النزول الأول[(٢)].

[د] أفاض أهل علوم القرآن في استجلاء حكم نزول القرآن منجماً، وأطنبوا في ذلك بكلام طويل ـ وبخاصة المعاصرين منهم ـ وقد تقدم أن الصحابة والتابعين وقفوا عند نص القرآن في بيانه للحكمة ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] ولم يزيدوا، وهذا غير مانع من مدارسة النص المبين عن الحكمة والخروج بأسرار وفوائد[(٣)].

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٤٠)، الواضح في علوم القرآن لمصطفى ديب البغا (ص٤٦)، اللآلئ الحسان في علوم القرآن (ص١٦).

(٢) جمال القراء للسخاوي (١/ ٢٠، ٢١)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٧٦، ٢٧٧)، المرشد الوجيز (ص٣٢ ـ ٣٤).

(٣) معظم من تكلم في مسألة نزول القرآن توسع في بيان حكم نزول القرآن منجماً.
انظر على سبيل المثال: المرشد الوجيز (ص٢٧، ٢٨)، الزيادة والإحسان (١/ ١٥٦)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٥٢ ـ ٦٣)، مناهل العرفان (١/ ٤٨ ـ ٥٤)، المدخل لدراسة القرآن لمحمد أبو شهبة (ص٧٠ ـ ٨٢)، تاريخ القرآن الكريم، محمد سالم =

[هـ] من المسائل التي بحثوها: مسألة مدة نزول القرآن، وهي مسألة مأثورة عن الصحابة والتابعين[١]، وحدَّد بعضهم المدة بـ ٢٢ سنة وخمسة أشهر ونصف الشهر تقريباً، وحمد الله أن هداه لهذا[٢].

[و] ذهب عدد من العلماء إلى مذهب السيوطي في مقدار ما كان ينزل من الآيات[٣].

وخلاصة رأي السيوطي بعد أن استقرأ الأحاديث الصحيحة وغيرها:

أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشراً، وقد صح نزول العشر الآيات في قصة الإفك جُملةً، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جُملةً، وصح نزول ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] وحدها وهي بعضُ آيةٍ[٤].

أجاب السيوطي ـ بعد تقرير ما تقدم ـ عن أثر أبي سعيد الخدري بأن معناه ـ إن صح ـ: إلقاؤه إلى النبي ﷺ هذا القدر حتى يحفظه، ثم يلقي الله الباقي، لا إنزاله بهذا القدر خاصة[٥].

ونتج عن هذا أن السيوطي لا يرى تنزل القرآن خمساً خمساً، وإنما ينزل ثلاثاً أو خمساً أو أقل أو أكثر، بل إنه في التحبير قال في مسألة: **في قدر ما كان ينزل**.

بعد أن ذكر أثر عمر وأبي العالية...: «وفي النفس من هذا كله شيءٌ»[٦].

= محيسن (ص١٣، ٢٥)، لمحات في علوم القرآن، محمد لطفي الصباغ (٥٨ ـ ٦٦)، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص٢٢٧ ـ ٢٤٧)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص٩٩ ـ ١١٦).

(١) المرشد الوجيز (٢٩)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٤)، مناهل العرفان (١/ ٤٦)، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص٢٢٦).

(٢) هو: الشيخ محمد أبو شهبة في المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٥٦).

(٣) الإتقان (١/ ٢٨٦).

(٤) الزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/ ١٥٧، ١٥٨).

(٥) الإتقان (١/ ٢٨٨)، ونقله ابن عقيلة في الزيادة والإحسان (١/ ١٥٨).

(٦) التحبير (ص١١٧)، ولا أدري ما الذي تردد في نفس الحافظ ﷺ، أهي أسانيد تلك الآثار أم مخالفتها لما استقرأه من الأحاديث الصحيحة كما قال في الإتقان وكرره في التحبير (ص١١٧) من أن القرآن كان ينزل على حسب الحاجة خمساً وعشراً وأكثر وأقل وآية وآيتين؟.

ولم يظهر احتفاء أهل علوم القرآن بهذه الآثار واستحبابهم تعلم القرآن خمساً خمساً، كما هو غالب أحوال نزول الوحي، وهو أمر استحبه السلف ونصوا عليه في مروياتهم.

[ز] حاول بعض العلماء الجمع بين الأقوال في نزول القرآن، وعضَّد ابن عقيلة ما يراه من وجه للجمع بينها بأثر الضحاك عن ابن عباس ـ وتقدم ـ وهو أثر ضعيف سنداً(١).

[ح] تقدم أن الصحابة والتابعين لم يخوضوا في كيفية تلقي جبريل الوحي من ربه؛ لأن اعتقاد تكلم الله بالوحي وسماع جبريل منه دون واسطة من اليقين في نفوسهم، فما احتاجوا إلى الإفاضة فيه.

أما أهل علوم القرآن فشغلت هذه القضية حيزاً من كتابتهم في نزول القرآن وسوَّدوا الصحائف بجملة من الأقوال وطائفة من الآراء، وكلٌّ حسب اعتقاده في هذه المسألة المهمة.

وزادوا: هل ما نزل به جبريل اللفظ والمعنى أم المعنى واللفظ من عنده أو من عند النبي ﷺ؟(٢).

[ط] ختاماً: أنبه إلى تميز الحافظ السيوطي في سعة إيراده كثيراً من الآثار المرفوعة في نزول القرآن، وفي ما تفرع من هذا العلم من أنواع أفردها السيوطي استقلالاً مثل:

ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً(٣).

ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً(٤).

---

(١) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (ص١٩، ٢٠)، الزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) البرهان (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، الإتقان (١/ ٢٨٩، ٢٩٧)، الزيادة والإحسان (١/ ١٦٠) وخصص له علماً مستقلاً سماه: علم معنى نزوله، وإنزاله، وتنزيله، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٦٠ ـ ٦٧).

(٣) النوع الرابع عشر (١/ ٢٤٤)، وعنون له الزركشي بـ: ما نزل شيعاً (١/ ٢٥٦).

(٤) النوع الثالث عشر (١/ ٢٤٧)، وفي التحبير ذكر: ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً (ص١١٣) ولم يذكر النوع الآخر.

وحلَّى عدداً من هذه الآثار بحكمه على أسانيدها، وأحياناً يسوق الأثر بسنده وهذا مفيدٌ حين يكون مصدر الأثر من الكتب المفقودة، وهي مزايا حازها السيوطي، وعليه استند من جاء بعده من مصنفي علوم القرآن في كثير من العلوم.

الفصل الثاني

علم أسباب النزول

وفيه ثمان مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية هذا العلم.
- المسألة الثانية: فوائد معرفة أسباب النزول.
- المسألة الثالثة: من أسباب الخطأ في تفسير الآية: الجهل بسبب نزولها.
- المسألة الرابعة: صيغ أسباب النزول، وبيان الصيغ الصريحة من غيرها.
- المسألة الخامسة: إجلالهم من تنزل بسببهم أو فيهم الآيات، وعدُّ ذلك من مناقبه.
- المسألة السادسة: أنواع أسباب النزول.
- المسألة السابعة: تعدد النازل من الآيات والسبب واحد.
- المسألة الثامنة: علاقة علم أسباب النزول بالعلوم القرآنية تأثراً وتأثيراً.

[علم أسباب النزول]

۞ المسألة الأولى ۞

أهمية هذا العلم

١ ـ جاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلا ذات يوم فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فأرسل إلى ابن عباس: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنا أُنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل، وإنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا... فعرف عمر قوله وأعجبه(١).

٢ ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إلـٰه غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أُنزلت؟ ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه(٢).

٣ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يا أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين لوحي المصحف آية تخفى عليّ فيم أُنزلت؟ ولا أين أُنزلت؟ ولا ما عُني بها(٣).

وبلفظ: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أُنزلت؟ وأين أُنزلت؟ إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً(٤).

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٨١) [٩٤]، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٧٦) [٤٢]، والخطيب البغدادي في الجامع (٢/ ١٩٤) [١٥٨٧]، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٥) [٢٢٨٣].

(٢) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره**، وهو مخرج في الصحيحين.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٠) في ترجمة علي بن أبي طالب، قال محققو الإتقان: =

٤ ـ قال ابن عباس ﷺ: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها؟ أو لم يفطنوا لها فيسألوا عنها؟» قال الراوي(١): ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غداً، فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا إليها؟ فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها، قال: نعم، إن رسول الله ﷺ قال لقريش: يا معشر قريش إنه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟ فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧] قلت: ما يصدون؟ قال: يَضِجُّون، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] قال: هو خروج عيسى ابن مريم ﵇ قبل يوم القيامة(٢).

٥ ـ عن ابن سيرين ﵀ قال: سألت عَبيدة(٣) عن شيء من القرآن فقال: اتق الله وعليك بالسداد، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن(٤).

= وفي إسناده أبو بكر بن عياش السلمي وهو مقبول. الإتقان (٦/ ٢٣٢٦).

(١) هو: أبو يحي المُعَرْقَب واسمه: مِصدَع، مولى ابن عقيل الأنصاري. انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٨٥، ٨٦) [٢٩١٨]، وحسَّن المحققون سنده، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ١٥، ١٦) [٩٨٦]، والطبراني في المعجم الكبير دون القصة في أوله (١٢/ ١٥٣، ١٥٤) [١٢٧٤٠]، قال في مجمع الزوائد: وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره، وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح (٧/ ١٦٥، ١٦٦).

(٣) هو: عَبيدة بن عمرو السلماني المرادي، أبو مسلم، ويقال: أبو عمرو، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يره، من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء، روى عن عبد الله بن مسعود، وابن الزبير، وعلي بن أبي طالب، قال عنه سفيان بن عيينة: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يوازي شريحاً في القضاء، توفي سنة (٧٢هـ) وقيل غير ذلك.
انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (ص٤٦٦) [١٦٥٦]، طبقات ابن سعد (٨/ ٢١٣) [٢٨١٠]، تهذيب الكمال (١٩/ ٢٦٦) [٣٧٥٦].

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٥٧) [٢٠٥]، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٢١٥)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢١٣) [٨٤٨]، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٨٥) [٤٤]، وصحَّح =

٦ ـ عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أُنزلت وما أراد بها(١).

❁ المسألة الثانية ❁

فوائد معرفة أسباب النزول

أولاً: معرفة معنى الآية على وجه صحيح، بحيث لو جهل السبب لم يصب المعنى، وأُولت الآية على تفسير خاطئ.

أمثلته:

أ ـ حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أُنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّل(٢)، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾(٣).

= المحقق سنده وقال: على شرط الشيخين، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/٤٩٨) [٣٠٧٢٣]، والطبري في تفسيره (١/ ٨٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص٩٧) [٤]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) [٢٢٨٢]، وصحَّح سنده ابن حجر في مقدمة العجاب (١/ ١٩٩).

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن بلفظ: ما أنزل الله ﷻ آية إلا ونحن نحب أن نعلم فيمن أُنزلت وما أراد بها (١/ ٢٧٦) [٨١].

(٢) المُشَلَّل: ثنية تأتي أسفل قديد من الشمال إذا كنت في بلدة (صعبر) بين رابغ والقضيمة، وفيها كانت مناة الطاغية. انظر: معجم البلدان ياقوت الحموي (٥/ ١٣٦)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية للمؤرخ عاتق البلادي (ص٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب: وجوب الصفا والمروة، وجُعل من شعائر الله (ص٢٦٦) [١٦٤٣]، ومسلم في كتاب الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (١/ ٥٨٠) [١٢٧٧].

ب ـ حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ، وفيه: ... فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنكم تتألون هذه الآية هذا التأويل وإنما أُنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو[١].

ج ـ عن البراء بن عازب ﷺ قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩][٢].

ثانياً: رفع الإشكالات الواردة على الآية وحسم تطرق الاحتمالات المتعددة إلى تأويلها.

أمثلة ذلك:

أ ـ عن أُبي بن كعب ﷺ قال: يا رسول الله، إن عِدَداً من عِدَد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦٥][٣].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (١/ ٤٩١، ٤٩٢) [٦٠٠]، وأبو داود (ص٣٦٤) [٢٥١٢]، والترمذي (٦٦٨، ٦٦٩) [٢٩٧٢]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٢٧، ١٧٢٨) [١٠٩٦٢]، والطبري (٣/ ٣٢٢، ٣٢٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٩٩) [٤٦٨٥]، وابن أبي حاتم (١/ ٢٩٤) [١٧٧٦]، وابن حبان (١١/ ٩، ١٠) [٤٧١١]، والحاكم (٢/ ٦٦٨) [٣١٤٢]، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٧٩) [١٨٤٢٨]، وصحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٩١، ١٩٢)، وساقه مسنداً كذلك ابن عبد الحكم في فتوح مصر (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ (ص٢٩٠) [١٨٠٣]. ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٧) [٣٠٢٦].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٣١٢) [١٧٣٨٧]، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٥١)، وإسحاق بن =

ب ـ عن مروان بن الحكم أنه قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئٍ فرح بما أُوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذَبَنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهوداً أو يسأل عنه، فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وفي لفظ مسلم: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب(١).

٣ ـ عن الشعبي أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦] فقيل: تزعم الخوارج أنها في الأمراء، قال: كذبوا، إنما أُنزلت هذه الآية في المشركين كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلوا منه؛ يعني: الميتة، وأما ما قتلتم أنتم فتأكلون منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون(٢).

ثالثاً: تعيين سبب النزول المعنى المراد من بين المعاني المحتملة في الآية.

أمثلته:

أ ـ عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأمرنا

= راهويه كما في المطالب العالية (١٥/ ٣٥٩) [٣٧٥٨]. وابن أبي حاتم كما أورده ابن كثير بسنده في تفسيره (١٤/ ٣٥). والحاكم (٣/ ٣١٤) [٣٨٧٤]، وصححه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٦٤) [١٥٨٢٢].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ (٧٧٩) [٤٥٦٨]، وذكره قبل في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ (ص٥٦٧) [٣٣٨٩]، ومسلم في صحيحه في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم (٢/ ١٢٨١) [٢٧٧٨].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢) [٧٨٧٦].

بالسكوت ونهينا عن الكلام»[(١)].

ب ـ عن مجاهد قال: كان ابن عباس ينكر على من يقرأ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] ويقول: كيف لا يكون له أن يَغُلَّ وقد كان له أن يقتل؟ قال الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢] ولكن المنافقين اتهموا رسول الله ﷺ في شيء من الغنيمة فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[(٢)].

رابعاً: تعيين من نزلت الآية فيه أو بسببه، وهذا بيانٌ للمبهمين ومعرفة فضل أصحاب الفضل وتصحيح الدعوى المغلوطة فيمن أُريد بالآية.

أمثلة ذلك:

أ ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أُسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢][(٣)].

ب ـ عن جابر بن عبد الله قال: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] بنو سَلِمة وبنو حارثة، وما نحب أنها لم تنزل، لقول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: «وقوموا لله قانتين» (ص٧٧٠) [٤٥٣٤]، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (١/ ٢٤٤) [٥٣٩].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٠١) [١١١٧٤]، والخطيب في تاريخه (٢/ ٢٤٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٥٦)، وكذا في تفسيره الوسيط (١/ ٥١٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص (١/ ١١٣٤، ١١٣٣) [٢٤١٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ (ص٦٨٦) [٤٠٥١]، ومسلم في صحيحه، فضائل الصحابة، من فضائل الأنصار (٢/ ١١٦٩) [٢٥٠٥].

ج ـ ما ورد من أن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥] إلى قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢٠] نزلت في أبي بكر الصديق وذكروا لذلك سبباً[١].

ومثله عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧] وأنها نازلة في صهيب الرومي[٢].

د ـ عن يوسف بن ماهك[٣] قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمٰن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٧] فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري[٤].

وفي رواية: كذب مروان، كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أُنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صُلبه، فمروان فَضَضٌ[٥] من لعنة الله[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٧٩، ٤٨٠)، والبزار مختصراً (٦/ ١٦٨) [٢٢٠٩]، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٨/ ٨٥)، والحاكم وصححه (٣/ ٣٧٦) [٣٩٩٧]، والواحدي في أسباب النزول (ص٧٢٠) [٤٤٤]، وابن عساكر في تاريخه (٣٠/ ٧٠، ٧١)، وحسَّنه بعضهم بشواهده. انظر: الصحيح من أسباب النزول، عصام الحميدان (ص٣٣٩).

(٢) انظر تلك الروايات في: الدر المنثور (٢/ ٤٨٤ ـ ٤٨٦).

(٣) هو: يوسف بن ماهك بن بُهزاد الفارسي، من موالي أهل مكة، حدث عن عدد من الصحابة: كأبي هريرة، وحكيم بن حزام، وعائشة، وابن عباس وغيرهم، وعنه: عطاء وكان من أقرانه، وأيوب، وابن جريج، ويعلى بن حكيم وآخرون، وثّقه النسائي وابن معين، وكان قليل الحديث كما قال ابن سعد، توفي سنة (١٠٣هـ).

انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٣١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٩، ٤٦٠).

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ (ص٨٥٤) [٤٨٢٧].

(٥) قال ابن سلام: فضض الحصى؛ يعني: المتفرق المتكسر، وكل شيئ تفرق من شيئ فقد انفض منه.... ومنه قول عائشة لمروان..... غريب الحديث (٤/ ٢٩٤)، وقال ابن الأثير في النهاية شارحاً قول عائشة: أي: قطعة وطائفة منه، (٣/ ٤٥٤).

(٦) رواه النسائي في الكبرى (٣/ ١٨٢٦) [١١٤٢٧]، وابن المنذر كما في فتح الباري (٨/ ٤٤٠)، والحاكم وصحَّحه (٥/ ٦٧٨) [٨٥٣٠]، وأعلَّه الذهبي للانقطاع، وأخرجه ابن مردويه =

خامساً: العلم بأسباب النزول تعود على مجموعة من علوم القرآن بالتأثر والتأثير، وسيأتي في مبحث مستقل.

سادساً: العلم بأن صورة السبب قطعية الدخول في الحكم العام ولا يجوز إخراجها إجماعاً.

أمثلة ما يستدل به على تقرير هذه المسألة من نصوصهم:

لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] قال الرجل: يا رسول الله ألي هذه؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**»(١).

وفي رواية مسلم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: «**بل للناس كافة**»(٢).

وهكذا في أسباب النزول قاطبة يقطع بدخول الصورة الوارد عليها السبب.

سابعاً: العلم بالأسباب ميدان للعلم بوقائع التاريخ وحوادث السيرة وإدراك أزمان التشريعات، وتدرج الشارع الحكيم في فرض أحكامه وإرساء شريعته.

والنصوص التي تستقى منها هذه الفوائد كثيرة.

❁ المسألة الثالثة ❁

من أسباب الخطأ في تفسير الآية الجهل بسبب نزولها

أمثلة ذلك:

أ ـ عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم

= كما في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٩٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة (ص٨٩) [٥٢٦].

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (٢/ ١٢٦٦، ١٢٦٧) [٢٧٦٣]، وفي بعض المصادر: بل للناس عامة، كمافي المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ١٢٧) [٢٧٧، ٢٧٨].

قال الباقلاني: وإذا نقل السبب والسؤال امتنع التعرض بتخصيصهما وإخراجهما من حكم الخطاب باتفاق. انظر: التقريب والإرشاد (٣/ ٢٩٦). وقال: ... إجماع الأمة على أنه لا يجوز تخصيص ما خرج عليه السؤال وما ورد عليه من السبب الخاص (٣/ ٢٩٥).

القيامة. . . فقال ابن مسعود: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، وإن قريشاً أبطؤا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»، فأخذتهم سنة حتى هكلوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله، فقرأ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٥][(١)].

ب ـ قال عروة سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أُختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أُنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ﴾[(٢)].

ج ـ حديث أبي أيوب الأنصاري وفيه: . . . . فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنكم تتألون هذه الآية هذا التأويل وإنما أُنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه يرد علينا ما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الروم (ص٨٣٨) [٤٧٧٤]، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الدخان (٢/١٢٨٨، ١٢٨٩) [٢٧٩٨].

(٢) تقدم تخريجه وهو في **الصحيحين**.

قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو(١).

د ـ عن مروان بن الحكم أنه قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئٍ فرح بما أُوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنُعذَّبَنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه، إنما دعا النبي ﷺ يهوداً أو يسأل عنه، فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وفي لفظ مسلم: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب(٢).

۞ المسألة الرابعة ۞

صيغ أسباب النزول، وبيان الصيغ الصريحة من غيرها

أ ـ قد أنزل الله القرآن فيك... ثم يسوق الآية:

أمثلة ذلك:

١ ـ ما جاء في سبب نزول آية اللعان وفيه:

يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: **«قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك»**(٣).

٢ ـ في حديث نزول صدر سورة المجادلة وفيه:

... قول النبي ﷺ: **«يا خولة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك»**، ثم قرأ

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريجه قريباً، **وهو مُخرَّج في الصحيحين**.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ (ص٨٢٧، ٨٢٨) [٤٧٤٥]. ومسلم في صحيحه، كتاب اللعان (٢/ ٦٩٥) [١٤٩٢]. ولفظه: قد نزل فيك وفي صاحبتك.

علي: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١](١).

ب ـ نزلت في فلان ثم يسمي صحابياً، وهي على نوعين:

النوع الأول: أن يكون الصحابي المسمى هو راوي الحادثة فيقول: نزلت فيّ يريد: نفسه.

النوع الثاني: أن يسمي صحابياً آخر أو جماعة.

أما النوع الأول فأمثلته:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»** قال الأشعث بن قيس: ما حدثكم أبو عبد الرحمٰن؟ فيَّ أُنزلت هذه الآية، ـ وبلفظ ـ: فيَّ نزلت، كان لي بئر في أرض ابن عم لي، فقال لي: **«شهودك»**، قلت: ما لي شهود، قال: **«فيمينه»**، قلت: يا رسول الله إذاً يحلف، فذكر النبي ﷺ هذا الحديث، فأنزل الله ذلك تصديقاً له، وفي رواية: فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧](٢).

٢ ـ قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٨]: فيَّ والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي فأبى أن يحاسبني بها، فأعطاني الله بالعشرين أوقية عشرين عبداً كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله(٣).

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٥٠٧)، وأحمد في مسنده (٤٥/ ٣٠٠، ٣٠١) [٢٧٣١٩]، وأبو داود في سننه (ص٣٢١) [٢٢١٤]، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ١٠٧، ١٠٨) [٤٢٧٩]، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٤٧) [٦٣٣]، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٦٠٥، ٦٠٦)، وابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ٩٢)، وحسَّنه ابن حجر في الفتح (٩/ ٣٤٣)، وحسَّنه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٥) [٢٢١٤].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب: الخصومة في البئر والقضاء فيها (ص٣٧٩) [٢٣٥٦] و[٢٣٥٧]، وكرره في [٢٤١٦] و[٢٦٦٦] وغير ذلك، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (١/ ٧٣، ٧٤) [١٣٧].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٤، ٢٨٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ٣٤٥) [١٠٠٢٦]، =

٣ ـ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢]»(١).

٤ ـ حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه وأن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال: حملتُ إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي... ففيَّ نزلت هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾(٢).

٥ ـ عن سعد بن أبي وقاص قال: أُنزلت فيّ أربع آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨]. وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

ثم ساق قصة نزول صدر المائدة، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠](٣).

وفي رواية أُخرى: فيَّ نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ

= وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (١٧/ ٣١٧) [٤٢٤٨]، والطبراني في الكبير (١١/ ١٧١) [١١٣٩٨]، وفي الأوسط (٩/ ٤٩) [٨١٠٣]، وقال ابن حجر: «هذا إسناد صحيح، رواه ابن مردويه في التفسير المسند عن أحمد بن الحسين عن عبد الله بن محمد عن إسحاق هكذا...». اهـ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: قتل أبي جهل (ص٦٧٠) [٣٩٦٧]، وكتاب التفسير، باب ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ (ص٨٢٦، ٨٢٧) [٤٧٤٤]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٩٨) [١١٢٧٩].

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ (٧٦٧) [٤٥١٧]، ومسلم في كتاب الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم (١/ ٥٤١، ٥٤٢) [١٢٠١].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢/ ١١٣٢، ١١٣٣) [٢٤١٢].

﴿وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] قال: نزلت في ستة، أنا وابن مسعود منهم، كان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء[١].

٦ - مثله عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل... فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾[٢].

٧ - عن أبي جبيرة بن الضحاك[٣] قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١] قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله: إنه يكرهه، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[٤].

النوع الثاني قولهم: نزلت في فلان ويسمي صحابياً آخر أو جماعة:

أمثلته:

١ - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنهم قالوا: إنما أُنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢/ ١١٣٣) [٢٤١٣]، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٠) [٢٤].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٨١)، والترمذي في كتاب تفسيرالقرآن، سورة البقرة (ص٦٧٢) [٢٩٨٧]، (٨٢) [١٠٨٩٢]، وابن ماجه (ص٢٦٠، ٢٦١) [١٨٢٢]، والطبري في تفسيره (٤/ ٦٩٩، ٧٠٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٢) [٢٨٤٨]، والحاكم (٢/ ٦٨٢) [٣١٨١]، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٠٦) [١٠٤]، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٣) هو: أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري الأشهلي، أخو ثابت بن الضحاك، ولد بعد الهجرة، لا يعرف اسمه، مختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث.
الاستيعاب (ص٧٨٩) [٢٨٧٦]، الإصابة (٤/ ٢١٨٠) [٩٦٦٨].

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٣٠/ ٢٢١) [١٨٢٨٨]، والبخاري في الأدب (ص١١٧) [٣٣٠]، وأبو داود (ص٦٩٩) [٤٩٦٢]، والترمذي (ص٧٤٣) [٣٢٦٨]، وابن ماجه (ص٥٣٥) [٣٧٤١]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٨٣٠) [١١٤٥٢]، وأبو يعلى (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣) [٦٨٥٣]، والطبري في تفسيره (٢١/ ٣٦٨)، وابن حبان (١٣/ ١٦) [٥٧٠٩]، والحاكم (٣/ ٢٦٥) [٣٧٧٦]، وغيرهم، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢١٨، ٢١٩).

وذلك أنهم قالوا: لو أنَّ لنا فتمنوا الدنيا[١].

٢ ـ عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري[٢] كان صائماً... فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧][٣]، وفي رواية أُخرى: إن أحدهم كان إذا نام قبل أن يتعشى لم يحل له أن يأكل شيئاً ولا يشرب ليلته ويومه من الغد حتى مغرب الشمس... قال: وأُنزلت في أبي قيس بن عمرو أتى أهله وهو صائم بعد المغرب... وذلك قبل أن تنزل هذه الآية، فأنزل الله فيه[٤].

وروى الطبري نحوه عن معاذ بن جبل، ونزولها في رجل من الأنصار يدعى أبا صِرمة[٥].

٣ ـ عن أنس بن مالك قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر،

---

(١) أثر علي ﷺ أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٦) [٣٧١٥]، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٨٦) [١٠٣٣١]، وروي كذلك بنصه عن عمرو بن حريث وغيره، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٩٤) [٥٥٤]، والطبري (٢٠/ ٥٠٩)، والطبراني كما في مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح (٧/ ١٦٥) [١١٣٢٩]، وأبو نعيم في الحلية١/ ٣٠٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٨٧) [١٠٣٣٢]، والواحدي في الأسباب (ص٥٩٦) [٣٧٤]، وقد صحح الإسناد السيوطي كما في الدر المنثور ونسبه علاوة على ما ذكر إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه (١٣/ ١٥٧، ١٥٨).

(٢) قيس بن صِرمة، وقيل: قيس بن مالك بن أوس بن صِرمة المازني، وقيل: هو صِرمة بن أبي أنس بن مالك بن عدي بن النجار الأنصاري الخزرجي، قال ابن إسحاق: وصِرمة هو الذي نزل فيه وفيما ذكرنا من أمره ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾، وقال بعضهم: صِرمة بن مالك نسبة إلى جده.

انظر: الاستيعاب (ص٣٤٩) [١٢٣٤]، أسد الغابة (٣/ ١٧، ١٨) [٢٥٠١].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ (ص٣٠٧، ٣٠٨) [١٩١٥].

(٤) هكذا في رواية النسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٠٥، ٤٠٦) [٢٤٨٩]، ويبدو الاختلاف الواسع في اسم الصحابي الذي وقعت له القصة.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٣٤، ٢٣٥).

فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع... قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم... كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه، - وفي رواية - أصحابه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣][1].

ج - قولهم: نزلت في كذا:

وهي على أحوال:

الأول: أن يذكر الآية ثم يذكر بعدها تفسيراً أو موضوعاً جاءت بياناً له.

أمثلة ذلك:

١ - قول عائشة ﵂ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] أتدري فيم أُنزلت هذه الآية؟ أُنزلت في الدعاء[2].

٢ - عن عائشة ﵂ قالت: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ٦] أُنزلت في والي اليتيم الذي يقيم عليه ويصلح في ماله، إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف[3].

٣ - قالت عائشة ﵂ في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ﴾ [النساء: ١٢٨] الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك.

وفي لفظ مسلم: نزلت أو أُنزلت في المرأة تكون عند الرجل... إلخ[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (ص٤٦٥) [٢٨٠٥]، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد (٢/٩١٨) [١٩٠٣].

(٢) أخرجه بهذا اللفظ النحاس في ناسخه (٢/٤٩٨) [٦٥٦]، وأصله في الصحيحين في البخاري [٤٧٢٣]، ومسلم [٤٤٧].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب: من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفونه بينهم (ص٣٥٢) [٢٢١٢].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه (ص٣٩٥) =

٤ ـ عن ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال: نزلت في السَّلَم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم(١).

وبلفظ: نزلت هذه الآية في السلف.

الثاني: أن يقول: نزلت في فلان كذا ويُسمي صحابياً.

أمثلة ذلك:

تقدم طرفٌ من شواهد هذه الصيغة في حكاية سبب النزول، ويضاف إليها:

١ ـ عن أبي ذر ﵁ أنه كان يقسم قسماً: إن هذه الآية ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر(٢).

٢ ـ عن أبي هريرة ﵁ قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: ١٠٨] قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية(٣).

٣ ـ قالت عائشة ﵂: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس:١] في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: **«أترى بما أقول بأساً؟» قال: لا، ففي هذا أُنزل**(٤).

= [٢٤٥٠]، ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٥) [٣٠٢١].

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٧ ـ ٧١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٥) [٢٩٩٥]، والبيهقي (٦/ ٣٠) (١١٢٥٣)، (١١٢٥٩)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (٣/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ (ص٨٢٦) [٤٧٤٣]، ومسلم، كتاب التفسير، باب: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ (٢/ ١٣٧٩) [٣٠٣٣].

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب: الاستنجاء بالماء (ص١٨) [٤٤]. والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة (ص٦٩٨، ٦٩٩) [٣١٠٠]. وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب: الاستنجاء بالماء (ص٥٣، ٥٤) [٣٥٧]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة عبس (ص٧٦٠) [٣٣٣١]. =

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، إذ بعثه النبي ﷺ في سرية[(١)].

٥ ـ قيل لابن عمر رضي الله عنهما: أفي أبي طالب نزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾؟ [القصص: ٥٦] قال: نعم[(٢)].

٦ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] قال: نزلت في زينب بنت جحش[(٣)].

الثالث: أن يقول: نزلت في كذا ويذكر حادثة وواقعة نزلت بها الآية.

أمثلة ذلك:

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: ١٧] قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**ناولني قبضة من حصباء**»، فناوله فرمى بها في وجوه القوم، فما بقي أحدٌ من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾[(٤)].

وبنحوه عن حكيم بن حزام[(٥)].

٢ ـ عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن

= وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤) [٥٣٥] وصححه المحقق، والحاكم (٢/ ٣٥٣) [٣٩٥١]، ورواه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً عن عروة (٢/ ١٤٥، ١٤٦) [٥١٩].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (ص٧٨٣) [٤٥٨٤]، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٢/ ٨٩١) [١٨٣٤].

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٠٦) [١١٣٢٠].

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٨١٣) [١١٣٥٧].

(٤) أخرجه الطبراني (١١/ ٨٥) [١١٧٥٠] وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه، الدر المنثور (٧/ ٧٤). وساقه الطبري بسياق قريب من هذا من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١١/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٨٤) [٩٦٥٥]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح (٦/ ٨٠) (٩٩٩٩).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٨٤، ٨٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٨٤) [٩٦٥٤]، والطبراني (٣/ ٢٢٧) [٣١٢٨]، وحسَّن الهيثمي إسناده في مجمع الزوائد (٦/ ٨٠) (٩٩٩٨)، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٧/ ٧٣).

﴿يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢] قال: نزلت في أُناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ، فعرض لهم المشركون فرجعوا فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن فخرجوا، فقتل من قُتل، وخلص من خلص، فنزل القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩](١).

ومثله بتفصيل عن الشعبي(٢).

الرابع: أن يحكي الراوي حادثة أو واقعة بعينها ثم يقول: فأنزل الله، فنزلت، فيأتي بفاء السببية.

الأمثلة:

١ ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ أملى عليه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥] فجاء ابن أم مكتوم وهو يملُّها علي، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلتْ عليّ حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾(٣).

٢ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ [فصلت: ٢٢](٤).

٣ ـ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٦٣) [١٧٩٨٤].

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٥٨، ٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٦٣) [١٧٩٨٣]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١١/ ٥٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله عز وجل: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾ (ص٤٦٩) [٢٨٣٢].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ﴾ (ص٨٥٠، ٨٥١) [٤٨١٧]، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢/ ١٢٨٠) [٢٧٧٥].

تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا﴾ [الصف: ١ - ٣] حتى ختمها، فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها[١].

٤ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: **«قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»**، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][٢].

٥ - عن أنس بن مالك ﷺ قال: خطب النبي ﷺ خطبةً ما سمعت مثلها قط، فقال رجل: من أبي؟ قال: **«أبوك فلان»**، فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١][٣].

وذكر ابن عباس ﷺ سبب نزول الآية، ولفظه: فأنزل الله فيهم هذه الآية[٤].

٦ - عن ابن أبي مليكة[٥]، قال: كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع[٦] وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت

---

(١) تقدم تخريجه مطولاً.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (١/ ٣٣، ٣٤) [٢٥]. وأحمد في المسند (١٥/ ٣٧٤) [٩٦١٠]، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٩) [٦١٧٨]، والترمذي (ص٧٢٤) [٣١٨٨].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (ص٧٩٠) [٤٦٢١]. ومسلم في كتاب الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه (٢/ ١١٠٧، ١١٠٨) [٢٣٥٩].

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (ص٧٩٠) [٤٦٢٢].

(٥) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان، الإمام الحجة الحافظ القرشي التيمي، ولد في خلافة علي أو بعدها، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كان عالماً مفتياً صاحب حديث وإتقان، معدود في طبقة عطاء، ولي القضاء لابن الزبير، قال ابن حجر: ثقة فقيه من الثالثة، مات سنة (١١٧هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٨، ٨٩)، تقريب التهذيب (٥٢٤) [٣٤٧٧].

(٦) هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد التميمي المجاشعي الدارمي، كان من المؤلفة =

خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] وفي بعض الروايات فنزلت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢][(١)].

الخامس: أن يحتف بذكر حادثة النزول ما يقطع بمباشرة الآية للواقعة ونزولها على أثرها من نحو الألفاظ المصرحة التالية:

فما برحت حتى نزل القرآن، والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان... فسكت فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت فلما انجلى عنه، وذكر الآية المنزلة.

الأمثلة:

١ ـ قال عمر بن الخطاب ؓ: لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دُعي رسول الله ﷺ ليصلي عليه، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤][(٢)].

٢ ـ جاء في حديث عبد الله بن مسعود ؓ: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح... فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقمتُ فلما انجلى عنه فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥][(٣)].

وفي بعض الروايات:

فقام ساعة ورفع رأسه فعرفنا أنه يُوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال:

= قلوبهم، شهد فتح مكة وحنين والطائف، كان ممن نزل فيهم أول الحجرات، الاستيعاب (ص٦٥) [٩٨]، الإصابة ١/ ٦٤ (٢٣١)

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ (ص٨٥٧) [٤٨٤٥]، و[٤٣٦٧].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين (ص٢١٩) [١٣٦٦]، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٢/ ١٢٨٦) [٢٧٩٤].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (ص٢٧) [١٢٥].

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥](١).

٣ - قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ذاكراً سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾ [الأنفال: ١] فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال(٢).

٤ - عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شِرَاج(٣) الحرة التي يسقون بها النخل، فقال رسول الله ﷺ للزبير: **«اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك»**، فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: **«اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدْر»** فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥](٤).

وفي بعض الروايات: والله إن هذه الآية أُنزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(٥).

٥ - عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما سألت رسول الله ﷺ عن صيد الكلاب لم يدر ما يقول لي حتى نزلت: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: ٤](٦).

---

(١) رواه الترمذي في سننه (ص٧٠٩) [٣١٤١]، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٨٢) [١١٢٣٥]، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٠٠) [٩٨].

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٣٩٧) [٧٥٧]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧/ ٥٥٥، ٥٥٦) [٣٣٧٥٧]، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٩) [١٥٥٦]، وسعيد بن منصور (٥/ ١٩٨، ١٩٩) [٩٨٣]، والطبري في تفسيره (١١/ ١٦، ١٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٩١) [٢٥١].

(٣) واحدتها: الشَّرْجة: مسيل الماء من الحرَّة إلى السهل. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٥٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب: سَكْر الأنهار (ص٣٧٩) [٢٣٥٩]، وكرره في [٢٣٦١] وغيرها. ومسلم في كتاب الفضائل، باب: وجوب اتباعه ﷺ (٢/ ١١٠٦) [٢٣٥٧].

(٥) كما في إحدى روايات الإمام البخاري (ص٣٨٠) [٢٣٦٢].

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١٥/ ٧٥) [١٥٨]، وساقه الجصاص بسنده في أحكام القرآن (٣/ ٣٠٨).

٦ ـ حديث أنس بن مالك ﷺ في روايته سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] قال: فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ وأُنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ وقرأهن على الناس.

وقال أنس: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحُجِبْن نساء النبي ﷺ[١].

٧ ـ قول خولة بنت ثعلبة[٢] في حديث نزول صدر سورة المجادلة في شأنها وزوجها الذي ظاهر منها. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١][٣].

۞ المسألة الخامسة ۞

إجلالهم من تنزل بسببهم أو فيهم الآيات، وعدُّ ذلك من مناقبه

١ ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنهم قالوا: حدثنا عن طلحة، قال: ذاك امرؤٌ نزلت فيه آية من كتاب الله: ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] طلحة ممن قضى نحبه، لا حساب عليه فيما يستقبل[٤].

٢ ـ وقال بعضهم: أتينا العرباض بن سارية[٥]، وهو ممن نزل فيه: ﴿وَلَا

---

(١) كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (١/ ٦٤٩) [١٤٢٨].

(٢) هي: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر، زوج أوس بن الصامت، وهي التي أنزل الله في شأنها صدر المجادلة. انظر: الإصابة (٤/ ٢٤٨٩) [١١١٠٩]، والاستيعاب (٨٩٣) [٣٢٨٤].

(٣) ذكره ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره (١٣/ ٤٤١، ٤٤٢)، وابن ماجه في سننه (ص٢٩٦) [٢٠٦٣]، والحاكم (٢/ ٢٩٤) [٣٨٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٠٤) [١٥٦٤٠]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٨٤) [١٦٩١].

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٥)، وأبو الشيخ كما عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٢/ ٩).

(٥) هو: العرباض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، كان من أهل الصفة، سكن الشام ومات بها، توفي سنة (٧٥هـ).

عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٩٢][(١)].

٣ ـ ورد أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه جاء حتى أخذ بعضادتي باب المسجد ثم قال: أنشدكم بالله أتعلمون أني الذي أُنزلت فيه: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]؟ قالوا: اللهم نعم[(٢)].

وجاء عند الطبري قوله: قد أنزل الله فيّ القرآن ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣][(٣)].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠][(٤)].

❁ المسألة السادسة ❁

أنواع أسباب النزول

أ ـ وقوع نازلة تحتاج إلى تبيان الحكم الشرعي فيها، وتوقف النبي ﷺ حتى ينزل الوحي، أو ينزل القرآن بعد الحادثة مبيناً حكم الله في ما جرى من أمر.

الأمثلة:

١ ـ حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنه في قصة أسارى بدر... وفيه: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: **«ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»** فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال

انظر: الاستيعاب (ص٥٩٠) [٢٠٣٠]، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٩، ٤٢١) [٧١].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ٣٧٥) [١٧١٤٥]، وأبو داود في سننه (٦٥١) [٤٦٠٧٠]، والآجري في الشريعة (١/ ٤٠٠) [٨٦]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٦٨) [٢٣١١]، وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١١٨، ١١٩).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/ ٤٨٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٨٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب عبد الله بن سلام (ص٦٤٠) [٣٨١٢].

الرسول ﷺ: **«ما ترى يا ابن الخطاب؟»** قلت: لا، والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي الرسول ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلتُ، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩][١].

٢ ـ حديث علي بن أبي طالب قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بظعينة، قلنا لها أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فأتينا رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: **«إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»**، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ①﴾ [الممتحنة: ١][٢].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] عزلوا أموال اليتامى حتى جعل الطعام يفسد واللحم ينتن، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] قال: فخالطوهم[٣].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (٢/ ٨٤٣، ٨٤٤) [١٧٦٣] وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة الفتح (ص٧٢٣) [٤٢٧٤]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر (٢/ ١١٦٥، ١١٦٦) [٢٤٩٤].

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٤٠) [٣٠٠٠]، وأبو داود في كتاب الوصايا، باب: في مخالطة اليتيم في الطعام (ص٤١٧) [٢٨٧١]، وبنحوه عند النسائي في الوصايا، ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه (ص٥١٨) [٣٦٩٩] وبنحوه [٣٧٠٠]. وأخرجه في الكبرى (٢/ ١٠٠٤) [٦٤٦٣]، والطبري في تفسيره (٣/ ٧٠٢، ٧٠٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٦٧٣) [٣١٥٧]، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢/ ٢٠٨).

٤ ـ ما وقع من القتال في الشهر الحرام، فقد جاء في الحديث أنه ﷺ بعث عبد الله بن جحش[(١)] في سرية وكتب له كتاباً. . . فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأتوا النبي ﷺ فحدثوه الحديث فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨][(٢)].

ب ـ وقوع السؤال واستفتاء الصحابي النبي ﷺ عن واقعة تتطلباً حكماً من الله ورسوله فينزل القرآن بحكم الله على إثر ذلك.

أمثلته:

١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبلةً فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ألِي هذه؟ قال: «**الجميع أمتي كلهم**»[(٣)].

وفي لفظ النسائي: وأطرق عني رسول الله ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[(٤)].

---

(١) عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأسدي، أمه أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، وأمَّره الرسول على سرية وهو أول أمير أمِّره في قول، وغنيمته أول غنيمة غنمها المسلمون، شهد بدراً، واستشهد يوم أحد. الاستيعاب (ص٣٨٦) [١٣٢٢]، أسد الغابة (٣/ ١٩٤، ١٩٥) [٢٨٥٨].

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ١٣٨٤) [٨٧٥٢]، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٠٢، ١٠٣) [١٥٣٤]، والطبري في تفسيره (٣/ ٦٥٠ ـ ٦٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٣٩) [٢٠٤٦] و[٢٠٨٢]، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٣٨٤، ٣٨٦) [٤٨٨٠، ٤٨٨١]، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢، ١٦٣) [١٦٧٠]، والبيهقي في السنن (٩/ ٢٢) [١٨٢٤٣]، وحسَّن ابن حجر سند الطبراني. انظر: العجاب (١/ ٥٣٩).
قال في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات، (٦/ ٢١٣) (١٠٣٣٦)، وصحَّح السيوطي إسناده في الدر المنثور (٢/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة (ص٨٩) [٥٢٦]، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (٢/ ١٢٦٦) [٢٧٦٣].

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٧٧١، ١٧٧٢) [١١١٨٤].

وعند الترمذي: وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحى الله إليه[(١)].

٢ ـ عن أبي أمامة التيمي[(٢)] قال: قلت لابن عمر: إنا نُكري[(٣)] فهل لنا من حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المُعرَّف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم؟ قال: قلنا بلى، فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] فدعاه النبي ﷺ فقال: **«أنتم حُجاجٌ»**[(٤)].

٣ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مرضت مرضاً فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فوجداني أغمي علي، فتوضأ النبي ﷺ ثم صبَّ وضوءه علي، فأفقت، فإذا النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يُجبني بشيءٍ حتى نزلت آية الميراث[(٥)].

٤ ـ سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد تقدم الحديث عنه.

ج ـ أن يثير المشركون أو أهل الكتاب ومن في حكمهم قولاً باطلاً ويشيعوا مقالة زور وبهتان، فيأتي القرآن يبين زيفه في آيات تقص مقالهم وتبطله، ومن هذا بعض مواقفهم من التوحيد والبعث والنبوة.

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة هود (ص٧٠٣، ٧٠٤) [٣١١٥].

(٢) هو: أبو أمامة ويقال: أبو أُمية التيمي الكوفي، روى عن عبد الله بن عمر، قال ابن معين: أبو أُمامة الذي يروي عن ابن عمر، ثقة لا يُعرف اسمه، أخرج له أبو داود.
قال عنه ابن حجر: مقبول من الرابعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٣٣/ ٥٢) [٧٢١٤]، تقريب التهذيب (ص١١١٠) [٨٠٠٣].

(٣) نُكري من الكراء وهو الإجارة، والمعنى: نؤجر. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٨٦٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ٤٧٣) [٦٤٣٤]، وابن خزيمة (٤/ ٣٥١) [٣٠٥١]، وأبو داود في سننه (ص٢٥٥، ٢٥٦) [١٧٣٣]، وساقه المزي بسنده في تهذيب الكمال (٣٣/ ٥٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤٨٦).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المرض، باب: عيادة المغمى عليه (ص١٠٠٠) [٥٦٥١]، ومسلم في كتاب الفرائض، باب: ميراث الكلالة (٢/ ٧٥٨) [١٦١٦].

أمثلة ذلك:

١ ـ عن خباب ﷺ قال: كنت رجلاً قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث بعد الموت، فسوف أوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [مريم: ٧٧ ـ ٨٠][(١)].

٢ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: إن المشركين قالوا للمسلمين: ما قتل ربكم فلا تأكلون، وما قتلتم أنتم تأكلونه، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١][(٢)].

٣ ـ ومثل ذلك سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧] من حديث عبد الله بن عباس: أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة والوحي، فمن صاحبك، فإنما بقيت هذه حتى نتابعك؟ قال: «**هو جبريل**»، قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب والقتل، ذلك عدونا من الملائكة، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعناك، فأنزل الله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ (ص٨٢٣) [٤٧٣٤]، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٢/ ١٢٨٧) [٢٧٩٥].

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (ص٦١٦) [٤٤٤٢]، وفي السنن الكبرى (٣/ ١٧٥٦) [١١١٠٦]، والطبري في تفسيره (٩/ ٥٢٢، ٥٢٣)، والترمذي بنحوه (ص٦٩١) [٣٠٩٦]، وأبو داود (ص٤١٠) [٢٨١٨] [٢٨١٩]، والنحاس في ناسخه بنحوه (٢/ ٣٥٤) [٥٠١]، والحاكم في مستدركه وصححه (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨) [٧٦٣٨]. والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٩٠، ١٩١).

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢) [٢٨٥٤]، والإمام أحمد (٤/ ٢٨٤، ٢٨٥) =

٤ ـ عن زيد بن أرقم ﷺ قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أُبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال أيضاً: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧] إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها عليّ ثم قال: «**إن الله قد صدَّقك**»(١).

٥ ـ عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣](٢).

د ـ ما سجله القرآن من الحوادث وقصه من الأخبار والوقائع، لما تجري حادثة فيأتي القرآن حافظاً لها ذاكراً إياها، وفي مطاوي ذلك فوائد ومواعظ.

وهذا النوع أقل درجات الأسباب وأضعفها صلة بالسببية المباشرة.

أمثلة ذلك كثيرة منها:

١ ـ عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف: «**اللهم انجز لي ما وعدتني**»، فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو

= [٢٤٨٣]، والنسائي في الكبرى (٢/ ١٤٣٠) [٩٠٢٤]، والطبري (٢/ ٢٨٤، ٢٨٥)، وابن أبي حاتم (١/ ١٥٩، ١٦٠) [٩٥٣]، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥، ٤٦) [١٢٤٢٩]، والواحدي في أسباب النزول (ص١٣٢، ١٣٣) [٣٩].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ (ص٨٦٩) [٤٩٠١]، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢/ ١٢٧٩، ١٢٨٠) [٢٧٧٢].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (ص٧٦٩) [٤٥٢٨]، ومسلم ـ وهذا لفظه ـ في كتاب النكاح، باب: جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها، من غير تعرضٍ للدبر (١/ ٦٥٣) [١٤٣٥].

بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة[١].

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف المشركون عن أُحد وبلغوا الرَّوحاء قالوا: لا محمداً قتلتموه ولا الكواعب أردفتم وبئس ما صنعتم ارجعوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك يوم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ أُهبة القتال والتجارة فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤][٢].

٣ ـ حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب[٣] من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، فنزل الوحي ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (٢/ ٨٤٣، ٨٤٤) [١٧٦٣].

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٧٣٩) [١١٠١٧]، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٤٧) [١١٦٣٢]، وابن أبي حاتم رواه موقوفاً عن عكرمة (٢/ ٢٩٩) [٤٥٥٨]، وصحح السيوطي السند. انظر: الدر المنثور (٤/ ١٣٨)، قال في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة (٦/ ١٢٧) (١٠١١٣)، وأورده الواحدي رواية في السبب بنحوه مرسلاً عن عمرو بن دينار (ص٢٦١) [١٤٩].

(٣) هو: ضمرة بن جندب، وقيل: ابن حبيب، ويقال: ضُميرة بالتصغير، هو الذي خرج مهاجراً إلى النبي ﷺ فمات قبل أن يصل فنزلت فيه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾. انظر: الاستيعاب (٣٥٥) [١٢٥١]، أسد الغابة (٣/ ٦٤) [٢٥٨٦].

(٤) أخرجه أبو يعلى (٥/ ٨١) [٢٦٧٩]، وابن أبي حاتم (٣/ ١٢٥) [٥٩٢٣]، والطبري في تفسيره بنحوه عن عكرمة عن ابن عباس (٧/ ٣٩٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٢، ٢٧٣) [١١٧٠٩]، وأبو نعيم كما في أسد الغابة (٣/ ٦٤)، قال في المجمع: ورجاله ثقات (٧/ ٤٧) =

المسألة السابعة

تعدد النازل من الآيات والسبب واحد

مروياتهم في ذلك:

١ ـ عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس[(١)]: «**يا آل عبد مناف، إني نذيرٌ**»، فجاءته قريش، وساق قصة، ثم قال: فنزلت: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] حتى قرأ ثلاث آيات، ونزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١][(٢)].

٢ ـ عن أُم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء، فأُنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وأنزل: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥][(٣)].

وفي رواية: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، ولا نقاتل فنستشهد وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] وأنزل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾[(٤)].

= [١٠٩٤٩]، وانظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ٩٣٠)، وسماه ابن حجر ضمرة بن العيص، ووثق السيوطي رجال الإسناد. انظر: الدر المنثور (٤/ ٦٤٤)، وأخرج الواحدي نحوه، واسم صاحب القصة حبيب بن ضمرة الليثي. انظر: أسباب النزول (ص٣١٩) [٢٠٢]، وفي الباب روايات كثيرة حول هذا السبب انظرها في: الدر المنثور (٤/ ٦٤٤ ـ ٦٥٠).

(١) من أشهر جبال مكة، وليس من أكبرها، تراه يشرف على الكعبة من مطلع الشمس، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين) وهو أحد الأخشبين. انظر: معجم البلدان للحموي (١/ ٨٠، ٨١)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية عاتق البلادي (ص٢٤٩).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٢/ ٤٠، ٤١) [٦٧٩]، وضعفه المحقق، وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه أبو يعلى، من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء عن إبراهيم وكلاهما وثق، وقد ضعفهما الجمهور (٧/ ١٤١). وعزاه السيوطي إلى أبي نعيم في الدلائل، وابن مردويه (٨/ ٤٥٤).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩١) [٣٦١٣]، وصححه على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٢٣٦) [٦٢٤]، والترمذي في أبواب تفسير القرآن من سورة النساء (ص٦٧٩) [٣٠٢٢]، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣٩٣) [٦٩٥٩]، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٦٤).

وفي لفظ عند ابن أبي حاتم وغيره: . . . فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢] ثم نزلت: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥][(١)].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا المنبتر[(٢)] من قومه يزعم أنه خيرٌ منا؟ ونحن ـ يعني: أهل الحجيج والسدانة ـ، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣]، ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠][(٣)].

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود، أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] قالوا: أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩][(٤)].

---

(١) أخرجه ابن المنذر بهذا اللفظ (٢/ ٦٧٦) [١٦٧٧]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٢١) [٥٢٦٦].

(٢) المنبتر: الذي لا ولد له، مأخوذ من البتر وهو القطع، قيل: لم يكن يومئذ ولد له وفيه نظر، لكنه ولد له قبل البعث والوحي، إلا أن يكون أراد لم يعش له ذكر. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١١٨).

(٣) أخرجه البزار (١٤/ ٥٣٤) [٦٥٧٢]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٨٦٣) [١١٦٤٣]، والطبري في تفسيره (٧/ ١٤٢)، وابن المنذر (٢/ ٧٤٨) [١٨٨٢]، وابن أبي حاتم (٣/ ٥٥) [٥٤٧٨]، ورواه الإمام أحمد كما ساقه ابن كثير بسنده. انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١١٨)، وصحّح ابن كثير إسناده (١٤/ ٤٨٣)، وصحّحه الألباني في التعليقات الحسان (٩/ ٢٩٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٥٤) [٢٣٠٩]، والترمذي (ص٧٠٩) [٣١٤٠]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٨٧) [١١٢٥٢]، وابن حبان (١/ ٣٠١) [٩٩]، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٦) [٤٠١٤]، ورواه الطبري عن عكرمة مرسلاً (١٥/ ٦٨)، وفيه بدل آية الكهف آية لقمان ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾، وصحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٦٩، ٢٧٠)، وعند ابن إسحاق وفيه بدل آية الكهف آية لقمان المذكورة. انظر: تفسير ابن كثير (١١/ ٧٨).

٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨] ونزل: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣][1].

٦ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو جهل لما ذكر رسول الله شجرة الزقوم تخويفاً له يقول: يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقَّمنَّها تزقُّماً، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]، وأنزل الله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٠][2].

٧ - عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «**أي عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][3].

٨ - عن عكرمة والحسن قالا: لما نزلت ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا رسول الله، قد علمنا ما يُفعل بك فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ (ص٨٤٨) [٤٨١٠]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ٦٧) [١٢٢]

(٢) أخرجه ابن إسحاق. انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧) [٣٥٥]، والطبري في تفسيره (١٤/ ٦٤٨)، والبيهقي في البعث ذاكراً آية الإسراء فقط (ص٣٠٢، ٣٠٣) [٥٤٥]، والزقوم فَعُّول من الزَّقم وهو: اللقم الشديد، والشرب المفرط، ومعنى: تَزَقَّمُوا؛ أي: كُلوا، وقيل: أكل الزبد والتمر بلغة أفريقية: الزقوم. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب (ص٦٥٢) [٣٨٨٤]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: أول الإيمان: قول لا إله إلا الله (١/ ٣٣) [٢٤].

تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥] وأنزل في سورة الأحزاب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٧][١].

وما سبق إيراده أشهر الأمثلة في هذه المسألة.

المسألة الثامنة

علاقة علم أسباب النزول بالعلوم القرآنية تأثراً وتأثيراً

العلم الأول: علم المكي والمدني:

وتأثره بأسباب النزول مفيد في جانبين:

أ - في تعيين نوع السورة والاستدلال بالأسباب على ذلك.

ب - في إقامة سبب النزول دليلاً على ما يستثنى من نوع السورة.

فأما الأول فأمثلته:

١ - ما جاء في سبب نزول سورة الصف دالٌّ على أنها مدنية.

عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب عند الله عملناه؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الصف: ١] إلى آخر السورة، فقرأها علينا رسول الله ﷺ.

وفي بعض الألفاظ: فقرأ علينا رسول الله ﷺ السورة كلها من أولها إلى آخرها.

وفي لفظ: فقرأها علينا رسول الله حتى ختمها[٢].

٢ - أورد ابن عباس رضي الله عنهما سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧] دل على أن الزخرف سورة مكية.

فعنه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لقريش: **«يا معشر قريش لا خير مع أحدٍ يعبد**

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢١، ٢٤١).

(٢) تقدم تخريجه مطولاً.

من دون الله ﷻ»، قالت: ألست تزعم أن عيسى عليه السلام كان نبياً وكان عبداً صالحاً؟ فإن كنت صادقاً فإنه كآلهتهم فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾(١).

٣ ـ سبب نزول آخر سورة الجمعة دليل على مدنيتها، وهو ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١].

عن جابر رضي الله عنه قال: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾(٢).

ب ـ وأما تأثير أسباب النزول على ما يستثنى من مكية السورة أو مدنيتها فأمثلته:

١ ـ جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أُناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾(٣).

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا الرسول ﷺ رأوا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٨٥، ٨٦) [٢٩١٨]، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ١٧) [٩٨٧]، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٣، ١٥٤) [١٢٧٤٠]، والواحدي في أسباب النزول (ص٥٩٩) [٣٧٥]، وأخرجه الطبري بنحوه (٢٠/ ٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ (ص٨٦٩) [٤٨٩٩]، ومسلم في كتاب الجمعة، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ (١/ ٣٨٤) [٨٦٣].

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

أصحابهم قد فقهوا في الدين فهمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾(١).

٣ ـ اختلف كثيراً في نوع سورة (الحج) واحتج كل فريق بما جاء من أسباب نزول بعض الآيات.

العلم الثاني: علم المبهمات:

وأمثلته أشهر من أن تحصى.

العلم الثالث: علم نزول القرآن:

وإفادة هذا العلم وأثره عليه يظهر في:

أ ـ الوارد في نزول سور قرآنية كاملة.

مثال ذلك:

١ ـ حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا﴾ [الصف: ١ ـ ٣] حتى ختمها، فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها(٢).

ب ـ موضوع أول ما نزل وآخر ما نزل، واستظهار أن القول بنزول العلق نزولاً أولياً مطلقاً، مرادٌ به أول خمس آيات منها؛ لأن سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلق: ٩، ١٠] شاهد على تأخر نزول بقية السورة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّر(٣) محمد وجهه بين

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التغابن (ص٧٥٥) [٣٣١٧]، والطبري (٢٣/ ١٤)، وابن أبي حاتم كما رواه ابن كثير في تفسيره (١٤/ ٢٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٥، ٢٧٦) [١١٧٢٠]، والحاكم (٣/ ٣١٠) [٣٨٦٧].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية: المعفور: المُتَرَّب: المعفَّر بالتراب، ومنه حديث أبي جهل: «هل يُعفِّر محمد وجهه بين أظهركم» يريد به سجوده على التراب (٣/ ٢٦٢).

أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»، قال: فأنزل الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾ [العلق: ٦] إلى نهاية السورة(١).

ج - يمكن كشف أوائل السور النازلة بمكة أو بالمدينة تبعاً لإدراك الأسباب.

المثال:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١] فحسنوا الكيل بعد ذلك(٢).

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: «**يا صباحاه**»، فاجتمعت إليه قريش، قال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١](٣).

العلم الرابع: علم الخاص والعام:

١ - قال كعب بن عجرة رضي الله عنه في قصة نزول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة: ١٩٦]: فنزلت فيَّ خاصة، وهي لكم عامة(٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ (٢/ ١٢٨٧، ١٢٨٨) [٢٧٩٧].

(٢) أخرجه ابن ماجه (ص٣١٨) [٢٢٣٣]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٨٥٤) [١١٥٩٠]، والطبراني (١١/ ٢٩٤)، [١٢٠٤١]، البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٥٢) [١١٣٤٢]، وكذا رواه البغوي في تفسيره (٤/ ٥٧١)، وصحح السيوطي سنده في الدر المنثور (١٥/ ٢٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٢٩) [١٨٢٢].

(٣) أخرجه البخاري في تفسيره، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ (ص٨٩١) [٤٩٧١] و[٤٩٧٢]، ومثله عند النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٦٤) [١١٦٥٠].

(٤) تقدم تخريجه.

٢ ـ وقال من نزلت فيه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]: يا رسول الله إلي هذه؟ قال: **«هي لمن عمل بها من أمتي»**(١).

وفي رواية قال عمر: يا رسول الله، أله خاصة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«بل للناس كافة»**(٢).

٣ ـ قال محمد بن كعب عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥] إن الآية تنزل في الرجل، ثم تكون بعده عامة(٣).

التأصيل

١ ـ معرفة أسباب تنزل القرآن من مهمات العلوم، وكبرى الفنون، لزم من تصدى للتفسير علمه وتحصيله، وهذا العلم الأثري الخالص، تيقَّن سَامِقَ منزلته وجليل قدره الصحابة والتابعون، فاجتهدوا في نقل ما لابس الآيات من حوادث وما احتف بها من نوازل، فكان نقل مرويات الأسباب من طريق أولئك الذين شاهدوا التنزيل وعاصروا وقائعه.

والأولون الشاهدون زمان النبوة وتنزلات الكتاب أخذوا على عواتقهم نقل المُنزل وما قارن المُنزل وحفَّ به، فاجتمع في ذلك:

حفظ القرآن، وأسباب الآيات ووقائع تنزلاتها، ومن نزل فيهم وبسببهم شيء من القرآن.

وتمثلت فائق عنايتهم بعلم الأسباب وجهودهم في حفظه وبيانه في ضربين:

١ ـ ضرب عملي، جاء في حفظ وقائع الأسباب وضبطها ثم تعليمها،

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ٨٣٠، ٨٣١) [٣٦١]، والطبري في تفسيره (٣/ ٥٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٦٢) [٦٩٥٦]، قال ابن كثير: وهذا الذي قاله القرظي حسن صحيح (٢/ ٢٦٩).

وهذا جهد مضاعف ناشيء عن إدراك أهمية أسباب نزول الآيات، فلم تتجه هممهم وطاقاتهم للمعاني وتأويلاتها فحسب، بل إلى ما اقترنت بها من حوادث ونوازل، وما كتب الأثر الممتلئة بالروايات إلا برهان على ذلك.

٢ ـ ضرب قولي، إذ وردت عنهم نصوص تفيض في شأن العلم ومنزلته، وهي كالتالي:

أ ـ قول ابن مسعود وبنحوه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أُنزلت.

قال الشاطبي: «وهذا يشير إلى أن علم الأسباب من العلوم التي يكون العالم بها عالماً بالقرآن»[(١)].

ومن العلماء من أورد هذا الأثر في بيان الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله، وقالوا: إنهم يعلمون معنى المتشابه، واستشهد بأثر ابن مسعود هذا وأثر مجاهد في عرضه المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته يسأله عند كل آية منها[(٢)].

وهذا يجعل مراد ابن مسعود (فيم أُنزلت) عاماً في تفسير معاني آي القرآن ومنها ما يتعلق بأسباب النزول.

فلا يقتصر قوله على الأسباب وحدها، بل هي في تبيان المعاني ووجوه التفسيرات، والذي لا يتحصل على بعضها صحيحةً إلا بمعرفة أسباب النزول.

أما أثر عَبيدة السلماني: ذهب الذين يعلمون فيم أُنزل القرآن، فلعله أحظى الآثار ذكراً في مصنفات الأسباب، فقد صدَّر به الواحدي كتابه في أسباب النزول مستدلاً به على أن السلف الماضين كانوا في أبعد الغاية احترازاً عن القول في نزول الآية، بعد أن حرم القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل ووقف على الأسباب[(٣)].

ومن ذكره كذلك الشاطبي في الموافقات، والسيوطي في لباب

---

(١) الموافقات (٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٨).

(٣) أسباب النزول (ص٩٦ ـ ٩٨).

النقول[١]، وابن حجر ساقه بعد أن عزى ذكره إلى الواحدي وصحَّحَ إسناده[٢].

وقال الشاطبي معلقاً على أثر الحسن المتقدم: «وهو نص في الموضع مشيراً إلى التحريض على تعلم علم الأسباب»[٣].

وتمحورت هذه الآثار الناطقة بخطر علم الأسباب وضرورة تعلمه للمفسر بحيث لا يحل له القول في كتاب الله حتى يطلب هذه الأسباب ويحيط بها علماً.

تمحورت حول عبارة **(فيم أُنزلت)** وكأن هذه تعني:

الحوادث والوقائع التي احتفت بالنزول لما كان نزوله عن سبب، ولعل هذه الجملة دالةٌ على علم الأسباب وغيره، فهي تتضمن التحريض على العلم بالآيات عموماً سواء كان من جهة معانيها ووجوه تأويلاتها أو من جهة ما قارنها من وقائع احتفت بنزولها أو غير ذلك من وجوهٍ تتعلق بالآيات.

وتوسيع دلالة تلك الآثار يعضده أن فريقاً من أهل العلم أوردوها في جانب عناية السلف بالكلام في التفسير والإفاضة في تطلب وجوه تأويلاته، والمقام يتطلب نصوصاً في علم التفسير عامة دون خوضٍ في أنواع من علومه ومعارفه.

ومما يبين عن هذا ـ وهو في السياق ذاته ـ أثر مجاهد بن جبر حين كان يعرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يستوقفه عند كل آية منها.

وفيه: أوقفه عند كل آية أسأله فيم أُنزلت؟ وفيم كانت؟ وبلفظ: فيمن أُنزلت؟ وفيم نزلت؟[٤].

وظاهرٌ أن سؤاله عن تفسير الآيات وفي جملة ذلك ما في بعض جوانبها من أسباب ـ إن وجدت ـ **إذ ليس كل آية لها سبب**.

---

(١) الموافقات (٤/١٥٣)، لباب النقول (ص٧).

(٢) العجاب في بيان الأسباب (١/١٩٩).

(٣) الموافقات (٤/١٥٣)، وجعله محقق العجاب دليلاً على اهتمام التابعين بالأسباب (١/١٠٥)، وهذا الأثر أورده ابن الجوزي في سياق ذكره تفسير جماعات من الصحابة كثيراً من القرآن، كشف المشكل على الصحيحين (١/١١٨).

(٤) سيأتي تخريجه مطولاً في **علم الوقف والابتداء**.

والمقصود من هذا أن قولهم: (فيم أُنزلت) محتملة للسبب، ومحتملة للمعنى والتفسير وموضوع الآية، فهي جملةٌ مبسوطةُ الدلالة، ولا بأس من الاستشهاد بها على علم الأسباب في جزءٍ مما تحتمل من معنى، ألا ترى في آثارهم: «ما من آية أُنزلت إلا وأنا أعلم فيم أُنزلت؟»، فهو يدل على عموم الآيات، وليس كل آية لها سبب وأتت على أثر واقعة.

ومن استعمال هذا اللفظ مراداً بها التفسير والمعنى قول عائشة رضي الله عنها: (أتدري فيم أُنزلت هذه الآية؟) ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قلت: لا، قالت: أُنزلت في الدعاء(١)، والأمثلة لهذا متعددة.

وكذا ما جاء عن سهل بن حُنيف(٢): أتدري فيم أُنزلت ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: ٢٤]؟ قلت: في سبيل الله، قال: لا، ولكنها في صفوف الصلاة(٣).

ومن استعمالها في سبب النزول صراحة ما أُثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدري فيم نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]؟ كان أناس يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، يقول الرجل: من أبي؟ ويقول: ضلت ناقتي، أين ناقتي؟ فأنزل الله هذه الآية(٤).

وفي حديث عمر رضي الله عنه حين تساءل عن اختلاف الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة، فهذا الأثر استشهد به الشاطبي في معرض حديثه عن علم الأسباب

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النحاس في ناسخه (٢/ ٤٩٨) [٦٥٦]، وأصله في الصحيحين في البخاري [٤٧٢٣]، ومسلم [٤٤٧].

(٢) سهل بن حُنيف بن واهب الأوسي الأنصاري، شهد بدراً والمشاهد كلها، وثبت يوم أحد، وكان بايعه يومئذ على الموت، كان يرمي بالنبل عن رسول الله ﷺ، شهد مع علي صفين، وكان قد صحبه من حين بويع وولاه على فارس، مات بالكوفة سنة (٣٨هـ)، وصلى عليه عليٌ وكبر عليه ستاً.
انظر: الاستيعاب (٣٠٧) [١٠٤١]، أسد الغابة (٢/ ٥٧٢، ٥٧٣) [٢٢٨٩].

(٣) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/ ٦٠٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٢٧٨) [٦٩١٦]، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٧، ١٣٨) [١٢٦٩٥]، وبنحوه لكن دون محل الشاهد عند البخاري (ص٧٩٠) [٤٦٢٢]، والواحدي في أسبابه (ص٣٦٢) [٢٣٥].

وأهمية العلم به، وقال: «وما قاله صحيح في الاعتبار، ويتبين بما هو أقرب... - ثم ساق أثر ابن عمر عن الخوارج وقوله: إنهم انطلقوا إلى آيات أُنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين، - ثم قال: فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عباس عليه، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن». اهـ[(١)].

قلت: وفي خبر ابن عباس ﷺ عبارة سبق التفصيل فيها وهي قوله: فيم نزلت؟ وما يقال هناك يورد هنا.

أما أثر ابن عباس الوارد في آية **الزخرف** ففيه فوائد:

- تشوف الصحابي الجليل ابن عباس لمعرفة الناس أسباب النزول حيث تطلع لأن يُسأل عن آية الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ [الزخرف: ٥٧]، وحين سُئل أورد سبب نزول الآية، ففي السبب الذي نزلت فيه الآية ما يوضح معناها ويكشف المقصود بها، وهذا دليل على ما للأسباب وتحصيلها من أثر بليغ على فهم الآية، وأن إدراك ما اقترن بها من وقائع سبيل إلى رفع إبهامها وتبيين إشكالها، الله أعلم.

ومن الفوائد أيضاً أن ورود سبب النزول يعود على نوع السورة بالبيان ويحدد مكيتها من مدنيتها، وسيأتي مزيد بيان.

٢ - أدرك أهل العلم ما لمعرفة الأسباب من شأنٍ بليغ في فهم الآية وتأويلها فهماً صحيحاً، وكيف تدفع الأقوال المدخولة وتنتفي الإشكالات عن الآيات، وتحسم أوجه الاحتمالات التي يمكن أن تتطرق إلى الآية في ظل غياب العلم بسبب النزول.

وجاءت عبارات العلماء تؤكد شأن علم الأسباب وتلزم المفسر العناية به وتطلبه حتى يأمن الزلل في التأويل.

قال الواحدي: «إذ هي - أي: الأسباب - أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفصيل الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[(٢)].

---

(١) الموافقات (٤/١٤٨، ١٤٩).

(٢) أسباب النزول للواحدي (٩٥، ٩٦).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «معرفة أسباب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»(١).

وقد كشفت وقائع الأسباب عن فوائد جمة للعلم بها، وأثر ذلك في معرفة التفسير والخلوص من المشكلات التي تورد على الآيات حين يُجهل السبب ويغيب العلم به.

فأما أهم ما يثمره العلم بالسبب فهو فهم الآية على ما أُريد بها وانتفاء تأويلها تأويلاً خاطئاً، وهذه الفائدة لها حظ كبير من آثارهم.

ففي قصة عروة بن الزبير مع عائشة رضي الله عنها حيث فهم معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ﴾ [البقرة: ١٥٨] فهماً جانب الصواب فردته عائشة إلى سبب نزول الآية الذي ورث خفاؤه على عروة التأويل الخاطئ.

ومثل ذلك أثر أبي أيوب الأنصاري في سبب نزول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وجاء في أثر الشعبي رده تفسير الخوارج أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] أنها في الأمراء، حين ذكر سبب نزول الآية، فأظهر هُجْر قولهم وزيف تأويلهم؛ لأن السبب قاطع بخلاف ما ذهبوا إليه.

وكذا ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] في أثر البراء بن عازب.

وعليه فعدم إدراك السبب يخلف أمرين:

إما الجهل بتفسير الآية واستغلاق معناها، ولعل ما سبق من سبب نزول ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ مثال واضح لذلك.

وإما الوقوع في تأويل خاطئ مجانب للصواب، أو هما متلازمان، يلزم من الأول الوقوع في الثاني، ولذلك قال بعضهم تناسياً لسبب نزول الآية الآنفة:

الآية ضرب مثل، المعنى: ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن اتقوا

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٣٩).

واسألوا العلماء، فهذا كما يقال: أتيت هذا الأمر من بابه(١).

ومنهم من فسر البيوت بإتيان النساء في الأدبار وأنهم مُنعوا من ذلك، وقيل لهم: ائتوا البيوت من أبوابها؛ أي: ائتوا المرأة من الباب المحل لكم الذي منه يكون الولد، ولا تأتوها من غير هذا الباب فتجوروا وتعصوا(٢).

فانظر إلى ما صار إليه عدم اعتبار السبب من شطط.

الفائدة الثانية:

زوال الإشكالات الواردة على الآية يكون بإدراك ما نزلت عليه من سبب.

ومثلوا لهذه الفائدة بقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨] حين أشكلت الآية على مروان بن الحكم وارتفع ما وجده من إشكال لما أخبره ابن عباس بسبب نزولها.

قال الشاطبي: «فهذا السبب بين أن المقصود من الآية غير ما ظهر لمروان»(٣).

فما أشكل على مروان من معنى الآية سببه خفاء واقعة النزول، ولهذا رفع ابن عباس هذا بذكر سبب نزولها وأنها في أهل الكتاب.

وحريٌّ بالذكر أن من أهل العلم من يسوق ما ورد بين عروة وعائشة في آية: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ مثالاً لدور علم الأسباب في إزالة المشكلات التي تطرأ على نصوص القرآن(٤).

وهذا تقارب بين الفائدتين، والأحسن التفريق بينهما، فإن الوقوف على

---

(١) ذكر ابن عطية والقرطبي وغيرهما هذا القول عن أبي عبيدة،انظر: المحرر الوجيز (١/ ٤٦١، ٤٦٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤٦)، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن بمعناه (١/ ٦٨).

(٢) ذكره مكي في تفسيره الهداية وقال: وذكر ابن الأنباري أن بعض الناس فسره... ثم ساقه، ووصفه بالقول الشاذ (١/ ٦٣٣)، وقال ابن عطية عن هذا التفسير: إنه بعيد مُغيِّر نمط الكلام، المحرر (١/ ٤٦٢).

(٣) الموافقات (٤/ ١٥٠).

(٤) مثل الزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٩٢)، وكذلك في أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. عماد الدين محمد الرشيد (ص٥٠، ٥١)، الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهلالي (١/ ٨)، المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني (١/ ٢٢، ٢٣).

المعنى كاملاً صواباً عند العلم بالسبب ونقيض ذلك عند الجهل به، يفترق عن ما يطرأ من الإشكالات على النص القرآني عند خفاء واقعة نزول الآية.

فإن الأول ذهابٌ عن المعنى المراد بالكلية، والآخر هناك معنى متبادر إلى الذهن لكنه محاط بوجوه من الإشكال تعكر على فهم المقصود، ولا مزيل لها إلا العلم بالأسباب.

والأمر في هذا يسير، فقد ينظر إلى المثال من جهات متعددة تجعل كل جهة تحت فائدة.

والفائدة الكبرى التي تنطوي تحتها هي: الوقوف على المعنى المراد وإزالة ما يعلق به من الإشكال وأوجه الاحتمال.

الفائدة الثالثة:

أوردها الإمام الشاطبي عند حديثه عن علم الأسباب، وهي تعيين المعنى المراد من بين المعاني المحتملة في الآية، ومثّل له بقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. فإن القنوت له أوجه من المعاني، وعيَّن سبب النزول المعنى المراد[1].

وقريب منه ويمكن إلحاقه به على وجهٍ ما جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] فقد عضد قراءة (أن يَغُلَّ) بسبب النزول، وهذا الصنيع منه استدلال بترجيح قراءة وفي ضمنه ترجيح معناها على معنى قراءة أُخرى.

الفائدة الرابعة:

تعيين المبهمين في القرآن وإظهار فضائلهم ومن نزلت بسببهم الآيات، فإن علم الأسباب باب كبير من أبواب بيان مبهمات القرآن، وأمثلته ظاهرة جداً.

وقد يختلف في تعيين من نزلت بسببه الآية ولا يتأثر السبب بذلك، ولعل مثال ذلك ما وقع من اختلاف في المقصود بقوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٧] فقد نفت عائشة نزولها في عبد الرحمٰن بن أبي بكر

---

(١) الموافقات (٤/ ١٥٠).

وعارضها غيرها فقالوا بنزولها فيه[١]، وهو تباين لا يتأثر به السبب.

وظهرت في جملة من أسباب تنزل القرآن فضائل أقوام من الصحابة، ولعل أشهر حوادث ذلك ما جاء في قصة الإفك وتبرئة الصديقة المطهرة، تقول رضي الله عنها تحكي ما نزل في شأنها: . . . ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله به. اهـ[٢].

ومن فوائد هذا العلم ظهور تأثيره في مجموعة من علوم القرآن وإفادته لها، وكذلك قصص تنزل الآيات ميدان للعلم بتاريخ التشريع وحوادث السيرة والمغازي، والأحوال التي أحاطت بالنزول، وتخليد ذكرى أقوام من المنزل فيهم، والتأسي بالطوائف والأفراد الذين جرت لهم حوادث أدت إلى نزول قرآن على إثر ما جرى لهم، وما يثمره ذلك من أخذ العبر وكمال الاقتداء بهم والاحتذاء بسيرهم.

٣ ـ من الموضوعات المهمة في علم الأسباب ما يتعلق بصيغ أسباب النزول، وهو محل عناية أهل علوم القرآن، ومن صنف في الأسباب استقلالاً، ولهم صيغ وتقسيمات إلى ما كان صريحاً مباشراً وما هو بخلاف ذلك.

ومسألة **صيغة السبب** من الأهمية بمكان؛ لما يترتب على تأصيلها وتجليتها من معرفة ما كان سبباً صريحاً وما هو من قبيل تعيين المبهم في الآية، وما كان من باب ذكر أفراد العام، إلى غير ذلك مما شحنت به كتب الأسباب لمَّا لم يتحرر ما كان سبباً مباشراً مما ليس من الأسباب في شيءٍ.

وقبل أن أدلف إلى كلام العلماء في هذه القضية، أعرض ما استخرجته من رواياتهم الذاكرة للسبب، وقد جعلته في أنواع:

النوع الأول: قولهم: **قد أنزل الله فيك القرآن: قد أنزل الله القرآن فيك**، وهذه الصيغة مأثورة عن النبي ﷺ في أكثر من واقعة، كما في آية اللعان، وآية الظهار.

---

(١) أورده السيوطي روايات في سبب نزولها. انظر: لباب النقول (ص٢٣٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ (ص٨٣١) [٤٧٥٠].

وهذه الصيغة تنبه لها بعض المصنفين في الأسباب، وقال عند ذكر الصيغ المصرحة: وينبغي أن يدخل في هذا النوع أن يصرح رسول الله ﷺ بنزول الآية في حق شخص أو في واقعة، وذلك كآية اللعان، فإن عويمراً العجلاني لما رمى زوجته وليس معه بينة ورفع الأمر إلى النبي ﷺ قال له: «**قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك**»، وهذا صريح في إرادة سبب النزول، ويزيده قوةً أنه من قول النبي ﷺ في واقعة يتحقق فيها معنى سبب النزول، فقد اجتمع في هذه الصيغة إضافة نزول شيء من القرآن إلى واقعة حدثت أيام النبي ﷺ، وهذا قوي في الدلالة على سبب النزول. اهـ[(١)].

قلت: ـ مضيفاً على قوله ـ: إنها صيغة اختصت بالنبي ﷺ دون غيره من الصحابة فلم أجد في نصوصهم مثل هذا التعبير بلفظه ونصه، ثم هي صيغة واردة في سببين أو قريبٍ من ذلك، فليست كثيرة الورود تقابل تعدد روايات الأسباب ووفرتها.

النوع الثاني: قول الصحابي: نزلت فيَّ كذا من الآيات، وهذه الصيغة لها شرطان إذا اجتمعا كانت من الصيغ المصرحة المباشرة.

أ ـ أن يكون راوي الحادثة هو صاحب القصة ومن نزلت بسببه الآية.

ب ـ أن يسوق عقب قوله: نزلت فيَّ ـ ويريد نفسه ـ حادثة أو نازلة لها ارتباط بالآية المنزلة.

أما إذا لم يسق واقعة جرت له، فهذا يحتمل أنه يريد أنه ممن يقصد بالآية أو ممن تتناوله بعمومها، وهذه الصيغة لعلها أصرح العبارات التي تحكي السبب وألصقها مباشرة بالآية؛ لأن راوي سبب النزول هو صاحب القصة فيقدم على غيره.

ومن أشهر شواهدها: قصة كعب بن عجرة في نزول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال في بعض ألفاظ روايته للسبب: لفيَّ نزلت، وإياي عُني بها[(٢)].

---

(١) أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، د. عماد الدين الرشيد (ص٦٧، ٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (ص٦٦٩) (٢٩٧٣)، والطبري (٣/ ٣٨٧).

ولم أرَ في مصنفات الأسباب غير رواية كعب عن نفسه هذه الحادثة سبباً لآية البقرة.

وكان ابن عباس يذكر قصة كعب في النزول، وكذلك عطاء[(١)]، ومجاهد، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى[(٢)]، وعبد الله بن معقل[(٣)] يسندون إلى كعب رواية السبب ويحدثون بها عنه[(٤)].

المثال الثاني:

حديث الأشعث بن قيس الذي روى أن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] نزل فيه في واقعةٍ جرت، وكان يحلف على ذلك.

وروي عن عبد الله بن أبي أوفى ما يخالفه، حيث ورد قوله:

أن رجلاً أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أُعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾[(٥)].

وعن الشعبي بنحو ما عند ابن أبي أوفى[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٣٨٠، ٣٨١)، وأسباب النزول للواحدي (ص١٧١) [٦٧].

(٢) هو: عبد الرحمٰن بن أبي ليلى أبو عيسى الأنصاري الكوفي الفقيه، نعته الذهبي بالإمام العلامة الحافظ، من أبناء الأنصار، ولد في خلافة الصديق أو قبل ذلك، حدث عن جماعات من الصحابة، خرج مع عبد الرحمٰن بن الأشعث، وقتل في وقعة الجماجم سنة (٨٢هـ)، وقيل: ٨٣هـ، قال عنه ابن حجر: ثقة من الثانية، اختلف في سماعه من عمر، الطبقات الكبرى (٨/ ٢٢٩) [٢٨١٨]، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢) [٩٦]، تقريب التهذيب (ص٥٩٧) [٤٠١٩].

(٣) هو: عبد الله بن معقل بن مقرن المزني، أبو الوليد الكوفي، روى عن علي، وابن مسعود، وكعب بن عجرة وعدي بن حاتم، قال عنه العجلي: كوفي، تابعي، ثقة، من خيار التابعين، وقال ابن حجر: ثقة، من كبار الثالثة، مات سنة (٨٨هـ). تهذيب الكمال (١٦/ ١٦٩، ١٧٠) [٣٥٨٦]، تقريب التهذيب (ص٥٤٨، ٥٤٩) [٣٦٥٩].

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٩)، وأسباب النزول للواحدي (ص١٦٩ ـ ١٧٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ (ص٧٧٤) [٤٥٥].

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٥١٩)، قال في الاستيعاب في بيان الأسباب: رجاله ثقات، لكنه مرسل (ص٢٦٦).

وجعل عكرمة سبب نزولها في طائفة من اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من شأن النبي ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله(١).

وبنزولها في طائفة من اليهود في قصة مختلفة كانت رواية الكلبي(٢).

والمقصود ههنا معرفة حال آثار سبب النزول حين يذكر الصحابي قصة نزلت الآية بسببه ويقول: إنها نازلة فيه، هل يوافقونه دوماً أم يخالفونه في روايات أخرى للأسباب، وماذا يقدم من المرويات والحالة هذه؟

ومن أهل العلم من جعل الآية نازلة بسبب القصتين جميعاً قصة الأشعث وما رواه عبد الله بن أبي أوفى(٣).

ومنهم من رجح ـ كابن العربي ـ نزولها بسبب قصة الأشعث بن قيس(٤).

قلت: رواية الأشعث بن قيس السبب رواية صريحة، فهو صاحب القصة، بينما لم تكن رواية ابن أبي أوفى وبنحوه رواية الشعبي صريحة في السببية، بل هي للتفسير وبيان صورة من الصور التي تدخل ضمن وعيد الآية أقرب.

وليس المقصود تتبع كل آية لمعرفة أصح ما جاء فيها من أسباب، إنما المقصود معرفة موقف الصحابي من مثل هذا النوع من السبب، هل التابعي يخالف أم يوافق الصحابيَّ الذي يرى الآية نازلة بسببه وهو حاضرٌ القصة شاهدٌ لها؟

المثال الثالث:

حديث سعد بن أبي وقاص في ذكره سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١] ومر ذكر الخبر.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٥١٦، ٥١٧)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) كما عند الواحدي في الأسباب (ص٢٣٧)، وابن حجر في العجاب (٢/ ٧٠٢، ٧٠٣).

(٣) كالحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦١).

(٤) أحكام القرآن (١/ ٣٦٤).

فجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت حين اختلف الصحابة في غنائم يوم بدر(١).

وجاء غير ذلك عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه(٢).

بل كان لفظه: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل...(٣).

وقال ابن جريج في سبب نزولها كما تضمنه خبر ابن عباس(٤).

فهذه نصوص تحكي السبب على خلاف ما رواه سعد بن أبي وقاص الذي يقول إنها نزلت فيه.

وما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من قصة نزول قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. وافقه على هذا السبب قتادة، فقص حادثة نزولها بسبب ما جرى من أم سعدٍ مع سعدٍ(٥).

المثال الرابع:

روى البراء بن عازب رضي الله عنه سبب نزول قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وأنها نزلت فيهم ـ أي: الأنصار ـ وهم أصحاب نخل وكان يأتي ناسٌ بالتمر الرديء فيتصدق به، هذا ملخص حادثة السبب.

فماذا تقول الروايات الأُخرى؟

والجواب ما يلي:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٢٣٩) [٩٤٨٣]، وابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٠٣) [٣٧٨١٦]، وأبو داود (ص٣٩٨) [٢٧٣٧، ٢٧٣٨]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٦٠) [١١١٣٣]، والطبري (١١/ ١٢، ١٣)، والحاكم (٣/ ٥٧، ٥٨) [٣٣١٣]، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٠٦) [١٠٣٥]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٦٥، ١٦٦).

(٢) انظر: جامع البيان (١١/ ١٢ ـ ١٩)، والدر المنثور (٧/ ٦ ـ ١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٧/ ٤١٤، ٤١٥) [٢٢٧٥٣]، والطبري (١١/ ١٤، ١٥)، والحاكم (٣/ ٥٧) [٣٣١٢]، والواحدي في أسباب النزول بنحوه (ص٣٩٢) [٢٥٢]، وقال محققو المسند: حسن لغيره، وساقه الضياء المقدسي في المختارة بطرق (٨/ ٢٩٣ ـ ٢٩٨)، وحسن إسناده محقق المختارة (٨/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٢٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٦٧) [١٨٠١١]، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد (١١/ ٥٣١).

جاء سبب عن سهل بن حنيف رضي الله عنه وهو بمعنى أثر البراء[١].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمعناهما[٢]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كذلك[٣].

وحول هذا السبب جاء رواية ابن عباس[٤].

أما روايات التابعين فجاءت تصب في هذا السبب ولا تخالفه، وإن بدا شيء من الاختصار في حكاية السبب.

قال قتادة: ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائطان فينظر إلى أردئهما تمراً فيتصدق به ويخلط به بالحَشَف[٥]، فنزلت الآية[٦].

وقال الضحاك: كان أناسٌ من المنافقين حين أمر الله أن تؤدى الزكاة يجيئون بصدقاتهم بأردأ ما عندهم من الثمرة فأنزل الله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧][٧].

وقال الحسن: كان الرجل يتصدق برُذالة ماله فنزلت ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧][٨].

وقال مجاهد: كانوا يتصدقون بالحَشَف وشِرار التمر فنهوا عن ذلك، وأمروا أن يتصدقوا بالطيب، وفي ذلك نزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[٩].

وهكذا لم تخالف روايات التابعين السبب الذي التفت حوله مرويات

---

(١) أخرج أثره ابن خزيمة (٤/ ٣٩، ٤٠) [٢٣١٣]، والنسائي (ص٣٤٥) [٢٤٩٤]، والطبري بنحوه (٤/ ٧٠٠، ٧٠١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٢) [٢٨٤٧]، والطبراني في الكبير (٦/ ٧٦، ٧٧) [٥٥٦٧]، والدارقطني في سننه (٣/ ٤٥، ٤٦) [٢٠٣٨] و[٢٠٤٠]، والحاكم (٢/ ٦٨١) [٣١٧٨]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ١٩٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٧٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٨٠) [٣١٧٦]، والواحدي في أسباب النزول (٢٠٥) [١٠٤].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠) [٢٨٣٥]، والضياء في المختارة (١٠/ ١١٤، ١١٥) [١١٢].

(٥) الحشف: اليابس الفاسد من التمر، النهاية لابن الأثير (١/ ٣٩١).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٧٠١)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (٣/ ٢٧٢).

(٧) أخرجه الطبري (٤/ ٧٠٦)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (٣/ ٢٧٢).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٨١) [١٠٨٩١]، والطبري (٤/ ٧٠٢).

(٩) أخرجه الطبري (٤/ ٧٠١)، ونسبه السيوطي إلى سفيان، والفريابي (٣/ ٢٧٥).

الصحابة، وظهر شيء من الاختصار في حكاية السبب مع توسع التابعي في إيراده معنى الحادثة، كلٌّ حسب لفظه وروايته.

ويلاحظ ههنا عدم اختلاف مرويات التابعين تبعاً لائتلاف السبب الذي يورده الصحابة في قالب متحد لا يتنافر.

المثال الخامس:

الوارد عن أبي ذر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت فيهم في بدر، وكان أبو ذر رضي الله عنه يقسم على ذلك.

خالف ابن عباس في سبب نزولها فقال: هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً، فكان ذلك خصومتهم في ربهم[(١)].

ومثله عن قتادة[(٢)].

والغاية من إيراد ما تقدم معرفة كيف كانت مثل هذه الأسباب حين يقول الصحابي بنزولها فيه ويسوق الحادثة، هل يورد سبب غير ما يقوله، وما موقف التابعين كذلك من هذا؟

لكن الأكثر حظاً عند أهل التفسير الاعتماد على مثل هذا النوع من الأسباب وتقديمها عند معارضتها بغيرها، مع اعتبار صحة الإسناد في هذه الآثار.

النوع الثالث: قول الراوي: (نزلت في كذا).

وهذه الصيغة درسها أهل العلم من قبل، وجرى لهم فيها كلام متباين، ملخصه ما يلي:

---

(١) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس (١٦/ ٤٩١)، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه، الدر المنثور (١٠/ ٤٣٩).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٠/ ٤٣٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا... وإذا عرف هذا فقول أحدهم: نزلت في كذا لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا، إذا كان اللفظ يتناولهما كما ذكرناه في التفسير بالمثال، وإذا ذكر أحدهم لها سبباً نزلت لأجله، وذكر الآخر سبباً، فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب».اهـ[(١)].

وقال الزركشي: «وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها».اهـ[(٢)].

وقال الزرقاني: ومرة أخرى لا يُصرح بلفظ السبب ولا يؤتى بتلك الفاء ولا بذلك الجواب المبين على السؤال، بل يقال: نزلت هذه الآية في كذا ـ مثلاً ـ وهذه العبارة ليست نصاً في السببية، بل تحتملها وتحتمل أمراً آخر هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام.اهـ[(٣)].

وقال ابن عثيمين: الثالث: أن تقول نزلت هذه الآية في كذا، فهذه فيها احتمال متساوي الطرفين، بين أن يكون المراد أن هذه الآية معناها كذا وكذا فيكون تفسيراً للمعنى.

وبين أن يكون ذلك ذكراً لسبب النزول فعلى الاحتمال الأول تكون (في) للظرفية، وعلى الاحتمال الثاني تكون (في) للسببية، ثم حكم على هذه الصيغة بأنها محتملة.اهـ[(٤)].

وقد تتابع عدد من أهل التصنيف في الأسباب على جعل صيغة قول

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) البرهان (١/ ٥٦)، وانظر: إتقان البرهان للدكتور فضل عباس، فقد عدَّ هذه الصيغة محتملة الدلالة على السبب أو التفسير وتوضيح الآية (١/ ٣٣٤)، والشيخ مقبل الوادعي هي عنده يراد بها أسباب النزول تارة وتارة أن ذلك داخل في معنى الآية. انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٨).

(٣) مناهل العرفان (١/ ٩٦).

(٤) شرح مقدمة في أصول التفسير (ص٤٨).

الراوي: سبب نزول الآية هو كذا في أعلى مراتب التصريح بالسببية وصدروا بها[١].

وهذا من التقسيم المفترض الذي لا رصيد له من الأمثلة، فلم يعثر على رواية مصرحة بالسبب جاءت بهذه الصيغة.

أما الدهلوي فقال في كتابه «الفوز الكبير»: «والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين ﷺ: أنهم كانوا لا يستعملون: نزلت في كذا لمجرد بيان الحدث الذي وقع في زمنه ﷺ وكان سبباً لنزول الآية، بل ربما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية، مما حدث في زمنه ﷺ، أو حدث بعد زمنه ﷺ، فيقولون: نزلت في كذا، ولا يلزم في هذه الصورة انطباق جميع القيود المذكورة في الآية، بل يكفي انطباق أصل الحكم فحسب، وقد يبينون سؤالاً سُئل عنه رسول الله ﷺ، أو حادثة حدثت في عهد النبي ﷺ، واستنبط ﷺ حكمها من الآية، وتلاها عليهم في ذلك الباب، فيقولون: نزلت في كذا، وربما يقولون في هذه الصورة: فأنزل الله تعالى قوله كذا، أو فنزلت».اهـ[٢].

وقال كذلك: «وليعلم أيضاً أن الصحابة والتابعين ﷺ كانوا يذكرون قصصاً جزئية لبيان مذاهب المشركين واليهود وعاداتهم الجاهلية لتتضح بها عقائدهم وتقاليدهم، ويقولون: نزلت الآية في كذا، ويريدون بذلك: أنها نزلت في مثل هذه، سواء كانت تلك بعينها، أو ما شابهها أو ما قاربها، ويقصدون إظهار تلك الصورة لا خصوص القصص، بل يذكرونها لأجل أن هذه صورة صادقة لتلك الأمور الكلية».اهـ[٣].

وتمخض عن أقوالهم الآنفة أن هذه الصيغة محتملة للسببية لا صريحة، فقد تحتمل أنها تفسير وبيان معنى، أو يقولون هذه العبارة حين تعرض حادثة أو مسألة شبيهة أو مقاربة للسبب المباشر الذي نزلت فيه الآية.

وقد قسمتُ هذه الصيغة حسب مرويات الصحابة والتابعين إلى ما يلي:

الأولى: أن يقال: نزلت في فلان ويسمى صحابياً، وهي على نوعين:

---

(١) انظر: مناهل العرفان (١/ ٩٦)، الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي (ص١٧)، وشرح مقدمة في أصول التفسير لابن عثيمين (ص٤٨).

(٢) الفوز الكبير (ص٦٩). (٣) الفوز الكبير (ص٧١).

أ ـ أن يسوق بعد ذلك حادثة وقعت لذلك الصحابي وكان نزول الآية سبباً لما وقع له، فهذه مدرجة تحت الأسباب.

وأمثلتها كما تقدم:

١ ـ قال علي: إنما أُنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا.

٢ ـ عن عائشة قالت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس: ١] أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول... إلخ الحادثة.

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، ثم ساق القصة.

٤ ـ قال مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤] نزلت في نفر من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس لهم: لو نعلم أي عمل أحب إلى الله لعملناه حتى نموت، فأنزل الله هذا فيهم[١].

فذكر اسم صحابي في هذه الصيغة مقترناً بحادثة جرت له تنزلت في شأنها آية من أسباب النزول.

ب ـ إذا ذكر نزولها في الصحابي دون اقتران ذلك بحادثة وقعت له، فهذه تحتمل أمرين:

ـ إما أنه من قبيل تعيين المبهم، وهذا الباب له تعلق بالأسباب لكن دون ارتباط لا ينفصل، فربما كان مبهماً وأفصحت عنه آثارهم ولم يلزم منه ورود سبب.

ـ وإما أنه من قبيل ذكر بعض أفراد العموم، فيذكر بعض الأعلام على سبيل التمثيل، وأنهم أولى من يدخل في عموم الآية.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ عن مجاهد ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٩٠)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٤٤٤).

أمثلة ذلك:

١ - قال علي ﷺ في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧]. فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧][١]. وقال ابن عباس: نزلت في علي، وطلحة، والزبير[٢].

٢ - في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] قال ابن عباس: نزلت في عثمان بن عفان[٣].

وعن بريدة بن الحصيب: نزلت في حمزة بن عبد المطلب[٤].

وهو كذلك مروي عن محمد بن كعب[٥].

٣ - قال عبد الله بن الزبير: نزلت هذه الآية في النجاشي[٦] وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣][٧].

وقال الزهري في قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢١٧) [٩٠٢]، والطبري في تفسيره (١٠/ ١٩٨، ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٤)، وزاد السيوطي نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه (٨/ ٦٢٧) [٨٤٩٣].

(٢) أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس، الدر المنثور (٨/ ٦٢٩).

(٣) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ٤٢٧)، وذكره ابن كثير في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس (١٤/ ٣٥٠).

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٤/ ٤٢٧)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٤/ ٣٥٠).

(٥) أخرجه بسنده الآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٤) [١٧٢٦].

(٦) هو أصحمة بن أبحر النجاشي، ملك الحبشة، هاجر إليه المسلمون الهجرة الأولى إلى الحبشة، أسلم ولم يهاجر إلى النبي ﷺ، صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب في السنة التاسعة من الهجرة. انظر: أسد الغابة (١/ ٢٥٢) [١٨٨]، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/ ٢٤) [٢٠١].

(٧) أخرجه البزار في مسنده (٦/ ١٤٢) [٢١٨٣]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٥٢) [١١٠٨٣]، والطبري (٨/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٢٤٩) [٦٧١٧].

قال: ما زلت أسمع علماءنا يقولون: نزلت في النجاشي وأصحابه[(١)].

٤ ـ قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] نزلت في عمار بن ياسر[(٢)].

وقال زيد بن أسلم: أُنزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام كانا ميتين في ضلالتهما، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزه، وأقرَّ أبا جهل في ضلالته وموته[(٣)].

الثانية: قولهم: نزلت كذا، ذاكرين قضيةً جاءت الآية تشرعها وتبين حكمها، أو معنىً تدور حوله الآية.

فهذا تفسير للآية وتبيان لموضوعها لا علاقة له بأسباب التنزيل.

أمثلته:

ـ قول عائشة رضي الله عنها عن قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] نزلت في الدعاء.

ـ قول ابن عباس عن آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] نزلت في السَّلَم أو السلف.

ومن هذا النوع ما ورد عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] قالت: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن من النساء[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٦٠٢)، وذكره ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق أنه سأل الزهري عن هذه الآية وأجابه بما ذكر دون آية الفرقان (١/ ٤٩٠) [٣٧٨].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣) [٧٨٨٠]، والطبري (٩/ ٥٣٤)، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ (٦/ ١٩٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣) [٧٨٧٩]، وزاد السيوطي عزوه إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ (٦/ ١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ (ص٤٥٧) [٢٧٦٣] وبنحوه في كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ (ص٧٨٠) [٤٥٧٤].

فهذا من عائشة تفسير وإيضاح لما نزلت الآية فيه من قضية بينتها وعالجت ما فيها من حيف على التيامى وجور.

ولهذا، ليس بصواب إدراج مثل هذا في الأسباب إلا أن يكون ذلك استناداً إلى لفظ آخر من رواية عروة عن عائشة في هذه الآية: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عَذْق[١] وكان يمسكها عليه ولم يكن من نفسه شيء فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٣] أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله[٢].

نعم بالنظر إلى اشتمال الرواية على واقعة جرت ثم نزل القرآن على إثرها مفصلاً حكمه فيها، تكون من باب الأسباب.

لكن كل الروايات في الأثر واردة عن عروة عن عائشة، فلعلها من باب التمثيل لما كان واقعاً في إنكاح اليتيمة دون القسط في مهرها وما يجب لها.

أما روايتها الأولى فهي من باب التفسير لا من ذكر سبب النزول.

ومثله وأصرح منه قولها في آية: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أنزلت في والي اليتيم الذي يقيم عليه ويصلح في ماله إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف[٣].

فهذا توضيح للآية وكشف للمراد منها، لم يشتمل على قصة وقعت فتنزلت على إثرها الآية، فإدخالها في السبب تكثر ليس بسديد.

الثالثة: قولهم: نزلت في كذا ثم يسوق حادثة، أو ذكره واقعة وسوقه حادثة ويختم الرواية بقوله: فأنزل الله أو فنزلت الآية بالفاء الدالة على السببية.

فهما صيغتان بمعنى، وإنما فرقت بينها في معرض حصر ما تأتي له

---

(١) العذق: بالفتح النخلة، وبالكسر: العرجون بما فيه من الشماريخ، العذق: القِنو من النخل، والعنقود من العنب، وجمعه أعذاق وعُذوق. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٨٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ (ص٧٨٠) [٤٥٧٣].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم (ص٣٥٢) [٢٢١٢]، ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٥) [٣٠١٩].

بصيغة: (نزل في كذا) من سياقات، فهي معدودة عند بعضهم من الصيغ الصريحة(١).

وقال بعضهم: «وأما قوله: (كان كذا وكذا فأنزل الله) فهي ظاهرة أيضاً وليست بصريحة في أن هذا سبب النزول؛ لأن حمل الفاء في مثل هذا التعبير على السببية أولى من حمله على العطف المجرد والترتيب فيكون ظاهرها أن هذه الحادثة سبب النزول». اهـ(٢).

وهذا عنده بناء على التفريق بين الصيغ الصريحة والظاهرة؛ لأنها على ثلاث مراتب لديه: مصرحة، ظاهرة، محتملة، وجعلت هذه الصيغة كذلك شبه صريحة، فهذه ثلاثة آراء فيها(٣).

قلت: إن التعويل في التفريق بين صيغ حكايات الأسباب والتمييز بين المصرحة من خلافها على مثل هذه الألفاظ من قول: حدث كذا وكذا فأنزل الله أو نزلت وما شابهها يناكده اختلاف الروايات التي تذكر قصة السبب متباينة الألفاظ ما بين مصدر وآخر، وهو ما يعوق اعتماد هذا ويحول دون الاستناد إلى ذلك.

والأمثلة على هذا ما يلي:

١ ـ جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧].

حديث عمر بن الخطاب: ... وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] هذه رواية مسلم(٤).

وكذلك عند الإمام أحمد في المسند(٥).

---

(١) قال به الزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٩٦)، ومقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص١٧).
(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير الشيخ ابن عثيمين (ص٤٨).
(٣) أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. عماد الدين الرشيد (ص٨١).
(٤) انظر: صحيح الإمام مسلم (٢/ ٨٤٤) [١٧٦٣].
(٥) المسند الجامع (٢١/ ١٨٠، ١٨١) [١٣٥٥٥].

وعند الترمذي من حديث ابن مسعود: ... ونزل القرآن بقول عمر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١].

وفي رواية أبي داود عن رواية عمر: لما كان يوم بدر فأخذ ـ يعني: النبي ﷺ ـ الفداء أنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء، ثم أحل الله لهم الغنائم[٢].

٢ ـ جاء في روايات حديث جابر عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١]: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عيرٌ تحمل طعاماً فالتفوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[٣]، هذه رواية البخاري.

وفي رواية لمسلم: ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[٤]، وهي مثل رواية الترمذي[٥].

٣ ـ في ما ورد سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧].

في رواية أنس بعد ذكره قصة النزول: ... فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلى قوله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[٦].

---

(١) سنن الترمذي (ص٦٩٤) [٣٠٨٤]. (٢) سنن أبي داود (ص٣٨٩) [٢٦٩٠].

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة (ص١٥٠) [٩٣٦].

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ (١/ ٣٨٤) [٨٦٣].

(٥) سنن الترمذي (٧٥٣) [٣٣١١].

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ (ص٨٤٢) [٤٧٩١].

وفي رواية أخرى عن أنس: ... وأُنزلت آية الحجاب[١].

وفي ثالثة له: ... فألقي الحجاب بيني وبينه وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية[٢].

وكلها روايات في صحيح الإمام البخاري.

إذا علم هذا واستبان فإن هناك ألفاظاً في روايات الأسباب صريحة في حكاية النزول يمكن الإفادة منها والاعتماد عليها في تمييز الصيغ الصريحة المباشرة لتحل محل هذه الصيغة الآنفة التي لا تساعد عليها تباين الروايات واختلاف ألفاظها، وهو دليل على تصرف الرواة في نقل واقعة السبب.

ومن تلك الصيغ الصريحة المباشرة، وتقدمت أمثلة كثيرة لها:

فما برحت حتى نزل القرآن، فتغشاه الوحي فسكت، فقلتُ: إنه يُوحى إليه، فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفنا أنه يُوحى إليه، فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل ﷺ بهذه الآية.

وكذا قول: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، كما في قصة الزبير مع الأنصاري.

صريحة مباشرة في سبب النزول، وإن عدها بعض أهل العلم من الصيغ المحتملة[٣].

وكأن لفظة: لأحسب، أشعرتهم بتردد الراوي في أن ما وقع له كان سبباً مقارناً للنزول.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ (ص٨٤٣) [٤٧٩٤].

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب آية الحجاب (١٠٨٦) [٦٢٣٩].

(٣) انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، للشيخ مقبل الوادعي (ص١٨)، وهو ناقل هذا عن الشيخ مناع القطان في مباحث في علوم القرآن، وأسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. عماد الدين الرشيد (ص٨٢، ٨٣).

لكن هذا الحسبان ظنٌ راجحٌ غالبٌ يفسره ما جاء في الرواية الأخرى: والله إن هذه الآية أُنزلت في ذلك، فهل شيء أصرح من هذا الحلف؟

وبعد البحث والنظر المتكرر تبينت بعض الضوابط التي إن توفرت حكم على السبب المأثور بكونه صريحاً وإن لا فلا:

الضابط الأول: العلاقة بين الآية النازلة والواقعة، فتكون الآية بياناً لأمر نازل أو فصلاً في خصومة أو جواباً عن سؤال أو رداً لمقالة ودعوى، المهم اشتمال السبب على قصة وحادثة.

الضابط الثاني: اتصال السبب بالآية اتصالاً مباشراً، وهذا يستفاد من بين المرويات من نحو ما سبق ذكره:

فنزلت قبل أن أبرح، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان فتغشاه الوحي... إلخ.

ولا يعترض على هذا الاتصال ومباشرة الآية للواقعة ببعض قضايا الأسباب استأخر الوحي بالنزول مدة طويلة كحادثة الإفك، وقصة الثلاثة الذين خلّفوا عن تبوك، فإنها قلة قليلة تأخر فيه النزول عن مقارنة الحدث، ثم إن اشتهار ما أوحي من الآيات كان بسبب قصة الإفك أو شأن المخلفين عن تبوك محل إجماع لا يخالفه أحد.

٤ ـ هناك درجات متفاوتة للنازل على سبب من الأسباب مصنفة على أنواع منها:

النوع الأول: أن تقع نازلة تستلزم بيان حكم الله ورسوله فيها فتنزل على إثرها الآيات بالتشريع والحكم، كما حدث من القتال في الأشهر الحرم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة مما قصته سورة الممتحنة، وقضية الأسرى يوم بدر.

النوع الثاني: أن يُستفتى النبي ﷺ في مسألة ويسأله الصحابي مسترشداً عن أمر فيأتي الوحي بالجواب عما عنّ لهم من نوازل، كسؤال جابر عن الميراث، ونزول آية النساء، والرجل الذي أصاب من المرأة ما لم يحلّ له وإتيانه النبي ﷺ تائباً نادماً فنزلت آية هود: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، واستفتاء من كان يتاجر في

مواسم الحج ونزول: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، والأمثلة على هذين النوعين يطول حصرها، وهما آكد وألصق أنواع الأسباب بالأسباب.

النوع الثالث: هو ما قصه القرآن المجيد من حوادث وسير حصلت وقت التنزيل، فيأتي الكتاب ذاكراً مجرياتها مخلداً ذكرها وذكر أصحابها، وفي طيات ذلك القصص اعتبار وعبر.

وفي ظني أن هذا النوع أقل أنواع الأسباب صلة بالسببية، إنما هو قصص حفظه القرآن وأُنزلت الآيات تبث خبره.

وإذا تقرر هذا التنوع في أسباب النزول وأنها ليست على مرتبة واحدة في السببة والتعلق بالنزول فهل ما يذكره أهل العلم من خطر علم الأسباب وأنه لا يحل القول في التفسير دون الإلمام بوقائع التنزيل يسري إلى كل ما أُثر من ذلك ويصدق على جميعه؟

بمعنى آخر هل ما يترتب من فائدة تعود على معنى الآية وتحل مشكلها وتوضح خفيها يلزم منه العلم بكل سبب من الأسباب؟

والجواب: أن هذا ليس بلازم، فهناك من أسباب النزول ما يتوجب إدراكها حتى تفهم الآية فهماً مستقيماً، وهناك من الأسباب ما لو جهل لم يضر ولم تتوقف الإحاطة بوجه الآية الصحيح على ذلك السبب، والأمثلة على هذا كثيرة، مثل: ما ورد من سبب عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: ٨]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣].

فقول من قال: لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها ليس على إطلاقه، ولا يأتي على كل المأثور من أسباب النزول، والله أعلم.

٥ ـ اتصل علم أسباب النزول بمجموعة من علوم القرآن الآخرى، وظهرت ثمار ذلك تأثراً فيه وتأثيراً في غيره، وهذه العلوم كالتالي:

العلم الأول: علم المكي والمدني، وهو يكتسب الأثر وتعود إليه الفائدة من أسباب النزول، إذ أنها دليل على مكية السورة ومدنيتها من جهة.

ومن جهة أُخرى كان السبب قرينة وبرهاناً على ما يستثنى من السور المكية والمدنية، ولأجل هذا كان في شيء من مروياتهم ذكر الاستثناء من نوع السورة مقروناً بذكر سبب النزول، فهو استثناء مع برهانه.

العلم الثاني: علم المبهمات مستفيد من أسباب النزول متأثر به، ففي طيات روايات الأسباب تعيين كثير من المبهمين.

وهناك مسألة: هل كان يُجلون من نزلت بسببه آية ويعدون ذلك من مآثره؟

هذه مسألة مظنونة غير متيقنة، وفي بعض نصوصهم:

إنه امرؤٌ نزلت فيه آية من القرآن، قاله علي بن أبي طالب عن طلحة رضي الله عنهما.

وما كان يردده عبد الله بن سلام على أسماع الصحابة أنه نزل فيه آيات من القرآن، وهذا حديث عن فضائل طلحة أو ابن سلام وما حازه من منقبة.

فقولهم: «فيه» إما أنها سببية أو ظرفية، فلا يخرج عن هذين الاحتمالين، والله أعلم.

وأيضاً في هذا الجانب قد يختلف في تعيين المبهم ولا يتأثر السبب بذلك الاختلاف فيمن نزلت فيه، كما في آية الأحقاف، فقد ردت عائشة نزولها في شأن أخيها عبد الرحمٰن بن أبي بكر وخالفها غيرها، فقالوا بنزولها في شأنه.

وكذلك يستفاد من الأسباب في رد دعوى مغلوطة في من نزلت الآية بسببه وإلصاق ذلك به جوراً.

وتمييز أصحاب الفضائل ممن نزلت فيهم الآيات وفي طياتها فضلٌ لهم وعلو منزلة، ورد الفضل لأهله.

العلم الثالث: علم نزول القرآن، وصلته بعلم الأسباب في أمرين:

أ ـ إدراك أفراد من سور القرآن نزلت كاملة، كما في خبر نزول سورة الصف، فقد وضح السبب أنها نازلة جُملةً.

ب ـ في ترتيب سور القرآن نزولاً، ومعرفة ما نزل أولاً بمكة وما نزل أولاً بالمدينة، وكذلك الأواخر، فإن من تتبع الأسباب وربطها بالتواريخ وأحداث السيرة عَلِمَ أزمنة نزول سور القرآن وما تقدم نزوله وما تأخر.

ومضى ضرب شواهد ذلك.

فقد ثبت نزول أول العلق أولية مطلقة لكن في خمس آيات منها؛ لأن سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلق: ٩، ١٠] في قصة أبي جهل برهانٌ على تأخر نزول ما بقي منها إلى أن صدع الرسول ﷺ بالدعوة بعد مضي سنوات الدعوة السرية.

وفي سبب نزول أول المطففين تعضيد لقول القائل: إنها أول ما نزل بالمدينة.

وفي أسباب نزول آيات من براءة دليل ساطع على أنها آخر أو من آخر السور نزولاً.

وانظر إلى سورة الفتح والوارد من أسباب النزول فيها تعلم موقعها في زمن نزول السور القرآنية.

وهكذا كلُ نظر في أسباب السور يدلك إلى ترتيبها من النزول مع سور القرآن، والله أعلم.

العلم الرابع: ارتبط علم الأسباب بمسألة مهمة في علم الخاص والعام، ألا وهي أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهي قاعدة نطق بها حديث النبي ﷺ وتوارد من بعده على تقريرها وتأكيد مضمونها، قال ﷺ في آية هود: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] «**بل للناس كافة**»، وقال: «**هي لمن عمل بها من أمتي**».

وجاء في آثارهم كما في رواية ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]، قال: وهي خاصة عامة(١).

---

(١) أخرجه أبو حاتم السجستاني بسنده في كتابه: المعمرون، كما ذكر ذلك ابن حجر في =

قال مجاهد عند قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١] ليست بخاصة لأحد، نزلت في جميل بن عامر بن زعم الرقاشي(١).

وقال الحسن بعد ذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦] فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة، إنها لمرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء(٢).

ونحو هذه المرويات، وكلها تؤكد أن النزول على سبب خاص لا يتنافى مع عمومها، فإن العبرة بالعموم لا بخصوص الأسباب.

وهناك مسألة أُخرى في ذات السياق وهي:

فهم الصحابة قطعية دخول صورة السبب في حكم الآية وهو ما اتفق عليه العلماء؛ لأن سؤالهم في غير ما أَثَرِ عن الآية أهي خاصة أم عامة؟ إقرار منهم بأن صورة السبب الخاصة التي نزلت على أثرها الآية داخلة لا يجوز إخراجها؛ لأن جوابه ﷺ ـ على سبيل الافتراض ـ بأحد الجوابين أي: التخصيص أو التعميم، لا تخرج عنهما صورة السبب، ويشملها الحكم ولا بد على أيٍ من الجوابين.

٦ ـ جاء في شيء من مرويات الأسباب ذكر آيتين عقب قص الحادثة التي نزل إثرها القرآن، وهو ما سُمي بعد: **تعدد النازل والسبب واحد**، وهذا أثبته طائفة ممن صنف في أسباب النزول، وهو عندهم مقابل لما سمي كذلك: **تعدد الأسباب والنازل واحد**(٣).

بينما لم يرتض هذا التعدد للنزول على سبب واحد بعض المصنفين في علوم القرآن، وقالوا: إنها تتنافى مع طبيعة القرآن وواقع الأحداث، فإذا وقع

= الإصابة (١/ ١٢٤، ١٢٥)، وحكى ذلك السيوطي وقال: أخرج أبو حاتم عن ابن عباس من طريقين. انظر: لباب النقول (ص٩٠) [٣١٤].

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٥/ ٦٤٥).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٣/٥٤٩ ـ ٥٥١).

(٣) انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي (ص١٧)، جامع النقول في أسباب النزول عليوي خليفة عليوي (١/ ١٧، ١٨)، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. عماد الدين الرشيد (١٣٧ ـ ١٤١)، المحرر في أسباب نزول القرآن، خالد المزيني (١/ ١٢٤، ١٢٥).

حدث معين ونزلت فيه آية كريمة فإن هذه الآية لا بد أن تكون كافية تامة مبينة بياناً شافياً لهذا الأمر الحادث، وليس هناك من حاجة تدعو إلى نزول آيات ثانية، نعم إن كان السبب متشعب الجهات فنزلت آيات تبين كل آية منها جهة من هذه الجهات، فهذا أمر مقبول، ولكن ليس مما ذكروه شيء من هذا، فالسبب الواحد لا يحتاج إلى أكثر من نازل واحد، ثم عرض لمثالين وناقش دعوى نزول أكثر من آية لسبب واحد(١).

وهذه النزعة النقدية لمسألة توارد عليها أهل العلم ذكراً وتابع آخرهم أولهم دون تمحيص ولا نظر هي ما تحتاجه علوم القرآن لتعود قضاياه وموضوعاته محررةً محققةً.

فأول ما يلحظ على شواهد ما قُرر من تعدد النازل والسبب واحدٌ تصديرهم الآية التي نزلت إثر السبب مباشرة ومن ثم يعطفون بالآية الأخرى (ونزلت) أو (وأنزل الله) فليس في صيغة ذكر نزولها ما يجعلها نتيجة السبب الوارد.

ثانياً: قد تتفق الآيتان المذكورة لسبب واحد في نوع السورة.

وقد تختلفان.

ومثال الاتفاق: ما أُثر من سبب لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]. فالزمر والفرقان مكيتان.

ومثله الوارد عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [النساء: ٣٢] فالنساء والأحزاب مدنيتان.

أما مثال الاختلاف فما حكي من سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، و﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]،

(١) انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (٣٣١ ـ ٣٣٣).

فالتوبة مدنية بل هي آخر أو من آخر ما نزل، والقصص مكية.

ومع أن السورتين قد تتفقان في نوع السورة وهذا أمرٌ يقرب قول من يقول بتعدد النازل، إلا أن الراصد ترتيب السور القرآنية يدرك أن بينهما زمناً قد يطول.

فمثلاً سورة الأحزاب بحكم نزول آية الحجاب هي نازلة في حدود السنة الخامسة بينما سورة النساء قبلها معدودة مع البقرة في أوائل ما نزل بالمدينة، وهذا الفاصل في الزمن يصعب معه قول من يقول بتعدد النازل مع اتحاد السبب.

هذا مع اتفاقهما في نوع السورتين، أما مع الاختلاف فالأمر أشد عُسراً ويقوى به توهين القول بتعدد النازل، فقصة أبي طالب لما حضرته الوفاة قبل نزول آيتين في هذا السبب: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، والسورتان من أشد السور تباعداً في زمن النزول، فالقصص مكية والتوبة من آخر ما نزل من القرآن، وهذا ينقض دعوى نزولها معاً لذلكم السبب، بل إن في أثر سعيد بن المسيب عن أبيه كانت آية التوبة هي التالية للسبب معطوفة بالفاء وبعدها، ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذا لا يتسق مع زمن القصة وزمن تنزل التوبة[1].

وفي قصة نزول ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] لما سأل اليهود عن الروح النبي ﷺ، نزلت آية الإسراء الآنفة وقيل: آية الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩] والإسراء والكهف مكيتان، وقيل: بدل نزول آية الكهف آية لقمان، والسورة مكية، وقد استثنى بعضهم تحديداً الآية المدعاة نزولها مع آية الإسراء: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ

---

(١) قال بعض أهل علوم القرآن في محاولة توجيه تنافر نوعي الآيتين: وهذه الآية ـ أي: براءة ـ نزلت في آخر الأمر بالاتفاق، وموت أبي طالب كان بمكة، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى، وجعلت أخيراً في براءة.اهـ. البرهان للزركشي (١/ ٥٥)، ونقله عنه صاحب مورد الظمآن في علوم القرآن (٣٥).

يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

والمتأمل للأثر في السؤال عن الروح يتبين أن الآية التي أردفت آية الإسراء لم تكن للسبب الأول وهو السؤال عن الروح إنما كان لحادث جديد بعد حادث الامتحان بالسؤال عن الروح وهو قولهم: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة أوتي خيراً كثيراً، فهو سبب تولد عنه سبب، فليس الآيتان على محل واحد.

ولهذا فإن ما قيل من تعدد النازل لسبب واحد وإن قال به بعض أئمة علوم القرآن وتابعهم غيرهم عليه ليس بالقول المتين.

وأرجح أن يكون ما يرد على إثر السبب آية واحدة، ثم يأتي بعد ذلك ما يؤكد مضمون هذه الآية ويزيد معناها جلاءً وتقريراً، ويكون ذكر الراوي للآية الثانية في قص واقعة السبب من هذا الباب.

أما نزولهما على سبب واحد فلا يساعد عليه اختلاف نوعي السورتين حيناً، وتباعد زمن نزول ما كان متحداً في نوع السورة حيناً آخر.

ثم إن صيغة إيرادهم ـ وأعني: الصحابة رواة الأسباب ـ ليست صريحة في أنهما نزلتا سوية عقب تلك الواقعة، إنما هو عطف للآية الثانية على الآية الأولى النازلة على السبب، وهو عطف يحتمل التفسير وإيضاح المعنى على نحو آكد ولا يستلزم نزولهما معاً، والله أعلم.

وبدا في شيء من تلك الأمثلة عدم مطابقة الآيتين لحادثة السبب، فما صلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣]، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] بالسبب الوارد في الأثر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

٧ ـ أختم بالتنبيه على مرويات التابعين في أسباب النزول بعد أن تقرر أن

الأصل في هذا العلم سماعه من الصحابة وروايته عمن عاصروا تنزلات القرآن وشهدوا حوادثه ووقائعه، أما التابعون فالأصل أنهم تلقوا الأسباب من الصحابة، فلا طريق لهم إلا ذلك.

وبدا في جانب من مرويات التابعين التي يوافقون بها قول الصحابة في واقعة النزول أنهم أكثر اختصاراً وأنهم يحكون الحادثة بفحواها ومضمونها دون تفصيل كما عند الصحابة، فما جاء في سبب نزول قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] قال بعض التابعين مبيناً السبب:

قال الحسن: كان الرجل يتصدق برُذالة[1] ماله فنزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[2].

وعن مجاهد: كانوا يتصدقون بالحشف وشِرار التمر فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتصدقوا بالطيب، وفي ذلك نزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[3].

ولخص الضحاك بن مزاحم سبب نزول آية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] بقوله: كان أصحاب محمد ﷺ قتلوا ابن الحضرمي في الشهر الحرام فعيَّر المشركون المسلمين بذلك، فقال الله: قتال في الشهر الحرام كبير[4].

وقريب منه بشيء من البسط رواية مجاهد وهي لا تقارن بالروايات المطنبة في قصة الآية التي وردت عن غيره من الصحابة[5].

وهذا الاختلاف بسطاً وإيجازاً وتفصيلاً وإجمالاً مما يدرك ولا يختلف عليه، فلن يكون حاضرو القصة معاصرو السبب كمثل من غاب ولم يشهد ذلك من جهة ضبط الحادثة بكل جزئياتها وتفاصيلها.

ومن جانب ثانٍ قد يخالف التابعي رواية الصحابي في سبب النزول، وإذا قلنا بحتمية أخذ التابعي ذلك من الصحابي، إذ لا طريق إلى العلم بالسبب إلا من طريقهم، فهذا اختلاف بين الصحابة أنفسهم لكن ظهر برواية التابعي،

---

(١) رُذالة: الأرذل من كل شيء: الرديء منه، والرُّذالة: ما انتقي جيده وبقي رديئه، لسان العرب (٣/ ١٦٣٢، ١٦٣٣)، النهاية لابن الأثير (٢/ ٢١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٧٠٢)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٢٧٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٦٠).

(٥) أخرج أثر مجاهد الطبري في تفسيره (٣/ ٦٥٦، ٦٥٧)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر في الدر المنثور (٢/ ٥٣٨).

فظاهره اختلاف التابعي مع الصحابي وحقيقته اختلاف بين من عاصر الوقائع وحضر المشاهد أنفسهم.

قال السدي: نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] في عبد الرحمٰن بن أبي بكر قال لأبويه رضي الله عنهما وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام، ويرد عليهما ويكذبهما، فيقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني: مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٩][(١)].

وقوله هذا مخالف لما كانت تنكره عائشة رضي الله عنها من نزولها في عبد الرحمٰن بن أبي بكر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] خالفت بعض روايات التابعين أثر عن ابن عباس وغيره في سبب نزولها[(٢)].

وقد ينفرد التابعي بذكر سبب نزول للآية ولا رواية للصحابي في ذلك.

ففي أول سورة العنكبوت جاء عن الشعبي، وقتادة، ومجاهد، روايات في سبب نزول صدرها[(٣)].

وقد يورد التابعي الآية مبيناً المبهم فيها والمقصود بها على طريقة حكاية أسباب النزول، كما ورد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص: ٥٢] قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق ويأخذون بها وينتهون إليها، حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمنوا به وصدقوه فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب واتباعهم محمداً ﷺ وصبرهم على ذلك.

قال: وذكر لنا أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام[(٤)].

وبنحوه كذلك عن الضحاك[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما ذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٤٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٣٢٩).

(٢) انظر: الدر المنثور (٧/ ٧٣ ـ ٧٦)، لباب النقول (ص١٢٣).

(٣) انظر: الدر المنثور (١١/ ٥٢٧، ٥٢٨)، ولباب النقول (ص١٩٨)، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول للشيخ خالد عبد الرحمٰن العك (ص٢٥٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤) [١٧٧٣٨]، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، الدر المنثور (١١/ ٤٨٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٧٨).

علم أسباب النزول عند أهل علوم القرآن

أ ـ تسمية العلم:

لم تحمل نصوص الأولين تسمية لهذا العلم كما كان ذلك في فنون عدة من علوم القرآن.

لكن العلماء تتابعوا على تسميته بأسباب النزول منذ بواكير التأليف الأولى في هذا العلم، حيث حفظت مصنفات التراث بعض من خص الأسباب بتأليف، فذكروا مؤلف علي بن المديني (٢٣٤هـ) شيخ البخاري في علم الأسباب، وسُمي في بعض المصادر بـ: أسباب النزول(١).

ثم كتاب الواحدي الحافل «أسباب نزول القرآن»، وكتاب ابن حجر «العجاب في بيان الأسباب»، و«لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي.

والمقصود أن تسمية مصنفاتهم بالأسباب دالٌّ على أن إطلاق مفردة الأسباب على المقصود من هذا العلم القرآني سائغ لا محذور فيه، على أنه ورد عن الإمام أحمد بن حنبل استعماله مفردة سبب النزول، حيث قال: وسبب نزول هذه الآية. . .(٢).

وهناك من مال إلى تسمية هذا العلم بـ: مناسبات النزول، وقال: إن هذه الأسباب في الواقع: ما هي إلا مناسبات لا أسباب حقيقية، وإن سُميت أسباباً على طريق التسامح والتجوز(٣).

ب ـ أهمية علم أسباب النزول:

حظى أثر محمد بن سيرين لما سأل عَبيدة السلماني عن آية من القرآن

---

(١) انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة (١/ ٧٨)، وهو مذكور عند الزركشي في البرهان (١/ ٤٥)، والسيوطي في الإتقان (١/ ١٨٩)، لكن أقصد من نص تحديداً على التسمية.

(٢) ذكر ذلك البيهقي نصاً في شعب الإيمان (٥/ ٤٢٣).

(٣) التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور (ص١١).

فأجابه: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن(١).

اختص هذا الأثر بدورانه في بعض مصنفات علوم القرآن للتأكيد على ما للعلم من شأن وخطر، وكذا أن القول في أسباب النزول لا يحل إلا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل، وأن هذا الأثر دليل على تحرج السلف الصالح من القول في الأسباب بغير علم.

ولعل هذا الأثر أحظى الآثار الدالة على أهمية علم الأسباب ذكراً دون غيره من بقية ما ورد عن الصحابة والتابعين في شأن العلم ومنزلته.

وأتى في قليل من التآليف أثر ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما أنه ما من آية نزلت إلا وهما يعلمان فيم أُنزلت، وأين نزلت، وماذا عُني بها(٢).

وهذان الأثران اللذان هما بمعنى، نالهما شيء من التعقب عند بعض مؤلفي علوم القرآن، فقال أحدهم: «ينبغي ألا يؤخذ بمعناه الحرفي حتى ولو أقسم أحدهم على هذا، فإما أنهم يريدون به على طريقة العرب في المبالغة، تأكيد عنايتهم بهذا الكتاب الكريم وتتبعهم كل أمر يتصل به، وإما أنهم يحسنون الظن بما سمعوه وشهدوه في عصر الرسول الكريم ويودون لو أخذ الناس عنهم كل ما يعرفون حتى لا يذهب العلم بذهابهم، وإن كان محتملاً عقلاً أن يكون أحدهم فاته أن يعرف بنفسه معرفة شخصية سبب نزول آية ما ولم يتيسر له أن يعرفها إلا من صحابي آخر لكنه عد معرفته لها ـ ولو بالواسطة ـ علماً بها كعلمه بكل ما سمعه بأذنه مباشرة من غير وسيط، وإما أن الرواة تزيدوا في نقل هذا عنهم وعزوه إليهم، فإن في عبارتهم نفسها ضرباً من التفاخر بالعلم يصعب علينا تصديق صدوره عنهم، وهم الذين ضربت الأمثال بتواضعهم الجم وأدبهم الرفيع في الورع والإحجام عن الفتيا في الدين». اهـ(٣).

هذا نص تعقب أثر ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما، وهو ضربٌ من نقد المأثور

---

(١) ذُكر هذا الأثر في الإتقان للسيوطي (١/٢٠٦)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٧٢)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣٤)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة (ص١٣٥)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص٢٠٣)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص١٥٢).

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣٢).

(٣) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣٢، ١٣٣).

ومعارضته بالاحتمالات العقلية وإخضاعه للآراء والمظنونات.

ج ـ أفاض أهل علوم القرآن في عرض الفوائد المتحصلة لإدراك أسباب النزول، ودعَّموها ببعض الشواهد المأثورة من روايات الأسباب؛ كحديث عروة مع عائشة، وقدامة بن مظعون مع عمر بن الخطاب، وقصة مروان بن الحكم مع ابن عباس.

وهي أمثلة صريحة في ما للعلم بالسبب من ثمرة في فهم المعنى ودرء الإشكالات عنه[1].

وربما ندت عبارة ظهر منها المبالغة في عرض فوائد أسباب النزول ـ وهي فوائد لا يخالف فيها أحد ـ من نحو قول بعض العلماء:

«ولولا بيان سبب النزول لظل الناس إلى يومنا هذا يبيحون تناول المسكرات وشرب الخمور أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣]». اهـ[2].

فالسبب إنما خفي على هذا الصحابي وربما معه غيره وعلم جماهير الصحابة بالسبب ولم يجهلوه.

د ـ بحث العلماء مسألة صيغ النزول والألفاظ التي يعبر بها الرواة عن سبب النزول:

وضمنوا بحثه نقولاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن دقيق العيد، وقبلهم الواحدي في مقدمة كتابه «أسباب نزول القرآن»[3].

ويلاحظ ههنا أمور:

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (١/ ٤٦)، الإتقان للسيوطي (١/ ١٩٠ ـ ١٩٥)، الزيادة والإحسان (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٧)، مناهل العرفان (١/ ٩١، ٩٢)، مباحث في علوم القرآن للقطان (٧٥ ـ ٧٨)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (١٣٦ ـ ١٤٠)، إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (١/ ٣١٣ ـ ٣٢٦)، المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص٤٨ ـ ٥٠).

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣١).

(٣) انظر مع المصادر السابقة: محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (٣٨، ٣٩)، اللآلئ الحسان في علوم القرآن (ص١٣٣، ١٣٤)، إتقان البرهان فضل عباس (١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٦).

١ ـ صدروا بصيغة: **سبب نزول الآية كذا**، وجعلوها على رأس الصيغ المصرحة وأنها لا تحتمل غير السببية، وفاتهم أن هذه الصيغة لا وجود لها في روايات الأسباب وآثارها، فهي حينئذ عبارة نظرية لم يشفع لها مثال واحد، ومع ذلك تتابع المصنفون على ذكرها وتصدير مبحث الصيغ بها(١).

٢ ـ جعلوا قول الراوي: **أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا** من الصيغ المحتملة، وأنه تعبيرٌ عن عدم الجزم بالسبب(٢).

وهذا ليس بظاهر، وتقدم بسط الكلام حول هذه العبارة على وجه التحديد وهي واردة في أثر ابن الزبير في نزول قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وعدَّها بعضهم صورة من صور احتياط الصحابة أنفسهم لما يروونه من سبب النزول، فلعل بعض ما يعدونه من أسباب النزول لا يصلح لذلك(٣).

٣ ـ إذا تقرر أن معرفة سبب النزول لا يمكن إلا بالرواية والسماع عن الصحابة الذين شاهدوا التنزيل وعاصروا الوقائع فإن روايات التابعين أسباب النزول مسألة بحثها مصنفو علوم القرآن، وبينوا حكم مروياتهم الأسباب وهم يحكون ما لم يشاهدوه ولم يحضروه.

والسيوطي قال في هذه المسألة المهمة: ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً، لكنه مرسل، فقد يُقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك.اهـ(٤).

---

(١) انظر: مناهل العرفان (١/ ٩٦)، المدخل لدراسة القرآن لمحمد أبو شهبة (١٤٣)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (١٤٢)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (٨١)، محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (٣٧)، اللآلئ الحسان في علوم القرآن (ص٣٤) وغيرها.

(٢) نقله السيوطي في الإتقان عن ابن دقيق العيد (١/ ٢٠٦)، وتابعه غيره من مثل: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص٨٢)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (ص١٣٤)، اللآلئ الحسان (ص١٣٣).

(٣) إتقان البرهان، د. فضل عباس (١/ ٣٣٥).

(٤) الإتقان (١/ ٢٠٩).

ومضمون كلامه أن مرسل التابعي الراوي للسبب يقبل بشروط:

الشرط الأول: صحة السند إليه.

الشرط الثاني: أن يكون الراوي من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة؛ كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير.

الشرط الثالث: أن يعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك، وهذا الثالث ليس شرطاً مع الأولين، إنما هو الحالة الثانية التي يقبل فيها المرسل حين يتخلف أحد الشرطين السابقين من صحة السند أو كون الراوي من كبار أئمة التفسير الذين تلقوا علمهم عن الصحابة.

وتابع بعض المصنفين المعاصرين السيوطي على هذا، وأفادوا من كلامه(١).

وزاد بعضهم على الشروط الثلاثة السابقة أن تكون العبارة التي تروي سبب النزول صريحة في السببية(٢).

ويجري الخلاف في الاحتجاج بمرويات التابعين في أسباب النزول كما هو في مسألة الاحتجاج بمراسيل التابعين والخلاف في ذلك معلوم مبثوث في الدواوين(٣).

هـ ـ عالج المؤلفون في علوم القرآن مسألة تعدد الأسباب وذكروا طرائق ينبغي أن تسلك عند ظهور الأسباب المختلفة للآية، وهم في هذا اقتفوا ما عند السيوطي في الإتقان(٤).

---

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٩٥)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (١٤٤)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣٤، ١٣٥)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص٧٢)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا (ص٦١).

(٢) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص١٥٣).

(٣) انظر حول مراسيل التابعين كلام الإمام الشافعي الذي حدد ضوابط قبولها: الرسالة (٤٦٢ ـ ٤٦٥)، فتح المغيث للسخاوي (١/ ٢٤٦ ـ ٢٦٥)، تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٢٢ ـ ٢٣٤).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ٢١٠، ٢٢٢)، الزيادة والإحسان (١/ ٢٩٨، ٣٠٨)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٩٧ ـ ١٠١)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (١٤٥، ١٥٢)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (١٤٢ ـ ١٤٨)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (٨٢، ٨٧)، اللآلئ الحسان، موسى لاشين (ص١٣٤ ـ ١٣٧).

وفي مقابل هذا أثبت علماء علوم القرآن تعدد النازل على سبب واحد، وأن هذا لا ينافي الحكمة في إقناع الناس وهداية الخلق وبيان الحق عند الحاجة[(١)].

وكان للدكتور فضل عباس رأي لا يتفق مع من أثبت هذه المسألة من تعدد النازل على سبب واحد، وتقدم بسط المسألة برمتها[(٢)].

و ـ لم يهمل هؤلاء العلماء ما تعلق بعلم الأسباب من قضايا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أو نحوها من مسائل العموم والخصوص، وبسطوا ـ في بعض المصنفات ـ الخلاف في هذه المسألة، وأدلة كل فريق[(٣)].

ز ـ تعالت تنبيهات أهل العلم على ما شاب الأسباب من تزيد كثير أدخل فيها ما ليس منها، وهو أمر أولع به كثير من المفسرين، وليس بالمرضي.

هذه النداءات نادى بها ابن عاشور في تفسيره، حيث قال: وأغربوا في ذلك وأكثروا حتى كاد بعضهم أن يوهم الناس أن كل آية من القرآن نزلت على سبب، وحتى رفعوا الثقة بما ذكروا. اهـ[(٤)].

وهناك كلام مستفيض للمفسر محمد عزت دروزة حول التوسع في الأسباب وحشرها في كتب التفسير، والأثر السيئ لذلك[(٥)].

وفي مصنفات علوم القرآن إشارات لأمثلة جاءت في كتب الأسباب هي من هذا الباب الذي نبه عليه العلامة ابن عاشور.

ومما انتقد على إدراجه تحت أسباب النزول، ما ذكره الواحدي عند

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (١/ ٥٤، ٥٥)، الإتقان للسيوطي (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧)، الزيادة والإحسان (١/ ٣٠٩، ٣١٠)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٠٣)، مباحث في علوم القرآن للقطان (٨٧، ٨٨)، المدخل لدارسة القرآن، لمحمد أبو شهبة (١٥٣ ـ ١٥٥)، اللآلئ الحسان (ص١٣٧).

(٢) إتقان البرهان (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٣).

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٠٤ ـ ١١٥)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (١٥٤ ـ ١٦٥)، اللآلئ الحسان (١٣٨ ـ ١٤١).

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٤٦، ٤٧).

(٥) القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه وأثره وجمعه (ص٢١٧ ـ ٢٤٢).

سورة الفيل من قصة الحبشة الذين قدموا لهدم الكعبة، فأين هذا وأين أسباب النزول؟(١).

وهذا الملحظ لحظه السيوطي في الإتقان(٢)، وغيره(٣).

وكذا ما أورده الواحدي وغيره عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤](٤) كان محل انتقاد بعض العلماء(٥).

قلت: ومما يدل على التوسع المفرط في إدخال ما ليس من الأسباب في شيء، وتضخيم دواوين التفسير وكتب النزول بدعاوى الأسباب أن الواحدي ـ وهو من أشهر المؤلفين في العلم وأسبقهم ـ افتتح كتابه بأثر عن مجاهد عند أول البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢] قال مجاهد: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها في المنافقين(٦).

فما صلة هذه الرواية بسبب النزول؟

وعندي أمثلة لما ألصق بأسباب النزول وليس منها:

١ ـ ما ورد عن قول عمر رضي الله عنه وموافقته قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وكل ما كان من نحو هذه الموافقات فلا أراه من الأسباب، وإن أدخله كثيرون في أسباب النزول.

بل قال عنه السيوطي: هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول، والأصل فيه موافقات عمر(٧).

وخصه بنوع مستقل عنون له بـ: فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة(٨).

---

(١) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص٧٣٧).
(٢) الإتقان (١/٢٠٨، ٢٠٩).
(٣) محاضرات في علوم القرآن، غانم الحمد (ص٣٨).
(٤) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص١٤٢).
(٥) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣٧، ١٣٨).
(٦) أسباب نزول القرآن (ص١٢٢). (٧) الإتقان (١/٢٢٨).
(٨) المرجع السابق.

وكذا صنع ابن عقيلة وسماه: علم ما نزل موافقاً لقول قائل، فهو أفرده علماً مستقلاً، ولم يتبين لي أنه يراه نوعاً من الأسباب كالسيوطي مع أنه جعله رديفاً لعلم أسباب النزول[1].

٢ ـ ما ورد عند قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وأنها نازلة في أهل قباء كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم.

فهل تضمنت الرواية حادثة أو واقعة نزلت أثرها الآية؟ ثم هل يقال: إن تطهرهم واستنجاءهم بالماء وكمال وضوئهم كان سبباً للآية؟.

٣ ـ ما جاء عن عائشة رضي الله عنها في قول الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. قالت: الرجل تكون عنده المرأة، ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حِلٍّ فنزلت هذه الآية في ذلك[2].

فهذا ليس سبباً، بل هو واضح الدلالة أنه تفسير؛ لخلوه من الواقعة التي أدت إلى تنزل الآية.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٣٣] قال جابر ـ كما سبق ذكره ـ: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ قال: نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، فالقرآن في سياق ذكره غزوة أُحد قص بعض ما صدر عن هاتين الطائفتين، فلا يظهر لي أن هذا من الأسباب، ولو قيل بذلك ـ تنزلاً ـ فهو من أضعف أنواع الأسباب وأقل درجاته.

---

(١) انظر: الزيادة والإحسان (١/ ٣١١ ـ ٣٢٥).

(٢) تقدم تخريجه.

الفصل الثالث

أول ما نزل وآخر ما نزل

وفيه ثمان مسائل:

- المسألة الأولى: الأولية المطلقة.
- المسألة الثانية: الآخرية المطلقة.
- المسألة الثالثة: آخر السور نزولاً.
- المسألة الرابعة: أوليات مخصوصة.
- المسألة الخامسة: أول ما نزل بمكة وآخر ما نزل بها.
- المسألة السادسة: أول ما نزل بالمدينة وآخر ما نزل بها.
- المسألة السابعة: أولية مخصوصة بما نزل بعد سورة العلق.
- المسألة الثامنة: آيات أوائل في سور مخصوصة.

[أول ما نزل وآخر ما نزل]

أول ما نزل:

۞ المسألة الأولى ۞

الأولية المطلقة، مرويات الصحابة

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أول شيء أُنزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١](١).

وجاء في حديث نزول الوحي عن عائشة ـ في الحديث المشهور ـ ما يفيد نزول سورة العلق أولاً، وهو في الصحيحين(٢)، وغيرهما.

٢ ـ عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: . . . قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: لِمَ؟

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٣٠)، وفي بعض الروايات عنده بلفظ: (إن أول سورة أنزلت من القرآن)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩٢، ٥٩٣) [٢٩٢٨، ٢٩٢٩]، وصححه وقال: إسناده على شرط مسلم، وكرره في (٣/ ٣٨٣) [٤٠٠٧]، وقال: ابن عيينة لم يسمعه من الزهري، ثم ساقه في [٤٠٠٨] عن سفيان عن ابن إسحاق عن الزهري وقال: هذا حديث صحيح من شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٣) [١٨٢٢٢]، ودلائل النبوة (٢/ ١٠٩) [٤٦٨] وقال: هذا إسناد صحيح، وسنده عن سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة، والواحدي في أسباب النزول (١٠١) [٦]، والوسيط (٤/ ٥٢٨) بسنده عن سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٦٤٨)، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه في الدر المنثور، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة بسنده عن الزهري عن عروة عن عائشة (٤/ ٩) [٢٣٠١] وحسن المحقق إسناده.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (ص١) [٢] ومسلم كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٨٣) [٢٥٢]. وفي مسلم بلفظ: ثم أرسلني فقال: «**اقرأ.. إلى قوله.. ما لم يعلم**» وهذه الألفاظ مهمة في تحديد القدر النازل ابتداءً، وسيأتي له مزيد بيان.

قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام(١).

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول سورة أُنزلت على محمد ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١](٢)، وكذا بلفظ: أول شيءٍ نزل من القرآن خمس آيات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٣)، وكذا: أول ما نزل من القرآن بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾(٤).

وعن عطاء عن ابن عباس قال: ... وكان أول ما نزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١](٥).

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نزل به جبريل على النبي ﷺ قال: يا محمد استعذ بالله ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن (٤٩٩٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٧٣٧) [٧٩٣٣] و(٣/ ١٨٣٦) [١١٤٩٤].

(٢) ساقه أبو عبيد بسنده عن ابن جريج عن ابن عباس في فضائل القرآن (٢/ ١٩٨) [٨٠٧]، وابن جريج لم يلق ابن عباس فهو منقطع.

وكذا البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠٥) [٣١٣٤] عن مجاهد عن ابن عباس، ورواه عطاء عن ابن عباس كما في أخبار مكة للفاكهي (٤/ ١٠) [٢٣٠٣]، قال محقق أخبار مكة: شيخ المصنف هو: الصفار الصنعاني لم أعرف حاله، وبقية رجاله موثقون (٤/ ١٠)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٥/ ٥٢٢).

(٣) أخرجه ابن المنذر، وابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ٥١٩).

(٤) أخرجه ابن مردويه من طرق كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٥١٩).

(٥) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٣) [١٧] في حديث طويل رتب فيه ابن عباس سور القرآن مما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، وفي سنده عمر بن هارون الثقفي وهو متروك. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(٦) أخرجه الطبري (١/ ١١٢، ١١٣) وكرره في [١١٥]، وابن أبي حاتم (١/ ١٧، ١٨) [١، ٤، ٦]، والواحدي في أسباب النزول (ص١١٣) [٢٠]، وابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٢٢، ٢٢٣)، وهو عن الضحاك عن ابن عباس فالأثر منقطع، قال ابن حجر في العجاب: ... والراوي له عن أبي روق ضعيف فلا ينبغي أن يحتج به (١/ ٢٢٣)، وساقه ابن الضُّريس بسنده عن سعيد عن ابن عباس مختصراً (ص٨٠) [٢٨]، وفي سنده عبد العزيز بن جريرج، وهو لين الحديث. انظر: تقريب التهذيب (ص٦١١) [٤١١٥].

٥ - عن يحيى بن أبي كثير(١) قال: سألت أبا سلمة(٢)، فقلت: أيّ القرآن أُنزل قبل؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]، فقلت: إني نبئت أن أول سورة أُنزلت من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، قال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أُنزل أولاً؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]، فقلت: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، فقال: لا أخبرك إلا ما حدثني النبي ﷺ... ثم أورد حديث نزول الوحي، وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢](٣).

[مرويات التابعين]

١ - عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل(٤) أن رسول الله ﷺ قال لخديجة:

---

(١) هو: يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، أحد الأعلام، روى عن أنس وقد رآه، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن، وهلال بن أبي ميمونة، وأبي قلابة الجرمي، وجماعات، قال شعبة: يحيى أحسن حديثاً من الزهري، وقال أيوب: ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير، كان ثقة ويعد من أصحاب الحديث، توفي عام (١٢٩هـ)، وقيل: سنة (١٣٢هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ١١٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، وقيل: اسمه كنيته، روى عن عدد كثير من الصحابة كأبيه وعثمان بن عفان، وأبي قتادة، وأبي الدرداء، وأسامة ورافع بن خديج، وأبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وخلق من الصحابة والتابعين، كان ثقة فقيهاً كثير الحديث، ومن كبار أئمة التابعين، قال الزهري: أربعة وجدتهم بحوراً... وذكر منهم أبا سلمة. قال الذهبي: كان أبو سلمة يتفقه ويناظر ابن عباس ويراجعه، مات سنة (٩٤هـ)، وقيل: سنة (١٠٤هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٣)، تهذيب التهذيب (٤/ ٥٣١، ٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [٤٩٢٤] (ص٨٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٨٥) [٢٥٧]، وقد جاء عند أبي عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٢/ ١٩٧) [٨٠٦]، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٥١) [١١٥٦٩]، بلفظ: عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الزهري أن جابر بن عبد الله أخبره أن أول شيء نزل من القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾، وكذا أخرجه مختصراً الطبراني في كتابه الأوائل (ص٤٣) [٤٧].

(٤) هو: عمرو بن شرحبيل الهمْداني الكوفي، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، كان من العُباد الأولياء، وهو من كبار التابعين، مات في ولاية عبيد الله بن زياد سنة (٦١ أو ٦٢هـ).
انظر: تاريخ البخاري (٦/ ٣٤١) [٢٥٧٦]، الحلية لأبي نعيم (٤/ ١٢٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٥)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٢٧٧).

«إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً، فقد ـ والله ـ خشيت أن يكون هذا أمراً». . .
إلى أن قال: **«فلما خلا ناداه يا محمد قل:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١، ٢] حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾»(١).

٢ ـ عن عبيد بن عمير(٢) قال: أول سورة نزلت على محمد ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١](٣)، وعنه بلفظ: أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] ثم ﴿نٓ﴾ [القلم: ١](٤).

وعن عبيد بن عمير قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: اقرأ. فقال: وما أقرأ؟ فوالله ما أنا بقارئ، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] فكان يقول: هو أول ما نزل(٥).

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص٣٤٨) [١٠٣٠]، والواحدي في أسباب النزول (ص١١٧) [٢٤]، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١١١) [٤٧١]، والواحدي في الوسيط (١/ ٥٧، ٥٨) عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة، وساقه ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٦٨، ١٦٩)، قال ابن حجر في العجاب: هذا مرسل وإن كان رجاله ثقات، فإن ثبت حمل على أن ذلك بعد قصة غار حراء ولعله كان بعد فَتْرة الوحي (١/ ٢٢٤).
وقال البيهقي بعد سوقه للأثر بإسناده: هذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ والله أعلم، دلائل النبوة (٢/ ١١٢). وقال السيوطي: هذا مرسل رجاله ثقات، الإتقان (١/ ١٦٤)، وقال ابن كثير: وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل، البداية والنهاية (٤/ ٢٤).

(٢) هو: عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجُندعي الكوفي، واعظ مفسر، ولد في حياة النبي ﷺ كما قال مسلم، يُكنى أبا عاصم، قاص أهل مكة، ذكر البخاري أنه رأى النبي ﷺ، حدث عن أجلاء الصحابة؛ كعمر، وعلي، وأبي ذر، وعائشة، وأبي موسى، وابن عباس، وآخرين، كان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذَكِّر الناس فيحضر ابن عمر مجلسه، توفي قبل ابن عمر بأيام، وقيل: سنة (٧٤هـ).
انظر: الاستيعاب (٤٥٦) [١٦٤٤]، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦)، طبقات الحافظ للسيوطي (ص٢٢) [٢٨].

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٣) [٣٦٦٤]، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٧٤)، والطبري في جامع البيان (٢٤/ ٥٣٠)، وكرر في (٢٤/ ٣١)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٤٠) [٣٠٨٤٥].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/ ٥٣٦) [٣٦٩٦٤]، ونسبه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد (١٥/ ٥٢٢).

(٥) ساقه السيوطي بسند سعيد بن منصور الذي خرجه في سننه. انظر: الإتقان (١/ ١٦٠)، والحديث مرسل وإن كان رجاله ثقات.

وفي رواية: فيرون أنها أول سورة أُنزلت من السماء[١].

٣ ـ عن الحسين بن واقد[٢] قال: سمعت علي بن الحسين[٣] يقول: أول سورة نزلت بمكة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾... [العلق: ١] إلخ[٤].

٤ ـ عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة فقلت: أي القرآن أُنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①...﴾ [المدثر: ١] إلخ[٥].

٥ ـ عن جابر بن زيد: أول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١]، ثم ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾ [القلم: ١]... إلخ[٦].

٦ ـ عن عطاء بن يسار قال: أول سورة نزلت من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١][٧].

---

(١) أخرجه ابن أشته في كتاب المصاحف كما عزاه إليه السيوطي في الإتقان (١/ ١٦٠).

(٢) الحسين بن واقد المروزي، أبو عبد الله قاضي مرو، مولى عبد الله بن عامر بن كريز، روى عنه الأعمش، وعبد الله بن المبارك وغيرهم، وثقه بعضهم وقالوا: ليس به بأس، وقال ابن حبان: كان من خيار الناس وربما أخطأ في الروايات، وقال عنه ابن حجر: ثقة له أوهام، توفي سنة (١٥٩هـ).
انظر: تقريب التهذيب (ص٢٥١) [١٣٦٧]، تهذيب التهذيب (١/ ٤٣٨)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٤).

(٣) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، السيد الإمام، زين العابدين، حدث عن جماعة من الصحابة، وكان له جلالة عجيبة، كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله، وقد اشتهرت قصيدة الفرزدق فيه وفي فضائله، وهو من الطبقة الثانية من التابعين، توفي ﷺ سنة (٩٤هـ) على الصحيح.
انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٩٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٥٤).

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (١٠٦) [١١]. وانظره بتمامه في الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٧).

(٥) تقدم تخريج الأثر وهو في الصحيحين وغيرهما.

(٦) أخرجه أبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن (ص١٣٦، ١٣٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن عن عطاء عن ابن عباس (ص٧٣، ٧٤)، وقد تقدم ذكر هذا الأثر وتخريجه.
وقد ساقه السيوطي مسنداً إلى أبي بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور.
انظر: الإتقان (١/ ١٦٧، ١٦٨). وهو حديث مرسل، وقد عزاه السيوطي كذلك في كتابه (التحبير) إلى أبي داود في كتابه الناسخ والمنسوخ (ص٩١) من رواية جابر بن زيد.

(٧) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٥٣١)، بسنده عن محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن ويرويه عن مجاهيل.

٧ ـ عن أبي رجاء العطاردي[(١)] عن أبي موسى الأشعري قال: تعلمنا القرآن في هذا المسجد، ـ يعني: مسجد البصرة ـ وكنا نجلس حِلَقاً حِلَقاً وكأنما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين، وعنه أخذت هذه السورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١]، وقال: وكانت أول سورة أُنزلت على محمد ﷺ[(٢)].

٨ ـ عن مجاهد قال: أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١] زاد ابن مهدي و﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾ [القلم: ١][(٣)].

وبلفظ: إن أول سورة أُنزلت: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١]، ثم ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾ [القلم: ١][(٤)].

٩ ـ عن عكرمة والحسن قال: أول ما أنزل الله تعالى من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①﴾[(٥)].

١٠ ـ عن ابن شهاب قال: حدثني محمد بن عبَّاد بن جعفر المخزومي[(٦)]

---

(١) هو عمران بن مِلحان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي ﷺ، حدَّث عن عمر، وعلي، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وعنه تلقن القرآن، وكان خيِّراً تلاءً لكتاب الله، توفي سنة (١٠٥هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٩/١٣٨)، الاستيعاب (٥٢١، ٥٢٢)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/٥٤٠) [٣٠٨٤٦] وكرره [٣٦٩٦٥]، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٨) [٢٤]، والطبري في جامع البيان في روايتين (٢٤/٥٣١)، وهو صريح في أن القائل أبو رجاء العطاردي وليس أبا موسى الأشعري، والطبراني، قال في المجمع (٧/٢١١) [١١٥٠٢]: ورجاله رجال الصحيح، والحاكم في المستدرك (٢/٥٩٢) [٢٩٢٧]، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٣٧)، وفي الحلية كذلك التصريح بأن القائل هو أبو رجاء العطاري، وأخبار مكة للفاكهي (٤/١٠) [٢٣٠٢]. انظر: الدر المنثور (١٥/٥١٩).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/١٩٩) [٨١٠]، وابن أبي شيبة (١٥/٥٣٩) [٣٠٨٤٣]، والطبري (٢٤/٥٣١)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر في الدر المنثور (١٥/٥٢٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩/٥٣٦) [٣٦٩٦٦]، والطبري (٢٤/٥٣٢).

(٥) أسباب النزول للواحدي (١٠٢) [٧]، وذكره ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب، وقال: وهذا مرسل (١/٢٢٣)، وفي سنده علي بن الحسين بن واقد وهو متكلم فيه، قال ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق يهم. (ص٦٩٣) [٤٧٥١].

(٦) هو: محمد بن عبَّاد بن جعفر بن رفاعة بن أمية المخزومي المكي، روى عن جماعة من الصحابة؛ كأبي هريرة، وعائشة، وابن عمر، وابن عباس، وروى عنه الزهري، والأوزاعي، =

أنه سمع بعض علمائهم يقول: كان أول ما أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١] إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فقالوا: هذا صدرها الذي أُنزل يوم حراء، ثم أُنزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله[١].

١١ ـ عن محمد بن النعمان بن بشير[٢] قال: أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١] إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ٥]. . .[٣].

١٢ ـ قال الزهري عقب روايته حديث بدء الوحي: فكان أول شيء أُنزل عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١] حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وقال في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: فأول ما أنزل الله بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١][٤].

١٣ ـ روى ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب حادثة نزول الوحي بصدر سورة العلق فيما بلغه، ثم قال في آخر الخبر: ويزعم ناس أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدثر: ١] أول سورة أُنزلت[٥].

= وابن جريج وغيرهم، قال عنه ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وقال عنه ابن معين: ثقة مشهور.
انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٣٦)، تهذيب التهذيب (٣/ ٥٩٩، ٦٠٠).

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٩٨) [٨٠٩]، وأورده مختصراً بنحوه في [٨٠٧]، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٦)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ١٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١١١) [٤٧١].

(٢) هو محمد بن نعمان بن بشير الأنصاري أبو سعيد، روى عن أبيه وجده، مدني ثقة تابعي، ذكروه في الثقات، وقال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة من الثالثة، وهو في الطبقة الأولى من أهل المدينة.
انظر: التاريخ الكبير (١/ ٢٥٠) [٧٩٧]، تهذيب التهذيب (٣/ ٧١٩).

(٣) أخرجه ابن النديم في الفهرست (ص٤٢). وفي سنده محمد بن عمر الواقدي وهو متروك مع سعة علمه، كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص٨٨٢) [٦٢١٥]. والخبر مرسل؛ لأن محمد بن نعمان بن بشير تابعي، وهو ثقة من الثالثة كما قال الحافظ ابن حجر. انظر: تقريب التهذيب (ص٩٠٢) [٦٣٩٦].

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٦٢) [٣٣٧٧]، وجامع البيان (٢٣/ ٤٠٣)، وأثره الثاني ذكره في كتابه الناسخ والمنسوخ (ص٣٧).

(٥) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٠٠)، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية عن موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب (٤/ ٣١).

١٤ ـ عن القاسم بن محمد قال: ... وأول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: ١](١).

١٥ ـ عن الكلبي عن أبي صالح قال: أول شيء أُنزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾... [العلق: ١] حتى بلغ إلى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ⑧﴾ [العلق: ٨](٢)(٣).

المسألة الثانية

الآخرية المطلقة الآيات ـ مرويات الصحابة

١ ـ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كان آخر ما أنزل الله من القرآن آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قُبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والرِّيْبَة(٤).

وعن عامر الشعبي أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ... ثم قال: وإنه

---

(١) رواه ابن الفاكهي بسنده في أخبار مكة (٣/ ٢١٩) [٢٠٠٦]، وحسن المحقق إسناده إلى القاسم، والقاسم هو: القاسم بن محمد التابعي الفقيه المشهور.

(٢) جاء مسنداً في الناسخ والمنسوخ لقتادة السدوسي (٥٢)، ونسب إلى الحاكم في المستدرك، ولم أجده.

(٣) وردت آثار عن عبد الله بن شداد، والزهري، وعمرو بن دينار في نزول الوحي على النبي ﷺ وهو بغار حراء، وتنزل سورة العلق عليه، لكن ليس فيه التنصيص على الأولية، وإنما ذكر الحادثة ونزول الآيات.

انظر هذه الآثار المتعددة في: الدر المنثور (١٥/ ٥٢٣، ٥٢٤)، وهي أحاديث مرسلة كما هو ظاهر.

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٧) [٢٣]، والإمام أحمد في المسند (١/ ٣٦١) [٢٤٦]، والمروزي في السنة (ص١٦٤) [٢٠٨]، وابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب: التغليظ في الربا (ص٣٢٥) [٢٢٧٦]، والطبري في تفسيره (٥/ ٦٦)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٥٧) بسنده عن سعيد بن المسيب عن عمر، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠٢) [٣١٣٠]، والحديث صححه الألباني وهو في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٤٠) [١٨٦٠]، وضعفه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند للانقطاع بين سعيد بن المسيب وعمر. انظر: المسند (١/ ٢٧١) [٢٤٦]، وحسنه الأرناؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند (١/ ٤٢٦)، وقد أثبت سماع سعيد بن المسيب من عمر ابن حجر في التهذيب (٢/ ٤٤)، والعلائي في جامع التحصيل (ص١٨٤، ١٨٥).

كان من آخر القرآن تنزيلاً آيات الربا، فتوفي رسول الله قبل أن يبينه لنا، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولاً آية الربا(٢).

٢ - عن أبي العالية عن أُبي بن كعب أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر... فقال أُبي: إن النبي ﷺ قد أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] فهذا آخر ما نزل من القرآن، قال: فختم الأمر بما فتح به ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥](٣).

وعن ابن عباس عن أُبي بن كعب: آخر آية نزلت من القرآن ﴿لَقَدْ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٦٦)، والدارمي في سننه (ص٦٦) [١٣١] بلفظ: وإن آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وأن رسول الله ﷺ لم يبينها حتى مات، وأعله ابن حجر بالانقطاع فإن الشعبي لم يلق عمر. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٢).

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه وذكره ببعض إسناده وفيه هيَّاج بن بسطام وهو متروك. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٨)، وكذا نسبه السيوطي إلى ابن مردويه في الإتقان (١/ ١٧٧).

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٩، ٨٠) [٢٧]، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣٥/ ١٤٩، ١٥٠) [٢١٢٢٦]، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٢٢، ٢٢٣) رقم[٩٧]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤) [١١٠٠٤]، والخطيب البغدادي في تلخيص المتشابه (١/ ٤٠٣) [٦٧١]، والضياء في المختارة (٣/ ٣٦٠) [١١٥٥] [١١٥٦]، وحسَّن محقق المختارة إسناده وهو عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أنس عن أبي العالية عن أُبي. انظر: جامع المسانيد لابن كثير (١/ ١٦٢).

قال في مجمع الزوائد: رواه عبد الله بن أحمد، وفيه محمد بن جابر الأنصاري وهو ضعيف (٧/ ٨٠) [١١٠٦٣]، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٠٩ - ٦١٠)، قال محققو المسند: وسنده ضعيف (٣٥/ ١٥٠).

ورواه الحسن عن أُبي بن كعب كما أخرجه الداني في البيان في عد آي القرآن (ص٢٦)، وعزاه ابن حجر إلى أحمد بن منيع في مسنده عن الحسن عن أُبي كما في المطالب العالية [٣٦١٧] (١٤/ ٦٨٤)، والحسن لم يسمع من أُبي فهو منقطع.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ إلخ(١).

وعن أُبي ابن كعب: أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] إلى آخر الآيتين(٢).

وعند الطبري كذلك عن ابن عباس عن أُبي بن كعب بلفظ: (آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾) [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] إلى آخر الآية(٣).

وقد ساقه قتادة في كتابه «الناسخ والمنسوخ» قال: حدثنا همام عن قتادة أن أُبي بن كعب قال: إن آخر عهد القرآن في السماء هاتان الآيتان: خاتمة براءة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] إلى آخرها(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٤٢) [٢١١١٣]، والطبري في تفسيره (١٢/ ١٠١)، وفي سند هما علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، والحاكم (٣/ ٧٣، ٧٤) برقم [٣٣٤٩]، وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق شعبة عن يونس بن عبيد، والحاكم قد رواه عن شعبة من طريقين طريق يونس بن عبيد وعلي بن زيد بن جدعان (٣/ ٧٣، ٧٤)، ورواه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية [٣٦١٧] (١٤/ ٦٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠٣) [٣١٣٢]، وكلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان، وكذا رواه المحاملي في أماليه (ص٣٩٢) [٤٥٥] وفيه علي بن جدعان، قال في المجمع: وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ثقة سيئ الحفظ (٧/ ٨٠)، وساقه البيهقي كذلك في الدلائل بسنده عن عبد الله بن المبارك عن أبي جعفر عن الربيع عند أنس عن أبي العالية عن أُبي بن كعب (٧/ ١٠٢، ١٠٣) [٣١٣١] وهذا الإسناد حسّنه بعضهم، وكذلك هو بهذا السند عن الضياء في المختارة، وقد تقدم، وساقه ابن كثير في جامع المسانيد من حديث عبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٠٠)، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن منيع في مسنده، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه (٧/ ٦٠٩).

(٢) رواه ابن الضُّريس في فضائل القرآن من طريق سعيد عن قتادة عن الحسن عن أُبي بن كعب (ص١٢٨) [١٢٥]، والطبري من طريق أبان العطار عن قتادة عن أُبي بن كعب (١١/ ١٠٢)، وكذا الواحدي في أسباب النزول بنحوه تقريباً عن شعبة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن ماهك، وابن جدعان ضعيف. (ص١١، ١١١) [١٧].

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٠٢)، والمستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٥٥٦) [٨٠٦]، والواحدي في تفسيره الوسيط (٢/ ٥٣٦) كلهم بسندٍ فيه علي بن جدعان.

(٤) ساقه قتادة بهذا السند في كتابه الناسخ والمنسوخ (ص٥١)، قلت: فهذا الخبر عن أُبي بن كعب روي من طرق، وله متابعات يصح بها الخبر عنه في آخرية نزول خاتمة براءة، والله أعلم.

٣ ـ عن عمرو بن قيس الكندي[١] أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: إنها آخر آية أُنزلت من القرآن[٢].

٤ ـ ومن طريق مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥] إلى آخرها[٣].

٥ ـ عن عكرمة عن ابن عباس قال: آخر آية أُنزلت على النبي ﷺ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١][٤].

---

(١) عمرو بن قيس بن ثور بن مازن الكندي السكوني، أبو ثور الشامي الحمصي، روى عن جماعة من الصحابة؛ كابن عمر، ومعاوية، والنعمان بن بشير، وأبي أمامة وغيرهم، وروى عنه الأوزاعي، ومعاوية بن صالح، وإسماعيل بن عياش وغيرهم. قيل: أدرك سبعين من الصحابة أو أكثر، توفي سنة (١٤٠هـ).
انظر: التاريخ الكبير (٦/ ٣٦٢) [٢٦٤٥]، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤١، ٤٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٩٢) [٩٢١]، ونسبه السيوطي في الدر إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٩/ ٧١٠)، وقال محققو الإتقان: وسنده حسن. انظر: الإتقان (١/ ١٨٤).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره عند ابن مردويه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة (١/ ٤١٧)، وأخرجه الثوري في تفسيره (ص٧٣) [١٧٤]، بسنده عن مجاهد عن أم سلمة، وكذلك عزاه إلى ابن مردويه السيوطي في الإتقان (١/ ١٨٥، ١٨٦)، وفي الدر المنثور (٤/ ١٨٧)، وهناك خلاف في سماع مجاهد عن أم سلمة فإن صح سماعه فالحديث متصل صحيح.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٣٣) [١٠٩٩١]، من طريق الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا الإسناد يتكرر كثيراً وهو طريق صحيح. وقد ذكره ابن حجر فيمن يروي التفسير عن ابن عباس من الثقات. انظر: العجاب في بيان الأسباب (٢٠٤، ٢٠٥)، والطبري في جامع البيان (٥/ ٦٧)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) [١٢٠٤٠]. قال في المجمع: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله ثقات (٧/ ٢٩) [١٠٨٨٥]، والبيهقي في دلائل النبوة كما هو سند النسائي (٧/ ١٠٢) [٣١٢٨]، ونسبه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد، وأبي عبيد، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه (٣/ ٣٩٠)، وقد ساق ابن كثير سند ابن مردويه فقال: وقد رواه ابن مردويه من حديث المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (٢/ ٥٠٣)، ورواه الطبراني بهذا الإسناد في المعجم الكبير (١٢/ ١٩) [١٢٣٥٧].

وعن أبي صالح عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٨١] إلخ نزلت بمِنًى، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثمانون يوماً(١).

وفي رواية عطية العوفي عن ابن عباس: فهي آخر آية من الكتاب أُنزلت(٢).

وعن الضحاك عن ابن عباس وعن ابن جريج عن ابن عباس قال: آخر آية أُنزلت من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا...﴾ قال ابن جريج: يقولون: إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليالٍ، وبدئ يوم السبت ومات يوم الاثنين(٣).

وعن الشعبي عن ابن عباس قال: آخر ما نزل على رسول الله ﷺ آية الربا، وإنا لنأمر بالشيء لا ندري لعل به بأساً، وننهى عن الشيء لعله ليس به بأس(٤).

وعن أبي صالح عن ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا... لَا يُظْلَمُونَ﴾ فذكروا أن هذه الآية نزلت وآخر آية من سورة النساء، نزلتا آخر القرآن(٥).

---

(١) أخرجه ابن المنذر في تفسيره (١/ ٦٥)، وهذا الإسناد فيه الكلبي عن أبي صالح، فهو ضعيف جداً؛ لأن محمد بن السائب الكلبي متروك. انظر: تقريب التهذيب (ص٨٤٧)، فقد قال: متهم بالكذب ورُمي بالرفض، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠١، ١٠٢) [٣١٢٧]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، والفريابي. انظر: الدر المنثور (٣/ ٣٩٠، ٣٩١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٦٧)، والطبراني بسند آخر عنه وقد تقدم. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٣)، وعطية العوفي قال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً. انظر: تقريب التهذيب (٦٨٠).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن بسنده عن ابن جريج عن ابن عباس (٢/ ٢٠٥) [٨٢٩]، والطبري في تفسيره (٥/ ٦٨)، والواحدي في تفسيره الوسيط (٢/ ٥٣٦)، لكن الواحدي ساقه بسنده عن ابن عباس عن أُبي بن كعب، وأخرجه عن الضحاك عن ابن عباس ابن المنذر في تفسيره (١/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (ص٧٧٢) [٤٥٤٤].

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ٧٥) [٢٦٦٨]، وضعف المحقق إسناده جداً، وهو عند الواحدي في أسباب النزول بنفس سند أبي يعلى (١٠٩) [١٥]، والبيهقي في الدلائل مقتصرا على ذكر آية البقرة (٧/ ١٠١، ١٠٢) (٣١٢٧)، وزاد السيوطي نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر كلهم من طريق الكلبي عن أبي صالح، والكلبي كذاب، فالسند ضعيف جداً.

وعن ابن عباس قال: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها(١).

وعن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] فرحلت إلى ابن عباس فسألته فقال: لقد أُنزلت في آخر ما أُنزل، ثم ما نسخها شيء(٢).

وفي رواية: هي آخر ما نزلت، وما نسخها شيء(٣).

٦ ـ عن البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت (براءة) وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾(٤).

[مرويات التابعين]

١ ـ عن سعيد بن جبير قال: آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية.

وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال، ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول(٥).

---

(١) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ في تفسيره بسنده عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف المكي عن ابن عباس. انظر: الإتقان (١/ ١٨٢)، وفي السند علي بن جدعان وهو ضعيف، والأثر عند الطبري والبيهقي في الدلائل بسند فيه علي بن جدعان، لكنه عن ابن عباس عن أُبي بن كعب. وقد تقدم.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب التفسير (ص٧٨٥) [٤٥٩٠]. ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٥) [٣٠٢٣].

(٣) هذه الرواية هي لفظ الشيخين البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب: حج أبي بكر بالناس سنة تسع، (ص٧٣٩، ٧٤٠) [٤٣٦٤]، وكتاب التفسير باب: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (ص٧٨٦، ٧٨٧) [٤٦٠٥]، ومسلم، كتاب الفرائض، باب: آخر آية أُنزلت آية الكلالة (٢/ ٧٥٩) [١٦١٨].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٦) [٢٩٩١]. انظر: الدر المنثور (٣٠/ ٣٩١)، وساقه ابن كثير بسند ابن أبي حاتم عن ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير. انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣١٥).
قلت: وفي هذا السند ابن لهيعة وهو مضعف عند أهل العلم. انظر: تقريب التهذيب (٥٣٨) [٣٥٨٧].

٢ ـ عن همام عن الكلبي عن أبي صالح وسعيد بن جبير أنهما قالا: إن آخر آية نزلت من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١](١).

٣ ـ عن ابن شهاب قال: حدثنا سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين(٢).

٤ ـ عطية العوفي قال: آخر آية أنزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١](٣).

٥ ـ عن عطاء بن أبي رباح قال: آخر آية أنزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾(٤).

٦ ـ عن ابن شهاب الزهري قال: آخر القرآن عهداً بالعرش الربا وآية الدين(٥).

وقال كذلك: وآخر ما نزلت هذه الآية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩](٦).

٧ ـ عن السدي قال: آخر آية أنزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١](٧).

---

(١) ذكره قتادة السدوسي في كتابه الناسخ والمنسوخ (ص٥١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٦٨). انظر: الدر (٣٠/ ٣٩١)، وقال السيوطي في الإتقان: مرسل صحيح الإسناد (١/ ١٨٠).

(٣) حدث به مالك بن مِغْول عن عطية العوفي، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥٣٩) [٣٠٨٤١] و(١٩/ ٥٥٧) [٣٧٠٣٧]، والطبري في تفسيره (٥/ ٦٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٠٨) [١٤].

(٤) رواه مالك بن مِغْول عن عطاء بن أبي رباح في فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ٢٠٥) [٨٢٨].

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢٠٥) [٨٢٧]. وهو مرسل ورجاله ثقات، كما قال ذلك محققو الإتقان (١/ ١٨٠).

(٦) قاله الزهري في كتابه الناسخ والمنسوخ (ص٤٢).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٣٨) [٣٨٤٠]، (١٩/ ٥٥٧) [٣٠٨٣٦]، والطبري (٥/ ٦٨)، وابن المنذر (١/ ٦٥) [٦٥] وقد ساقه بلا إسناد.

٨ ـ قال السدي: آخر ما نزل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩](١).

۞ المسألة الثالثة ۞

آخر السور نزولاً

مرويات الصحابة

١ ـ حديث ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال... قال عثمان .... فكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها... إلخ(٢).

---

(١) ذكره هكذا بلا إسناد الباقلاني في الانتصار (١/ ٢٤٥)، والزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٦)، وبعد أن ساق ابن كثير خبر ابن عباس من طريق ابن جريج قال ما نصه: ورواه عطية ـ وفي بعض النسخ ابن عطية ـ عن أبي سعيد قال: آخر آية نزلت ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا...﴾ إلخ (٢/ ٥٠٣).
قال في الإتقان: وأخرج ـ يعني: ابن جرير ـ من طريق عطية عن أبي سعيد... ثم ساقه. انظر: الإتقان (١/ ١٨١)، قلت: من هو أبو سعيد هذا؟ ومن هو عطية أو ابن عطية الراوي عن أبي سعيد؟ هذا ليس بواضح، قال محققو الإتقان: كذا في جميع الأصول وفي تفسير ابن كثير، لكنه ليس في جامع البيان كما تقدم (١/ ١٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/ ٥٧٧) [٣٧١٠٣]، والترمذي في سننه، تفسير القرآن، سورة الأنفال (ص٦٩٥) [٣٠٨٦] وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند (١/ ٤٦٠) [٣٩٩]، وأبو داود في سننه (ص١٢٣) [٧٨٦]، والبزار في مسنده (٢/ ٨) [٣٤٤]، وعمر بن شبه في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٥، ١٠١٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٢٤٠) [٧٩٥٣]، والطبري في تفسيره (١/ ٩٨، ٩٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٢٠، ١٢١)، وابن أبي داود في المصاحف (٢/ ٢٢٥) [٩٩]، والنحاس في ناسخه (٢/ ٣٩٦) [٥٥٢]، وابن حبان (١/ ٢٣٠) [٤٣]، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩٣) [٢٩٣١] وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وكرره الحاكم في [٣٣٢٥]، وأبو نعيم في المعرفة (١/ ٢٦٨، ٢٦٩) [٢٨١]، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٨) [٢٤٢٧]، ودلائل النبوة (٧/ ١١٢) [٣١٤٣]، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٣٣٨، ٣٣٩)، والضياء في المختارة (١/ ٤٩٤) [٣٦٥]، وابن كثير في تفسيره (٧/ ١٣٥، ١٣٦)، وفضائل القرآن (ص٧٢)، وفي سند الأثر يزيد الفارسي والكلام فيه يطول، والحديث قال عنه ابن كثير: إسناده جيد قوي، فضائل القرآن (ص١٤٣)، وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند وبيَّن نكارة المتن (١/ ٣٣٢، ٣٣٣)، وكذا ضعفه أبو إسحاق =

٢ ـ عن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب(١) قال: أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن. . . فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قالوا: وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ. . .﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة، قال عثمان: فأنا أشهد أنها من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟ قال: أختم بهما آخر ما نزل من القرآن، فختمت بهما براءة(٢).

٣ ـ عن جبير بن نُفير(٣) قال: حججت فدخلت على عائشة ﵂ فقالت لي: يا جبير أتقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرِّموه(٤).

= الحويني في تحقيقه لفضائل القرآن لابن كثير (ص٧٢). أما الألباني فقال في تخريجه لمشكاة المصابيح (١/ ٦٨٣)، ورجاله ثقات غير يزيد الفارسي، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا بأس به. .اهـ. وضعفه في ضعيف سنن أبي داود (ص٦٥) رقم الحديث [٧٨٦]، وقد أطال الشيخ عبد الله الجديع في تقرير صحة الحديث سنداً ومتناً، ورد على من ضعفه في كتابه: المقدمات الأساسية (ص١١٧، ١١٨).

(١) يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، أبو بكر المدني، أدرك عدداً من الصحابة، وروى عن أسامة، وابن عمر، وابن الزبير، وعائشة وغيرهم، كان من التابعين الثقات، كثير الحديث، قال ابن معين: بعضهم يقول عنه: سمعت عمر، وإنما هو عن أبيه سمع عمر. .اهـ، ولد في خلافة عثمان ومات سنة (١٠٤هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٧)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٤).

(٢) رواه ابن أبي داود في المصاحف (٢/ ١٧١، ١٧٢) [٣٣]، وكرره في [٩٨] بسنده ونصه، وقال ابن كثير في فضائل القرآن: وقد روى ابن وهب عن طلحة الليثي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب أن عثمان شهد بذلك أيضاً (ص٦٢)، وليس فيه ذكر الآخرية، والمتن منكر والإسناد منقطع؛ لأن يحيى بن حاطب لم يلق عمر بن الخطاب.

(٣) جبير بن نُفير بن مالك بن عامر الحضرمي، ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عن أبي بكر مرسلاً، وعمر على خلاف في ذلك، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وابن عمر، وثوبان، والنواس بن سمعان وغيرهم، ثقة من كبار تابعي أهل الشام، وكان من جلة العلماء، وحديثه في الكتب كلها سوى البخاري، قال النسائي: ليس أحد من كبار التابعين أحسن رواية عن الصحابي من ثلاثة. . . وذكر منهم جبير بن نفير، مات سنة (٨٠هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٩/ ٤٤٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٢)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٩٢).

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٤٥، ٤٦) [٤٤٥]، والإمام أحمد في المسند (٤٢/ ٣٥٣) [٢٥٥٤٧]، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٥٠) [١١٠٧٣]، والنحاس في الناسخ =

٤ ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[(١)] قال: قال لي ابن عباس: تعلم أو تدري آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً؟ قلت: نعم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١] قال: صدقت[(٢)].

٥ ـ عن عطاء عن ابن عباس في حديثه الطويل: ... ثم نزل بالمدينة... ثم المائدة ثم التوبة[(٣)].

٦ ـ جاء عن ابن عباس في مراجعة بين بعض الصحابة عن المسح على الخفين:

... ولكن هل مسح منذ أُنزلت سورة المائدة؟ فإنها أحكمت كل شيءٍ، وكانت آخر سورة نزلت من القرآن إلا (براءة)[(٤)].

٧ ـ عن البراء بن عازب قال: آخر سورة أُنزلت كاملة ﴿بَرَآءَةٌ...﴾[(٥)].

٨ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: إن آخر سورة نزلت سورة المائدة.

= والمنسوخ (٢/ ٢٣٢) [٣٩٨]، والطحاوي في مشكل الآثار (٦/ ٣٠٤)، والطبراني في مسند الشاميين [١٩٦٣]، والمستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٥٤٢) [٧٧٨]، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥) [٣٢٦٣]، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٥/ ١٥٦).

(١) هو: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله المدني، روى عن جماعة من الصحابة، كان من سادات التابعين، ثقة كثير الحديث والعلم، كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة الذين تدور عليهم الفتوى، مات سنة (٩٨هـ) وقيل غير ذلك.
انظر: التاريخ الكبير (٥/ ٣٨٥) [١٢٣٩]، تهذيب التهذيب (٣/ ١٥)، طبقات الحفاظ (٣٩) [٧٣].

(٢) رواه مسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٦) [٣٠٢٤].

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٤، ٧٥)، بسند فيه عمر بن هارون الثقفي وهو متروك، وقد تقدم الأثر.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٨٩) [١١١٤٠]، وكرره في [١٢٢٣٧]، وفي المعجم الأوسط (٣/ ٤٤٣) [٢٩٥٢]، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٩٣٩، ٩٤٠) [١٢٠٧]، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، وروى ابن ماجه طرفاً منه، وفيه عبيد بن عبيدة التمار، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يغرب..اهـ. (١/ ٣٥٦) [١٣٦٤].

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: حج أبي بكر بالناس سنة تسع (ص٧٣٩، ٧٤٠) [٤٣٦٤]، كتاب التفسير، باب: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ (ص٧٨٦) [٤٦٠٥]، ومسلم، كتاب الفرائض، آخر آية أُنزلت آية الكلالة (٢/ ٧٥٩) [١٦١٨].

وجاء عند الترمذي بلفظ: آخر سورة أُنزلت سورة المائدة والفتح[(١)].

٩ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته، لا شريك له....»**.

قال أنس: وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾ [التوبة: ٥][(٢)].

مرويات التابعين

١ ـ عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل: آخر سورة أُنزلت في القرآن سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة فريضة[(٣)].

٢ ـ حديث جابر بن زيد ـ وقد تقدم ـ: ... ثم (التوبة) خاتمة القرآن[(٤)].

٣ ـ قال الزهري عند تعداده السور النازلة في المدينة: ... ثم سورة التوبة، وهي آخر ما نزل من القرآن[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي ـ تفسير القرآن ـ سورة المائدة (ص٦٩٠) [٣٠٦٣]، وحسنه وقال: حديث حسن غريب، والحاكم في مستدركه (٣/ ٣٥) [٣٢٦٤] وصححه، وهو عنده دون (والفتح)، والبيهقي في السنن الكبرى، وقد حسن إسناده الألباني وقال: وصححه الحاكم دون (الفتح) وروى له شاهداً وصححه أيضاً ووافقه الذهبي.اهـ. انظر: صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٣٥) [٣٠٦٣].

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (ص١١) [٧٠]، والبزار (١٣/ ١٣٢) [٦٥٢٤]، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٤٤)، والحاكم وصححه (٢/ ٦٥) [٣٣٣٠]، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٤١، ٣٤٢) [٦٨٥٦]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٩١٧) [١٥٤٩]، والضياء في المختارة (٦/ ١٢٦) [٢١٢٢] [٢١٢٣]، وضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجه (١/ ١٢٣) [٢٤]، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للطبري (١٤/ ١٣٦) [١٦٤٧٥]، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص١٠) [٧١]، والإسناد فيه أبو جعفر الرازي وهو مختلف فيه. انظر: تقريب التهذيب (ص١١٢٦) [٨٠٧٧].

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٤٣٥) [٧١١]، وضعف محقق سنن سعيد بن منصور هذا الإسناد؛ لأن فيه خديج بن معاوية صدوق يخطئ، وأبو إسحاق السبيعي ثقة إلا أنه اختلط بآخرة ولم يصرح هنا بالسماع، ولم يذكر خديج فيمن روى عنه قبل الاختلاط (٤/ ١٤٣٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٥/ ١٥٨).

(٤) تقدم تخريج الأثر في مرويات التابعين في (أول ما نزل).

(٥) في كتابه: الناسخ والمنسوخ (ص٤٢).

٤ - عن ضمرة بن حبيب[(١)] وعطية بن قيس[(٢)] قالا: قال رسول الله ﷺ: «المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها وحرِّموا حرامها»[(٣)].

❁ المسألة الرابعة ❁

أوليات مخصوصة

أ - موضوع القتال:

مرويات الصحابة

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩] فعرفت أنه سيكون قتال.

قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال[(٤)].

---

(١) هو ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي، أبو عتبة الحمصي، كان مؤذن المسجد الجامع بدمشق، روى عن أبي أمامة الباهلي، وشداد بن أوس، وعوف بن مالك وغيرهم. تابعي ثقة، مات سنة (١٣٠هـ) رحمه الله.

انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٣٣٧) [٣٠٤٣]، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٩).

(٢) هو: عطية بن قيس أبو يحيى الكلاعي، ويقال: الكلابي، الدمشقي، إمام قانت مقرئ، عرض على أبي الدرداء، وحدث عن النعمان بن بشير، وعمرو بن عبسة، وعبد الله بن عمرو، وجماعة من الصحابة، كان مقرئ دمشق مع الإمام ابن عامر، قيل: كان فيمن غزا القسطنطينية في زمن معاوية، توفي سنة (١٢١هـ) رحمه الله.

انظر: التاريخ الكبير (٧/ ٩) [٣٧]، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٤٥) [٤٤٤]، وكذا المستغفري بسنده في فضائل القرآن (٢/ ٥٤٢) [٧٧٧]، وهو مرسل ضعيف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٥٨) [١٨٦٥]، والبزار (١١/ ٣٣٤، ٣٣٥) [٥١٤٨]، والنسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب: وجوب الجهاد (ص٤٢٣) [٣٠٨٧]، وكذا في السنن الكبرى (١/ ٦٥٨) [٤٢٧٨] وكرره في [١١٢٨٢]، والطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٤)، وكذا عند ابن أبي حاتم كما ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره (١٠/ ٧٤)، وابن حبان (١١/ ٨) [٤٧١٠]، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٣) [١٢٣٣٦]، والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٠) [١٨٢٣٨]، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٥٩) [٣٨٤]، والإسناد صحيح.

٢ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩] قال: هي أول آية نزلت في القتال[١].

٣ ـ عن ابن عباس في حديث طويل وفيه: . . . وأذن الله له عند ذلك في الخروج وأمرهم بالهجرة، وافترض عليهم القتال، فأنزل الله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] فكانت هاتان الآيتان أول ما نزلت في الحرب، وأُنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكر نعمته عليه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠][٢].

٤ ـ عن الزهري قال: فكان أول آية نزلت في القتال، كما أخبرني عروة عن عائشة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ. . .﴾ [الحج: ٣٩] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. ثم أذن بالقتال في آي كثير من القرآن[٣].

مرويات التابعين

في أولية القتال:

١ ـ عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كفَّ عنه حتى نزلت سورة (براءة)[٤].

٢ ـ عن عروة بن الزبير قال: إن أول آية أُنزلت في القتال. . . فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩][٥].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٤) [١٩٣٧]، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٥٢٥) [٦٨٥]. والحاكم (٣/ ٣٥٢١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) نسبه في الدر المنثور إلى الطبري، وابن إسحاق، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وأبو نعيم في الحلية. انظر: الدر المنثور (٧/ ٩٥).

(٣) السنن الكبرى للنسائي (٣/ ١٧٩٨، ١٧٩٩) [١١٢٨٣]، وصحح الحافظ ابن حجر إسناده. انظر: فتح الباري (٧/ ٣٢٧).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٨٩، ٢٩٠) [١٧٤٧]. انظر: الدر المنثور (٢/ ٣١١)، وساقه ابن كثير في تفسيره عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أنس عن أبي العالية وأبو جعفر الرازي مختلف فيه كما تقدم. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٤).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٦) كما نص عليه في الدر المنثور (١٠/ ٥١٣)، وأخرجه =

٣ - عن ابن جريج عن مجاهد في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] قال: ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة وكانوا يُمنعون، فأدركهم الكفار، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم، قال ابن جريج: أول قتالٍ أذن الله به للمؤمنين[1].

٤ - عن قتادة في حرف ابن مسعود: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩]، وهي أول آية نزلت في القتال، فأذن لهم أن يقاتلوا[2].

٥ - قال الضحاك عند قوله تعالى: ... ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] كان هذا بمكة ونبي الله ﷺ بها، وهو أول شيء نزل من القرآن في شأن القتل، كان المشركون من أهل مكة يقاتلون أصحاب النبي ﷺ، فقال الله: من قتلكم من المشركين فلا يحملنكم قتله إياكم أن تقتلوا له أباً، فلا تقتلوا إلا من قاتلكم، وهو قبل أن تنزل ﴿بَرَآءَةٌ﴾ وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين[3].

٦ - عن الزهري قال: كانت أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩][4] قال: ثم ذكر القتال في آي كثير من القرآن.

٧ - عن السدي: أول آية أُنزلت في القتال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩][5].

٨ - عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] قال:

= ابن أبي عاصم في كتاب الأوائل (ص٨٨) برقم [١٠٢].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٥، ٥٧٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤) [١٩٣٦]، وساقه الطبري في تفسيره بسندين عن معمر عن قتادة (١٦/ ٥٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره فقال: «حُدثت عن الحسين بن الفرج»، وفي السند مجهول مع كونه مرسلاً (١٤/ ٥٨٦)، وعزاه السيوطي إلى وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٩/ ٣٣٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥١٣)، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٢/ ١٩٠) [٣٥٤].

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٣١) [٩٠٧].

هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل مَن قاتَله، ويكف عمَّن كفَّ عنه حتى نزلت (براءة)[(١)].

٩ ـ عن الأعمش في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] قال: هي أول آية نزلت في القتال[(٢)].

ب ـ موضوع الخمر:

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن ابن عمر ﵄ قال: أنزل الله ﷻ في الخمر ثلاثاً، فكان أول ما نزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩][(٣)].

وقد جاء عن عمر ترتيب الآيات النازلة في تحريم الخمر، لكن دون ذكر أولية أو آخرية، وقد جاءت على النحو التالي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٢ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٣ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠][(٤)].

وفي معنى أثر عمر ما جاء عن قتادة، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣/ ٢٨٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٦٨)، وقد ساقه معزواً إلى الربيع بلا إسناد.

(٢) تفسير سفيان الثوري (ص٢١٤) [٦٩٠]، رواه سفيان عن الأعمش.

(٣) انظر: مسند الطيالسي (٣/ ٤٦٢) [٢٠٦٩]، تفسير الطبري (٣/ ٦٨١)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٢٦٢) [٦٨٠١]، شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٤) [٥٥٧٠]، وإسناده ضعيف كما قال ابن عساكر كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٣): وأبو توبة هذا لم أجد له ذكراً في كتاب من الكتب المشهورة، ومحمد بن أبي حميد سيئ الحفظ.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة المائدة (ص٦٨٦، ٦٨٧) [٣٠٤٩]، وأحمد (١/ ٤٤٢) [٣٧٨]، وأبو داود (٥٢٦) [٣٦٧٠]، والنسائي (ص٧٥٤) [٥٥٤٢]، والنحاس (١/ ٥٧٦) [١٢٦]، والحاكم (١/ ٦٧٢)، [٣١٥٥]، والبيهقي (٨/ ٤٦٢) [١٧٨١٧]، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٣)، والضياء في المختارة (١/ ٣٦٧) [٢٥٦]، وانظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢/ ٤١٥) [٣٦٧٠].

والسدي، والشعبي، وكلها ترتب آيات نزول تحريم الخمر بالترتيب المذكور، وزاد الشعبي آية رابعة وهي آية النحل: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] ذكرها بعد أول ما نزل في التحريم[(١)].

٢ ـ عن أبي القَموص زيد بن علي[(٢)] قال: أنزل الله ﷻ في الخمر ثلاث آيات، فأول ما أنزل قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩][(٣)].

٣ ـ عن عطاء بن أبي رباح قال: أول ما نزل تحريم الخمر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩][(٤)].

٤ ـ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قال: هذا أول ما عيبت به الخمر[(٥)].

المسألة الخامسة

أول ما نزل بمكة وآخر ما نزل بها

مرويات الصحابة ثم التابعين

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما نزل من القرآن بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١]، وفي رواية ابن الضريس: ... ثم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾

---

(١) انظر جملة هذه الآثار في: تفسير الطبري (٣/ ٦٨٠ ـ ٦٨٦)، وهناك أثر أسنده القاسم بن سلام عن عمر بن عبد العزيز ذكر فيه ما أنزل في الخمر من ثلاث آيات، ورتبها حسب ما جاء في أثر عمر بن الخطاب (٢/ ٢٥٠) [٤٥٤].

(٢) زيد بن علي العبدي، أبو القموص، روى عن طلحة بن عبيد الله، وابن عباس وغيرهم، وقد وثقوه، وممن وثقه ابن حبان، والعجلي، وكان قليل الحديث كما قال ابن سعد. انظر: التاريخ الكبير (٣/ ٤٠٣) [١٣٤٠]، طبقات ابن سعد (٩/ ٢٣٥)، تهذيب التهذيب (١/ ٦٦٩).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٦٨٢).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٩/ ٦٠١).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٦٨٤، ٦٨٥)، ونسبه في الدر المنثور إلى عبد بن حميد (٢/ ٥٤٧).

[المطففين: ١] فهذا ما أنزل الله ﷻ بمكة[(١)].

قلت: وفي معنى ما نزل بمكة أولاً، كل الآثار التي وردت في أول ما نزل من القرآن مطلقاً، فخلافهم بين سورة (العلق) وسورة (المدثر) يجري هنا.

فمن يقول إنها (العلق) أو (المدثر) فمفهومه أنها أول ما نزل بمكة؛ لأن من المقطوع به بدء تنزل الوحي بمكة.

٢ ـ عن علي بن الحسين قال: أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، وآخر سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة (المؤمنون)، ويقال: (العنكبوت)[(٢)].

٣ ـ عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ... وجعل سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١] آخر ما نزل بمكة[(٣)].

قال الزهري في تعداده لما نزل بمكة: فأول ما أنزل الله بمكة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]... ثم سورة المطففين[(٤)].

المسألة السادسة

أول ما نزل بالمدينة وآخر ما نزل بها

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن عطاء، عن ابن عباس في حديثه الطويل: ... ثم أُنزل بالمدينة

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن عن عطاء عن ابن عباس مطولاً (٧٣ ـ ٧٥) [١٧]، وفي السند عمر بن هارون الثقفي وهو متروك. انظر: تقريب التهذيب (ص٧٢٨) رقم [٥٠١٤]. وانظر: الدر المنثور (١٥/ ٢٨٨)، وساقه في الإتقان مسنداً معزواً إلى ابن الضريس وقال عنه محققوه: إسناده ضعيفٌ جداً (١/ ٥٤)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن مردويه (١٥/ ٥١٩).

(٢) ساقه الواحدي في أسباب النزول مسنداً (ص١٠٦) [١١]. والأثر مرسل، وعلي بن الحسين بن واقد مختلف فيه. انظر: تقريب التهذيب (٦٩٣) [٤٧٥١] فقد قال عنه: صدوق يهم.

(٣) تقدم تخريج الأثر.

(٤) الناسخ والمنسوخ للزهري (ص٣٧ ـ ٤٠).

سورة البقرة، ثم الأنفال . . . ثم المائدة، ثم التوبة(١).

وعن ابن عباس كذلك: أول ما نزل بالمدينة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١](٢).

٢ ـ في حديث ابن عباس عن عثمان ﷺ وقد تقدم: . . . وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن(٣).

٣ ـ من طريق ابن جريج عن مولى لابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانت (البقرة) أول سورة نزلت، ثم أردفها سورة النساء. . .(٤).

٤ ـ عن جابر بن زيد قال: . . . وأنزل بالمدينة سورة (البقرة) ثم آل عمران. . . ثم التوبة خاتمة القرآن(٥).

٥ ـ عن علي بن الحسين قال: وأول سورة نزلت بالمدينة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١] وآخر سورة نزلت بها (براءة)(٦).

٦ ـ عن علي بن الحسين قال: . . . وآخر سورة نزلت بالمدينة (براءة). .(٧).

٧ ـ عن عكرمة قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة (البقرة)(٨).

٨ ـ عن عكرمة والحسن: أن أول ما نزل بالمدينة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١] ثم سورة البقرة(٩).

٩ ـ عن الزهري قال: فأول ما أُنزل بالمدينة الفاتحة، ثم سورة البقرة. . . ثم سورة المائدة، ثم سورة التوبة، وهي آخر ما نزل من القرآن(١٠).

---

(١) تقدم تخريج هذا الأثر وهو في فضائل القرآن لابن الضريس.

(٢) هو عند ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ٢٨٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر (٥/ ٧٤). والراوي عن ابن عباس مجهول.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) تقدم تخريج الأثر.

(٨) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٢١) [٢٨]، ونسبه السيوطي إلى أبي داود في كتابه: الناسخ والمنسوخ (١/ ٩٤).

(٩) ذكره السيوطي في كتابه التحبير، وقال: إنه مسند، بل وعن ابن عباس، فانتفى إرساله (ص٩١).

(١٠) الناسخ والمنسوخ للزهري (٤١، ٤٢).

١٠ ـ عن عطاء الخراساني: ثم كان أول ما أُنزل الله ﷻ بالمدينة سورة البقرة... ثم سورة التوبة(١).

❁ المسألة السابعة ❁

أولية مخصوصة بما نزل بعد سورة العلق

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن عائشة ﵂ قالت في سياق حديثها المشهور في بدء الوحي: كان أول ما نزل عليه بعد ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [القلم: ١] ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١] و﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى: ١](٢).

٢ ـ عن ابن عباس قال: ... فكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]. ثم ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١] ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١](٣).

٣ ـ عن عمرو بن دينار قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]. ثم ﴿نٓ﴾ [القلم: ١](٤).

٤ ـ حديث جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]. ثم ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١] ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ...﴾ [المدثر: ١] إلخ(٥).

---

(١) ساقه هكذا بلا إسناد في ترتيب للنازل بمكة والمدينة السخاوي في جمال القراء (١/٨ ـ ١٠)، ولا أدري أقصد أثر عطاء الذي يرويه عن ابن عباس في ترتيب السور المكية والمدنية نزولاً، أم هو أثر آخر لعطاء بن أبي مسلم الخراساني.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الأوائل عن الزهري عن عروة عن عائشة، وقد ذكرت بعد العلق سورتي القلم والمدثر (ص٨٨) [١٠٣]، والطبري (٢٤/٥٢٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن الأنبار في المصاحف (١٥/٥٢٣).

(٣) تقدم تخريج الأثر.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

٥ ـ عن مجاهد قال: إن أول سورة أُنزلت: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ثم ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١][(١)].

٦ ـ عن محمد بن النعمان بن بشير قال: أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥] ثم ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١] وآخرها بطريق مكة (ثم المدثر)[(٢)].

المسألة الثامنة

آيات أوائل في سور مخصوصة

١ ـ عن سعيد بن جبير قال: أول ما نزل من (آل عمران): ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨][(٣)].

٢ ـ عن أبي الضحى[(٤)] قال: أول ما نزل من (براءة): ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] ثم نزل أولها وآخرها[(٥)].

٣ ـ عن مجاهد عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة: ٢٥]. قال: هي أول ما أنزل الله تعالى من سورة براءة.

---

(١) تقدم تخريجه، وقد أورد الزركشي عن مجاهد بلفظ: أول سورة نزلت (اقرأ) ثم نوح (١/ ٢٦٦). قلت: وقوله: (نوح) لعلها مصحفة من (نون)، والله أعلم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أشتة في كتاب «المصاحف» كما قال السيوطي في الإتقان (١/ ١٧٦).

(٤) هو: مسلم بن صُبيح الهَمْداني مولاهم، أبو الضحى الكوفي العطار، روى عن مجموعة من الصحابة كابن عمر، وابن عباس، والنعمان بن بشير، وغيرهم، كان ثقة كثير الحديث، وهو معدود في الطبقة الرابعة من التابعين، وكان جل روايتهم عن كبار التابعين، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٧١)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٧٠٠).

(٥) ساقه السيوطي معزواً إلى الفريابي بسنده عن إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن أبي الضحى. انظر: الإتقان (١/ ١٧٤)، وأخرجه الطبري بهذا السند (١/ ٤٧٥)، وبطريق آخر عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى (١١/ ٤٧٥).

وعنه كذلك بلفظ: إن أول ما نزل من براءة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥] يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك[١].

٤ ـ عن عامر الشعبي في قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال: هي أول آية نزلت في براءة في غزوة تبوك، فلما رجع من تبوك نزلت (براءة) إلا ثمانٍ وثلاثين آية من أولها[٢].

٥ ـ عن أبي مالك قال: أول شيء نزل من (براءة): ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١][٣].

التأصيل

هذا العلم القرآني مصدره النقل المحض، وليس فيه مجال للاجتهاد، ومعتمده منقولات الصحابة الذين شاهدوا التنزيل وعاصروا وقائع الآيات، وتليها في المرتبة مرويات التابعين وإن كانت مرسلة، فمعتمدهم على بيان الأول والآخر ما علموه من الصحابة.

أولاً: المسائل المؤصلة من مرويات أول ما نزل من القرآن:

١ ـ الخلاف بين الصحابة على ضوء مروياتهم في أول ما نزل دائر بين سور: **العلق، والمدثر، وآية البسملة**.

أما عائشة وابن عباس فيريان أول ما نزل سورة العلق، أما جابر بن عبد الله ـ رضي الله عن الجميع ـ فيرى أن سورة المدثر أول ما نزل.

وبدا لي أن جابر بن عبد الله يستشهد لقوله بخبر غار حراء وأمر النبي

---

(١) ساقه الطبري عن ابن جريج عن مجاهد (١١/ ٤٧٥). وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٧٢) [١٠٠٩١]، وعزاه في الدر إلى ابن أبي شيبة، وسُنيد، وابن المنذر كذلك (٧/ ٢٩٣)، وساقه السيوطي في الإتقان فقال: قال الفريابي حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (١/ ١٧٤)، ورجال هذا الإسناد ثقات.

(٢) عزاه في الإتقان إلى ابن أشتة في المصاحف (١/ ١٧، ١٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٧١) [١٩٧١٤] و(١٩/ ٥٧١) [٣٧٠٧٧]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر (٧/ ٣٨٧)، وقد عزاه في الإتقان إلى ابن أشتة في كتاب المصاحف بلفظ: كان أول (براءة) ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ سنواتٍ ثم أُنزلت (براءة) أول السورة، فأُلِّفتْ بها أربعون آية، الإتقان (١/ ١٧٤).

بالإنذار والقيام بالرسالة، وهو استدلال بحادثة صحيحة، لكنها تمت في المرة الثانية بعد نزول جبريل بسورة العلق في حادثة نزوله على النبي ﷺ في غار حراء، فأولية المدثر مقيدة بما بعد العلق وليست أولية مطلقة.

٢ ـ في قول أبي سلمة راوي الحديث عن جابر وفيه: قلت: يقولون: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] دلالة واضحة على اشتهار القول بنزول العلق أولاً.

فأما أثر ابن عباس في أولية البسملة فضعيفٌ إسناده، فيُطرح دون الحاجة إلى توجيهه، وإن كان السيوطي قد وجه خبر ابن عباس هذا ـ وسيأتي.

٣ ـ أما أثر عائشة ؓ في نزول سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار فليس فيه تعيين السورة، وإن كان العلماء قد عينوا مرادها بـ[سورة من المفصل] بأنها [المدثر]، فهي أول ما نزل بعد فترة الوحي وفيها ذكر الجنة والنار، وقدروا (من)؛ أي: من أول ما نزل.

فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية سورة العلق، وما نزل من العلق ابتداءً خمس آيات فقط(١)، بل كان لابن كثير توجيه غريب لهذا الأثر حيث قال: «وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد».اهـ(٢)، فانحصر الكلام في آثارهم بين سورتي العلق والمدثر.

وقد وجه السيوطي جعل البسملة أول ما نزل بقوله: «وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السور نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق».اهـ(٣).

٤ ـ من تأمل في خبر عائشة وجابر يرى أنهما استندا في تعيين أول القرآن تنزلاً إلى حادثتي نزول جبريل على النبي ﷺ في غار حراء، ولا ريب أن خبر عائشة يحكي أول نزول لجبريل مطلقاً، وهو الذي جاء فيه نزول سورة العلق، أما خبر جابر فهو اللقاء الثاني في غار حراء ومعه سورة المدثر.

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٦٥٧)، الإتقان (١/ ١٦٦).
(٢) فضائل القرآن (ص١٤٢).
(٣) الإتقان للسوطي (١/ ١٦٥)، ولا حاجة إلى توجيه هذا القول مع ضعف إسناده.

٥ ـ جاءت بعض آثارهم تحدد النازل من العلق بخمس آيات، وظهر ذلك جلياً في آثار عائشة التي تذكر بدء الوحي، وجاء أيضاً في بعض مرويات ابن عباس، وهذا القدر النازل يقوي أن العلق لم تنزل كاملة في تلك الحادثة، وأن سورة المدثر نزلت على إثرها، فصدر العلق له الأولية المطلقة والمدثر أوليتها نسبية، ويدلُّك على صواب أن النازل من العلق صدرها آنذاك، أن في خاتمتها آياتٍ نزلت لسببٍ ذكره المفسرون عند قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلق: ٩، ١٠] إلخ، وواقعة السبب متأخرة بوقت عن بدء الوحي.

٦ ـ معظم الروايات عن التابعين ترى سورة العلق أول النازل مطلقاً، كما تفيده روايات: أبي رجاء العطاردي، وعبيد بن عمير، ومجاهد، وعطاء بن يسار، وجابر بن زيد، والزهري، وأثر محمد بن جعفر بن عبَّاد المخزومي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن نعمان بن بشير، والقاسم بن محمد، وقد تم تخريج آثارهم، وإن كان رجال بعض أسانيدها ثقاتٍ إلا أنها أخبار مرسلة كما هو معلوم، وقد روى سعيد بن المسيب حادثة نزول الوحي في أول تنزلاته، ثم حكى قول من جعل نزول (المدثر) أولاً بلفظ: (زعم) إشارةً إلى توهينه.

٧ ـ طابق قول أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قول جابر بن عبد الله في أولية سورة (المدثر) مستندين إلى حديث بدء نزول الوحي.

وفي قول أبي سلمة في الخبر: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ دليل على اشتهار القول بأسبقية نزول العلق مطلقاً.

وفي سؤال التابعي للصحابي عن أول ما نزل مظهر من مظاهر اهتمام السلف بهذا العلم القرآني.

٨ ـ أثر الحسن وعكرمة في أولية البسملة ضعيف من ناحية الإسناد فهو مرسل وفيه رجل متكلم فيه، كما تقدم في تخريجه.

وكذا ما روي عن أبي ميسرة في أولية الفاتحة، فهو مرسل، وأُعل بالانقطاع، وفيه غرابة كما قال ابن كثير.

٩ ـ جاء أثر الزهري، ومحمد بن عباد المخزومي،

ومحمد بن نعمان بن بشير، ليُحدد القدر النازل من العلق بخمس آيات، وهو موافق لما في بعض مرويات الصحابة كذلك.

فمرادهم بنزول العلق أنها الأول بإطلاق، لكن نزول صدرها فقط إلى خمس آياتٍ أما بقية سورة العلق فقد تأخر نزولها بعد ذلك إلى حينٍ حسب الوقائع، وأما ادعاء نزول المدثر كاملة، ففي آياتها ما يرده حيث نزلت بسبب بعض الوقائع كما في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪﴾ [المدثر: ١١] إلخ، وهي حادثة متأخرة عن نزول جبريل بصدرها في غار حراء.

١٠ ـ دار الخلاف في روايات الصحابة والتابعين في تعيين الأول نزولاً بين **العلق، والمدثر، وآية البسملة**، وزادت روايات التابعين بخبر أبي ميسرة في ادعاء أولية الفاتحة.

ثانياً: المسائل المؤصلة من مرويات آخر ما نزل من القرآن:

١ ـ انحصرت مرويات الصحابة في تعيين آخر ما نزل في هؤلاء الآيات:

ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ⑳⑧①﴾ [البقرة: ٢٨١]، ابن عباس في روايات متعددة، منها ما صح سنداً ومنها ما هو ضعيف.

ـ آية الربا، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]، رواية الشعبي عن ابن عباس، وعدة مرويات عن عمر بن الخطاب.

ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة، أُبي بن كعب من عدة طرق يثبت بمجموع الخبر، ورواية لابن عباس.

ـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ [النساء: ١٧٦]، البراء بن عازب في الصحيحين.

ـ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أبو سلمة، وبعضهم حسن هذا الأثر.

ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، معاوية بن أبي سفيان وهو أثر صحيح.

وهناك آيتان ادعيت آخريتهما وهما:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا...﴾ [النساء: ٩٣].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: ٣].

وسيأتي الجواب عنهما بعد استشكال دعوى آخريتهما نزولاً من القرآن.

٢ - يظهر اتساع دائرة ما ادعي أنه آخر القرآن نزولاً بين الصحابة عما عليه الأمر في أول ما نزل، والمروي عنهم في (آخر ما نزل) يفوق المروي في (أول ما نزل) ولعل الفائدة في معرفة الآخر أظهر من العلم بأول ما نزل إذ لا يترتب على الأولية فائدة عظيمة.

٣ - من أقوى آثارهم هنا، أثر البراء بن عازب في آية الكلالة وهو في الصحيحين، وما جاء عن ابن عباس في آية الربا فهو في البخاري، وما سوى ذلك دائر بين الصحة والحسن والضعف كما تقدم في تخريج آثارهم.

٤ - كل آثار الصحابة في آخر ما نزل مُصرحة بالآخرية المطلقة سوى ما ورد في أثر عامر الشعبي عن عمر: (كان من آخر القرآن تنزيلاً آيات الربا) وهذا أثر منقطع.

٥ - تباينت ألفاظ المروي عن عمر في آخر ما نزل، فبعضها بلفظ: (من آخر) وبعضها: (آخر)، فيمكن تفسير ما جاء عنه أنه آخر مطلقاً بالرواية الأخرى وأنها: (من آخر)، فمراد عمر ليس آخرية مطلقة حتى مع ورود قوله: (من آخر) في أثرين مضعفين لكن الأثر له أصل حيث ورود من طريق آخر صحيح.

٦ - يمكن في جواب ثانٍ عن آثار عمر ﷺ أن يقال: كما غاب عن عمر ﷺ تفسير النبي ﷺ لآيات الربا فكذلك غاب عنه آخر ما نزل مطلقاً، وقد ظن أنها آية الربا وليس كذلك، وهذا جواب ثانٍ بعد الجواب المتقدم.

ومن هذا يستفاد أن جمع الروايات الواردة عن الصحابي أو التابعي مهمٌّ، وبه يتم استيضاح مراده، فالروايات يفسر بعضها بعضاً، وقد يزول الإشكال ويرتفع الإبهام بهذه الطريقة.

٧ ـ لم توضح الآثار مرادهم بـ (آية الربا) ولعل الآية المقصودة ـ والله أعلم ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ . . .﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ويدل لهذا أن أهل المصنفات يسوقون الآثار التي تحكي آخرية آية الربا عند هذه الآية، وقد نص الزركشي والسيوطي على أن المراد هذه الآية الكريمة[1].

٨ ـ معظم مرويات التابعين تجعل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ . . .﴾ [البقرة: ٢٨١] آخر ما نزل من آيات القرآن، فهو واردٌ عن عطية العوفي، والسدي، وعطاء، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، وأكثر هؤلاء من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن سعيد بن المسيب أنها آية الدَّين، وفي رواية الزهري، والسدي أنها خاتمة (براءة).

وفي أثر للزهري جعل آخر ما نزل آية الدين وآية الربا، فعدَّ آيتين وهو مخالف لمسلكهم عند ذكر الأولية والآخرية من تعيين آية واحدة، وكلا الآيتين (آية الدين، والربا) قريبتان من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ . . .﴾ [البقرة: ٢٨١].

٩ ـ دائرة الخلاف عند التابعين في آخر الآيات نزولاً أقل مما عند الصحابة.

١٠ ـ ظهرت بعض الألفاظ التي تعبر عن **آخر ما نزل**، مثل قولهم:

أحدث القرآن بالعرش، أو أحدث القرآن عهداً بالسماء، ونحوها، وهي ألفاظ آكد في بيان الآخرية من قولهم: آخر ما نزل.

والتعبير بهذه الألفاظ ينتفي معه ادعاء آخرية مخصوصة أو مقيدة.

١١ ـ غلب على آثارهم في تحديد الأول والآخر أن لا يُذكر مستندٌ لما يقوله الراوي سوى ما ورد عن جابر بن عبد الله، وهذا يُوحي بأنهم اجتهدوا في نقل ما يرونه أولاً أو آخراً، وكلٌّ أخبر بمضمون ما عَلِم، ولذلك لم يسندوا خبراً صريحاً إلى النبي ﷺ يقطع النزاع.

---

(١) البرهان (١/ ٢٦٤، ٢٦٥)، الإتقان (١/ ١٧٦).

ثالثاً: المسائل المؤصلة لمرويات آخر ما نزل من سور القرآن:

١ ـ انحصرت آثار الصحابة في بيان آخر ما نزل من سورة القرآن في ثلاث سورة: براءة: [البراء، وعثمان، ابن عباس]، النصر: [ابن عباس]، المائدة: [عائشة، عبد الله بن عمرو، أنس]، الفتح: [كما في خبر عبد الله بن عمرو].

٢ ـ أثر ابن عباس في آخرية (النصر)، وكذا أثر (البراء بن عازب) آخرية (براءة)، هما من أصح الأسانيد، فالأول في صحيح مسلم، والثاني في الصحيحين، ويليهما في قوة السند أثر عائشة رضي الله عنها من رواية جبير بن نفير فهو حسن كما سبق بيانه، أما أثر عبد الله بن عمرو، ويحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب، وابن عباس في آخرية براءة فهي آثار ضعيفة.

٣ ـ كل آثارهم تحكي آخرية مطلقة كما تُنبئ عنها ألفاظ مروياتهم ما عدا أثر ابن عباس الذي يرويه عن عثمان: وبراءة من آخر ما نزل من القرآن.

٤ ـ ما جاء عن ابن عباس في آخر سورة (النصر) لعل مراده آخر سورة أُنزلت كاملة، وهذا يتصور في السور القصار بلا إشكال.

ولهذا قال ابن حجر في جمعه بين أثر ابن عباس والبراء: إن آخرية سورة النصر نزولها كاملة بخلاف براءة كما تقدم توجيهه(١).

أما (براءة) و(المائدة) فإن معنى نزولها آخراً يحتاج إلى توجيه فلا يتصور نزولها كاملة آخر ما نزل من القرآن.

فبراءة قد نزل صدرها عام حج أبي بكر بالناس في السنة التاسعة، ونزلت أجزاءٌ منها في غزوة تبوك، والقطع بنزول آيات بعدها من سور مختلفة مما لا يحتاج إلى بيان، وكذلك المائدة قد نزلت آية إكمال الدين يوم عرفة، ونزل بعدها آيات من البقرة كآيات الربا، وآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾، وكذا آية الكلالة كما صح عن البراء بن عازب.

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٠٥، ٦٠٦)، وقد أجاب النحاس عن أثر البراء وعائشة بقوله: وهذا ليس بمتناقض؛ لأنهما جميعاً من آخر ما نزل. الناسخ والمنسوخ (٢/ ٢٣٤)، أما الطحاوي فرجح قول عائشة، وساق شواهد دالة على آخرية المائدة، شرح مشكل الآثار (٦/ ٣٠٦).

إذاً فتحصل من هذا أن دعوى نزول هذه السور آخراً من القرآن لا يعنون به نزولها كاملة لما تقدم، بل لعل معنى هذا نزول معظمها أو أكثر ما تنزل من آيات القرآن آخراً من هذه السور(١).

٥ - في خبر عبد الله بن عمرو جعل آخر سور القرآن (المائدة)، و(الفتح)، وفيه ذكر سورتين، وليس من منهجهم إلا ذكر سورة واحدة.

وأما قوله (والفتح) فعند السيوطي المراد بهذه السورة قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ [النصر: ١](٢) مع أن سورة النصر معروفة باسم سورة (النصر)، وسورة (التوديع) كما ذكر في بعض مؤلفات علوم القرآن(٣).

وقد سماها الترمذي في جامعه باسم (الفتح)، وإن لم تشتهر بهذا الاسم(٤).

ولو فرضنا أن مراده (بالفتح) سورة: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ①﴾ [الفتح: ١] فمعروف أنها متقدمة النزول، وقد اشتملت معظم آياتها على أحداث صلح الحديبية وفتح مكة، وهي متقدمة زماناً وإن ورد في بعض آثارهم التي يرتبون بها سور القرآن من جعل الفتح متأخرة نزولاً، فجعلها قبل (التوبة) خاتمة القرآن وهذا وارد في أثر ابن عباس، وجابر بن زيد وقد تقدما، وكذلك الزهري ذكر هذا في كتابه في «الناسخ والمنسوخ» وجعلها قبل المائدة، والتوبة(٥)، وهو منقوض بما أورد آنفاً.

٦ - في ختام أثر عائشة المتقدم ما يدل على أنها قصدت آخر سورة متضمنة للأحكام والتشريعات بحيث لو تعارض نص مع ما في سورة المائدة لقُدم ما في المائدة؛ لأنها آخر القرآن نزولاً.

وقد استفاد بعضهم في موضوع النسخ من هذا الأثر ومن تقرير آخرية المائدة على أنه لا يصح أن يكون فيها حكم منسوخ؛ لأنها الآخر من القرآن، وممن أشار إلى هذا النحاس في ناسخه، ومكي بن أبي طالب في الإيضاح،

---

(١) الإتقان (١/ ١٨٣).
(٢) لابن حجر كلام يحوم حول ما ذكر ههنا. انظر: فتح الباري (٨/ ١٦٧)، الإتقان (١/ ١٨٣).
(٣) الإتقان (١/ ٣٦٧)، جمال القراء (١/ ٣٨)، الزيادة والإحسان (١/ ٣٩٠).
(٤) جامع الترمذي (ص٧٦٧).
(٥) الناسخ والمنسوخ (ص٤٢).

والكرمي في قلائد المرجان[1].

٧ ـ انحصرت آثار التابعين في تعيين آخر السور نزولاً من القرآن في سورتين: المائدة والتوبة، المائدة [كما في أثر أبي ميسرة، وحديث صخرة بن حبيب، وعطية بن قيس المرسل]، والتوبة [في أثر الزهري، وجابر بن زيد].

فالخلاف عندهم أضيق مما كان عند الصحابة التي تزيد مروياتهم بذكر سورة (النصر) و(الفتح) على توجيهها بسورة (الفتح) المعروفة.

وفي أثر أبي ميسرة (وإن فيها لسبع عشرة فريضة) ـ وإن كان مضعفاً ـ ما يومئ إلى أهمية معرفة الآخر من السور سيما إن تضمنت أحكاماً شرعية، وهو بهذا يتفق مع أثر عائشة المتقدم في دعوى آخرية المائدة وأهمية معرفة ذلك وسريان فائدته إلى بعض قضايا النسخ.

٨ ـ يستفاد من هذه الآثار المجموعة تقرير أن سورة (المائدة)، و(التوبة)، و(النصر)، هي آخر السور القرآنية نزولاً، وإن جرى خلاف في تعيين أيها آخراً على وجه النص والتعيين.

رابعاً: المسائل المؤصلة من مرويات الأوائل المخصوصة من الآيات:

١ ـ جاءت نصوص السلف في أولية آيات نزلت في موضوعات مختلفة كالقتال هنا والخمر، ـ وسيأتي ـ جاءت لبيان أن التشريع الرباني للأمر بالجهاد ودفع الكفار جاء على مراحل متدرجاً حسب ما تقتضيه المرحلة، وبما يتوافق مع قوة المسلمين وضعفهم، فوافقت الحكمة تشريعاً وعلى قدر أحوال المكلفين.

٢ ـ كل مرويات الصحابة وغالب روايات التابعين تجعل آية الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩] أوّل الآيات النازلة تشريعاً للجهاد والدفع للمشركين، جاء هذا من روايات ابن عباس بأسانيد متعددة، وعائشة، وقتادة، ومجاهد، وعروة، والأعمش، والزهري، والسدي، وفي أثر أبي بكر ما يلمح إلى أنها أول ما جاء في القتال.

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٢٣٢) فما بعدها، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي (ص٢٥٥) فما بعدها، قلائد المرجان لمرعي الكرمي (ص١٧٥).

أما الضحاك فجعلها آية الإسراء ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. وعلاوة على كون الأثر مرسلاً، فإن هذا مخالفٌ لما عليه الأكثرون، والآية في القتل لا في القتال.

وأثر أبي العالية، والربيع بن أنس اللذين قيدا أول ما نزل في القتال بما نزل في المدينة، لا يعنون أولية مطلقة، بل هي مقيدة بكونها الأول نزولاً في المدينة، وهذا لا يُعارض نزول آية الحج كأول شيء في شأن الجهاد مطلقاً، وقد قال ابن كثير عن هذا القول: إن فيه نظراً؛ لأن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله(١).

وعليه فيستفاد من أثرهما ـ وإن كانا مُرسَلين ـ أن ثاني آيات القتال قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠] الآية.

٣ ـ جاء في أثر الربيع، وأبي العالية قولهما: حتى نزلت (براءة)، وكأن هذا يعني: أن آية السيف التي في (براءة) هي آخر ما نزل من الآيات في شأن القتال، وتأخر نزول التوبة يدعم هذا المعنى.

وقد غلب على مروياتهم ذكر الأول دون ترتيب للوارد من النصوص في تشريع الجهاد، إلا ما جاء إشارة إلى آية براءة وأنها الأخيرة في شأن القتال.

٤ ـ قد استفاد أهل علوم القرآن من هذا التدرج في التشريع كما ههنا، وبنوا عليه فوائد معرفة (أول وآخر ما نزل)، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا في ختام هذا العلم القرآني بإذن الله.

٥ ـ يبدو اتفاقهم على تعيين آية البقرة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩] كأول ما بدئ به في تحريم الخمر، ـ وإن كان في بعض أسانيد مروياتهم ضعف ـ، وعلى ضوئها فما نزل في تحريم الخمر ثلاث آيات.

٦ ـ في جملة من آثارهم تعداد الآيات الواردة في تشريع تحريم الخمر،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٤).

وذكروا الأول ورتبوا بعد ذلك الآيات الباقية، ومن المقطوع به أن آية المائدة هي آخر ما نزل في تحريم الخمر ويعضد ذلك ما قيل في آخرية المائدة.

٧ ـ في تأمل تدرج التشريع والنظر المتمعن فيه بشأن الخمر وتأثيمها ما يطلع على أسرار التنزيل والحكم المقتضية لمثل هذا التدرج الحكيم، ولعل في ذكرهم مراحل تحريم الله ﷻ الخمر، ومثله ما سبق من تدرج تشريع الجهاد ما يوحي إلى أهمية التأمل وتكرار النظر للوقوف على خفايا ودقائق التشريع الإلهي العظيم، ومناسبته لأحوال المكلفين وزمانهم.

خامساً: المسائل المؤصلة من مرويات أول ما نزل بمكة من آي القرآن وآخر ما نزل فيها:

١ ـ الخلاف المشهور في تعيين أول القرآن نزولاً ـ وقد تقدم ـ يرد هنا أيضاً باعتبار أن التنزيل بدأ في مكة، وتزيد الروايات المذكورة في هذا النوع بالتنصيص على مكان النزول بقولهم: (أول ما نزل من القرآن بمكة).

٢ ـ إنما جاءت آثارهم في تحديد آخر ما نزل في مكة دائرة بين سورة المطففين (كما في رواية ابن عباس، وجابر بن زيد، والزهري)، أو سورة (المؤمنون، أو العنكبوت) كما في أثر علي بن الحسين، ويمكن اعتبار سورة المطففين هي الآخر في معظم روايات الصحابة والتابعين، وإن اختلف في هذه السورة ونوعها كما سيأتي بسطه.

٣ ـ يمكن اعتبار المأثور عن التابعين في هذا النوع من الأولية أكثر وروداً مما أثر عن الصحابة، وآثار التابعين هنا مرسلة.

سادساً: المسائل المؤصلة من مرويات أول ما نزل بالمدينة من آي القرآن وآخر ما نزل فيها:

١ ـ دارت دعوى أول ما نزل بالمدينة بين السور التالية:

(البقرة: كما عن ابن عباس من روايتين، وجابر بن زيد، وعكرمة، وعطاء).

و(﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾: في رواية لابن عباس، وعكرمة، والحسن، وعلي بن الحسين).

(الفاتحة) وتفرد به الزهري.

أما أثر عثمان الذي يرويه عنه ابن عباس فلم يصرح بالأولية المطلقة لسورة الأنفال، وإنما جعلها من الأوائل ـ وهي كذلك ـ ورواياتهم جميعها تصرح بالأولية المطلقة لما يذكرونه من السور.

٢ ـ اختلف عن ابن عباس ﵄ فجاء عنه أن الأول (البقرة)، وجاء عنه (المطففين)، وبعيداً عن أسانيد الروايتين، فقد جاء عنه أن النبي ﷺ لما قدم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك[1].

وهذا يقوي نزولها بالمدينة، وإن كانت موضوعاتها مما يجعلها في صف السور المكية، ولهذا اختلف المفسرون في تعيين نوعها، وتباينت آثارهم بين جعلها أول المدني نزولاً وبين جعلها آخر المكي كما سبق، وهناك قربٌ زماني بين آخر المكي وأول المدني.

٣ ـ قول إن هذه السورة أو تلك نزلت بمكة أو بالمدينة لا يعني: أنه لا يستثنى منها بعض الآيات فتخالف ما أُطلق على السورة من كونها مكية أو مدنية، ولهذا جاءت مستثنيات من كلا النوعين.

٤ ـ يرد هنا كذلك في تعيين آخر ما نزل بالمدينة من السور، خلافهم في تعيين آخر ما نزل من القرآن مطلقاً، ـ وتقدم بسطه ـ لأن آخر النازل لا بد أن يكون من قسم النازل بالمدينة، كما تقدم في أن خلافهم في أول ما نزل بمكة من السور ينبني عليه ما جاء عنهم في تعيين الأول نزولاً أولية مطلقة، وكما هو معلوم يدور في أغلب رواياتهم بين سورتين (المائدة، وبراءة).

٥ ـ قال ابن حجر: «اتفقوا على أن سورة البقرة أول سورة أُنزلت بالمدينة»[2].

وقد تعقبه السيوطي بقوله: وفي دعوى الاتفاق نظر؛ لقول علي بن الحسين المذكور[3].

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **أسباب النزول**.
(٢) فتح الباري (٨/ ١٦٠).
(٣) الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٧).

ويعني بأثر علي بن الحسين ما جاء عنه في أن أول ما نزل بالمدينة (المطففين) قلت: وكذلك يرد على قول ابن حجر عدة آثار تجعل الأول بالمدينة سورة غير (البقرة) (كالمطففين) كما في رواية ابن عباس، وعكرمة، والحسن، (والفاتحة) كما هو قول الزهري.

٦ ـ أعرضتُ عن سوق آثارٍ عن الصحابة والتابعين عدَّدوا فيها ذكر النازل بمكة والنازل بالمدينة؛ لأن نصوصهم خلت من ذكر الأولية والآخرية، ولم يظهر في تعدادهم تلك السور أنهم يعنون ترتيباً لها، بل ذلك مجرد ذكر نوعها من المكي والمدني.

سابعاً: المسائل المؤصلة من مرويات أول ما نزل بعد سورة العلق:

١ ـ جميع مرويات الصحابة والتابعين المتقدمة تجعل الأول نزولاً بعد سورة العلق سورة: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] كما هي آثارهم السابقة.

عن ابن عباس، وعائشة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، ومحمد بن النعمان، وجابر بن زيد. ومختلفون فيما بعد سورة القلم.

وهذا مشكل جداً؛ لأن نزولَ (المدثر) يزاحم في الأولية سورة العلق كما تقدم عند سرد مروياتهم في أول النازل من القرآن مطلقاً، ومع ذلك جعلوا عقب (العلق) سورة (المزمل).

وقد جمع بعض العلماء بين ادعاء أولية (العلق) وأولية (المدثر) بنزول (المدثر) بعد (اقرأ) بأن أوليتها مخصصة بما بعد العلق.

كما قال الجزائري: نعم هي ـ ويقصد المدثر ـ أول ما نزل بعد ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾. اهـ[1]، وقد جُعل مراد عائشة بأولية سورة من المفصل نزلت وفيها ذكر الجنة والنار أنها تعني: (المدثر).

بل نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على أن نزول (المزمل) متأخر عن نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١][2].

---

(١) التبيان (ص٤٢).

(٢) فتح الباري (٨/٥٩٣)، وحكى قولاً لعطاء الخراساني بنزول المزمل قبل المدثر ثم قال: =

قلت: يمكن توجيه صنيعهم هذا بأن (المزمل) قد تكامل نزولها قبل اكتمال نزول (المدثر) وإن كان متقرراً نزول المدثر قبل المزمل، والمراد نزول صدرها إلى قوله ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥] دون كامل السورة، فلعلهم قصدوا أول سورة نزلت كاملة بعد العلق. والله أعلم.

٢ ـ آثارهم تفيد الترتيب للسور المذكورة تلو (العلق) واستخدموا أداة العطف (ثم) المفيدة للترتيب، ما عدا أثر عائشة فإنها سردت السور معطوفة بالواو التي لا يتعين معها الترتيب، بل هي سورة نازلة بعد أول ما نزل دون ترتيب.

٣ ـ أثر ابن عباس، وجابر بن زيد، ومحمد بن النعمان، ضعيفة الأسانيد كما تقدم في تخريجها.

٤ ـ يصح أن تجعل السور الواردة في مروياتهم وهي: المزمل، المدثر، الضحى، أوائل ما نزل بعد العلق، ويبقى الترتيب بينها محل نظر واجتهاد.

ثامناً: المسائل المؤصلة من مرويات الأوليات الخاصة ببعض السور:

١ ـ لا مرويات للصحابة في هذا النوع من الأولية الخاصة ببعض السور، إنما الوارد عن جماعة من التابعين، سوى أثر نقله السخاوي عن ابن عباس أن أول ما نزل من (براءة) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، ولم أجده مسنداً(١).

٢ ـ يجمع هذه المرويات أنها مراسيل؛ لأن رواتها لم يعاصروا تنزل هذه الآيات.

٣ ـ معظم مروياتهم حول أول النازل من سورة (براءة)، وهي على قولين:

أ ـ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، وعليه معظم الروايات.

ب ـ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، وانفرد به مجاهد، ويعززه ما نُقل عن ابن عباس.

٤ ـ لم يظهر لي فوائد تقصي مثل هذه الأوائل في السور، ولا كذلك سر اهتمامهم بذكر أول ما نزل من (براءة).

= وعطاء ضعيف، وروايته معضلة؛ لأنه لم يثبت لقاؤه لصحابي معين، وظاهر الأحاديث الصحيحة تأخر المزمل... إلخ.اهـ. فتح الباري (٨/ ٥٤٦).

(١) جمال القراء (١/ ١٠).

أول ما نزل وآخر ما نزل
عند أهل علوم القرآن

أ ـ تسمية هذا العلم:

عنون الزركشي لهذا النوع من العلوم بـ(معرفة أول ما نزل من القرآن، وآخر ما نزل)[١]، والسيوطي جعله في نوعين، النوع السابع: معرفة أول ما نزل، والنوع الثامن: معرفة آخر ما نزل[٢]، وفعل كذلك في (التحبير)[٣]، ومثله ابن عقيلة المكي[٤].

ثم تتابع المصنفون المعاصرون على إفراد هذا العلم في نوع أو نوعين على جهة الاستقلال، وتسميته بعلم (أول ما نزل وآخر ما نزل)، وهي تسمية مطابقة مضمون العلم القرآني، ولا يحتمل تسمية غير ما ذكروا[٥].

ب ـ تمثل جهدهم في بحث هذا العلم القرآني في أمور:

١ ـ نقلوا العديد من الآثار في هذه الأولية ما بين مستقل منها ومستكثر، وتميز السيوطي بسعة إيراد الآثار، بل تفنن في محاولة الجمع بين متعارضها، وحَفِظَ كثيراً من الآثار المنسوبة إلى عدد من كتب الأثر المفقودة، وأحياناً يسوق الأثر بسنده وهذه ميزة معرفة الأثر وحاله صحة وضعفاً، بل إن كتابه

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٣).
(٢) الإتقان (١/ ١٥٨، ١٧٦).
(٣) التحبير (ص٨٩).
(٤) الزيادة والإحسان (١/ ١٦٥، ١٧٩).
(٥) انظر: مناهل العرفان عبد العظيم الزرقاني (١/ ٧٦)، المدخل لدراسة القرآن محمد أبو شهبة (١٠٩)، مباحث في علوم القرآن مناع القطان (٦١/ ٧٠)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (٢٤٨)، الواضح في علوم القرآن، د. مصطفى ديب البغا (ص٥٣)، إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (ص١١٥)، المقدمات الأساسية عبد الله الجديع (٧٠/ ٧٥)، اللالئ الحسان، د. موسى لاشين (ص٢٩).

[التحبير] ضم من اللفتات والفوائد - على صغر حجمه - ما ليس في الإتقان.

٢ - بعد جمعهم هذه الآثار في الأولية كان صنيعهم في مسارين:

أ - اختيار أحد الأقوال وترجيحه.

ب - محاولة الجمع والتوفيق بين روايات الصحابة القائلة بأولية العلق والقائلة بأولية المدثر.

فأما الأول فصحح طائفة من أهل علوم القرآن كون سورة العلق أول شيء نزل من القرآن، منهم: أبو شامة، والسيوطي، وطاهر الجزائري، والزرقاني، وفضل عباس(١).

وجعله الباقلاني أثبت الأقاويل من خلاف الصحابة، وجعل ما يليه في القوة قول جابر أن أول ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١](٢).

وهذا القول هو الصواب من الأقوال.

وأما محاولة الجمع بين القولين، فإن أهل علوم القرآن نقَّبوا عن وجهٍ للجمع بين خبر عائشة وخبر جابر؛ لأن إسنادهما لا غبار عليه فهما في الصحيحين، وكلٌّ يدعي أولية معينة.

وقد استنبطوا من خبر جابر وجهاً يقطع بمضمونه على أولية العلق وواقعة نزولها، فإن في بعض روايات حديث جابر ما نصه: فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس... إلخ.

فقوله: الملك الذي جاءني بحراء دالٌّ على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

هذا أشار إليه السيوطي، والزركشي، والزرقاني، وبعض المعاصرين(٣).

---

(١) المرشد الوجيز (ص٣١)، الإتقان (١/ ١٥٨)، التحبير (ص٨٩)، التبيان (ص٤١)، مناهل العرفان (١/ ٧٧)، محاضرات في علوم القرآن (ص١٠٣)، وكذلك محمد أبو شهبة في: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص١١٢)، وقد نسبه ابن حجر إلى أكثر الأئمة. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٨٤)، وكذا رجح أنها العلق في عمدة القارئين والمقرئين الشيخ أحمد القيرواني (ص٢٩٤).

(٢) الانتصار للباقلاني (١/ ٢٤١).

(٣) البرهان (١/ ٢٦٤)، الإتقان (١/ ١٦٢)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص٩٧)، المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص٦٨، ٦٩).

قلت: في هذا النص ما يفيد سبق نزول جبريل في مرة قبل هذه المرة، لكنها لا تفيد نزوله بآيات العلق، لذلك جعل الراوي الصحابي الفقيه جابر بن عبد الله وهو راوي الحديث المدثر أول ما نزل مع أن في الرواية ما يفيد هذا الملحظ الذي أشير إليه، فلا تلازم بين النزول والتنزل بسورة العلق، فانتهى به إلى اعتقاد ما سمعه من تنزل المدثر.

ثم كانت هناك وجوه من الجمع هي كالتالي:

أ ـ بعضهم جعل جابراً متوهماً لأسبقية المدثر، فقد سمع قصة تنزلها فقال: إنها أول ما نزل وليس الأمر كذلك، فقد تقدم عليها نزول صدر العلق[(١)]، فجابر حدَّث بما علِم وفاته شيءٌ لم يعلمه.

ب ـ أن مراد جابر أولية نزول المدثر بعدما فَتَر الوحي[(٢)].

ج ـ أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة[(٣)].

د ـ أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ.

وفي معنى هذا الوجه ذكر البلقيني أن السؤال كان عن نزول بقية اقرأ، والمدثر، فأجابه ـ أي: جابر ـ بما تقدم[(٤)].

وهذا الوجه من الجمع جعله السيوطي من أحسن الأجوبة[(٥)].

هـ ـ أن المراد بالأولية أولية مخصوصة بالإنذار، وعبر بعضهم بقوله: أول ما نزل للنبوة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] وأول ما نزل للرسالة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١].

---

(١) منهم الواحدي في أسباب النزول (١٠٤)، والزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٧٩)، وهذا الوجه ذكره الزركشي (١/ ٢٦٤)، وعبد الله الجديع في المقدمات الأساسية (ص٦٩).

(٢) البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١١٠)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٠). وجعله الزرقاني أحد أوجه احتمالات أثر جابر، مناهل العرفان (١/ ٧٨، ٧٩).

(٣) البرهان للزركشي (١/ ٢٦٤)، الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٢).

(٤) الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٢)، وجمع البلقيني هذا ذكره السيوطي في التحبير (ص٩٠)، وانظر: محاضرات في علوم القرآن لفضل عباس (٩٨ ـ ١٠٠)، وهذا الجواب استحسنه ابن عقيلة المكي في الزيادة والإحسان (١/ ١٧٥).

(٥) كما تقدم في الإتقان (١/ ١٦٣).

و ـ أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما (اقرأ) فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم.

ز ـ أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو من روايته، فيقدم عليه ما روته عائشة(١).

وهذا الوجه الأخير نسبه السيوطي للكرماني وعده من أحسن الأجوبة(٢).

والظاهر عندي أن معظم هذه الأجوبة لا تصح، وليس في خبر جابر ما يعضد أيّاً منها، وكلها تقييد لكلام جابر بما لم يُقيده في الأثر، فلم يقيد هذه الأولية ولم يُخصصها بزمن ما بعد فترة الوحي ولا بأنها أول ما نزل للرسالة، وكذلك لم يكن اجتهاداً منه، بل قد استند إلى إخبار النبي ﷺ بنزول (المدثر) عليه عقب لقائه بجبريل في حراء، ولم يكن السؤال عن أول سورة نزلت كاملة بل الخبر صريح في أن السؤال عن الأول مطلقاً، وإنما سمع جابر حديث تنزل جبريل في الغار بالمدثر فحكى ما سمعه ظانّاً منه أنها أول ما نزل مطلقاً، ولم يعلم بتقدم نزول صدر العلق، ومن أجاب بغير هذا فقد تكلف الجواب وليس معه ما يؤيد قيله، والله تعالى أعلم(٣).

٣ ـ أما **آخر ما نزل** فرجح فريق من المصنفين في علوم القرآن أن **آخر الآيات نزولاً** قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٨١] وهو متفق مع غالب الوارد عن الصحابة والتابعين(٤).

---

(١) البرهان للزركشي (١/ ٢٦٥)، الإتقان للسيوطي (١/ ١٦٢، ١٦٣).

(٢) الإتقان (١/ ١٦٣).

(٣) وهناك بعض الأجوبة زيادة على ما ذكر هنا انظرها في: صحيح ابن حبان (١/ ٢٢٠، ٢٢١)، وجمال القراء للسخاوي (١/ ٧)، وكلاهما نفى التضاد بين الحديثين، فأما ابن حبان فيرى أن نزول أول العلق في الغار بحراء، فلما رجع إلى بيته نزل عليه المدثر.
أما السخاوي فقال: وليس في قول جابر ما ينقاضه؛ لأن (المدثر) من جملة ما نزل أول القرآن.
قلت: ولكن مضمون الخبرين يقضي بالأولية المطلقة إما (للمدثر) وإما (للعلق)، ولو كان الأمر يعني: أولية نسبية أو مقيدة بما بعد (العلق)، أو أنها من جملة النازل أولاً لا مطلقاً لانتفى التضاد ولم يكن ثمة خلاف.

(٤) من الأئمة المتقدمين أبو شامة في المرشد الوجيز (ص٣١)، وابن حجر في الفتح (٨/ ١٦٧، ١٦٨)، ومن المتأخرين الزرقاني مناهل العرفان (١/ ٨٤)، محمد أبو شهبة في المدخل =

ومن ثم تناولت كتب علوم القرآن مع إيراد الآثار في (آخر ما نزل) تناولت أوجه الجمع بين هذه الروايات المتباينة في تحديد الآخر من الآيات.

فجماعة من أهل العلم جعلوا مرد اختلافهم عدم النقل لما يروونه، فكل ذكر عن استقراء ما اطلع عليه بما عنده من العلم[(١)].

وجواب ثانٍ: أن كلاً أراد آخرية مخصوصة، ولا يريد أنها الآخر مطلقاً[(٢)].

وهذان جوابان عامان عن مجمل الآثار، أما جمعهم لآثار مخصوصة في الآخرية فكالتالي:

قالوا في الجمع بين ما ورد من نزول آية الربا وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا...﴾ أن الآية المذكورة هي ختام الآيات المنزلة في الربا ومعطوفة عليهن، وقيل: بل لا منافاة بينهن؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخرٌ، وذلك صحيح، وخبر البراء في نزول آية الكلالة؛ يعني به: ما نزل آخراً في أحكام المواريث[(٣)].

وأُجيب عن قول أم سلمة في آخرية: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...﴾ [آل عمران: ١٩٥] أنها آخر ثلاث آيات نزلت بعد: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ثم آية آل عمران بعد أن قالت أم سلمة يا رسول الله، أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء، فنزلت هذه الآية وهي آخر الثلاثة نزولاً، أو آخر ما نزل بعد

= لدراسة القرآن (ص١١٩)، وعدنان زرزور علوم القرآن وإعجازه (٩٨)، وفضل عباس غذاء الجنان (ص١١٠)، وعبد الله الجديع المقدمات الأساسية (ص٦٩).

(١) هذا جواب الباقلاني في الانتصار (١/ ٢٤٥، ٢٤٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠٣)، وابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٦٧).

(٢) فتح الباري (٨/ ١٦٧)، مناهل العرفان (١/ ٨٣، ٨٤).

(٣) قال بهذا ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٥٣)، والسيوطي في الإتقان (١/ ١٨٠)، وبمثله جاء في مناهل العرفان (١/ ٨٣)، و في كتاب المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (ص٧٠)، وهو جمع الإمام أبي شامة حيث قال: ... وقيل آيات الربا، وهو الموافق للقول الأول ـ يعني: آية (واتقوا يوماً) ـ لأن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ هي آخرهن.اهـ. المرشد الوجيز (ص٣١، ٣٢).

أن كان ينزل في الرجال خاصة[١].

وجعله بعض من صنف في علوم القرآن أضعف الأقوال ورده من خمسة أوجه[٢].

قلت: تباينت هذه الأجوبة قوة وضعفاً، فما يوردونه مثلاً في خبر البراء بن عازب في آية الكلالة وكونها آخر آية في شأن المواريث هي محاولة لا يساعد عليها ظاهر الأثر، سيما والمعروف من منهجهم أنهم يُقيدون إذا أرادوا أولية أو آخرية مقيدة.

٤ ـ أما ما ورد في خبر ابن عباس من أن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا...﴾ [النساء: ٩٣] هو آخر ما نزل، فجعله السيوطي من غريب ما ورد[٣].

قلت: في بعض آثارهم ما هو أشد غرابة وأظهر إشكالاً، وهذه الغرابة ترتفع بأن يقال: جاء في الأثر قوله: (ثم ما نسخها شيء) فدل على أنه يقصد آخر ما نزل في شأن عقوبة القتل على وجه الخصوص.

وابن عباس كان له رأي مشهور في عدم توبة القاتل ويَرُدُّ على من يجعل آية النساء هذه منسوخة بآية الفرقان، ولذلك نص ههنا على آخرية آية النساء في شأن القاتل فلا يصح أن يُدعى نسخها بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا...﴾ الآية [مريم: ٦٠]، وهي متأخرة عنها.

٥ ـ أما أثر معاوية ﷺ في آخرية قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا...﴾ [الكهف: ١١٠]، فقد قال عنه ابن كثير: وهذا أثر مشكل، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها أو تقيد حكمها، بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى ما فهمه[٤].

وجعل السيوطي هذا الأثر غريباً[٥].

قلت: هو مشكل، لكن جواب الإمام ابن كثير لا تساعد عليه ألفاظ

---

(١) هذا جواب السيوطي كما في الإتقان (١/ ١٨٦).

(٢) غذاء الجَنان بثمر الجِنان، محاضرات في علوم القرآن للدكتور فضل عباس (ص١٠٨، ١٠٩).

(٣) الإتقان (١/ ١٨٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٩/ ٢١١).

(٥) الإتقان (١/ ١٨٤).

الرواية، وبعض من صنف في علوم القرآن حمل قول معاوية هذا على أنه أراد أنها آخر آية من سورة الكهف[١].

وهذا التوجيه لقول معاوية شديد الوهن بل مقطوع ببطلانه، ألا تراه قد قال: (من القرآن)، فأين إرادة سورة الكهف بعينها؟.

٦ ـ ما جاء عن ابن عباس وغيره عند قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ وأنه ﷺ مكث بعدها واحداً وثمانين يوماً ثم قبضه الله إليه، أو في أثر آخر: ما أُنزل بعدها حلال ولا حرام.

فهذا قد استشكله السيوطي لما يفهم منه إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، مع أنه ورد في آية الربا والدَّين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك[٢].

قلت: لم تصرح الرواية بأن هذه الآية آخر ما نزل، ويتعين معرفة معنى إكمال الدين ليزول الإشكال.

وأورد ابن جرير الأثر وقال جواباً عنه ما نصه:

«.. أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام وإجلائه عنه المشركين، حتى حجه المسلمون دونهم لا يخالطهم مشرك... ولا يدفع ذو علم أو الوحي لم ينقطع عن رسول الله إلى أن قبض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً».اهـ[٣].

٧ ـ ظهر أن مؤلفي علوم القرآن قد دمجوا بين الآيات والسور التي قيل بآخريتها نزولاً، والأولى الفصل بين الآيات والسور كما ههنا، والله أعلم.

٨ ـ في أثر أُبي بن كعب قوله: فختم الأمر بما فتح به ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] تأسيس لتلمس وجه الحكمة في ختم تنزلات القرآن

---

(١) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٢٦٤).

(٢) الإتقان (١/ ١٨٨).

(٣) جامع البيان (٨/ ٨٢)، وعلى فرضية أن المراد بالإكمال في الآية هو: إكمال الأحكام الحلال والحرام فلم ينزل بعدها شيء من الفرائض، فلا مانع من نزول آيات بعدها ليست منشئة لأحكام جديدة، بل مقررة لما سبق من الأحكام كآيةالربا وكآيات التذكير بالآخرة والوعظ والترغيب والترهيب؛ كقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا...﴾. انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (١٢٦/ ١٢٧).

بآية التوبة ـ كما في قوله ـ أو آيات أخرى عند غيره، وهو طريق لاستبيان معانٍ دقيقة وفوائد رقيقة، وقد امتثل بعض العلماء مثل هذه الإشارات وعللوا رجحان آخرية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٨١] بتوضيح أمثال هذه المعاني.

٩ ـ يحسب للسيوطي أنه أول من أظهر مصطلح الأوائل المخصوصة، وجعله مصطلحاً مبتكراً من عنده لم يستعمله من كتب قبله في علوم القرآن[١].

قلت: وهذه ميزة من مزايا ما يكتب السيوطي إذ فاق بكثرة إيراده المأثور وحسن تقاسيمه هذا الوارد وتصنيفه، وإن اشترك معه غيره في سوق شيءٍ من هذه الآثار لكن زاد عليهم السيوطي كثرةً وتقسيماً، ولعلك تجد هنا من التوسع في التقسيم وضم الآثار تحت أوائل وأواخر مناسبة ما ليس في كتاب قبله.

١٠ ـ ذكر بعض أهل علوم القرآن من المعاصرين فوائد معرفة هذا النوع من علوم القرآن (أول ما نزل وآخر ما نزل)، ومن أبرز ما ذكروه:

الفائدة الأولى: تمييز الناسخ من المنسوخ.

الثانية: معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، إذ بمعرفة تواريخ الآيات التي شرعت الفرائض كالصلاة والصوم والحج ظفرٌ بعلم تواريخ هذه التشريعات.

الثالثة: معرفة التدرج في التشريع، كما جاء في شأن تحريم الخمر، وفرضية القتال.

الرابعة: إظهار مدى العناية التي أُحيط بها القرآن الكريم، حتى عرف فيه أول ما نزل وآخر ما نزل، كما عرف مكيه ومدنيه، وسفريه وحضريه وغير ذلك[٢].

والحق أن اهتمام السلف بهذا النوع دالٌّ على أهميته، والعناية الفائقة به مردها إلى العناية بالقرآن وتنزلاته، وإن لم ينصوا على الحكم المرجوة من وراء العلم بهذه الأوائل والأواخر، إلا أن هذه الفوائد التي يذكرها أهل علوم القرآن لا تنطبق جميعها على العلم كله بكافة تقاسيمه، بل يصدق بعضها على بعض أفراد هذا النوع القرآني.

---

(١) قاله الدكتور حازم حيدر في كتابه: علوم القرآن بين البرهان والإتقان [١٧٢].

(٢) مناهل العرفان (١/ ٧٦)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٠٩)، الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص٥٩٩).

فمثلاً تمييز الناسخ من المنسوخ، قد تقدمت الإشارة إليه في شيء من نصوصهم عند ذكر آخر السور القرآنية نزولاً، وهو ملحظ دأب بعض علماء النسخ إلى الإشارة إليه مستقين هذه الفائدة من آثارهم، وهي فائدة محدودة لا تسري إلى كل أجزاء هذا العلم، ولذا قالوا في عبارة دقيقة عند حديثهم عن شروط النسخ: **معرفة المتقدم من المتأخر**، وليس الأوائل من الأواخر، فليتأمل، ومعرفة التدرج التشريعي يستفاد من بعض الأوائل المخصوصة في التدرج في تشريع الجهاد، والخمر.

أما الفائدة التي تنطبق على جميع أفراد هذا العلم فهي معرفة مدى العناية التي أُحيط بها الكتاب المبين، حتى عُرفت أوائل القرآن وأواخره.

وسيثمر النظر الدقيق والتأمل العميق لنزول هذه الآية أولاً، وختم القرآن بتلك آخراً عن أسرار وفرائد تضفي جمالاً على جمال القرآن وروعة إلى روعته.

١٢ ـ ذكر الزركشي والسيوطي[1] أن الحاكم في كتابه «الإكليل» ذكر أن أول ما نزل في القتال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١] فإن ذكره مسنداً نُظر فيه، وإلا فهذه الآية في سورة التوبة، والتوبة آخر أو من آخر ما نزل، وهذا يُضاد الأولية المدَّعاة في الآية. والله أعلم.

---

(١) البرهان (١/ ٢٦٦)، الإتقان (١/ ١٧٢).

الفصل الرابع

علم المكي والمدني

وفيه سبع مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية هذا العلم في نصوصهم.
- المسألة الثانية: التعريف بمصطلح المكي والمدني.
- المسألة الثالثة: تطور مصطلح المكي والمدني من خلال مروياتهم.
- المسألة الرابعة: حصرهم السور المكية والمدنية.
- المسألة الخامسة: ضوابط علم المكي والمدني في آثارهم.
- المسألة السادسة: رواياتهم في المستثنيات من المكي والمدني.
- المسألة السابعة: ثمار العلم بالمكي والمدني، وعلاقته ببعض علوم القرآن في آثارهم.

[علم المكي والمدني]

المسألة الأولى

أهمية هذا العلم في نصوصهم

١ ـ عن أبي ذر ﷺ قال: دخلت يوم الجمعة... فقرأ ـ أي: النبي ﷺ ـ سورة براءة فقلت لأبيّ: متى نزلت هذه السورة؟ إني لم أسمعها إلا الآن، فأشار إليه أن اسكت..(١).

٢ ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: والله الذي لا إلـٰه غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم في ما أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه(٢).

٣ ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ... سلوني، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل؟(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٥/ ٢٠٨، ٢٠٩) [٢١٢٨٧]، وابن خزيمة (٣/ ١٥٤) [١٨٠٧]، وابن ماجه في سننه (ص١٥٦) [١١١١]، والحاكم (١/ ٥٨٢) [١٠٩٩]، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣١٥) [٥٩٢٥]، والضياء في المختارة (٣/ ٣٤٣) [١١٣٨]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٢٩) [٩١٩].

(٢) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٣) رواه ابن عيينة في تفسيره بسند صحيح بنحوه كما في فتح الباري (٨/ ٤٦٤)، وتغليق التعليق (٤/ ٣١٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٥)، والفريابي كما في فتح الباري بنحوه (٨/ ٤٦٤)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٣٣) [١٣١٢٣] [١٣١٢٤]، وذكره الشاشي في مسنده (٢/ ٩٦) [٦٢٠]، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٦٤، ٤٦٥) [٧٢٦]، وصححه محققه، والحاكم في المستدرك مختصراً (٣/ ٢٧١) [٣٧٨٨]، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٠٠، ١٠١)، وقد ساقه ابن عساكر بألفاظ متعددة بأكثر من إسناد، فساقه عن الضحاك بن مزاحم عن النَّزَّال بن سبرة الهلالي =

المسألة الثانية

التعريف بمصطلح المكي والمدني

ليس هناك نص صريح من آثار الصحابة والتابعين تُبين عن المراد بهذا العلم وتكشف عن وجهه، إنما تم هذا في أثرين عن أتباع التابعين ومن بعدهم، فورد ضبط هذا العلم صراحة في أثر للمفسر يحيى بن سلام[١]، وآخر لـ علي بن الحسين بن واقد[٢].

١ ـ عن يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي.

وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني، وما كان من القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو مدني، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فمنه مكي ومدني، وأكثره مكي[٣].

= بنحو من حديث أبي الطفيل هذا (٢٧/ ٩٩، ١٠٠)، وكذا في إسناده عن سعيد بن عبيد الطائي عن علي بن ربعة مختصراً وفيه السؤال عن أول أربع آيات من الذاريات (٢٧/ ٩٩)، قال ابن حجر: وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي، فتح الباري (٨/ ٤٦٤)، قال محققو المطالب العالية: فالخلاصة أن المروي عن علي رضي الله عنه صحيح، فأكثر طرقه صحيحة، وما كان منها ضعيفٌ فضعفه منجبر إلا ما ندر (١٥/ ٢٧٥). وكذا رواه بطوله ـ وفيه بعض الزيادات ـ ابن منيع في مسنده كما في المطالب العالية (١٥/ ٢٧١) [٣٧٢٨] عن رجل عن زاذان، والضياء في المختارة عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل (٢/ ١٧٦)، وأخرج الأزرقي في أخبار مكة بعضه (١/ ٤٩، ٥٠) [٥٥٦] [٥٥٧].

(١) هو: يحيى بن سلام ابن أبي ثعلبة الإمام العلامة أبو زكريا البصري، نزيل المغرب بأفريقية، حدث عن شعبة، والثوري، ومالك، وأخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري، وجمع وصنَّف، كان مفسراً له قَدْر، وله مصنفات كثيرة في فنون العلم، توفي بعد رجوعه من الحج سنة (٢٠٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٩٦)، لسان الميزان (٨/ ٤٤٧) [٨٤٦٧].

(٢) هو: علي بن الحسين بن واقد القرشي، أبو الحسن، ويقال: أبو الحسين المروزي، روى عن أبيه وعبد الله بن المبارك، وهشام بن سعد المدني، وروى عنه جماعات؛ كأحمد بن نصر الخزاعي، وإسحاق بن راهويه، ضعفه أبو حاتم، وقال النسائي: ليس به بأس، روى له البخاري في الأدب، ومسلم في المقدمة والباقون، قال عنه ابن حجر: صدوق يهم، من العاشرة، مات سنة (٢١١هـ). انظر: التاريخ الكبير (٦/ ٢٦٧)، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٠٦، ٤٠٧) [٤٠٥٢]، تقريب التهذيب (ص٦٩٣) [٤٧٥].

(٣) انفرد الداني برواية هذا الأثر في كتابه البيان في عد آي القرآن (ص١٣٢)، وعزاه السيوطي خطأً إلى عثمان بن سعيد الدارمي، ولعله تصحيف من الداني، وقال: وهذا أثر لطيف يؤخذ =

٢ ـ عن علي بن الحسين بن واقد قال: كل القرآن مكي أو مدني غير قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، فإنها نزلت على رسول الله ﷺ بالجحفة حين خرج مهاجراً إلى المدينة، وكل آيةٍ نزلت على رسول الله ﷺ قبل الهجرة فهي مكية نزلت بمكة أو بغيرها من البلدان، وكل آيةٍ نزلت بالمدينة بعد الهجرة فإنها مدنية، نزلت بالمدينة أو بغيرها من البلدان(١).

۞ المسألة الثالثة ۞

تطور مصطلح المكي والمدني من خلال مروياتهم

١ ـ عن عمر بن الخطاب ﷺ في نزول آية المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة(٢).

وفي رواية: إني لأعلم حيث أُنزلت، وأين أُنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أُنزلت، يوم عرفة وإنا والله بعرفة، قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا(٣)؟.

٢ ـ عن أُبي بن كعب ﷺ قال: لما كان يوم أُحد أُصيب من الأنصار أربعة وسبعون... فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦](٤).

= منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً.اهـ. انظر: الإتقان (١/ ٤٥)، وذكر هذا الأثر ابن أبي زمنين في تفسيره (١/ ١١٣).

(١) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١١/ ٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه (١١) [٤٥]، ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٣) [٣٠١٧].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (ص٧٨٧) [٤٦٠٦]. ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٣) [٣٠١٧].

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣٦/ ١٥٢، ١٥٣) [٢١٢٢٩، ٢١٢٣٠]، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٣٩) [٤٨٧] وحسَّن محققه إسناده، والترمذي، كتاب التفسير، باب: سورة النحل (ص٧٠٧) [٣١٢٩]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٧٧) [١١٢١٥]، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٩٩، ٢٣٠) [١١٩٧]، والحاكم (٣/ ١٠٤، ١٠٥) [٣٤١٩]، والضياء =

٣ ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: نزلت (فاتحة الكتاب) بمكة من كنز تحت العرش[١].

٤ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: إن إبليس رَنَّ حين أُنزلت فاتحة الكتاب، وأُنزلت بالمدينة[٢].

٥ ـ عن المسور بن مخرمة ومروان قالا: أُنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها[٣].

٦ ـ قال ابن عباس ﷺ في خبر مجاهد حين عدَّد السور النازلة بمكة والمدينة على وجه التفصيل: ... ونزلت بمكة... والنحل سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرفه من أُحد[٤].

٧ ـ عن ابن عباس ﷺ: سورة الأنفال نزلت بمكة[٥].

٨ ـ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس ﷺ: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر[٦].

٩ ـ عن ابن عباس ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] نزلت ورسول الله مُتوارٍ، وفي لفظ: مختفٍ بمكة، فإذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن...[٧].

= في المختارة (٣/ ٣٥٠، ٣٥١)، [١١٤٣]، [١١٤٤].

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره بسنده إلى علي بن أبي طالب (١/ ٨٩)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١١٨) [٢٥].

(٢) رواه وابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٣) [٣٠٧٦٥]، وأبو سعيد بن الأعرابي في معجمه (٣/ ١٠٦٩) [٢٣٠١]، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٩٧) [٤٧٨٥].

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧) [١٦]، والحاكم (٣/ ٢٥٨) [٣٧٦٢] وصححه، وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه، وفيه محمد بن إسحاق وقد عنعن، والواحدي في أسباب النزول (٦٠٧) [٣٧٨]، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٢٣) [١٥١٧] وصحح المحقق إسناده، وكذا البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٣/ ٤٠٨) [١٨٦٦٢].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن الضريس بسنده عن عطاء عن ابن عباس (ص٧٣) [١٧]، والنحاس في ناسخه (٢/ ٣٥٨) [٥٠٦]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن مردويه (٦/ ٣١٠).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ (ص٧٩٦) [٤٦٤٥]، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٠٠) [٩٨٤].

(٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (ص٨١٧) =

١٠ ـ عن عبد الله بن الزبير ﷺ: أُنزلت بالمدينة سورة النساء و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[(١)].

١١ ـ عن ابن عمر ﷺ: هذه السورة نزلت على رسول الله أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ [النصر: ١] حتى ختمها، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع[(٢)].

١٢ ـ عن أبي جحيفة قال عن سورة الأنعام: كلها مكية إلا قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١] فإنها مدنية[(٣)].

١٣ ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ① لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ﴾ [الفتح: ١، ٢] إلى قوله: ﴿فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ مرجعه من الحديبية... فقال ﷺ: **«لقد أُنزلت علي آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعاً»**[(٤)].

١٤ ـ قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليَّ فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء[(٥)].

= [٤٧٢٢]، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية (١/٢٠٨) [٤٤٦].

(١) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٤/٥٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة كما في المطالب العالية (٨/٥٩٦) [١٧٩٢] وضعف المحققون سنده، لكن له شواهد كثيرة تشهد لمتنه كما قالوا، وعبد بن حميد من طريق ابن أبي شيبة. انظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢/ ٦٢) [٨٥٦]، والبزار انظر: كشف الأستار (٢/ ٣٣) [١١٤١]، قال البوصيري: رواه البزار، وأبو بكر بن أبي شيبة وعنه عبد بن حميد بسند فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف (٣/ ٢٢٨) [٢٦١٧].

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/ ٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية (٢/ ٨٦٠) [١٧٨٦]، وعند الترمذي: (أنزلت ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ①﴾ مرجعه من الحديبية) (ص٧٤٢) [٣٢٦٣]، وفي مسند أبي يعلى بلفظ: أنزلت ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ①﴾ على رسول الله ﷺ حين رجع من الحديبية (٦/ ٢١، ٢٢) [٣٢٥٣].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ (ص٨٣٥) [٤٧٦٢]، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٠٤) [١١٣٠٦]، ويعنون بالآية قوله تعالى: ﴿يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾.

١٥ ـ عن سعيد بن جبير قال: سورة الرعد مكية[١]، وكذا روي عن مجاهد[٢].

١٦ ـ عن مجاهد قال في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]: أُنزلت يوم كان النبي ﷺ بعُسفان والمشركون بضَجَنان[٣]. . .[٤].

١٧ ـ عن قتادة: آية من الأعراف مدنية وهي: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى آخر الآية، وسائرها مكية[٥].

١٨ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١] هذه الآيات أُنزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وهذه الآيات مدنية إلى هنا، وسائرها مكي[٦].

١٩ ـ عن الضحاك بن مزاحم قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٧].

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وسعيد بن منصور. انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٥٩).

(٢) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٧٨) [٦٣١].

(٣) بالتحريك، ونونين، وروي بسكون الجيم، جُبيل على بريد من مكة، وعينها بعضهم فقال: حرة شمال مكة على بعد ٥٤ كيلاً على طريق المدينة. انظر: معجم البلدان (٣/ ٤٥٣)، معجم المعالم الجغرافية ـ عاتق البلادي (ص١٨٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٥٠٣، ٥٠٤) [٤٢٣٥، ٤٢٣٦]، وابن جرير (٧/ ٤١١)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٢٦) (٥٩٠٢٩)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر (٤/ ٦٥٥)، وابن أبي شيبة بنحوه (٥/ ٤٠٦، ٤٠٧) [٨٣٦٣].

(٥) أخرجه المحاسبي بسنده في فهم القرآن (ص٣٩٥، ٣٩٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٦/ ٣١٠)، والإتقان (١/ ٨٦)، وانظر: البيان في عد آي القرآن للداني (ص١٣٤)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٤٧٨) [٦٣٢].

(٦) أخرجه الطبري بسنده عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة (١٨/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٥٨، ٢٥٩) (١٧٩٥٨)، قال محققو الإتقان: فيه انقطاع (١٠/ ١٣١) بجانب كونه مرسلاً عن الضحاك.

٢٠ ـ عن محمد بن كعب القرظي: نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته(١).

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠].

عن ابن جريج قال عكرمة: هي مكية، وقال ابن جريج: قال مجاهد: هي مكية(٢).

٢٢ ـ عن الزهري في قوله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] نزلت هذه الآية وهم بالحديبية ـ أرض أسفل الحديبية ـ لما جاء النساء أمر الله أن يرد الصَّداق إلى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك(٣).

٢٣ ـ عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في المسير في حجة الوداع وهو راكب على راحلته(٤).

المسألة الرابعة

حصرهم السور المكية والمدنية

سار منهجهم في ثلاثة مسارات:

أ ـ على وجه الاستيعاب لكل سور القرآن.

وهذه آثارهم:

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت أُبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال: نزل بها سبعٌ وعشرون سورة، وسائرها بمكة(٥).

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٤٥) [٤٤٣]، وقواه محققو الإتقان بمجموع طرقه (١/ ١٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٠، ١٤١)، وزاد نسبته السيوطي إلى أبي الشيخ في الدر المنثور (٧/ ٩٨، ٩٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٣١) [٣٢٠٥]، والطبري (٢٢/ ٥٨٠، ٥٨١)، وعزاه السيوطي إلى أبي داود في ناسخه، وابن المنذر (١٤/ ٤٢١، ٤٢٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٩١).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٢٠)، وساقه السيوطي مسنداً مفرداً إلى ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٨)، قال المحققون: إسناده ضعيف جداً؛ لأنه من طريق الواقدي، وهو متروك في الحديث مع سعة علمه.

٢ ـ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: . . . ثم ساق قول ابن عباس في حصره السور المكية من المدنية في كل القرآن(١).

٣ ـ رواية ثالثة عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء الخراساني فيها بيان ما نزل بمكة، ثم ما نزل بالمدينة(٢).

٤ ـ عن جابر بن زيد رضي الله عنه: أُنزل على النبي ﷺ من القرآن أول ما أُنزل بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] ثم ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] ثم ساق السور المكية والمدنية(٣).

٥ ـ عن عكرمة والحسن البصري قالا: ما أنزل الله من القرآن بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ و(ن) و(المزمل). . .، وما نزل بالمدينة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١]، و(البقرة)، و(آل عمران)(٤).

٦ ـ عن قتادة: المدني: البقرة، وآل عمران. . . وما بقي مكي(٥).

٧ ـ أورد الزهري بياناً بأسماء السور المكية والمدنية في كل القرآن(٦).

ب ـ تخصيص طائفة من السور ممن يجمعهنَّ وصف أو لقب ببيان مكيتها أو مدنيتها.

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/٣١٦) [٤٦٥]. قال محققه: في إسناده (يموت بن المزرَّع) شيخ المؤلف، قال الذهبي: لا أعلم به بأساً، وسهل بن محمد السجستاني: صدوق. . . وقال ابن حجر: صدوق إخباري، وقد رمي برأي الخوارج، ويونس بن حبيب وثقه السيوطي، وبقية رجاله ثقات. اهـ. قال السيوطي عن إسناد النحاس: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات، من علماء العربية المشهورين، الإتقان (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٣) [١٧]، وأورده ابن النديم في الفهرست (ص٤٣).

(٣) تقدم تخريجه في: **علم أول ما نزل وآخر ما نزل.**

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠٤، ١٠٥) [٣١٣٣]، وضعف محققو الإتقان سنده (١/ ٥٠، ٥١).

(٥) ساقه قتادة في كتابه الناسخ والمنسوخ (ص٥٢)، والحارث المحاسبي بسندين عن قتادة (ص٣٩٥، ٣٩٦)، والداني في البيان في عد آي القرآن (ص١٣٣)، وساقه السيوطي معزواً إلى أبي بكر بن الأنباري بسنده عن همام عن قتادة انظر: الإتقان (١/ ٥٧)، وقال محققوه: مرسل صحيح.

(٦) تنزيل القرآن بمكة والمدينة (ص٣٧ ـ ٤٢).

١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قرأنا المفصل حججاً ونحن بمكة ليس فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[(١)].

٢ ـ عن سمرة بن جندب قال: نزلت (الحواميم) جميعاً بمكة[(٢)].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزلت الحواميم السبع بمكة[(٣)].

٤ ـ عن الشعبي قال: أخبرني مسروق أن (آل حم) إنما أُنزلت بمكة[(٤)].

ج ـ بيان نوع كل سورة على حدة، وإفرادها بكلام على وجه الخصوص.

وهذا مستفيض في مروياتهم ومن الظهور بمكان.

المسألة الخامسة

ضوابط علم المكي والمدني في آثارهم

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أُنزل بالمدينة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فبمكة[(٥)].

٢ ـ عن علقمة قال: كل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مكي، وكل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو مدني[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧١٧) [١٧٩٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥١٤) [٣٠٧٦٩]، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/ ٥٩٧) [٢٩٤٣]، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ١٣١)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (١/ ١٧٧).

(٢) أخرجه الديلمي في مسنده (٤/ ٢٧٦) [٦٨١٣] مختصراً، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن مردويه في الدر المنثور (١٣/ ٥).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦١١) [٧٧٦].

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥، ١٢٦)، وعزاه السيوطي إليه في الدر المنثور (١٣/ ٥).

(٥) أخرجه البزار. انظر: كشف الأستار (٣/ ٣٩) [٢١٨٦]، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٥٦) [٤٣٥١]، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٠٥) [٣١٣٥]، والداني في البيان في عد آي القرآن (ص١٣٢)، وحسن محققو الإتقان سنده (١/ ١٠٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن مردويه كذلك (١/ ١٧٧).

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢٠٢) [٨١٧]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥١٤) [٣٠٧٦٨] والحارث المحاسبي في فهم القرآن (٣٩٦، ٣٩٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٩) [٢٦]، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٤٦) [١٣٠١]، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٢٤) [٣١]، وصحح =

٣ ـ عن عروة بن الزبير قال: إني لأعلم ما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة، فأما ما نزل بمكة فضرب الأمثال وذكر القرون، وأما ما نزل بالمدينة فالفرائض والحدود والجهاد[(١)].

وبلفظ: ما كان من حج أو فريضة فإنه نزل بالمدينة، أو حدٍّ أو جهاد فإنه نزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون وضرب الأمثال فإنه أُنزل بمكة[(٢)].

وكذلك عنه: ما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بمكة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالمدينة[(٣)].

٤ ـ عن عكرمة قال: كل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهي مدنية[(٤)].

٥ ـ عن الضحاك قال: ما كان في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نزل بمكة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نزل بالمدينة[(٥)].

وعزت بعض مصادر التفسير هذا القول إلى مجاهد كذلك[(٦)].

٦ ـ عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فإنه مكي، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنه مدني[(٧)].

= الحافظ ابن حجر هذا الأثر. انظر: العجاب (١/ ٢٤٠)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ بن حيان في التفسير. انظر: الدر المنثور (١/ ١٧٧). قال محققو الإتقان: وفي إسناده راوٍ مبهم بجانب كونه مرسلاً (١/ ١٠٦).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٥) [٣٠٧٧٥].

(٢) كما عند ابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٤) [٣٠٧٦٦]، وبنحوه عن أبي عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢٠١) [٨١٦]، وكذا الداني في البيان في عد آي القرآن (ص١٣٢)، والبيهقي بنحوه في دلائل النبوة (٧/ ١٠٦) [٣١٣٦]، وعزاه السيوطي بهذا اللفظ إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١/ ١٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥١٤، ٥١٥) [٣٠٧٧٣]، والحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص٣٩٤)، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه كذلك الدر المنثور (١/ ١٧٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٤) [٣٠٧٧٠].

(٥) أخرجه الحارث المحاسبي بسنده في فهم القرآن (ص٣٩٧)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٤٦) [١٣٠٠]، وخرج ابن أبي شيبة شقه الثاني في المصنف (١٥/ ٥١٤) [٣٠٧٦٧].

(٦) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٥)، البحر المحيط (١/ ٢٣٣).

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢٠٢) [٨١٨]، قال محققو الإتقان: رجاله ثقات، لكنه منقطع (١/ ١٠٦).

٧ ـ عن ابن شهاب الزهري قال: كل شيء في القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ما لم يكن سورة تامة فإنما أنزل الله ذلك بمكة، وكل شيء في القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنما أُنزل كله بالمدينة حين استحكم الأمر(١).

❁ المسألة السادسة ❁

رواياتهم في المستثنيات من المكي والمدني

١ ـ سورة الأنعام:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سورة الأنعام نزلت بمكة جُملةً واحدةً، فهي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى تمام الآيات الثلاث(٢).

وعن أبي جحيفة قال: ... كلها مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ فإنها مدنية(٣).

وعن شهر بن حوشب: الأنعام مكية إلا ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ والآية التي بعدها(٤).

وعن الكلبي: نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١](٥).

عن عطاء بن يسار: نزلت الأنعام جُملةً واحدةً بمكة، وهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣](٦).

٢ ـ سورة الأعراف:

استثنى قتادة من مكيتها آية مدنية ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] وقد تقدم(٧).

---

(١) ساقه عبد الله بن وهب بسنده في تفسيره (١/٥٦) [١٢٣].
(٢) تقدم تخريجه في نزول القرآن.
(٣) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/٨).
(٤) تقدم تخريجه في نزول القرآن.
(٥) تقدم تخريجه في نزول القرآن.
(٦) أخرجه الداني في البيان في عد آي القرآن (ص١٣٥).
(٧) تقدم تخريجه.

٣ ـ سورة الأنفال:

عن عكرمة قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] هي مكية[(١)].

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي مدنية إلا سبع آيات من قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[(٢)].

٤ ـ سورة الرعد:

قال قتادة: سورة الرعد مدنية إلا آية مكية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١][(٣)].

٥ ـ سورة إبراهيم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سورة (إبراهيم) نزلت بمكة، سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] الآيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين[(٤)].

وروي مثله عن قتادة[(٥)].

٦ ـ سورة النحل:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها، فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله من أُحد[(٦)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه المحاسبي بسنده في فهم القرآن (ص٣٩٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه المحاسبي في فهم القرآن (ص٣٩٥، ٣٩٦)، والنحاس في ناسخه (٢/ ٤٨٠) [٦٣٤].

(٤) ذكره ابن الجوزي (٣/ ٣١٦)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٣٦٠).

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ٤٨٠) [٦٣٥]، وعزاه السيوطي في الإتقان إلى أبي الشيخ (١/ ٩٠)، وحكى ابن الجوزي هذا الاستثناء عن ابن عباس، وقتادة في تفسيره زاد المسير (٤/ ٣٤٣).

(٦) تقدم تخريجه.

وعن الشعبي: نزلت النحل كلها بمكة إلا هؤلاء ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦] الآيات إلى آخرها[١].

وعن عطاء بن يسار نحو قول ابن عباس رضي الله عنهما واستثناء ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة بعد أُحد[٢].

وعن قتادة: سورة النحل من ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [النحل: ٤١] إلى آخرها مدني، وما قبلها إلى أول السورة مكي[٣].

وعن جابر بن زيد رضي الله عنه في تعداده السور المكية والمدنية قال: . . . ثم النحل أربعين، وبقيتها بالمدينة[٤].

وحكى غير واحد من أهل التفسير رواية عن قتادة أنها مكية إلا خمس آيات، وعن عطاء بن السائب أنها مكية إلا خمس آيات كذلك[٥].

وحكى السخاوي عن الكلبي أنها مكية إلا أربع آيات[٦].

٧ ـ سورة الإسراء:

حُكي عن الكلبي استثناء أربع آيات من سورة الإسراء نزلت بالمدينة وباقيها مكي[٧].

وذكر عن ابن عباس استثناء ثمان آيات نزلت بالمدينة وباقيها بمكة[٨].

٨ ـ سورة الكهف:

ذكر عن ابن عباس ـ رحمهما الله ـ وقتادة أن منها آية مدنية وهي قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨][٩].

---

(١) عزاه السيوطي في الإتقان إلى أبي الشيخ (١/ ٩١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٠٣)، وزاد السيوطي عزوه إلى ابن إسحاق في الدر المنثور (٩/ ١٣٦).

(٣) نسبه السيوطي في الإتقان إلى أبي الشيخ (١/ ٩١).

(٤) تقدم تخريجه في: **أول ما نزل وآخر ما نزل**.

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٥).

(٦) جمال القراء (١/ ١٢).

(٧) كما في جمال القراء (١/ ١٣).

(٨) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٠٣).

(٩) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٢).

٩ ـ سورة يونس:

ذكر عن ابن عباس ـ رحمهما الله ـ من طريق أبي صالح أن فيها من المدني ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [يونس: ٤٠] وروي عن الكلبي كذلك.

وفي رواية أخرى عنه وقاله قتادة: فيها ثلاث آيات من المدني، أولها قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] إلى رأس ثلاث آيات(١).

١٠ ـ سورة الحج:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: والحج سوى ثلاث آيات ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة، وروي أيضاً عن مجاهد(٢).

قال قتادة: نزل بالمدينة من القرآن (الحج) غير أربع آيات مكيات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾(٣).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] والتي تليها، وفي رواية أخرى أنها مدنية، إلا أربع آيات نزلت بمكة وهي قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخر الأربع(٤).

وقال عطاء بن يسار مثل قول مجاهد، ورواية ابن عباس في استثناء ثلاث آيات نزلن بالمدينة وهي ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى ثلاث آيات(٥).

١١ ـ سورة الفرقان:

حكي عن ابن عباس، وقتادة استثناء ثلاث آيات من مكية السورة نزلت هؤلاء بالمدينة وهي: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورًا

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٣)، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٠٤).
(٢) تقدم تخريجه مراراً، وذكره الداني في البيان (ص١٨٩).
(٣) أخرجه الحارث المحاسبي في فهم القرآن مسنداً (ص٣٩٥، ٣٩٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر،انظر: الدر المنثور (١٠/ ٤٠٩)، وذكره الداني في البيان (ص١٨٩)، والسيوطي في الإتقان (١/ ٦٨).
(٤) انظر: البيان في عد آي القرآن للداني (ص١٨٩)، المحرر الوجيز (٦/ ٢١٠)، زاد المسير (٥/ ٤٠١)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١)،
(٥) البيان في عد آي القرآن (ص١٨٩)، زاد المسير (٥/ ٤٠٢).

رَّحِيمًا﴾ الآيات[١]، وعن سعيد بن جبير قال: نزلت آية من (تبارك الفرقان) بالمدينة في شأن قاتل حمزة وحشي وأصحابه... فأنزل الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ثم أُنزلت توبتهم ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾[٢].

وقال الضحاك: هي مدنية، وفيها آيات مكية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآيات[٣].

١٢ ـ سورة الشعراء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: سورة الشعراء نزلت بمكة سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها[٤].

وروي عن قتادة[٥]، وعطاء[٦].

١٣ ـ سورة العنكبوت:

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ... ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ...﴾ ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ١١] أُنزلت هذه الآيات في القوم الذين ردَّهم المشركون إلى مكة، وهؤلاء الآيات العشر مدنيات، وسائرها مكي[٧].

وعزاه بعضهم إلى ابن عباس، وقتادة في إحدى الروايات عنهما[٨].

١٤ ـ سورة لقمان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: سورة لقمان نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها نزلن

---

(١) كما في زاد المسير (٦/ ٧١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١).
(٢) أخرجه الطبري بنحوه (١٧/ ٥١٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٤٨٢) [١٦٢٠٣]، وعزاه السيوطي لابن المنذر (١١/ ٤١٧، ٤١٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١)، المحرر الوجيز (٦/ ٤١٦).
(٤) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ٥٧١) [٧٣٧].
(٥) كما في زاد المسير (٦/ ١١٤).
(٦) البيان في عد آي القرآن (ص١٩٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٨٧).
(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦٦، ٣٦٧)، وابن أبي حاتم بنحوه (٧/ ٢٦٣) [١٧٩٨٤]، وزاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر (١١/ ٥٢٨)، وانظر: البيان في عد آي القرآن (ص٢٠٣).
(٨) كما قال ذلك القرطبي في تفسيره (١٣/ ٣٢٣).

بالمدينة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧] إلى تمام الثلاث الآيات[(١)].

وروي عن عطاء إلا آيتين[(٢)]، ونسب لقتادة[(٣)].

وروي عن الحسن أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[(٤)].

١٥ ـ سورة السجدة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة السجدة بمكة سوى ثلاث آيات ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨] إلى تمام الآيات الثلاث[(٥)].

وعزا ابن الجوزي هذا القول إلى الكلبي[(٦)].

وضمَّ معه القرطبي قتادة[(٧)].

١٦ ـ سورة الزمر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت بمكة سورة الزمر سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] إلى تمام الثلاث آيات[(٨)].

وقال بهذا عطاء[(٩)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ما نزل بالمدينة من هذه السورة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] و﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ [الزمر: ٥٣][(١٠)].

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ٥٧٩) [٧٥٠].

(٢) انظر: البيان للداني (ص٢٠٦)، زاد المسير (٦/ ٣١٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٥٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/ ٣١٤).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٥٠).

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ٥٨٠).

(٦) زاد المسير (٦/ ٣٣٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٨٤).

(٨) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ٦٠٥).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٢٥)، وذكر ذلك الداني في البيان (ص٢١٦).

(١٠) زاد المسير (٧/ ١٦٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٣٢).

١٧ ـ سورة غافر:

حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أن فيهما آيتين نزلتا بالمدينة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٣٥] والتي بعدها[١].

وعن الحسن: مكية إلا قوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٥٥][٢].

١٨ ـ سورة الشورى:

حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنها مكية إلا أربع آيات نزلن بالمدينة أولها ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الشورى: ٢٣][٣].

١٩ ـ سورة الجاثية:

حكي عن قتادة استثناء آية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهي وحدها مدنية[٤].

وعزاه ابن الجوزي والقرطبي إلى ابن عباس مع قتادة[٥].

٢٠ ـ سورة الأحقاف:

ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنهما قالا: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠][٦].

٢١ ـ سورة محمد:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنها سورة مدنية إلا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ [محمد: ١٣][٧].

---

(١) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٤)، والسخاوي في جمال القراء (١/ ١٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٨٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٨٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٧/ ٢٧٠)، وجمال القراء (١/ ١٦، ١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١).

(٤) انظر: جمال القراء (١/ ١٧)، الإتقان للسيوطي (١/ ٩٩).

(٥) زاد المسير (٧/ ٣٥٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٥٦).

(٦) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٦٨)، الإتقان للسيوطي (١/ ١٠٢).

(٧) حكاه ابن الجوزي في تفسيره (٧/ ٣٩٥)، والسخاوي في جمال القراء (١/ ١٧)، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٢٣).

٢٢ ـ سورة ق:

استثنى منها ابن عباس، وقتادة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨] فهي مدنية، وسائر السورة مكية(١).

٢٣ ـ سورة النجم:

ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أن منها آية مدنية وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢](٢).

٢٤ ـ سورة الرحمٰن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنهما استثنيا قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فهي مدنية، والباقي مكي(٣).

٢٥ ـ سورة الواقعة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والكلبي: الواقعة مكية إلا آية واحدة ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢](٤).

وفي بعض المصادر أن الكلبي استثنى أربع آيات ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨١، ٨٢] و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠](٥).

٢٦ ـ سورة المجادلة:

روي عن عطاء قوله: العشر الأول منها مدني، والباقي مكي(٦).

وقيل: إنها مدنية سوى آية وهي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧](٧).

---

(١) انظر: زاد المسير (٨/ ٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١)، الإتقان للسيوطي (١/ ١٠٢).
(٢) زاد المسير (٨/ ٦٢)، جمال القراء (١/ ١٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٨١).
(٣) حكى ذلك السخاوي في جمال القراء (١/ ١٨)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ١٥١)، وأشار السيوطي لهذا في الإتقان (١/ ١٠٣).
(٤) زاد المسير (٨/ ١٣٠)، وجمال القراء (١/ ١٨).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٩٤).
(٦) زاد المسير (٨/ ١٨٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٦٩).
(٧) زاد المسير (٨/ ١٨٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٦٩).

٢٧ ـ سورة التغابن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة (التغابن) بمكة، إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤] إلى آخر السورة[(١)].

وقال بمثل هذا القول عطاء بن يسار[(٢)].

٢٨ ـ سورة التحريم:

عدَّ قتادة أول عشر آيات من التحريم مدنية، وسائرها نزل بمكة[(٣)].

٢٩ ـ سورة تبارك:

عن الضحاك عن ابن عباس: أُنزلت (تبارك الملك) في أهل مكة إلا ثلاث آيات[(٤)].

٣٠ ـ سورة (ن):

حكى السخاوي عن ابن عباس وقتادة قولهما:

من قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ مدني، ومن ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مدني، والباقي مكي[(٥)].

٣١ ـ سورة المزمل:

استثنى ابن عباس رضي الله عنهما ونسب إلى قتادة كذلك من مكيتها آيتين ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[(٦)] واستثنى ابن عباس، وعطاء بن يسار آخر آية[(٧)].

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (٣/ ١٢٢) [٩٠٢].

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٥)، وزاد نسبته السيوطي إلى ابن إسحاق (١٤/ ٥١١، ٥١٢)، وذكره في زاد المسير (٨/ ٢٧٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) عزاه السيوطي إلى جويبر في تفسيره. انظر: الإتقان (١/ ١٠٤)، والدر المنثور (١٤/ ٥٩٩).

(٥) النكت والعيون (٦/ ٥٩)، زاد المسير (٨/ ٣٢٦)، جمال القراء (١/ ١٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٢).

(٦) النكت والعيون (٦/ ١٢٤)، زاد المسير (٨/ ٣٨٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٣١).

(٧) أخرج ذلك النحاس في ناسخه ٣/ ١٢٦ (٩٠٥)، وذكره صاحب زاد المسير (٨/ ٣٨٧).

٣٢ ـ سورة الإنسان:

عن الحسن، وعكرمة أن المكي منها آية ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] والباقي مدني(١).

٣٣ ـ سورة المرسلات:

حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أن فيها آية مدنية وهي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨](٢).

٣٤ ـ سورة المطففين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: فيها ثمان آيات مكية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخرها(٣).

❁ المسألة السابعة ❁

ثمار العلم بالمكي والمدني، وعلاقته ببعض علوم القرآن في آثارهم

علم المبهمات:

١ ـ سُئل سعيد بن جبير عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] أهو عبد الله بن سلام؟ قال: فكيف وهذه السورة مكية(٤).

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠] قال محمد بن سيرين: كانوا يرون أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام قال: والسورة مكية، والآية مدنية، قال: وكانت الآية تنزل فيؤمر النبي ﷺ أن يضعها بين آيتي كذا وكذا في سورة كذا وإنَّ هذا منهنَّ(٥).

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٥)، زاد المسير (٨/ ٤٢٧).

(٢) النكت والعيون (٦/ ١٧٥)، زاد المسير (٨/ ٤٤٣).

(٣) زاد المسير (٩/ ٥١)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٤٢، ٤٤٣) [١١٧٧]، وصحح سنده محقق السنن، والطبري في تفسيره بسندين (١٣/ ٥٨٦)، والنحاس في ناسخه (٢/ ٤٧٩) [٦٣٣]، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم (٨/ ٤٨٤).

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٣/ ٣١٩)، وانظر ما أشار له ابن حجر =

وعن عكرمة قال: ليس بعبد الله بن سلام، هذه الآية مكية، يقول: من آمن من بني إسرائيل فهو كمن آمن بالنبي ﷺ(١).

وعن الحسن بن مسلم(٢): نزلت هذه الآية بمكة وعبد الله بن سلام بالمدينة(٣).

وقد قال طوائف من السلف بنزول الآية في عبد الله بن سلام من أمثال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وعطاء، وعكرمة(٤).

وعن مسروق قال: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت إلا بمكة، وإنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة، وإنما كانت خصومة خاصم بها محمد ﷺ(٥).

وعن الشعبي: أناسٌ يزعمون أن شاهداً من بني إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، وقد أخبرني مسروق أن (آل حم) إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله ﷺ قومه(٦).

علم أسباب النزول ونزول القرآن:

١ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] إلى قوله: ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾(٧).

= في هذه الرواية في فتح الباري (٧/ ١٦٢).

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٣/٣١٩).

(٢) الحسن بن مسلم بن يَنَاق المكي، سمع مجاهداً وطاووساً، وهو من صغار التابعين، وقال عنه ابن حجر: ثقة، من الخامسة، ومات قديماً بعد المائة بقليل، التاريخ الكبير للبخاري (٢/٣٠٦) [٢٥٦٥]، الكاشف للذهبي (١/ ٣٣٠) [١٠٦٧]، تقريب التهذيب (ص٢٤٣) (٦/ ١٢٩٦).

(٣) ذكره ابن عساكر في تاريخه (٢٩/ ١٣٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/١٢٧، ١٢٨)، وتاريخ ابن عساكر (٢٩/ ١٣٠، ١٣١)، والدر المنثور (١٣/٣١٨، ٣١٩).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ١١).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥).

(٧) تقدم تخريجه في علم: **أسباب النزول**، وهو مُخَرَّج في البخاري وغيره.

وبنحوه عن أبي ذر، وكان يقسم على نزولها بذلك السبب[(١)].

٢ ـ عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف: ١][(٢)].

٣ ـ عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أُم مكتوم، وكانوا يُقرؤون الناس... ثم قدم رسول الله ﷺ فما قدم حتى قرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] في سورة من المفصل[(٣)].

٤ ـ عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً فرفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أُنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١...﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها[(٤)].

علم الناسخ والمنسوخ:

١ ـ عن سعيد بن جبير لما سئل عن توبة القاتل وقرئ عليه ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ، فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء[(٥)].

وقال الضحاك: ... فهاتان الآيتان ـ يعني: آيتي سورة الفرقان ـ مكيتان والتي في النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] هذه مدنية نزلت بالمدينة، وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثماني سنين،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ﴾ (ص٨٢٦) [٤٧٤٣]، ومسلم في ك: التفسير باب في قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ﴾ (٢/ ١٣٧٩) [٣٠٣٣].

(٢) تقدم تخريجه في علم: **نزول القرآن**.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (ص٦٦٢) [٣٩٢٥].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة (١/ ١٨٨) [٤٠٠].

(٥) أخرجه البخاري في التفسير باب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ﴾ (ص٨٣٥) [٤٧٦٢]، ومسلم في كتاب التفسير (٢/ ١٣٧٦) [٣٠٢٣].

وهي مبهمة ليس منها مخرج[١].

٢ ـ عن جرير بن عبد الله البجلي أنه بال ثم توضأ ومسح على الخفين وقال: ما يمنعني أن أمسح وقد رأيت رسول الله ﷺ مسح، قالوا: إنما كان ذلك قبل نزول المائدة، قال: ما أسلمت إلا بعد نزول المائدة[٢].

وقال إبراهيم النخعي: فكان يعجبنا حديث جرير؛ لأن إسلامه كان بعد نزول المائدة[٣].

وفي معناه آثار عديدة منها: عن ابن عباس أنه قال: ذُكِرَ المسح على الخفين عند عمر وسعد وعبد الله بن عمر، فقال عمر: يا سعد إنا لا ننكر أن رسول الله ﷺ قد مسح، ولكن هل مسح منذ أُنزلت المائدة؟ قال: فلم يتكلم أحد، فإنها أحكمت كل شيء وكانت آخر سورة أُنزلت من القرآن إلا براءة[٤].

[التأصيل]

١ ـ لا يختلف على أن علم المكي والمدني من علوم القرآن الأصلية، وأن قيمته وأصالته منبثقةٌ من عصر الصحابة زمان تنزل القرآن.

ولم تخلُ سورة من القرآن ـ في الجملة ـ إلا بُين نوعها وعرف مكان نزولها، بل وما استثني منها من آيات ـ إن وُجد ـ.

وفي أثر علي، وابن مسعود رضي الله عنهما أنه ما من آية أو سورة إلا وهما يعلمان أين نزلت وفيمن نزلت، دلالة على علو كعب العلم، وما كان كبار علماء الصحابة والبارعون في علم القرآن ليهتموا إلا بمُهمٍّ، ولا يشتغلوا إلا بعظيم.

٢ ـ مصدر هذا العلم القرآني هو النقل، وليس فيه ما هو قابل للاجتهاد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٧، ٥١٨)، وانظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٥٧٩، ٥٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣١/ ٥٥١) [١٩٢٢١]، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب: المسح على الخفين (ص٣٢) [١٥٤]، والطحاوي في مشكل الآثار (٦/ ٢٩٦) [٢٤٩٤]، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٩٩) [٦٢١]، ورواه أبو القاسم حمزة السهيمي في تاريخ جرجان (ص١٨٧)، وابن عبد البر في الاستذكار (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩) [٢١٨٨]، وحسن الألباني الحديث في صحيح أبي داود (١/ ٢٦٥) [١٤٣].

(٣) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: المسح على الخفين (١/ ١٣٨) [٢٧٢].

(٤) تقدم تخريجه في علم: **أول ما نزل وآخر ما نزل**.

وسبيل العلم به من طريق الصحابة ممن عاصروا الوقائع وشاهدوا التنزيل، فهم العمدة في هذا العلم(١).

أما مرويات التابعين فمأخوذة من ما علموا من الصحابة، هذا هو المظنون بهم، فلا طريق لهذا العلم إلا من صحابة النبي ﷺ.

ومن روى بعدهم شيئاً من أفراد المكي والمدني فعلى آثارهم اعتمد، وإلى رواياتهم استند. والله أعلم.

٣ ـ الوارد عن السلف في هذا العلم القرآني له طرائق ثلاث:

١ ـ على وجه الاستيعاب لكل سور القرآن في روايات جامعة.

٢ ـ تخصيص طائفة من السور ببيان نوعها، كالمفصل وآل حم.

٣ ـ إفراد كل سورة على حِدةٍ والتنصيص عليها بياناً لنوعها وما يمكن أن يُستثنى من ذلك.

٤ ـ خلت نصوص الصحابة والتابعين من تعريف علم المكي والمدني تعريفاً يضبطه بكلام جامع.

إنما كان أول من أُثر عنه ذلك المفسر يحيى بن سلام (٢٠٠هـ)، ثم علي بن الحسين بن واقد (٢١١هـ).

واتفق النصَّان على اعتبار الهجرة معياراً للمكي والمدني، فما كان قبل الهجرة ولو في الطريق إلى المدينة فهو من المكي، وما كان بعد قدوم المدينة فهو من المدني، ولو كان في أحد أسفار النبي ﷺ بعد ذلك إلى مكة أو تبوك وغيرها من البلدان.

إلا أن علي بن الحسين بن واقد استثنى آية من القرآن ليست من المكي ولا من المدني، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص: ٨٥] فإنها نزلت في الجحفة حين خرج النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة، ومن نظر في أول قوله وآخره رأى ما يشبه التناقض في اصطلاح المكي والمدني، حيث جعل المراد بالعلم ما يدل على المكان بدلالة استثناء ما نزل بالجحفة، وفي آخر الآثر جعل مصطلح المكي والمدني وهما لفظان

---

(١) انظر في هذا المعنى: الانتصار للباقلاني (١/٢٤٧).

مكانيان، جعلهما دالين على الزمان، وهي - أي: آية القصص - في أثر يحيى بن سلام من المكي؛ لأنه حدد المكي بما كان قبل البلوغ إلى المدينة ولو في أثناء الطريق إليها، فكانت آية القصص على هذا من المكي.

وقد تتابع أهل العلم معولين على هذا المعيار فاعتبروا الهجرة فاصلاً بين المكي والمدني، واستقر المصطلح على أن ما كان قبل الهجرة فهو مكي وما كان بعد الهجرة فهو مدني.

وممن ذهب إلى هذا من العلماء: ابن عطية، وابن كثير، والبقاعي، وابن حجر الذي وصف هذا القول بالذي وقع عليه الاتفاق في الاصطلاح بالمكي والمدني، والزيلعي - ووصفه بالمشهور -، وابن جزي، والقسطلاني، والآلوسي، ومجموعة من أهل علوم القرآن سيأتي ذكرهم[(١)].

ومصطلح المكي والمدني يصح أن يوصف بأنه:

(لفظ ظاهره دال على المكان، مقصود به معرفة الزمان).

أي: (زمان تنزل الآيات والسور).

ويكاد يكون النص عن يحيى بن سلام وعلي بن الحسين بن واقد، أقدم ما عُرف من دلالة للمكي والمدني، وعليه تتابع أهل العلم وقرروه معنى مراداً بهذا العلم.

ومما يقطع به أن الصحابة في بادئ تنزل القرآن لم يكن مستقراً عندهم مصطلح المكي والمدني، ولم يعتبروا الهجرة فاصلاً بين النوعين كما اشتهر بعد ذلك واستقر عليه العمل، بل إنه فشا استخدامهم لفظ: نزل بمكة، ونزل بالمدينة حتى غلب على قولهم: هذه مكية، وهذه مدنية، وإن ظهر في آثارهم شيء من استعمال ذلك لكنه بصورة قليلة، وانظر إلى مروياتهم تتيقن ذلك.

وهذا في رأيي ينبئ عن عدم استقرار المصطلح في تلك الآونة، وأنهم عَنَوا تحديد مكان النزول وهو ما يستخلص منه تعيين الزمان.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٨٠)، فضائل القرآن (٣٧)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٦١)، تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١/ ٥٠)، ونقله الزيلعي عن شيخه قاضي القضاة بهاء الدين بن عقيل، التسهيل في علوم التنزيل (١/ ٨)، العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٤١)، فتح الباري (٨/ ٦٢١)، لطائف الإشارات (ص٢٦)، روح المعاني (١٨/ ٨، ٩).

ومن منهجهم في تحديد نوع سور القرآن:

نصهم على أماكن نزول الآي والسور في غير مكة والمدينة.

ومن شواهد ذلك وقد تقدمت:

١ ـ قول عمر عن آية المائدة: نزلت بعرفة يوم الجمعة.

٢ ـ عن المسور بن مخرمة ومروان قالا عن سورة الفتح: أنها أُنزلت بين مكة والمدينة.

٣ ـ قال ابن عباس بنزول آخر النحل بين مكة والمدينة.

٤ ـ قال ابن عباس وقتادة عن سورة محمد: إنها مدنية إلا آية منها نزلت عليه بعد حجه حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ [محمد: ١٣].

٥ ـ قول ابن عمر بنزول سورة النصر في منى أيام التشريق.

٦ ـ قول أنس عن سورة الفتح: نزلت في مرجعه من الحديبية.

وهكذا في قائمة من الآثار يطول ذكرها، ويستخلص منها ما يلي:

أ ـ أنهم كانوا يعبرون بمكان النزول: مكة، المدينة، في أكثر آثارهم، ويَقل قولهم: مكي، ومدني وهذا له دلالة لا يمكن إغفالها.

ب ـ النص على أماكن نزول القرآن في أماكن متعددة، بالجحفة، وفي الحديبية، وفي عرفة، ومِنًى، وبدر، وتبوك، وكل آياتها نازلة بعد الهجرة.

ومع ذلك لم يقولوا: إنها مدنية مما يدل على أن المصطلح لم يرسخ عندهم بدلالة معينة، لا على الاصطلاح المشهور للعلم ولا على القولين الآخرين في تعريف المكي والمدني، إنما انتهجوا ذكر المكان وهو ما استخلص منه الدلالة على الزمان.

ج ـ أن إفراد آيات بعينها بذكر مكان نزولها وسوق أسباب النزول في بعض الأحايين لا يخرج عن أمرين:

١ ـ إما أن يقصد حكاية مكية السورة أو مدنيتها كلها، ويؤتى ببعض آياتها وسبب نزولها شاهداً على ذلك.

٢ ـ وإما أن يقصد استثناء هذه الآية أو الآية بعينها من نوع السورة

الغالب عليها، وهذا كما جاء في أثر عكرمة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠] من سورة الأنفال المدنية، قال: هذه مكية ـ وتقدم.

ويتبين بهذا أنهم إذا حدَّدوا مكان نزول الآيات أو السور سواء في مكة أو المدينة، بدر، الحديبية، الجحفة، عُسفان، تبوك، وعرفة، ومِنى.

فهي كلها تعطي الدلالة المكانية، ويُنفذ من خلالها إلى الدلالة الزمانية، فمعلوم أن ما كان في بدر أو الحديبية أو عرفات وغيرها كلها بعد الهجرة، بينما يدل قولهم: «مكية» على ما كان قبل الهجرة.

وفي أثر ابن مسعود وعلي قولهما: وأين نزلت، أو حيث نزلت، هذه دلالة مكانية.

وكان في نصوص أهل العلم المتقدمين قبل رسوخ معنى المكي والمدني ما يكشف عدم اتضاح المراد، فترددت آراؤهم في هذا:

فلما حكى النحاس (٣٢٧هـ) استثناء من استثنى ثلاث آيات من مكية سورة النحل وأنهن نزلت بين مكة والمدينة قال: وما نزل بين مكة والمدينة فهو مدني(١).

وقد قال الداني (٤٤٤هـ) عن سورة المائدة: مدنيةٌ، إلا آيةً منها نزلت بعرفة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣](٢).

وقال الماوردي (٤٥٠هـ): إن البقرة مدنيةٌ في قول الجميع، إلا آيةً، وهي: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٨١]، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنًى(٣).

وقال ابن عطية (٥٤٣هـ) في سورة محمد: هذه السورة مدنية بإجماع، غير أن بعض الناس قال في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] أنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي ﷺ فيها عام الفتح أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني(٤).

ومضى استثناء هذه الآية من قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وفي أثر جابر بن

---

(١) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٨٥).
(٢) البيان في عد آي القرآن (ص١٤٩).
(٣) النكت والعيون (١/ ٦٣).
(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٦٣٨).

زيد الطويل - المستوعب سور القرآن نزولاً - قسَّم القرآن إلى ثلاثة أقسام:

ما أُنزل عليه بمكة، وما أُنزل عليه بعدما قدم المدينة، وما أُنزل عليه في أسفاره وهي أربع آيات: منها ما هو بالجحفة، وما هو بالشام، وما نزل بعرفة، وبذات الجيش[(١)](٢).

وهذا كله ظهورٌ في عدم اعتمادهم معنى للمكي والمدني واصطلاحهم عليه، ويظهر كذلك أنهم اعتبروا المكان في تعيين هذا النوع ابتداءً، ثم تطورت دلالة العلم واستقر الاصطلاح بعد ذلك على اعتبار الزمان استخلاصاً من لفظين دالين على المكان.

٥ - وردت عنهم بعض الآثار أرادوا منها ضبط المكي والمدني بضوابط تحدد كل نوع، وصفها ابن كثير بـ: ضوابط في تقييدها عُسرٌ ونظرٌ[(٣)].

ومن هذه المرويات ما صُحح بعضها، وحُسنت أسانيد البعض الأخرى، فليس فيها مطعن من جهة الأسانيد.

أما بالنظر إلى متونها فيتجلى تركز هذه القواعد الضابطة على نوعية الخطاب ومن يخاطب بالآية.

فما كان خطاباً بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فالسورة مكية.

وما كان بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فالسورة مدنية.

على هذا الأصل تلتف معظم آثارهم، ونَدَّ عن هذا أثر عروة بن الزبير الذي ميَّز بين النوعين بالموضوعات والقضايا، فآيات الحدود والفرائض والجهاد مدنية، وما ذُكر فيها من أخبار الأمم والقرون وضرب الأمثال فمكية، وهذا واضح مستبين لا يختلف فيه[(٤)].

---

(١) تلعة كبيرة تسيل من ثنايا مفرحات، فتصب في عقيق المدينة من الغرب فوق ذي الحُليفة، وتعرف اليوم بالشَّلَبِية. انظر: معجم البلدان للحموي (٢/ ٢٠٠، ٢٠١)، معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص٨٧).

(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن، الداني (ص١٣٦، ١٣٧).

(٣) فضائل القرآن (ص٣٧).

(٤) وفي قوله: الأمم والقرون، ما يدل على أن مراده السور التي تضم حوادث لأمم عديدة وقرون كثيرة، فلا يشغب عليه بسورة ذكرت أمة واحدة أو قصة منفردة، فسبكه ألفاظ الأثر متقن لا يورد عليه.

والذي ينبغي تحقيقه وتبيين وجهه هو قولهم:
ما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فنازل بمكة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فبالمدينة.

وفيما يلي استيعاب للسور الواردة فيها هذان الخطابان، مع بيان نوعها:

السورة	الخطاب	نوعها
١ ـ البقرة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (موطنان) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (أحد عشر موطناً)	مدنية
٢ ـ آل عمران	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية
٣ ـ النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (ثلاثة مواطن) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (عشرة مواضع)	مدنية
٤ ـ المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية
٥ ـ الأعراف	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	مكية
٦ ـ الأنفال	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية
٧ ـ التوبة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية
٨ ـ يونس	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	مكية
٩ ـ الحج	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (٤ مواطن) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (موطن واحد)	مختلف فيها
١٠ ـ النور	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية
١١ ـ لقمان	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	مكية في قول الأكثرين
١٢ ـ الأحزاب	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية
١٣ ـ فاطر	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	مكية
١٤ ـ محمد	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية في قول الأكثرين وقيل بإجماع
١٥ ـ الحجرات	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (٥ مواطن) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (موطن واحد)	مدنية
١٦ ـ الحديد	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية في قول الأكثرين وقيل مكية
١٧ ـ المجادلة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	مدنية

السورة	الخطاب	نوعها
١٨ ـ الحشر	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	مدنية
١٩ ـ الصف	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	مدنية في قول الجمهور
٢٠ ـ الصف	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	مدنية في قول الجمهور
٢١ ـ الجمعة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	مدنية
٢٢ ـ المنافقون	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	مدنية
٢٣ ـ التغابن	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	قيل مدنية، وقيل مكية إلا من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾
٢٤ ـ التحريم	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	مدنية

وبهذا يُعلم أنه لا يشوش على هذه القاعدة إلا نوع سور: البقرة، والنساء، والحج، والحجرات.

وضمت سورتا البقرة والنساء الخطابين معاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

لكن معظم تلك النداءات وغالبها في كلا السورتين بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أحد عشر موطناً في البقرة مقابل موطنين بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وفي النساء عشرة مواطن مقابل ثلاثة.

أما سورة الحج فمن أشد السور اختلافاً في نوعها، وفيها أربع آيات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وموطن واحد في آخرها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

فالغلبة للخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ومن نظر في آياتها وما تناولته من موضوعات وقضايا في التوحيد والبعث تيقن مكيتها، وعلى كلٍ فما ادعي أنه نازل بالمدينة واستثني من مكيتها ليس فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وسورة الحجرات فيها أربعة مواطن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وموطن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وعلى رغم غلبة الخطاب بنداء أهل الإيمان فإن في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ رواية عند ابن مردويه عن عمر بن الخطاب يقول

فيها: هذه الآية مكية(١).

وبهذا يعلم أن ما قرره السلف من هذا الضابط الفارق بين المكي والمدني.

وخصوصاً في جزئه الأول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ إن شغب عليه نوع بعض السور ـ وتقدمت ـ وخالفتا ما تقرر، فإنه بجزئه الثاني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يصيب ولا يخطئ، فلا ينظر في أول الأثر ويُنسى آخره، بل لا يتمسك بآية وتترك آيات تتواءم مع القاعدة ولا تعارضها.

وأياً ما كان فبإمكان تحوير بعض ألفاظ الأثر لتضبط ما أُورد عليها فيقال:

وما كان فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فمكي، وما كان فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فمدني، وما ضم النوعين أو الخطابين فالعبرة بالغالب، فلو غلب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في سورة فهي مكية، وإن غلب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهي مدنية.

أما ما قرره عروة بن الزبير فواضح مستبين، إذ جعل الفارق بين النوعين ما يحمله كل نوع من قضايا جاء لعلاجها وموضوعات قصد تقريرها وتفنيد الشبه عنها، وتأصيل أحكامها وتشريعاتها.

ولهذا عقب القرطبي على قول عروة بقوله: وهذا واضح(٢).

والعلماء حيال هذه القاعدة الضابطة صححوا ما يتعلق بالخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ واستشكلوا ما فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لما ورد في البقرة والنساء، فقالوا: أما ما فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فمنه مكي ومدني، وحمله بعضهم على الغالب أو الأكثر(٣).

والغريب أنهم استشكلوا القاعدة في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لما ورد في البقرة والنساء، فماذا بشأن الجزء الآخر من القاعدة سيما وقد ورد النداء بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إحدى عشرة مرة في البقرة، وعشر مرات في النساء؟

---

(١) انظر: الدر المنثور (١٣/ ٥٩٣). (٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٥).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١/ ١٨٢)المحرر الوجيز (١/ ١٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٥)، البحر المحيط (١/ ٢٣٣)، زاد المعاد (٣/ ٧٠)، التسهيل لابن جزي (١/ ٨)، فضائل القرآن لابن كثير (ص٣٧)، اللباب لابن عادل (١/ ٤٠٧).

٦ ـ مما وردت به الروايات عنهم استثناء آيات مكية من السور المدنية، ومدنية من السور المكية.

وابن الحصار قرر أن المستثنى واردٌ من النوعين المكي والمدني[١].

وعقَّب ابن حجر بأن استثناء آيات مكية من السور المدنية لم يره إلا نادراً.

ومن أمثلة ذلك ما أثر من أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠] آية مكية من سورة الأنفال المدنية إجماعاً على قول من قال ذلك واستثناها[٢].

ومثل هذا يقتضي أن تنزل آية أو آيتان في مكة قبل الهجرة، ثم تنزل سورتها كاملة بفاتحتها بالمدينة بعد الهجرة، وعلى كلٍّ فمعظم الوارد هو استثناء آيات مدنية من السور المكية كما ظهر في آثارهم.

وقال ابن جزي الكلبي: «وكما وقعت آيات مكية في سور مدنية وذلك قليلٌ، مختلفٌ في أكثره»[٣] .اهـ.

وارتكزت مرويات المستثنى في علم المكي والمدني على أربعة من الصحابة والتابعين هم أكثر من يُروى عنهم الاستثناء وهم:

ابن عباس، وقتادة، وعطاء بن يسار، والكلبي.

والأصل أن يحكم للسورة كلها بأنها من المكي أو المدني، ويبقى استثناء آية أو آيات من ذلك خلاف الأصل، وهو يحتاج إلى نص الصحابة أو التابعين في رواية تستثني.

ومن يورد الاستثناء في السور القرآنية يعقبه في بعض الأحايين بذكر الموجب لهذا، كأن يذكر سبباً للنزول وقع بالمدينة فاستثنى آياتها من السورة المكية؛ كالوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما في استثناء آيات من سورة الزمر، وكثيراً لا يذكرون الموجب لاستثنائهم.

لكن الرجوع إلى دواوين التفسير وكتب أسباب النزول يتبين به الداعي

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (١/ ٨٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٥٨).

(٣) التسهيل (١/ ٨).

لخروج آيات عن نوع السورة الغالب، وهذا مفيد لاعتماد ما يستثنون من الآيات فهو كالدليل على دعوى خروج آيات من نوع السورة التي وصفت بها، وكذلك يتضح أن أسباب النزول هي السبيل إلى معرفة ما يستثنى من السور المكية والمدنية.

وهناك طريق آخر يُقرب القول بالاستثناء ولا يقطع به وهو النظر في موضوع الآيات التي تستثنى إن كانت مكية من المدني، فهل ما جاءت تعالجه من قضايا وتدعو إليه من تشريع يتوافق مع خصائص السور المكية أم لا؟ وقل مثل ذلك في إخراج آيات مدنية من السور المكية.

وتبقى الروايات هي الأصل الذي يتمسك به ويُبنى عليه القول بالاستثناء.

٧ ـ اتصل علم المكي والمدني بعدد من علوم القرآن الأخرى، وتوثق الارتباط بينهم في ذلك تأثراً وتأثيراً.

ويمكن حصر العلوم القرآنية في التالي:

١ ـ النسخ. ٢ ـ أسباب النزول. ٣ ـ أسماء السور. ٤ ـ المبهمات.

١ ـ النسخ:

فأما علم النسخ ومعرفة الناسخ من المنسوخ فهو الثمرة الكبرى من العلم بالمكي والمدني؛ لأن القول بالنسخ مستلزم لمعرفة التاريخ ليُعلم المتقدم من المتأخر، وهذا لبُّ علم المكي والمدني والعلم بالتاريخ شرط من شروط النسخ.

وتقدم من آثارهم الاحتفاء بالمكي والمدني، وضبطه ليكون طريقاً إلى العلم بالنسخ والقول بوقائعه، وقد وعى المصنفون في النسخ هذا واهتموا بعلم المكي والمدني، فلم تخل كتبهم المعتبرة في علم الناسخ والمنسوخ من ذكر نوع السورة وبيان ما استثني منها إن وجد، وتوظيف ذلك في وقائع النسخ[١].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب، النسخ في القرآن لابن العربي، قلائد المرجان لمرعي الكرمي.

٢ ـ أسباب النزول:

أما أسباب النزول فإن أثره عائد إلى المكي والمدني فهو مفيدٌ له لا مستفيدٌ منه.

فأسباب النزول ووقائع الآيات طريق لتمييز نوع السورة ومعرفة مكان تنزلها ومن ثمَّ زمانها.

فهو طريق مهم في تحديد نوع السور القرآنية.

ومن أظهر الأمثلة في ذلك:

١ ـ اختلف في سورة (الصف) وتبين بحديث عبد الله بن سلام الذي يحكي سبب نزولها أنها مدنية فترجح ذلك بمعرفة سبب النزول.

٢ ـ سورة الجمعة، ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] القصة المعروفة فعلم بهذا أنها مدنية.

٣ ـ سورة الحج مختلطة، منها المكي والمدني، ومن يدعي مكيتها يستدل بسبب نزول شيء من آياتها ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج: ١٩]، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ [الحج: ٣٩]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

٤ ـ سورة التغابن، استثني منها آخرها وفقاً لسبب النزول، ومن يقول بأن منها المكي والمدني يميز ذلك بأسباب النزول.

٥ ـ سورة الكوثر، مدنية على الصحيح؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه حين روى سبب نزولها، وراوي السبب شاهد ذلك.

وبهذا يتقرر أن تعلق أسباب النزول بالمكي والمدني على ضربين:

الأول: أن ترد أسباب النزول متفقة مع ما قيل في نوع السورة، ومتسقٌ مع مكيتها أو مدنيتها، وهذا لا إشكال فيه.

الثاني: أن يأتي السبب مفيداً في معرفة نوع السورة ومرجحاً عند الاختلاف فيها، أو لما يضطرب في تحديد ما هو المكي منها وما هو المدني؛ أي: حال الاستثناء.

٣ ـ علم أسماء السور:

استلزم إفاضة القول في نوع السور القرآنية وذكر ما هو مكي وما هو مدني لذكر أسماء السور وبيان ما عرفت به من تسميات إن تعددت.

وبهذا تعد الآثار الواردة في علم المكي والمدني مصدراً مهماً في تسميات السور.

٤ ـ علم المبهمات:

لعل هذا العلم أقل العلوم صلة بالمكي والمدني، فالإخبار عن مكية السورة أو مدنيتها لا يستلزم بالضرورة الكشف عن مبهم في كل آية، بل هو في قليل من الآيات، ومن جهة أخرى فإن المبهمات وتبيينها نتاج لمنظومة من العلوم كأسباب النزول، وعلم المبهمات ذاته مع المكي والمدني على نحو أخف من سابقها من الفنون، بل لعل التعرض للمبهمين في حكاية المكي والمدني تأتي عرضاً لا قصداً إلا ما ندر.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف: ١٠].

ففي المقصود بالشاهد من بني إسرائيل تنازعٌ بين السلف على قولين:

١ ـ أنه عبد الله بن سلام، قال به ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك وآخرون.

٢ ـ أن المراد به موسى بن عمران كليم الله[(١)].

والذي يهم في هذه المسألة، أن من يقول إنها نازلة في عبد الله بن سلام وهو المقصود بها كما أورده عوف بن مالك الأشجعي بسند صحيح كما قال السيوطي[(٢)]، وهو قول عبد الله بن سلام الذي يقول: أُنزل فيَّ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ

---

(١) انظر: جامع البيان (٢١/ ١٢٧ ـ ١٣٠)، المحرر الوجيز (٧/ ٦١٤، ٦١٥)، زاد المسير (٧/ ٣٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٨٨، ١٨٩).

(٢) الإتقان (١/ ١٠١).

ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾، من يقول بذلك يستلزم أنها آية مدنية مستثناة من سورة الأحقاف المكية، وهو ما صرح به محمد بن سيرين حين قال: كانوا يرون أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ والسورة مكية والآية مدنية، قال: وكانت الآية تنزل فيؤمر النبي أن يضعها بين آيتي كذا وكذا في سورة كذا، وآية هذه منهن[(١)].

وهذا ما نفاه الشعبي، ومسروق، والحسن بن مسلم، ممن لا يرون نزولها في عبد الله بن سلام، وإليك أقوالهم:

قال الحسن بن مسلم: نزلت هذه الآية بمكة، وعبد الله بن سلام بالمدينة[(٢)].

وقال مسروق: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت إلا بمكة وإن كان إسلام ابن سلام بالمدينة[(٣)].

وقال الشعبي: أناس يزعمون أن شاهداً من بني إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، وقد أخبرني مسروق أن (آل حم) إنما نزلت بمكة[(٤)].

وممن لم يرَ الآية في عبد الله بن سلام التابعي عكرمة بن أبي رباح وتقدم قوله.

وحينئذ فالقول بنزولها في عبد الله بن سلام ـ سورة الأحقاف مكية كما هو متقرر ـ لا ينفك من نهجين، وعليه دارت مرويات الصحابة والتابعين في هذه المسألة:

١ ـ إما القول باستثناء الآية المذكورة والحكم عليها بأنها مدنية خرجت عن السورة المكية وبالتالي يصح دعوى نزولها في الصحابي عبد الله بن سلام الذي أسلم بالمدينة، ونزلت فيه الآية بالمدينة.

٢ ـ وإما القطع بأن الآية مكية لا تخرج عن آيات الأحقاف المكية.

وعليه فلا يصح قول إنها نزلت في عبد الله بن سلام؛ لأنه لم يسلم إلا

---

(١) تقدم الأثر.
(٢) انظر: تاريخ دمشق ابن عساكر (٢٩/ ١٣٠).
(٣) تقدم الأثر.
(٤) تقدم الأثر.

بالمدينة، وكان من أحبار اليهود الذين كانوا مقيمين بمدينة النبي ﷺ كما هو معلوم.

فهذان اتجاهان سار عليهما الصحابة والتابعون في ما تعارض فيه دعوى نزول آية في حادثة بالمدينة لا يساعد عليها نوع السورة المكية.

وجاء في أثر عن سعيد بن جبير لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أهو عبد الله بن سلام؟ قال: وكيف وهذه السورة مكية[(١)]؟

فاستدل سعيد بن جبير على تصحيح ما يتعلق بمبهم في الآية بنوع السورة المكية، مما يجعل علم المكي والمدني مفيداً في بيان المبهمات في القرآن، أو تصحيح قول في تعيين المبهم لا يصح فيه كما في أثر سعيد بن جبير.

وقد اختصت بعض آيات القرآن وسوره العظيمة ـ وكل القرآن عظيم ـ ببيان زمانها ومكانها، فاجتمع لها معرفة المكان والزمان، وهذا أبلغ من مجرد تعدادها ضمن السور المكية أو المدنية.

ومن شاهد هذا آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] الثابت نزولها يوم عرفة في الجمعة بعرفات.

وحديث ابن عمر السابق الذي أخبر عن نزول سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ [النصر: ١] في مِنى أيام التشريق في حجة الوداع.

---

(١) تقدم تخريج الأثر.

المكي والمدني عند أهل علوم القرآن

أ ـ **تسمية العلم**: تطابقت مصنفاتهم على تسميته بالمكي والمدني، وهي مستخلصة من نصوص هذا العلم المأثورة، ولا يحتمل غير ذلك، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا المصطلح تطور لفظاً ودلالة من قولهم: نزل بمكة أو نزل بالمدينة، ولم يستبن أنهم عَنَوا تعريفاً محدداً لذلك ثم ترقى حتى أصبح يعرف بالمكي والمدني، وأصبحت له دلالة مشتهرة تتابع عليه أهل علوم القرآن اعتماداً وتصنيفاً.

ب ـ لم تخلُ كتب علوم القرآن المعتمدة عند أصحاب الفن من بحث هذا العلم ومدارسة موضوعاته، فهو علم أصيل لا يغفل مثله، بل هو في صف منظومة علوم القرآن الأصيلة المأثورة، سيما والدواوين تحتشد بروايات السلف في هذا العلم عند كل سورة من سور القرآن، بل وفي آيات عديدة من آي القرآن.

ويمكن تصنيف الموضوعات التي بحثها أهل مصنفات علوم القرآن متكئين على مأثور السلف في العلم القرآني إلى ما يلي:

١ ـ قرروا أهمية هذا العلم وعلو شأنه، واستشهد طائفة قليلون منهم بأثر ابن مسعود أو أثر علي بن أبي طالب في الدلالة على أهميته وأثريته والرجوع إلى الصحابة في تبيين هذا الفن القرآني[١].

٢ ـ تواردوا على ذكر ثلاث اصطلاحات للمكي والمدني، وهي اعتبار الزمان، واعتبار المكان، واعتبار المخاطبين.

واختاروا متفقين اصطلاحاً روعي فيه الزمان، وأن الهجرة فاصلة بين النوعين، فما كان قبل الهجرة فهو مكي وما كان بعدها فهو مدني.

---

(١) الإتقان (١/ ٤٧)، مناهل العرفان (١/ ١٦١)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (ص٢٢٠، ٢٢١)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص١٣٥).

وعللوا هذا الاختيار بأنه ضابط حاصر ومطرد لا تخرج عنه آية من آيات القرآن.

وأهم هؤلاء العلماء:

الزركشي، والسيوطي، وابن عقيلة، وقد وصف هذا الاصطلاح بالمشهور[١].

والزرقاني، وأبو شهبة ونسبه للجمهور، وطوائف من المعاصرين[٢]، وهذا القول حقيق بوصفه ما استقر عليه الأمر واجتمعت عليه كلمة أهل الفن، ولم أرَ من نسب له القول باعتبار المكان في اصطلاح المكي والمدني، وغلب القول الأول الذي تلقاه أهل علوم القرآن بالاعتماد والتسليم حتى إن الأقوال الأخرى لا يُعرف لها قائل تنسب إليه.

وجعلوا من ضمن الأقوال في معرفة المكي والمدني، ـ وهو القول الثالث ـ: اعتبار المخاطب، وأدرجوا تحت ذلك مجموعة من الضوابط، وما أُثر عن السلف من قولهم: كل ما فيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فمدني، وما فيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مكي.

والظاهر أن الوارد في تلك الآثار لا يقصد بها تعيين المكي والمدني تعييناً لا يتخلف عنه شيءٌ من أفراده، وإنما هي ضوابط كما سماها جماعة من العلماء[٣].

أو علامات[٤] يستدل بها الناظر على معرفة المكي والمدني ابتداءً، وذلك قبل الرجوع إلى مصادر تلقي علم المكي والمدني من آثار السلف.

---

(١) البرهان (١/ ٢٣٩)، الإتقان (١/ ٤٥)، الزيادة والإحسان (١/ ٢٠٤).

(٢) مناهل العرفان (١/ ١٦٠)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٢٢١)، تاريخ القرآن الكريم، د. محمد سالم محيسن (ص٥٤، ٥٥)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص١٤١)، علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور (ص٢١٢، ٢١٣)، محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري الحمد (ص٧٨)، لمحات في علوم القرآن، د. محمد الصباغ (ص١٤٦)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا (٦٣، ٦٤)، المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (ص٥٤).

(٣) انظر مثالاً: فضائل القرآن لابن كثير (٣٧)، الإتقان (١/ ١٠٦).

(٤) مناهل العرفان (١/ ١٦٢)، المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص٥٧، ٥٨).

وليست هذه الضوابط مما يمكن إدراجه تحت ما قيل في تبيان اصطلاح المكي والمدني.

ويدل على هذا أن كثيراً من سور القرآن خالية من الخطابين، من ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ومن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فأي النوعين تدرج تحته هذه السور الخالية من الخطاب؟

والمقصود بالاصطلاح ما يجمع أفراد العلم في تعريف مستوعب جامع.

٣ ـ موقف أهل علوم القرآن من الأثر الوارد في التفريق بين المكي والمدني بالخطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كالتالي:

حمله الأكثر على الغالب[(١)].

وقريب منه قول من قال: إنها علامات تقريبية[(٢)].

ومنهم من جعلها أمارات قطعية لا تتخلف، يقول الشيخ صبحي الصالح متعقباً الزركشي:

ونحن لا نرى داعياً لأن تكون هذه الأمارات غالبة فقط، فهي ـ إذا حفظ ما استثني منها جانباً ـ أماراتٌ قطعيةٌ لا تتخلف. اهـ[(٣)].

ـ وهو لا يزيد عما ذكره الزركشي الذي أومأ إلى حمل هذه الآثار على الغالب، و قال: الأقرب على أنه خطاب المقصود به أو **جُل تنزيل** قول من قال مكي ومدني المقصود به أهل مكة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة. اهـ[(٤)].

ومنهم من جعل الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ علامات غير مطردة، والخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ علامات مطردة[(٥)].

وعند مصنفي علوم القرآن تباين في تصنيف هذه الآثار.

فتارة يجعلونها الاصطلاح الثالث الوارد في المكي والمدني، وتارة تحت الضوابط أو الخصائص، والعلامات المميزة للنوعين.

---

(١) البرهان للزركشي (١/ ٢٤٥)، الزيادة والإحسان (١/ ٢٢١)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص٢١٤)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا (ص٦٦، ٦٧).

(٢) المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (ص٥٧، ٥٨).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص١٨٢).

(٤) البرهان (١/ ٢٤٥).

(٥) تاريخ القرآن، د. محمد سالم محيسن (ص٥٨، ٥٩).

وثالثة أوردوها تحت الطريق القياسي للعلم بالمكي والمدني(١).

٤ ـ تقرر أن معرفة المكي والمدني لا يتأتى إلا بالنقل من طريق الصحابة الذين شاهدوا التنزيل وعاصروا الوقائع ثم عن تلاميذهم التابعين الآخذين عنهم، وهذه الطريق تسمى: الطريق السماعي.

وتوارد كثير من مؤلفي علوم القرآن على نقل ما أورده الجعبري، من أن لمعرفة المكي والمدني طريقين: سماعي، وقياسي، أما السماعي فواضح، أما القياسي فأورد مجموعة من الضوابط من مثل:

كل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقط أو أولها حرف هجاء، سوى الزهراوين، والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس، سوى البقرة فهي مكية ونحوها من العلامات(٢).

والحق أن هذا تجوز في العبارة، والمتقرر أنه لا سبيل إلى هذا العلم إلا من طريق الرواية عن الصحابة والتابعين.

وأن ما سموه الطريق القياسي هو في حقيقة أمره مجموعة من العلامات والضوابط التي تميز بين النوعين بادي الرأي، لكنها لا تغني عن اعتماد الرواية عن الصحابة والتابعين في بيان نوع السورة، إنما هي طرائق يستدل بها الناظر وقواعد يحفظها القارئ لتسهيل معرفة المكي والمدني، وإلا لا غنىً عن الأثر ولا غنية عن الرواية، إذ هي المعول والأساس، وتبقى هذه العلامات للتقريب والتسهيل، سيما وقد علمت ما في هذه الضوابط والعلامات من استدراكات لأهل العلم وتعقبات.

وبهذا يُعلم أن إيراد مثل هذه العلامات تحت الطريق القياسي لمعرفة

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) نقل ذلك الزركشي في البرهان (١/ ٢٤٢)، والسيوطي في الإتقان (١/ ١٠٨، ١٠٩)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٨١)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص٢١٤)، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص١٣٩)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص٥٧)، الزيادة والإحسان (١/ ٢٢١).

وقد قال الشيخ عبد الله الجديع ـ في كلام قَلِقٍ ـ ما نصه: يعرف المكي والمدني بواحد من طريقين: . . . ثم قال: والثاني: الاجتهاد عند عدم النقل وذلك بتعيين خصائص المكي والمدني، وإلحاق ما لم يرد النقل أنه مكي أو مدني بجامع تلك الخصائص (ص٥٥).

العلم فيه ما يُشوش، وربما تعداه إلى توهم أن هناك سبيلاً في معرفة المكي والمدني من غير طريق الرواية، فليتنبه.

وجَعْلُ بعض أهل التصنيف الاجتهادَ من طرق معرفة المكي والمدني، وذلك بتمييز خصائص المكي والمدني، وإلحاق ما لم يرد النقل به بجامع تلك الخصائص، أشدُ تشويشاً، ولا حاجة إلى مثل هذا لما تقدم بيانه، ولأن رواياتهم استوعبت كثيراً من السور وكثيراً من الآيات، وما لم يرد النص فيه فهو موافق لنوع السورة إن مكية وإن مدنية.

٥ ـ لما ذكروا الاصطلاحات الثلاثة في علم المكي والمدني لم يعضدوها بما ورد عن يحيى بن سلام، وعلي بن الحسين بن واقد، وهما قد قالا بما يصب في أشهر الاصطلاحات وأكثرها قولاً ممن تعتبر الزمان وتجعل الهجرة معياراً للتفريق بين المكي والمدني، وقلَّ لحد الندرة إيراد أثر يحيى بن سلام[(١)].

والسيوطي الذي أورد هذا الأثر عقب عليه بقوله: وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكيٌ اصطلاحاً. اهـ[(٢)].

قال هذا بعد أن ذكر أشهر الاصطلاحات في المراد بالمكي والمدني وعطف عليه أثر يحيى بن سلام، وهو أمرٌ لم أرَ من صنع مثله.

أما أثر علي بن الحسين بن واقد فلم أطّلع على من نصَّ عليه وأورده.

٦ ـ عد العلامة الشيخ طاهر الجزائري قولَ الماوردي: إن البقرة مدنية في قول الجميع، إلا آيةً، وهي: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٨١].

فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنىً، عده ذهولاً من الماوردي، وقال: فإن نزولها هناك لا يخرجها عن المدني في الاصطلاح؛ لأن ما نزل بعد الهجرة مدنيٌ، سواءٌ نزل بالمدينة أو بغيرها. اهـ[(٣)].

قلتُ: وليس ذلك ذهولاً من الماوردي رحمه الله إنما هو دليل يضاف إلى ما سبق من عدم استقرار مصطلح المكي والمدني على أشهر التعريفات التي يقول

---

(١) الإتقان (١/ ٤٥)، محاضرات في علوم القرآن، د. غانم الحمد (ص٧٨)، المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار (ص١٠٤).

(٢) الإتقان (١/ ٤٥).

(٣) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان (ص٣٣).

بها الجمهور وهي: اعتبار الهجرة فيصلاً بين المكي والمدني، وتأخر رسو المصطلح على هذا التعريف.

٧ ـ استنبط علماء القرآن فوائد العلم بالمكي والمدني، وجعلوا على رأسها العلم بالناسخ والمنسوخ، وهي فائدة جليلة، وفي نصوصهم المتقدمة ما يجعلها أعظم ثمار هذا العلم.

والحارث المحاسبي أورد علم المكي والمدني تحت ذكر الناسخ والمنسوخ، قال معللاً ذلك: ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة، فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ؛ لأنه الآخر في النزول. اهـ[(١)].

٨ ـ تفرع عن علم المكي والمدني بعض ما أُفرد عن هذا العلم وجعل مستقلاً وإن كان منشؤه من المكي والمدني من مثل: الحضري والسفري، النهاري والليلي، الصيفي والشتائي، الأرضي والسمائي، وهي أنواعٌ اعتنى بها دارسو المكي والمدني، بل البارزون منهم خصصوا كل نوع بالحديث إفراداً؛ كالسيوطي وابن عقيلة وكلهم يستند إلى روايات مأثورة، وذلك من تفريعات العلم وتشقيقاته.

٩ ـ لا تفوت الإشادة إلى تميز الحافظ السيوطي في استيعاب الروايات وسعة إيرادها وحسن تصنيفها، فهو بحق إمام استنار بإتقانه من أتى بعده من مصنفي علوم القرآن.

ومما أبدع فيه في هذا العلم:

- استيعاب الروايات الجامعة في تصنيف السور المكية والمدنية.
- جودة النظر في تفريع الفوائد من تلك النصوص.
- إيراد المستثنيات من السور المكية والمدنية، وربما عضَّد ذلك بأحاديث مرفوعة وآثار عن الصحابة.
- تحريره السور المختلف فيها وأدلة ذلك.
- براعته فيما تفرع عن المكي والمدني من علوم خصها بأنواع مستقلة، لا تخلو من بعض التكلف من مثل: معرفة الحضري والسفري، والنهاري والليلي، والفراشي والنومي، إلى آخر تلك الأنواع، وغزارة ما يسوقه من آثار وأحاديث.

---

(١) فهم القرآن (٣٩٤).

الفصل الخامس

علم المبهمات

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية هذا العلم القرآني من وجوه.
- المسألة الثانية: أنواع المبهمات التي تكلم فيها الصحابة والتابعون.
- المسألة الثالثة: تقسيم المبهمات.
- المسألة الرابعة: الصحابة فمن بعدهم قد يتفقون في تعيين مبهم وقد يختلفون، وتجري بينهم مراجعة في أحد المبهمين.
- المسألة الخامسة: مصادرهم في تعيين المبهمات.

[علم المبهمات]

المسألة الأولى

أهمية هذا العلم القرآني من وجوه

١ ـ الصحابة الكرام يسألون رسول الله ﷺ عن مبهم في القرآن، فجاء بيانه ممن مهمته البيان:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فقالوا: يا رسول الله: من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: «**هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس**»(١).

وجاء مثله عن النبي ﷺ لما سألوه عن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الجمعة: ٣](٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذ

---

(١) أخرجه ابن وهب في تفسيره (١/ ٦٦، ٦٧) [١٤٥]، والطبري (٢١/ ٢٣٤)، وابن حبان (١٦/ ٦٢) [٧١٢٣]، والطحاوي في المشكل (٥/ ٣٧٩) [٢١٣٤]، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير في تفسيره (١٣/ ٨٣)، وصحَّحه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي (٣/ ٣٢٩) [٣٢٦٠، ٣٢٦١]، والطبراني في الأوسط (٩/ ٣٨٧) [٨٨٣٣]، والحاكم (٣/ ٢٥٧) [٣٧٦١]، وصحَّحه، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢، ٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٨٧) [٢٦٢٤]، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٦٤) في شرح السُّنَّة (١٤/ ٢٠٠)، وابن عساكر في تاريخه (٢١/ ٤١٦)، وصحَّحه الألباني بمتابعاته (٣/ ١٤) [١٠١٧]، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وسعيد بن منصور (١٣/ ٤٥٣)، وعند ابن مردويه عن جابر بن عبد الله مثله. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (ص٨٦٩) [٤٨٩٧]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل فارس (٢/ ١١٨٥) [٢٥٤٦].

أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] قيل: يا رسول الله ومن الناس؟ قال: «**أهل فارس**»(١).

٢ ـ كبار الصحابة ومنهم بعض الخلفاء الراشدين يؤثر عنهم الحديث في علم مبهمات القرآن:

١ ـ حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث سأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس، هي حفصة وعائشة(٢).

٢ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال: هما الأفجران من قريش، بنو المغيرة، وبنو أُمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أُمية فمتعوا إلى حين(٣).

وعند ابن مردويه أن ابن عباس سأل عمر عن هذه الآية فقال: هما الأفجران من قريش أخوالي وأعمامك(٤).

٣ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، رسول الله ﷺ على بينة من ربه، وأنا شاهد منه(٥).

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٤/٤٠٧) [٧١٨٤]، وساقه في زهر الفردوس بسنده عن أبي نعيم (٤/١٦٣)، وزاد نسبته السيوطي إلى أبي الشيخ، وأبي نعيم. انظر: الدر المنثور (٨٩/٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: الغرفة والعُلِّيَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (ص٣٩٨) [٢٤٦٨]، ومسلم في كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء (١/ ٦٨٢) [١٤٧٩].

(٣) رواه البخاري في تاريخه مختصراً (٨/ ٣٧٣) في ترجمة يوسف بن سعد [٣٣٧٣]، والطبري في تفسيره (١٣/ ٦٦٩)، قلت: في الإسناد علي بن زيد بن جدعان، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه، الدر المنثور (٨/ ٥٤٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٧٠)، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٤٧)، قلت: وهذا يشهد للخبر السابق ويقويه.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ٢٥٦) [١١٦١٥]، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٨٨) [٣٤٦] وعزاه في الدر المنثور كذلك إلى ابن مردويه (٨/ ٢٨)، وساقه في الإتقان مسنداً إلى ابن =

٤ - عن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال: هما الأفجران من قريش، بنو أُمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أُمية فمتعوا إلى حين(١).

وجاء عنه نحوه جواباً لسؤال ابن الكواء عمن أُريد بقوله: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨](٢).

٥ - عن علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [فصلت: ٢٩] قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه(٣).

٦ - عن ابن مسعود ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥] قال: هو رجل من بني إسرائيل يقال له: بَلْعَم بن باعوراء، وبلفظ: بَلْعَم بن أَوْبَر، وبلفظ: هو بلعم، ويقال: بلعام(٤).

= أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٧) قال محققو الإتقان: في إسناده انقطاع... والحسين الطحان أيضاً فيه لين. اهـ، وذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر ضمن تفسيره وعلق عليه بقوله: وهو ضعيف لا يثبت له قائل (٧/ ٤٢٥).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٧٥)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٢١)، والطبراني في الأوسط (١/ ٤٣٤، ٤٣٥) [٧٨٠]، والحاكم (٣/ ٩٥) [٣٣٩٥]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٤٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٥٢) [٢٧٠٤، ٢٧٠٥]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٧٥) [١١٢٣٠]، والطبري (١٣/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٩، ٢٢٠)، والحاكم (٣/ ٩٥) [٣٣٩٤] وقال: صحيح ولم يخرجاه، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٧٥، ٧٦) [١٠٠٥]، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٤٨).

(٣) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص٢٦٦) [٨٥٨]، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٥٢) [٢٧٠٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٢٥١) [٢٨٣٣٢] و[٢٨٣٣٣]، والطبري في تفسيره من طرق (٢٠/ ٤٢٠، ٤٢١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٧) [٣٢٦٨]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩/ ٤٧، ٤٨)، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٣/ ١٠٢، ١٠٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٧) [٩٥٧]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٦٠) [١١١٢٩]، والطبري في تفسيره (١٠/ ٥٦٧، ٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٢) [٩٣٠٨]، =

٧ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] بنو سلِمة وبنو حارثة، وما نحب أنها لم تنزل، لقول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[١].

٣ ـ من مظاهر أهمية العلم واهتمامهم به:

سؤالاتهم عن المبهمين في القرآن ومدارستهم هذا العلم.

١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والله الذي لا إلـه غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[٢].

٢ ـ عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك، جعلني الله فداءك؟ فقال: ويلك، تعرف القرية التي كانت حاضرة البحر؟ فقلت: هي أيْلة.

وفي رواية: قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هي أيْلة[٣].

٣ ـ أثر ابن عباس لما مكث زمناً يتحين الفرصة لسؤال عمر رضي الله عنه عن المرأتين في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤][٤].

٤ ـ عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]: ما القريتان؟ قال: الطائف ومكة، قيل: فمن الرجلان؟ قال: عروة بن مسعود، وجبّار قريش[٥].

وفي رواية: الوليد بن المغيرة، وحبيب بن عمرو الثقفي[٦].

= والطبراني في الكبير (٩/ ٢٤٩) [٩٠٦٤]، قال في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح (٧/ ٦٧)، والحاكم (٣/ ٥٦) [٣٣١١]، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢)، وسند الخطيب ضعفه المحقق، وعزاه السيوطي للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، الدر المنثور (٦/ ٦٧٢).

(١) تقدم تخريجه في علم: **أسباب النزول**، وهو مخرج في الصحيحين.

(٢) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره**، وهو مخرج في الصحيحين.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢١٥) [٩٢٠٢]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٦/ ٦٣٢).

(٤) تقدم تخريج الأثر.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، الدر المنثور (١٣/ ٢٠١).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٤٣٠) [١٩٠٢٥]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن مردويه، الدر المنثور (١٣/ ٢٠١).

وروي عن قتادة، والسدي، ومجاهد نحو ذلك[(١)].

٥ ـ عن عكرمة قال: طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشر سنة[(٢)].

وهو مروي من كلام ابن عباس ﵄[(٣)].

❁ المسألة الثانية ❁

أنواع المبهمات التي تكلم فيها الصحابة والتابعون

١ ـ أسماء الأعلام والشخوص:

ـ عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: الذي حاج إبراهيم في ربه هو نمروذ بن كنعان[(٤)]

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] قال: نمروذ بن كنعان، يزعمون أنه أول من ملك في الأرض[(٥)].

وعن قتادة: كنا نُحدث أنه مَلِكٌ يقال له: نمروذ بن كنعان[(٦)].

وعن مجاهد نحوه، وكذا السدي[(٧)]، وابن إسحاق، والربيع بن أنس، وزيد بن أسلم[(٨)].

---

(١) أورد السيوطي هذا الأثر في الإتقان (٦/ ٢٠١٨)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٣٤٨، ٣٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٨١، ٥٨٢).

(٣) قال السيوطي في مفحمات الأقران: هذا الكلام مروي عن ابن عباس نفسه، أخرجه ابن منده في كتاب «معرفة الصحابة» من طريق يزيد بن أبي حكيم عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال: سمعت ابن عباس... (ص٣٤، ٣٥)، قلت: ولم أجده في الجزء المطبوع من كتاب ابن منده.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ١٥) [٢٦٧٩]. انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٠٣).

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر في تفسيره. انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٠٥).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١١٤) [٣٢٦]، والطبري في تفسيره (٤/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٦) [٢٦٨٠]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٠٥).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠).

(٨) أخرج ذلك أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٥٠٩) [٩٨٥] عن قتادة نحوه، وابن أبي حاتم (٢/ ١٧) [٢٦٨٥].

- عن ابن مسعود رضي الله عنه في المراد بقوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف: ١٧٥] رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن باعوراء[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما هو أمية بن أبي الصلت الثقفي، وفي لفظ: نزلت في صاحبكم أمية بن أبي الصلت[٢].

وعن ابن عباس: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بَلْعم[٣].

وفي رواية: بلعم بن باعوراء[٤].

وفي رواية ثالثة: هو صيفي بن الراهب[٥].

وهو قول ابن المسيب، والزهري[٦].

- جاء في تعيين المقصود بقوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾ [يس: ١٣] ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ [يس: ٢٠]، عن ابن عباس: هو حبيب النجار[٧]، وهو قول مجاهد[٨].

وقال كعب الأحبار: اسمه حبيب، وكان - والله - صاحب «يس» اسمه حبيب[٩].

---

(١) تقدم تخريج الأثر.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٧) [٩٥٨]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٦٠) [١١١٣٠]، والطبري في تفسيره (١٠/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٢، ٢٣٣) [٩٣٠٩]، والطبراني كما في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٧/ ٦٧)، وعند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩/ ٢٦٥، ٢٦٦)، وابن مردويه انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٥)، فقد ساق إسناد ابن مردويه، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (٦/ ٦٧٥)، ووثق البوصيري رواة النسائي بعد أن ساقه معزواً إلى مسدد. انظر: إتحاف الخيرة (٦/ ٢١١) [٥٧٠٩].

(٣) أخرجه الطبر ي (١٠/ ٥٦٨) من طريق علي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٢٣٣) [٩٣١٢].

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٦٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٢٣٣) [٩٣١١].

(٦) أخرج ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩/ ٢٦٥).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٩، ٤٢٠)، وتاريخه (٢/ ٢١)، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٣٧).

(٨) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٣٧).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٢٠)، وفي تاريخه (٢/ ١٨).

وعن أبي مجلز[١]: كان اسم صاحب «يس» حبيب بن بري[٢]، وقيل: مُرى، وقيل: سُرى.

وقال قتادة: واسمه حبيب[٣].

- عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢] قال: أنا من أولئك القليل، مكسملينا، ويحليخا وهو المبعوث بالوَرِق إلى المدينة، ومرطولس...، والكلب اسمه قطمير، دون الكردي وفوق القبطي، لا أظن فوق القبطي[٤].

- عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠] قال: آصف كاتب سليمان[٥].

وعن مجاهد: كان اسمه أسطوم[٦].

وقال قتادة: كان اسمه بلخيا[٧].

وقال الحسن: آصف بن برخيا بن مشمعيا[٨].

---

(١) لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، أبو مجلز، مشهور بكنيته، روى عن أُسامة بن زيد وأنس بن مالك وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وثقه العجلي وابن حبان وأبو زرعة، قال في التقريب: ثقة من كبار الثالثة، وروى له الجماعة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل غير ذلك.
الطبقات الكبرى (٩/ ٢١٥) [٣٩٢٣]، تهذيب الكمال للمزي (٣١/ ١٧٦) [٦٧٧٢]، تقريب التهذيب (١٠٤٦) [٧٥٤٠].

(٢) أخرجه الثوري في تفسيره (ص٢٤٩) [٧٩٥: ٦: ٨]، والطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٩)، وفي تاريخه (٢/ ٢١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١١٤) [٢٤٧١]، والطبري (١٩/ ٤١٩، ٤٢١).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٦٨) [٦١٠٩]، قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن أبي روق وهو ضعيف (٧/ ١٠٤)، وصحَّح سند الطبراني السيوطيُّ في الدر المنثور (٩/ ٥١٣)، ورواه العقيلي في الضعفاء بسنده وفيه يحيى بن أبي روق (٤/ ١٥٣١) [٢٠٥٣]، وقال العقيلي: أما الكلام الأول: أنا من أولئك القليل، فصحيح عن ابن عباس، وأسماؤهم هذه فليست بمحفوظة عن ابن عباس.اهـ.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ١٢٩) [١٧١٣٤].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ١٣٠) [١٧١٣٩].

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٨، ٦٩)، وعزاه السيوطي إليه في الدر المنثور (١١/ ٣٧١).

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن عساكر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٣٧١).

وقيل غير ذلك(١).

- جاء عنهم في تعيين صاحب مدين الوارد ذكره في قصة موسى عليه السلام في سورة القصص.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان اسم خَتَن موسى يثربى(٢).

وفي رواية له: الذي استأجر موسى يثرى صاحب مدين(٣).

وعن الحسن: يقول ناس: إنه شعيب، وليس بشعيب ولكنه سيد الماء يومئذ(٤).

وجاء عند الطبري وغيرهم بلفظ: يقولون: شعيب صاحب موسى، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ(٥).

٢ - أسماء الأماكن والبلدان:

- في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال قتادة: هي أرض الشام(٦).

وقال الحسن، وزيد بن أسلم بمثل قوله(٧).

- قال تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

---

(١) انظر: الدر المنثور (١١/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر، وابن مردويه (١١/ ٤٥٤).

(٣) أخرج ذلك الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٢٣)، وفي تاريخه (١/ ٤٠٠) بلفظ: يثرى.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٠٣) [١٧٥٩٧]، وابن عساكر في تاريخه (٦١/ ٣٦)، وزاد السيوطي عزوه إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٤٥٣، ٤٥٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٢٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٢١) [٩٢٩]، والطبري (١٠/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٧٢، ١٧٣) [٨٩٣٣]، وابن عساكر (١٠/ ١٤٢)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٦/ ٥٢١، ٥٢٢).

(٧) أخرج قول الحسن عبد الرزاق (١/ ٢٢١) [٩٣٠]، والطبري (١٠/ ٤٠٤، ٤٠٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٧٢، ١٧٣) [٨٩٣٢]، وابن عساكر (١/ ١٤١، ١٤٢)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ، الدر المنثور (٦/ ٥٢١)، أما أثر زيد بن أسلم فأخرجه ابن عساكر (١/ ١٤٣).

عن ابن عباس قال: أُنبئنا أنها دمشق[(١)].

وهو قول عبد الله بن سلام[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين[(٣)].

وقال زيد بن أسلم: هي الاسكندرية[(٤)].

وعن قتادة: كنا نُحدث أن الربوة بيت المقدس[(٥)].

وقال وهب بن منبه، ورواية لابن عباس: هي مصر[(٦)].

وعن سعيد بن المسيب، والحسن: هي دمشق[(٧)].

وفي رواية عن سعيد بن المسيب: إلى ربوة من رُبا مصر، وليس الرُّبا إلا في مصر[(٨)].

ـ قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يس: ١٣].

عن ابن عباس: هي أنطاكية[(٩)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما عند ابن كثير في تفسيره (١٠/ ١٢٥)، وابن عساكر في تاريخه (١/ ٢٠٣، ٢٠٤)، وصحح السيوطي هذا الإسناد عن ابن عباس (١٠/ ٥٩١)، وعزاه السيوطي إلى وكيع، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وتمام الرازي في فضائل الربوة. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥٩١).

(٢) أخرج ابن عساكر في تاريخه (١/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٩، ٤٠) [١٩٧٢]، والطبري (١٧/ ٥٣، ٥٤)، وابن عساكر في تاريخه (١/ ٢١٢)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكنى. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥٩٣).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ٢١٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩) [١٩٦٨]، والطبري (١٧/ ٥٥)، وابن عساكر في تاريخه (١/ ٢١٢).

(٦) أثر وهب بن منبه أخرجه ابن عساكر (١/ ٢١٢)، قال ابن كثير: وهو بعيد جداً (١٠/ ١٢٥)، ورواية ابن عباس ساقها ابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ٣٧٥، ٣٧٦).

(٧) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٩) [١٩٦٩]، وابن أبي شيبة (١٧/ ٣٢٩) [٣٣١٣٠]، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٤، ٥٥)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١٠/ ١٢٥)، وابن عساكر في تاريخه (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، الدر المنثور (١٠/ ٥٩٢).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٥).

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي (١٢/ ٣٣٤).

وهو قول بريدة[١].

وقال عكرمة: أنطاكية[٢].

وعن قتادة: بلغني أن عيسى ابن مريم بعث إلى أهل القرية ـ وهي أنطاكية ـ رجلين من الحواريين[٣].

٣ ـ أسماء الحيوانات، والطيور، والنباتات:

ـ جاء عنهم في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

عن ابن عباس قال: الغُرْنوق[٤]، والطاووس، والديك، والحمامة[٥].

وعن مجاهد قال: الأربعة من الطير: الديك، والطاووس، والغراب، والحمام[٦].

وتقدم ذكر ابن عباس أصحاب الكهف وتعيين اسم كلبهم وأن اسمه قطمير[٧].

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن أهل الكتاب الأول يذكرون أنه أخذ طاووساً، وديكاً، وغراباً، وحماماً[٨].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤١٣)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، الدر المنثور (١٢/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١١٤) [٢٤٦٩]، والطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٣)، وفي تاريخه (٢/ ١٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٣٥).

(٤) قال في لسان العرب: الغُرنَوق: بضم الغين وفتح النون، طائر أبيض، وقيل: هو طائر أسود من طير الماء، طويل العنق. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٢٤٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٢٧) [٢٧٤٩].

(٦) أخرجه الطبري بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (٤/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٦) [٢٧٤٧]، وابن عساكر في تاريخه (٦/ ٢٣٠)، وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٢٣).

(٧) تقدم تخريج الأثر.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٤).

وهناك روايات متعددة عن ابن عباس وطائفة من التابعين في تعيين هذه الطيور(١).

ـ جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

عن ابن مسعود، وابن عباس، ومرة الهمداني، والسدي، وناس من الصحابة، وسعيد بن جبير: الشجرة التي نُهي عنها آدم الكرْم(٢).

وفي رواية لابن عباس: الشجرة التي نهى الله عنها آدم السنبلة.

وفي لفظ: البُر(٣)، وهو قول الحسن، وعطية العوفي، ورواية عن قتادة، وقول وهب بن منبه(٤).

وعن بعض الصحابة، وهو قول مجاهد، وقتادة أنها: التين أو تينة(٥).

٤ ـ أسماء الأقوام والأجناس:

ما جاء في تعيين المراد بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجمعة: ٣](٦).

والوارد عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب ﵄ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وجاء عند قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٠](٧).

في آثار مرفوعة أنهم الجن(٨).

وعن مجاهد قال: هم قريظة(٩).

---

(١) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/ ٢٥٣، ٢٥٤)، النكت والعيون (١/ ٣٣٤)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣١٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٣) [٣٧٧].

(٣) أخرجه الطبري بطرق متعددة عن ابن عباس (١/ ٥٥٢، ٥٥٣)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٣) [٣٧٨]، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٨٢، ١٥٨٣) [١٠٤٧]، وابن عساكر في تاريخه (٧/ ٤٠٣).

(٤) أخرج ذلك الطبري (١/ ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٣) [٣٧٨] و[٣٧٩].

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٤) [٣٨٠].

(٦) تقدم طرف هذه الآية، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢٨ ـ ٦٣١)، والدر المنثور (١٤/ ٤٥٥ ـ ٤٥٧).

(٧) تقدم ذكر ذلك.

(٨) انظر: الدر المنثور (٧/ ١٨٥، ١٨٦).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ٣٣٢) [٩٩٥٥]، وابن الجوزي =

وعن السدي: هؤلاء أهل فارس[١].

- ومثل ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦][٢].

❁ المسألة الثالثة ❁

تقسيم المبهمات إلى قسمين

القسم الأول: مبهم العين أو الاسم.

القسم الثاني: مبهم الوصف معلوم التسمية.

أما القسم الأول فعلى رحاه تدور أُصول هذا العلم، وفاضت كتب التفاسير والمؤلفات المختصة بالمبهمين من ذكر أفراده وأمثلته.

أما القسم الثاني فالمراد به:

ما كان معلوم التسمية في القرآن لكنه مبهم صفةً وعيناً، فتأتي آثارهم تجلي هذا الإبهام وتُبيْن عن صفاته وخلاله.

فهو مبهم باعتبار حاله ووصفه، متبين باعتبار اسمه أو لقبه.

والأصل في هذا النوع ما رواه المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «**إنهم كانوا يتسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**»[٣].

وعن ابن عباس أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن (سبأ) ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال ﷺ: «**بل هو رجل وَلَدَ عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة**»[٤].

= في نواسخ القرآن (ص٣٤٨). وزاد السيوطي نسبته إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، الدر المنثور (٧/ ١٨٦).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٣٣٢) [٩٩٥٧].

(٢) انظر: الدر المنثور (١٣/ ٤٧٧، ٤٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم (٢/ ١٠٣٥) [٢١٣٥].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٧٥) [٢٨٩٨]، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٠) [١٢٩٩٢]، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ٤٥٣) [٣٣٧٨] وجعل شاهده حديث فروة بن =

ومن الوارد عن الصحابة والتابعين ما يلي:

ما جاء في وصف لقمان الحكيم:

ـ عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما سأله عبد الله بن الزبير: ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟ فقال جابر: كان قصيراً أفطس من النوبة[(١)].

وعن ابن عباس: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً[(٢)].

وعن سعيد بن المسيب: كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر.

وفي رواية: كان أسود نوبياً ذا مشافر[(٣)].

وعنه كذلك أن لقمان عليه السلام كان خياطاً[(٤)].

وعن مجاهد قال: كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً، غليظ الشفتين مصفح القدمين، قاضياً على بني إسرائيل[(٥)].

= مسيك [٣٦٣٩]، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠١) [٣٦٣٨] من حديث ابن عباس وصححه، وابن عبد البر في القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم مختصراً (ص٢٠) من حديث ابن عباس وحديث فروة بن مسيك، وابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس (٥/ ٢٥١)، ورواه من حديث فروة بن مسيك القطيعي أبو داود (ص٥٦٤) [٣٩٨٨]، والترمذي (٧٣٢) [٣٢٢٢]، وصحح الألباني حديث فروة بن مسيك في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٣١٣) [٣٢٢٢]، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني من حديث فروة بن مسيك (٣/ ٣٢٢) [١٧٠٠]، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٥، ٢٤٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ٤٥٤) [٣٣٧٩]، وأبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان (١/ ٢٠٢) من حديث فروة بن مسيك، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٣٣٦، ٣٣٧)، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة من حديث ابن عباس بأسانيد أبي يعلى، والإمام أحمد، وأحمد بن منيع، وقال: ومدار هذه الأسانيد على ابن لهيعة وهو ضعيف، (١/ ٢٦٣) [٤٠٣/ ٢، ٣، ٤].

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١١/ ٦٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٤٧)، والثوري في تفسيره كما عند الحافظ ابن حجر في الفتح في كتاب المناقب (٦/ ٥٣٧)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في المملوكين (١١/ ٦٢٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٧، ٥٤٨)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١١/ ٥٠)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، الدر المنثور (١١/ ٦٢٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص٦٤)، وعزاه السيوطي كذلك إلى ابن المنذر، وابن أبي شيبة (١١/ ٦٢٦).

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص٦٤)، وابن أبي شيبة (١٩/ ٤٣) [٣٥٤٣٢]، والطبري في تفسيره (١٨/ ٥٤٧).

- من الوارد عند قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الدخان: ٣٧] ما قالت عائشة رضي الله عنها: كان تُبَّع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله ذم قومه ولم يذمه(١).

وعن ابن عباس قال: سألت كعباً عن تُبَّع فإني أسمع الله يذكر في القرآن قوم تُبَّع ولا يذكر تُبَّعاً؟ فقال: إن تُبَّعاً كان رجلاً من اليمن ملكاً منصوراً.

وبلفظ: إن تبعاً كان ملكاً، وكان قومه كُهَّاناً، وكان في قومه من أهل الكتاب(٢).

وعن قتادة قال: ذكر لنا أن تُبَّعاً كان رجلاً من حمير، سار بالجيوش حتى حيَّر الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها(٣).

المسألة الرابعة

الصحابة فمن بعدهم قد يتفقون في تعيين مبهم وقد يختلفون، وتجري بينهم مراجعة في أحد المبهمين

مثال اتفاقهم:

١ - ما ورد في تعيين صاحب «يس»، وأن اسمه حبيب النجار، فرواياتهم متفقة على أن اسمه حبيب، ويختلفون في ما وراء ذلك اختلافاً يسيراً(٤).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٧١) [٢٨١٩]، والطبري في تفسيره (٢١/ ٥٠)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٤٣) [٣٧٣٣] وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن عساكر في تاريخه (١١/ ٦)، وبنحوه عند ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٤٩٣، ٤٩٤) [٦٦١، ٦٦٣].

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١١/ ٨، ٩)، وزاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٣) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة (٢١/ ٤٩، ٥٠)، وهناك آثار عن إسلامه، وعن محاولته قبل إسلامه هدم الكعبة، ثم كسوته البيت وطرف من أخباره. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٢٧٨ - ٢٨٤).

(٤) تقدم شيء من آثارهم في تعيين صاحب يس، ومثله تعيين القرية في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ فقد نقل الماوردي أنه قول جميع المفسرين. انظر: النكت والعيون (٥/ ١٠).

٢ ـ ما جاء في تعيين الطائفتين في قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وتطابقت أقوالهم على أن المراد بنو سلِمة وبنو حارثة[(١)].

٣ ـ بيانهم اسم ملكة سبأ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: ٢٣] فتكاد نصوصهم تتفق على أن اسمها بلقيس[(٢)].

ومثال اختلافهم في تبيين المبهمين ما يلي:

١ ـ اختلافهم في المقصود بقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

فاختلفت روايات الصحابة في تعيين مبهم الآية[(٣)].

٢ ـ خبر سليمان بن يسار لما دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أُبي، قال: كذبت، هو عليٌّ، قال: أمير المؤمنين أعلم بما تقول، فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ فقال له: ابن أُبيّ، قال: كذبت، هو عليٌّ، قال: أنا أكذب لا أبا لك؟ والله لو نادى منادٍ من السماء أن الله أحلَّ الكذب ما كذبت، حدثني عروة، وسعيد، وعبيد الله، وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أُبي[(٤)].

٣ ـ عن ابن سيرين قال: نبئت أن كعباً قال: إن قوله: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: كذبت، فقال: يا أُم المؤمنين إن كان

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٢ ـ ١٥)، الدر المنثور (٣/ ٧٤٨، ٧٤٩).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ١١١، ١١٢)، وتفسير ابن كثير (١٠/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، والدر المنثور (١١/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(٣) مضى شيء من آثارهم، وانظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٦ ـ ٥٧٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٢، ٢٣٣)، المحرر الوجيز (٤/ ٨٧، ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣١٩ ـ ٣٢١).

(٤) أخرجه يعقوب بن أبي شيبة كما في فتح الباري (٧/ ٥٠٢)، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور وساقه بسنده (١٠/ ٦٩٦)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٥/ ٣٧٠، ٣٧١)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٩).

النبي ﷺ قال: فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة، فسكتْ[(١)].

٤ ـ عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمٰن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٧] فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري[(٢)].

وفي رواية: كذب مروان، كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أُنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صُلبه، فمروان فَضَضٌ من لعنة الله[(٣)].

٥ ـ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البِكَالي[(٤)] يزعم أن موسى نبي الله ليس بموسى الخضر، قال: كذب عدو الله[(٥)].

۞ المسألة الخامسة ۞

مصادرهم في تعيين المبهمات

أ ـ العلم بأسباب النزول:

ومعرفة أسباب النزول باب كبير من أبواب بيان المبهمات والأمثلة على ذلك لا تحصر.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٢٣، ٥٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم (١٠/ ٦٥، ٦٦)، وذكره ابن كثير في تفسيره معزواً إلى الطبري وقال: وفي هذا التاريخ نظر (٩/ ٢٤١).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ (ص٨٥٤) [٤٨٢٧].

(٣) تقدم تخريجه في علم: **أسباب النزول**.

(٤) هو نوف بن فَضَالة الحميري البِكَالي، من أهل دمشق، وقيل: من أهل فلسطين، وهو ابن امرأة كعب الأحبار، روى عن جماعة من الصحابة؛ كعلي، وعبد الله بن عمرو، وثوبان، وأبي أيوب الأنصاري، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان راويةً للقصص. انظر: تهذيب الكمال للمزي ٣٠/ ٦٥،٦٦ (٦٤٩٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٤٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ (ص٨٢١) [٤٧٢٧] وبنحوه في [٤٧٢٥] و[٤٧٢٦].

ب ـ أهل الكتاب:

وسؤال أهل الكتاب عن من أُبهم في القرآن فيما كان في القصص والأخبار السابقة وسير الماضين من الأمم والأقوام.

ومن الأمثلة المصرحة برجوعهم إلى علماء الكتاب ليستعلموا عن المبهمين في القرآن ما يلي:

١ ـ قول ابن إسحاق في تعيين ما أُبهم في آية: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

عن بعض أهل العلم أن أهل الكتاب الأول يذكرون أنه أخذ طاووساً، وديكاً، وغراباً، وحماماً(١).

٢ ـ وردت روايات متعددة في تعيين المبهمين عن بعض علماء أهل الكتاب السابقين من أمثال: كعب الأحبار، ووهب بن منبه وغيرهما، وهذا دليل على أنهم أحد مصادر بيان مبهمات القرآن.

ج ـ الاستدلال بعلم التاريخ ومعرفة أزمان القصص والأخبار على تعيين المبهمين. ومثال ذلك:

أثر ابن سيرين قال: نبئت أن كعباً قال: إن قوله: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: كذبت، فقال: يا أُمَّ المؤمنين إن كان النبي ﷺ قال فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة، فسكتتْ(٢).

د ـ الاستدلال بالسياق، ومثاله:

قال مجاهد في قوله: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]: هي مكة ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [النحل: ١١٣] قال: أخذهم الله بالجوع والخوف والقتل الشديد(٣).

ومثله عن عطية العوفي(٤).

---

(١) تقدم تخريج الأثر. (٢) تقدم تخريج الأثر.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٨٣)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، الدر المنثور (٩/ ١٢٧).

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، الدر المنثور (٩/ ١٢٧).

هـ ـ الرجوع إلى صاحب القصة ومن نزلت فيه الآية القرآنية لتعيين المبهم.

وهذا ما احتج به الزهري لما حاوره الخليفة هشام بن عبد الملك فيمن نزلت فيه: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] قال: حدثني عروة، وسعيد، وعُبيد الله، وعلقمة، عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أُبي.

[التأصيل]

١ ـ علم مبهمات القرآن من العلوم التي تبوأت منزلة في علوم السلف من الصحابة والتابعين، بل كان له أصل في حديث النبي ﷺ.

ومن وجوه أهمية العلم عندهم واهتمامهم به ما يلي:

أ ـ سؤالهم النبي ﷺ عن بعض من أُبهم في القرآن وبيان المصطفى عليه الصلاة والسلام ذلك، وما كانوا ليسألوا إلا عن أمر يهمهم العلم به ومعرفته.

ب ـ جرت مساءلاتٌ بين الصحابة والتابعين عن المبهمين في القرآن، وهذا دالٌّ على فضل هذا العلم ومكانته عندهم.

ج ـ تكلم عدد من الخلفاء الراشدين في جوانب من هذا العلم مما يزيده علواً ويكسبه مزيد شأن.

د ـ أُثر عن الصحابة والتابعين التكلم في أنواع المبهمات كلها، فلم يكتفوا بنوع دون آخر، فبينوا مبهم الأعلام، والأماكن، والأقوام، والطيور، وغيرها مما يُعزز حظ هذا العلم عندهم.

هـ ـ برز في آثار عن ابن مسعود، وابن عباس، ـ وهما من أعلى الصحابة كعباً في علم القرآن ـ اهتمامهم بالمبهمات، فهذا ابن مسعود لم تنزل آية إلا وهو يعلم فيمن أُنزلت، وهذا نصٌّ في علم المبهمات، وقد يتناول أسباب النزول كذلك فهما علمان متلازمان حتى إن علم الأسباب من أكبر أبواب معرفة المبهمين.

وابن عباس كذلك طلب معرفة الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله سنين عديدة، وما كان ليتطلب اسم هذا الرجل إلا وهو يطلب علماً

فاضلاً، وكذا مكث وقتاً يتحين الفرصة؛ ليسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين قال فيهما الله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، فهذه مرويات تعلي من علم المبهمات، وتؤكد فضله وعلو مقامه.

٢ ـ علم المبهمات سبيله النقل المحض ولا مكان للاجتهاد فيه، ولذلك كانت آثار الصحابة الذين شهدوا التنزيل ومن بعدهم من التابعين الذين أخذوا عنهم هي مستند هذا العلم القرآني، وإن كان إبهام الأعلام في القرآن لا يخلو من حالتين:

الأولى: أن تكون الآيات القرآنية عن أعلام غابرين، وفئام من الأمم السابقين، كما هو في قصص الأنبياء والمرسلين، وحوادث الأقوام الذين قص القرآن أخبارهم، وتلا شيئاً من أنبائهم.

وما كان هذا حاله فمصدر تَعَرُّف المبهمين في آياته هو النقل لكن عن أهل الكتاب، سيما أن القرآن أبهمه ولم يأت نصٌّ نبوي في تبيينه فلم يبق إلا سؤال أهل الكتاب ممن عندهم أثارةٌ من علم الكتاب السابق، وجاء التصريح برجوعهم إليهم في بيان المبهمين في شيء من المرويات، وما لم يصرحوا فيه فشهرة ذلك أغنت عن التصريح وعزو الكلام إلى قائليه.

الثانية: أن تكون الآيات القرآنية عن حوادث واقعة في زمن نزول القرآن على النبي ﷺ، وما قصه الكتاب من سيرته وغزواته وأيامه.

فكذلك يستند بيان المبهمات في آياته إلى النقل، إما بحديث عن النبي ﷺ ـ إن وجد ـ وإما بآثار عن صحابته الذين شهدوا التنزيل وعاشوا الأحداث وقت النزول، فهم أخبر الناس بمن أُنزل فيهم القرآن، والتابعون لا شك معتمدون على ما تلقوه من الصحابة صرحوا بذلك أو لم يصرحوا.

٣ ـ تكلم الصحابة والتابعون في أنواع من المبهمات سواء كانت للأعلام، أم الأقوام، أم الأماكن والبقاع، أم غيرها، لتنتظم جميع أقسام المبهمات في القرآن، حتى إنهم تتبعوا من أبهمه القرآن وستره فلم يفصح عنه.

ومن الأمثلة على ذلك ما قال عنه المفسرون: ذلك عِلمٌ إذا عُلم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهلٌ لم يضره جهله به، اختلافهم في الشجرة التي

نهى الله آدم[١] عنها، فهي ـ مثلاً ـ لم يبين القرآن نوعها ويحدد عينها، إلا أن السلف خاضوا في بيانها وهم بهذا يقررون مشروعية السؤال والتنقيب عن مبهم القرآن مهما كان وصفه، وأن ستر القرآن له لا يدل بالضرورة على عدم السعي في معرفته وتحصيل العلم به، وبهذا تتساقط العبارات التي تجعل البحث عن المبهم وتبيينه عرياً من الفائدة.

فهل اشتغال الأوائل بتتبع المبهمين والإفصاح عنهم اشتغال بما لا فائدة منه ولا طائل تحته؟

نعم، قد يكون الاشتغال بتعيين المبهم لا يؤثر على معنى النص القرآني، ولا يتوقف عليه تفسير الآية، فمن هنا قيل بعدم الفائدة من تتبع المبهمات.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام مشهور في شأن تتبع مبهمات القرآن إذ يقول: «... فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها النقلُ، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ ـ كاسم صاحب موسى أنه الخضر ـ فهذا معلوم، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب ـ كالمنقول عن كعب، ووهب، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب ـ فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة». اهـ[٢].

لكن ورود الحديث عن المبهمين، وحشد الدواوين في بيان الإبهام مما لا يكاد يخلو من فائدة صغرت أو عظمت، وأنواع المبهمات ـ كما سيأتي ـ تتدرج فوائد العلم بها لتصل إلى ما لا تُخلف معرفة المبهم فائدة مؤثرة، لكنها متممةٌ جوانب الحديث عن الآية وتقصي كل ما ورد فيها، وتلك فائدةٌ وإن ضَعُفَ أثرها، وإلا كيف نفسر الروايات المتكاثرة عن أئمة التفسير من الصحابة والتابعين التي كشفت عن هؤلاء المبهمين وبينتهم؟.

---

(١) كما قاله الطبري (١/٥٥٧)، وقال أبو حيان: إذ لا يتعلق بعرفانها كبير أمر، البحر المحيط (١/٣١٠).

(٢) انظر: شرح مقدمة شيخ الإسلام في أصول التفسير، للشيخ محمد العثيمين (ص٦٤ ـ ٦٦).

٤ ـ جرى بين الصحابة والتابعين اختلاف ومراجعات في تعيين مبهمين في القرآن، كما حصل اتفاق في بيان آخرين، ومضى أمثلة ذلك.

واستدل بعضهم معضداً قوله في بيان المبهم إلى حديث النبي ﷺ.

وذلك في أثر ابن عباس لما زعم القاص نوف البِكَالي أن موسى صاحب الخضر ليس بموسى نبي الله، فكذَّبه ابن عباس في دعواه تلك مستنداً إلى حديث النبي ﷺ أنه موسى الرسول كليم الله، وساق القصة.

واستدل الزهري على أن (الذي تولى كبره) هو عبد الله بن أُبي بآثار رواها عن جماعة نقلوا عن عائشة صاحبة القصة أنه ابن أُبي.

فهذه قرائن يقوي بها صاحب القول قوله حين ينازعه المخالف فيه.

٥ ـ من طالع مرويات السلف في علم المبهمات خرج بتقسيمه إلى قسمين:

أ ـ **مبهم العين**، ويعني: من أُبهم اسمه وما يتعين به، وهذا القسم هو محل اهتمام أهل علوم القرآن وأصحاب المؤلفات الخاصة في هذا الفن، وعليه تدور آثارهم وتُبنى مصنفاتهم، وهو من الظهور بمكان.

ب ـ **مبهم الوصف**، ويعني: أن يعرف اسمه أو لقبه لكن لا ينص القرآن على أوصافه وخصاله، أو زمانه، أو ما يُجلي هذا العَلَم المذكور في الكتاب فتأتي نصوصهم توضح حاله، وتُبين عن جوانب من سيرته.

والذي يدعو لهذا التقسيم وهو بدعٌ ممن سبق، ولم أجده في مصنف لأنسج على منواله، يدعو له أن النصوص التي تتناول أعلاماً في القرآن صرحت بأسمائهم أو ألقابهم لا محل لها إلا علم المبهمات، فإن لم يكن هذا محله فأين يُصنَّف من علوم القرآن؟

ثم إن ورود العلم وذكره في القرآن لا يعني انتفاء الإبهام كاملاً عنه، فقد يُعرف باسمه وتُبهم أحواله الأخرى، فهو معلوم من وجه، مبهم من وجه آخر، فتجيء مروياتهم كاشفةً جانبه المبهم، موضحةً له بذكر شيء من صفاته، وصفحات من سيرته.

ولا يشترط أن ينتفي الإبهام عن الوارد اسمه في القرآن من كل وجه، بل إن هذا مختلفٌ، فبعض الأعلام أحظى من البعض الآخر، فتتباين أوجه البيان

لهؤلاء كلٌ بحسبه، وقد مرَّ أن الأصل هذا النوع من أنواع المبهمات ما جاء في حديث النبي ﷺ في بيانه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، وأبين منه ما جاء في بيانه لـ «سبأ» ما هو؟ وتعددت آثار السابقين في تجليتهم بعض أعلام القرآن، ومن أمثلته:

ما جاء عن: لقمان الحكيم، ذو القرنين، طالوت، الأسباط، عُزير، سبأ، وغيرها، وهذا التقسيم البديع مماثل لتقسم «المجهول» عند أهل الحديث، وإن كانت التسمية بالمبهم أدق من المجهول؛ لأن المبهم مآله إلى العلم به ومعرفته، بخلاف المجهول فقد يظل مجهولاً.

٦ ـ بدت هناك وسائل يتبين بها المبهم في القرآن، وهي تختلف فيما بينها، فبعضها آكد من بعض وأوفق، وكان من أبرزها سؤال أهل الكتاب، وتقدم توضيح مصادر هذه الأنواع من المبهمات.

وأسباب النزول باب كبير من أبواب معرفة المبهمات في القرآن، وهناك تلازم بين العِلْمَين، فالتعرض لأحدهما يفصح عن الآخر ويُبين عن وجهه.

ثم يتلو ذلك بعض الوسائل من أمثال السياق، والرجوع إلى صاحب القصة ومن نزلت بسببه الآيات لمعرفة من أبهم في تلك الحادثة، وكذلك معرفة التاريخ وأزمنة الحوادث وسيلة من تلك الوسائل يتوصل بها إلى ربط الوقائع التي يحكيها القرآن بأزمانها والدلالة على أهلها وأصحابها.

٧ ـ ظواهر الآثار في هذا العلم تنبئ عن أن تحصيله عند أولئك الصحابة والتابعين ومعرفته ليس جميعه على درجة واحدة من الأهمية، بل هو على مراتب مختلفة، ويمكن ترتيبه على النحو التالي:

المرتبة الأولى: إذا كانت واقعة الآية زمن نزول القرآن، والمبهم عايش تنزل الوحي وممن عناهم القرآن، أو دارت قصته في زمان النبي ﷺ من أهل السبق والفضل من الصحابة، فهذا في أعلى المراتب، ومعرفته والعلم به قد ينبئ عن فضل صاحبه ومكانته، كما جاء في خبر جابر أن قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] أنهما بنو سَلِمة وبنو حارثة قال: «وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾» وهذا الأثر في

صحيح مسلم تحت باب: من فضائل الأنصار[١].

المرتبة الثانية: من كان في عهد النبوة ونزل فيه القرآن لكنه مبهمٌ غير مفصح باسمه من المشركين والمنافقين وأضرابهم، فهذا بينه وبين الأول فرقٌ لا يدرك، لكن أهميته تكمن في الكشف عن أعيان هولاء الذين عاندوا ولم يذعنوا للحق، ودوافع مصادمتهم دعوة النبي ﷺ وخفايا أوصافهم، وبذلك يتم تمييزهم عن أهل الإيمان، وتعرف سماتهم حتى يُحذر منها وتُتقى.

المرتبة الثالثة: من كان في الزمان الغابر من أصحاب القصص الماضين من الأقوام والأمم الخالين، فتتكشف أنباؤهم وتذاع سيرهم، ويعرفون بالأسماء والأوصاف، وتخلد ذكراهم، فهو من الرصد التاريخي الدقيق لتلك الحقبة الزمنية بما ضمته من أعلام وأعيان.

وكل هذه الفوائد على تباينها واختلاف أثرها تنصب على مبهمات الأعلام والأشخاص، فهو أعلى أنواع المبهمات شأناً، يلي ذلك مبهم البلدان والبقاع فهو طريق إلى معرفة الأرض المباركة التي نوَّه الكتاب بفضلها، وتعرف بلاد الأنبياء والرسل والأخيار أين عاشوا؟ ومكان انبثاق دعوتهم، ومرتع ما قصه الكتاب من أحداث وقصص.

أما بقية أنواع المبهمات فيستفاد منها أنها تتمم جوانب الآية وتستوفي الكلام على ما اكتنزته من دقائق ومسائل، ولعل فيه ما يستملح ويلطف من القول.

٨ ـ لما اختلفت عائشة مع كعب الأحبار في قوله: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ استشهد كعب على أنه ليس هارون أخي موسى بالتاريخ، والتاريخ طريق من الطرق التي يمكن بها تجلية الإبهام أو شيء منه عن العَلَم المذكور في القرآن، واحتج على عائشة بالتاريخ ومعرفته بذلك، وتقدم في الآية حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ وهو قاطعٌ بأنه ليس هارون أخي موسى مطابقٌ لقول كعب الأحبار، ولهذا سكتت عائشة لما تبين لها أنه الصحيح.

٩ ـ أقوال الصحابة والتابعين في تعيين المبهمات على نوعين:

---

(١) صحيح مسلم (٢/١١٦٩) [٢٥٠٥].

أ ـ إما أن تتطابق روايات الصحابة والتابعين على اسم المبهم، فهذا لا إشكال فيه، وأمثلته ظاهرة، وشرح هذا أن التابعين قد نقلوا عن الصحابة أسماء المبهمين واعتمدوا ما سمعوه منهم؛ لأن ذلك لا طريق له إلا النقل عن الصحابة فهم ـ أي: التابعين ـ يذكرون أعلاماً لآيات لم يشهدوا نزولها.

ب ـ إما أن تختلف أقوال التابعين أو بعضها مع أقوال الصحابة.

وتوجيه حالة الاختلاف أن مصدر العلم بالمبهمات وهم الصحابة معاصرو التنزيل قد اختلفت أقوالهم في تحديد عين المبهم في الآية، وبالتالي اختلفت أقوال التابعين تبعاً لهم، أو أن مصدر تلقي اسم العلم من طريق أهل الكتاب مختلف فيه كذلك فتعددت مروياتهم لاختلاف المصدر.

علم المبهمات عند أهل علوم القرآن

١ ـ تسمية هذا العلم القرآني.

لم يكن هذا العلم من العلوم التي أُثر عن السلف تسميتها ومضى أن هناك علوماً نصّوا على تسميتها، ومصنفات علوم القرآن متطابقة على تسميته بـ«**المبهمات**»، وهي موافقة مضمون العلم، ولا يحتمل العلم تسميته بغير ما اشتهر به[١].

٢ ـ نصَّ أهل المصنفات على شرف هذا العلم وأنه محل اعتناء السلف الكرام، وأوردوا حديث عكرمة حين مكث أربعة عشر عاماً يتطلب اسم الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله[٢].

وبعضهم كالسهيلي اعتمد مع حديث عكرمة المتقدم على حديث ابن عباس في سؤاله عمر عن المرأتين في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] ليجعله أصلاً في علم المبهمات والاعتناء به[٣].

والحق أن في بعض نصوص النبي ﷺ ما يؤصل هذا العلم كما تقدم، فيكون هذا العلم قد شرف من جهات متعددة أولها:

حديث النبي ﷺ في تبيين بعض المبهمين، ثم نصوص الصحابة والتابعين بعدهم، وعليها مدار هذا العلم.

٣ ـ نصَّ السيوطي على أن هذا العلم مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه.

---

(١) البرهان للزركشي (١/ ٢٠١)، الزيادة والإحسان (٧/ ١٠٥).

(٢) الزركشي في البرهان (١/ ٢٠١)، وابن عقيلة في الزيادة (٧/ ١٠٥)، قال البلنسي في مبهمات القرآن: وفي قول عكرمة هذا دليلٌ على شرف هذا العلم قديماً، وأن الاعتناء به حسنٌ، وأن المعرفة به فضلٌ. اهـ. (٣٥٣).

(٣) التعريف والإعلام (ص٥١).

وهو كلام لا يختلف عليه، ويُزاد عليه بما مرَّ ذكره من تبيين مصادر النقل في هذا العلم، وهي متعددة المصادر، فمنها ما نقل عن الصحابة ونقلوه عن النبي ﷺ، ومنها ما هو منقول من أهل الكتاب وهو متجه إلى نوع خاص من المبهمات، تقدم بسطه.

ومع أن علم المبهمات لا يُستمد إلا من النقول فقد وُجِد الاختلاف ـ أحياناً ـ في تعيين المبهم، وههنا يتم النظر إليه كما يُنظر إلى غيره من العلوم التي مرجعها الأثر ويُختلف فيها، وتُعامل بالمرجحات التي تُقوي قولاً على غيره من النظر في الأسانيد وغيرها؛ لتقديم قول على آخر واعتماده عند معارضته بغيره.

٤ ـ قرر الزركشي في هذا العلم عدم البحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال: والعجب ممن تجرأ وقال: إنهم قريظة، وقيل: من الجن[1].

وهذا لم يُعجب السيوطي وأجاب بما ينفي هذه الجرأة المدعاة فقال: ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يُعلم، وإنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١] فإن المنفي علم أعيانهم[2].

قلت: وجواب السيوطي عما أورده الزركشي سديد، ولعل ما نظَّره الزركشي ليس له إلا مثالان هما: آية الأنفال، وآية براءة، والمقصود بكلام الزركشي ما نُص على أن العلم بمن أبهم الله في كتابه مطويٌّ عن المخاطبين.

٥ ـ ساق أهل علوم القرآن ومن ألَّف في المبهمات أسباباً لورود الإبهام في القرآن وهي أمور اجتهادية مستنبطة، وليس في نصوص السلف التصريح بشيء من ذلك.

---

(١) البرهان (١/ ٢٠٢).

(٢) الإتقان (٦/ ٢٠٢١)، ونقل كلام الزركشي ورد السيوطي ابن عقيلة في الإتقان (٧/ ١٠٦).

وقاموا بعد ذلك باستعراض الآيات القرآنية، وتبيين من فيها من المبهمين بآثار منصوصة عن الصحابة والتابعين مرتبة على سور القرآن[(١)].

(١) البرهان للزركشي (١/ ٢٠١، ٢٠٥)، الإتقان للسيوطي (٦/ ٢٠١٨ ـ ٢٠٢١)، الزيادة والإحسان (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٧). وانظر: مفحمات الأقران للسيوطي، وصلة الجمع وعائد التذييل للبلنسي، والتعريف والإعلام للسهيلي، والتكميل والإتمام لابن عسكر.

الباب الثاني

علوم القرآن المتعلقة بالمعاني عند الصحابة والتابعين

وفيه ستة فصول:

- الفصل الأول: الوجوه والنظائر.
- الفصل الثاني: المقدم والمؤخر.
- الفصل الثالث: مشكل القرآن.
- الفصل الرابع: موهم الاختلاف والتعارض.
- الفصل الخامس: أمثال القرآن.
- الفصل السادس: الجدل في القرآن.

الفصل الأول

علم الوجوه والنظائر

وفيه مسألتان:

- **المسألة الأولى: أهمية هذا العلم.**
- **المسألة الثانية: الوارد عن الصحابة والتابعين في علم الوجوه والنظائر.**

[علم الوجوه والنظائر]

المسألة الأولى

أهمية هذا العلم

١ - عن أبي الدرداء ﷺ قال: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة[١].

قال حماد: فقلت لأيوب: أرأيت قوله: حتى ترى للقرآن وجوهاً؟ قال: فسكت هنيهة، قال: فقلت: أهو أن ترى له وجوهاً، فتهاب الإقدام عليه؟ فقال: نعم هذا هو، أو هو ذاك، هو ذاك[٢].

وفي معنى هذا الأثر كذلك هذه المرويات:

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٥) [٢٠٤٧٣]، وابن سعد في الطبقات (٢/٣٠٨)، وأحمد في الزهد (ص١٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/٥١٨) [٣٠٧٨٩]، وأبو داود في الزهد (ص٢١٢) [٢٤٢]، وابن بطة في إبطال الحيل (ص٧٤) [٢٣]، وأبو نعيم في الحلية (١/١٩٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٩٨) [١٩٧]، ورواه ابن عبد البر مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث شداد بن أوس وقال: وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، إنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء.

انظر: جامع بيان العلم (٢/٨١٣) [١٥١٥]، قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء: رواه ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس وقال: لا يصح مرفوعاً. (١/ ٢٦) [٨٧]، ثم رواه ابن عبد البر موقوفاً على أبي الدرداء (٢/ ٨١٣، ٨١٤)، [١٥٦٦، ١٥١٧]، والأثر: رجاله ثقات وهو صحيح إن صح سماع أبي قلابة من أبي الدرداء.

انظر: الإتقان (٣/٩٧٦)، وقد صدَّر مقاتل بن سليمان بهذا الحديث يرفعه إلى النبي ﷺ، كتابه الوجوه والنظائر، (ص١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في الزهد (ص٢١٢، ٢١٣) [٢٤٣]، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨١٤) [١٥١٨]، والبغوي في شرح السُّنَّة (١/ ٢٥٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٧٣)،

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن القرآن ذَلولٌ حمولٌ ذو وجوهٍ[(١)].

وروي عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «**القرآن ذَلولٌ ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه**»[(٢)].

وجاء هذا من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وجه ابن عباس لمناظرة الخوارج قال: ولا تحاجهم بالقرآن؛ فإنه ذو وجوه[(٣)].

المسألة الثانية

الوارد عن الصحابة والتابعين في علم الوجوه والنظائر

وهو على طرق ثلاث:

الأولى: على نهج أهل الوجوه والنظائر في عرضهم هذا العلم:

١ ـ قال ابن عباس: الحين حينان، حينٌ يُعرف، وحينٌ لا يُعرف، فأما الحين الذي لا يعرف فقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٨]، وأما الحين الذي يُعرف فقوله: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم: ٢٥][(٤)].

٢ ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] يقول: أي: أغضبونا، والأسف على وجهين: الغضب، الحزن[(٥)].

٣ ـ قال سعيد بن جبير: العفو على ثلاثة أنحاء:

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦٠) [٦٠٩].

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٥/ ٢٥٥) [٤٢٧٦]، والديلمي في الفردوس (٣/ ٢٢٨) [٤٦٧٢]. وقال الألباني: ضعيف جداً. انظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ١٢٧) [١٠٣٦]، وعزاه في كنز العمال إلى أبي نعيم (ص١٤٩) برقم [٢٤٦٩].

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ٣٣٩)، والخطيب البغدادي كما تقدم، وجعله من كلام ابن عباس مخاطباً علي بن أبي طالب حين خاصم نفراً من أهل الأهواء.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٤٩)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥١٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في موضعين من تفسيره (٤/ ١٩٠) [٩٠٣٢].

نحوٌ تجاوز عن الذنب، ونحوٌ في القصد في النفقة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ونحوٌ في الإحسان فيما بين الناس: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧](١).

٤ ـ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال: القنوت هو السكوت، والقنوت هو الطاعة(٢).

٥ ـ قال قتادة: الوحي وحيان: وحي تجيء به الملائكة، ووحي يُقذف في قلب العبد(٣).

٦ ـ روي عن عكرمة قوله: «إن من الحين حِيناً يُدرك، ومن الحين حِيناً لا يُدرك»(٤).

وروي عن بعضهم أن الأحيان ثلاثة:

قال تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم: ٢٥] كل ستة أشهر.

وقال تعالى: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] فذلك ثلاثة عشر عاماً.

وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٨] فذلك إلى يوم القيامة(٥).

الطريقة الثانية: في معرفة أفراد الوجوه والنظائر عندهم التنقيب عن ذلك في رواياتهم التفسيرية:

١ ـ لفظ «أمة» ووجوه معانيها ما يلي:

أ ـ دين، ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ابن عباس: دينكم دينٌ واحدٌ(٦)، وروي مثله عن مجاهد، وقتادة(٧)

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٢/٥٤٨، ٥٤٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/٣٣١) [٣٥٧٤٠]، والطبري (٤/٣٨٣، ٣٨٤).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٥/٥٩٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/٦٤٦، ٦٤٧)، وابن حزم في المحلى (٨/٥٨)، والبيهقي في سننه (١٠/١٠٤) [٢٠٥٩٢].

(٥) ساقه ابن حزم بسنده في المحلى عن محمد بن علي بن الحسين (٨/٥٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/٣٩٢)، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم، الدر المنثور (١٠/٣٧٠).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/٣٩٣)، والدر المنثور (١٠/٣٧٠).

ومثله عن مجاهد في آية «المؤمنون»[(١)].

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

عن ابن عباس، وقتادة: على دين[(٢)].

وفي أخرى عن ابن عباس: على ملة غير الملة التي تدعونا إليها[(٣)].

وعن مجاهد قوله: على مِلَّة[(٤)].

ب ـ **أجل**، أو سنين وحين. ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: ٨].

عن ابن عباس وقتادة: إلى أجل معدود[(٥)].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٤].

عن ابن عباس: بعد حين[(٦)].

ومثله عن مجاهد، وقتادة، والحسن، وعكرمة، والسدي[(٧)].

وعن ابن عباس في رواية: بعد سنين[(٨)].

ومثله عن سعيد بن جبير[(٩)]، وعن عكرمة: بعد حقبة من الدهر[(١٠)].

ج ـ **إماماً في الخير**: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠].

فسره ابن مسعود بالذي يُعلم الناس الخير[(١١)].

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر في تفسيره. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥٩٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٧٠)، وزاد السيوطي نسبة أثر قتادة إلى عبد بن حميد (١٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس (ص١٨٦) [٢٥٦].

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٣/ ١٩٧).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٦٤) [١١٨٦]، والطبري (١٢/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ٢٤٩) [١١٥٦١]، أما أثر قتادة فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٦٤) [١١٨٧].

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٨٢) [١٣١٥]، والطبري (١٣/ ١٨١، ١٨٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ٣٨٤) [١٢٥٠٦].

(٧) أخرج ذلك الطبري بأسانيده (١٣/ ١٨٣، ١٨٤).

(٨) أخرجه الطبري عن ابن جريج عن ابن عباس (١٣/ ١٨٣).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ٣٨٤) [١٢٥٠٨].

(١٠) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٤).

(١١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣١١) [١٥١٤]، والطبري (١٤/ ٣٩٣، ٣٩٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٩١) [١٣٥٣٨]، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٠، ٧١) [٩٩٤٣]، والحاكم (٣/ ١٠٤) [٣٤١٨]، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٥).

وعن ابن عباس: إماماً في الخير[١].

وقال قتادة: إمام هُدىً يُقتدى به وتتبع سُنَّته[٢].

د ـ ناسٌ، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢].

عن ابن عباس: ناسٌ أكثر من ناسٍ[٣].

وقال تعالى: ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

قال مجاهد: ناسٌ[٤].

٢ ـ لفظة: «الروح» وله معانٍ:

أ ـ جبريل عليه السلام.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

روي عن قتادة[٥]، والسدي، والضحاك، والربيع بن أنس[٦].

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣].

عن ابن عباس: هو جبريل[٧].

ومثله عن قتادة[٨]، ومحمد بن كعب القرظي[٩]، والحسن[١٠].

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧].

فسره قتادة، وعطاء بن يسار بأنه: جبريل عليه السلام[١١].

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٩/ ١٣٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٩٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٩/ ١٣١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٨٥) [١٣٥٠٤] بدون إسناد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٧/ ١٩٨ (١٧٥٦٧)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٤٥٠).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٧٢) [٨٤]، والطبري (٢/ ٢٢٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (١/ ١٤٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٤٢).

(٨) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٦٤) [٢١٢٩]، والطبري (١٧/ ٦٤١، ٦٤٢]، وابن أبي حاتم (٦/ ٦٩).

(٩) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١١/ ٢٩٦).

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٦٩) [١٦٧٢٦].

(١١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (١٠/ ٤٩).

ب ـ **الوحي أو القرآن.**

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل: ٢].

عن ابن عباس: بالوحي(١).

وعن قتادة: بالوحي والرحمة(٢).

وعن الضحاك: القرآن(٣).

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥].

قال قتادة: الوحي والرحمة(٤).

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

عن ابن عباس قال: القرآن(٥).

ج ـ **مَلَك من الملائكة** ذكروا في أوصافه أنه من أعظم الملائكة خلقاً، أو المراد بنو آدم.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن عباس: مَلَك من أعظم الملائكة خلقاً، وفي بعض الألفاظ: مَلَك له عشرة آلاف جناح(٦).

وقريب منه ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه مَلَك من الملائكة له سبعون ألف وجه(٧).

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم كما نسبه إليه السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٧) [٢٦٦٤]، والطبري (١٤/ ١٦٣، ١٦٤)، ونسبه السيوطي لابن المنذر، وابن أبي حاتم (٩/ ٩).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٧٧) [٤١٨].

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٧) [٢٦٦٤]، والطبري (٢٠/ ٢٩٥)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٣/ ٢٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٠٤)، وابن المنذر انظر: الدر المنثور (١٣/ ١٨٢).

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٧١) [٤١١]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم (٩/ ٤٣٣).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٧١)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٨) [٤٠٨]، وابن الأنباري في الأضداد (ص٤٢٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢١٩) [٧٨١]، وقال ابن كثير: وهذا أثر غريب عجيب (٩/ ٧٥).

وقيل: غير ذلك[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

عن ابن عباس: مَلَك من أعظم الملائكة خَلْقاً[٢].

وعن ابن مسعود قال: مَلَك في السماء السابعة، وهو أعظم من السماوات والجبال ومن الملائكة[٣].

وقريباً منه ورد عن وهب بن منبه[٤].

وقال مجاهد: خلق من خلق الله على صورة بني آدم[٥].

وبنحوه عن الشعبي[٦].

قال الحسن، وقتادة: بنو آدم[٧].

وفي رواية عن ابن عباس: أرواح الناس[٨].

٣ ـ لفظة: «الوحي» على وجوه:

أ ـ الوحي الذي كان ينزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ومعاشر الأنبياء.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [النساء: ١٦٣].

عن الربيع بن خثيم قال: أوحى الله إليه كما أوحى إلى جميع النبيين من قبله[٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٩/ ٧٣ ـ ٧٥)، والدر المنثور (٩/ ٤٣٢، ٤٣٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٧)، وأبو الشيخ (٣/ ٨٧١) [٤١١]، والبيهقي في الأسماء والصفات مختصراً (٢/ ٢١٩) [٧٨٠].

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٧).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٦، ٨٦٧) [٤٠٥]، والخطيب في المتفق والمفترق كما قال السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٢١٣).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٧) [٣٤٧١]، والطبري (٢٤/ ٤٨]، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٧١) [٤١٢].

(٦) أخرج ذلك الطبري (٢٤/ ٤٨).

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٧) [٣٤٦٩]، وابن أبي الدنيا في الأهوال (ص٢١٧) [٢٠٩]، والطبري (٢٤/ ٤٩).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٢٠) [٧٨٤].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ١٨٠، ١٨١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

قال ابن عباس: إلا أن يبعث مَلَكاً إليه من عنده، أو يُلهمه فيقذف في قلبه، أو يكلمه من وراء حجاب[(١)].

وقال السدي في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ جبريل يأتي بالوحي[(٢)].

ب ـ الوحي بمعنى الإلهام، والقذف في القلب.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى﴾ [المائدة: ١١١].

قال قتادة: وهي قذف في قلوبهم، ليس بوحي نبوة[(٣)].

وعن السدي: قَذَفْتُ في قلوبهم[(٤)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

قال ابن عباس: ألهمها[(٥)].

وعن الحسن: . . . ووحيه إليها قذفٌ في قلوبها[(٦)].

وعن مجاهد: ألهمها إلهاماً[(٧)].

وعن الضحاك: ألهمها إلهاماً، ولم يرسل إليها رسولاً[(٨)].

وفي قوله كذلك: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

عن ابن عباس: ألهمناها الذي صنعت بموسى[(٩)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٨٥، ٦٨٦).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (٥/ ٥٩٢).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٣٠٠، ٣٠١) [٧٠٤٥]، وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ (٥/ ٥٩٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما قال ذلك السيوطي (٩/ ٧٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما قال ذلك السيوطي (٩/ ٧٢).

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٨٦)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر (٩/ ٧٢).

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر (٩/ ٧٢).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ١٧٩) [١٧٤٣٧].

وعن قتادة: قُذف في نفسها[١].

وقال كذلك: وحيٌ جاءها من الله قُذِف في قلبها، وليس بوحي نبوة[٢].

ج ـ الوحي بمعنى الكتابة أو الإيماء والإشارة.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

قال ابن عباس: كتب لهم كتاباً[٣].

وعن مجاهد: كتب لهم في الأرض[٤].

وبنحوه عن السدي، وجماعة[٥].

وعن محمد بن كعب: أشار إليهم إشارة[٦].

وهي رواية عن مجاهد[٧].

وقال سعيد بن جبير: أومأ إليهم[٨].

د ـ الوحي بمعنى الأمر:

قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥].

قال مجاهد: أمر فألقت ما فيها[٩].

٤ ـ لفظة: «الصلاة» على أربعة وجوهٍ:

أ ـ الصلاة الشرعية وأمثلتها كثيرة.

ب ـ بمعنى المغفرة أو الرحمة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧٣) [٢١٩١]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر كذلك (١١/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ١٧٩) [١٧٤٣٨]، ونسب إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١١/ ٤٢٨).

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر المنثور (١٠/ ١٩).

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر كما في الدر المنثور (١٠/ ٢٠).

(٥) انظر: الدر المنثور (١٠/ ٢٠).

(٦) نسبه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٢٠).

(٧) كما عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٠/ ٢٠).

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٢٠).

(٩) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٦٠، ٥٦١).

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥٧].

قال سعيد بن جبير: ﴿صَلَوَٰتٞ﴾؛ يعني: مغفرة من ربهم[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال ابن عباس: إن صلوات الله على النبي هي مغفرته، إن الله لا يُصلي ولكن يغفر[٢].

ج ـ الاستغفار.

قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال ابن عباس: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾: استغفر لهم من ذنوبهم التي أصابوها[٣].

وعن السدي قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ ادع لهم، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ استغفارك يُسكِّن قلوبهم ويُطمئن[٤].

وفي قوله: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [التوبة: ٩٩].

قال ابن عباس: يعني: استغفار النبي ﷺ[٥].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

عن عكرمة: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار[٦].

وعن سعيد بن جبير: الله يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته[٧].

د ـ الصلوات (موضع الصلاة) على خلاف في ذلك أهي: كنائس النصارى، أو كنائس اليهود أو غير ذلك؟

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٧) [١٤٢٣].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٢٤) [١٠٧٧٦]، ونسبه السيوطي إلى أبي الشيخ (٧/ ٧١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٢٤) [١٠٧٧٧]، ونسبه السيوطي كذلك إلى أبي الشيخ (٧/ ٥١٧).

(٤) نسبه السيوطي إلى ابن مردويه (١٢/ ١١٧).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١١٦) [١٠٧٣٠]، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه (٧/ ٤٩٣).

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٢/ ٧٢).

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (١٢/ ٧٢).

قال تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ [الحج: ٤٠].

عن ابن عباس: ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس النصارى[(١)].

وفي رواية عنه وقاله الضحاك، وقتادة: ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس اليهود[(٢)]، وقيل غير ذلك[(٣)].

٥ ـ لفظة: «الفتنة»، وهي على تأويلات:

أ ـ الشرك.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

عن ابن عباس ﷺ قال: يقول: شركٌ بالله[(٤)].

وعن مجاهد، وقتادة كذلك مثله[(٥)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

قال ابن عمر: الشرك[(٦)].

قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

قال أبو العالية: يقول الشرك أشد[(٧)].

ب ـ الابتلاء والاختبار.

عن قتادة: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]: لا يُبتلون.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٥١٥، ٥١٦).

(٢) أخرج أثر قتادة عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤) [١٩٣٨]، والطبري (١٦/ ٥٨٤)، وأخرج الطبري أثر ابن عباس (١٦/ ٥٨٣)، وأثر الضحاك عند الطبري (١٦/ ٥٨٤). انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥١٦).

(٣) انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥١٥ ـ ٥١٧).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٩٢) [١٧٦٢]، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٣) (٩٠٩).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٣٤١)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٥٢٠) [٧٩]، وزاد السيوطي نسبة أثر مجاهد إلى عبد بن حميد، وأثر قتادة إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ (٢/ ٣١٥).

(٦) أخرجه ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٢/ ٥٤٣، ٥٤٤).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٩١) [١٧٥٤].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣]: ابتلينا الذين من قبلهم[١].

وعن مجاهد: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ قال: لا يُبتلون في أموالهم وأنفسهم ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ قال: ابتلينا[٢].

وقال تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

عن ابن عباس: ابتليناك ببلاء نعمة[٣].

وعنه كذلك: اختبرناك اختباراً[٤].

ج - بمعنى العذاب والأذى.

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

عن مجاهد: أناس يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاءٌ من الناس أو مصيبة في أنفسهم أو أموالهم افتتنوا فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة[٥].

وعن الضحاك: . . . فإذا أوذوا وأصابهم بلاءٌ من المشركين رجعوا إلى الكفر والشرك مخافة من يؤذيهم، وجعلوا أذى الناس كعذاب الله[٦].

وقال عطاء الخراساني: إذا أصابه بلاءٌ في الله عدل عذاب الناس بعذاب الله[٧].

د - بمعنى يُعذبون ويُحرقون بالنار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٣، ١٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٥٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٦٥) [١٧٩٩٤]، ونسب إلى عبد بن حميد كذلك (١١/ ٥٢٩)، (٧/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٥٦، ٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٦٤) [١٧٩٨٦]، ونسب إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، الدر المنثور (١١/ ٥٢٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٤)، وابن أبي حاتم كما عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١٨٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٣)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ١٨٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٧٠) [١٨٠٢٥]، ونسبه السيوطي إلى الفريابي وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر (١١/ ٥٣٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦٥).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٦٩) [١٨٠٢٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يُعذبون[١].

وقال مجاهد: يُعذبون عليها ويُحرقون، كما يفتن الذهب في النار[٢].

وعن قتادة: يوم يُعذبون فيقول: ذوقوا عذابكم[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠].

قال مجاهد: عذّبوا[٤].

وقال قتادة: حرَّقوا[٥].

هـ ـ بمعنى الإضلال.

قال تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصافات: ١٦٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: لا تضلون أنتم، ولا أُضِل منكم إلا من قضيت عليه أنه صال الجحيم[٦].

وقال مجاهد، والحسن: بمُضلين[٧].

وقال عكرمة: لا يفتنون إلا من يصْلى الجحيم، ولا يَفتنون المؤمن ولا يُسلطون عليه[٨].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضلالته[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩٥)، وابن أبي حاتم، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٣/ ٦٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩٦، ٤٩٧)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٣/ ٦٦٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٦) [٢٩٧٤]، والطبري (٢١/ ٤٩٩).

(٤) أخرجه الفريابي كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٦٤)، والطبري (٢٤/ ٢٨٠)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٥/ ٣٣٥).

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٥/ ٣٣٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٤٧)، واللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٥٥٦) [١٠٠٤]، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٢/ ٤٨٥).

(٧) أخرج الطبري أثر الحسن (١٩/ ٦٤٨)، وعزا السيوطي أثره وأثر مجاهد إلى عبد بن حميد (١٢/ ٤٨٦).

(٨) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد (١٢/ ٤٨٦).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) [٦٤٠٣]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٩٧) [٣٢٣]، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٥/ ٣٠٧).

و ـ المفتون بمعنى: المجنون.

قال تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ [القلم: ٦].

فسر ابن عباس[(١)]، ومجاهد[(٢)]، وسعيد بن جبير[(٣)]، والحسن[(٤)]، وطائفة الآية بمعنى: بأييكم المجنون.

ز ـ الفتنة نفسها.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: ٥].

عن ابن عباس ﷺ: لا تُعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا[(٥)].

وقال كذلك: ولا تسلطهم علينا فيفتنونا[(٦)].

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيُفتنوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروا أنهم أولى بالحق منا[(٧)].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

قال أبو قلابة: سأل ربه ألا يظهر علينا عدونا، فيحسبون أنهم أولى بالعدل، فيُفتنون بذلك[(٨)].

وعن أبي مجلز: لا تُظهرهم علينا، فيروا أنهم خير منا[(٩)].

وبهذا المعنى أُثر عن مجاهد وطوائف من السلف[(١٠)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٤).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٢٥، ٦٢٦).

(٣) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٤/ ٦٢٥).

(٤) أخرجه عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٢٦).

(٥) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ٣/ ٣٠١ (٣٨٥٥)، ونسب إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٤١٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٤/ ٤١٠).

(٧) أخرجه عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٤٠٩).

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٩٣).

(٩) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥١)، وابن أبي حاتم (٥/ ٢٢٠) [١١٣٦١]، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٩٣).

(١٠) انظر: جامع البيان (١٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٣)، الدر المنثور (٧/ ٦٩٣).

الطريقة الثالثة: استخلاص الوجوه من بين إطلاقاتهم الكليات الأغلبية.

وهذه الطريقة لها أمثلة متنوعة:

أ ـ قال ابن عباس: كل «ريب» شك، إلا مكاناً واحداً في الطور: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]؛ يعني: حوادث الدهر(١).

ب ـ وعن ابن عباس: كل «بخس» في كتاب الله نقصان، إلا هذا، ويعني: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فإنه حرام(٢).

ج ـ وقال كذلك: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨](٣).

[التأصيل]

١ ـ صدَّر المعتنون بعلم الوجوه والنظائر(٤) ومصنفو علوم القرآن هذا العلم بحديث أبي الدرداء المروي موقوفاً ومرفوعاً؛ للدلالة على أثرية علم الوجوه والنظائر، ومدِّ جذوره إلى الصدر الأول.

والحق أن هذا الأثر الذي صحَّ موقوفاً على أبي الدرداء محل نظر وموطن مدارسة؛ حتى يعرف مدى دلالته الواضحة وصلته المباشرة بعلم الوجوه.

وهذا طرفٌ من مواقف أهل العلم من هذا الأثر:

---

(١) أخرجه ابن الأنباري من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في إيضاح الوقف والابتداء (ص٩٨)، والقرطبي من الطريق نفسه في تفسيره (١٧/ ٧٢)، وانظر: الإتقان (٣/ ٩٩٥، ٩٩٦).

(٢) أورده الرازي في تفسيره (١٨/ ٨٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٤٤٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٦٤)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٧١)، بصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٣٨).

(٤) سيأتي ذكر مصنفي علوم القرآن، أما من أورده من أهل الوجوه، فمقاتل في كتابه الوجوه والنظائر (ص٢٠)، وابن العماد في كشف السرائر (ص٢١)، وقال: جاء في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ........، ثم ساقه.

أ ـ طائفة أوردوه تحت أبواب متفرقة من أبواب العلم بالتفسير.

فالإمام البغوي جعله تحت باب: «من قال في القرآن بغير علم»[١].

وهو من ضمن كلامه على معنى حديث النبي ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ.

والغزالي ضم الأثر مع مجموعة من الآثار تحت باب: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل[٢].

والثعالبي ختم به الباب الذي في مقدمة تفسيره بعنوان: بابٌ في فضل التفسير وإعرابه[٣].

وأتى به الإمام العيني في شرحه على البخاري عند كتاب العلم باب: الاغتباط في العلم والحكمة[٤].

وهذه الإطلالة الوجيزة على موطن هذا الأثر وموقعه في دواوين أهل العلم تُنبئ جلياً عن اتساع مفهوم الأثر لديهم، تمثل هذا في اختلاف فهمهم له، وسياقات إيراده في مؤلفاتهم ـ وسيأتي مزيد بسط لهذا ـ.

ب ـ أما نصوصهم التي فسرت هذا الأثر ـ عمدة علم الوجوه والنظائر ـ فهذا الخطيب البغدادي قال: وفي القرآن المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والأمر والنهي، والعموم والخصوص، والمبين والمجمل، والناسخ والمنسوخ، ولهذا قال أبو الدرداء ﷺ: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة».

فيحتاج الناظر في علم القرآن إلى حفظ الآثار ودرس النحو وعلم العربية واللغة. . .اهـ[٥].

وقوله هذا واضح في أن الوجوه عنده هي وجوهٌ من العلوم لا وجوهٌ من المعاني والتفسيرات.

حيث صدَّر بعلوم قرآنية، ثم جعل أثر أبي الدرداء دليلاً على تنوع الفنون القرآنية وتعددها.

---

(١) شرح السُّنَّة (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٩).
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٠).
(٣) الجواهر الحسان (١/ ١٣٥ ـ ١٣٨).
(٤) عمدة القاري (٢/ ٨١ ـ ٨٣).
(٥) الفقيه والمتفقه (١/ ١٩٨).

وبهذا التأويل يخرج الأثر عن كونه دليلاً على أثرية علم الوجوه والنظائر وعنواناً له.

ومن أقوالهم في تفسير الأثر ما قاله السيوطي وجماعة، من أن المراد بذلك أحد معنيين:

المعنى الأول: أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معانٍ متعددة، فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد.

المعنى الثاني: استعمال الإشارات الباطنية وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر[(١)].

والزركشي لم يذكر الأثر ومعناه في علم الوجوه والنظائر، إنما كان إيراده في (النوع الواحد والأربعون): **معرفة تفسيره وتأويله** تحت فصل عنوانه: قد يكون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز، ويصح حمله عليهما جميعاً.

وهذا إعمال للنص المأثور في موضوع اللفظ المشترك، فتجعل اللفظة حمالة معانٍ، ولا يقتصر به على معنى واحد، بل يعلم أنه يصلح لهذا المعنى وهذا المعنى.

وهنا يلزم التفريق بين المشترك والوجوه والنظائر، فإن المشترك يرد فيه المعنيان على محل واحدٍ؛ يعني: على مفردة في آية قرآنية فالمحل لا يتعدد.

أما الوجوه فهي معانٍ على أكثر من محل، فكل معنى له آية مستقلة أو آيات مختصة بذلك المعنى، وفي المعنى الآخر آية أخرى كذلك أو أكثر، فلا يتوارد المعنيان على محل واحد، ولهذا يفترق المشترك عن الوجوه بهذا الاعتبار، ألا وهو تعدد المحل في الوجوه واتحاده في المشترك.

والزركشي بصنيعه هذا يعدد أوجه تأويل هذا الأثر العمدة، ويزيد من احتمال أمرٍ آخر غير ما يعنيه أهل الوجوه والنظائر.

---

(١) البرهان للزركشي وهو مقتصر على المعنى الأول (٢/٢٢٦)، الإتقان (٣/٩٧٦)، وهذان الجوابان ذكرهما الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/٥٢٨)، وابن عقيلة في الزيادة والإحسان (٥/٢١٩).

وعوداً على المعنيين الواردين عن السيوطي وغيره.

فإن المعنى الأول ليس ببعيد عما قاله الزركشي عند تأمله ملياً، مع اختلاف سياقه، حيث أورده السيوطي وطائفة في علم الوجوه والنظائر.

أما المعنى الآخر فكذلك لا يتطابق مع علم الوجوه، بل هو فتح لأبواب التأويلات الباطنية على مصارعها، وعبرها يمكن أن يلج أهل التفسير الإشاري.

وشيخ الإسلام ساق أثر أبي الدرداء حين أطال في بيان المحكم والمتشابه والمراد منهما، فقال في تعداد أوجه معنى المتشابه: . . . والسابع: أنه ما احتمل وجوهاً، كما نقل عن الشافعي وأحمد، وقد روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً، وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر، ثم عرف المراد بالعلم. اهـ[1].

فقرن بين الأثر وحديثه عن الوجوه والنظائر.

ولا يفوت ههنا ما جاء في تكملة الأثر، حين سأل حمادُ أيوبَ ـ أحد رجال الأثر ـ: أرأيت قوله: حتى ترى للقرآن وجوهاً؟. . . قال: فقلت: أهو أن ترى له وجوهاً، فتهاب الإقدام عليه؟ فقال: نعم. هو ذاك، هو ذاك.

ومُفاد هذا الكلام أن العلم بتنوع وجوه القرآن يجعل المفسر يهاب الجسارة والإقدام على تفسيره، وهذا ينصرف إلى معنى النص القرآني كله لا إلى ألفاظ محددة منه، ومن صرفه إلى الألفاظ القرآنية دون مساقاتها ومجال ورودها في الآيات، ودون النظر في الآية عامة وتأويلها تأويلاً شاملاً فقد اختزل النص وضيق معناه الواسع.

والخلاصة أن هذا الأثر محمول في تفسيره على محامل متعددة تبعد به كثيراً عن إرادة علم الوجوه والنظائر **إرادة مطابقة**، ولعل الاستشهاد به على العلم ليس مكيناً ولا متمكناً عند النظر العميق في دلالته، وشاهد ذلك تعدد فهوم أهل العلم له. والله أعلم.

٢ ـ جاء في تفسير قوله: إن القرآن حمالٌ ذلولٌ ذو وجوه. . . إلخ ما يلي:

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (١٧/ ٤٢٢، ٤٢٣).

قال الماوردي: وقوله: (ذو وجوه) يحتمل معنيين:

أحدهما: أنَّ من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل.

والثاني: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والتحليل والتحريم.

وقوله: (فاحملوه على أحسن وجوهه) يحتمل معنيين:

أحدهما: الحمل على أحسن معانيه.

والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام.اهـ[(١)]. ونقله السيوطي بحذافيره[(٢)].

وقال الملا علي القاري شارحاً هذا الحديث:

١ ـ أن بعض جمله تحتمل وجوهاً من التأويل.

٢ ـ أنه جمع وجوهاً من الأمر والترغيب والتحليل وأضدادها[(٣)].

وأنت ترى في تفسيره الثاني ما يرد الاختلاف في وجوهه إلى اختلاف علوم لا إلى معانٍ مباشرة في الآيات.

والمقصود من هذا كله أن الآثار الواردة في هذا العلم وعمدة أهل الوجوه والنظائر في أصالة هذا الفن القرآني يعتريها التنازع في انطباقها على الوجوه والنظائر انطباقاً تاماً.

إنما التمس أهل العلم من لفظة: (وجوهاً كثيرة)، وتعلقوا بهذا النص ليجعلوه أساساً للعلم وأثريته.

٣ ـ تم استخراج ثلاث طرائق يمكن بها معرفة أفراد العلم القرآني من خلال آثار الصحابة والتابعين وهي كالتالي:

أ ـ الطريقة التي انتهجها أهل الوجوه والنظائر في مصنفاتهم، وتكون بذكر المفردة ثم سرد معانيها وشواهدها من الآيات على التوالي.

وهذه الطريقة قليلة أو نادرة، وليست واضحةً في مروياتهم ولا يظهر فيها

---

(١) النكت والعيون (١/ ٣٥، ٣٦).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٤٤٧).

(٣) الإتقان (٦/ ٢٢٩١).

استقصاء موارد اللفظة ومعانيها في جميع مواطنها، بل يكتفون بمعنيين أو ثلاثة دون إيعاب.

ب ـ الطريقة الثانية تتمثل في ما يوردونه من الكليات الأغلبية كما في الأمثلة المتقدمة؛ لأن الكليات الأغلبية تحتوي على معنيين أحدهما معنى غالب على موارد المفردة، والثاني معنى ليس له إلا مثالٌ أو مثالان.

ولذا هي أغلبية بالنظر إلى غلبة أحد معانيها على جل الآيات، وهي من نوع الوجوه والنظائر بالنظر إلى تعدد معاني المفردة القرآنية.

وهذا ما جعل أهل الوجوه والنظائر يختمون علم الوجوه في مصنفاتهم بحشدٍ من الكليات الأغلبية.

فمثلاً ما جاء عن ابن عباس أن (الريب) في كل القرآن هو الشك، إلا قوله تعالى: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

أورده أهل الوجوه على طريقة عرضهم علم الوجوه، فقالوا: الريب على معنيين: الشك، وحوادث الدهر[1].

ومثال ثانٍ: لفظة: «بخس» عرضها على طريقة الكليات الأغلبية، وهي تتضمن معنيين: النقص، وهو معنى غالبٌ، والحرام وهو معنى آية ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠].

قال أهل الوجوه: البخس على وجهين:

١ ـ الحرام؛ كقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾.

٢ ـ النقصان؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]. وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥][2].

ومثال ثالث: أورد ابن عباس للفظة (السكينة) معنىً غالباً في القرآن وهو (الطمأنينة) باستثناء قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وعند أهل الوجوه للسكينة معنيان:

١ ـ الطمأنينة، وأمثلته عديدة.

---

(١) انظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (ص٢١٤)، نزهة الأعين النواظر (ص٣١٣).

(٢) إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (ص٦٤).

٢ ـ رأس كرأس الهر له جناحان، ومثاله ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾(١).

ج ـ أما الطريقة الثالثة:

فتعتمد على النظر في آيات المفردة القرآنية، واستخلاص معانيها من ثنايا المرويات التفسيرية للصحابة والتابعين.

وهذه الطريقة المبتكرة سقت أمثلة لها لمفردات:

الروح ـ الفتنة ـ الأُمة ـ الصلاة ـ الوحي.

وهذا المنهج في استقصاء الوجوه والنظائر عند الصحابة والتابعين أوسع الطرق في معرفة مفردات العلم عنهم.

وتوصف بالتالي:

أولاً: هذه الطريقة الناجعة تعتمد على استلال معاني المفردات من ثنايا الروايات المأثورة في التفسير عن أولئك السابقين، ويمكن بها معرفة علم الوجوه والنظائر عند الصحابة والتابعين، فليس لزاماً أن يكون عرضها على ما سار عليه مصنفو الوجوه والنظائر في كتبهم.

ثانياً: يعكر على هذه الطريقة أنه لا يلزم منها استيعاب جميع معاني المفردة القرآنية، فكثيراً ما تخلو آياتها من تعيين المعنى، ومرد ذلك أنهم ـ أي: الصحابة والتابعين ـ صرفوا عنايتهم إلى إيضاح تفسير الآية عامة دون تخصيص كل أجزائها بالبيان؛ لأن ذلك يتحقق به ظهور المقصود بالآية وتأويلها، وهو يُغني عن تقصي معنى كل لفظة بمفردها، وهذه عادة الأوائل، لفظ موجز ومعنى ناصع، دون إشغال بالتفاصيل.

ثالثاً: يعوق هذه الطريقة اختلاف تفسير المفردة القرآنية في شيء من آياتها، وبذلك تتباين الوجوه عدداً وذكراً وتظل محلاً للنظر والاستدراك، وهو ما يجعل تفريغ هذه الوجوه بعد سبر مروياتهم في قوالب دقيقة موطناً للزيادة والنقص والتعقب.

رابعاً: يحسن العناية بهذه الطريقة الثالثة، ونخل آثار الأولين؛ ليتم عمل

---

(١) إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (ص٢٤٢).

معجم الوجوه والنظائر مستخلص من أقوالهم، وفي ذلك من الفوائد ما يلي:

أ ـ إظهار أصل العلم في نصوصهم؛ لأن ندرة ما جاء عنهم على الطريقة المعهودة في تعداد الوجوه القرآنية يظن معه أن لا عناية للعلم من قبلهم، وأن منشأه في زمن أتباع التابعين، وهو ظنٌ يقضي عليه مثل هذا العمل.

ب ـ يقضي على ما اصطبغت به كتب الوجوه والنظائر في جملتها من التكثر من تعداد الأقوال، ونحت معانٍ من معنى عام تفيء إليه، وهي بعضٌ من أفراده، ولك أن تنظر في مصنفات الأئمة في وجوه القرآن فتلحظ تباين أعداد المعاني التي يوردونها تبايناً لا يُرتضى، وعسى أن يكون بين هذه التفسيرات ما هو ضعيف مرجوح عند أهل التفسير، وأضرب مثالاً لهذا مع ما تم سوقه من مفردات قرآنية ووجوهها عند أهل العلم الأوائل:

فمفردة ﴿فِتْنَةٌ﴾ لها عندهم سبعة وجوه، وفي «كشف السرائر» عشرة، وفي «التصاريف» أحد عشر، وكذا عند الدامغاني[1]، وعند ابن الجوزي خمسة عشر وجهاً[2]، وعلى اثني عشر وجهاً عند الفيروزآبادي[3].

المثال الثاني: استخلص من آثارهم أربعة وجوه لمفردة ﴿أُمَّةٍ﴾ وعند أهل وجوه القرآن كالتالي:

على تسعة أوجه عند يحيى بن سلام، والدامغاني، وابن العماد[4]، وهي عند ابن الجوزي على خمسة معان[5].

وزاد الفيروزآبادي وجهاً على الأولين فجعلها عشرة[6].

المثال الثالث: ظهر للصلاة في كل القرآن أربعة معانٍ في مرويات الصحابة والتابعين، وهي عند أهل الوجوه على عشرة أوجه عند ابن الجوزي[7]، وأربعة وجوه من المعاني عند الدامغاني[8]، وزاد الفيروزآبادي

---

(١) انظر: التصاريف ليحيى بن سلام (ص٧٣)، إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (ص٣٤٧)، كشف السرائر لابن العماد (ص١٢٢).
(٢) نزهة الأعين النواظر (ص٤٧٨).
(٣) بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٦٧).
(٤) التصاريف (ص٥٣)، إصلاح الوجوه (ص٤٢)، كشف السرائر (ص٨٦).
(٥) نزهة الأعين النواظر (ص١٤٣).
(٦) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٧٩).
(٧) نزهة الأعين النواظر (ص٣٩٤).
(٨) إصلاح الوجوه والنظائر (٢٨٤).

واستكثر من وجوهها ليوصلها إلى ثلاثة عشر معنى(١).

وتقلل يحيى بن سلام فاقتصر على معنيين(٢).

والمقصود أن جمع وجوه القرآن من روايات السلف التفسيرية تتحصل بها ثمرتان:

أ ـ إظهار جهود الصحابة والتابعين في علم وجوه القرآن، وهو الأمر الذي يستخرج من تضاعيف آثارهم.

ب ـ تنقية مفردات الكتاب العزيز ووجوه تأويلها من هذا التزيد الواضح في بعض مؤلفات العلم، ونفي الأقوال التفسيرية الضعيفة التي يُستكثر بها من تعداد الوجوه.

ولا يعترض على نشوء الافتراق في ما عند السلف وما دوَّنه أهل الوجوه والنظائر في كثرة الأقوال وقلتها بما أصّلتُه سابقاً من أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يعمدون إلى إيعاب الوجوه وجمعها؛ لأن الاختلاف ليس في وجه أو اثنين حتى يقال: إن احتواء ذلك يسير، بل إنه يصل إلى خمسة أوجه، بل إلى تسعةٍ في بعض الأحايين.

وهذا الأمر تستوجبه المصنفات في علم الوجوه على كل حالٍ، فتباين المعاني المذكورة فيها شديدٌ، والمدهش توالي الدراسات في علم الوجوه والنظائر وسرد أوجه الاختلاف بين مؤلِّف وآخر في الفن، ونسيان تنقيح المصنفات وتهذيبها، من تمحيص الوجوه، ونفي ضعيفها، والتأليف بين ما يمكن الجمع بينه.

٤ ـ يمكن اعتبار عهد أتباع التابعين زمناً لإرساء علم الوجوه والنظائر، ووضوح معالمه من انتقاء المفردة القرآنية متعددة الوجوه، ثم حصر معانيها، وشواهد ذلك في تسلسل منضبط، بعد أن كان جُل ذلك منثوراً في طيات مرويات الصحابة والتابعين التفسيرية.

وما كان تأليف مقاتل بن سليمان البلخي كتابه: الوجوه والنظائر إلا لبنةً سابقة في بناء هذا العلم القرآني، أتبع ذلك توالي المصنفات وتزايد المهتمين به.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٣٧). (٢) التصاريف (ص٦٤).

وهناك أثر مهم للغاية للمفسر الفذ عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم يقول فيه: قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ [الكهف: ٨٥]: هذه؛ لأن الطريق كما قال فرعون لهامان: ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] طريق السماوات، قال: **والشيء يكون اسمه واحداً وهو متفرقٌ في المعنى، وقرأ:** ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: أسباب الأعمال[١].

فقوله: **والشيء يكون اسمه واحداً وهو متفرقٌ في المعنى** جملة عزيزة أشبه ما تكون بالتعريف لعلم الوجوه والنظائر وتعني كما يظهر منها: أنه يرد اللفظ الواحد في آيات القرآن لكنه ذو معانٍ متفرقة، ويدل لهذا أنه لما فسر لفظة أسباب السماوات بـ«طريق السمٰوات» عطف عليه ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾؛ أي: الأعمال، مبيناً أن لفظة: «أسباب» في موطن آخر لها معنى مختلف، وهذه حقيقة علم الوجوه والنظائر. والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٦٢، ١٦٣) [١٤٠٠١].

علم الوجوه والنظائر عند أهل علوم القرآن

١ ـ تسمية العلم:

ليس في آثارهم تسمية لهذا العلم القرآني كما سمَّوا بعض العلوم.

وأهل المصنفات تواردوا على إطلاق علم: الوجوه والنظائر، والتسمية بهذا قديمة إن صح ما جاء في بعض المصادر أن عكرمة مولى ابن عباس له كتاب في الوجوه والنظائر، وكذا علي بن أبي طلحة بالعنوان نفسه، كلاهما بروايته عن ابن عباس[١].

ولعل عنونته بالوجوه استلهاماً من الأثر العمدة الذي استندوا إليه في تقرير أثرية العلم، حين جاء (حتى ترى للقرآن وجوهاً).

وإذا كان لكل معنى واحد آيات متعددة، فإن كل آية هي نظيرة للآية الأخرى في المعنى، فتولد عن هذا شق العلم الثاني وهو النظائر[٢].

٢ ـ جانب الأثر عندهم:

اعتمدوا الأثر المشهور **(لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة)**، ما بين ذكره مرفوعاً إلى النبي ﷺ ووقفه على أبي الدرداء، مضافاً إلى ذلك بعض النصوص المفسرة للأثر، وتقدم جانب من ذلك[٣].

---

(١) ذكر هذه المعلومة ابن الجوزي في مقدمة نزهة الأعين النواظر قال: وقد نُسب كتابٌ في «الوجوه والنظائر» إلى عكرمة عن ابن عباس ﵄، وكتابٌ آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.اهـ. (ص٨٢)، وممن ذكر ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ٢٠٠١).
قلت: وهذان كتابان مفقودان، ولا يُعلم هل الكتابان قد عنونا باسم الوجوه والنظائر أم أن محتواه في العلم ذاته والتسمية ممن بعدهم وليس من صاحبي الكتاب؟.

(٢) انظر: تعريف شيخ الإسلام للوجوه والنظائر (١٧/ ٤٢٢، ٤٢٣).

(٣) انظر: البرهان للزركشي (١/ ١٣٤)، الإتقان للسيوطي (٣/ ٩٧٥ ـ ٩٧٧)، الزيادة والإحسان (٥/ ٢١٥ ـ ٢١٨).

والسيوطي أضاف آثاراً أُخرى مع الأثر العمدة، وهي تصب في حوض الأثر الأول وبمعناه.

٣ ـ ختم أهل علوم القرآن الذين أفردوا الوجوه والنظائر بعلم مستقل، ختموا هذا النوع القرآني بضرب أمثلة لمفردات قرآنية لها وجوه من المعاني، وهذا صنعه الزركشي، والسيوطي، وابن عقيلة[١].

ومما يستحق الإشادة ههنا أن ابن عقيلة انفرد بلفتات مهمة حين يعرض ألفاظاً من القرآن ووجوهها، فتراه يرد المعاني المتكاثرة إلى معنيين أو ثلاثة، جامعاً شتاتها موفقاً بينها، والتزيد من ذكر الوجوه أمر معاب على بعض ما هو عند أهل الوجوه والنظائر[٢].

وبعض المصنفين قال ـ وهو يفيض في أهمية علم الوجوه والنظائر ـ: «فمن لم يعرفْ الوجوه التي يحتملها اللفظ أخطأ في فهم العقيدة الصحيحة، فالشرك مثلاً ورد في القرآن الكريم لمعانٍ مختلفة... فمن لم يدرك هذه المعاني للشرك وقع في اللبس». اهـ[٣].

ومثل هذا لا يخلو من مبالغة غير مقبولة، إنما كان في أثر أبي الدرداء ـ إن صح الاستدلال به ـ: أهو أن ترى له وجوهاً، فتهاب الإقدام عليه؟ فقال: نعم هذا هو، أو هو ذاك، هو ذاك.

فيستفاد منه أن هذا العلم يورث مهابة تحجز من القول في كتاب الله، ويمنع من الجسارة عليه، وشأن ألفاظه أنها متعددة الوجوه متنوعة المعاني، ولا يمنع هذا من تكشف ثمار أُخرى للعلم، لكن يحسن انتقاء العبارة، بما يصدق على فوائد العلم حقيقةً دون مبالغة ولا تضخيم.

ولا يفوت دمجهم علم الكليات بعلم الوجوه والنظائر وسوقهم جملة وافرة من الكليات المطردة والأغلبية خاتمة في العلم، وقد توصلت إلى أن

---

(١) البرهان (١/ ١٣٤ ـ ١٣٧)، الإتقان (٣/ ٩٧٨ ـ ٩٨٧)، الزيادة والإحسان (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٦).

(٢) انظر: الزيادة والإحسان في معنى (الهدى) (٥/ ٢٢٣)، و(السوء) (٥/ ٢٢٤)، و(الصلاة) (٥/ ٢٢٦).

(٣) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور فهد الرومي (ص١٣١).

الكليات الأغلبية يمكن عرضها على طريقة الوجوه والنظائر لنوع من الصلة والارتباط بينهما، أما الكليات المطردة فعلمٌ مستقلٌ مقابلٌ علم الوجوه والنظائر[1].

(١) انظر: كليات الألفاظ في التفسير (١/ ٩٥ ـ ١٠٠).

الفصل الثاني

علم المقدم والمؤخر

وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية علم المقدم والمؤخر عند الصحابة والتابعين.
- المسألة الثانية: مرويات الصحابة في وقائع التقديم والتأخير في آي القرآن.
- المسألة الثالثة: ما اقتضاه الأصل في ترتيب ألفاظ الآيات من التقديم والتأخير.

[علم المقدم والمؤخر]

۞ المسألة الأولى ۞

أهمية علم المقدم والمؤخر عند الصحابة والتابعين

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيره قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[١].

ونسبه الثعلبي في الكشف إلى ابن عباس، وأبي العالية، وقتادة[٢].

٢ - جاء عن ابن عباس في تفسير المتشابه قوله: هو التقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام[٣].

۞ المسألة الثانية ۞

مرويات الصحابة في وقائع التقديم والتأخير في آي القرآن

١ - روي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] أنها من التقديم والتأخير؛ أي: فاذكروني كما أرسلنا؛ أي: كما أرسلنا فيكم رسولاً تعرفونه بالصدق، فاذكروني بالتوحيد والتصديق به[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٢) الكشف والبيان (٢/ ٢٧١).

(٣) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٤) نقل هذا القول عن علي رضي الله عنه القرطبي في تفسيره (٢/ ١٧٠، ١٧١)، وذكر الزجاج هذا المعنى واختاره. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٧).

٢ ـ عن أبي عبد الرحمٰن[(١)] قال: قرأ عليّ الحسنُ والحسينُ ـ رضوان الله عنهما ـ فقرآ: (وأرجُلِكم إلى الكعبين)، فسمع عليٌّ رضي الله عنه ذلك وكان يقضي بين الناس، فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] هذا من المقدم والمؤخر من الكلام[(٢)].

٣ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] قال: إنهم إذا رأوه فقد رأوه، إنما قالوا جهرة ﴿أَرِنَا اللَّهَ﴾ قال: هذا مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ.

وكان ابن عباس يتأول ذلك: أن سؤالهم موسى كان جهرةً[(٣)].

٤ ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؛ يعني: رافعك ثم متوفيك في آخر الزمان[(٤)].

٥ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣] قال: قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فانقطع الكلام، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهو في أول الآية يخبر عن المنافقين، قال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾؛ يعني: بالقليل المؤمنين[(٥)].

٦ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

---

(١) هو: أبو عبد الرحمٰن السلمي ـ تقدمت ترجمته ـ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٩١)، وقال الشيخ أحمد شاكر عن إسناده: وحفص هو: حفص بن سليمان الأسدي الغاضري، متروك الحديث. انظر: تحقيقه تفسير الطبري (١٠/ ٥٥) رقم [١١٤٥٨]، وذكر هذا الأثر النحاس في معاني القرآن (٢/ ٢٧٣، ٢٧٤)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ٩٣) وغيرهما.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٤٢)، قال محققو الإتقان: رجاله ثقات غير عبد الرحمٰن بن معاوية بن الحويرث فهو صدوق سيء الحفظ (٤/ ١٤٠٠)، وعزاه السيوطي كذلك إلى ابن المنذر (٥/ ٩٤).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ٤٧٠)، من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وزاد نسبته السيوطي إلى إسحاق بن بشر. انظر: الدر المنثور (٣/ ٥٩٨).

(٥) أخرجه الطبري (٧/ ٢٦٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٨٠٨) [٢٠٥٣]، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥) [٥٧٣٥]، كلهم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] قال: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم[(١)].

٧ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ [هود: ٧١].

قال: ضحكت؛ تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها[(٢)].

٨ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١﴾ [الكهف: ١] قال: يقول: أنزل الكتاب عدلاً قيماً، ولم يجعله عوجاً ملتبساً[(٣)].

٩ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] قال: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ تستأذنوا، وقال: هذا مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ، إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا تقول: السلام عليك، أأدخل؟[(٤)].

١٠ ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] هو مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ، تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه[(٥)].

---

(١) نسب هذا القول إلى ابن عباس الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٨٥)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٣٣٦)، ونسبه الجصاص في أحكام القرآن إلى ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي (٤/ ٢١١).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤١)، اللباب لابن عادل (١/ ٥٢٤).

(٣) أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٥/ ١٤٠)، وعزاه في الدر المنثور إلى ابن المنذر، وابن مردويه (٩/ ٤٨٣).

(٤) رواه الفراء بإسناده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في معاني القرآن (٢/ ٢٤٩)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٥٤٥) [٧٠٨]، والأثر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، ومن طريق الفراء ساقه البيهقي بسنده في شعب الإيمان (٦/ ٤٣٨) [٨٨٠٥].

(٥) انظر: الشفا للقاضي عياض (١/ ٢٠٤)، والتفسير الكبير (٢٨/ ٢٤٧)، تفسير القرطبي (١٧/ ٨٩)، اللباب لابن عادل (١٨/ ١٦٢).
والرفرف هو: البساط، وقيل: الفراش. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٧/ ١٦٩٤)، تاج العروس (٢٣/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠).

مرويات التابعين

١ ـ عن إبراهيم النخعي في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] قال: له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه(١).

٢ ـ عن مجاهد في قوله: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ۝٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ۝٦٣﴾ [النساء: ٦٢، ٦٣]. قال: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ في أنفسهم، وبيْن ذلك ما بينهما من القرآن(٢).

٣ ـ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا﴾ [الكهف: ١، ٢] قال: هذا من التقديم والتأخير، أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً(٣).

٤ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، قال: هذا من المقدم والمؤخر؛ أي: رافعك إليّ ومتوفيك(٤).

٥ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣] يقول: لاتبعتم الشيطان كلكم، وأما قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فهو لقوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ إلا قليلاً(٥).

٦ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

قال: هذا من مقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في

---

(١) انظر: النكت والعيون (٣/ ٩٩).

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسنده عن ابن جريج عن مجاهد (٢/ ٧٧٢) [١٩٥٠]، وهذا الإسناد منقطع؛ إن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم (٩/ ٤٨٣)، وانظر: الإتقان (٤/ ١٣٩٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٥٨) [٣٦٣٣].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٦٢) [٦١٢]، والطبري (٧/ ٢٦٢)، وابن المنذر، وأسنده لقتادة، والكلبي (٢/ ٨٠٨) [٢٠٥٤] و[٢٠٥٥]، وابن أبي حاتم مختصراً (٣/ ٩٥) [٥٧٣٦]. انظر: الدر المنثور (٤/ ٥٥٢).

الحياة الدنيا، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ في الآخرة[(١)].

٧ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩] قال: وهذا من مقاديم الكلام، يقول: ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لكان لزاماً[(٢)].

٨ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٦]. قال: هذا من مقاديم الكلام، وتأويلها: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم[(٣)].

٩ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [العاديات: ٦، ٧] قال: هذا من مقاديم الكلام، قال: يقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحب الخير لشديد[(٤)].

١٠ ـ عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذابٌ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٠٠)، وهو بلفظ: من تقاديم الكلام، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٦٧) [١٠٤٦٤]، وهو من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وصحح محقق ابن أبي حاتم هذا الإسناد. انظر: تفسير ابن أبي حاتم. سورتي الأنفال والتوبة للباحث: عيادة أيوب الكبيسي، رسالة دكتوراه من أم القرى (٢/ ٩٠٠) رقم الأثر (١١٩٣)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ (٧/ ٤٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٠٨)، من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر المنثور (١٠/ ٢٦٠)، وفي الإتقان كذلك (٤/ ١٣٩٩)، وهو عن ابن زيد كما في الطبري بلفظ: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم في كتاب الله (١٨/ ٥٢٧)، ولعل الصواب ما أثبت كما في تفسير البغوي (٣/ ٥٠٢)، والقرطبي (١٤/ ٤٨)، وزاد القرطبي نسبته إلى السدي، ومقاتل، وقد عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١١/ ٦١٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٨٩)، من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد في الدر المنثور (١٥/ ٦٠٦)، وهو بلفظ: وإن الله على ذلك لشهيد، وإن الإنسان لحب الخير لشديد.

شديدٌ بما نسوا[١].

١١ ـ عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] قال: هذا في التقديم والتأخير، يقول الله: ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم، وكان يقرؤها كذلك ثم قال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: على كل حال[٢].

١٢ ـ عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠] قال: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون[٣].

١٣ ـ عن السدي قال في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ؛ لأن المعنى: وأنزل التوراة والإنجيل وأنزل الفرقان هدىً للناس[٤].

١٤ ـ عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] أما ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فيقول: اغسلوا وجوهكم واغسلوا أرجلكم، وامسحوا برؤوسكم، فهذا من التقديم والتأخير[٥].

١٥ ـ عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، قال: تزهق أنفسهم في الحياة الدنيا، وهم كافرون، قال: هذه آية فيها

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٧٨)، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٢/ ٥٥٤) في الإتقان (٤/ ١٤٠٠)، وصحح محققو الإتقان هذا الإسناد إلى عكرمة.

(٢) أخرجه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٣١٤ (١٦٠)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر في الدر المنثور (٥/ ٩٢).

(٣) انظر: النحاس في معاني القرآن (١/ ١٧٦)، وأشار الزجاج لهذا التفسير دون نسبته إلى الحسن انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٥٣٥، ٥٣٦) ونسبه إلى مكي بن أبي طالب، والرازي في التفسير الكبير (٦/ ٤٣)، وقد رد هذا القول عن الحسن؛ لأنه عدول عن الظاهر إلا لدليل، وفي البحر المحيط لأبي حيان بنحوه (٢/ ١٧٠)، وأطال أبو حيان في رد هذا القول على فرض التقديم والتأخير.

(٤) انظر: الوسيط (١/ ٤١١)، معالم التنزيل (١/ ٣٢١)، تفسير الخازن (١/ ٢٢٩).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عن أسباط عن السدي (٨/ ١٩٢).

تقديمٌ وتأخيرٌ[(١)]، ومثله عن الضحاك قال: ﴿وَتَزۡهَقَ﴾: تخرج أنفسهم، قال: في الدنيا وهم كافرون[(٢)]، ففسر الآية تفسيراً مستنداً إلى تقديمٍ وتأخيرٍ دون التصريح بذلك كما في رواية السدي.

١٦ ـ عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩﴾ [طه: ١٢٩] قال: وتفسيره: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً، ولكنه تقديمٌ وتأخيرٌ في الكلام[(٣)].

١٧ ـ عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤] قال: فتكبروا وقد استيقنتها أنفسهم، وهذا في التقديم والتأخير[(٤)].

❁ المسألة الثالثة ❁

ما اقتضاه الأصل في ترتيب ألفاظ الآيات من التقديم والتأخير

١ ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: إنكم تقرؤون ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: ١٢] وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية[(٥)].

٢ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا عباس

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أسباط عن السدي (٥/ ٦٧، ٦٨) [١٠٤٦٦]، وعزاه السيوطي إليه في الدر المنثور (٧/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن جويبر عن الضحاك (٥/ ٦٨) [١٠٤٦٧]، وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٧/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عزاه السيوطي إليه في الدر المنثور (١٠/ ٢٦١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن أسباط عن السدي (٧/ ١٠٠، ١٠١) [١٦٩٣٧].

(٥) أخرجه الحميدي في مسنده (١/ ١٨١) [٥٦]، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٣١ (١٠٩١)، وابن ماجه في سننه، كتاب الفرائض، باب: الدين قبل الوصية (ص٣٩١) [٢٧١١٥]، والترمذي في سننه، كتاب الفرائض، باب: ما جاء في ميراث الأخوة من الأب والأم [٢٠٩٥]، وكتاب الوصايا، باب: ما جاء يبدأ بالدين قبل الوصية (ص٤٨٧) [٢١٢٢]، وأبو يعلى (١/ ٢٥٧) [٤٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٤٣٨) [١٢٨٢٩]، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٦٧).

أبدأ بالصفا قبل المروة، أو بالمروة قبل الصفا؟ أو أُصلي قبل أن أطوف أو أطوف قبل أن أُصلي؟ أو أذبح قبل أن أحلق أو أحلق قبل أن أذبح؟ فقال ابن عباس: خذ ذلك من قِبَل القرآن فإنه أجدر أن يحفظ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فالصفا قبل المروة، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦] فقال بالذبح قبل الحلق، وقال: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فالطواف قبل الصلاة[١].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما آسى على شيء فاتني إلا أني لم أحج ماشياً حتى أدركني الكبر، أسمع الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧] فبدأ بالرجال قبل الركبان[٢].

رابعاً: التأصيل

١ ـ علم المقدم والمؤخر من العلوم القرآنية التي أُثرت عن الصحابة والتابعين، تمثل هذا في جملة من مروياتهم الدالة على اعتنائهم به، وكذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥١٧) [١٤٩١٦]، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٢) [٣٢١٥] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٣٨) [٤٠١]، وعزاه في الدر المنثور إلى سعيد بن منصور (٢/ ٩٢، ٩٣)، والأثر من طريق ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعطاء قد اختلط بأخرة، وابن فضيل ممن سمع منه بعد الاختلاط.
انظر: التقييد والإيضاح للحافظ العراقي (ص٣٩٣)، وتهذيب الكمال للمزي (٢٠/ ٩١، ٩٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/ ٣٢٦)، إلا أنه أسند التعليل بالآية وتقديم الراجل على الراكب إلى حديث النبي ﷺ، والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣٩٦) [٨٤٠]، وضعف محققه إسناد الفاكهي، وابن أبي حاتم من طريق محمد بن كعب عن ابن عباس كما في فتح الباري (٣/ ٤٤٤)، وابن عبد البر في التمهيد عن إبراهيم بن مسلم بن أبي حرة عن ابن عباس (٢/ ٨٣، ٨٤)، والطبري بنحوه بسند فيه الحجاج بن أرطأة عن ابن عباس (١٦/ ٥١٨)، والبيهقي في الشعب بنحوه (٣/ ٤٣٠) [٩٨٠].
وأخرجه الخطيب البغدادي عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس بلفظ: ما آسى على شيء إلا أني لم أكن حججت راجلاً؛ لأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ وهكذا كان يقرؤها، في ترجمة الحسن بن قتيبة الخزاعي المدائني (٨/ ٤١٧، ٤١٨)، وضعَّف محقق التاريخ إسناده جداً (٨/ ٤١٨). ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر (١٠/ ٤٧٠).

حين فسر ابن عباس قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] بأنها المعرفة بالقرآن وذكر علوماً من جملتها المقدَّم والمؤخَّر.

وهذا يستفاد منه أمران:

أ ـ ذكره هذا العلم مع عدد من علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام ـ وهي علوم بالغة الأهمية وتمثل مكانة سامقة بين علوم القرآن ـ تأكيداً على أهمية علم المقدم والمؤخر، وما كان ليضعه في صف هذا الفنون إلا مستشعراً جلالته مظهراً قدره.

ب ـ النص على تسميته بالمقدم والمؤخر، مع ورود تسميات أخرى ـ سيأتي ذكرها ـ وهذا يدل على أن من العلوم القرآنية ما أُثر عن الصحابة أو التابعين تسميته كما جاء في الأثر.

٢ ـ جاء عن ابن عباس ـ في أثر متفرد ـ تفسير علم المتشابة بمجموعة من العلوم، ومن بينها: علم التقديم والتأخير، ولعله يقصد دقة أفراد هذا العلم، واحتياجه نظراً عميقاً، وإدراكاً دقيقاً؛ ليدرك الموطن الذي فيه تقديمٌ وتأخيرٌ ثم يُركب المعنى على ذلك.

٣ ـ تعددت مسمياتهم هذا العلم ما بين: المقدم والمؤخر، التقديم والتأخير، مقاديم الكلام، تقديم القرآن.

٤ ـ يمكن تقسيم الوارد عنهم في هذا العلم إلى أنواع هي:

أ ـ ما كان للتقديم والتأخير أثرٌ في المعنى.

ب ـ ما ليس كذلك، إنما اقتضاه اللفظ لغةً وإعراباً دون تغير المعنى.

ج ـ ما جاء وفق ترتيب ألفاظ القرآن الكريم في التقديم والتأخير؛ كتقديم الليل والنهار، وتقديم الصفا على المروة، والظلمات على النور وأمثالها.

فأما الأول فأمثلته واضحة، وهي مجمل ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآيات المذكور فيها تقديمٌ وتأخيرٌ.

وأما الثاني فمثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩].

فإن تقديم لفظة: ﴿لِزَامًا﴾ وتأخير ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مع كون الأصل خلاف ذلك وهو تأخر ﴿لِزَامًا﴾ وتقديم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لا يترتب عليه أثر في المعنى، ولذلك لم ينشأ اختلاف في المعنى على التقديم والتأخير، إنما لعله مراعاة للفاصلة، ونظم القرآن يحوي أسراراً وحِكماً قد يطلع عليها قومٌ وتخفى على آخرين.

ومثله أثر علي في قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] فإنه مقدمٌ في المعنى؛ لكونه معطوفاً على المغسولات مؤخرٌ في لفظ الآية.

وقد فَصَل بين المغسولات وبين غسل الرِجْلين فنتج عن ذلك تقديم في اللفظ وتأخير؛ لفائدة دقيقة دونتها كتب التفاسير(١)، والمعنى على كلٍ لا يختلف.

ومثال الثالث: أثر ابن عباسٍ لما تأسف أنه لم يحج ماشياً، واستدل بتقديم الرِّجال على الركبان في الآية الكريمة.

فاستنبط تفضيل من قُدِّم على من أُخِّر، ومعنى الآية لم يتباين بهذا التقديم والتأخير.

وقل مثل هذا في أثره الثاني لما أجاب السائل مقدماً الطواف بالصفا على المروة، والذبح قبل الحلق، والطواف قبل الصلاة مستخرجاً ذلك من ألفاظ الآيات في تقديم المقدَّم وتأخير المؤخَّر.

٥ ـ هذا العلم القرآني ورد عن الصحابة والتابعين، وظهر كثرة مرويات التابعين لأفراد هذا العلم، وخصوصاً من قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد وَرِث أتباع التابعين هذا كذلك، فحملت كتب التفاسير أمثلة للمقدم والمؤخر، وافقوا في بعضها ما نقل عن أسلافهم، وانفردوا في مواطن أخرى من القرآن.

ومن الشواهد على ذلك:

أ ـ قال ابن زيد بالتقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ٩٢، ٩٣)، نظم الدرر للبقاعي (٦/ ٣٣، ٣٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٧).

وَرَحْمَتُهُۥ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] موافقاً في ذلك المأثور عن ابن عباس[(١)].

ب ـ قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩] هذا مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ[(٢)].

وقال بهذا قتادة، والسدي، كما تقدم.

ج ـ قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] تلك المعقبات من أمر الله، هذا مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ[(٣)]، والقول بالتقديم في الآية قول إبراهيم النخعي ـ كما تقدم ـ.

د ـ فسر ابن جريج ـ في أحد الروايات عنه ـ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٢، ٦٣] بأن في الآية تقديماً وتأخيراً، وهو موافق لقول مجاهد في الآية[(٤)].

هـ ـ عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤] قال: ليس آزر بأبيه، ولكن ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ وهن الآلهة، وهذا من تقديم القرآن، إنما هو إبراهيم بن تارح[(٥)].

و ـ عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٩٨] إلى قوله: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: ٩٩] قال: سوف استغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين، وبَيْنَ ذلك ما بينه من تقديم القرآن، وفي لفظ: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٦٣، ٢٦٤).
(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٨).
(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ (٨/ ٣٩١).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣) [٥٥٩١]. انظر: الدر المنثور (٤/ ٥٢٠) وله في الآية قول آخر كما عند ابن المنذر (٢/ ٧٧٣) [١٩٥١].
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٦/ ١٠٢).
(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٥١)، ونسبه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٣٧).

ز - عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥٢].

قال: قال يوسف: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، وقال ابن جريج: هذا من تقديم القرآن وتأخيره(١).

ح - عن ابن جريج في قوله: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١] قال: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ (من الرهب) هذا من تقديم القرآن(٢).

ط - عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [الحجر: ٧] قال: ما بين ذلك إلى قوله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر: ١٤] قال: رجع إلى قوله: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ما بين ذلك.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: فظلت الملائكة تعرج، فنظروا إليهم لقالوا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: ١٥] قال: قريش تقوله(٣).

ي - عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء: ٧٢، ٧٣]؛ يعني: فتحاً وغنيمة وسعة في رزق، ليقولن المنافق وهو نادم في التخلف: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ يقول: كأنه

= قال أبو عبيد شارحاً قول ابن جريج: ذهب ابن جريج إلى أن الاستثناء في قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ من كلام يعقوب حين قال لهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ استثنى فقال: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾، وليس من كلام يوسف حين قال: ادخلوا مصر. اهـ. انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٣٧)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٦٢). قال النحاس: أراد أن يبين عذره قبل أن يخرج من السجن، فهذا على هذا التأويل قاله يوسف في السجن. اهـ. (٣/ ٤٣٧).

(٢) نسبه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٤٦٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٣، ٢٤)، وعزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٩٣).

ليس من أهل دينكم في المودة فهذا من التقديم، ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ يعني: آخذ من الغنيمة نصيباً وافراً[(١)].

ك ـ وافق مقاتلُ بن سليمان قول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] إنها من باب التقديم والتأخير[(٢)].

فتبين بهذا تفرد ابن جريج في دعوى التقديم والتأخير لبعض الآيات، وتعدد المروي عنه في هذا العلم، وكذا دعواه التقديم والتأخير في مواطن من آي القرآن لم يقل بها من سبقه، مما يدلك على أن في أفراد هذا العلم ما هو محض اجتهاد وموطن نظر.

٥ ـ يستدل على التقديم والتأخير في القرآن بحسب نوعه، وقد تقدم أنها ثلاثة أنواع، فمنها ما يعرف بحسب ما تدل عليه اللغة العربية، وأعني من ناحية الإعراب وما تستوجبه نَحْواً وهذا ينطبق على أحد أنواع المقدم والمؤخر التي قدمت، وهي ما لم يكن له أثرٌ في المعنى، وإنما حكم بتقديمه وتأخيره وفق القواعد النحوية الإعرابية.

ومثاله ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ [طه: ٢٠].

أما النوع الثاني وهو ما كان له أثرٌ في المعنى، وعليه تدور معظم آثار الصحابة والتابعين ـ فمن بعدهم ـ وهو أدق الأنواع وأكثرها خلافاً بين أهل التفسير.

فالذي يعتمد عليه أنه راجع إلى اجتهاد المفسر وأن الأصل الذي يُسوغ له القول بالتقديم والتأخير في الآية أمران:

١ ـ أن التقديم والتأخير من سنن العرب في كلامها، فتقدم الكلام وهو مؤخَّر في المعنى، وتؤخِّره وهو في المعنى مقدَّم، والقرآن جاء على وفق لغتهم وآدابها[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن المنذر (١/ ٧٨٩) [١٩٩٦]، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٠) [٥٦٢٩، ٥٦٣٢]. انظر: الدر المنثور (٤/ ٥٣٤، ٥٣٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٧٢).

(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس (ص٢٠٨)، وقد استشهد ابن فارس بآيات =

٢ ـ أن المعنى الذي يقول به المفسر والتأويل الذي يُرجع الآية إليه مُركبٌ على التقديم والتأخير في الآية، ومن ثَمَّ رأيناهم يُبينون عن المعنى ومراد الآية مع التنصيص غالباً على أنه من مقدم القرآن وتأخيره.

وهناك مرويات لأتباع التابعين فسروا بعض الآيات فيها على أنها من المقدم والمؤخر، وهو ما انفردوا به عن الصحابة ـ في بعض المواطن ـ فدلَّ على أن ذلك مرجعه الرأي والاجتهاد.

أما النوع الثالث من أنواع المقدم والمؤخر في القرآن ـ وهو أوضحها ـ فهو ترتيب الألفاظ في الآية وتقديم شيء وتأخير آخر، وهو نوع جليٌّ لا يخفى؛ كتقديم الرَاجِل على الراكب في آية الحج، وتقديم الصفا على المروة، ونحو ذلك.

٦ ـ صبَّ السلف الأوائل جهودهم في ما كان له أثرٌ في المعنى من أنواع المقدم والمؤخر في القرآن، وظهر أن اتجاههم إلى النوعين الآخرين وهما: ما اقتضته اللغة والإعراب، وما جاء وفق ترتيب الآيات تقديماً وتأخيراً ليس بحظوة سابقه.

ويكفي فيهما أثرٌ أو أثران يؤسسان لهما من كلام الصحابة والتابعين، وتبقى مرحلة صرف الجهود وتوجيه العناية لإبراز المكنون مرحلةً تاليةً لما عند الأوائل.

والذي ينبغي أن يكون محور اهتمام طالب التفسير في المقام الأول ما كان التقديم والتأخير فيه مؤثرٌ في المعنى، يختلف باختلاف دعوى التقديم والتأخير من عدمها.

ثم يلي ذلك رتبةً واشتغالاً استجلاء الأسرار البلاغية والدقائق البيانية من حكم التقديم والتأخير لمفردات القرآن.

٧ ـ مما يلزم التنبيه عليه أن الصحابة والتابعين قد يفسرون الآية تفسيراً على وفق تقديم وتأخير في ألفاظها دون النص على أن ذلك من مقدم القرآن

= من القرآن الكريم فيها مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ وبعضها من المأثور عن الصحابة والتابعين، والكليات للكفوي (٢٥٧) فما بعدها.

ومؤخره، نعم هم ينطقون بذلك في مواضع أُثرت عنهم ـ وقد تقدمت ـ لكن تبقى حالات أخرى دون ذلك، وهذا يستلزم حسن نظر وتمعُّن في الروايات، وسبق ذكر نماذج من ذلك في آثارهم.

٨ ـ هذا العلم القرآني اشتغل به المفسرون كاشتغال أهل علوم القرآن أو يزيد، خاصة فيما كان له أثرٌ في المعنى يختلف باختلاف دعوى التقديم والتأخير من عدمها، ولهذا طفحت كتب التفاسير بذكر المأثور عن الصحابة والتابعين من أفراد هذا العلم، وتمثل ذلك في أمور:

أ ـ يذكرون آثارهم في المقدَّم والمؤخَّر.

ب ـ يوردون الأقوال الأخرى ـ إن وجدت ـ وهي خالية من دعوى التقديم والتأخير، استيعاباً لوجوه الآية وجمعاً لما قيل فيها.

ج ـ يناقشون ـ غالباً ـ دعوى التقديم والتأخير في معرض ترجيحهم للقول المرجح في الآية.

والذي يلفت النظر ههنا ـ وقد رأيت كتب التفاسير متواردة عليه ـ أن القول بالتقديم والتأخير ـ غالباً ـ ليس من الأقوال المكينة عند أهل التفسير، فترى من المفسرين من يضعف دعوى التقديم والتأخير في الآية ثم تركيب المعنى على ضوء ذلك، في توجهٍ من هؤلاء المفسرين إلى أن الأصل في الكلام خلُوُّه من دعوى التقديم والتأخير، إلا بدليل قاطع ووجه موجب لا محيد عنه.

وإليك بعض من الشواهد على ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢] أورد الطبري تفسير ابن عباس المبني على التقديم والتأخير، ثم قال: ولا اختلاف أيضاً بين أهل العربية في أن معنى قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ وإن كان مؤخراً، التقديم إلى جنب ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾[1].

وقال الواحدي: جميع أهل اللغة والتفسير قالوا: هذا من التقديم والتأخير[2].

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٤٢).

(٢) نقله عنه الرازي في التفسير الكبير (٢١/ ٦٤).

ومع ذلك نقض الرازي دعوى التقديم والتأخير وأسهب في بيان معنى الآية على الأصل في ترتيبها، ثم قال: . . . فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسدٌ يمتنع العقل من الذهاب إليه(١).

ومثله السمين الحلبي الذي رد دعوى التقديم والتأخير قال: وإن كان قال به غيره، إلا أنها مردودةٌ بأنها على خلاف الأصل(٢).

٢ ـ موقف الرازي من هذه الآية كموقفه مما فُسِّر به قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] إذ أومأ إلى تضعيف القول بالتقديم والتأخير فيها، معللاً ذلك بأن في الوجوه الكثيرة التي وردت في تفسيرها ما يُغني عن التزام مخالفة الظاهر(٣).

ولم يرتض ابن عادل ذلك كذلك لعدم الحاجة إليه(٤).

٣ ـ ضعَّف ابن عطية ما ورد عن مجاهد من التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢] إلى قوله: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣](٥).

وبالغ أبو حيان في دفع هذا القول ونزَّه مجاهداً عن قوله ووصفه بأنه في غاية الفساد.

وقال السمين الحلبي: والقرآن يُنزَّه عن ذلك، وإنما ذكرته تنبيهاً على ضعفه(٦).

٤ ـ ردَّ الآلوسي ما ورد عن الضحاك بن مزاحم من القول بالتقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] قال: ولا يكاد يقبل هذا في تخريج كلام الله تعالى العزيز(٧).

وقال الشوكاني: وهو قريب من التحريف لمعنى الآية(٨).

---

(١) التفسير الكبير (٢١/ ٦٤).
(٢) الدر المصون (٧/ ٤٣٥).
(٣) التفسير الكبير (٨/ ٦١).
(٤) اللباب في تفسير الكتاب (٥/ ٢٦٥).
(٥) المحرر الوجيز (٢/ ٥٩٣).
(٦) البحر المحيط (٣/ ٢٩٤)، الدر المصون (٤/ ١٨).
(٧) روح المعاني (٦/ ٣).
(٨) فتح القدير (١/ ٦٢٤).

٥ ـ قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٩]: ومحاولة التقديم والتأخير تعسفٌ[١].

٦ ـ استبعد الآلوسي القول بالتقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٦][٢] وقال عن ما أُثر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]: وأنت تعلم أن هذا مما لا ينبغي الالتفات إليه فإنَّ ذاك من كلام يوسف ﷺ بلا مرية، ولا أدري ما الداعي إلى ارتكابه، ولعله محض الجهل[٣].

وقد تحصلت جملة من تعليلاتهم التي ردوا بها كثيراً من المأثور عن الصحابة والتابعين في التقديم والتأخير، وأظهرها:

١ ـ أنه مخالف للظاهر.

٢ ـ أنه خلاف الأصل.

٣ ـ عدم الحاجة إليه.

٤ ـ أن العقل يمنع من الذهاب إلى القول بالتقديم والتأخير.

٥ ـ أن التقديم والتأخير لا يكون في الفاء، وهذا الوجه اللغوي ردَّ به النحاس دعوى المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١][٤].

وعندي أن موقف أهل التفسير مما ادُّعي فيه التقديم والتأخير شَابَه نوع تشددٍ، فرُفضتْ كثيرٌ من الأقوال بحجة مخالفة الأصل تارة أو الظاهر أخرى، أو غير ذلك من المعاذير، وهذا في رأيي فوَّت كثيراً من تأمل تلك التفسيرات التي يمكن اعتبارها والنظر فيها. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٩). (٢) روح المعاني (٢١/ ٦٠).

(٣) روح المعاني (١٣/ ٥٦).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٣٦٤)، ويعني: بأنه لا يكون في الفاء، أن معنى الفاء للترتيب والتعقيب، وهو أمر ينافي دعوى التقديم والتأخير.

خامساً: علم المقدم والمؤخر عند أهل علوم القرآن

[أ] تسمية هذا العلم:

أطلق عليه السيوطي وابن عقيلة اسم (علم مقدَّمه ومؤخَّره)[١]، وجعلاه علماً مستقلاً، وجعله السيوطي كذلك في المعترك من وجوه الإعجاز، وعنون له بـ: تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع[٢].

أما الحارث المحاسبي، والزركشي فجعلاه باباً من أبواب أساليب القرآن تحت مسمى (باب التقديم والتأخير)[٣].

وقد تقدم أن الصحابة والتابعين سمَّوه المقدم والمؤخر، وتنوعت أوصافهم له أو قل تسمياتهم إلى: مقاديم الكلام، تقديم القرآن وغيرها.

والتسمية مطابقة لمضمون العلم ولا يحتمل غير ذلك.

[ب] أقسام هذا العلم:

قسَّم السيوطي علم المقدم والمؤخر إلى قسمين:

١ ـ ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلما عُرف أنه من باب التأخير والتقديم اتضح.

ثم قال: وهو جدير أن يُفرد بالتصنيف، وقد تعرض السلف لذلك في آيات[٤].

ثم ساق جملة من آثار الصحابة والتابعين في هذا العلم.

٢ ـ القسم الثاني حال ما ليس كذلك، ثم أطال الكلام عن أسباب التقديم وأسراره في القرآن العزيز، وذكر مُؤلَّف شمس الدين ابن الصائغ[٥] في هذا الموضوع.

---

(١) الإتقان (٤/ ١٣٩٩)، الزيادة والإحسان (٥/ ١٨٠).

(٢) معترك الأقران (١/ ١٧١).

(٣) فهم القرآن (ص٤٧٦)، البرهان (٣/ ٢٧٣).

(٤) الإتقان (٤/ ١٣٩٩).

(٥) هو: محمد بن عبد الرحمٰن بن علي الحنفي النحوي، اشتغل بالعلم وبرع في اللغة والنحو، وأخذ عن أبي حيان، والقونوي، والفخر الزيلعي، وغيرهم، كان فاضلاً بارعاً، ملازماً =

وابن عقيلة جعله قسمين ضمناً، فعرف التأخير بـ: أن يكون الكلام مقتضاه تقديم بعض الكلمات أو الجمل، فتؤخر لحكمة في المؤخر(١).

ثم أورد أمثلة عن الصحابة والتابعين وهي مطابقة لأمثلة السيوطي، ثم قال: وأما تقديم بعض الأشياء المعتبرة على بعض فقد ألّف فيه العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتابه «المقدِّمة في سر الألفاظ المقدَّمة»، وخلص من هذا إلى بيان أسباب التقديم وأسراره(٢).

وهو بهذا متوافق مع السيوطي على اختلاف في صياغة ألفاظ القسمين لكن مع اتحاد في المراد.

أما الزركشي فقد خلا ذكره هذا العلم من هذه التقاسيم والإشارات لوروده عند السابقين، إنما بدأ بعدِّ هذا العلم من أساليب البلاغة، وأنه دالٌّ على تمكن أصحابه من الفصاحة وملكتهم في الكلام، وأن له في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق.

ثم انجر حديثه إلى ذكر أسبابه وأنواعه في تفصيل مسهب وأمثلة متعددة(٣)، وقد أكثر ـ وقبله الحارث المحاسبي ـ من عرض أمثلة هذا العلم القرآني بعد تصديره أن هذا مما كانت تفعله العرب في تراجعها بينها ومخاطبتها قبل أن ينزل الكتاب على نبيه ﷺ(٤).

أقول:

١ ـ إن السيوطي قد أجاد ـ كعادته ـ في إشارته ورود هذا العلم عن الصحابة والتابعين أو السلف كما قال، وجعله جديراً أن يُفرد بالتصنيف.

وهذا البيان في أصل هذا العلم، وتقدم حديث الأوائل عنه مما يضفي عليه أصالةً ويجعله من علومهم المأثورة.

= للاشتغال، دمث الأخلاق، حسن النظم والنثر، ولي قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، ودرَّس بالجامع الطولوني وغيره.
من تصانيفه: شرح ألفية ابن مالك، وشرح المشارق في الحديث، المنهج القويم في القرآن العظيم، المباني في المعاني، وغيرها، توفي سنة (٧٧٦هـ) رحمه الله. انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٤٩٩، ٥٠٠) [١٣٤٧]، بغية الوعاة (١/ ١٥٥).

(١) الزيادة والإحسان (٥/ ١٨٠).
(٢) الزيادة والإحسان (٥/ ١٨٣).
(٣) البرهان (٣/ ٢٧٣) فما بعدها.
(٤) فهم القرآن (ص٤٧٦).

وأما جعله الأمثلة الواردة عن السلف تحت قسم: ما أشكل معناه بحسب الظاهر حتى عرف أنه من المقدم والمؤخر

فلا أراه دقيقاً؛ لأن أمثلة المقدم والمؤخر لا يظهر أنها مما يشكل على الأوائل ولا غيرهم إنما تعددت أقوالهم في تفسير الآيات مع أخذهم في الاعتبار أنها من التقديم والتأخير أو على الأصل في الترتيب.

وتقسيم ما ورد عنهم إلى ما كان له أثرٌ في المعنى يختلف باختلاف دعوى التقديم والتأخير من عدمها، أشدُ مطابقةً للمأثور عنهم.

٢ ـ كتب علوم القرآن ومن اهتمت بهذا العلم القرآني انصرفت جهودها إلى استجلاء أسرار التقديم والتأخير والمطابقة، والأوجه البلاغية التي تظهر جمال القرآن وروعة بيانه، حتى تكاد هذه الاهتمامات البلاغية تطغى على النظر في ما له وقْعٌ مؤثرٌ في المعنى، وهو الأمر الذي اعتنى به المفسرون، وقد سقت فيما تقدم أمثلة ذلك.

إذن فجانبا علم المقدم والمؤخر يتقاسم العناية به والنظر في تضاعيفه فئتان:

١ ـ المفسرون، وعنايتهم في غالبها لما له أثره في المعنى وتأثير في المراد.

٢ ـ أهل علوم القرآن ومن سار مسارهم من البلاغيين والنحويين اهتموا بأسرار التقديم والتأخير وفرائده.

وفيما سطره الزركشي وغالب ما عند السيوطي وابن عقيلة شواهد ذلك، وكذا ما عند الطوفي في الإكسير، وابن النقيب في مقدمة تفسيره[١].

بل إن هذا دأبُ من يتعرض لعلم المقدم والمؤخر في القرآن، وانظر إلى كلام السهيلي وتعقبات ابن القيم له وتنقيحاته لما جلَّاه من أسرار التقديم والتأخير[٢].

---

(١) انظر: الإكسير في علم التفسير (ص٢٦٤)، مقدمة تفسير ابن النقيب (ص١٦٦) فما بعدها.

(٢) انظر: نتائج الفِكَر في النحو للسهيلي (ص٢٠٩ ـ ٢١٥)، بدائع الفوائد (١/٥٧) فما بعدها، التبيان في علم البيان لابن الزملكاني (ص١٧٠)، وبلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور علي أبو القاسم عون، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية، د. منير محمود المسيري.

[ج] ظهر ـ على قلة في ذلك ـ نظر الصحابة في ترتيب ألفاظ القرآن تقديماً وتأخيراً، واستنباط فوائد جلية، ومعان بديعة من وراء ذلك.

ومثاله: ما أُثر عن ابن عباس عند آية ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧]، فحين سأله السائل عن أعمال في المناسك كيف البداءة بها؟ أرْجَعَه إلى ألفاظ القرآن وتقديم المقدم وتأخير المؤخر.

وهذا منهم على ندرة الوارد منه بمثابة الأس لما بُني عليه، والأصل الذي انطلق منه المتأخرون عن زمانهم لاستشفاف بدائع التنزيل ونفائسه المخبؤة.

مع أن ما أُثر عنهم نحى إلى اعتبار الفائدة المترتب عليها عمل وتطبيق للمأمور، دون مجرد استقاء اللفتات البلاغية والنكت البيانية للمقدم منها والمؤخر، وذلك ما تفنن فيه المتأخرون وبرعوا فيه.

فانظر على سبيل المثال ما أُثر عن علي ﷺ حين نبَّه على أن الدَّيْن مقدم على الوصية، وإن جاء في الآية تقديم الوصية على الدين، وابن عباس لما آسى على أنه لم يحج ماشياً والله تعالى بدأ بالرجال قبل الركبان، تجدهما انصرفا إلى ثمرة التقديم والتأخير في العمل والتنبيه على ما يستفاد في امتثال المأمور وما يُبدأ به من ذلك.

أما أهل علوم القرآن ومن في حكمهم من المهتمين بالتقديم والتأخير فعنايتهم مصروفة إلى الأسرار البلاغية والوجوه البيانية من هذا التقديم والتأخير، فالزركشي والسيوطي وابن عقيلة جعلوا سر تقديم الوصية من الدَّيْن للحث عليه خيفةً من التهاون به[1].

والسهيلي جعل فائدة تقديم الرجال على الركبان التقديم بالرتبة؛ لأن الذي يأتي **رجالاً** يأتي من المكان القريب، والذي يأتي على **الضامر** يأتي من المكان البعيد، ثم ذكر أثر ابن عباس، وجعل تقديم ابن عباس للراجل من باب تقديم الفاضل على المفضول، والمعنيان موجودان كما قال السهيلي[2]،

---

(١) البرهان (٣/ ٣٠٧)، الإتقان (٤/ ١٤٠٦)، الزيادة والإحسان (٥/ ١٨٩)، وانظر للتوسع: فتح الباري لابن حجر (٥/ ٤٤٤، ٤٤٥).

(٢) نتائج الفِكَر في النحو (٢١١).

بينما هو عند ابن القيم للاهتمام، بمعنى أنه يقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، فقدم الرجال لهذا اهتماماً بالمعنى وتأكيداً(١).

وعليه فقد اجتمعوا على العناية بهذا النوع من أنواع التقديم والتأخير ودَرْسه، وافترقوا في وجوه النظر إليه، فريقٌ نظر إلى ما يثمر عن عملٍ وأوليةٍ في المأمور، وفريقٌ آخر نظر إلى لطائفه البلاغية وفرائده القرآنية.

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٦٥).

الفصل الثالث

مشكل القرآن

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: النبي ﷺ يرفع المشكل الذي يعرض للصحابة رضوان الله عليهم.
- المسألة الثانية: وقوع المشكل لكبار الصحابة.
- المسألة الثالثة: تصدي الصحابة والتابعين لرفع المشكل وطرائقهم في حل الإشكال وبيانه.
- المسألة الرابعة: موقفهم من صبيغ من عسل الذي كان يتتبع مشكل القرآن.
- المسألة الخامسة: موقف علي بن أبي طالب من سؤالات ابن الكوّاء فيما أشكل عليه من القرآن.

[مشكل القرآن]

المسألة الأولى

النبي ﷺ يرفع المشكل الذي يعرض للصحابة رضوان الله عليهم

أمثلة ذلك:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)].

٢ ـ عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «**إنهم كانوا يتسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**»[(٢)].

٣ ـ عن عدي بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عَمِدتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت انظر في الليل فلا يتبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ (ص٥٧٧) [٣٤٢٩]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه (١/٦٨) [١٢٤].

(٢) تقدم تخريجه في علم: المبهمات، وهو في صحيح مسلم.

فذكرت له ذلك، فقال: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**»[١].

٤ ـ عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا نبي الله: كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**»[٢].

المسألة الثانية

وقوع المشكل لكبار الصحابة

١ ـ جاء عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ﷻ ما لا أعلم؟[٣].

٢ ـ عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا دخل بيته نشر المصحف يقرؤه، فدخل ذات يوم فقرأ سورة الأنعام، فأتى على هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ...﴾ [الأنعام: ٨٢] إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أُبي بن كعب فقال: يا أبا المنذر، أتيت على هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ...﴾ وقد ترى أنا نظلم ونفعل،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ (ص٣٠٨) [١٩١٦]، ومسلم في كتاب الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر (١/ ٤٨٦) [١٠٩٠].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ (ص٨٣٥) [٤٧٦٠]، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: يحشر الكافر على وجهه (٢/ ١٢٩١) [٢٨٠٦].

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢١١) [٨٤٢]، وأخرجه مسدد في مسنده بنحوه كما في المطالب العالية (١٤/ ٤٢٥) [٣٢٥١]، وقال محققو المطالب: رجاله ثقات، إلا أنه منقطع بين أبي معمر وأبي بكر.اهـ. (١٤/ ٤٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه عن ابن أبي مليكة عن أبي بكر (١/ ١٦٨) [٣٩]، وابن أبي شيبة من طريق إبراهيم التيمي عن أبي بكر (١٥/ ٥٠٠) [٣٠٧٣١]، وأخرجه الطبري في تفسيره من الطريق نفسه (١/ ٧٢)، وكذا أخرجه البيهقي في الشعب بإسناد فيه علي بن زيد بن جدعان (٢/ ٤٢٤) [٢٢٧٨]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٨٣٤) [١٥٦١]، فالحديث بمجموع طرقه يرقى لدرجة الحسن لغيره كما قال محققو المطالب العالية (١٤/ ٤٢٦)، ومحقق سنن سعيد بن منصور (١/ ١٦٩)، وحسن محقق جامع بيان العلم إسناده.

فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذاك، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] إنما ذلك الشرك(١).

٣ ـ عن عبد الله بن دينار قال: كان عمر بن الخطاب يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غُص غوَّاص(٢).

٤ ـ عن ابن عمر أن عمر خطب على منبر رسول الله ﷺ قال: ... وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا(٣).

٥ ـ ما روي عن عمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ...﴾ هذه الآية أعضل ما في هذه السورة من الأحكام(٤).

٦ ـ عن محمد ابن الحنفية قال: قال عليٌّ: أشكل عليَّ أمران، قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فدرستُ القرآن فعلمت أنه يعني: إذا طلقها زوجها

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٥٢٤، ٥٢٥) [٥٧٨]، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف كما قال الألباني في تحقيقه كتاب الإيمان لابن تيمية (٢٥٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٣٧٤، ٣٧٥)، بسند فيه علي بن جدعان، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٦/ ١١٧ ـ ١١٨)، ومثل هذا استشكال زيد بن صوحان هذه الآية وسؤاله سلمان الفارسي عنها وإجابته أن المراد الشرك. انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٧) وسيأتي ذكره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢٤٥) [١٩٤٠]، وضعفه محقق الفضائل لضعف عبد الله بن جعفر المديني، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٦)، وابن سعد في الطبقات بنحوه (٦/ ٣٢٩). وقوله: غُص غوَّاص: دالٌّ على أن عمر إنما يسأله عما أشكل واستغلق معناه مما يحتاج إلى مفسر غواص على المعاني مستخرجٍ دقيقها مُبينٍ موهمها.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب (ص٩٢٢) [٥٥٨٨]، ومسلم في كتاب التفسير، باب: في نزول تحريم الخمر (٢/ ١٣٧٩) [٣٠٣٢]. قال ابن كثير في تفسيره: **وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما ثبت عنه في الصحيحين**، (٤/ ٣٩٥).

(٤) حكاه عنه الواحدي في تفسيره البسيط ٧/ ٥٨٣، وانظر: التفسير الكبير (١٢/ ١٠١)، روح المعاني (٧/ ٥٣).

الآخر رجعت إلى زوجها الأول المطلق ثلاثاً، وكنت رجلاً مذّاءً فاستحييت أن أسأل النبي ﷺ. . . .[١].

۞ المسألة الثالثة ۞

تصدي الصحابة والتابعين لرفع المشكل وطرائقهم في حل الإشكال وبيانه

مرويات الصحابة

١ ـ عن معاذ بن جبل قال: كيف أنتم عند ثلاث: دنيا تقطع رقابكم، وزلة عالم، وجدال منافق بالقرآن؟ وأما جدال منافق بالقرآن، فإن للقرآن مناراً كمنار الطريق لا يكاد يخفى على أحد، فما عرفتم فتمسكوا به، وما أشكل عليكم فكِلُوه إلى عالمه[٢].

٢ ـ عن معاذ بن جبل في حديث طويل: . . . فقال: إن كنتم تبكون على العلم فهذا كتاب الله بين أظهركم فاتبعوه، فإن أشكل عليكم شيء من تفسيره فعليكم بهولاء الثلاثة: عويمر أبي الدرداء، ابن أُم عبد، وسلمان الفارسي[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٧١) [٢٢٧٣]، وعزاه السيوطي كذلك إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٢/ ٦٨٩)، وقد ضعفه محقق تفسير ابن أبي حاتم؛ لأن في سنده الحجاج بن أرطأة، وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات. انظر: تفسير ابن أبي حاتم، رسالة علمية بتحقيق: عبد الله علي الغامدي (٢/ ٧٦٨)، وقد ساقه النحاس في معاني القرآن، فقال: روى منذر الثوري عن محمد بن علي عن علي رضوان الله عليه قال: ما أشكل علي شيء ما أشكلت هذه الاية في كتاب الله ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ فما زلت أدرسُ كتاب الله حتى فهمت فعرفت أن الرجل الآخر إذا طلقها رجعت إلى زوجها الأول إن شاء، معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٠٧) [١٣١].

(٢) أخرجه وكيع بسنده في الزهد (١/ ٢٩٩، ٣٠٠) [٧١] وحسن محقق الزهد إسناده (١/ ٢٩٩)، واللالكائي في شرح السُّنَّة (١/ ١٣٧) [١٩٨] بنحوه، وليس فيها اللفظ المقصود هنا، وحسنه محقق جامع بيان العلم وفضله، ولفظه: وما شككتم فكِلُوه (٢/ ٩٨٢) [١٨٧٢].

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥/ ٦٠٠) [٨٣٤٥]، وصححه الحاكم، لكن تعقبه الذهبي فقال: عبد الأعلى تركه أبو داود، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند ليس فيه عبد الأعلى (٥٨/ ٤٣٨).

٣ ـ عن أنس بن مالك قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾ [عبس: ٢٧ ـ ٣١]. فقال: كل هذا قد علمنا به فما الأبُّ؟ ثم قال: هذا لعمر الله التكلف، اتبعوا ما بُيِّن لكم من هذا الكتاب، وما أشكل عليكم فكِلُوه إلى عالمه(١).

٤ ـ قال أُبي بن كعب لما وقع الناس في أمر عثمان رضي الله عنه وسألوه عن المخرج قال: كتاب الله وسُنَّة نبيه، ما استبان لكم فاعملوا به، وما أشكل عليكم فكِلُوه إلى عالمه(٢).

٥ ـ عن زيد بن صُوحان(٣) أنه سأل سلمان فقال: يا أبا عبد الله، آية من كتاب الله بلغت مني كل مبلغ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقال سلمان: هو الشرك، فقال زيد: ما يسرني أني لم أسمعها منك، وأن لي مثل كل شيء أمسيت أملكه(٤).

٦ ـ عن علي أنه قيل له: أرأيت هذه الآية: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]. وهم يقاتلون فيظهرون ويَقتلون، فقال: ادنه، ادنه، ثم قال: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١](٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٤/ ١٥٦) [٢٩٨٩]، وانظر: فتح الباري (١٣/ ٢٨٥)، وصدر الأثر أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣/ ٣٥٣)، وسعيد بن منصور (١/ ١٨١) [٤٣]، والطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٠)، وبنحوه عند الهروي في ذم الكلام (٣/ ٣٥) [٥٢٨، ٥٢٩]، والحاكم (٣/ ٣٥٣) [٣٩٥٢]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) [٢٢٨١].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٥٧) [٥٣٧٣]، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو عند البخاري في تاريخه الأوسط بلفظ: وما اشتبه عليكم (١/ ٤٨٢)، ورواه في الكبير (٢/ ٣٩ ـ ٤٩) [٢٢١٧]، وابن أبي شيبة في المصنف بلفظ: (وما اشتبه عليكم) (١٥/ ٤٦٩، ٤٧٠) [٣٠٦٥٥].

(٣) زيد بن صُوحان أبو عائشة العبدي، وقيل: أبا سليمان الكوفي، قال ابن عبد البر: كان مسلماً على عهد النبي ﷺ ولا أعلم له صحبة، ولكنه ممن أدرك النبي مسلماً، وكان فاضلاً ديناً سيداً في قومه،انظر:التاريخ الكبير ٩/ ٣٧٢، الاستيعاب (٢٥٠) [٨١٧]، الإصابة (١/ ٦٥٠) [٢٩١١].

(٤) أخرجه البخاري في تاريخه (٩/ ٨)، والطبري (٩/ ٣٧٢)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ (٦/ ١١٧).

(٥) أخرجه الثوري في تفسيره (ص٩٨) [٢٢٨: ٥٤: ٢٩] بنحوه، وعبد الرزاق في التفسير (١/ ١٦٨) =

٧ ـ عن النَّزَّال بن سَبْرة[(١)] قال: قيل لعلي: يا أمير المؤمنين، إن ههنا قوماً يقولون: إن الله تعالى لا يعلم ما يكون حتى يكون، فقال: ثكلتهم أُمهاتهم، من أين قالوا هذا؟ قيل: يتأولون القرآن في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]. فقال علي: من لم يعلم هلك، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس تعلَّموا العلم واعملوا به وعلِّموه، ومن أشكل عليه شيء من كتاب الله فليسألني، بلغني أن قوماً يقولون: إن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون لقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾، وإنما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ يقول: حتى نرى من كتب عليه الجهاد والصبر وإن جاهد وصبر على ما نابه وأتاه مما قضيت عليه[(٢)].

٨ ـ عن عروة قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ ـ وأنا يومئذ حديث السن ـ أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار كان يُهلون لمناة، وكانت مناة حذو قُدَيْد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما

= [٦٤٧]، والطبري في تفسيره (٧/ ٦١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٦٦) [٦١٦٨]، والحاكم في مستدركه (٣/ ٣٢) [٣٢٥٩] وصححه، والبيهقي في البعث والنشور (ص٩٢) [٨١]، وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن المنذر، وسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد (٥/ ٨٠).

(١) هو: النَّزَّال بن سَبْرة الهلالي العامري من قيس عيلان، مختلفٌ في صحبته، روى عن الخلفاء الراشدين وابن مسعود وحذيفة، وكان صاحب علي بن أبي طالب، روى عنه الشعبي، والضحاك بن مزاحم، وهو معدود من كبار التابعين، كان ثقة له أحاديث كما قال ابن سعد، ووثقه العجلي والدارقطني وغيرهم.
انظر: الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٠٦)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ١١٧) [٢٤١٠]، تهذيب التهذيب (٤/ ٢١٦).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٦٥) [٧٢٨]، قال محقق الكتاب أبو الأشبال الزهيري: علقه المصنف ولم أجده عند غيره، ورجاله ثقات، وعزاه الهندي في الكنز إلى ابن عبد البر من هذا الوجه.اهـ.

جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[١].

٩ ـ جاء أن رجلاً سأل عقبة عن الكلالة فقال: ألا تعجبون من هذا، يسألني عن الكلالة؟ وما عضل بأصحاب رسول الله ﷺ شيء ما أعضلت بهم الكلالة[٢].

١٠ ـ عن مروان بن الحكم أنه قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أُوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذَبَنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهوداً (يهودَ) أو يسأل عنه، فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وفي لفظ مسلم: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب[٣].

١١ ـ عن طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس من حضرموت، فقال له: يا ابن عباس أخبرني عن القرآن أكلام من كلام الله، أم خلق من خلق الله؟ قال: بل كلام من كلام الله، أوما سمعت الله يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؟ فقال له الرجل: أفرأيت قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]؟ قال: كتبه الله في اللوح المحفوظ بالعربية، أما سمعت الله يقول: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]. المجيد هو: العزيز؛ أي: كتبه الله في اللوح المحفوظ[٤].

١٢ ـ جاء أن عبد الله بن الزبير قرأ آية فوقف عندها، أَسْهَرتْه حتى

(١) تقدم تخريجه في علم: **أسباب النزول**، وهو في الصحيحين.
(٢) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الفرائض، باب: الكلالة (٦٥٧) [٢٩٧٥]، وابن أبي شيبة (١٦/ ٣٧٠) [٣٢٢٥٧]، والطبراني في تفسيره (٧/ ٧٢٣).
(٣) تقدم تخريجه في علم: **أسباب النزول**، وهو في الصحيحين.
(٤) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٣/ ١٨٤).

أصبح، فلما أصبح قال: من حبْر هذه الأمة؟ قال: قلت: ابن عباس، فبعثني إليه فدعوته فقال له: إني قرأت آية كنت لا أقف عندها، وإني وقفت الليل عندها فأسهرتني حتى أصبحت ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] فقال ابن عباس: لا تُسهرك فإنا لم نُعْن بها، إنما عُني بها أهل الكتاب ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وهو ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] سيقولون الله، فهم يؤمنون ههنا وهم يشركون بالله(١).

١٣ ـ عن عكرمة قال: جاء نفرٌ من أهل اليمن إلى ابن عباس، فسأله رجل: أرأيت قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]؟ فقال ابن عباس: لم تصب المسألة، اقرأ ما قبلها: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٦٦] حتى بلغ ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. فقال ابن عباس: من كان أعمى عن هذا النعيم الذي قد رأى وعاين، فهو في أمر الآخرة التي لم ير ولم يُعاين أعمى وأضل سبيلاً(٢).

١٤ ـ عن تميم بن حذلم(٣) قال: قرأت على ابن مسعود القرآن فلم يأخذ عليّ إلا حرفين ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، فقال: (أتوه) مُخفَّفةً، وقرأت عليه: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [يوسف: ١١٠] فقال: (كُذِبوا) مُخفَّفةً.

قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا لهم، وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كُذِبوا(٤).

---

(١) ذكره محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (١٤٩، ١٥٠)، ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/١٢٠٨، ١٢٠٩) [١٨٤٩]، وحسن محقق فضائل الصحابة إسناده.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الفريابي، وابن أبي حاتم (٩/ ٤٠٥).

(٣) هو: تميم بن حذلم الضبي أبو سلمة الكوفي، من أصحاب ابن مسعود، أدرك أبا بكر وعمر، كان ثقة، قليل الحديث، كما قال ابن سعد.
انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٣٢٥)، تهذيب الكمال (٤/٣٢٨، ٣٢٩) [٨٠١]، تهذيب التهذيب (١/ ٢٥٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٨٦) [١٣٤٦] مختصراً دون تفسير الآية، ورواه الطبراني في الكبير (٩/ ١٣٧) [٨٦٧٥]، وقال في المجمع: رجاله ثقات (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤) [١١٦٠٥].

١٥ - عن عروة بن الزبير قال لعائشة يسألها عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠] قالت: قال: أكُذِبُوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كُذِّبوا.

قلت: قد استيقنوا أن قومهم كذَّبوهم فما هو بالظن؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقال لها: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عليهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذَّبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذَّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك(١).

١٦ - قال ابن أبي مليكة عن ابن عباس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ قال: ذهب هاهنا، وأشار إلى السماء، وفي رواية يقول: أُخلفوا، قال ابن عباس: وكانوا بشراً، قال ابن أبي مليكة: وتلا ابن عباس: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. قال ابن أبي مليكة: فذكرت لعروة بن الزبير فقال: قالت عائشة: معاذ الله، والله ما حدَّث الله تعالى لرسوله ﷺ شيئاً إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكن نزل بالأنبياء البلاء حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذَّبوهم، وكانت تقرأ (كُذِّبوا) مُثقَّلة(٢).

مرويات التابعين

١ - عن مسلم بن يسار أنه سأل سعيد بن جبير فقال: يا أبا عبد الله آية قد بلغت مني كل مبلغ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠] مُثقلةً فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كُذِّبوا، أو نظن أنهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ (ص٨٠٩) [٤٦٩٥]، وذكره قبل في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ (٨٠٩) [٣٣٨٩].

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٧٧٣، ١٧٧٤) [١١١٩٢] [١١١٩٣]، والطبري في تفسيره (١٣/ ٣٩٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ١٠١) [١١٢٤٥] مختصراً، وانظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦٣) فما بعدها.

قد كُذِبوا مُخفَّفةً؟، فقال سعيد بن جبير: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وظن قومهم أن الرسل كَذَبَتهم جاءهم نصرنا، فقام مسلم إلى سعيد فاعتنقه وقال: فرج الله عنك كما فرَّجت عني(١).

٢ ـ عن إبراهيم بن أبي حرة الجزري(٢) قال: صنعت طعاماً فدعوت ناساً من أصحابنا منهم سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم، فسأل فتىً من قريش سعيد بن جبير فقال: يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف؟ فإني إذا أتيت عليه تمنيت أني لا أقرأ هذه السورة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ قال: نعم، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كَذَبوا.

فقال الضحاك: لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً(٣).

٣ ـ هناك رواية أُخرى لسعيد بن جبير أنه قرأ: (﴿كُذِبُواْ﴾ وقال: نعم، ألم يكونوا بشراً؟(٤).

٤ ـ عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه(٥).

٥ ـ عن عُقيل(٦) قال: سألت ابن شهاب عن هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٨٨)، وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ (٨/ ٣٥٥)، ورجاله ثقات كما أوضح ذلك الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه تفسير الطبري (١٦/ ٣٠١) [٢٠٠٩].

(٢) إبراهيم بن أبي حرة الجزري، من أهل نصيبين، سكن مكة، روى عنه ابن عيينة، وابن أبي ليلى، وسمع سعيد بن جبير، ومجاهد، كان قليل الحديث كما قال ابن سعد.
انظر: تاريخ البخاري (١/ ٢٨١) [٩٠٦]، طبقات ابن سعد (٩/ ٤٨٥) [٤٧٨٣].

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٨٧، ٣٨٨)، باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وكأن الشيخ أحمد شاكر يصحح هذا الأثر. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٠٠، ٣٠١) [٢٠٠٨].

(٤) رواه الطبري (١٣/ ٣٩٤)، ومثله عن ابن مسعود عند الطبري كذلك (١٣/ ٣٩٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩١، ٤٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٩٤) [١١٥٥].

(٦) هو: عُقيل بن خالد الأيْلِي، أبو خالد الأموي، مولى عثمان بن عفان، روى عن الحسن البصري، وعكرمة، وزيد بن أسلم، والزهري، وجماعات، وثقه أحمد والنسائي، وجعله =

ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ...﴾ [المائدة: ١٠٦] قلت: أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله، من غير أهل المرء الموصي، أهما من المسلمين أو من أهل الكتاب؟ وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما أتراهما من أهل المرء الموصي أم هما من غير المسلمين؟

قال ابن شهاب: لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله ولا عن أئمة العامة سُنَّة أذكرها، وقد كنا نتذاكرها أناساً من علمائنا أحياناً، فلا يذكرون فيها سُنَّة معلومة ولا قضاء إمام عادل، ولكن يختلف فيها رأيهم...»(١).

۞ المسألة الرابعة ۞

موقفهم من صَبيغ بن عِسل(٢) الذي كان يتتبع مشكل القرآن

١ ـ عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن الذاريات ذرواً؟ فقال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن الحاملات وقراً؟ قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً؟ قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ

= يحيى بن معين من أثبت الناس في الزهري، وهومعروف بصحبة الزهري، روى له الجماعة، وتوفي سنة (١٤١هـ)، وقيل: (١٤٢هـ)، وقيل غير ذلك.
انظر: طبقات ابن سعد (٩/ ٥٢٨)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٤٢ فما بعدها) [٤٠٠١]، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٣٠).

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ مختصراً (١/ ١٦٣) [٣٠٧]، والطبري في تفسيره (٩/ ٦٩، ٧٠)، وابن أبي حاتم دون أول الأثر (٣/ ٢٩١) [٦٩٨٣]، قلت: وفي الإسناد عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو معلوم حاله.

(٢) صَبِيغ على وزن عظيم ابن عِسْل، ويقال: ابن عُسَيل، ويقال: ابن سهل الحنظلي، ويقال: صُبيغ بن شريك من بني عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي البصري، قال ابن حجر: له إدراك، وقصته مع عمر مشهورة، وذكر أنه كان يُحمَّق، وقد وفد على معاوية، وذكر أنه قتل في بعض الفتن، وقيل: بل نفعته موعظة العبد الصالح ـ كما قال ـ فلم يخرج مع الخوارج، والله أعلم.
انظر: تاريخ دمشق (٢٣/ ٤٠٨)، الوافي بالوفيات (١٦/ ١٦٣) [٥٥٤٧]، الإصابة (٢/ ٩١٣) [٤١٢٦].

يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن المقسمات أمراً؟ قال: هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، ثم أمر به فضرب مائة وجعل في بيت، فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى، وحمل على قَتَب(١)، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: امنع الناس من مجالسته، فلم يزالوا كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب عمر: ما أخاله إلا قد صدق فخَلِّ بينه وبين مجالسة الناس(٢).

٢ ـ عن مولى ابن عمر أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ قال: في الرحل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة، فأتاه فقال له عمر: عم تسأل؟ فحدثه فأرسل عمر إليَّ يطلب الجريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دَبَرَة(٣)، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ ثم

---

(١) القَتَب: رَحْلٌ صغير على قدر السنام يوضع على ظهر البعير. انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١٩٨).

(٢) رواه عبد الله بن وهب في تفسيره (١/ ٩٥، ٩٦) [٢١٨]، والبزار في مسنده (١/ ٤٢٣، ٤٢٤) [٢٩٩]، وأورده الهيثمي في كشف الأستار (٣/ ٦٩، ٧٠) [٢٢٥٩]، وقال الدراقطني: غريب من حديث يحيى الأنصاري عنه، تفرد به أبو بكر ابن أبي سَبْرة عنه. اهـ. انظر: أطراف الغرائب (١/ ٥١) (٩٥)، وقال في المجمع: رواه البزار وفيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو متروك. اهـ (٧/ ١٧٦)، ورواه مسنداً كذلك الخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (ص١٥٣)، وقال ابن كثير في تفسير سورة الذاريات بعد أن ساق إسناد البزار: فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر (١٣/ ٢٠٨)، وذكره الصابوني في عقيدة السلف (٢٣٧)، وقد ضعفه الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/ ٩١٤)، وساقه ابن عبد البر بألفاظ قريبة من هذا فقال: وأما خبر صبيغ فقد روى إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي أويس، قال حدثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه سأل رجلاً قدم من الشام فقال: إن رجلاً هناك يسأل عن تأويل القرآن قد كتبه، يقال له صبيغ، وأخبره أنه يريد قدوم المدينة، فقال له عمر: لئن لم تأتني به لأفعلن بك كذا وكذا... إلخ. انظر: الاستذكار (١٤/ ١٥٩، ١٦٠)، قلت: وهذا الإسناد ليس فيه ابن أبي سبرة المتروك، والمراد بإسماعيل بن إسحاق الجهضمي صاحب أحكام القرآن، والله أعلم.

(٣) الدَّبَر: بالتحريك، الجرح الذي يكون في ظهر البعير، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٩٧).

عاد به ليعود له، فقال صبيغ: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه وكتب له إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت هيئته فكتب أن ائذن للناس في مجالسته(١).

٣ ـ عن السائب بن يزيد(٢) قال: أُتي عمر بن الخطاب فقيل: يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه، فبينما عمر ذات يوم جالس يغدي الناس إذ جاء وعليه ثياب وعمامة صفراء حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذرواً، فالحاملات وقراً؟ فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه وجر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثياباً واحملوه على قَتَب، وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه(٣).

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص٢٢٦)، وابن وضاح في كتاب (البدعة) (ص١٠٧، ١٠٨)، (ص١٥٢)، والدارمي في المقدمة من سننه، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (ص٧٠، ٧١) (١٥٠/١٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٤١١). انظر: الدر المنثور (٣/ ٤٦٢).

(٢) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثُمامة بن الأسود الكندي أو الأزدي، ولد في السنة الثانية من الهجرة، فهو تِرْب لِدَتُه، تِرْب الرجل: الذي ولد معه ـ لابن الزبير والنعمان بن بشير، كان عاملاً لعمر على سوق المدينة، اختلف في سنة وفاته، وقد قيل: إنه آخر من مات من الصحابة بالمدينة.

انظر: الاستيعاب (٣١٣) [١٠٧٤]، الوافي بالوفيات ١٥/ ٦٦) [٤٧٢٥]، الإصابة (١/ ٦٨٧) [٣٠٧٨].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) [٧١٧]، وصححه محقق فضائل الصحابة، والآجري في الشريعة (ص٧٣٤) [٢١١٨]، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٤١٤، ٤١٥) [٣٣٠]، واللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٧٠١، ٧٠٢) [١١٣٦]، ورجاله ثقات كما قال محقق شرح السُّنَّة، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٤١٢)، وأورده الإمام نصر المقدسي في مختصر الحجة (٢/ ٥٤٥، ٥٤٦) [٥٢٣]، وقد صححه ابن حجر في الإصابة وقال: أخرجه ابن الأنباري من وجه آخر عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بسند صحيح (٢/ ٩١٤).

٤ ـ عن سليمان بن يسار[١] أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ بن عِسل قدم المدينة، وكان عنده كتب وكان يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعد له عراجين[٢] النخل، فلما دخل عليه قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر، وأومأ إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه وجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي[٣].

٥ ـ عن الحسن قال: سأل صبيغ التميمي عمر بن الخطاب عن (الذاريات ذرواً) وعن (المرسلات عرفاً) وعن (النازعات غرقاً)؟ فقال عمر: اكشف رأسك، فإذا له ضفيرتان، فقال: والله لو وجدتك محلوقاً لضربت عنقك، ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يكلمه مسلم ولا يجالسه[٤].

٦ ـ عن ابن إسحاق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، ما (النازعات غرقاً)؟ فقال عمر: من أنت؟ قال: امرؤ من أهل البصرة، من بني تميم ثم أحد بني سعد، قال: من قوم جفاة، أما إنك لتحملن

---

(١) سليمان بن يسار الهلالي، أحد الفقهاء السبعة، أخو عطاء بن يسار، مولى ميمونة بنت الحارث، روى عن جمع من الصحابة كابن عمر، وابن عباس، وجابر، وميمونة، وأبي هريرة، كان ثقة عالماً رفيعاً فقيهاً كثير الحديث، قال مالك: كان سليمان بن يسار من علماء الناس بعد ابن المسيب، توفي سنة (٧٣هـ)، وقيل غير ذلك.
انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٤١) [١٩٠١]، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٤)، تهذيب التهذيب (٢/ ١١٢، ١١٣).

(٢) العراجين: جمع عُرْجُون، وهي: أصل العذق الذي يعوج وتُقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابساً. انظر: الصحاح للجوهري (٥/ ٢١٦٤).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ـ باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (٦٩) [١٤٦/ ١٥]، والآجري في الشريعة (٧٣٤) [٢١١٩]، واللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٧٠٢) [١١٣٨]، والهروي في ذم الكلام (٤/ ٦، ٧) [٧١٨]، وذكره الصابوني في عقدية السلف (٢٤١، ٢٤٢)، وساقه القرطبي في تفسيره بسند أبي بكربن الأنباري (١٧/ ٢٩)، وأورده المقدسي في مختصر الحجة (٢/ ٥٤٦) [٥٢٤]، كلهم من طريق حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار، وسليمان بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب، ورجال الإسناد ثقات كما قال محقق مختصر الحجة لأبي نصر المقدسي، وأخرجه كذلك ابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٤١٠، ٤١١)، وساقه ابن حجر في الإصابة بسند الدارمي (٢/ ٩١٣).

(٤) عزاه السيوطي إلى الفريابي كما في الدر المنثور (١٣/ ٦٦٤)، ومثله عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي (ص١٥٢).

إلى عاملك ما يسوءك، ولهَزَه(١) حتى فرت قلنسوته فإذا هو وافر الشعر فقال: أما إني لو وجدتك محلوقاً ما سألت عنك، ثم كتب إلى أبي موسى، أما بعد: فإن الأصبغ بن عليم التميمي تكلف ما كُفي، وضيّع ما ولي، فإذا جاءك كتابي هذا فلا تبايعوه، وإذا مرض فلا تعودوه، وإن مات فلا تشهدوه... إلخ(٢).

٧ ـ عن أبي عثمان النهدي(٣) عن صبيغ أنه سأل عمر بن الخطاب عن (المرسلات) و(الذاريات) و(النازعات)؟ فقال له عمر: ألق ما على رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال له: لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك، ثم كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوا صبيغاً، قال أبو عثمان: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه(٤).

٨ ـ عن أنس أن عمر بن الخطاب جلد صبيغاً الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره(٥).

٩ ـ عن أبي العَدَبَّس(٦) قال: كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال:

---

(١) لَهَزه: اللَّهز: الضرب بجُمع الكفّ في الصدر، ولهزه بالرمح إذا طعنه به. انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٨١).

(٢) رواه الدارمي في سننه مختصراً عن نافع مولى ابن عمر كما تقدم (ص٧٠، ٧١) [١٥٠/ ١٩]، وفي سنده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وفيه غفلة كما في التقريب (ص٥١٥) [٣٤٠٩]، وتابعه في روايته عن الليث عبد الله بن وهب المصري كما عند ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٦، ٥٧).

(٣) عبد الرحمٰن بن ملّ بن عمرو بن عدي البصري، مخضرم مُعمر، أدرك الجاهلية والإسلام، الإمام الحجة، حدث عن جماعة كثيرين من الصحابة، كعلي، وعمر، وابن مسعود، وأبي بلال، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ثقة كبير، شهد وقعة اليرموك، وكان من سادات العلماء العاملين، مات سنة (١٠٠هـ)، وقيل: (٩٥هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٩/ ٩٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٥)، تهذيب التهذيب (٢/ ٥٥٥).

(٤) ورد عند أبي نصر المقدسي في الحجة (٢/ ٥٤٩) [٥٢٨] وحسن محققه هذا الإسناد، وابن بطة في الإبانة (١/ ٤١٤) [٣٢٩]، والخطيب في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (ص١٥٢، ١٥٣) [٨٠]، والهروي مختصراً في ذم الكلام (٤/ ٧) [٧١٩]، وذكره أبو نصر المقدسي في الحجة (٢/ ٥٤٨) [٥٢٧]، وصحح محقق الحجة سند الهروي في ذم الكلام، وقال عن سند ابن بطة: رجاله ثقات إلا أن شيخ ابن بطة لم أجد له ترجمة (٢/ ٥٤٨).

(٥) ساقه مسنداً الآجري في الشريعة (٧٣٣) [٢١١٧]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٤١١). انظر: الدر المنثور (٣/ ٤٦٣).

(٦) هو: منيع بن سليمان الأسدي ويقال: الأشعري الكوفي، ويطلق عليه: أبو العدبَّس الأكبر =

يا أمير المؤمنين ما (الجوار الكنس)؟ فطعن عمر بمِخْصَرة معه في عمامة الرجل فألقاها عن رأسه، فقال عمر: أحروريٌّ؟ والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك[1].

١٠ ـ عن محمد بن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن لا تجالسوا صبيغاً، وأن يحرم عطاءه ورزقه[2].

❁ المسألة الخامسة ❁

موقف علي بن أبي طالب من سؤالات ابن الكوَّاء[3] فيما أشكل عليه من القرآن

١ ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة[4] قال: شهدت علي بن أبي طالب يخطب فقال في خطبته: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم

= تمييزاً له عن أبي العدبَّس الأصغر، روى عن عمر، وعنه: عاصم بن بهدلة، وعاصم الأحول، وأبو الورقاء سالم بن مخراق، ذكره ابن حبان في الثقات، وعلى التفريق بين الأصغر والأكبر أبو حاتم وابن منده، وصوب ذلك ابن حجر كما في التقريب والتهذيب.
انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٨٢، ٨٣) [٧٥١٢]، تهذيب التهذيب (٤/ ٥٥٥، ٥٥٦)، تقريب التهذيب (١١٧٧ ـ ١١٧٨) [٨٣١٢].

(١) أخرجه أبو أحمد الحاكم في كتاب الكنى، كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٢٧٢)، والمخصرة: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا، لسان لعرب (٢/ ١١٧٢)

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٤١٣)، وعزاه كذلك في الدر المنثور إلى ابن الأنباري في المصاحف (٣/ ٤٦٣).

(٣) هو: عبد الله بن أوفى، وقيل عبد الله بن عمرو بن النعمان بن ظالم، أبو عمرو، ويقال: أبو الكوَّاء اليشكري المعروف بابن الكوَّاء، من رؤوس الخوارج، كان له أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعنته بالأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج ولازم الإمام علي، قال البخاري: لا يصح حديثه.
انظر: تاريخ دمشق (٢٧/ ٩٦) [٣٩١٥]، لسان الميزان (٤/ ٥٤٩) [٥٣٨٥].

(٤) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الليثي المكي، أبو الطفيل، ولد عام أحد، ومات سنة مائة أو نحوها، يقال إنه آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ، روى نحو أربعة أحاديث، روى له الجماعة، كان يعترف بفضل الشيخين إلا أنه يقدم علياً، وكان محباً له.
انظر: التاريخ الكبير (٦/ ٤٤٦) [٢٩٤٧]، الوافي بالوفيات (١٦/ ٣٣٣) [٥٨٥٧٨]، الإصابة لابن حجر (٤/ ٢٢٧٧) [١٠١٥٧].

أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل، فقام إليه ابن الكوَّاء فقال: يا أمير المؤمنين: ما الذاريات ذرواً؟ فقال له: ويلك!! سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾: الرياح، ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾: السحاب، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾: السفن، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾: الملائكة، فقال: ما السواد الذي في القمر؟ قال: أعمى يسأل عن عمياء، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فمحو آية الليل السواد الذي في القمر، قال: فما كان ذو القرنين أنبياً أم ملكاً؟... قال: فما (البيت المعمور) قال: البيت فوق سبع سمٰوات تحت العرش يقال له: (الضُّراح)، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، قال: (فمن الذين بدلوا نعمة الله كفراً)؟ قال: هم الأفجران من قريش، قد كفيتموهم يوم بدر، قال: فمن ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾؟ [الكهف: ١٠٤] قال: قد كان أهل حروراء منهم[(١)].

٢ ـ عن خالد بن عرعرة[(٢)] قال: قال علي: سلوني عما شئتم ولا تسألني

---

(١) رواه ابن عيينة في تفسيره بسند صحيح بنحوه كما في فتح الباري (٨/ ٤٦٤)، وتغليق التعليق (٤/ ٣١٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٥)، والفريابي كما في فتح الباري بنحوه (٨/ ٤٦٤)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٣٣) [١٣١٢٣] [١٣١٢٤]، وذكره الشاشي في مسنده (٢/ ٩٦) [٦٢٠]، ورواه الحاكم في المستدرك مختصراً (٣/ ٢٧١) [٣٧٨٨]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٦٤، ٤٦٥) [٧٢٦]، وصححه محققه، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٠٠، ١٠١)، وقد ساقه ابن عساكر بألفاظ متعددة بأكثر من إسناد، فساقه عن الضحاك بن مزاحم عن النزَّال بن سبرة الهلالي بنحو من حديث أبي الطفيل هذا (٢٧/ ٩٩، ١٠٠)، وكذا في إسناده عن سعيد بن عبيد الطائي عن علي بن ربعة مختصراً، وفيه السؤال عن أول أربع آيات من الذاريات (٢٧/ ٩٩)، قال ابن حجر: وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي، فتح الباري (٨/ ٤٦٤)، قال محققو المطالب العالية: فالخلاصة أن المروي عن علي ﷺ صحيح، فأكثر طرقه صحيحة، وما كان منها ضعيفاً فضعفه منجبر إلا ما ندر (١٥/ ٢٧٥)، وكذا رواه بطوله ـ وفيه بعض الزيادات ـ ابن منيع في مسنده كما في المطالب العالية (١٥/ ٢٧١) [٣٧٢٨] عن رجل عن زاذان، والضياء في المختارة عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل (٢/ ١٧٦)، وأخرج الأزرقي في أخبار مكة بعضه (١/ ٤٩، ٥٠) [٥٥٦] [٥٥٧].

(٢) خالد بن عرعرة التيمي، سمع علي بن أبي طالب، وروى عنه سماك والقاسم بن عوف =

إلا عما ينفع أو يضر، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما (الذاريات ذرواً)؟ قال: ويحك ألم أقل لك لا تسألني إلا عما ينفع أو يضر؟ تلك الرياح، فما (الحاملات وقراً)؟ قال: هي السحاب، قال: فما (الجاريات يسراً)؟ قال: تلك السفن، قال: فما (المقسمات أمراً)؟ قال: تلك الملائكة، قال: فما (الجوار الكنس)؟ قال: تلك الكواكب، قال: فما (السقف المرفوع)؟ قال: هي السماء، قال: فما (البيت المعمور)؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضُراح وهو بحيال الكعبة ومِن فوقها... إلخ(١).

التأصيل

١ ـ علم مشكل القرآن له أصل في حديث النبي ﷺ حيث عرض الصحابة الكرام ما أشكل عليهم من تفسير القرآن على النبي ﷺ فوجدوا عنده الجواب الذي يشفي ومن الغُلَّة يروي.

ومن هذا يستخرج فوائد عدة:

أ ـ أنه ليس بمستنكر ولا مستهجن أن يعرض لصفوة الناس وخير الصحب ﷺ ما يشكل من فهم القرآن أو يخفى عليهم من معانيه؛ لأن من غير

= الشيباني. انظر: التاريخ الكبير (٣/ ١٦١) [٥٥٧]، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٣٤٣) [١٥٤٧]، [٣٧٣٠].

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (١٥/ ٢٦٩) [٣٧٢٨]، والحارث في مسنده. انظر: بغية الباحث (١/ ٤٦١) برقم [٣٨٨]، وقد ذكر مع المطالب (١٥/ ٢٧٠) [٣٧٢٨ ـ ٢]، وضعف محققو المطالب إسنادي الأثر في مسند إسحاق، ومسند الحارث، وأخرجه الطبري في تفسيره مختصراً (٢١/ ٤٧٩)، وساقه الطبري كذلك بإسناد آخر عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم (٢١/ ٤٨٠)، وروى نحوه عبد الله بن وهب في تفسيره (١/ ٩٦) [٢١٩] عن أبي الصهباء البكري عن علي، وفيه السؤال عن الأربع آيات الأولى من سورة الذاريات، وعن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣﴾ وفيه زيادة قوله: فرقى إليه درجتين فتناوله بعصى كانت بيده فجعل يضربه بها، ثم قال علي: أنتَ وأصحابُك (١/ ٩٦) [٢١٩]، والحاكم بنحوه مختصراً عن خالد بن عرعرة (٣/ ٣٤٧) [٣٩٤٢]، والبيهقي في شعب الإيمان عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي (٣/ ٤٣٦) [٣٩٩١]، ورواه الضياء في المختارة (٢/ ٦٠) [٤٣٨] مطولاً وفيه زيادات، وحسن محقق المختارة هذا الإسناد وهو من طريق سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة به، وقد ساق ابن كثير أثر علي من طريق خالد بن عرعرة وقال معقباً: «ثبت أيضاً من غير وجه» (١٣/ ٢٠٧).

المقدور الإحاطة بعلم القرآن كله على وجه الاستيعاب بحيث لا يفوت منه جليل ولا دقيق.

ب ـ أن الواجب المتحتم على من أشكل عليه شيء من القرآن أن يتوجه بالسؤال إلى من يعلم حتى يرفع عنه ما أبهم ويُجلي له ما أوهم.

ولهذا توجه الصحابة الكرام إلى النبي المعصوم ﷺ؛ لأنه أعلم الناس بكلام ربه، قد أتقن معانيه كما ألفاظه، وهو الذي يتوجب الاستفهام منه وعرض المشكل عليه، ثم في كل زمان بعده من عرف بالعلم والدراية والإتقان والإصابة.

ج ـ عدم الإنكار على من سأل عما خفي عليه من معاني القرآن، فقد عُلم اختلاف الناس في العلم وتباينهم في الفهم، وأمر الإشكال أمر نسبي، فقد يخفى على فئة أو فرد وعند غيره من الواضحات البينات، وقد تعامل المصطفى ﷺ بما تقتضيه مهمة البيان والبلاغ فأجابهم عن مشكلاتهم، وبيَّن لهم ما قصرت فهومهم عن إدراكه.

٢ ـ قد لاح من ثنايا نصوص الصحابة من ما سألوا النبي ﷺ عن مشكل القرآن أنه على أقسام:

الأول: خفاء المعنى على الصحابي بالكلية، واستغلاق معرفة المراد ابتداءً.

الثاني: أن يتبادر إلى أذهانهم معنى من معاني الآية الظاهرة ثم يستشكل هذا المعنى الذي تقرر لديهم، فيحتاج إلى بيان وتجلية.

الثالث: أن يتضح المعنى ويعلم، لكن يتعلق الإشكال بجانب من جوانب الآية كالكيفية أو الطريقة، أو تعلق الإيهام بأحد الأعلام المذكورين في القرآن، ونحو ذلك.

أما الأول فمثاله: حديث عدي بن حاتم المتقدم، فهو قد خفي عليه المراد ولم يكن قد أصاب وجهاً للمعنى فأشكل عليه، ولذلك غدا إلى النبي ﷺ مستفسراً فبين له أن المراد بالخيط الأسود والخيط الأبيض سواد الليل وبياض النهار.

ومثال الثاني: حديث ابن مسعود في تفسير قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ آية الأنعام،

فقد فهم الصحابة من قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أنه عام شامل أنواع الظلم كلها التي لا يسلم العبد من وقوعه في بعضها ولو بلغ في سُلَّم العبودية ما بلغ.

فوضح لهم النبي ﷺ أن المراد بالظلم في الآية الشرك، فالمثال ههنا دال على استشكال المعنى الذي فهموه، وهو ظاهر يمكن اعتباره لولا البيان النبوي بالمراد، وتصويبه هذا الفهم الذي تبادر لهم.

ومثال الثالث: معرفة الصحابي معنى حشر الناس على وجوههم، فالمراد بالآية وما تدل عليه ألفاظها واضح لكن خفي عليه كيفية ذلك، فجاء البيان النبوي لا للمعنى ولكن للكيفية بالتذكير بقدرة الله وأن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه في الآخرة، ومثال آخر: استشكال المقصود بـ (هارون) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨].

٣ ـ استشهد النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] عندما وضح للصحابة ما أشكل عليهم من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وهذه طريقة لتعضيد المعنى الذي يرتفع به الإشكال ويتبين، وسيأتي لهذا مزيد بيان.

٤ ـ وقع الإشكال لخيار الصحابة وكبارهم كما حصل للصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم من علماء صحابة رسول الله ﷺ، ومثل هذا ـ كما تقدم ـ ليس بمنكر ولا مستدفع.

وقد ساروا على ما رسخ عندهم من هدي النبي ﷺ وتعليمه، فعرضوا الإشكال على من علت رتبته في العلم، فهذا عمر يسأل أُبي بن كعب وكان ممن أوتي حظاً عظيماً في العلم بالقرآن، وفي آثار أخرى يعرض المشكلات والمسائل الأُمهات على ابن عباس، ويقول له: غُصْ غوَّاص، ولا يكون ذلك إلا بالغوص على دقائق المسائل، وخفيات المعاني.

ومن هذا يتبين وجوب الرد إلى العلماء الراسخين، في ما يعرض من مشكلات القرآن سيراً على منهاجهم واقتفاءً لآثارهم، وفي آثارهم ما يدل على أنهم إذا سمعوا جواباً عن النبي ﷺ عما أشكل لا يحيدون عنه، فأُبي بن كعب وسلمان الفارسي وغيرهما أجابوا عن آية الأنعام بما أجابهم به النبي ﷺ ولم يعدلوا عن قوله.

٥ ـ جاء في آثار عن عمر، ومعاذ، وأُبي بن كعب قولهم: (وما أشكل عليكم فكِلوه إلى عالمه).

وهذه الجملة تعليم للواجب عند وقوع الإشكال من رده إلى العالم به البصير بتأويله، وقولهم هنا (عالمه) يحتمل أمرين:

إما أن يراد به المولى ﷻ، فتقول لما أشكل عليك وخفي: الله أعلم بمراده من كلامه، وهذا الأدب الملائكي ذكره الله عن ملائكته لما قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وإما أن يراد بـ (عالمه) العالم به من ذوي العلم ممن حاز من العلوم والمعارف ما يفتح به المستغلق من المعاني.

فإن أُريد هذا فهو تذكير بالسؤال عن المشكل والسعي في رفعه والتنقيب عن المراد.

وإن كان المقصود الأول فلا ينافي المتقرر من مشروعية السؤال عن المشكلات؛ لأن نصوصهم الأخرى تشرع ذلك وتحث عليه.

بل لا تنافي بين رد الأمر إلى العالم به ﷻ وبين البحث عن ما يوضح المعنى ويفسر الآي، فتجمع بين الأمرين.

٦ ـ ورد عن علي ﷺ لما أشكلت عليه آية الطلاق في سورة البقرة قوله: (فدرست القرآن) أو (فدارست القرآن)، وتحت هذه الجملة واحد من مفاتيح حل المشكلات وهو:

«مدارسة القرآن» ويعني: النظر فيه وتأمله، وتدبر مبانيه طلباً لمعانيه.

فالتدبر التام والنظر العميق سبيل لتجلية ما يشكل من القرآن، وعليٌّ ﷺ حين درس القرآن كما في الأثر اهتدى إلى العلم بتفسير الآية وارتفع عنه ما وجد من الإشكال، وهذا فيه دليل على أن من يعرض له المشكل ويجتهد في رفعه قد يجد بنفسه سبيلاً إلى رفعه دون عرضه على أهل العلم متى ما طرق الوسائل الموصلة إلى ذلك والتي منها (التدبر).

٧ ـ في النصوص ما يشير إلى أن أشد آيات القرآن إشكالاً على الصحابة آيتان: الأولى: آية الكلالة، كما في حديث عقبة بن عامر، وصح عن عمر تردده على النبي ﷺ مستشكلاً لها فرده إلى آية الصيف.

والثانية: قوله تعالى: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ. . .﴾ [المائدة: ١٠٦] فقد روى الواحدي عن عمر أن هذه الآية أعضل ما في السورة من الأحكام، وقد تقدم الخبر.

فهاتان الآيتان نصوا على أنهما معضلتان، وفي التعبير بالمعضل بيان إلى عظم إشكالها، فهي أبلغ في معنى الإشكال من قول: مشكلة أو أشكلت، أو هي من المشكل.

وأمر الإشكال نسبي، فما يستشكله البعض قد يكون عند غيره متضح المعنى، فأثر عمر الذي ودَّ أن رسول الله ﷺ لم يفارقهم حتى يعهد إليهم عهداً، منها: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا لا يدل على خفائها على جميع الصحابة، بل غاية الأمر فيها أن هذه مما أشكلت على عمر، وكان أشدها إشكالاً آية الكلالة.

وهي واضحة عند مجموع الصحابة بدليل آثارهم التي طفحت بها كتب التفاسير، ولا يعني ذلك انتفاء الإشكال في بعض الآيات، بل هو إشكال متفاوت عند مجموع الصحابة.

وقد يعرض للفاضل من الإشكال ما ليس عند المفضول، فهذا عمر أشكلت عليه بعض الآيات ووجد بيانها عند ابن عباس، فالإشكال على هذا يتباين، وقد يعلق بذهن من هو أعلى رتبة وأسمى درجة من غيره.

٩ ـ بدا جلياً اهتمام الصحابة بالمشكل واعتناؤهم به من خلال سعيهم في رفعه عند وروده، وكذا طلب سؤالهم عما أشكل؛ كقول علي رضي الله عنه: «ومن أشكل عليه شيء من كتاب الله فليسألني».

وكذلك عدم التقريع والذم للسائل عن المشكل، بخلاف ما ورد في قصة صَبيغ بن عِسل مع عمر، أو في سؤال ابن الكواء علياً وهي قريبة منها، فإن ما اتخذه عمر من مواقف صارمة وما أوقعه على صبيغ من العقوبة حالة خاصة لها ما يبررها، وسيأتي بيانه، أما من يطرأ عليه المشكل ويظهر لديه ما يوجب السؤال فلا مانع من ذلك ولا حرج، ولا مندوحة عن مثل هذا لوقوعه حتى لكبار الصحابة، وإذا وقع ما يشكل تحتم رفعه والإجابة عنه بما يُزيل الموهم ويُقرر المعنى.

ومن المسائل التأصيلية في هذا ما يستنبط من أثر علي في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وهو جواز عرض المشكل ورفعه بالبيان أمام الناس، وإن لم يقع الإشكال إلا لبعضهم، فإن علياً قام خطيباً لما بلغه عن بعض من جهل معنى الآية ما بلغه من تأويل فاسد أفضى إلى قول عظيم وهو اعتقادهم جهلاً بالآية، أن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون.

فبيَّن علي المراد الصحيح والفهم السليم للآية أمام الناس؛ حتى يعلم الجاهل ويَسُد باب التأويل الباطل الموصل إلى الأقوال المنكورة المردودة، ولعل في بعض الحاضرين من اشتبهت عليه الآية كما اشتبهت على أولئك، فيكون في هذا حسمٌ للشبهة ودرءٌ للفتنة.

ومن الفوائد في الأثر كذلك أنه يصح لمن عرف من نفسه العلم الراسخ والمعرفة بوجوه الآيات ورفع مشكلها أن يبين للناس علمه ويظهر دقيق فهمه؛ لئلا يغتر العوام بالجهال، ويتوجهوا بالسؤال لمن قلَّ حظه من العلم فيجانبه الصواب، ويلقي في النفوس الارتياب.

ومن الفوائد كذلك أن خفاء بعض المعاني وغموض المراد منها على درجات متفاوتة، فمنها ما يورث شبهة تخلف اعتقاداً باطلاً، ومنها دون ذلك، حتى تصل إلى استشكال ما لو لم يعلم المقصود لما ضرَّ صاحبه ولا جرَّ له معرَّة الجهل بما أشكل عليه. والله أعلم.

١٠ ـ من مجموع هذه الآثار الواردة عن الصحابة يمكن تقسيم ما أشكل عليهم إلى أنواع:

أ ـ الإشكال بسبب خفاء المعنى ابتداء، كما وقع لعدي بن حاتم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أو مثل ما وقع لعلي بن أبي طالب في آية الطلاق في البقرة، وقد تقدم الأثر في ذلك.

ب ـ الإشكال لغرابة اللفظ، وهنا يمكن اعتبار قصة عمر في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٣١] مثالاً صالحاً لهذا النوع، حيث توقف عمر في تبين معنى (الأب) وختم الأثر بقوله: وما أشكل عليكم فكِلوه إلى عالمه.

وأما جعل قصة ابن عباس مع نافع الأزرق في سؤالاته عن ألفاظ من غريب القرآن مثالاً للمشكل عندهم في علم الغريب[(١)]، فليس الأمر كذلك؛ لاحتمال أن يكون نافع أراد الاختبار وقصد التعنت في سؤالاته ابن عباس، وليس بالظاهر في تلك الآثار أنه استشكل ما سأل عنه، إنما أراد ـ والله أعلم ـ إيقاع ابن عباس في الحرج وقياس علمه بالقرآن.

ج ـ الإشكال لخفاء المعنيّ بالآية والمخاطب بها.

ومثال ذلك: استشكال مروان بن الحكم قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨] حتى بيَّن له ابن عباس المقصود بالآية ومن يُعنون بها، وأنها نازلة في أهل الكتاب.

د ـ الإشكال بسبب توهم مخالفة الآية للواقع.

ومثال ذلك: سؤال الرجل علي بن أبي طالب في قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] حيث قال: وهم يقاتلون فيظهرون ويقتلون، فظن أن معنى الآية في الدنيا، فرفع عنه علي بن أبي طالب ما توهمه بأن ذلك واقع في الآخرة لا في الدنيا.

هـ ـ الإشكال بسبب أحد أوجه القراءات في الآية، مثال ذلك: مشكل آية يوسف عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠] مُخفَّفةً، فهذا الوجه من القراءة هو سبب وقوع الإشكال عند الصحابة فمن بعدهم، وقد انقسموا في تأويلها إلى أقوال عدة، وسيأتي إيضاح ذلك.

و ـ الإشكال بسبب إبهام علم من الأعلام المذكورين في القرآن، ومثاله حديث المغيرة بن شعبة لما أوردوا عليه شبهة في قول الله تعالى حكاية عن مريم، ومخاطبة قومها لها: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] مع أن بين زمن عيسى وزمن موسى وهارون حِقباً متطاولة.

١١ ـ الطرائق المأثورة عنهم في حل الإشكال ورفع الإيهام.

جادت نصوصهم بعدد من الطرائق التي يمكن معها رفع مشكل القرآن وتبين وجه الآية الصحيح، ومن أبرز تلك الطرائق:

---

(١) مشكل القرآن للدكتور/ حمد المنصور (ص٩٠، ٩١).

أ ـ مدارسة القرآن كما في حديث علي بن أبي طالب: فدرست القرآن، وهذا يعني تدبره وتأمله حق التأمل طلباً لمعرفة المراد وتبين التفسير.

ب ـ التنقيب عن آيات من القرآن تقضي على ما أشكل من الآية وتعود عليها بالبيان والإيضاح.

وهذا له أصل في حديث النبي ﷺ حيث بيَّن لهم ما استشكلوه من معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] بيَّن معنى الظلم معززاً ذلك بآية لقمان الكاشفة للمراد ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وابن عباس لما اختار تأويلاً لقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ مُخفَّفَةً، بأن الرسل كانوا بشراً فكان هذا الظن لما طال البلاء، استدل لهذا بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فالنظر في القرآن وآياته التي يجمعها موضوع واحد أو معنى متسق سبيل إلى كشف المشكل.

ج ـ العلم بأسباب النزول طريق إلى حل المشكل وجلائه وهذا متقرر عند أهل علوم القرآن.

فقد ذكر ذلك الزركشي، والسيوطي الذي قال: وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آياتٍ حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال(١).

ومثاله حديث عبد الله بن عباس لما أشكل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨] على مروان بن الحكم، فبين له ابن عباس سبب نزول الآية الذي به عرف المراد بها المخاطب بما فيها، فارتفع الإشكال وزال الإيهام.

ومثال آخر: حديث عروة بن الزبير وسؤاله عائشة عن آية ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

د ـ معرفة سياق الآية باب كبير من أبواب حل المشكل، فإن العلم

---

(١) انظر: لباب النقول (ص٧)، وقال في الإتقان عند حديثه عن فوائد أسباب النزول: ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال (١/ ١٩٠) ومثله ماقال الزركشي في البرهان (١/ ٥٠).

بسياق الآية وسباقها يقود إلى كشف غامضها ووضوح خفائها، فالسياق طريقة معتمدة لمعرفة المشكل عند السلف.

مثال ذلك: ما مر في أثر علي لما سئل عن قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

فقد رد على المستشكل بأن الآية في سياق الحديث عن يوم القيامة، وقرأ قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ١٤١] مما يجعل تأويل الآية كائناً يوم القيامة لا في الدنيا كما توهمه السائل.

١٢ ـ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠]. كان مثار الإشكال في قراءة التخفيف ﴿كُذِبُوا۟﴾، أما قراءتها مُثقَّلةً فالمعنى لا غبار عليه، وقد انقسم الصحابة فمن بعدهم في تأويل قراءة التخفيف إلى ما يلي:

- منهم من ظهر منه دفع القراءة بالتخفيف؛ لما تحتمله من معنى ينافي عصمة الأنبياء وما تيقنوه من وعد الله لهم، كما في تفسير عائشة رضي الله عنها.
- ومنهم من أوَّل القراءة بأن الأنبياء كانوا بشراً واستبطؤوا النصر لما طال عليهم البلاء كابن عباس مستشهداً بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] فكأن هذا خاطرٌ من حديث النفس المعفو عنه.
- ومنهم من جعل الظن صادراً عن أتباع الرسل المؤمنين لا من الرسل الموقنين بما وعدهم الله عز وجل، أو أن الظن صادر من الأمم لرسلهم[١].

المقصود هنا أن سبب الإشكال هو وجه القراءة بالتخفيف، وقد عُلم كيف تعامل الصحابة وغيرهم مع الإشكال، وكيف تعددت طرائقهم في رفعه.

١٣ ـ مذاكرة المسائل وسؤال أهل العلم عن المشكل منهج للصحابة والتابعين، كما هي الآثار الواردة عنهم في ذلك، وفيه جواز أن يبين السائل عظم ما يلقاه من الإشكال (تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة) و(قد بلغت مني كل مبلغ).

---

(١) انظر للتوسع في معنى الاية: جامع البيان (١٣/ ٣٨٣ ـ ٣٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٧٥)، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٧٥ ـ ١٧٩)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦٣ ـ ٥٦٦).

١٤ ـ في أثر ابن شهاب الزهري لما سئل عن آية المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المائدة: ١٠٦] ما يدل على اهتمام الأوائل بسماع مأثور في الآية عن النبي ﷺ وعن أئمة العلم من صحابته فمن بعدهم، ولذا صدَّر الزهري ما أجاب به السائل بأنه لم يسمع في هذه الآية عن النبي ﷺ ولا عن أئمة العامة سُنَّةً يذكرها، وهذا يشعر أنه لو سمع أثراً تمسك به ولم يعدل عنه.

وتضمن سؤال المستشكل عن الآية في هذا الأثر بعض جوانب الإشكال في آية المائدة، وهذا يدل على أن مذاكرة المشكل مع العلماء والسؤال عنه يقود إلى إظهار أوجه الإشكال فيها، وحينها يكون السبيل إلى كشف الغامض وتجلية الخفي.

١٥ ـ في تفسير الحسن البصري قوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ ذكر ثلاثة علوم، وحق كل واحد منها: المحكم وحقه العمل به، المتشابه وحقه الإيمان به، المشكل وحقه أن يوكل إلى عالِمِه، فانظر إلى تفريقه بين المتشابه والمشكل، وترتب على ذلك اختلاف الواجب تجاه كل علم.

١٦ ـ هذه خلاصة قصة صَبيغ بن عِسل وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يكثر السؤال عن مشكل القرآن أو متشابهه في ضوء ما جُمِعَ من آثار تلك الواقعة.

فأولاً: تقف بنا المرويات على حقيقة ما كان يسأل عنه صبيغ، وما أكثر ما تتبعه على جهتين:

إما بالنص على العلم القرآني الذي سأل عنه، وإما بذكر مجموعة من الآيات القرآنية التي ظهر اهتمامه بالتنقيب عنها وإدامة السؤال عن معناها.

فأما الأول: فمن مجموع الآثار ظهر الآتي:

١ ـ مشكل القرآن كما في رواية السائب بن يزيد.

٢ ـ متشابه القرآن كما في رواية سليمان بن يسار.

٣ ـ يسأل عن تأويل القرآن كما في رواية ابن المسيب التي رواها ابن عبد البر.

٤ ـ في مسألة عن حرف من القرآن كما في رواية أنس.

وأما الثاني: فالآيات المسؤول عنها من مضمون الروايات هي: أول أربعة آيات من الذاريات، و﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾ و﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾.

ثانياً: كشفت الآثار عن بعض أوصاف هذا المتتبع للمسائل وعن حاله وما كان عليه، وهو ما استوجب العقوبة الرادعة من عمر، وإليك بيان ذلك:

١ ـ أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فأبان هذا القول أنه كان يبث ما يشكل من القرآن في عوام المسلمين ممن لا علم لهم بالقرآن، مما قد يوقع الشك ويخلف الشبهة في قلوبهم.

٢ ـ إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه.

٣ ـ تكلف ما كُفي وضيَّع ما وُلي، وهذا يدل على أنه كان طالباً للعلم لكنه أخطأ الطريقة وتنكب المنهاج.

٤ ـ كان عمر يخشى أن يكون من الخوارج، ولذا في روايات عديدة كشف عن رأسه فإذا له ضفيرتان، وتوعده لو كان محلوقاً بضرب عنقه؛ لأن الخوارج سيماهم التحليق كما هو معلوم.

وهنا مكمن التحقيق في قصته وهو: هل كان موقف عمر منه لذات العلم التي تكلف السؤال عنه، أو للنهج المسلوك والطريقة المتبعة في طلب هذه المسائل من القرآن؟

وفيما يلي نصوص عدد من أهل العلم ممن أورد خبر صبيغ وما فهموه من سبب إيقاع العقوبة الزاجرة به.

قال الآجري: «فإن قال قائل: فمن سأل عن تفسير ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الذاريات: ١، ٢] استحق الضرب والتنكيل به والهجرة؟ قيل له: لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب هذه المسألة ولكن لما بلغ عمر رضي الله عنه ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه علم أنه مفتون، قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال

والحرام أولى. . . إلخ». اهـ[(١)].

وقال ابن بطة: «فلما بلغ عمر رضي الله عنه قدوم هذا الرجل المدينة وعرف أنه سأل عن متشابه القرآن وعن غير ما يلزمه طلبه مما لا يضره جهله ولا يعود عليه نفعه، وإنما كان الواجب عليه حين وفد على إمامه أن يشتغل بعلم الفرائض والواجبات والتفقه في الدين من الحلال والحرام، فلما بلغ عمر رضي الله عنه أن مسائله غير هذا علم من قبل أن يلقاه أنه رجل بطَّال القلب خالي الهمة عما افترضه الله عليه، مصروف العناية إلى ما لا ينفعه، فلم يأمن عليه أن يشتغل بمتشابه القرآن والتنقير عما لا يهتدي عقله إلى فهمه فيزيغ قلبه فيهلك، فأراد عمر رضي الله عنه أن يكسره عند ذلك ويذله ويشغله عن المعاودة إلى مثل ذلك»[(٢)].

قال الخطيب البغدادي: «ولهذا ضرب صبيغ بن عسل ونفاه وحرمه رزقه وعطاءه لما سأل عن حروف من مشكل القرآن، فخشي عمر أن يكون قصد بمسألته ضعفاء المسلمين في العلم، ليوقع في قلوبهم التشكيك والتضليل بتحريف القرآن عن نهج التنزيل، وصرفه عن صواب القول فيه إلى فاسد التأويل»[(٣)].

وقال ابن ماكولا: «وأما صُبيغ ـ بالصاد المهملة وغين معجمة ـ فهو صُبيغ بن عِسل الذي كان يسأل عمر عن غريب القرآن»[(٤)].

وقال في ترجمة عِسل بن عبد الله بن عسل: «. . . حدَّث عن عمه صبيغ بن عسل قال: جئت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي كان يتتبع مشكل القرآن، فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يجالس»[(٥)].

وقال أبو نصر المقدسي: «باب النهي عن طلب مشكل القرآن والتشديد فيه، وما يخاف من تأديته إلى المراء والاختلاف فيه، وحوطة الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ في ذلك وخوفهم منه». اهـ[(٦)].

ثم ساق أخبار صَبيغ بن عِسل.

---

(١) الشريعة (ص٦٢).
(٢) الإبانة الكبرى (١/ ٤١٦).
(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ٣٤١).
(٤) الإكمال في رفع الارتياب (٥/ ٢٢٣).
(٥) الإكمال في رفع الارتياب (٦/ ٢٠٦، ٢٠٧).
(٦) مختصر الحجة على تارك المحجة (٢/ ٥٤٥).

قال ياقوت الحموي في ترجمته عِسل والد صبيغ: «وعِسل رجل من بني تميم من ولده صبيغ بن عسل الذي كان يتتبع مشكلات القرآن، فضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمر أن لا يُجالس»[(١)].

وقال ابن قدامة: «... إنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته، ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغاً يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «وعمر رضي الله عنه نفى صَبيغ بن عِسل التميمي لما أظهر اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وضربه وأمر المسلمين بهجره سنة بعد أن أظهر التوبة، فلما تاب أمر المسلمين بكلامه»[(٣)].

وقال كذلك: «وقصة صَبيغ بن عِسل مع عمر من أشهر القضايا، فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ①﴾ فقال: ما اسمك؟ قال: أنا عبد الله صَبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وضربه الضرب الشديد»[(٤)].

وقال ابن كثير في تفسيره: «فإن قصة صَبيغ بن عِسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه؛ لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً، والله أعلم»[(٥)].

وقال ابن حجر: «صبيغ بن عسل الذي سأل عمر عن المتشابه»[(٦)].

قلت: قد تبين اختلاف أقوال العلماء في فهم ما كان عليه **صبيغ** وتحديد حاله وما تكلف السؤال عنه.

وفي سؤاله عن آيات الذاريات والنازعات ونحوها ما يرد دعوى سؤاله عن المتشابه؛ لأن هؤلاء الآيات ليست من المتشابه المقابل للمحكم، بل تكلم فيها السلف وأهل التفسير وبينوا معانيها، فليست مما لا يحل السؤال عنه

---

(١) معجم البلدان (٤/ ١٢٤).
(٢) ذم التأويل (ص١٠).
(٣) منهاج السنة النبوية (٣/ ٧٢٨).
(٤) فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣١١).
(٥) تفسير ابن كثير (١٣/ ٢٠٨).
(٦) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر (٣/ ٨٥٥).

وليست من المتشابه في شيء، ويعضد هذا أن رواية سؤاله عن متشابه القرآن ضعيفة الإسناد كما في رواية سليمان بن يسار.

ولعل قائلاً يقول: لم توضح الروايات جميع ما كان يتكلف السؤال عنه وينقب عن معانيه، وإنما ذكرت طرفاً من ذلك، فلعل سؤاله عن المتشابه في ما لم يُذكر من الروايات؟

والجواب عن هذا: أن في ما ذكر من مسائله دليلاً على ما لم يذكر، وما كان ليسأل عمر إلا عن أهم ما شُغل بالبحث والتنقير عنه من المشكلات، والله أعلم.

والخلاصة أن صبيغاً تكلف السؤال عن بعض مشكل القرآن يفصح عن ذلك رواية السائب بن يزيد التي صححها عدد من أهل الدراية بالحديث ومنهم الحافظ ابن حجر.

وأضاف إلى ذلك أموراً أنكرت عليه وهي:

١ ـ تتبع المشكل وتكلف السؤال عنه والتنقيب عن آياته ليس منهجاً مستقيماً؛ لأنه يفضي إلى زرع بذور التشكيك وتعريض إيمان العبد للفتنة وتتابع الشبهات المردية.

٢ ـ لعل صبيغاً ألقى مشكلات القرآن على عوام المسلمين، كما فُهم من مجموع الروايات أنه كان بعيداً عن المدينة فكان عمر يدعو أن يمكنه الله منه، وصرحت بعض الروايات ـ وإن كان إسنادها ليس بالمرضي ـ ببثه هذه المشكلات في أجناد المسلمين.

وهذا بثٌّ للشبهات في قلوب العوام وليس عندهم من العلم ما ينفي عنهم الريب وربما أورثهم ذلك شكاً وفتنة.

٣ ـ اشتغاله بهذه المسائل كان بديلاً لاشتغاله بالنافع من معرفة الحلال والحرام وما يلزم العلم به ومعرفته فابتغى العلم لكنه أخطأه علماً ومنهجاً. والله أعلم.

١٧ ـ قد يكون من المنهج السوي الجواب عن سؤال المشكل وتتبعه، ولذا أجاب عمر عن مسائل صبيغ في بعض الروايات، وأجاب عليٌ عن مسائل

ابن الكواء، فخطؤه في الاشتغال بما لا يجب لا يمنع من إجابته؛ لئلا يجتمع عليه الجهل بالمراد والخطأ في السؤال تعنتاً وتكلفاً.

١٨ ـ أوردت الرواية ما سئل عنه علي بن أبي طالب وخصوصاً من عبد الله بن الكواء اليشكري، وتكاد قصة علي معه أن تكون صورة أخرى لقصة عمر مع صبيغ.

ففي كل زمانٍ صبيغٌ.

ومما يلحظ في روايات علي هذه التي ثبتت من غير وجه كما يقول الحافظ ابن كثير، يلحظ اتفاقها في أمور واختلافها في أخرى.

فاتفقت في عدد من الآيات المسؤول عنها كأول الذاريات، والنازعات ونحوها.

واتفقت في ذم السائل وتقريعه كراهيةً لمسائله وإنكاراً لتنقيره عن المشكل.

فقد قال علي: ويلك سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً، وقال: ما العلم أردتَ، وقوله: ويحك! ألم أقل لك لا تسألني إلا عما ينفع أو يضر؟

واختلفت في إيقاع العقوبة الرادعة على هؤلاء المتكلفين المتعنتين في السؤال، وعلي رضي الله عنه لم يعاقب كما عاقب عمر، ولعل زمان علي لم يكن موائماً لفعل كفعل عمر رضي الله عن الجميع.

وأيضاً في المرويات عن علي وضوحٌ في الإجابة عن سؤال السائلين، فقد أجاب عن مسائلهم كلها على اختلاف أنواعها، ولم يخل من بيان كراهيته هذه السؤالات وأنها اشتغال بما لا ينفع وتفويت للأولى.

١٩ ـ ظهرت في مجمل نصوصهم تسمية هذا العلم بـ «مشكل القرآن» وبان أن الصحابة والتابعين يفرقون بين علم المشكل وعلم موهم الاختلاف، فلم يطلقوا على ما هو من مشكل القرآن أنه اختلاف، وإنما خصوا ذلك بما يتوهم تعارضه بين الآيات القرآنية، والمشكل ما عاد إلى النص القرآني نفسه بوجه من وجوه الخفاء أو الاستشكال.

٢٠ ـ يعرف مشكل القرآن بأحد طريقين:

١ ـ إما باللفظ الصريح، فينص على استشكال الآية أو أنها مشكلة ومعضلة،

أو من اللفظ غير الصريح كما ورد في آثارهم: آية بلغت مني كل مبلغ، أو آية أسهرتني ونحو ذلك من العبارات.

٢ ـ وإما بالحال فيظهر من حاله ويحتف بسؤاله أنها أشكلت عليه، وأعضل معناها لديه.

علم مشكل القرآن عند أهل علوم القرآن

١ ـ هذا العلم عند السيوطي متباين الوجهة، فجمعه مرة في علم واحد مع موهم الاختلاف، وأخرى خص المشكل بنوع مستقل في كتابه التحبير، لكنه جعله مقابل علم موهم الاختلاف في الحديث، وساق تحت هذا العنوان أمثلة كلها في علم موهم الاختلاف والتعارض.[١].

أما ابن عقيلة فسماه **«علم نصه ومشكله»** وعرف المشكل بأنه: ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر[٢].

وهذا التعريف فيه نفثة أصولية، وقد عرفه مرة أخرى عند ذكره موهم الاختلاف وقال: تقدم تعريف المشكل، وأنه هو الذي أشكل معناه فلم يتبين حتى بُيِّن. اهـ[٣]، وقد أجاد في فصله الموهم عن المشكل وتفريقه بينهما.

وللتذكير فإن الزركشي، والسيوطي لم يخُصا هذا العلم ـ على اعتباره مستقلاً منفصلاً عن علم موهم الاختلاف ـ بنوع منفرد، وإنما جاءت إشارات لهذا العلم في ثنايا بعض العلوم الأخرى كما سيأتي إيضاحه.

٢ ـ بعض أهل علوم القرآن يجعل المشكل هو المتشابه ولا يفرق بينهما، ومن هؤلاء الزركشي، فقال عند حديثه عن المحكم والمتشابه: «والمتشابه مثل المشكل»[٤].

فإن أراد مثله لغةً فهذا صحيح، وهو مسبوق إلى هذا بكلام ابن قتيبة الذي جعل المتشابه مثل المشكل وظاهر مراده أنه يقصد الدلالة اللغوية[٥]، وإن أراد اتحاد العلمين فلا، فإن المشكل مفارق للمتشابه قسيم المحكم.

---

(١) الإتقان (٤/ ١٤٧٠)، التحبير (٢٢١).

(٢) الزيادة والإحسان (٥/ ١٣٤).

(٣) الزيادة والإحسان (٥/١٩٦).

(٤) البرهان (٢/ ٨٠).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص١٠٢).

وإن التقيا في أمر واحد وهو التباس المعنى.

ولك أن تنظر في كتب علوم القرآن فترى الأمثلة المسوقة لعلم المحكم والمتشابه فتقطع بأن المشكل علم آخر، ويكفيك في هذا أن الصحابة والتابعين لم يطلقوا على المحكم والمتشابه أنه مشكل، وورد في بعض نصوصهم عند علم موهم الاختلاف وفي المشكل أيضاً التعبير بمتشابه القرآن، ودون النظر في أسانيد تلك الروايات فإنهم لم يطلقوا على ما توهم اختلافه أو أشكل معناه أنه متشابه إلا في حادثة نافع بن الأزرق في موهم التناقض أو في بعض مرويات قصة صبيغ.

وهذا يدل على أن بعض المتلبسين بالبدعة أهل الزيغ وأهل التعنت لا التفقه يرون ذلك متشابهاً، أو أنه في حقيقة أمرهم وقرارة نفوسهم قد ترقى الإيهام وتمكن الإشكال حتى صار متشابهاً، فإن ما يظن تعارضه أو يشكل تفسيره إذا لم يُبصر بمعناه الصائب قد يثير في النفوس الشبهة ويمكن من زرع الشك في الصدور.

والكافيجي قال عن المتشابه: يندرج فيه الخفي والمشكل(١)، وابن عقيلة جعل المتشابه مثل المشكل(٢)، ومن المعاصرين من جعل المشكل داخلاً في المتشابه فقال: ويدخل في المتشابه المجمل والمؤول والمشكل(٣).

وعندي أن التأليف في علوم القرآن لو انعتق من ربقة النهج الأُصولي لتمايزت العلوم وجدَّت في إظهار ما يتصل بالقرآن علوماً خاصةً تبحث كعلوم قرآنية لا علوم أصولية ـ وسيأتي مزيد بيان بإذن الله ـ.

٣ ـ ظهر مصطلح المشكل كعلم قرآني في وقت مبكر سواء كان في مرويات الصحابة والتابعين أو في التآليف اختصاصاً بهذا العلم كما فعل ابن قتيبة وغيره.

---

(١) التيسير في قواعد التفسير (ص١٨٧).

(٢) الزيادة والإحسان (٥/ ١١)، وابن عقيلة قال عن المتشابه: ونظيره المشكل، سمي بذلك لأنه أشكل؛ أي: دخل في مشكل غيره فأشبهه وشاكله. اهـ.
وقوله هذا مع إفراده المشكل بعلم مستقل ما يؤكد أنه ـ ومثله غيره ـ أرادوا أن المتشابه مثل المشكل لغةً لا علماً.

(٣) مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح (ص٢٨٢).

٤ ـ ساق بعض المصنفين في علوم القرآن قصة صَبيغ بن عِسل في ثنايا علم المحكم والمتشابه[١].

وهذا بناء على فهمهم حقيقة قصة صبيغ، وتقدم الكلام وبيان الصحيح إن شاء الله.

٥ ـ من المتقرر أن المشكل أكثر ظهوراً عند التابعين منه في زمن الصحابة، كما يذكره بعض الباحثين[٢].

ويعضد هذا القول أمران:

أ ـ أنه كلما بعد الناس عن عصر النبوة كلما ازدادت الحاجة إلى القول في التفسير، وتبعاً لهذا تكثر المشكلات، إذ لولا نشؤها لما احتاج الناس إلى إفاضة القول في علم التفسير.

ب ـ أنه إذا تقرر أن المشكل في أحد ضروبه يعني: خفاء المعنى، فهذا يؤكد أن المشكلات تزيد في كل زمان عما هي عليه في الزمان السابق؛ لأن كثيراً من المعاني تخفى بانحسار العلم وقلة العلماء، فيكثر السؤال عما أشكل وغمض من الآيات.

٦ ـ أبرز عدد من مؤلفي علوم القرآن[٣] أهمية العلم بأسباب النزول كوسيلة إلى رفع الإشكال عن الآيات وساقوا الأمثلة عن الصحابة في بعض الوقائع جُهِلَ السبب في نزولها فوقع الإشكال.

ومن تلك الأمثلة:

١ ـ حادثة مروان بن الحكم مع ابن عباس، وقد تقدمت.

٢ ـ قصة قدامة بن مظعون لما تأول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾ [المائدة: ٩٣].

---

(١) من أمثال الحافظ السيوطي (٤/ ١٣٤٥، ١٣٤٦)، والزرقاني في مناهل العرفان (٢/ ٢٧٧).

(٢) ذكر هذا الدكتور عبد الله المنصور في كتابه «مشكل القرآن» (ص٩٠).

(٣) مثل الزركشي في أسباب النزول (١/ ٤٩ ـ ٥٣)، والسيوطي في أسباب النزول (١/ ١٩٠ ـ ١٩٤)، وابن عقيلة ذكر بعضها تحت علم: نصه ومشكله (٥/ ١٣٤ ـ ١٣٦)، وانظر: الزيادة والإحسان (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٦).

٣ ـ سبب نزول قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

٤ ـ سبب نزول قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق: ٤].

وتبعهم عدد من المعاصرين ذاكرين هذه الأمثلة أو بعضها تحت الفائدة من العلم بأسباب النزول(١). فأتوا بها في بيان فوائد العلم بأسباب النزول، وأن من آكدها الوقوف على المعنى ورفع الإشكال.

وتعقيباً على ما ذكروه هنا أقول:

أ ـ ما ساقوه من الأمثلة يختلف باعتبار من أشكلت عليه الآية، فبعضها أشكلت على نفر من الصحابة، وبعضها وقع الإشكال من غيرهم كما في آية الطلاق، وآية القبلة في البقرة.

أما أبرز ما وقع إشكالاً للصحابة ورَفَعَه العلم بسبب النزول فأثر عروة مع عائشة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وحادثة مروان بن الحكم مع ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨].

ب ـ لو لم يفردوا علم مشكل القرآن بنوع مخصوص من أنواع علوم القرآن، وهو حال معظم من ألَّف في هذه العلوم وصنَّف، فإن هناك إشارات وكلاماً متفرقاً يمس هذا النوع في طيات علومٍ أخرى، وما في علم أسباب النزول أوضح مثال.

---

(١) انظر: مناهل العرفان (١/٩١ ـ ٩٣)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة (١٣٦ فما بعدها)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٣٠ فما بعدها)، غذاء الجنان بثمر الجنان، فضل عباس (ص١٣٤ فما بعدها)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (٢٠٠، ٢٠١)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجديع (ص٤٩، ٥٠).

الفصل الرابع

موهم الاختلاف والتعارض

وفيه مسألتان:

- المسألة الأولى: آية قرآنية تضمنت تفسيراتهم لها الإشارة لهذا العلم القرآني.
- المسألة الثانية: تقسيم الوارد عن الصحابة والتابعين في هذا العلم إلى طريقتين.

[موهم الاختلاف والتعارض]

المسألة الأولى

آية قرآنية تضمنت تفسيراتهم لها الإشارة لهذا العلم القرآني

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

قال قتادة: إن قول اللهِ لا يَخْتَلِفُ، وهو حقٌّ ليس فيه باطل، وإن قول الناس يختلف[١].

وقال محمد بن المنكدر عن الآية: إنما يأتي الاختلاف من قلوب العباد، فأما ما جاء من عند الله فليس فيه اختلاف[٢].

وفي قراءة هذين الأثرين يتقرر: أن كلام الله تعالى لا يخْتَلفُ ولا يُعارض بعضه بعضاً، بل هو حقٌّ كله لا يمكن أن يتناقض ولا يتطرق إليه خللٌ أو نقص بوجه من الوجوه، وما يتوهم من الاختلاف بين آي الكتاب فمرده

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٢٥١، ٢٥٢)، وابن المنذر (٢/ ٨٠٤) [٢٠٤١]، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٢) [٥٧١٥].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٢) [٥٧١٦]. انظر: الدر المنثور (٣/ ٥٤٨).
وقد ساق الطبري نصاً عن المفسر البارع عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم فيه مضمون الأثرين السابقين، لكنه أوضح إشارة وأبين عبارة، ومما جاء عند الآية الكريمة قوله:
إن القرآن لا يُكذب بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، ما جهل الناس من أمرٍ فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم، وقرأ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا...﴾ إلخ ما قال. انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٥١، ٢٥٢). ولو أن ابن زيد كان من التابعين لأوردت نصه في صلب المتن، لكنه توفي سنة (١٨٢هـ)، وهو من الطبقة الثامنة كما قال ابن حجر. انظر: تقريب التهذيب (ص٥٧٨) [٣٨٩٠]. والطبقة الثامنة هي: الطبقة الوسطى من أتباع التابعين كابن عيينة، وابن عُلية.

قلوب العباد وعقولهم؛ أي: ناتج عن نظرهم وفي ظنهم المتوهم، وليس له في حقيقة الأمر وجودٌ.

فخلص إلى التأكيد على أمرين:

١ ـ أن كلام الله ﷻ لا يختلف ولا يتناقض، والقرآن مُنزَّهٌ عن ذلك.

٢ ـ أن ما توهم من ذلك مرده إلى نظر البشر وقصورهم، وهو اختلاف مظنون غير واقع.

إذن، لما كان هذا التوهم وارداً على عقول البعض دعت الحاجة إلى رفعه وتجليته.

وقد دأب جماعة ممن صنف في علوم القرآن على تصدير علم موهم الاختلاف بهذه الآية الكريمة[1].

المسألة الثانية

تقسيم الوارد عن الصحابة والتابعين في هذا العلم إلى طريقتين

أ ـ الطريقة الأولى:

عرض الموهم ورفعه على طريقة السؤال والجواب؛ أي: سؤال أهل العلم عنه وجواب العالم جواباً يرفع الإيهام.

ب ـ الطريقة الثانية:

تفسير الآيات المتوهم اختلافها تفسيراً مجلياً للتناقض المظنون رافعاً لما يتوهم من المختلف بين الآيات، وإن لم يكن سؤالٌ عنها.

وسيأتي تفصيل كل طريقة في محلها.

فأما **الطريقة الأولى** ـ وهي الأشهر والأكثر ـ فهذه مروياتهم:

---

(١) منهم: الزركشي في البرهان (٢/ ٥٣)، والسيوطي في الإتقان (٤/ ١٤٧٠)، وابن عقيلة في الزيادة والإحسان (٥/ ١٩٦)، وجعلها المفسر الشنقيطي في كلماته التي صدَّر بها كتابه: دفع إيهام الاضطراب.

١ ـ مرويات الصحابة

١ ـ عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ، قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠]، فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] فكأنه كان ثم مضى.

فقال ـ أي: ابن عباس ـ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧].

وأما قوله: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٤٢]، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن الله لا يُكتم حديثاً، وعنده ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢]، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، فُجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السمٰوات في يومين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، سمى نفسه ذلك، وذلك قوله؛ أي: لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله(١).

وفي بعض ألفاظ الأثر في أوله:... فقال ابن عباس: تكذيب؟ فقال الرجل: ما هو بتكذيب، ولكنه اختلاف، فقال ابن عباس: فهلم ما وقع في نفسك(٢).

وفي بعضها: ما هو؟ أشك في القرآن؟ قال: ليس بشك، ولكنه اختلاف، قال: فهات ما اختلف عليك من ذلك(٣).

٢ ـ عن عطاء بن أبي رباح قال: جاء نافع بن الأزرق إلى ابن عباس فقال: والذي نفسي بيده لتُفسِّرن لي آياً من كتاب الله ﷻ أو لأكفرن به، فقال ابن عباس: ويحك! أنا لها اليوم، أي آي؟ قال: أخبرني عن قول الله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال في آية أخرى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص: ٧٥]، فكيف علموا وقد قالوا: لا علم لنا؟ وأخبرني عن قول الله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣١]، وقال في آية أخرى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٨]، فكيف يختصمون وقد قال: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾؟

---

(١) هذا الأثر أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في كتاب التفسير، باب: سورة حم السجدة (ص٨٤٩)، وهذا لفظه، وقد ذكر ابن حجر في تغليق التعليق أنه موصول، وذكر أن الحافظ أبو بكر البرقاني وصله في كتاب المصافحة. انظر: تغليق التعليق (٤/ ٣٠٠، ٣٠١)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٨) [٥٥٨]، والطبري (٧/ ٤٢)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧١٤ ـ ٧١٦) [١٧٩١]، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٥) [١٠٥٩٤]، وابن منده في التوحيد (١/ ١٠٤ ـ ١٠٨) [١ ـ ١٩]، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨) برقم [٢٠٨]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٤٥، ٢٤٦) [٨٠٩]، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨٦)، وفي العلو للعلي الغفار مختصراً جداً (١/ ٥٥، ٥٦) برقم [٩٦].

(٢) كما في روايات ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧١٤) [١٧٩١]، وابن منده في التوحيد (١/ ١٠٤ ـ ١٠٧)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٠٥) [٢٠٨]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٤٦) [٨٠٩].

(٣) كما عند عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٨) [٥٥٨]، وكذا الطبري الذي ساق الأثر باختصار (٧/ ٤٢)، والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ٣١٦) (ص٣٥٥).

وأخبرني عن قول الله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥] فكيف شهدوا وقد ختم على الأفواه؟

فقال ابن عباس: ثكلتك أمك يا ابن الأزرق، إن للقيامة أحوالاً وأهوالاً وفظائع وزلازل... ثم ساق مشاهد وأهوال القيامة ثم قال: فعند ذلك يُدعى بالأنبياء والرسل، فيقال لهم: ماذا أجبتم؟ قالوا: لا علم لنا، طاشت الأحلام، وذَهَلت العقول، فإذا رجعت القلوب إلى أمكانها ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص: ٧٥].

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١]، فهذا وهم بالموقف يختصمون، فيؤخذ للمظلوم من الظالم، وللمملوك من المالك، وللضعيف من الشديد، وللجمَّاء من القرناء، حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه، فإذا أُدِّي إلى كل ذي حق حقه، أُمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، فلما أُمر بأهل النار إلى النار اختصموا فقالوا: ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، و﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦١]، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨]. إنما الخصومة بالموقف وقد قضيت بينكم بالموقف، فلا تختصموا لدي.

وأما قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥]، فهذا يوم القيامة، حيث يرى الكفار ما يعطي الله أهل التوحيد من الفضائل والخير يقولون: تعالوا حتى نحلف بالله ما كنا مشركين، فتتكلم الأيدي بخلاف ما قالت الألسن، وتشهد الأرجل تصديقاً للأيدي، ثم يأذن الله للأفواه فتنطق، فقالوا لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء[1].

٣ ـ عن عكرمة قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله ﷻ: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥]، و﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، و﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]، و﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] فما هذا؟

---

(١) أخرجه مسنداً الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٤/٢٤٨) في ترجمة عَرفَة بن يزيد والد الحسن بن عرفة العبدي [٦٧٠١]، وضعفه محقق تاريخ بغداد (١٤/ ٢٥٠)، وانظر: الدر المنثور (٥/٥٥٨).

قال: ويحك، هل سألت عن هذا أحداً قبلي؟

قال: لا، قال: أما إنك لو كنت سألت هلكت، أليس قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. قال: بلى، قال: وإن لكل مقدار يوم من هذه الأيام لوناً من هذه الألوان(١).

٤ ـ عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: يا ابن عباس إن في نفسي من القرآن شيئاً، قال: وما هو؟ فقال: شك، قال: ويحك، هل سألت أحداً غيري؟ فقال: لا، قال: هات، قال: أسمع الله يقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، كأن هذا أمر قد كان، وقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصافات: ٥٠]، ثم ذكر أشياء، فقال ابن عباس: أما قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ فإنه لم يزل ولا يزال، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فهذا في النفخة الأولى حين لا يبقى على الأرض شيء، فلا أنساب يومئذ ولا يتساءلون، وأما قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصافات: ٥٠] فإنهم لما دخلو الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون(٢).

٥ ـ عن الضحاك أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: يا ابن عباس! قول الله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟ فقال له ابن عباس: إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت: أُلقي على ابن عباس متشابه القرآن، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله جامع الناس يوم القيامة في بقيع واحد، فيقول المشركون: إن الله لا يقبل من أحدٍ شيئاً إلا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥/ ٧٩١، ٧٩٢) [٨٧٥٠] وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: يحيى بن راشد ضعفه النسائي (٥/ ٧٩١). انظر: الدر المنثور (١٥/ ١٨٤، ١٨٥).

(٢) أخرجه ابن منده في التوحيد (١/ ١٠٨، ١٠٩) [٢ ـ ٢٠]، والحاكم (٣/ ١٥٥، ١٥٦) [٣٥٤١]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

ممن وحَّده، فيقولون: تعالوا نَقُل، فيسألهم فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين، فعند ذلك تمنَّوا لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثاً[(١)].

٦ ـ سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، فكأن ابن عباس اتهمه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني، فقال: هما يومان ذكرهما الله جل وعز، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم[(٢)].

٧ ـ عن عكرمة أنه سئل عن قوله: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟ قال: ألا أخبركم بأشد مما تسألون عنه؟ قال ابن عباس وذكر ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٣٩]، و﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]، و﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥]، قال ابن عباس: إنها أيام كثيرة في يوم واحد، فيصنع الله فيها ما يشاء، فمنها ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾، ومنها ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠][(٣)].

٨ ـ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]، وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩]، قال: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم منهم بذلك، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا[(٤)]؟

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره (٧/ ٤٣، ٤٤)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٩). انظر: الدر المنثور (٤/ ٤٤٧)، والسند عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٢١٢) [٨٤٤]، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٩) [٢٢٩٨]، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٥٤)، والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس (٥/ ٨٣٦) [٨٨٣٩]، وقد صححه الحاكم وقال: على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ونسبه السيوطي في الإتقان كذلك إلى ابن أبي حاتم بزيادة على ما ههنا (٥/ ١٤٧٧)، وزاد نسبته في الدر إلى ابن الأنباري في المصاحف، وسعيد بن منصور، وابن المنذر (١٢/ ٦٧٦).

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما قال السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ١٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤١)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٦/ ٥٩) [١٣٣٠٧]، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٥٥).

وجاء في جواب ثان لابن عباس: لا يُسألون سؤال شفقة ورحمة، وإنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ[(١)].

٩ ـ عن سعيد بن جبير أن رجلاً أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فذلك في النفخة الأولى فلا يبقى على الأرض شيء، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وأما قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]، فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون[(٢)]، وبلفظ: إنها مواقف، فأما الموقف الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى، لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون[(٣)].

١٠ ـ عن مِقْسَم[(٤)] قال: سأل عطية بن الأسود[(٥)] ابن عباس فقال: إنه قد وقع في قلبي الشك، قول الله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقد أُنزل في رمضان وشوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وشهر ربيع الأول، فقال ابن عباس: إن الله أنزل القرآن في رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جُملةً واحدةً، ثم أُنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رَسَلاً في الشهور والأيام[(٦)].

---

(١) أورده بلا سند عن ابن عباس الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٨٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١١)، والحاكم في المستدرك وصححه (٣/ ١٥٥) [٣٥٤١].

(٣) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٦٢٠).

(٤) هو: مِقْسَم بن بُجْرة ويقال: ابن نجدة، أبو العباس، مولى عبد الله بن عباس، روى عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية وغيرهم، قال أبو حاتم: صالح الحديث، لا بأس به، وضعفه ابن سعد، ووثقه العجلي والدارقطني، روى له الجماعة سوى مسلم، توفي سنة (١٠١هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٣١)، تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦١ ـ ٤٦٣) [٦١٦٦]، تهذيب التهذيب (٤/ ١٤٧).

(٥) عطية بن الأسود، أبو الأسود، سمع من ابن عمر، وروى عنه المغيرة بن مالك.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٩).

(٦) أخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام رمضان (ص١١٧، ١١٨) [٢٣٥]، والطبري في تفسيره =

١١ ـ عن سعيد بن جبير قال: أتى رجل إلى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا فلنجحد فقالوا: والله ربنا ما كنا مشركين، فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم فلا يكتمون الله حديثاً، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس في القرآن شيء إلا وقد أنزل الله فيه شيئاً، ولكن لا تعلمون وجهه(١).

١٢ ـ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فذلك حين ينفخ في الصور فلا حي يبقى إلا الله ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧] فذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية(٢).

١٣ ـ عن عبد الله بن الصامت(٣) قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أرأيت قول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]؟ قال: إن يوم القيامة يومٌ له حالات وتارات، في حالٍ لا ينطقون وفي حال ينطقون، وفي حالٍ يعتذرون، لا أحدثكم إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة ينزل الجبار في ظلل من الغمام ـ وكل أمة جاثية ـ في ثلاث حُجُب، مسيرة كل حجاب خمسون ألف سنة،**

= (٣/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٧) [١٦٧٥]، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٠٩) [١٢٠٩٥]. قال في المجمع عن سند الطبراني ـ وهو عنده بلفظ قريب ـ: وفيه سعيد بن طريف وهو متروك، (٧/ ١٨) [١٠٨٤٥]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٤) [٥٠١] وحسن محققه هذا الإسناد، ونسبه في الدر إلى ابن مردويه (٢/ ٢٣٢).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٢)، وكرره في (٩/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٣٢٨) [٧٢١٤]، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩) [٣٢٥١] وصححه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٢)، ونسبه في الدر المنثور إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٠/ ٦١٩).

(٣) عبد الله بن الصامت الغفاري البصري، ابن أخي أبي ذر، روى عن عمه، وعمر، وعثمان، وابن عمر، وعائشة، وثقه النسائي وأبو حاتم، وقال العجلي: بصري تابعي ثقة، استشهد به البخاري في الصحيح، وروى له في الأدب المفرد، وروى له الباقون.
انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٨).

حجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من ماء، لا يُرى لذلك، فيأمر بذلك الماء فيعود في تلك الظلمة، ولا تسمع نفس ذلك القول إلا ذهبت، فعند ذلك لا ينطقون»(١).

١٤ ـ عن سعيد بن جبير قال: بينما أنا ومجاهد جالسان عند ابن عباس إذ أتاه رجل فقال: ألا تشفيني من آية المحيض؟ قال: بَلَى فاقترأ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فقال ابن عباس: من حيث جاء الدم، من ثَمَّ أُمرت أن تأتي، فقال: كيف بالآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣]؟، فقال: أي ويحك! وفي الدبر من حرث؟ لو كان ما تقول حقاً لكان المحيض منسوخاً، إذا شُغل من ههنا جئت من ههنا، ولكن ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾: من الليل والنهار(٢).

١٥ ـ عن ابن عباس أن رجلاً أتاه فقال: أرأيت قوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] وأخرى ﴿عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧]؟ قال: إن يوم القيامة فيه حالات، يكونون في حالٍ زُرقاً وفي حال عُمياً(٣).

١٦ ـ عن ابن عباس أن رجلاً قال له: آيتان في كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى فقال: إنما أُتيت من قبل رأيك، اقرأ، قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ حتى بلغ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١]، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]، قال: خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض بعدما خلق السماء، وإنما قال: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ بسطها(٤).

١٧ ـ عن عكرمة قال: سأل رجل ابن عباس: ما هؤلاء الآيات ﴿فِى يَوْمٍ

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما عزاه إليه السيوطي في الدر (١٥/ ١٨٤)، وذكره ابن حجر في فتح الباري وليس فيه ذكر الحديث المرفوع (٨/ ٥٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٧٥٠)، وابن أبي حاتم (١/ ٣٥٤) [٢١٦١]، الدر (٢/ ٥٩٦)، وقد نسبه في الإتقان إلى ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس (٥/ ١٤٧٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٢٣٨).

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٥/ ٢٣٣، ٢٣٤)، وبنحوه عند أبي الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٣٩، ١٠٤٠)، (٥٥٩ ـ ٢٢)، وليَّن المحقق إسناده.

كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]؟ قال: يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة، وخلق الله السمٰوات والأرض في ستة أيام، كل يوم ألف سنة، و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ قال: ذلك مقدار المسير(١).

١٨ ـ عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس أخبرنا عن قول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥﴾ [المرسلات: ٣٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، قال: ويحك يا ابن الأزرق إنه يوم طويل وفيه مواقف تأتي عليهم: ساعة لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يمكثون ما شاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم ويأمر جوارحهم فتشهد على أعمالهم بما صنعوا، ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا، قال: وذلك قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾(٢).

١٩ ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ثم قال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

أما قوله: ﴿عُمْيًا﴾ فلا يرون شيئاً يسرهم، وقوله: ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون بحجة، وقوله: ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون شيئاً يسرهم(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٩٤)، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه في الدر المنثور (١٤/ ٦٩٠).

(٢) ساقه ابن حجر مسنداً معزواً إلى عبد بن حميد في تغليق التعليق (٤/ ٣٥٧)، وأشار لهذه الرواية في فتح الباري (٨/ ٥٥٤، ٥٥٥)، وفي السند علي بن زيد وهو ابن جدعان، والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي من الطرق الصحيحة عن ابن عباس (١٥/ ٩٣، ٩٤)، وكذا أجاب الحسن بمثل هذا الجواب كما ذكره الألوسي في روح المعاني (١٥/ ١٧٦).

مرويات التابعين

١ ـ عن الربيع بن أنس قال: قلت لأبي العالية: قال الله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨]. وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ فكيف هذا؟ قال: نعم، أما قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ فهؤلاء أهل الشرك، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ فهؤلاء أهل القبلة يختصمون في مظالمهم(١).

٢ ـ عن وهب بن منبه قال: إن الملائكة الذين يُقرنون بالناس هم الذين يتوفونهم ويكتبون لهم آجالهم، فإذا كان يوم كذا وكذا توفته ثم نزع ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فقيل لوهب: أليس قد قال الله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾؟ قال: نعم إن الملائكة إذا توفوا نفساً دفعوها إلى ملك الموت، وهو كالعاقب يعني: العَشَّار الذي يؤدي إليه من تحته(٢).

٣ ـ عن قتادة قال: جاء رجل إلى عكرمة فقال: أرأيت قول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١]، قال: إنها مواقف، فأما موقف منها فتكلموا واختصموا، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون(٣).

٤ ـ جاء في أثر ابن عباس لما سئل عن قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

جاء في خاتمة الأثر ـ وقد تقدم ـ فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب، فسأله عنها إنسانٌ، فلم يخبر ولم يدر، فقلت: ألا أخبرك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٠٢) وكرره في (٢١/ ٤٤١) ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد (١٣/ ٦٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٣٩٦) [٧٦٦٥]، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٣/ ٩٣٣) [٤٦٨ ـ ٣٩]، وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد (٦/ ١٣٨، ١٣٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة (١/ ١٥٩) [٥٩٠].

بما حضرت من ابن عباس؟ قال: بلى، فأخبرته، فقال للسائل: هذا ابن عباس أبى أن يقول فيها، وهو أعلم مني[(١)].

الطريقة الثانية:

تفسير الآيات المتوهم اختلافها تفسيراً رافعاً التناقض المظنون، يعني: دون طريقة عرض التوهم سؤالاً والجواب عنه.

مرويات الصحابة

١ ـ فسَّر ابن مسعود قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] بقوله: يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادي: ألا إن هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حقٌّ قِبَله فليأت، قال: فتود المرأة يومئذ أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١][(٢)].

ومن طريق أخرى قال: لا يسأل أحد يومئذ بنسبٍ شيئاً ولا يتساءلون به ولا يُمتُّ برَحمٍ[(٣)].

٢ ـ عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩] قال: فَرَقاً تذهل عقولهم، ثم يرد الله إليهم عقولهم، فيكونون هم الذين يسألون، يقول الله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦][(٤)].

٣ ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٢، ١١٣)، وحسَّن إسناده محققو الإتقان (٥/ ١٤٧٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٣)، وضُعِّف السند؛ لأن شيخ الطبري الحسين بن داود ضعيف، لكن يشهد له الأثر السابق، وعزاه السيوطي إلى الطبري عن ابن جريج، الدر المنثور (١٠/ ٦١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٣٥) [٦٩٧٠]، وعزاه في الدر إلى أبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٥/ ٥٨٧، ٥٨٨).

سمٰوات مقداره خمسين ألف سنة، و﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] يعني بذلك: ينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام(١).

٤ ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] قال: هذا في الدنيا، تعرج الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة، وفي قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة(٢).

٥ ـ جاء عن ابن عباس في رواية تفسير قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. قال: غِلَظُ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٣).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] قال: الستة الأيام التي خلق الله فيها السمٰوات والأرض(٤).

٦ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، قال: اللازب والحمأ والطين واحدٌ، كان أوله تراباً، ثم صار حمأ منتناً، ثم صار طيناً لازباً فخلق الله منه آدم(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٥٠١) [١٩٥٠٥].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٢٤)، وبنحوه عند ابن أبي حاتم (٧/ ٥٠٢) [١٩٥٠٧]، وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٤/ ١٢٨)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، الدر المنثور (١٥/ ٦٨٩، ٦٩٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٥٠١) [١٩٥٠٦].

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٩٤)، والحاكم (٣/ ١٨٤) [٣٥٩]، وزاد نسبته السيوطي إلى الفريابي (١١/ ٦٧٦).

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٩١).

مرويات التابعين

١ ـ عن أبي العالية في قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩] قال: لا يُسأل غيرُ المجرم عن ذنب المجرم[١].

٢ ـ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]، فيفزعون، فيقولون: ماذا أُجبتم؟ فيقولون: لا علم لنا، فترد إليهم أفئدتهم فيعلمون[٢].

٣ ـ عن عكرمة في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] و﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩] إنها مواطن يُسأل في بعضها، ولا يُسأل في بعضها[٣].

٤ ـ قال الحسن في قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] قال: إنها مواطن، ففي موطن لا يتكلمون ولا يسمع إلا همساً، وفي مواطن يتكلمون ويكذبون[٤].

٥ ـ قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ليس أحد من الناس يسأل أحداً بنسبه ولا بقرابته شيئاً[٥].

والسدي قال في الآية: ذلك أنهم نزلوا منزلاً ذَهَلت فيه العقول، فلما سُئلوا قالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلاً آخر فشهدوا على قومهم[٦].

٦ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٩١)، البحر المحيط (٨/ ١٩٤)، وفي تفسير أبي العالية الآية بيان السؤال المنفي، فتبقى الآيات المثبتة للسؤال على ما يراد من معناها وما يظهر من تفسيرها.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٩٥) [٧٦٥]، والطبري (٩/ ١١٠، ١١١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٩٥) [٧٠١١]، وزاد السيوطي نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، الدر المنثور (٥/ ٥٨٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٩/ ١٨٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٢٩٠، ٢٩١).

(٤) ذكره هود بن محكم في تفسيره (١/ ٣٨٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣١١)، وابن عادل في تفسيره اللباب (٦/ ٣٩١).

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٦١٩).

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٢٩٥) [٧٠١٢]، وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ (٥/ ٥٨٧).

[السجدة: ٥] ينحدر الأمر من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد مقداره ألف سنة في السير، خمسمائة حين ينزل وخمسمائة حين يعرج(١).

وقال في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]: ذلك يوم القيامة، وبمثل تفسيره آية المعارج قال مجموعة من التابعين؛ كالضحاك، وقتادة، وعكرمة(٢).

وبمثل تفسير قتادة آية السجدة قال مجاهد(٣).

وقال مجاهد، وعكرمة في آية المعارج: هي الدنيا أولها إلى آخرها يومٌ مقداره خمسون ألف سنة(٤).

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهن السمٰوات والأرض وما بينهما(٥).

٧ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥].

قال: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، والمغارب ثلاثمائة وستون مغرباً في السنة، قال: المشرقان: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، والمغربان: مغرب الشتاء ومغرب الصيف، والمشرق والمغرب: المشرق والمغرب(٦).

٨ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٣٩] قد كانت مسألة، ثم خُتم على ألسنة القوم، فتكلمت أيديهم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٩) [٢٢٨٩]، والطبري (١٨/ ٥٩٣)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١١/ ٦٨٥)، وبنحوه عن السدي عند ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١١/ ٦٨٥).

(٢) عزاه إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٩١)، أما الآثار عن جماعة التابعين فانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٩٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٥١٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٥٣) [٣٣٢٢]، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٩٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٩٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١٩) [٢٥٠٤]، وزاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٨٥، ٣٨٦).

وأرجلهم بما كانوا يعملون[١].

وقال في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: ٦٥]: قد كانت خصومات وكلام، فكان هذا آخره أن ختم على أفواههم[٢].

٩ ـ عن سعيد بن المسيب: لما طُعن عمر بن الخطاب، قال كعب: لو أن عمر دعا الله لأُخِّر في أجله، فقال الناس: سبحان الله، أليس الله قد قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] فقال كعب: أوليس قد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

قال الزهري: فنرى أن ذلك يؤخر ما لم يحضر الأجل، وفي لفظ بزيادة: فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء، فإذا حضر لم يؤخر، وليس أحد إلا وله أجل مكتوب[٣].

[التأصيل]

١ ـ علم موهم الاختلاف والتعارض من العلوم التي تكلم فيها الصحابة والتابعون، وأخذت حظاً من الاهتمام والرواية، فهو علمٌ أثريٌ تجلى فيه عنايتهم برفع ما يتوهم من الاختلاف بين الآيات، ومن مظاهر الاهتمام بهذا العلم لديهم:

[أ] تعدد المروي عنهم في هذا العلم القرآني وتأكيدهم أن المتوهم من الاختلاف مرده نظر العباد وقصور فهمهم، وكلام الله منزه عن ذلك، ليس به تناقض أو تعارض بوجه من الوجوه، قال ابن عباس عن بعض الموهم: «إنما أُتيت من قبل رأيك».

[ب] تلقي ما يعرض للسائلين بالإجابة عنها ورفع إيهامها مع التأكيد على

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٣٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٣/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٧٣)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في الدر المنثور (١٢/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١١) [٢٤٥٤]، وفي مصنفه (١١/ ٢٢٤، ٢٢٥ [٢٠٣٨٦]، والفريابي في كتاب القدر (ص٢٤٧) برقم [٤٤٢].

عدم الشك في آي القرآن أو التكذيب به والتذكير بذلك، فهذا ابن عباس يقول لسائليه: تكذيب؟ فقال: الرجل: ما هو بتكذيب، ولكنه اختلاف، فيقول ابن عباس: فهلم ما وقع في نفسك.

وفي بعض الروايات: ما هو؟ أشكٌّ في القرآن؟

وكذا قوله: أنا لها اليوم، أيُّ آيٍ؟

وهذا منهجٌ أصيلٌ يأخذ منه أهل العلم والراسخون في علم القرآن مشروعية الاهتمام بهذا العلم، ورفع ما يعرض لأفراد الناس من آي يتوهم بينها التناقض أو الاختلاف.

وفي الآثار إظهار رحمة الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ بهولاء السائلين، ورغبتهم في نشر العلم، وكشف الجهل؛ احتساباً للأجر وطلباً للثواب في ذلك.

وكذلك وجوب عرض أمثال هذه التوهمات من آحاد الناس على من عُرف برسوخ قدمه ومتانة علمه وديانته، وانظر إلى جل هذه المرويات تجدها معروضة على ابن عباس الحبر ترجمان القرآن، ومن رزق علم التأويل.

فبمثل هذا يُقتدى، وعلى نهجهم يُمضى ويُحتذى.

٢ ـ من تمعن في آثار الصحابة والتابعين في موهم المختلف رأى اطراد مسائل هذا العلم بين آيات القرآن بعضها ببعض، ولم أعثر على روايات عنهم في موهم التعارض بين آي الكتاب وحديث النبي ﷺ، وقد ذكر بعض الباحثين أمثلة لما ورد عن الصحابة والتابعين بين القرآن والسُّنَّة ـ وسيتبين لاحقاً ـ أنها ليست من هذا العلم، إنما هي إلى علم مشكل القرآن أقرب.

٣ ـ جاءت مرويات الصحابة والتابعين في هذا العلم على ضربين:

[أ] ما وقع بطريقة السؤال والجواب، يعني: عرض الموهم والسؤال عنه، والجواب بما يرفع ذلك الإيهام المظنون.

ولعل هذه الطريقة هي الأشهر والأوضح.

[ب] تفسير الآيات المتوهم تعارضها تفسيراً مجلياً ذلك التوهم، وهذه الطريقة تلي الطريقة الأولى كثرةً ووضوحاً، ولعلها تفرق عن سابقتها باحتمال تبادر ذلك التوهم إلى بعض الأذهان، فهو توهمٌ متوقعٌ بخلاف الطريقة الأولى

فهو توهمٌ واقعٌ ورفع لما تطرق إلى نفس السائل فعلاً من الاختلاف.

٤ ـ أن توهم الاختلاف بين الآيات قد يعرض لأفراد الناس ولا حرج في ذلك، ولهذا لم ينكر الصحابة والتابعون على السائلين بعض ما توهموه بل تصدوا للإجابات الشافية، المغنية الكافية.

ولو قيل بالتفريق بين أفراد السائلين لكان وجيهاً، فيشتد في العبارة مع من ظاهره التلبس ببدعة كنافع بن الأزرق، الذي جاء في جواب ابن عباس بعض مسائله: ويحك، ثكلتك أُمك يا ابن الأزرق، هل سألت عن هذا أحداً قبلي؟

ويُلين القول لمن ظاهره السؤال بصدق طلباً للعلم وتجليةً للموهم.

وأياً ما كان فموقفهم من أسئلة موهم الاختلاف يُغاير كثيراً موقفهم ممن تتبع مشكل القرآن وعُرف بالتنقير عنه، كصبيغ بن عِسْل، الذي اتخذ عمر منه موقفاً شديداً وعامله بغليظ المعاملة تأديباً وتعزيراً ـ وتقدم بسط خبره ـ.

٥ ـ يستخلص من قولهم: «أشياء تختلف عليّ»، «تخالف إحداهما الأخرى». تسمية هذا العلم فهو اختلاف بين الآيات متوهم عند الناظر فيطلق عليه «موهم الاختلاف أو المختلف بين آيات القرآن».

ومما يلاحظ هنا أنه لم يرد لفظة: التناقض، أو التعارض في آثارهم، إنما الوارد «الاختلاف».

وما جاء في أثرٍ من آثار ابن عباس مخاطباً نافع بن الأزرق: «إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت: أُلقي على ابن عباس متشابه القرآن» فسماه «متشابه القرآن».

ويلاحظ أن تسميته بـ «متشابه القرآن» من قول نافع، حكاه ابن عباس عنه كما ينطق الأثر، وليس من قول ابن عباس صريحاً.

ولعل نافعاً ظنه من «متشابه القرآن»، والأمر ليس كذلك، بل هو من موهم الاختلاف، وقد سمّى الإمام أحمد بن حنبل كتابه: «الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه من غير تأويله»، فجعله متشابه القرآن ومعظم ما فيه من موهم الاختلاف، فهو متشابه لدى أهل البدع ومن في قلبه زيغ أو يرونه متشابهاً وهو في حقيقته من ما يتوهم تعارضه ويظن اختلافه.

٦ ـ إجابات الصحابة والتابعين عما يتوهم اختلافه من آي القرآن مردها الاجتهاد والنظر، ويدل على هذا ما يلي:

[أ] تباين أجوبتهم عن موهم المختلف وتعددها، ولو كان بنص قاطع لما اختلفوا.

[ب] لم ينسبوا أقوالهم إلى النبي ﷺ، فدلَّ على أنها باجتهادهم؛ لأن إضافتها إلى المعصوم يكسبها صفة القبول فتركن إليها النفوس وتطمئن لها.

٧ ـ إليك نماذج ما أورد على الصحابة والتابعين من مسائل هذا العلم، وما أجابوا به ورفعوا الإيهام الواقع:

الآيات	المسؤول	الجواب
﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ نفى السؤال في آية وأثبته في أخرى	ابن عباس	الآية الأولى في النفخة الأولى والآية الثانية في النفخة الآخرة. وفي جواب آخر قريب من الأول: الآية الأولى عند النفخة الأولى. الآية الثانية لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون.
	ابن مسعود وبنحوه عن قتادة	فسر ـ نفي التساؤل في الآية الأولى أي: لا يسأل أحد يومئذ بنسبٍ شيئاً أي: ولا يتساءلون به ولا يمتُّ برحم
﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فهم كتموا في الآية الثانية والأولى تبين أنهم لا يكتمون حديثاً.	ابن عباس في أكثر من رواية	أن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون: والله ربنا ما كنا مشركين، فختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم فعند ذلك لا يكتمون الله حديثاً.
	الحسن	إنها مواطن، ففي موطن لا يتكلمون ولا يُسمع إلا همساً، وفي مواطن يتكلمون ويكذبون.

الآيات	المسؤول	الجواب
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ أثبت السؤال في آية ونفاه في أخرى.	ابن عباس	لا يسألهم هل علمتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم منهم بذلك، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟
	وفي رواية أخرى لابن عباس	لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.
	وفي رواية ثالثة لابن عباس	إنها أيام كثيرة في يوم واحد فيصنع الله فيها ما يشاء.
	قتادة	قد كانت مسألة، ثم ختم على ألسنة القوم فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.
	عكرمة	إنها مواطن، يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها.
﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	ابن عباس في رواية وسعيد بن المسيب توقف كما فعل ابن عباس	توقف فيهما
اختلاف مقادير هذا اليوم الذي ذكره الله ﷻ.	وابن عباس في رواية ثانية	يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، كل يوم ألف سنة، و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ذلك مقدار المسير.
	ابن عباس في رواية ثالثة	﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة و﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهذا يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

الآيات	المسؤول	الجواب
	ابن عباس في رواية رابعة	﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ غِلظُ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام.
	قتادة	﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ينحدر الأمر من السماء إلى الأرض ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، مقداره ألف سنة في السير، خمسمائة حين ينزل وخمسمائة حين يعرج. أما قوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ذلك يوم القيامة.
	مجاهد	فسر آية السجدة مثل تفسير قتادة، وقال في آية المعارج: هي الدنيا أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة.
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ أثبت خصومتهم في آية ونفاها في أخرى.	ابن عباس	ملخص جوابه: الخصومة في الموقف، فإذا قضى الله بينهم وأدى إلى كل حق حقه وأمر بأهل النار إلى النار اختصموا فقال: لا تختصموا لدي.
	وعن عكرمة	نحو جواب ابن عباس وأنها مواقف، فتختلف أحوالهم في كل موقف عن الآخر.
	أبو العالية	آية (الزمر) في أهل القبلة يختصمون في مظالمهم، وآية (ق) في أهل الشرك.

الآيات	المسؤول	الجواب
﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾	ابن عباس	في موقف من مواقف القيامة، إذا طاشت الأحلام وذهلت العقول قالوا: لا علم لنا، فإذا رجعت القلوب إلى أماكنها، ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾
	وعن السدي	ذلك أنهم نزلوا منزلاً ذَهَلت فيه العقول فلما سُئلوا قالوا لا علم لنا، ثم نزلوا منزلاً آخر فشهدوا على قومهم.
	وبنحو جواب السدي أثر عن مجاهد	

ومن جملة هذه الآثار تتكشف الفوائد الآتية:

١ ـ اختلاف أجوبة الصحابة والتابعين في بعض الآيات دليل على أن ما قالوه باجتهادهم، حتى إن الصحابي الجليل ابن عباس تباينت تفسيراته في بعض المواطن وتعددت أقواله.

٢ ـ أن الأجوبة المأثورة عنهم لا تحتل مرتبة واحدة في القوة والضعف، إنما هي على درجات، فبعضها أقوى من بعض وأولى.

٣ ـ هناك عدة وجوه يُمكن بها اختيار الجواب الأصح من غيره، وذلك بما يلي:

الوجه الأول: ما قاله الجمع من الصحابة والتابعين يقدم على ما قاله الواحد منهم، بل لعل بعض الآيات الموهمة لا يعرف لها إلا أثر واحد أو مجموعة آثار عن صحابي واحد كلها بمعنى، فالقول به أولى من ما تفرد به واحدٌ منهم.

فمثال الأول: جمع ابن عباس بين آيتي ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [المائدة: ١٠٩] وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوٓا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص: ٧٥]، فقد رويت ثلاثة آثار عن ابن عباس ومجاهد والسدي، وهي تصب في معنى واحد، فيقدم على ما قاله غيرهم.

أما مثال الثاني: فأثر وحيد ـ حسب ما اطلعت عليه ـ جاء عن ابن عباس في الجمع بين قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت: ٩]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠].

الوجه الثاني: إذا استدل على الجواب بدليل آخر يعضده، فهذا سبيل إلى تقديم ما أيده الدليل على غيره.

وهذا قد فعله ابن عباس ﵄ لما سأله نافع بن الأزرق عن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥]، و﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، و﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]، و﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

قدم ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] دليلاً على جوابه الذي قال فيه: وإن لكل مقدار يوم من الأيام لوناً من هذه الألوان.

وعبد الله بن عمرو بن العاص لما سئل عن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] قال: إن يوم القيامة له حالات وتارات، في حال لا ينطقون، وفي حال ينطقون، وفي حال يعتذرون، ثم ساق حديث النبي ﷺ رآه معضداً تفسيره الذي أجاب به عن هؤلاء الآيات المتوهم اختلافها.

وبغض النظر عن قوة ما أورداه من الدليل فإن في صنيع الصحابيين الجليلين إرشاداً إلى التنقيب عن أدلة وقرائن تؤيد ما يجابُ به عن الآيات المتوهم اختلافها، حتى تتقوى هذه التفسيرات وتتمايز فيما بينها قوة وضعفاً.

٤ ـ لا أجدني ميَّالاً إلى اعتماد صحة الأسانيد لهذه الآثار واطراح ضعيفها؛ إنما قد يستأنس بالصحيح ويقدَّم على غيره دون إهمال ضعيف السند؛ لأن الأثر قد يضعف سنده ويصح متنه، أو يشهد له ما يعضده ويرقى به إلى درجة القبول.

ولذلك لم أجد من أهل التفسير وعلوم القرآن من عوَّل على صحة الأسانيد، وجعل ذلك معتمده في ترتيب الإجابات عن الموهم قبولاً للصحيح ورداً للضعيف.

٥ ـ مما يلفت النظر أن معظم مروياتهم في موهم الاختلاف كانت عن آيات تحوي مشاهد يوم القيامة ومواقف الناس فيها، ومن تمعَّن في آثارهم تيقن هذا.

وكان الجواب الأبرز عن هؤلاء الآيات أن يوم القيامة يوم طويل وله حالات وفيه مواقف، فتحمل كل آية على موقف وحالة، فتلتئم المعاني وينتفي الاختلاف.

٦ ـ توقف ابن عباس في إحدى الروايات عن الإجابة عن موهم بين آيتين، وتبعه تلميذه سعيد بن المسيب فتوقف كما توقف شيخه، وهذا التوقف مؤقتٌ وكان إلى أمدٍ؛ لمجيئ روايات أخرى تصدى فيها لرفع الموهم وفسرها تفسيراً قاضياً على الاختلاف المظنون.

ومن هذا يستفيد الناظر في آي القرآن مشروعية التوقف ومداومة النظر عند استغلاق المعاني عليه، وعدم اتضاح وجه الجمع بين الآيات المتوهم اختلافها، وليكن له في ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن خير قدوة إلى أن يستبين وجه التفسير، ويهتدي لما تأتلف به الآيات.

٧ ـ استدل الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بحديث نبوي لما أجاب عما يتوهم في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] مع آيات أُخر، وبعيداً عن سند الحديث النبوي صحة وضعفاً، فإن مضمونه دالٌّ على الوقت أو الموطن الذي فيه لا ينطقون، ولم يكن كله شاهداً لمجموع الآيات الموهمة، بل لأحدها، وبقيت الآيات الأخرى المفيدة لكلامهم ونطقهم مما اجتهد فيه الصحابي، إذ لمَّا كان عدم نطقهم في موطن من تلك المواطن دلَّ على خلاف ذلك في مواقف أُخرى.

٨ ـ أحياناً يوردون آيتين يتوهم الاختلاف بينهما، وتبقى آيات أُخرى في معنى هاتين المذكورتين، فهم يقصدون السؤال عن الآيتين وما يماثلهما.

ولذا تأتي روايات يسوقون فيها عدداً من الآيات وليست آية واحدة

للدلالة على أن التوهم يرد على الآية المسؤول عنها وما هو في معناها.

وفي أثر نافع بن الأزرق سؤال عن جمع من الآيات ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥]، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، و﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وفي روايات أُخرى قد يقتصر على إحدى هذه الآيات.

وفي أثر ابن عباس عدَّد آيات توهم خلاف ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، من أمثال قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]، و﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، و﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

وسُئل في أثر عن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١].

وفي أُخرى عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ [ق: ٢٨]. تنبيهاً على هذا الملحظ الذي ذكر ههنا.

٩ ـ من منهجهم في هذا العلم أنهم يأتون إلى إحدى الآيتين التي يُظن تعارضهما، فيفسرونها تفسيراً نافياً الإيهام موضحاً لما يتبادر من التناقض، فإذا جمعت مع تفسيراتهم الآية الأخرى بان أن ليس بينهما تعارض.

وهذا المنهج الوارد عنهم داخل في الطريقة الثانية من طرق حلهم موهم المختلف، وهي الخالية من عرض السؤال وتجليته بالجواب.

قال ابن عباس في إحدى الروايات عنه عند قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩].

لا أسألُ عن أعمالهم، ولا أسألُ بعضهم عن بعض، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، وقوله لمحمد ﷺ: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩][1].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٣٠)، ونسبه إلى ابن مردويه في الدر المنثور (١٤/ ١٢٩).

وقال مجاهد: لا تَسأل الملائكة عن المجرم، يعرفونهم بسيماهم(١).

وعن قتادة في قوله: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] قال: المشركون، لا يُسألون عن ذنوبهم ولا يُحاسبون لدخول النار بغير حساب(٢).

ومن الأمثلة كذلك قول محمد بن قيس(٣):

إن لملك الموت أعواناً من الملائكة ثم تلا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فتفسيره هذه الآية حلٌّ لما يتبادر من معارضة الآية لقول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: ١١](٤).

والأمثلة على هذا كثيرة.

١٠ ـ معرفة تفسير الآية والعلم بمعناها ومرادها كان مفتاحاً لرفع ما يتوهم من الاختلاف بين الآيات، وهذا ظاهر بيِّن، ومن طالع من خص الموهم بتأليف مستقل كالمفسر الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب، والباب الذي خصه ابن قتيبة في تأويل المشكل بهذا العلم عرف أن المعنى وليس غير المعنى هو السبيل إلى رفع الإيهام.

وبذلك ستعلم أن ما أورده بعض من ألَّف في علوم القرآن في خاتمة بحث هذا العلم القرآني من الطرائق التي تُسلك عند تعارض الآيات من طلب

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٣٠)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٥٦) [٢٧٧]، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٤/ ١٢٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٧٨) [٢٢٣٣]، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٥، ٢٤٦) [١٧٨٨٠] و[١٧٨٨٣] ونسب كذلك إلى عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١١/ ٥١١).

(٣) محمد بن قيس المدني، مولى يعقوب القبطي، وقيل مولى معاوية بن أبي سفيان، وهو قاص عمر بن عبد العزيز، روى عن جابر، وأبي هريرة، ويقال: مرسلاً، ثقة، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكان كثير الحديث عالماً، روى له مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، توفي أيام الوليد بن يزيد.

انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٥١١)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢١٢) [٦٦٦]، تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٢٣) [٥٥٦٦].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٣٩٦) [٧٦٦]. انظر: الدر المنثور (٦/ ١٣٨).

التاريخ وترك المتقدم منهما بالمتأخر ويكون ذلك نسخاً... إلخ ما ذكروا، ليس لصيقاً بهذا العلم، ولا يمكن به الجمع بين الآيات، إنما هو مبحث ذو علاقة بما يذكره الأصوليون عند تعارض الأحكام ـ وسيأتي مزيد بيان ـ.

١١ ـ قرر بعض الباحثين(١) ورود موهم التعارض بين القرآن والسُّنَّة عن الصحابة والتابعين، واستشهد ببعض الأمثلة التي أُثرت عنهم وما رفعوا به ما توهم وأجابوا عن ما يظن تناقضه بين الوحيين، ومن أبرز ما أتوا به من الأمثلة:

[أ] حديث يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١] فقد أَمِنَ الناس، فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: **«صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»**(٢).

والصحيح أن هذا من المشكل وليس من باب موهم الاختلاف، إذ لم يتوهم الصحابي تعارض نصين، إنما كان الإشكال لديه بسبب قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ مع أن القصر مشروع في السفر مطلقاً، فبيَّن ﷺ أن المفهوم من تقييده بالخوف غير مراد.

ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والآية قد أشكلت على عمر وغيره»، فعده إشكالاً(٣).

[ب] ما ورد عن علي أنه قال: إنكم تقرؤون ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١] وإن رسول الله ﷺ قضى بالدَّين قبل الوصية(٤)، قالوا: فعليٌ دفع ما يتوهم من التعارض بين الآية وفعل النبي ﷺ، وقضائه بالدين قبل الوصية، بأن الترتيب في الآية وتقديم الوصية على الدين في الذكر لا يعني تقديمها في الحكم.

والجواب عن هذا: أن مجرد تقديم الوصية على الدين لم يكن عند الصحابة موجباً اعتقاد تقديمها على الدين.

---

(١) انظر: موهم التعارض بين القرآن والسنة، للباحث: عبد الرحمٰن المحيميد، رسالة ماجستير (ص٤٠) فما بعدها.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٣١٠) [٦٨٦].

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٦٦).

(٤) تقدم تخريجه في علم: **المقدم والمؤخر**.

وعلي ﷺ إنما أراد التنبيه ولم يكن مما توهمه الصحابة وظنوا معارضته لما قضى النبي ﷺ.

وكان يصح هذا المثال لو أن تقديم شيء في الذكر وتأخير آخر يوجب تقديمه في العمل والبداءة به، وإثبات هذا دونه خرط القتاد.

[ج] حديث عمر في النفقة للمطلقة والسكنى لها، وأخذه بالآية التي تثبت لها ذلك، وتركه حديث فاطمة بنت قيس وفيه عدم إثبات النفقة والسكنى لها[(١)].

والحق أن لا تعارض بين الآية والحديث، من وجوه:

الأول: أن عمر أخذ بالآية وترك العمل بالحديث لا لمعناه، إنما لاحتمال نسيان الراوية وعدم الاطمئنان لما روته، ولو حصل ذلك له وتثبت من حفظ فاطمة وضبطها للحديث لأمكن أن يرى أن الحديث يشرح الآية أو يخصصها أو يقضي عليها.

الثاني: أن عمر ترك العمل بالحديث ولم يذهب إلى الأخذ به للعلة السابقة، ولهذا لا يوجد من يقول الآن باطراح حديث صحيح صريح إذا عارض الآية، بل إن السُّنَّة هي التي تبين إجمال الآيات وتخصص عمومها وتوضح موهمها، فهي شارحة للقرآن مبينة له.

الثالث: أن للصحابة أقوالاً في هذه المسألة؛ كقول عائشة: إن فاطمة بنت قيس كانت في مكان وحشٍ مخيف على ناحيتها فلذلك رخَّص لها رسول الله ﷺ[(٢)].

فجعلت حديثها خاصاً، وخصصت به عموم الآية، ولا تعارض بين الخاص والعام.

[د] حديث: **«إن الله ليعذب الميت ببكاء أهله عليه»**[(٣)] وقول عائشة:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب: المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها (٢/٦٨٩) [١٤٨٠]، وأبو داود في كتاب الطلاق، باب: من أنكر ذلك على فاطمة بنت قيس (ص٣٣٣) [٢٢٩١].

(٢) سنن أبي داود (٣٣٣) [٢٢٩٢].

(٣) أخرج الحديث البخاري في كتاب الجنائز، باب: قول النبي ﷺ: (يعذب الموت ببعض بكاء أهله عليه) (ص٢٠٦) [١٢٨٨]، ومسلم في الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٤١١/١) [٩٢٧].

حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤][(١)].

قالوا: فتوهم التعارض بين الآية والحديث، وعائشة دفعت التعارض المتوهم بترجيح الآية على الحديث، وخطَّأتْ رواية هذا الحديث بهذا اللفظ، وبينتْ أن ناقله لم يأت به كاملاً كما ورد، والجواب عن هذا:

أن عائشة ومن معها استشهدوا بالآية الكريمة على ما ذهبوا إليه من تأويل للحديث النبوي، ولم يجعلوها معارضةً للحديث ومخالفةً له، وبين الأمرين فرق ظاهر.

ولذلك فسَّرتْ الحديث بأنه في حالة خاصة لما مَرَّ النبي ﷺ على يهودية يُبكى عليها فقال: إنهم يبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها.

وعلى كلٍ فليست كل أجوبة هذا الحديث وتفسيراته تجعل الآية مقابل الحديث وتفترض توهم تعارضها، إنما هو في قليل من الأجوبة لا جميعها.

ولو قيل بأن الحديث الوارد هنا من المشكل أو هو مما يظن تعارضه مع الأحاديث الدالة على إباحة البكاء على الميت ما لم يصل إلى حد النياحة لكان أولى من ادعاء توهم اختلافه مع الآية الكريمة.

وأياً ما كان فلم يظهر لي أمثلة صريحة في ورود موهم التعارض بين القرآن والسُّنَّة عند الصحابة والتابعين، فإن جاء مثال واضح مستبين فبها ونعمت، وإلا فإن ما أورد لا يكفي دليلاً على أصل هذا النوع من موهم الاختلاف عندهم، والله أعلم.

[علم موهم الاختلاف عند أهل علوم القرآن]

[أ] ـ تسمية هذا العلم:

تقدم أن ما تنطق به آثار الصحابة والتابعين يفضي إلى تسميته بـ «موهم الاختلاف»، وهي كافية في الدلالة على هذا العلم سيما أن مما يستأنس به أن الآية القرآنية الكريمة فيها لفظ: الاختلاف في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وليس في مروياتهم ألفاظ مثل: التناقض أو التعارض.

---

(١) هذا المثال ذكره صاحب موهم التعارض بين القرآن والسنة (١/ ٤٣)، وصاحب الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الدكتور أحمد القصير (ص١٥٢).

أما أهل علوم القرآن فالتسمية عندهم كما يلي:

١ ـ الزركشي: «موهم المختلف»[١].

٢ ـ السيوطي في الإتقان: «في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض»[٢].

وفي التحبير سماه: «المشكل»[٣].

وفي معترك الأقران جعله: «ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات»[٤].

٣ ـ ابن عقيلة المكي: «علم ما أوهم التناقض والتعارض وليس بمتناقض ولا بمتعارض»[٥].

٤ ـ المفسر الشنقيطي سمى كتابه الذي ألفه في هذا العلم: «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب».

وأدق هذه التسميات ما قاله الزركشي، وفي مرويهم إشارةٌ لهذه التسمية تجعله يَفْضُل غيره.

ويلاحظ أن السيوطي اختلفت تسمياته لهذا العلم، فجمع مرةً بينه وبين المشكل، وفي أُخرى أطلق عليه اسم المشكل.

وقد أحسن ابن عقيلة لما فرق في فاتحة هذا العلم بين الموهم والمشكل في التعريف، وهذا صحيح فإن الموهم كان باباً من أبواب المشكل وشعبة من شعبه، ولهذا عدّه ابن قتيبة في مؤلَّفه (تأويل مشكل القرآن) باباً من أبواب المشكل[٦].

لكنه بعد ذلك انفصل عن علم المشكل وأصبح علماً مستقلاً، وتناوله العلماء والباحثون بالتأليف المخصوص مستفيضين في بحث مسائله والتقعيد له، وخصوه بما يتوهم من تعارض الآيات بعضها مع بعض، وإن كان أصله كما ذكر.

---

(١) البرهان (٢/ ٥٣).

(٢) الإتقان (٤/ ١٤٧٠).

(٣) التحبير (٢٢١).

(٤) معترك الأقران (١/ ٩٤).

(٥) الزيادة والإحسان (٥/ ١٩٦).

(٦) سماه ابن قتيبة (باب التناقض والاختلاف). انظر: تأويل مشكل القرآن (ص٦٥).

[ب] إفادتهم من آثار الصحابة والتابعين.

أشار الزركشي إلى أن هذا العلم مما تكلم فيه الصدر الأول كابن عباس وغيره، وعرض مثالاً عن الحسن البصري(١).

ثم تميز السيوطي ـ كعادته ـ في إيراد جملة وافرة من الآثار المروية عن الصحابة والتابعين، مما أجابوا به عن أسئلة السائلين ورفعوا به توهم الاختلاف بين الآيات، وتبعه على هذا الصنيع ابن عقيلة الذي يكاد يكون ناقلاً بالنص عن الحافظ السيوطي(٢).

وفي ثنايا ما ذكره السيوطي من الآثار لفتة مهمة، فإنه لما أورد سؤال نافع بن الأزرق على ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، و﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

قال: «ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: ثم يلقى الثالث، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك، ويثني ما استطاع، فيقول: الآن نبعث شاهداً عليك، فيذكر في نفسه من الذي يشهد عليَّ؟ فيختم على فِيْه، وتنطق جوارحه»(٣).

وتقدم في الجانب التأصيلي أن بعض آثارهم تؤسس للبحث عن دليل يتقوى به أحد الأجوبة عن الموهم، وهنا طبقه السيوطي وأيد قول ابن عباس بالحديث النبوي.

[ج] استفادوا من أجوبة الصحابة والتابعين ومن أجوبة غيرهم كذلك، فخرجوا بأسبابٍ للاختلاف، وهذا عند الزركشي، ونقله عنه السيوطي وغيره.

ومما ذكروه من الأسباب مستفيدين من المأثور عن المتقدمين ما يلي:

١ ـ وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى؛ كقوله في خلق آدم: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ومرة ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ومرة ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ومرة ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤].

---

(١) البرهان (١/ ٥٣).

(٢) الإتقان (٤/ ١٤٧٠)، والزيادة والإحسان (٥/ ١٩٦).

(٣) الإتقان (٤/ ١٤٧٥)، ووجدت ابن حجر يؤيد جواب ابن عباس بهذا الحديث. انظر: فتح الباري (٨/ ٤٢٠).

٢ ـ اختلاف الموضوع؛ كقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤]، مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمٰن: ٣٩].

٣ ـ أن يكون بوجهين واعتبارين، ومثاله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وفي قوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥].

قلت: وهذه يصح أن تكون أسباباً وفي الوقت نفسه إجابات للاختلاف، فمثلاً قولهم: إن وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى سبب توهم الاختلاف، والجواب: أن كل آية أُخبر بها عن حالة مختلفة، فتحمل كل آية على حالة وتطور من تطورات الخلق، فذلك سببٌ وجوابٌ في الوقت عينه.

ومثله: اختلاف الموضوع، فالآية المثبتة للسؤال تحمل على سؤالهم عن موضوع، والآية المنفية عن موضوع آخر، وهذا أحد أوجه الجمع بين هذه الآيات، وهكذا في بقية الأسباب المذكورة.

[د] ما يوردونه في خاتمة علم موهم الاختلاف من الطرائق التي تسلك عند تعارض الآيات والنص المذكور عن أبي إسحاق الإسفراييني من طلب التاريخ ومعرفة المتقدم من المتأخر يكون المتأخر ناسخاً للمتقدم... إلخ[(١)] هو في حقيقته بحث أُصولي يذكره الأُصوليون حين ما تتعارض الأحكام وتتقابل النصوص، وتحتاج إلى وجوه للترجيح عند تعذر الجمع، ولا علاقة له بالعلم القرآني **موهم الاختلاف**، وسبق القول أن معرفة المعنى وتبيُّن وجه الآية هو مفتاح حل ما توهم من تناقض بينها.

ولذا قال السيوطي في كلمات نفيسة له:

«ومن رسخ قدمه في معرفة مواد العرب واستعمالاتها وفنون اللغة، ورُزق فهماً وبصيرة لم يخفَ عليه الجمع بين الآيات المشكلة». اهـ[(٢)].

وما ذكره ههنا أدوات ومعارف يلزم المفسر العلم بها حتى تتقوى ملكته التفسيرية، ويهتدي فهمه وتهديه بصيرته إلى وجوه الجمع بين ما يُظن اختلافه ويُتوهم تناقضه.

---

(١) البرهان (٢/ ٥٧)، والإتقان (٤/ ١٤٨٤). (٢) التحبير (ص٢٢٣).

الفصل الخامس

أمثال القرآن

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية هذا العلم القرآني.
- المسألة الثانية: توصيف طريقتهم في بيان الأمثلة القرآنية.
- المسألة الثالثة: الوارد عنهم في نوع الأمثال الكامنة.
- المسألة الرابعة: استنباطهم من أمثال الكتاب مسائل فقهية وفوائد لطيفة.
- المسألة الخامسة: حكم ضرب الأمثال بآيات القرآن.

[أمثال القرآن]

المسألة الأولى

أهمية هذا العلم القرآني

١ - عن ابن عباس ﵄ قال: قال عمر بن الخطاب: قرأت الليلة آية أسهرتني ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] ما عَنَى بها؟

فقال بعض القوم: الله أعلم، فقال: إني أعلم أن الله أعلم، ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها بشيء أن يخبر بما سمع، فسكتوا، فرآني وأنا أهمس، قال: قل يا ابن أخي، ولا تحقر نفسه، قلت: عنى بها العمل، قال: وما عنى بها العمل؟ قلت: شيءٌ أُلقي في روعي فقلته، فتركني، وأقبل وهو يفسرها: صدقت يا ابن أخي عنى بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبر سنه وكثرت عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يا ابن أخي(١).

وفي رواية البخاري: أن عمر ﵁ قال يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت؟ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قال ابن عباس: لعملٍ، قال عمر: لرجلٍ غني يعمل بطاعة الله ﷻ ثم بعث الله له الشيطان فعَمِل بالمعاصي حتى أغرق أعماله(٢).

٢ - عن ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) أخرجه ابن المنذر، وعبد بن حميد كما قال ذلك السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٤٨).

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (ص٧٧١) [٤٥٣٨].

قال: يعني: المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[١].

٣ ـ قال ابن عباس ﷺ: المحكمات: ناسخه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وما يؤمن به ويعمل به...، والمتشابهات: منسوخه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به[٢].

٤ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف غوى، أخبار وأمثال، وحرام وحلال، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن... إلخ[٣].

٥ ـ عن قتادة في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٦٦]. قال: هذا مثل ضربه الله، فاعقلوا عن الله أمثاله؛ فإن الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣][٤].

٦ ـ عن عمرو بن مُرة[٥] قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني؛ لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣][٦].

---

(١) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٢) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٣) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٣٩، ٤٠) [٢٨٣١]، والطبري بنحوه (٤/ ٦٨٦)، وعزاه السيوطي كذلك إلى عبد بن حميد (٣/ ٢٥٢).

(٥) عمرو بن مُرة بن عبد الله بن طارق المرادي الجملي، أبو عبد الله الكوفي الأعمى، روى عن عبد الله بن أبي أوفى، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، وجماعات من التابعين كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والثوري، والنخعي وغيرهم، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعدَّه ابن مهدي من حفاظ الكوفة، قال عنه ابن حجر: ثقة عابد، كان لا يدلس، ورُمي بالإرجاء، من الخامسة. مات سنة (١١٨هـ)، وقيل: سنة (١١٦هـ).
انظر: التاريخ الكبير للبخاري، (٦/ ٣٦٨) [٢٦٦٢]، تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٣٢) [٤٤٤٨]، تقريب التهذيب (ص٧٤٥) [٥١٤٧].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٩٢) [١٨١٧٤].

المسألة الثانية

توصيف طريقتهم في بيان الأمثلة القرآنية

١ ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧].

عن ابن مسعود وناس من الصحابة ﷺ قال: إن ناساً دخلوا في الإسلام عند مقدم النبي ﷺ المدينة، ثم نافقوا فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد ناراً فأضاءت ما حوله من قذىً أو أذىً، فأبصره حتى عرف ما يتقي، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر، فبينا هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال والحرام ولا الخير من الشر، فهم صمٌ بكمٌ، فهم الخُرْسُ، فهم لا يرجعون إلى الإسلام[(١)].

وقال ابن عباس ﷺ: هذا مثل ضربه الله للمنافقين الذين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم، ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله العزَّ كما سلب صاحب النار ضوءه...[(٢)].

وعن مجاهد قال: أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى الكافرين والضلالة، وإضاءة البرق وإظلامه على نحو ذلك المثل[(٣)].

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمنافق، أن المنافق تكلم بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فناكح بها المسلمين، ووارث بها المسلمين، وعادَّ بها المسلمين وحقن بها دمه وماله، فلما كان عند الموت لم يكن لها أصل في قلبه، ولا حقيقة في عمله فسُلبها المنافق عند الموت، فتُرِك في ظلمات وعمى يتسكع فيها كما كان أعمى في الدنيا عن حق الله وطاعته[(٤)].

وعن الضحاك بن مزاحم قال: أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به،

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٧، ٣٣٨)، وانظر: الدر المنثور (١/ ١٧١).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٤١) [١٥٦]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر، والصابوني في المائتين. انظر: الدر المنثور (١/ ١٧٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٨، ٣٣٩).

وأما الظلمات فهي ضلالتهم وكفرهم(١).

وعن الربيع بن أنس: ضرب مثل أهل النفاق فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، قال: إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها، فإذا خمدت ذهب نورها، كذلك المنافق، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له، فإذا شك وقع في الظلمة(٢).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٦].

فسَّره عمر ﷺ فقال: هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل عمل السوء(٣).

وقال ابن عباس: ضرب الله مثلاً حسناً، وكل أمثاله حسنةٌ، قال: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يقول: صنعه في شبيبته، فأصابه الكبر وولده وذريته ضعفاء عند آخر عمره، فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه، فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خيرٌ يعودون به عليه، فكذلك الكافر يوم القيامة إذا رُدَّ إلى الله ليس له خير فيستعتب، كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه، ولا يجده قدَّم لنفسه خيراً يعود عليه كما لم يُغن عن هذا ولده، وحُرم أجرُه عند أفقر ما كان إليه كما حرم هذا جنته عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته(٤).

وفسره ابن عباس في رواية أخرى فقال: ضربت مثلاً للعمل، يبدأ فيعمل عملاً صالحاً فيكون مثلاً للجنة، ثم يُسيء في آخر عمره فيتمادى في الإساءة

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٤٢) [١٦٣، ١٦٧].

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم (١/ ٤١) [١٥٧] لكنه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦٨٣).

(٤) أخرجه ابن جرير (٤/ ٦٨٦، ٦٨٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨) [٢٨٢٣].

حتى يموت على ذلك، فيكون الإعصار الذي فيه نار التي أحرقت الجنة مثلاً لإساءته التي مات وهو عليها(١).

وقال مجاهد: هذا مثل المفرِّط في طاعة الله حتى يموت، مثله بعد موته كمثل هذا حين احترقت جنته وهو كبير لا يُغني عنها، وولده صغار ولا يُغنون عنه شيئاً، كذلك المفرِّط بعد الموت كل شيء عليه حسرةٌ(٢).

وقال الحسن: ذا مثلٌ قلَّ واللهِ من يعقله من الناس، شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا(٣).

وعن الربيع بن أنس بكلام حول قول مجاهد(٤).

وقال السدي إنه مثل آخر لنفقة الرياء؛ يعني: ينفق ماله يُرائي به الناس، فيذهب ماله منه، وهو يُرائي فلا يأجره الله فيه، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت، كما أنفق هذا الرجل على جنته حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سموم فأحرقت جنته فلم يجد منها شيئاً(٥).

٣ - قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد لخير؛ كالكلب إن كان رابضاً لهث، وإن طُرد لهث(٦).

وعن مجاهد: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾: فدفعنا عنه بها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ سكن، ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ إن تطرده بدابتك

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦٨٤، ٦٨٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٤/ ٦٨٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٧) [٢٨١٦]، وعزاه السيوطي كذلك إلى عبد بن حميد، الدر المنثور (٣/ ٢٥٠).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه (١/ ١١٨) [٣٤٣]، والطبري (٤/ ٦٨٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره بنحوه (٢/ ٣٩) [٢٨٢٧].
(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٦٨٧، ٦٨٨).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦٨١، ٦٨٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨) [٢٨٢٠].
(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٦) [٩٣٣٥].

ورجليك، وهو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به[(١)].

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله لمن عُرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ قال: لو شئنا لرفعناه بإيتائه الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] أبى أن يصحب الهدى ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما أُميت فؤاد الكلب[(٢)].

وعن الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق دُعِي أو لم يُدْع، وُعِظ أو لم يُوعَظ؛ كالكلب يلهث طُرد أو ترك[(٣)].

وقال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع، كان ضالاً قبل وبعد[(٤)].

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا مثلٌ ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ وهو الشك ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو اليقين، وكما يجعل الحُلي في النار فيؤخذ خالصه ويُترك خبيثه

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٦)، وابن أبي حاتم ٤/ ٢٣٦ (٩٣٣٦)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ (٦/ ٦٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٥، ٢٣٦) [٩٣٢٢] [٩٣٣٣، ٩٣٣٤]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ، الدر المنثور (٦/ ٦٧٨).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٩)، وابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ٢٩١).

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ، الدر المنثور (٦/ ٦٧٩).

في النار، فكذلك يقبل الله اليقين، ويترك الشك[١].

وفي رواية: هذا مثلٌ ضربه الله بين الحق والباطل، فجعل الله ذلك مثل العمل الصالح الذي يبقى لأهله، والعمل السيئ يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزبد، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله، كذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة، وأُقيم الناس وعُرضت الأعمال فيرفع الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق[٢].

وعن قتادة قال: . . . هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثلٍ واحدٍ، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به، ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل على أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأَمْرعتْ[٣] وربت بركته وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله، وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ [الرعد: ١٧] كما يبقى خالص هذا الذهب والفضة حين أُدخل النار فذهب خبثه كذلك يبقى الحق لأهله، وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أُدخل في النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله.

﴿أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ يقول: هذا الحديد وهذا الصُّفْر حين أُدخل النار وذهب بخبثه، كذلك يبقى الحق لأهله كما يبقى خالصهما[٤].

وقال عطاء: ضرب الله مثل الحق والباطل، فضرب مثل الحق السيل الذي يمكث في الأرض فينفع الناس، ومثل الباطل مثل الزَّبد الذي لا ينفع الناس، ومثل الحق مثل الحليِّ الذي يُجعل في النار فما خلص منه انتفع به أهله، وما خبث منه فهو مثل الباطل، عُلِم ألا ينفع الزبدُ وخَبَثُ الحُلِيِّ أهلَه، فكذلك الباطل لا ينفع أهله[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٩٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ (٨/ ٤١٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٩٩)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (٨/ ٤١٩، ٤٢٠).

(٣) المَرِيع: المُخْصِب النَّاجع، يقال: أَمْرَعَ الوادي ومَرُع مَراعَة. انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٢٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٠١)، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور (٨/ ٤٢١، ٤٢٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٠٣)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٨/ ٤٢٠، ٤٢١).

٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يُرفع بها عمل المؤمن إلى السماء ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي الشرك ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ يعني الكافر ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يقبل الله مع الشرك عملاً»(١).

وعن مجاهد: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] هي النخلة، وقوله: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] هي الحنظلة مثلٌ للمؤمن والكافر(٢).

وقال الضحاك: وهذا مثل المؤمن، يعمل كل حينٍ وكل ساعة من النهار وكل ساعة من الليل وفي الشتاء والصيف بطاعة الله، قال: وضرب الله مثل الكافر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] ليس لها أصل ولا فرع وليست لها ثمرة، وليست فيها منفعة كذلك الكافر، ليس يعمل خيراً ولا يقوله، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة(٣).

وعن عطية العوفي قال: «ذلك مثل المؤمن، لا يزال يخرج منه كلام طيب، وعمل صالح يصعد إليه ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قال: مثل الكافر، لا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح»(٤).

وعن الربيع بن أنس: ذلك المؤمن ضُربَ مَثَلهُ، قال: الإخلاص لله

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٩) [١٣٠٩٦]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٧٢، ٢٧٣) [٢٠٦]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٠٩)، والأثر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٦٣٩، ٦٣٥، ٦٥٤)، والرامهرمزي في أمثال الحديث (٣/ ١٣٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٤٠، ٦٤٥، ٦٥٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٣٦، ٦٥٦).

وحده وعبادته لا شريك له ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أصل عمله ثابت في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ذِكْره في السماء ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥] يصعد عمله أول النهار وآخره ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هذا الكافر ليس له عمل في الأرض، ولا ذكرٌ في السماء ﴿اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] أعمالهم يحملون أوزارهم على ظهورهم(١).

وفي رواية له: وإنما هي الأمثال في الإيمان والكفر(٢).

ورد في حديث أنس ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ أن (الشجرة الطيبة): النخلة، و(الشجرة الخبيثة) الحنظلة(٣)، وجاء عن ابن مسعود، وابن عباس وأنس بن مالك، ومجاهد، وعكرمة، وطوائف من السلف تفسير (الشجرة الطيبة) بأنها النخلة(٤).

وعن عكرمة في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة لا يزال فيها شيء ينتفع به، إما ثمرة وإما حطب، وكذلك الكلمة الطيبة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة(٥).

٦ ـ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: ٧٥].

قال ابن عباس ﷺ: يعني الكافر، أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله، ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ يعني

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/٦٣٦، ٦٣٧، ٦٥٦، ٦٥٧).

(٢) كما ساقه السيوطي في الدر المنثور معزواً إلى ابن أبي حاتم (٨/ ٥١٢).

(٣) أخرجه الترمذي (ص٧٠٥) [٣١١٩]، والبزار كما عند ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٩٨)، وأبو يعلى (٧/ ١٨٢، ١٨٣) [٤١٦٥]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٧٥) [١١١٩٨]، والطبري (١٣/ ٦٣٨)، وابن حبان (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣) [٤٧٥]، والحاكم (٣/ ٩٤) [٣٣٩٣]، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي موقوفاً (٣/ ٢٦٣) [٣١١٩]، وورد كذلك عن ابن عمر عند أحمد بعضه (٩/ ٤٦٤) [٥٦٤٧] وابن مردويه، وجوّد إسناده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١٣، ٥١٤)، وأصله في الصحيح بنحوه من حديث ابن عمر في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ (٨١١) [٤٦٩٨].

(٤) انظر الآثار في: جامع البيان (١٣/ ٦٣٩ ـ ٦٤١)، الدر المنثور (٨/ ٥١٤، ٥١٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٤٠)، والرامهرمزي في أمثال الحديث (٣/ ١٣٠).

المؤمن، وهذا المثل في النفقة[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ثانية قال: «﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾» [النحل: ٧٥] قال: يعني بذلك الآلهة التي لا تملك ضراً ولا نفعاً، ولا تقدر على شيء ينفعها، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ قال: علانية، الذي ينفق سراً وجهراً لله[(٢)].

وقال مجاهد في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٧٥] و﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾، و﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٧٦] قال: كل هذا مَثَل إلـه الحق وما يدعون من دونه الباطل[(٣)].

وقال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله للكافر، رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيراً، ولم يعمل فيه بطاعة الله ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٧٥]، قال: هو المؤمن أعطاه الله مالاً رزقاً حلالاً، فعمل فيه بطاعة الله، وأخذ بشكرٍ ومعرفةٍ حق الله فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة، قال الله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: ٢٤] قال: لا والله ما يستويان[(٤)].

وعن الربيع بن أنس قال: إن الله ضرب الأمثال على حسب الأعمال، فليس عمل صالح إلا له المثل الصالح، وليس عمل سوء إلا له مثل سوء، وقال: إن مثل العالم المستقيم كطريق بين نجْد وسهل، فهو مستقيم لا يُعوجه شيء، فذلك مثل العبد المؤمن الذي قرأ القرآن فعَمِل له[(٥)].

٧ - ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/٣٠٨)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كذلك، الدر المنثور (٩/ ٨٥).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر (٩/ ٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٣١١)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٩/ ٨٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٠٧، ٣٠٨)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٩/ ٨٥).

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (٩/ ٨٦).

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه: هو المؤمن الذي قد جعل الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به، فكان أُبي بن كعب يقرؤها (مثل نور من آمن به)، كمشكاة: فصدر المؤمن المشكاة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ و﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾ النور، وهو القرآن والإيمان الذي جُعل في صدره، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ قلبه، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فقلبه مما استنار فيه القرآن والإيمان ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مثل هداه في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ يقول: موضع الفتيلة، يقول: كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه، كذلك يكون قلب المؤمن، يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدىً على هدىً، ونوراً على نور[(٢)].

وعن قتادة: مثل نور الله في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الكُوَّة، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ منير مضيء، ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يفيء عليها ظل شرقي ولا غربي... هذا مثلٌ ضربه الله للقرآن؛ أي: قد جاءكم من الله نور وهدىً متظاهران، المؤمن سمع كتاب الله فوعاه وحفظه وانتفع بما فيه وعقل به، فهذا مثل المؤمن[(٣)].

وعن عكرمة قال: مثل نور المؤمن[(٤)].

وعن الحسن: مثل هذا القرآن في القلب[(٥)].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٨ ـ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٣٥٥، ٣٥٦) [١٥٣٤٨]، [١٥٣٥٠]، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه (١١/ ٦١).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠٣)، وابن أبي حاتم مختصراً (٦/ ٣٥٦) [١٥٣٥٢]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٠١) [١٣٦]، وزاد السيوطي عزوه إلى ابن المنذر (١١/ ٦٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٥٠) [٢٠٤٦]، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، والطبري. انظر: الدر المنثور (١١/ ٦٧، ٦٨).

(٤) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١١/ ٦٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٩، ٣٠٠)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (١١/ ٦٧).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذاك مثلٌ ضربه الله لمن عَبَد غيره، أن مثله كمثل بيت العنكبوت(١).

وقال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله للمشرك أنه لن يُغني عنه إلـٰهه شيئاً من ضعفه وقلة إجزائه، مثل ضعف بيت العنكبوت(٢).

٩ ـ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي في الآلهة، وفيه يقول: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً(٣).

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه يقول: أكان أحدكم مشاركاً مملوكه في ماله ونفسه وفراشه وزوجته؟ فكذلك لا يرضى الله تعالى أن يعدل به أحد من خلقه(٤).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرجل يعبد آلهة شتى، فهذا مثلٌ ضربه الله لأهل الأوثان ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ يعبد إلـٰهاً واحداً ضرب لنفسه مثلاً(٥).

وقال مجاهد: هذا مثل آلهة الباطل وإلـٰه الحق(٦).

وعن قتادة قال: هو المشرك تتنازعه الشياطينُ لا يُقِرُّ به بعضهم لبعض، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ قال: هذا هو المؤمن، أخلص لله الدعوة والعبادة(٧).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨١) [٢٢٤٩]، والطبري (١٨/ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٩١) [١٨١٦٧]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١١/ ٥٤٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٩٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه (٢٤/ ٨٥) [٢٢٧٥]، والطبري (١٨/ ٤٨٩، ٤٩٠)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٥٩٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٤٠٤) [١٨٩٠٧].

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٨)، ونسب إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٢/ ٦٥٤).

(٧) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٤٠) [٢٦٢٧]، والطبري (٢٠/ ١٩٨)، ونسب إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٢/ ٦٥٤).

المسألة الثالثة

الوارد عنهم في نوع الأمثال الكامنة

١ ـ عن مُطَرِّف بن عبد الله[1]: خير هذه الأمور أوساطها، والحسنة بين السيئتين، فقلت لقتادة: ما الحسنة بين السيئتين؟ فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧][2].

٢ ـ عن يزيد بن مرة الجعفي[3] قال: العلم خير من العمل، والحسنة بين السيئتين؛ يعني: ﴿إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، وخير الأمور أوساطها[4].

المسألة الرابعة

استنباطهم من أمثال الكتاب مسائل فقهية وفوائد لطيفة

١ ـ عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني حلفت ألَّا أكلم أخي حيناً، فقال ابن عباس: أَوَقَّتَ شيئاً؟ قال: لا، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] فالحين سنة[5].

وبنحوه ورد عن عكرمة[6].

---

(١) هو: مُطَرِّف بن عبد الله ابن الشِّخِّير أبو عبد الله الحَرَشي العامري البصري، الإمام،القدوة، الحجة، كما وصفه الإمام الذهبي، حدث عن مجموعة من الصحابة؛ كعلي، وعثمان، وعائشة، وأبي ذر، وجماعة، من كبار التابعين، ولد في حياة النبي ﷺ، كان ثقةً ذا علم وورع وأدب، توفي في أول ولاية الحجاج، وقيل سنة (٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٧/٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٩٠، ٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٤٧٨/٦) [١٦١٧٦]، وابن عساكر في تاريخه (٣٠٤/٥٨).

(٣) هو: يزيد بن مرة الجعفي، روى عن عمر بن الخطاب، مرسلاً، وروى عنه ابنه جابر الجعفي. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧) [١٢٢٠].

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٠٠).

(٥) ذكره سحنون في روايته المدونة الكبرى (١/ ٥٩١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٩٦) [١٢٦٠٧]، والطبري في تفسيره (١٣/ ٦٤٩)، وعزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر، الدر المنثور (٥١٦/٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٤٩، ٦٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤) [٢٠٥٩٤].

وكذلك عن سعيد بن المسيب مع اختلاف في تقدير «الحين»[(١)]، وهناك روايات متعددة في هذا المعنى[(٢)].

٢ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥] حين سئل عن المملوك يتصدق بشيء؟

فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لا يتصدق بشيء[(٣)]، وقال: ليس للعبد طلاق إلا بإذن سيده، وقرأ: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[(٤)].

٣ ـ عن شعيب بن الحَبْحَاب[(٥)] قال: خرجت مع أبي العالية نريد أنس بن مالك قال: فأتيناه، فدعا لنا بِقِنْع وقال: طبق عليه رطب فقال: كلوا من هذه الشجرة التي قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤][(٦)].

وفي رواية: كل يا أبا العالية، فإن هذه من الشجرة التي قال الله في كتابه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[(٧)]..

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٥٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٩٦) [١٢٦١٠]، وابن حزم في المحلى (٨/ ٥٨)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٠٤) [٢٠٥٩٢].

(٢) انظر: جامع البيان (١٣/ ٦٤٥ ـ ٦٥٠)، والمحلى لابن حزم (٨/ ٥٧ ـ ٦٠).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (٤/ ٣٢٤) [٧٩٥٣].

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ بتحقيق الأعظمي ـ (١/ ٢١٠) [٨٠٧].

(٥) هو: شعيب بن الحَبْحَاب الأزدي المعولي مولاهم، أبو صالح البصري، روى عن النخعي، وأبي العالية والشعبي، وثقه أحمد والنسائي، وروى له الجماعة سوى ابن ماجه، مات سنة (١٣٠هـ)، وقيل سنة (١٣١هـ). انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٢١٦) [٢٥٥٥]، طبقات ابن سعد (٩/ ٢٥٢) [٤٠٢٧]، تهذيب الكمال (١٢/ ٥٠٩) [٢٧٤٥].

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره مختصراً (١/ ٢٩٦) (١٤٠٦)، والترمذي (ص٧٠٥) [٣١١٩]، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٩٨)، والطبري (١٣/ ٦٣٨، ٦٣٩)، والرامهرمزي في أمثال الحديث (٣/ ١٣١)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر (٨/ ٥١٣).

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٩/ ٨٧).

المسألة الخامسة

حكم ضرب الأمثال بآيات القرآن

١ ـ عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يتلوا الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا، قيل لهُشَيم[(١)]: نحو قوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]؟

قال: نعم[(٢)].

٢ ـ قال ابن شهاب الزهري: لا تناظر بكتاب الله ولا بسُنَّة رسول الله ﷺ[(٣)].

[التأصيل]

١ ـ علم أمثال القرآن من أعظم العلوم التي اعتنى بها الصحابة والتابعون، فما من مثلٍ قرآني ـ في الغالب ـ إلا استشرحوه وكشفوا الغطاء عن معانيه وأسراره.

وأتت عنايتهم به في جملة من الأمور:

الأول: عدَّه ابن عباس رضي الله عنهما مع علوم القرآن الأصيلة حين فسر الحكمة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فضم علم الأمثال مع

---

(١) هو: هُشَيم بن بشير بن أبي خازم أبو معاوية السُّلَمي، وصفه الذهبي بـ الإمام، شيخ الإسلام، محدث بغداد وحافظها، أخذ عن الزهري، وعمرو بن دينار، وروى عن أيوب السختياني، وعطاء السائب، والأعمش، وخلقٍ غيرهم، روى عنه: مالك بن أنس، والثوري، وابن المبارك، وشعبة، وطائفة، قال ابن حجر: ثقةٌ ثبتٌ، كثير التدليس والإرسال الخفي، مات سنة (٨٣هـ) رحمه الله.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٧) [٧٦]، تقريب التهذيب (١٠٢٣) [٧٣٦٢]، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٩٧) [١٤١]، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣١٨، ٣١٩) [٩٢]، وضعفه محقق السنن، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٠١) [٣٠٧٣٩]، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٠٤١) [١٣٤٤].

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٧٥) [٧٩٠٥]، وأبو عبيد في فضائل القرآن دون إسناد (١/ ٢٩٧)، وأبو الفضل المقرئ في أحاديث في ذم الكلام (٢/ ٣٠) [١٩٠]، وسيأتي شرح مراده بذلك.

علوم النسخ والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام وغيرها، وما كان ليجعلها تصافّ هذه العلوم إلا وهي مثلها في القدر والمكانة.

الثاني: احتفاء الصحابة ومنهم كبارهم بعلم الأمثال، فهذا عمر بن الخطاب تسهره آية البقرة يمكث يتدبر معناها والمراد بها، ثم يسأل الصحابة شحذاً للهمم ورغبة في سماع أحدهم شيئاً من النبي ﷺ يزيد وضوح المثل القرآني ويجليه.

أفلا تستحق هذه الآية وأشباهها التي أسهرت الفاروق ناظراً في مرادها متأملاً معناها الاهتمام والنظر الدؤوب؛ تبصراً في دلالاتها وكشفاً عن مقاصدها؟.

الثالث: خص الله العالمين بأنهم يعقلون عنه الأمثال التي يضربها للناس، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وهذه مِدْحة لهم وتبيان اختصاصهم بالفهم عن الله وآياته، وهو ما أحزن بعض السلف لما يمرون بآية فيها مَثَل قرآني لا يعلمونه ويعقلون مراده، وهذا حثٌّ على إدراك أمثال القرآن والوقوف ما تحويه من جليل المعاني.

الرابع: ما من مثل ـ غالباً ـ ضربه الله في كتابه العزيز إلا استشرحه أهل العلم من الصحابة والتابعين، وبسطوا دلالاته وقربوا وجوهه، وهذا ضرب من ضروب العناية، ومظهر من مظاهر علو الأمثال وشأنها.

٢ ـ جعل ابن عباس رضي الله عنهما علم الأمثال من العلوم التي عدها في تفسير المتشابهات، وهذا يقود إلى السرّ في جعل علم الأمثال من المتشابهات، فكلامه في المتشابه هنا مشتبه، ولعل مراده ـ والله أعلم ـ أمران:

أ ـ إما أن يقصد أنه من المتشابهات عند أهل الزيغ حين ارتابوا في ضرب القرآن الأمثال وقالوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦].

ب ـ وإما أن كثيراً من معاني ما ضرب الله من الأمثال خفية غير جليَّة إلا على من رزقه الله فهماً في كتابه، فاستنارت بصيرته وعقل عن الله أمثاله، وهذا ليس ببعيد، فإن الأمثال ينطوي تحتها ذخائر عظيمة لا يدركها إلا أهل البصائر ومن أقام الله في صدورهم للعلم والفهم منائر، وعلى كلٍّ فهذا الأثر يومئ إلى ضرورة العناية بالأمثال وإدمان النظر فيها ومدارستها.

٣ ـ لم تكن نصوص الصحابة والتابعين في تجلية أفراد هذا العلم وكشف مخبوئه إلا انصرافاً إلى آيات الأمثال في الكتاب العزيز، واستجلاء معانيها ومعرفة المقصود بالأمثال ومورد سياقها.

ولذا كان الغالب عنهم نصوصاً صريحةً في إبراز أهمية العلم وقيمته، وترجمة هذا عملاً لا قولاً فحسب في تبيان آيات المثل في القرآن.

فأما قطب أنواع الأمثال وما تدور على رحاه آثارهم فهي الأمثال المصرحة التي تضمنها الكتاب المجيد في بضعة وأربعين مثلاً قرآنياً، وجاء معها الحِكم البليغة من وراء ضربها في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزمر: ٢٧].

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

فما من آية ـ في الجملة ـ تضمنت مثلاً إلا يؤثر عنهم «الصحابة والتابعين» شرحاً لهذا المثل وتفسيراً لمراده.

وهذا أعلى ما يكون من الاهتمام وغاية ما تكون العناية، فإن اعتبار الأمثال وترسيخ أهدافها لا يكون إلا بعد فهم نصوصها وتبيين مقصودها.

٤ ـ يمكن توصيف نهج الصحابة والتابعين في تبيين أمثال القرآن في الجمل التالية:

أ ـ تصدر ابن عباس رضي الله عنهما علماء الصحابة في كثرة الأقوال في تفسير الأمثال، وشاركه في بعض ذلك من أجلاء الصحابة: عمر، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، وأبو أُمامة، وأنس بن مالك.

أما من التابعين فظهرت كثرة مرويات قتادة، وشاركه السدي كذلك، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس على اختلاف في قدر الوارد عنهم.

وكان ابن عباس وقتادة من أكثر الصحابة والتابعين روايةً في تفسير الأمثال القرآنية، وقاربهم السدي كذلك.

بل خلت بعض الآيات القرآنية من توضيح المثل فيها، إلا من روايات ابن عباس أو قتادة أو السدي مع عبارة بيِّنة في المثل والمقصود من ضربه[1].

---

(١) انظر: تفسير آية الروم (٢٨) في الدر المنثور (١١/٥٩٨، ٥٩٩)، وآية العنكبوت (٤١) =

ب ـ دارت أقاويل الصحابة والتابعين في أمثال القرآن على عدة وجوه:

الوجه الأول: موضوع المثل ووجه المعنى الذي جاء المثل يجسده في صورة محسوسة قرَّب به المقصود وأبانه، فتراهم يقولون: ضربت مثلاً للعمل، وهذا المثل في النفقة، هذا مثلٌ ضربه الله بين الحق والباطل، هذا مثلٌ ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه.

وهذا الجانب في الأمثال مما لا تكاد تخلو منه مروياتهم وهو أصلٌ أصيلٌ في ترسيخ عظيم المعاني فتأتي الأمثال في صورٍ محسوسة تُدني المراد من ناظره.

الوجه الثاني: **أصحاب المثل**، أو ما يسمى في أجزاء المثل: **المُمَثَل**، فيقولون: هذا مثلٌ ضربه الله للمشرك، هذا مثلٌ ضربه الله للمنافقين، هذا مثل آلهة الباطل وإلـه الحق.

الوجه الثالث: الإفاضة في كشف وجه المثل ببيان معانيه، ووجه اتصاله بالمثل المضروب والصورة المشاهدة التي يعرضها القرآن على تنوعٍ في طريقة عرضهم المثل القرآني ما بين الإيجاز والبسط.

ويُلاحظ أنهم لا يطنبون في عرض الممثلات المشاهدة، إنما قد يبينون عن بعض ما خفي منها إتماماً للمثل، وفي سبيل الوصول إلى استخراج المعنى المنطوي تحت المثل، فمثلاً أوضحوا معنى (الشجرة الطيبة) بأنها النخلة، و(المشكاة) الكُوَّة، (أو متاع زبد مثله): هذا الحديد، وهذا الصُّفر حين أُدخل النار ذهب خبثه، (كسراب بقيعة) بقاع من الأرض.

وإنما الغاية لديهم فهم ما أراد الله تعالى من ضرب المثل وما احتواه من معانٍ وفوائد.

ج ـ لم يكن لديهم توجه إلى استنطاق نصوص الأمثال لإبراز ما فيها من وجوه بلاغية ونفائس بيانية، وروعة في التصوير وبراعة في استحضار المعاني الغائبة بالصور المشاهدة؛ لأنهم أهل البلاغة وأساطين الفصاحة وهو مما يدركونه بداهةً، ويستحضرونه سليقةً ويُحسُّون به فطرةً.

= في الدر المنثور (١١/٥٤٨، ٥٤٩)، وتفسير آية الحج (٧٣). انظر: الدر المنثور (١٠/ ٥٤٠)، وتفسير آية النحل (٧٦). انظر: الدر المنثور (٩/٨٨)، وتفسير آية آل عمران (١١٧). انظر: الدر المنثور (٣/٧٣٦).

أما من جاء بعدهم فجالوا في هذا الميدان الخصيب وأظهروا الدرر المكنونة ودلّلوا على مكامن الجمال والجلال فيه.

٥ ـ اكتفت بعض نصوصهم في آيات من أمثال القرآن بتوضيح غامض لفظه، وتطويع جُمَلِه شرحاً وإيضاحاً، ويقتصر على ذلك دون تفصيل في وجه المثل والمقصود به، ولعل مرد ذلك وضوح المثل القرآني وعدم خفائه.

قال علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ﴾ [الرعد: ١٤]:

كالرجل العطشان يمد يديه إلى البئر؛ ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه[١].

وابن عباس رضي الله عنهما لم يؤثر عنه في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧] إلا تفسير مفردة ﴿صِرٌّ﴾ بأنها البرد الشديد[٢].

وفسر مجاهد قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] بأن سحيق معناه: بعيد[٣].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: آلهتهم، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذباب[٤].

وفسر الحسن قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦] أي: إن تَسْعَ عليه[٥].

وعيَّن أنس بن مالك الشجرة الخبيثة بأنها الحنظلة[٦].

ومثله تفسير المفردات الواردة في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨٨).
(٢) انظر: الدر المنثور (٣/ ٧٣٦).
(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٣٩).
(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٣٦).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٦، ٢٣٧) [٩٣٣٧].
(٦) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/ ٥١٩).

فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٥٠، ٥١] دون خوض في وجه المثل ومعناه(١).

وفي المقابل هناك من الأمثال ما حظي بإطالة الأقوال في معناها وتعدد الروايات والوقوف عند كل لفظ من ألفاظ المثل، مع استقاء الفوائد وتحصيل المُلَح التفسيرية، ومن أبرز أمثلة ذلك ما جاء عند قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٦ ـ مزج الحسن البصري تفسيره المثل القرآني بشيء من الوعظ، كما هو فنه الذي برع فيه، فكان من أوعظ أهل زمانه(٢)، وشاركه قتادة شيئاً من ذلك.

قال في تفسير قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤].

هذا مثلٌ ضربه الله لقلوب بني آدم، كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة، فترق قلوبٌ فتخشع وتخضع، وتقسو قلوبٌ فتلهو وتسهو وتجفو، والله ما جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان(٣).

وقال مثله عند قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] ـ وقد سبق ذكره ـ، ومثل هذا الوعظ إشارة إلى حكمة ضرب المثل والتذكير بالغاية منه، والدعوة إلى امتثال ما فيه من توجيهات وذكرى.

٧ ـ امتاز المفسر التابعي مجاهد بن جبر باختصار العبارة في تفسير المثل القرآني وإحكامها، فجاءت أقواله موجزة بليغة جلّى فيها وجوه الأمثال في جُملٍ متقنةٍ.

قال عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: ١١٧] مثل نفقة

---

(١) انظر: الدر المنثور (١٥/ ٩٠ ـ ٩٢).
(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢٦)..

الكافر في الدنيا[١].

وفي قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤] ثلاث نخلات في أصل واحد، كمثل ثلاثة من بني أب وأم، يتفاضلون في العمل، كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث في أصل واحد، وقال: كمثل صالح بني آدم وخبيثهم، أبوهم واحد[٢].

٨ ـ جاء عنهم تعميم المثل القرآني مع أنه في سياق قضية معينة، ففسروه بما يقتضي عموم معناه، وإن ورد في تقرير معنى خاص، فقد فسر قتادة، والربيع بن أنس قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤] بأنه مثلٌ ضربه الله لأعمال الكافرين يوم القيامة[٣].

وكذلك ورد عن قتادة تعميم المثل في قوله سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥][٤]، مع أن الآية في المنفق ماله مَنّىً وأذى.

وعكس السديّ الأمر في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فجعل الآية مثلاً آخر لنفقة الرياء وكأنه استحضر سياق الآيات.

وغيره من مفسري السلف جعلوه مثلاً للأعمال عامة وليس النفقة فحسب.

٩ ـ قد تتفق أقوال الصحابة والتابعين في معنى المثل القرآني ووجهه.

وبالمقابل هم يختلفون في بعض الأمثال، وهذا متفرع عن اختلاف الفهم والنظر أثمر عن تباين تأويلاتهم الآية.

ففي قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٧٥]

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٧٠٤)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٤٣) [٨٣٦].

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٢٦)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ (٨/ ٣٦٨).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٦٦٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٦٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦) [٢٨١٤].

فسَّره ابن عباس في رواية بأنه مثلٌ في النفقة، وجعله مجاهد مثلاً لإلـه الحق وما يدعون من دونه من الباطل، أما قتادة فهو عنده مثلٌ للمؤمن والكافر.

وفي آية النور من سورة النور، تعدَّدت تأويلاتهم للمثل النوراني، وتقدمت طائفةٌ من الأقوال.

وكذا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤].

١٠ ـ ورد في شيءٍ من آثارهم ما هو أبعد من تأمل الأمثال في القرآن وعقل معناها وتبين مرادها.

فكان أن استنبطوا فوائد فقهية ولطائف لفظية من ثنايا أمثال الكتاب العزيز.

وهذا دالٌّ على أن ما ضربه القرآن من أمثال مرتعٌ خصيبٌ للفوائد الفقهية، والأسرار البيانية، واللطائف الثمينة.

واستبطنت تلك النصوص الدعوة إلى النظر الفاحص في المثل القرآني والتنقيب عن دقائقه المكنونة.

١١ ـ في مسألة ضرب الأمثال بآيات القرآن أُثِر نصَّان عن إبراهيم النخعي وعن محمد بن شهاب الزهري، ولأهل العلم في معناهما أقوال:

فقال أبو عبيد عن أثر النخعي: «وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يهم بالحاجة فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، وهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب: لا تناظر بكتاب الله ولا بسُنَّة رسول الله ﷺ، يقول: لا تجعل لهما نظيراً من القول ولا الفعل». اهـ[١].

قال الحكيم الترمذي مفسراً قول النخعي: «والتأويل: قولك للرجل إذا جاء: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾، ومثل قولك: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤] هذا عند حضور الطعام وأشباه هذا». اهـ[٢].

قال الحكيم هذا، وأورد الأثر بعد تقديمه قول: ومن حرمة القرآن أن لا

---

(١) فضائل القرآن (١/ ٢٩٧).

(٢) نوادر الأصول (٢/ ١٠٤١).

يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا[١].

ولما أورد ابنُ المبارك قول الزهري الآنف، قال: «يقول: لا تنتزع بكلامٍ لشبهه»[٢].

وجاء في الفروع بأن معناه: لا تتكلم به عند الشيء تراه، مثل أن ترى رجلاً جاء وقته فتقول: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾. اهـ[٣].

وضرب الأمثال بآيات القرآن عرَّفه **السيوطي** بأنه: استعمال ألفاظ القرآن في المحاورات والمخاطبات، والمجاوبات والإنشاءات، والخطب والرسائل، والمقامات مراداً بها غير المعنى الذي أُريدت به في القرآن[٤].

وقال إنه يُسمى عند الصدر الأول من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة والعلماء ضرب مثل وتمثلاً واستشهاداً إذا كان في النثر، واقتباساً إذا كان في الشعر[٥].

وهذه المسألة خصها السيوطي بجزء مستقل في كتابه الحاوي سماه:

رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس[٦].

وههنا إذ ورد نصان قوليان عن السلف في المسألة فإن الشواهد والوقائع التي يستدل بها على الجواز عند من يقول به سواءٌ من أحاديث النبي ﷺ أو حوادث للصحابة والتابعين كثيرة متوافرة، فأما من حديث المصطفى ﷺ فيوردون حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ خرج إلى خيبر فجاءها ليلاً، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمدٌ واللهِ، محمدٌ والخميس، فقال النبي ﷺ: **«الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»**[٧].

وحديث ابن مسعود حين دخل النبي ﷺ المسجد وحول الكعبة ستون

---

(١) نوادر الأُصول (٢/ ١٠٤١).
(٢) الزهد (ص٢٧٥).
(٣) الفروع لابن مفلح (٥/ ١٨٩).
(٤) الحاوي للفتاوى (١/ ٢٥٩).
(٥) الحاوي للفتاوى (١/ ٢٥٩).
(٦) وانظر في هذه المسألة: حِكَمٌ من القرآن جرت مجرى الأمثال، لتوفيق عمر بلطه جي.
(٧) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر (ص٧١٣) [٤١٩٧]، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة خيبر، (٢/ ٨٦٨) [١٨٠١].

وثلاث مائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده يقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] الآية[١].

قال ابن عبد البر في شرح حديث أنس المتقدم: «في هذا الحديث جواز الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن ويجمل»[٢].

وقال مثله العيني[٣].

وقال النووي: «في الحديث جواز الاستشهاد في مثل هذا السياق بالقرآن في الأُمور المحققة، وقد جاء لهذا نظائر كثيرة كما ورد في فتح مكة أنه ﷺ جعل يطعن في الأصنام ويقول: جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد، جاء الحق وزهق الباطل، قال العلماء: يكره من ذلك ما كان على ضرب الأمثال في المحاورات، والمزح، ولغو الحديث، فيكره في كل ذلك؛ تعظيماً كتاب الله تعالى». اهـ[٤].

وقال ابن مفلح في الفروع: وذكر شيخنا: إن قرأ عند الحكم الذي أُنزل له أو ما يناسبه ونحوه فحسنٌ، كقوله لمن دعاه لذنب: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦]. وقوله عند ما أهمه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦][٥].

وقوله ﷺ حين استشار أبا بكر وعمر في أسرى بدر: **«مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم حيث قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦] **ومثلك يا عمر مثل نوح حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾** [نوح: ٢٦]»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (ص٤٠١) [٢٤٧٨]. (٢) التمهيد (٢/ ٢٢٣).

(٣) عمدة القاري (١٤/ ٢٩٩).

(٤) المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم (١٢/ ١٦٤).

(٥) الفروع (٥/ ١٨٩).

(٦) أخرجه أبو عبيد في الأموال (ص١٩٦) [٣٠٦]، وأحمد في المسند (٦/ ١٣٨، ١٣٩) [٣٦٣٢]، وابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٢٠، ٣٢١) [٣٧٨٤٥]، والطبري في تفسيره (١١/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ٣٤) [٩٩٩٩]، وأبو يعلى بنحوه (٩/ ١١٦، ١١٧) [٥١٨٧]، والشاشي في مسنده (٢/ ٣٣٩، ٣٤٠) [٩٣٦]، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٧، ١٧٦) [١٠٢٥٧] [١٠٢٥٨]، والواحدي في أسباب النزول (٢٥٨) [٤٠١]، والبغوي في تفسيره (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩).

قال السيوطي: فمن هذا وأمثاله أطلق السلف والخلف على ذلك ضرب المثل[١].

أما نصوص الصحابة والتابعين التي ضربوا فيها الأمثال بآي القرآن فكثيرة، ومن أبرزها:

قول عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك: والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨][٢].

وما جاء عن علي رضي الله عنه أنه صلى صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] فأجابه عليٌّ وهو في الصلاة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠][٣].

وما ورد عن ابن مسعود حين أتى مكة فمر بأعرابي وهو يصلي وهو يقول: نحج بيت ربنا... قال عبد الله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٧][٤].

وجاء عن عمرو بن ميمون: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن، عليه ملحفة صفراء قد وضعها على جرحه وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨][٥].

وظاهر هذه النصوص المرفوعة والموقوفة الجواز، مع أن النووي لما عنون لهذه المسألة قال: ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافاً[٦].

---

(١) الحاوي (١/ ٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (ص٨٣١) [٤٧٥٠].

(٣) أخرجه ابن الضريس في الفضائل (ص٧١) [١٥]، والطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٩، ٥٣٠)، وساقه ابن كثير بسند ابن أبي حاتم (١١/ ٤٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ١٢٦) [٤٧٥٨]، والبيهقي في سننه الكبرى (٢/ ٣١٩) [٣٤١٦].

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٤٠١) [٣٨٥٤]، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٦٩) [١٢]، وضعفه محققه؛ لأن فيه مجهولاً، والطبراني في الكبير (٩/ ٣١٨) [٩٣٧٩]، وابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ١٤٥).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٢٣).

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٢٢).

وهو ما يفهم من أثر النخعي: كانوا يكرهون، ومثل هذه الصيغة تنصرف إلى أن الكراهية صادرة من الصحابة والتابعين.

والسيوطي في الحاوي جازمٌ بالجواز، ـ وقال وهو يسوق عشرات الشواهد على ذلك ـ: وقد ورد في الحديث المرفوع استعمال ما نحن فيه وكفى به حجة[(١)].

والزركشي نقل عن بعضهم قوله: يكره ضرب الأمثال بالقرآن، وعطف عليه أثر النخعي كأنه يراه دليلاً لمن يقول بالكراهة[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «... إن هذا فيه انتزاع آيات من القرآن ووضعها في غير موضعها، وآيات أُنزلت لمعاني استعملت في غير تلك المعاني، وهذا إن كان سائغاً فيسوغ بقدر الحاجة». اهـ[(٣)].

والمسألة بين شواهد للسلف ظاهرها الجواز والإباحة، وبين نص إبراهيم النخعي من حكاية كراهيتهم مثل ذلك.

والذي ينبغي أن يقال في هذا الأمر إن آثارهم طافحة بالتمثيل بآي القرآن، لكنها في مواقف يفزعون فيها إلى القرآن فيكون في آياتها خير ما يتمثلون به، وأفصح ما يصور ما في ضمائرهم وينوب عن أقوالهم، فانظر إلى عائشة رضي الله عنها في موقف الإفك استعصى عليها الكلام في حادثة عصيبة فلم تجد خيراً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

واعرضْ بقية الشواهد ترى فيها ذلك الملمح، فليس فيها موقف هازل ولا مازح.

وعليه فأثر النخعي يتسق مع آثارهم المبيحة ذلك في ظواهرها؛ لأنه قيد الكراهة بقوله: (من أمر الدنيا)، فيقال: إن كان ضرب المثل لأمر دنيوي خالص، مما يقرب من لغو الحديث والهزل والمزاح فيمنع صوناً للقرآن، وحفظاً لقداسته.

أما ما هو بخلاف ذلك فالأمر فيه على الإباحة.

---

(١) الحاوي (١/ ٢٦٢).
(٢) البرهان (١/ ٥٦٧).
(٣) انظر: الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق (ص٤٧).

أما استثناء ما كان على وجه الاستخفاف أو الهزل المزري بالقرآن فواضح الحرمة، ومثله لا يحتاج إلى التنصيص عليه، وكذا ما كان من لغو الحديث والمزح فيكره، وقد يقرب من التحريم. والله أعلم.

١٢ ـ من أنواع الأمثال ما يُسمى: الأمثال الكامنة.

ولم أجد نصوصاً للصحابة في هذا القسم إنما الوارد شيء عن التابعين، وهو يعمد إلى أمثال استخدمها العرب فيجد ما يوافق معناها ويماثل إيجازها في آيات القرآن.

وهذا النوع لم يكن كالأمثال المصرحة في اهتمام الأولين، وهو من مُلح العلم لا من متينه.

أمثال القرآن عند أهل علوم القرآن

أ ـ هذا العلم الجليل مما جاء في آثار السلف النص على تسميته بأمثال القرآن.

ولهذا لم تختلف مصنفات علوم القرآن في تسميته بذلك(١).

ب ـ اعتمد طائفة من أهل علوم القرآن على حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ في الاستدلال على أهمية علم الأمثال، ولفظه: إن القرآن نزل على خمسة أوجه... واعتبروا بالأمثال، وهو حديث ضعيف عند أهل العلم(٢).

وإن جاء معناه في حديث ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ: **«نزلت الكتب من باب واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال... واعتبروا بأمثاله»**(٣).

وهو أثر مرفوع، وإن أثبت بعض الأئمة وقفه على ابن مسعود؛ لأنه مما

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (١/ ٥٧١)، الإتقان للسيوطي (٥/ ١٩٣٢)، الزيادة والإحسان (٧/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٧) [٢٢٩٣]، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٢٣) [١٣٤٦].

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ١١، ١٢) [٨٢٩٦]. قال في مجمع الزوائد: وفيه عمار بن مطر وهو ضعيف جداً وقد وثقه بعضهم (٧/ ٢٣٠).

لا مجال للرأي فيه فكان مرفوعاً حكماً، وتقدم أن هناك وجوهاً متعددة يتبين بها أهمية علم الأمثال القرآنية واحتفاء الصحابة والتابعين به.

ج ـ أطنبوا في مسائل هذا العلم، وهو ما سار في الطرائق التالية:

- ذكر أهمية العلم وساقوا في ذلك نقولاً لأئمة من العلماء؛ كالشافعي والماوردي وغيرهما.
- أقسام الأمثال وجعلوها ثلاثة: المصرحة، الكامنة، المرسلة.
- فوائد ضرب الأمثال.
- حكم ضرب الأمثال بالآيات القرآنية(١).

وما يقصد ههنا أن هذا العلم خلا من آثار الصحابة والتابعين، سوى بعض المرويات أوردوها في نوع الأمثال المصرحة، وأثرين دعموا بها حكم ضرب الأمثال بآيات القرآن، وتحت نوع الأمثال المصرحة ظهرت روايات عن جماعة من السلف؛ كابن عباس، وقتادة، وعطاء وغيرهم، فسَّروا أمثال القرآن وبيَّنوا موارد تلك الأمثال، وما عدا ذلك فالعلم خالٍ من آثار الصحابة والتابعين.

د ـ في مسألة ضرب الأمثال بآيات القرآن:

- عنوان الزركشي: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن...؟(٢).
- هذه المسألة عند السيوطي تحت علم: آداب تلاوة القرآن وتاليه(٣).

---

(١) البرهان (١/ ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٩)، الإتقان (٢/ ٧٢٤ ـ ٧٢٦)، (٦/ ١٩٣٢، ١٩٤٤)، التحبير في علم التفسير (ص٣١٤، ٣١٦)، الزيادة والإحسان (٧/ ٣٢٠ ـ ٣٢٨)، المدخل لدراسة القرآن (٤٧٣، ٤٧٤)، ١٢٨)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٧٧ ـ ٢٨٣)، علوم التفسير، د. عبد الله شحاته (ص١٢٢، ١٢٩)، موسوعة علوم القرآن، عبد القادر منصور (٢٤٩، ٢٥٤)، دراسات في علوم القرآن (ص٥٩٣ ـ ٦٠٥)، الواضح في علوم القرآن (ص١٩٨، ٢٠٢)، اللآلئ الحسان في علوم القرآن (ص١٩٩ ـ ٢٠٣)، موارد الظمآن في علوم القرآن (ص١١٦)، المقدمات الأساسية (ص٣٩٤، ٣٩٥)، الأمثال في القرآن، د. منصور العبدلي (ص٤٦ ـ ٥٠)، وقد ذكر مع حديث أبي هريرة المرفوع أثرَ ابن عباس في تفسير المحكمات والمتشابهات والمشتملة على أمثال القرآن (٤٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٦٥)، الزيادة والإحسان (٢/ ٣٣٩).

(٣) الإتقان (٢/ ٧٢٤).

- وضمنها ابن عقيلة في علم مستقل سماه: علم الاقتباس من القرآن، وفي تضاعيف هذا العلم أورد أثر النخعي ناقلاً ذلك عن النووي، وبعض آثار عن عمر بن الخطاب، وعن علي بن أبي طالب، وإيراده تلك الاثار تحت قوله: ويقرب من الاقتباس شيئان... ثم ساقهما[1].

وهذا النقل مأخوذ بحروفه من كلام السيوطي في المسألة.

والله أعلم.

(١) الزيادة والإحسان (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥).

الفصل السادس

علم الجدل في القرآن

وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: بعض توجيهات السلف للجدل بالقرآن.
- المسألة الثانية: ما ورد في ذمهم الجدل في القرآن، والمقصود به.
- المسألة الثالثة: بعض جدال السلف لأصحاب الأهواء.

[علم الجدل في القرآن]

المسألة الأولى

بعض توجيهات السلف للجدل بالقرآن

١ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سيأتي أُناسٌ يجادلونكم بشبهات، وفي لفظ: بمتشابه القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله(١).

٢ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سيأتي قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله(٢).

٣ ـ عن مالك رحمه الله أنه بلغه أن الزبير بن العوام قال لابنه: لا تجادل الناس بالقرآن، فإنك لا تستطيعهم، ولكن عليك بالسُّنَّة(٣).

٤ ـ عن الأوزاعي رحمه الله قال: خاصم نفرٌ من أهل الأهواء عليَ بنَ أبي طالب، فقال له ابن عباس: يا أبا الحسن! إن القرآن ذلولٌ حَمولٌ ذو وجوهٍ، تقول ويقولون، خاصمهم بالسُّنَّة، فإنهم لا يستطيعون أن يكذبوا على السُّنَّة(٤).

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢٤٠، ٢٤١) [١٢١]، والآجري في الشريعة (١/ ٤١٩، ٤٢٠) [١٠٢]، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٥٠، ٢٥١) [٨٣، ٨٤]، وابن أبي زمنين في أصول السُّنَّة (ص٤٩) [٧]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠١٠) [١٩٢٦، ١٩٢٧]، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٢٣) [٢٠٢]، وأبو الفضل المقري في أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص١٠٣، ١٠٤)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٥٩، ٥٦٠) [٦٠٨]، والهروي في ذم الكلام (٢/ ١٠٨) [١٩٨]، وأبو نصر المقدسي. انظر: مختصر الحجة على تارك المحجة (٢/ ٦٤٧) [٦٥٤]، وأبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٣).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٢٣) [٢٠٣].

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦٠، ٥٦١) [٦١٠].

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦٠) [٦٠٩].

٥ ـ قال أنس بن مالك لابنه عبد الله: لا تخاصم بالقرآن وخاصم بالسُّنَّة(١).

٦ ـ عن مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما من أحد من أصحاب الأهواء إلا في القرآن ما يرد عليهم، ولكنا لا نهتدي له(٢).

❁ المسألة الثانية ❁

ما ورد من ذمهم الجدل في القرآن، والمقصود به

١ ـ عن إياس بن عامر(٣) قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي ثم قال: إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك(٤).

٢ ـ عن أبي العالية قال: آيتان ما أشدهما على من يُجادل في القرآن: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: ١٧٦](٥).

٣ ـ عن أيوب السختياني: ولا أعلم أن من أصحاب الأهواء أحداً إلا وهو يجادل بالمتشابه(٦).

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام بسنده إلى أنس بن مالك (١/ ١٠١، ١٠٢) [١٩٤].

(٢) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ١١٤) [٢٠٤].

(٣) هو: إياس بن عامر الغافقي ثم المناري المصري،روى عن علي بن أبي طالب، وعقبة بن عامر، كان من شيعة علي والوافدين عليه من أهل مصر وشهد معه مشاهده،روى له أبو داود، وابن ماجه، والنسائي في «مسند علي»، قال عنه ابن حجر: «صدوق من الثالثة».
انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٠٤) [٥٩١]، تقريب التهذيب (ص١٥٧) [٥٩٤].

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (٤/ ٢٠٩٧) [٣٣٧٢]، والآجري في أخلاق حملة القرآن (ص٨٥) [٢٥]، والهروي في ذم الكلام (٢/ ٩٩) [١٨٩].

(٥) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ١٠٨) [١٩٩]، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الإتقان (٦/ ٢١٧٠) ووثق محققو الإتقان رجاله، وإلى عبد بن حميد في الدر المنثور (٢/ ١٣٧)، وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٢) [٢٢٧٤].

(٦) تفسير ابن المنذر (١/ ١٢٢)، ورواه الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٦٠٥)، وكرره بسنده إلى أيوب في (١/ ٦٠٩) [٧٨٨].

٤ ـ عن معاوية بن قرة[١]: الجدال في القرآن يحبط العمل[٢].

المسألة الثالثة

بعض جدال الصحابة والتابعين لأصحاب الأهواء

١ ـ قال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين أرسله مجادلاً للخوارج مناظراً لهم: اذهب إليهم فخاصمهم وادعهم إلى الكتاب والسُّنَّة، ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسُّنَّة[٣].

وفي رواية: قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم؛ في بيوتنا نزل، فقال علي: صدقت، ولكن القرآن حمالٌ ذو وجوه تقول ويقولون، ولكن حاجهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخرج ابن عباس إليهم وعليه حلة حِبَرَة فحاجهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة[٤].

٢ ـ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لقيني ناسٌ من أهل العراق فخاصموني في القرآن، فوالله ما استطعت بعض الرد عليهم وهِبْتُ المراجعة في القرآن فشكوت ذلك إلى أبي ـ يعني: الزبير ـ فقال الزبير: إن القرآن قد قرأه كل قوم فتأولوه على أهوائهم وأخطؤوا مواضعه، فإن رجعوا إليك فخاصمهم بسنن أبي بكر وعمر رحمهما الله فإنهم لا يجحدون أنهما أعلم بالقرآن منهم، فلما رجعوا خاصمتهم بسنن أبي بكر وعمر، فوالله ما قاموا معي ولا قعدوا[٥].

---

(١) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المُزَني أبو إياس البصري، والد إياس بن معاوية، روى عن جماعات من الصحابة؛ كعلي، وابن عباس، وابن عمر، وأنس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وثَّقه ابن معين، والعجلي، والنسائي، وصفه الذهبي بالإمام العالم الثبت، أخبرعن نفسه أنه أدرك من أصحاب النبي ﷺ خمسة وعشرين، وفي بعض الروايات: «ثلاثين»، و«سبعين» في ثالثة، توفي سنة (١١٣هـ). انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٠) [٦٠٦٥]، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٣) [٥٥].

(٢) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ١٠٩) [٢٠١]، وأبو الفضل المقرئ في أحاديث ذم الكلام وأهله (٢/ ٣٤) [١٩٤].

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ٣٣٩)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦٠) [٦٠٩]، ولكنه عند الخطيب من قول ابن عباس مخاطباً علي بن أبي طالب حين خاصم نفراً من أهل الأهواء.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ٣٣٩).

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٢٠) [٨١١].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وجهني علي بن أبي طالب إلى ابن الكوَّاء وأصحابه، وعليَّ قميص دقيق وبُردي حِبَرَة[1]، فقالوا: أنت ابن عباس وتلبس مثل هذه الثياب؟ فقلت: أول ما أخاصمكم به، قال الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، و﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وكان لرسول الله ﷺ بُردي حِبَرَة[2].

[التأصيل]

١ ـ جاء ذكر الجدل في القرآن في مواطن عديدة، وتنوعت آياته، آمرة به مرشدة إليه بالتي هي أحسن ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وفي آيات أخرى ذامة للمجادلين بغير الحق حيث جادلوا في آيات الله عز وجل بالباطل، ناعية على أهله خصومتهم في القرآن دون حجة وبرهان، قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [غافر: ٣٤، ٣٥].

فعلم بهذا أن الجدل محمودٌ إذا قصد منه إظهار الحق ونقض دعاوى المبطلين، وعليه تحمل الآيات الآمرة بالجدال، ومذمومٌ إذا كان بغير حجة وبرهان، وقصد منه اللجاج والخصومة والسعي في إعلاء الباطل ورد الحق، وعليه تحمل الآيات الذامة للجدل والمجادلين.

وقصَّ الكتاب العزيز صوراً من مجادلة الأُمم أنبياءهم، وخصومة أهل الحق مع أهل الباطل، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وقال على لسان هود عليه السلام: ﴿وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ

---

(١) حِبَرَة بوزن: عِنَبة، الحبير من البُرود: ماكان مَوْشِيّاً مُخطَّطاً، وهو بُردٌ يمانٍ، والجمع: حِبَرٌ وحِبَرات. انظر: النهاية لابن الأثير (١/٣٢٨).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه كما في الدر المنثور (٦/٣٦٦).

وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٖ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٖۚ﴾ [الأعراف: ٧١].

إذا عُلِمَ هذا واستبان فإن الجدل مضافاً إلى القرآن على ضربين:

الأول: الجدل بالقرآن.

والثاني: الجدل في القرآن.

فأما الجدل بالقرآن فمعناه: الاحتجاج بآيات القرآن عند المناظرة والاستدلال بها عند المجادلة.

فتورد الآيات القرآنية على وجه عاضد، وتكون معتمداً للمجادل مستمسكاً له، فهو يخاصم غيره بحجة القرآن.

أما الجدال في القرآن فيحتمل معنيين:

الأول: ما تحمل عليه الآيات الواردة في ذم الجدل وأهله، من أمثال:
﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

وما قاله ﷺ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧]:

«إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عَنَى الله ﷻ فاحذروهم»(١).

وفي رواية: **«هم أهل الجدل في القرآن»**(٢).

وهو الجدل في آيات القرآن بالباطل قصداً ردَ ما جاء به من الحق وإطفاء نوره، ومعارضته بما يقدح فيه من الآراء الفاسدة والدعاوى الباطلة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٣) [٣٧٦]، وسعيد بن منصور (٣/ ١٠٣٢، ١٠٣٣) [٤٩٢]، وأحمد في المسند (٤٠/ ٢٥٥) [٢٤٢١٠]، وابن ماجه (ص٧، ٨) [٤٧]، والطبري في تفسيره (٥/ ٢٠٨ ـ ٢١٠)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٧٧، ٢٧٨) [٧٦]، والآجري في الشريعة (١/ ٤٧٩) و(١/ ٣٣٨) [١٤٩] [٣٣٨]، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٦٢) [٧٧٥]، وأصله في الصحيحين لكن بدون هذا اللفظ.

(٢) كما عند ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٠٣) [٧٧٦].

كما هو صنيع الكفار من الأمم الماضية مع أنبيائها، وما جادل به كفار قريش النبي ﷺ دفعاً لدعوته واستنكافاً عن قبول الدين، قال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨]، وكما يفعله أهل البدع والأهواء من الخصومة فيه واتباع متشابهه لنصرة دولة البدعة وابتغاء الفتنة.

ومن هذا الجدل المذموم أحاديث جاءت تنص على أن المراء أو الجدال في القرآن كفر[(١)].

وهو ما يحمله بعض أهل العلم على أن المراد بذلك أن يعيب بعضهم قراءة بعض ويتنازعوا في الأحرف التي نزل بها القرآن فيؤدي ذلك إلى جحد بعضهم قراءة بعض وإنكار القارئ قراءة غيره، فنهوا عن الجدل في القرآن المفضي إلى ذلك، وهذا تفسير الآجري، وابن بطة، والخطابي، وابن عبد البر، وغيرهم[(٢)].

أما المعنى الثاني للجدل في القرآن:

فهو ما يقصده أهل علوم القرآن علماً من علوم الكتاب المجيد، وتعريفه لديهم: «ما حواه القرآن من أساليب المناظرة وأصول الاحتجاج من الأدلة العقلية والبراهين التي يجادل بها الكفار وأهل الأهواء بما يقطعهم ويدحض باطلهم ويظهر الحق ويُبينه».

وعليه فإن هذا المعنى الثاني للجدل في القرآن هو المقصود بجعل الجدل من علوم القرآن ومعارفه، أما المعاني الأُخرى كلها فليست مقصودة في هذا العلم، فإن الجدل والمناظرة علم مستقل بذاته، ومن أنواعه ما يضاف إلى القرآن علماً من علومه الخاصة، وفنونه المستقلة.

٢ ـ آثار الصحابة والتابعين شحيحة في هذا العلم القرآني، فلم أظفر بشيء من مروياتهم بعد استعراض كتب علوم القرآن، وبعد النظر في الآيات

---

(١) من هذه الأحاديث ما ورد في مسند الإمام أحمد (١٢/ ٤٧٦) [٧٥٠٨]، والسنن الكبرى للنسائي (٢/ ١٢٥٥) [٨٠٣٩]، وأبي يعلى في مسنده (١٠/ ٣٠٣) [٥٨٩٧]، والآجري في الشريعة (٢/ ٤٦٥) [١٤٠]، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩٥) [٢٩٣٧].

(٢) الشريعة (١/ ٤٧٠، ٤٧١)، الإبانة الكبرى (٢/ ٦١٤، ٦١٥)، معالم السنن (٤/ ٢٩٧)، جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٨).

القرآنية التي اعتمد عليها أهل العلوم في تأصيل مفردات الجدل في القرآن.

وأبرز هؤلاء الآيات:

قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: ٧٩، ٨٠].

وخلو هذا العلم من مرويات الصحابة والتابعين لا يعني أنه غائب عن فهومهم أو لا يُدركون عظائم الأدلة القرآنية والبراهين الدامغة؛ لأن فهم دقائق الحجج وقواطع الآيات متفرعٌ عن فهم المعنى وإدراكِ التفسير، وهم لا مرية أعلم الناس بالقرآن وتأويله.

وما برع فيه المتأخرون من أهل المناظرة والمتكلمون من التقعيد لعلم الجدل والسير به على طريق المتكلمين من توصيف مفرداته، وانتزاع الأدلة من الآيات القرآنية، وإطلاق تسميات للحجج من نحو: الاستدلال العقلي، دلالة التمانع، السبر والتقسيم، القول بالموجب، التسليم، المناقضة، الانتقال، ما كان ذلك إلا انتزاعاً لطرائق الجدل ووسائله من آيات القرآن، وهو تفرعٌ عن فهم الآيات والعلم بتفسيرها، ثم الخروج بتلك الطرائق الجدلية التي حواها القرآن وضمها في صور متنوعة وسياقات متعددة.

فإذا فهم المتأخرون ما أسسوا به علم الجدل في القرآن فإن فهم السلف أعظم وعلمهم بذلك أجل.

٣ ـ لما تقرر تقسيم الجدل مضافاً إلى القرآن الكريم وأن منه الجدل بالقرآن، والجدل في القرآن، ويحتمل الأخير معنيين، فإن الوارد في النصوص من ذم الجدل كما في أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أن من يقرأ القرآن على صنوف ثلاثة: ومنه من يقرأه للجدل، أو في أثر معاوية بن قرة: أن الجدال في

القرآن يحبط العمل، وكذلك أثر أبي العالية ونحو تلك الآثار محمول على الجدل المذموم، إما من الكفار والمشركين ومقصدهم إبطال القرآن ودحض حججه وإسقاط سلطانه، أو المراء في قراءاته مما يؤدي إلى الكفر ببعض حروفه والجحد لها، أو من جدال أهل الأهواء بما في القرآن من المتشابه تقويةً لمذاهبهم وتأييداً لبدعهم.

وهذا القسم من الجدل ليس ما يعنيه أهل علوم القرآن من أفراد هذا العلم الذي يبحثونه في مؤلفاتهم ويخصونه بالتأليف علماً قرآنياً مخصوصاً.

٤ ـ الجدل في القرآن من جهة أصحابه ومن يجادلهم القرآن قسمان:

أ ـ الجدل مع الكفار والمشركين وأهل الكتاب.

ب ـ الجدل مع أهل الأهواء والبدع.

فأما الأول فليس بعيداً أن يقال: إن علم الجدل وأساليب المناظرة في الكتاب المبين قد انصرف إلى جدال الكفار وأهل الكتاب في قضايا التوحيد الكبرى من إثبات الألوهية، والإيمان بالنبوة، ومسائل البعث والنشور والقضاء والقدر.

ومن تأمل محاجة القرآن ومناظرته في مثل حجاج الأنبياء مع أقوامهم تبين ذلك وتيقنه.

أما القسم الثاني من الجدل مع أهل البدع والزيغ من المنتسبين للإسلام من أهل القبلة، فإنهم في جدالهم يستدلون بنصوص الوحي المطهر، وما من مذهب ولا فرقة إلا في القرآن ما يحتجون به من الآيات، فكلٌّ يقوي مذهبه بنصوص القرآن، ذلك أن دلالة النص القرآني دلالةٌ واسعةٌ حمالة وجوهٍ من المعاني[1].

وبهذا يُفهم إرشاد جماعة من الصحابة كأنس، وابن الزبير، وعلي بن أبي طالب ـ حين وجه ابن عباس يجادل الخوارج ـ إلى مخاصمتهم بالسُّنَّة، وتعليل ذلك بأن القرآن حمالُ وجوهٍ، ويعني: أن سعة دلالة النص القرآني تجعل كل

---

(١) ألف المختار الرازي كتاب: **حجج القرآن**، حشد فيها حجج جماعات من الطوائف بآيات القرآن على اختلاف نحلهم وآرائهم وافتراق مللهم وأهوائهم.

فريق يستدلون به وأهل كل مذهب يحتجون بما فيه، فكلٌّ يعارض حجة الآخر من النصوص بنصوص تقارع دعواه وتقابل رأيه.

ولكن ينبغي التنبيه على أن آثارهم الموجبة للاحتكام إلى نصوص السُّنَّة في جدال الخصوم لا يعني إهمال نصوص الكتاب والإعراض عنها بالكلية، فإن ابن عباس في مجادلة الخوارج عندما قدم وعليه بُردي حِبَرَة ناظرهم بالقرآن ثم بالسُّنَّة.

فنصوصهم ينبغي أن تفهم على وجهين:

١ ـ أن لا يكتفى بنصوص القرآن دون السُّنَّة في مجادلة أهل الأهواء والبدع، بل يؤخذ بهما معاً، فإن في السُّنَّة ما يُبين عن إجمال القرآن ويقضي على تعدد وجوه معانيه من ما يمكن أن يشغب عليها المجادل ويعارضها بمثلها.

٢ ـ أن من ضروب الجدل ما يُسمى بالانتقال وهو: أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه؛ لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، أو ينتقل إلى ما يقطعه ويبهته كما فعل إبراهيم ﷺ لما انتقل في مجادلة النمرود من الإحياء والإماتة إلى طلوع الشمس من مشرقها فألجأه إلى أمرٍ لا يمكن معارضته فبهت الجبار وانقطع.

وهذا الأسلوب يحسن استخدامه في المجادلة بالقرآن، فإن استدل المحق بآي القرآن فعارضها الخصم بما يوهم معارضتها من نصوص القرآن فالسبيل حينئذ إلى نصوص السُّنَّة التي هي قاضية على القرآن(١).

وحينئذ ينقطع المخاصم ويبهت المجادل.

وهذا ما أثمر عنه جدال ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج من رجوع طوائف منهم إلى الحق.

وكما أبان عنه أثر ابن الزبير حين قال: فلما رجعوا خاصمتهم بسنن أبي بكر وعمر رحمهما الله، فوالله ما قاموا معي ولا قعدوا.

---

(١) جاء في سنن الدارمي: باب: السُّنَّة قاضية على كتاب الله (١/ ٤٧٣)، وساق أثراً عن يحي بن أبي كثير قال: السُّنَّة قاضيةٌ على القرآن، وليس القرآن بقاضٍ على السُّنَّة، (١/ ٤٧٤) [٦٠٨]، والأثر أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٥٣، ٢٥٤) [٨٨، ٨٩]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٩٤) [٢٣٥٣].

علم الجدل عند أهل علوم القرآن

١ ـ اعتنت مؤلفات علوم القرآن بعلم الجدل في القرآن أو جدل القرآن، والمراد به عندهم:

أساليب المناظرة وأنواع الحجج التي جاء بها القرآن لإظهار الحق وإقامة الحجة على المخالفين.

وأهل علوم القرآن يقررون اشتمال الكتاب العزيز على جميع أنواع البراهين والأدلة التي تفحم خصومه وتقطعهم وتظهر الحق وتعليه.

وأن هذه الأدلة والبراهين وردت على عادة العرب دون طرائق المتكلمين.

وقد خلت مصنفاتهم وما كتبوا عن الجدل من آثار الصحابة والتابعين، وإنما ساقوا أنواعاً متكاثرة من مناظرات القرآن وأدلته وبراهينه التي جادل بها خصومه وأبان بها عن الحق، باسطين الكلام حول الدليل ومأخذه من آيات القرآن[(١)].

والحال كذلك مع من خص علم الجدل بمؤلفات مستقلة، وبحث هذا العلم باستفاضة وإطناب سواء خصه بجدل القرآن، أو وسَّع الدائرة فجاء الحديث عن علم الجدل، فعلى كلٍ هي أيضاً خاليةٌ من آثار الصحابة والتابعين في جدل القرآن[(٢)].

٢ ـ أشار بعضهم إلى أن الجدل قسمان: محمود ومذموم، وبهذا تُحمل كل آية من الآيات على إحدى هاتين الحالتين[(٣)].

ولا شك أن ذكر تلك الموضوعات يُراد بها علم الجدل عامة دون

---

(١) البرهان للزركشي (٢/ ٢٩)، الإتقان للسيوطي (٥/ ١٩٥٤)، الزيادة والإحسان (٦/ ٤٧٤)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٩٣)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٥٨٠)، المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص٣٩٧).

(٢) كما في استخراج الجدل من القرآن الكريم لابن الحنبلي، علم الجذل في علم الجدل نجم الدين الطوفي، الكافية في الجدل للإمام الجويني، تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة.

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن للقطان، (ص٢٩٣، ٢٩٤)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٥٨١ ـ ٥٨٤).

إضافته إلى القرآن، فإن الجدل علمٌ مستقلٌ، ومنه ما يضاف إلى القرآن فناً من فنون الكتاب، ويعني: **الأدلة والبراهين التي حواها القرآن بين دفتيه محاجاً خصومه، داحضاً حججهم وشبهاتهم**.

وعليه فتقسيم العلم إلى نوعين:

١ - مأمور به محمودٌ صاحبه.

٢ - منهي عنه مذمومٌ صاحبه.

يقصد به علم الجدل بمفهومه الواسع، ولا يقصد به الجدل الذي هو من معارف القرآن وعلومه، فليس من علوم القرآن إلا ما هو محمودٌ، نافعٌ مُرغبٌ فيه. والله أعلم.

الباب الثالث

علوم القرآن المتعلقة بدلالة الألفاظ عند الصحابة والتابعين

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: المحكم والمتشابه.
- الفصل الثاني: العام والخاص.
- الفصل الثالث: النسخ.

الفصل الأول

المحكم والمتشابه

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: تفسيرهم آيات قرآنية تشير إلى هذا العلم القرآني.
- المسألة الثانية: أهمية علم المحكم والمتشابه عندهم.
- المسألة الثالثة: تعريفات المحكم والمتشابه.
- المسألة الرابعة: معنى اتباع المتشابه عندهم.
- المسألة الخامسة: هل الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه؟

[المحكم والمتشابه]

❁ المسألة الأولى ❁

تفسيراتهم آيات قرآنية تشير إلى هذا العلم القرآني

١ - قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] فهذه الآية الكريمة أصل هذا العلم من علوم القرآن، وهي دالةٌ على الإحكام والتشابه الخاصَّين؛ لأن القرآن موصوف كله بالإحكام في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وبالتشابه في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣] وهذا الإحكام والتشابه العام يعني: أنه محكمٌ متقنٌ كله لا خلل فيه ولا نقص بوجه من الوجوه، وكذلك هو متشابه كله بمعنى تشابه آياته في الصدق والفصاحة والإعجاز، فهي تتماثل في هذا المعنى، أما آية آل عمران السابقة، فيستقي الصحابة والتابعين منها مسائل تؤسس العلم وتبني أركانه، وعليها تدور مفردات علم المحكم والمتشابه ومهماته بمعناه الخاص.

٢ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] قال الحسن البصري في تفسير الآية: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويَكِلُون ما أشكل عليهم إلى عالِمه(١).

❁ المسألة الثانية ❁

أهمية علم المحكم والمتشابه عندهم

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أُنزل القرآن على خمسة أوجه: حرام، وحلال، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأَحِلَّ الحلال، وحَرِّم الحرام، وآمِنْ

(١) تقدم تخريجه في علم: مشكل القرآن.

بالمتشابه، واعمل بالمحكم، واعتبرْ بالأمثال[١].

٢ ـ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيره قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[٢].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن القرآن ذو شجونٍ وفنونٍ، وظهورٍ وبطونٍ، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف غوى، أخبار وأمثال، وحرام وحلال، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن... إلخ[٣].

❁ المسألة الثالثة ❁

تعريفات المحكم والمتشابه

مرويات الصحابة

١ ـ عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: أما الآيات المحكمات فهن الناسخات التي يُعمل بهنَّ، وأما المتشابهات فهنَّ المنسوخات[٤].

ومثله عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن السدي عن أبي مالك[٥].

وبنحوه كذلك عن عطية العوفي عن ابن عباس قال: فالمحكمات هنَّ أم الكتاب: الناسخ الذي يُدان به ويُعمل به، والمتشابهات: هنَّ المنسوخات التي

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٣٠) رقم الأثر (١٣٠)، والطبري في تفسيره (١/ ٦٤)، قال محقق الطبري: القاسم بن عبد الرحمن لم يدرك ابن مسعود، وابن المنذر من طريق القاسم عن ابن مسعود (١/ ١٣٣) [٢٦١].

(٢) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره**.

(٣) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره**.

(٤) أخرجه الطبري عن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وكذا عن ناس من أصحاب النبي ﷺ (٥/ ١٩٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ١٩٤).

لا يُدان بهن[١].

٢ ـ عن ابن عباس: المحكمات: ناسخه وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وما يؤمن به ويُعمل به...، والمتشابهات: منسوخه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يُعمل به[٢].

٣ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: هي الثلاث الآيات التي ههنا ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات، والتي في بني إسرائيل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الآيات[٣].

قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك[٤].

وفي رواية عنه: إن في الأنعام آياتٍ محكماتٍ هنَّ أُم الكتاب، ثم قرأ:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ١٩٤).

(٢) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٨٢) [٥٣٣]، والطبري (٥/ ١٩٣) بسنده عن العوام بن حوشب عمن حدثه عن ابن عباس، وكذا ابن المنذر (١/ ١١٨) [٢٢١]، وهذا الرجل المبهم رجح الشيخ أحمد شاكر أنه عبد الله بن قيس حيث قال الشيخ: أما قوله في الإسناد: (عمن حدثه) فإن ذلك كذلك؛ لأن الذي روى عنه أبو إسحاق السبيعي هو: (عبد الله بن قيس) مذكور بروايته هذا الأثر، وراويه عنه هو: أبو إسحاق السبيعي، ولم يعرف من روى عنه غير أبي إسحاق. اهـ.
انظر: تفسير الطبري ـ تحقيق: الشيخ أحمد شاكر ـ (٦/ ١٧٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٩٧، ٩٨) [٣٢١٥] بالسند نفسه، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه مقتصراً على أوله (١/ ٢٠١) [٢٠١] من طريق عبد الله بن قيس عن ابن عباس.
وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (٣/ ٤٤٧).
وبنحوه عن عبد الله بن قيس قال: سمعت ابن عباس يقول في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ قال: الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام محكمات ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾. والآيتان بعدها، أخرجه سعيد بن منصور في سننه من حديث عبد الله بن قيس عن ابن عباس (٣/ ١٠٣٧) [٤٩٣]، وضعفه محققُ السنن؛ لجهالة عبد الله بن قيس، وأبو إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح بالسماع، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٩٧، ٩٨) [٣٢١٤]، وقال: روي عن سعيد بن جبير نحو ذلك (٢/ ٩٨).
والحاكم في مستدركه (٣/ ٤) [٣١٩٢] وقال صحيح، ووافقه الذهبي.

(٤) كما عند الحاكم (٣/ ٤٥) [٣٢٩١] وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو من طريق أبي إسحاق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس، وعبد الله بن قيس مجهول قاله ابن حجر في التقريب (ص٥٣٦) [٣٥٦٩].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[(١)].

٤ ـ عن ابن عباس: المحكمات الحلال والحرام[(٢)].

وعنه: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور[(٣)].

وعنه كذلك: هو التقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام[(٤)].

٥ ـ عن جابر بن عبد الله بن رِئاب[(٥)]: المحكم ما علم العلماء تأويله، والمتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل مما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة[(٦)].

وعزا بعضهم هذا القول إلى الشعبي كذلك[(٧)].

مرويات التابعين

١ ـ عن يحيى بن يعمر وأبي فاختة[(٨)] أنهما تراجعا هذه الآية ﴿مُّحْكَمَٰتٌ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٩٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما عند السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٤٨).

(٣) هذا قول ابن عباس من رواية شاذان. انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/ ١١)، وقد ساق بعد هذا القول سبب نزول قيل في الآية لما قدم مقام اليهود وهم حُيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا النبي ﷺ فقال له حُيي: بلغنا أنه أُنزل عليك (ألم) أأنزلت عليك؟ قال: نعم، قال: فإن كان ذلك حقاً فإني أعلم مدة هلاك أُمتك وهي إحدى وسبعون سنة... إلخ. انظر: الكشف والبيان (٣/ ١١، ١٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٣٢٢، ٣٢٣)، والتفسير الكبير للرازي (٧/ ١٤٧)، واللباب لابن عادل (٥/ ٣٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) هو: جابر بن عبد الله بن رِئاب بن النعمان بن سنان الأنصاري السَّلَمي، أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى بعام، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.
انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١١٤) [٢٩٥]، أسد الغابة (١/ ٤٩٢) [٦٤٦].

(٦) عزا هذا القول إلى جابر بن عبد الله الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٦٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٥٧)، البحر المحيط (٢/ ٣٩٦).

(٨) هو: سعيد بن علاقة الهاشمي الكوفي، أبو فاختة، مولى أُم هانئ، وقيل: مولى ابنها جعدة بن هبيرة، وثَّقه العجلي والدارقطني، وذكره ابن حبان في الثقات، روى له الترمذي وابن ماجه، مات في إمارة عبد الملك بن مروان، وقيل: في إمارة الوليد بن عبد الملك، =

هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، فقال أبو فاختة: هنَّ فواتح السور، منها يُستخرج القرآن ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢] منها استخرجت البقرة، و﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢] منها استخرجت آل عمران.

وقال يحيى: هنَّ اللاتي فيهنَّ الفرائض والأمر والنهي، والحلال والحدود وعماد الدين(١).

٢ ـ عن سعيد بن جبير قال: المتشابهاتُ آياتٌ في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، ومن أجل ذلك يَضل من ضلَّ، فكل فرقة يقرؤون آية من القرآن يزعمون أنها لهم، فمن ما يتَّبع الحرورية من المتشابه قول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم يقرؤون معها ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، فمن كفر عدل بربه، ومن عدل بربه فقد أشرك بربه، فهذه الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية(٢).

٣ ـ عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] فيهنَّ حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت له، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يُصرفن إلى

= انظر: التاريخ الكبير (٣/ ٥٠٣) [١٦٧٣]، تهذيب الكمال (١١/ ٢٨) [٢٣٣٨]، الوافي بالوفيات (١٥/ ١٥٥، ١٥٦) [٤٩٢٧].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٩٨) [٣٢١٨]، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن الضُريس (٣/ ٤٤٨)، وفي إسناد الأثر إسحاق بن سويد وهو الراوي عن يحيى بن يعمر وأبي فاختة، وهو إسحاق بن سويد بن هُبيرة العدوي البصري، صدوق تكلم فيه للنصب. انظر: وتهذيب الكمال للمزي (٢/ ٤٣٢) [٣٥٧]، وتقريب التهذيب (ص١٢٩) [٣٦١]، قال محققو الإتقان: إسناده صحيح، رجاله ثقات، (٤/ ١٣٣٧).

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار الهذلي عن سعيد بن جبير (١/ ١٢٠، ١٢١) [٢٢٨]، والآجري في الشريعة بالإسناد نفسه (٢٤، ٢٥) [٤٦]، والإسناد فيه ابن لهيعة.

الباطل ولا يُحرفن عن الحق[١].

ونسبه الثعلبي وجماعة إلى عكرمة كذلك[٢].

٤ ـ عن مجاهد قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابهٌ يصدق بعضه بعضاً، مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. ومثل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. ومثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد: ١٧][٣].

٥ ـ عن قتادة قال: المحكمات: الناسخ الذي يُعمل به، ما أحل الله فيه حلاله وحرم فيه حرامه، وأما المتشابهات: فالمنسوخ الذي لا يُعمل به ويُؤمن به[٤].

وعنه كذلك: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] قال: المحكم: ما يُعمل به[٥].

٦ ـ عن الضحاك قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ الناسخات ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: ما نسخ وترك يتلى[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٩٧ ـ ٩٩) [٣٢١٢]، [٣٢١٧]، [٣٢٢٤]، [٣٢٢٥] وجعلها من قول محمد بن إسحاق، وهو الراوي للأثر عن محمد بن جعفر بن الزبير كما في رواية الطبري، وهو في سيرة ابن هشام من قول محمد بن إسحاق (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤) رقم [٦٧٠].

(٢) الكشف والبيان (٣/ ١٠)، معالم التنزيل (١/ ٣٢٢)، المحرر الوجيز (٢/ ١٥٦).

(٣) أخرجه عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد انظر: المنتخب (١/ ١١٧) [٢١٨]، والطبري (٥/ ١٩٦)، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وابن المنذر من طريق أبي ثور عن ابن جريج عن مجاهد (١/ ١١٩) [٢٢٣]، وأخرجه من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٦٠٨، ٦٠٩) [٧٨٧]، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه بسنده من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مختصراً (١/ ٢٠٣) [٢٠٣]، وعزاه السيوطي إلى الفريابي (٣/ ٤٤٨)، وحسن محققوالإتقان إسناده (٣/ ١٣٣٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة (٥/ ١٩٤)، وهي طريق صحيحة عن قتادة، وابن المنذر من الطريق نفسه (١/ ١١٧، ١١٨) [٢٢٠]، (١٢٠) [٢٢٥].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٣) [٣٧٥]، والطبري عن معمر عن قتادة (٥/ ١٩٤)، والإسناد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ١٩٥)، عن جويبر عن الضحاك، وهي طريق ضعيفة.

وفي لفظ: المحكم ما لم يُنسخ، والمتشابه ما نُسخ[(١)].

وفي لفظ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ يعني: الناسخ الذي يُعمل به، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني: المنسوخ يُؤمن به ولا يُعمل به[(٢)].

وقال كذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] الذي أراد ما أراد ﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] ثم ردُّوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتفق بقولهم الكتاب، وصدق بعضه بعضاً فنفذت به الحجة وظهر به القدر، وزاح به الباطل ودفع به الكفر[(٣)].

٧ ـ عن الربيع بن أنس قال: (المحكمات): الناسخ الذي يُعمل به، و(المتشابهات): المنسوخ الذي لا يُعمل به ويُؤمن به[(٤)].

وعنه كذلك: المحكمات هي: الآمرة الزاجرة[(٥)].

قال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومقاتل بن حيان، والربيع بن أنس، والسدي، قالوا: المحكم الذي يُعمل به[(٦)].

٨ ـ قال الشعبي: رأيت في بعض التفاسير أن المتشابه هو: ما خفي لفظه، والمحكم: ما كان لفظه واضحاً، وعلى هذا القرآن كله، محكم من

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٥) من طريق سلمة عن الضحاك، وصحح محققو الإتقان إسناده (٤/ ١٣٣٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١١٧) [٢١٩]، و(١/ ١٢٠)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٠٤) [٢٠٥]، وبنحوه عند الثوري في تفسيره من طريق سلمة بن نُبيط أو جويبر (ص٧٥) (١٥/ ١٣٧)، وعزاه السيوطي في الإتقان إلى عبد بن حميد (٤/ ١٣٣٨)، قال محققو الإتقان: وإسناده صحيح، ورجاله ثقات. (٤/ ١٣٣٨).

(٢) أخرجه الطبري من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك (٥/ ١٩٥، ١٩٦)، ومدار أسانيد هذه الروايات عن الضحاك تدور على جويبر، وسلمة بن نُبيط، وعبيد بن سليمان كما في هذا الأثر.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٢٢٠، ٢٢١)، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤، ١٥).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٩٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سليمان بن عامر عن الربيع بن أنس (٢/ ٩٨) [٣٢١٦].

(٦) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٩٧).

وجه على معنى (بشدة)، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، والمتشابه من وجه، فهو أنه يشبه بعضُه بعضاً في الحُسْن ويصدق بعضه بعضاً[(١)].

المسألة الرابعة

معنى اتباع المتشابه عندهم

١ ـ قال ابن عباس في معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] يعني: أهل الشك، فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلبِّسون فلبَّس الله عليهم[(٢)].

٢ ـ عن مجاهد قال: الباب الذي ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاءُ تأويله[(٣)].

٣ ـ عن محمد بن إسحاق أو ـ محمد بن جعفر بن الزبير ـ قال: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي: ما تحرف منه وتصرف ليُصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا؛ ليكون لهم حجة ولهم على ما قالوا شبهة[(٤)].

٤ ـ عن السدي قال: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: يتبعون المنسوخ والناسخ، فيقولون: ما بال هذه الآية عُمل بها كذا وكذا مكان هذه الآية، فتركت الأولى وعُمِل بهذه الأخرى! هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التي نسخت؟ وما باله يَعِدُ العذاب من عمل عملاً يُعذبه النار، وفي مكان آخر مَن

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٣/ ١١)، وذكر أبو حيان من الأقوال كذلك ما يلي: وقال أبو عثمان: المحكم الفاتحة، وقال محمد بن الفضل: سورة الإخلاص، البحر المحيط (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧)، ولم يتبين لي صاحبي القولين.

(٢) أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (٥/ ٢٠٣، ٢٠٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٠٠) [٣٢٣٢]، وابن المنذر (١/ ١٢٢) [٢٣١]، وأخرجه من الطريق نفسه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٦٠٥، ٦٠٦) [٧٨١].

(٣) أخرجه الطبري من طريق ابن جريج عن مجاهد (٥/ ٢٠٥)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد (٣/ ٤٥٣).

(٤) أخرجه الطبري معزواً إلى محمد بن جعفر بن الزبير ويرويه عنه محمد بن إسحاق (٥/ ٢٠٤)، وابن المنذر في تفسيره عن محمد بن إسحاق (١/ ١٢٨) [٢٤٤]، وفي: السيرة النبوية لابن هشام معزواً إلى ابن إسحاق (٢/ ٢٢٤).

عَمِله فإنه لم يوجب له النار[١]؟

٥ ـ عن أيوب السختياني قال: ولا أعلم أحداً من أهل الأهواء يُجادل إلا بالمتشابه[٢].

❁ المسألة الخامسة ❁

هل الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه؟

أ ـ من قال: إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه:

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن الأعمش قال: في قراءة عبد الله بن مسعود «وإن حقيقة تأويله إلا عند الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به»[٣].

ونسب إلى أُبي بن كعب أنه كان يقرأ: «ويقول الراسخون في العلم آمنا به»[٤].

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله[٥].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده من طريق أسباط عن السدي (٥/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم بزيادة على ما ذكر: فأراد ما في القرآن مما وعد الله وما فيه من الناسخ والمنسوخ إرادةَ الفتنة (٢/ ١٠٠) [٣٢٣٣].

(٢) تقدم تخريجه في علم: **الجدل في القرآن**.

(٣) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٠٩)، وبنحو ذلك عند الطبري (٥/ ٢٢١، ٢٢٢)، والبغوي في تفسيره (١/ ٣٢٥)، قال محقق الإتقان: في إسناده انقطاع؛ لأن الأعمش لم يدرك ابن مسعود رضي الله عنه (٤/ ١٣٤٢).

(٤) انظر: ، معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، تفسير الطبري (٥/ ٢٢١)، المحرر الوجيز (٢/ ١٦٣)، البحر المحيط (٢/ ٤٠١).

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة (٥/ ٢١٨)، وهذا الإسناد صححه أحمد شاكر في تحقيق تفسير الطبري (٦/ ١٩٤، ١٩٥)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٣٣) [٢٦٢] وذكره قبل بنحوه [٢٥٦]، ورواه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي مليكة (٢/ ١٠٣) [٣٢٥٥]، وصحَّحه محققو الإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٤٥).

٣ ـ عن ابن عباس قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]: يعني: تأويله يوم القيامة لا يعلمه إلا الله[(١)].

٤ ـ عن طاووس قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ـ وفي لفظ يقرؤها ـ: «وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به»[(٢)].

٥ ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] قال: جزاءه وثوابه يوم القيامة، وبنحوه عن الضحاك[(٣)].

٦ ـ عن عَبيدة السلماني قال: من أين يعلمون تأويله؟ وإنما انتهى علم الراسخين إلى أن قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧][(٤)].

٧ ـ عن أبي الشعثاء جابر بن زيد قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]: إنكم تَصِلون هذه الآية وهي مقطوعة، ثم يقرأ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فأثنى عليهم، إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧][(٥)].

---

(١) أخرجه أبو عبيد من من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الناسخ والمنسوخ (ص٥، ٦) أثر رقم [٣]، والطبري (٥/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم، كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، (٢/ ١٠٢) [٣٢٤٤]، وابن المنذر (١/ ١٢٩) [٢٥٠].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٤) [٣٧٧]، والطبري (٥/ ٢١٨)، وصحح ابن حجر إسناد عبد الرزاق. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٨). وابن المنذر في تفسيره بلفظ: كان ابن عباس يقرؤها (١/ ١٣٠) [٢٥٤]، وابن الأنباري في الأضداد (ص٤٢٤، ٤٢٥)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٥) [٣١٩٧]، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحّحه السيوطي. انظر: الإتقان (٤/ ١٣٤٢).

(٣) أخرجه ابن المنذر في تفسيره من طريق ابن جريج عن ابن عباس (١/ ١٢٩) [٢٥١] وهي طريق منقطعة، فإن ابن جريج لم يلق ابن عباس، وبمعناه في النكت والعيون (١/ ٣٧١)، وأثر الضحاك عند ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٢) [٣٢٥٠].

(٤) انظر: فهم القرآن للمحاسبي (ص٣٢٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٣) [٣٢٥٣]، قال محققو الإتقان: في إسناده أبو المنيب عبيد الله بن عبد الله العتكي صدوق يخطئ، وبقية رجاله ثقات، ومثله يحسن حديثه (٤/ ٣٤٥).

ومثله عن أبي نَهيك الأسدي(١)(٢).

وعن الإمام مالك بنحوه(٣).

٨ ـ عن هشام بن عروة قال: كان أبي يقول في هذا الآية: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧]: إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧](٤).

٩ ـ عن عمر بن عبد العزيز قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧]: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧](٥).

١٠ ـ عن الحسن قال في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧] تأويله: القضاء به يوم القيامة(٦).

١١ ـ عن السدي قال: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧]: أرادوا أن يعلموا تأويل القرآن، وهو عواقبه، قال الله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧]: وتأويله: عواقبه متى يأتي الناسخ منه فينسخ المنسوخ(٧).

---

(١) أبو نَهيك عثمان بن نَهيك الأزدي البصري، روى عن عبد الله بن عباس، وأبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، قال عنه ابن حجر: ثقة من الثالثة. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٥٥) [٧٦٧٥]، وتقريب التهذيب (ص١٢١٦) [٨٤٨٦].

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٠٣) [٣٢٥٣]، وضعف محقق ابن أبي حاتم إسناده (٢/ ٧٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عن أشهب عن الإمام مالك (٥/ ٢١٩).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٨، ٢١٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٠٣) [٣٢٥٤].

(٥) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٣٥٦، ٣٥٧)، والطبري (٥/ ٢١٩)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٣٢) [٢٥٧]، والهروي في ذم الكلام (٣/ ٥٦، ٥٧) [٥٦٠]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (٣/ ٤٥٩).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ١٠١) [٣٢٤٢].

(٧) أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي (٥/ ٢١٥، ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٠١) [٣٢٤٠] و(٢/ ١٠٢) [٣٢٤٧].

ب ـ من قال: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه.

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن ابن عباس قال: أنا مما يعلم تأويله[١].

٢ ـ عن مجاهد قال: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به[٢].

٣ ـ عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] قال: يقول الراسخون يعلمون تأويله، لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولم يعلموا حلاله من حرامه ولا محكمه من متشابهه[٣].

٤ ـ عن الربيع بن أنس قال: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به[٤].

وممن نُسب إليه قول: إن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه القاسم بن محمد[٥].

وكذا نُسب إلى الشعبي ذهابه إلى القول الأول وهو عدم علم الراسخين في العلم للمتشابه[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٢٠)، وابن المنذر (١/ ١٣٢) [٢٥٨]، وابن الأنباري في كتابه الأضداد (ص٤٢٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس. قال محققو الإتقان عن سند ابن المنذر: ورجاله بين ثقة وصدوق، وقالوا عن سند الطبري: ورجال إسناده ثقات (٤/ ١٣٣٩).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن من طريق ابن جريج عن مجاهد (١/ ٢٧٦)، والطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد (٥/ ٢٢٠). وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٣٢) [٢٥٩]، وابن الأنباري في الأضداد (ص٤٢٤) بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٠٣، ١٠٤) [٣٢٥٦]، وضعف محققو الإتقان إسناده؛ لأن فيه خالد بن سليمان البلخي وهو ضعيف. انظر: الإتقان (٤/ ١٣٤٠).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٢٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧)، أضواء البيان (١/ ٢١١)، التحرير والتنوير (٣/ ١٦٤).

(٦) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٢٤٧).

التاصيل

١ ـ علم المحكم والمتشابه من أهم علوم القرآن عند الأوائل، وهو كذلك لدى التالين.

وقد تباحثوا ـ أعني: الصحابة والتابعين ـ جوانبه واشتغلوا بمسائله، وتمحض النظر في مروياتهم عن جملةٍ من الأمور أكدت علو شأن هذا العلم وأهميته:

أ ـ دلت آية قرآنية على هذا العلم، وكانت بمثابة الأصل منها تفتقت مسائله وموضوعاته، وهذا يقرر أن العلم القرآني الذي تدل عليه آيات القرآن دلالة مباشرة من أهم العلوم، بل هو على رأسها إذا ذكرت، وفي المؤلفات جمعت.

ويستلزم مزيد عناية ووافر اهتمام، ومن أمثلة ذلك: علم النسخ، وعلم المحكم والمتشابه، ونزول القرآن وغيرها.

ب ـ نصت تفسيرات بعض الصحابة والتابعين على علم المحكم والمتشابه عند ذكر بعض معارف القرآن وعلومه، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. فقد أوردوا أن الحكمة تعني المعرفة بالقرآن، وساقوا علوماً قرآنية كان من بينها المحكم والمتشابه.

ومثل هذا عند قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

ج ـ لما ذكروا ـ كما في أثر ابن مسعود وابن عباس المتقدمين ـ مجموعة من علوم القرآن نصوا على المحكم والمتشابه في منظومة علوم هي آكدها وأبرزها.

ويصح أن يُطلق على علم المحكم والمتشابه (قرين علم النسخ) لا يذكر ـ غالباً ـ إلا معه.

واقترانه في الذكر بعلم الناسخ والمنسوخ تأكيد على جلالته، سيما أن هذين العلمين المتقارنين مذكوران في القرآن بآيات تؤصل لهما وتنص عليهما.

وهذا علو في المكانة وسمو في المنزلة، ولك أن تعرف ما يمثله النسخ في علوم القرآن وعند أهل العلم من الرفعة والأهمية، فينال المحكم والمتشابه ـ وهو قرينه في الذكر ـ قبساً من ضيائه وجلاله.

٢ ـ ارتكزت آثار الصحابة والتابعين بعد إبانتها مكانة هذا العلم وقدره على أمرين مهمين:

الأول: المراد بالمحكم والمتشابه.

الثاني: هل الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه أم لا يعلمونه؟

فعلى هذين الجانبين تدور غالب المرويات.

فأول ما يسترعي الانتباه أن علم المحكم والمتشابه تفرد بخصيصة ندر أن تجدها في علوم القرآن الأخرى، ألا وهي:

اشتغالُ السلف بتعيين المراد بالعلم والمقصود منه، وبعبارة مُوضحة:

الإفاضة في تعريف المحكم والمتشابه، فإن منظومة علوم القرآن عندهم مستوعبةٌ فهماً، لذا لا تجدهم يُبينون عن المراد بالعلوم، أما في المحكم والمتشابه فقد طال كلامهم وتعددت روايتهم؛ لأهميته من جانب وما يترتب على تعيينه من الفوائد والقضايا من جانب آخر.

٣ ـ حملت الرواية بيان ثلاثة من الصحابة لهذا العلم وهم: ابن مسعود، وجابر بن عبد الله بن رِئاب، وابن عباس، وبقية الوارد عن التابعين وأتباعهم.

وقد نحت مجمل تفسيراتهم للمحكم والمتشابه نحو بيانه بأمرين:

إما بعلم قرآني، وإما **بآيات قرآنية**، ويجمعها أنها تعريف بالأمثلة.

فتجد ابن عباس ومعه طائفة من تلاميذه؛ كمجاهد، والضحاك، وقتادة وعكرمة، وكذلك ابن مسعود، والربيع بن أنس، والسدي، ويحيى بن يعمر وغيرهم، يتجهون إلى تعريف هذا المحكم والمتشابه بتعيين علوم قرآنية، منها ما هو محكم، ومنها ما هو متشابه، فهذا تعريفٌ بالعلم.

وإليك نماذج من خلاصة أقوالهم:

ابن مسعود:	المحكم الناسخ	المتشابه المنسوخ
ابن عباس:	الناسخ	المنسوخ
وفي رواية ثانية:	الناسخ: الحلال والحرام الحدود والفرائض	المنسوخ: المقدَّم والمؤخَّر الأمثال، الأقسام.
وفي رواية ثالثة:	المحكم: الحلال والحرام	وفي رواية رابعة:
المحكم والمتشابه: التقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام	مجاهد:	الحلال والحرام
ما سوى ذلك	يحيى بن يعمر:	المحكمات: اللاتي فيهن الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام وعماد الدين
قتادة:	الناسخ	المنسوخ
الربيع بن أنس والضحاك:	الناسخ	المنسوخ
الربيع بن أنس:	الآمرة	الزاجرة

أما تعريف المحكم والمتشابه **بآيات قرآنية**، فهذا وارد عن ابن عباس في عدة روايات، فأولها:

جعل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى نهاية ثلاث آيات، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الآيات هي المحكمات.

وفي رواية ثانية: جعل المتشابه حروف التهجي في أوائل السور، وجاء تفسيرٌ بهذا المعنى عن أبي فاختة.

ويستخلص من هذا ما يلي:

أ ـ تعداد علوم قرآنية تُبين المحكم والمتشابه مما تفرد به السلف الأقدمون، فلا نجد في تعريفات المتأخرين من ورث هذا المنهج.

ب ـ ذكر علوم النسخ والحلال والحرام وما سواها عند تبيان المحكم

والمتشابه يُقصد به على أغلب الظن **التمثيل بما يوضح هذا العلم القرآني**.

وهذا ما فهمه ثلة من أهل التفسير.

قال ابن عطية بعد سوقه أثر ابن عباس وابن مسعود في تعريف المحكم والمتشابه بمجموعة من العلوم:

«وهذا عندي على جهة التمثيل؛ أي: يوجد الإحكام في هذا والتشابه في هذا، لا أنه وقفٌ على هذا النوع من الآيات»(١).

وقال الراغب بعد عرض جملة من أقوال العلماء في تعريف المحكم والمتشابه: «وهذه الجملة من المحكم والمتشابه إذا تصورت علم أن جميع ما يذكره المفسرون لا يخرج منها»، ـ ثم عرض نبذة من أقوال السلف ثم قال ـ: «فكل هذه الأقوال مثالاتٌ لبعض ما انطوت عليه هذه الجملة»(٢).

وهذا فهمٌ بارع من المفسرين الجليلين ابن عطية، والراغب الأصفهاني؛ لأن ابن عباس لم يقصد إلا إعطاء أمثلة للعلم لا حصره بتلك العلوم، ويدل على هذا:

١ ـ تباين العلوم التي ذكرها بياناً للمحكم والمتشابه، فمرة اقتصر على الناسخ والمنسوخ، ومرة ثانية عدَّد جملة من العلوم؛ كالناسخ والمنسوخ والمقدم والمؤخر، والحلال والحرام، والأمثال وغيرها، وهذا الاختلاف في الذكر إشارة إلى قصد التمثيل لا الحصر بما أورد.

٢ ـ ختم إحدى الروايات بقوله عن المحكم بعد ذكر بعض العلوم:

. . . وما يؤمن به ويعمل به، وعن المتشابه: . . . وما يؤمن به ولا يعمل به، فدل هذا على أنَّ تلك العلوم مجرد أمثلة، ويبقى غيرها يسير في مسارها مما يؤمن به ويعمل به أو لا يعمل به.

ج ـ فسَّر ابن عباس المحكمات بآيات من سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٥٦).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٢٢)، وقد عد الكلام في أحوال المحكم والمتشابه مشكلاً. انظر: تفسيره (١/ ٤١٤).

مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وفي أُخرى بآيات من سورة الإسراء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الآيات.

وفي رواية عنه جعل المتشابه: حروف الهجاء التي في فواتح السور.

وهذا تعريف المحكم بآيات من القرآن تفرد به ابن عباس، ولم يُتبع في تعريف العلم بآيات قرآنية.

وعاد ابن عطية يتعقب قول ابن عباس هذا، ويَفهم منه كما فَهِم من سابق قوله، فيقول: «وهذا عندي مثال أعطاه في المحكمات»(١).

وهذا فهمٌ صائبٌ من ابن عطية، ففي بعض روايات أثر ابن عباس ما يؤكد قصده ضرب أمثلة للمحكم لا حصرها بتلك الآيات، وذلك قوله: «إن في الأنعام آياتٍ مُحكمات هنَّ أُم الكتاب» وهذه الرواية صريحة في أن الآيات للمثال، فتعود على الروايات الأُخرى بالإيضاح والبيان، والله أعلم.

أما الشوكاني فقد قلل من جدوى ذكر ابن عباس هذه الآيات بأنهن محكمات، فقال: «رحم الله ابن عباس ما أقل جدوى هذا الكلام المنقول عنه، إن تعيين ثلاث آيات أو عشرة أو مائة من جميع آيات القرآن، ووصفها بأنها محكمة ليس تحته من الفائدة شيء، فالمحكمات هي أكثر القرآن على جميع الأقوال حتى على قوله المنقول عنه قريباً من أن المحكمات ناسخه وحلاله... إلخ، فما معنى تعيين تلك الآيات من آخر سورة الأنعام؟». اهـ(٢).

ولو فهم قول ابن عباس في ذكر هؤلاء الآيات على أنهنَّ من المحكمات ـ كما يظهر من إحدى الروايات ـ وأنهنَّ أمثلة للمحكم وليست حصراً للمحكم فيهنَّ، تبين أن تعقيب الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قليل الجدوى!

وإذا تقرر هذا وفهم ما قصدوا بذلك، بقي السؤال: لماذا تعتبر هذه العلوم أمثلةً للمحكم، وتلك للمتشابه؟، والجواب: أن هذا لم توضحه آثارهم، وهو مجال نظر ومدارسة.

يقول الرازي موضحاً رواية ابن عباس هذه في تعيين المحكم: «التكاليف

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٥٦).

(٢) فتح القدير (١/ ٣٩٦)، وتبعه صديق حسن خان في فتح البيان (٢/ ١٧٧، ١٧٨).

الواردة من الله تعالى تنقسم إلى قسمين منها ما لا يجوز أن يتغير بشرع وشرع، وذلك كالأمر بطاعة الله تعالى، والاحتراز عن الظلم والكذب والجهل وقتل النفس بغير الحق، ومنها ما يختلف بشرع وشرع، كأعداد الصلوات، ومقادير الزكوات، وشرائط البيع والنكاح وغير ذلك، فالقسم الأول هو المسمى بالمحكم عند ابن عباس؛ لأن الآيات الثلاث في سورة الأنعام مشتملة على هذا القسم»(١).

وهذه من الرازي ـ كما يظهر لي ـ إيضاح لقول ابن عباس في تعريفه المحكم، حيث فسره مرة بالناسخ، ومرة أُخرى بآيات من الأنعام.

والرازي ذكر أولاً تفسيره المحكمات بآيات سورة الأنعام، وما يفهم من كلامه هذا أن قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى نهاية ثلاث آيات منها قد احتوت على ما اتفقت عليه الشرائع الإلٰهية، فلا يمكن أن يتبدل أو يغير من الوصاية بإفراد الله بالعبادة، وتحريم الظلم والقتل بغير الحق، وتحريم الفواحش، وأكل الأموال بالباطل، والوفاء بالمكيال والميزان إلى آخر تلك الوصايا العشر مما يمكن أن يطلق عليها الضروريات المأمور بحفظها وعدم المساس بها، من حفظ الدين والنفس والعرض والمال، وهي تمثل أساس الشريعة ومحكماتها.

ثم ذكر الرازي الرواية الثانية لابن عباس: أن المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ ولم يعقب عليهما.

وجملة القول في تعقبه تفسير ابن عباس للمحكمات بآيات الأنعام هو: أن المحكم من القرآن ما لا يختلف عليه من أُصول الشرع وما اتفقت عليه الشرائع الإلٰهية مما هو واضح مستبين لا يمكن أن يخفى أو يتبدل؛ لأنه كالركن الذي لا يصح أن يشوبه شيء من الخفاء وفيه أُصول الديانة وضرورياتها.

ولا يظهر جعل تفسير الرازي كلام ابن عباس قصداً للتأليف بين مروياته في المحكم مرة بأنها الناسخ ومرة بأنها آيات الأنعام، سيما وقد ذكر الرواية

---

(١) التفسير الكبير (٧/ ١٤٧، ١٤٨).

الثانية عن ابن عباس حين عرَّف المحكم بالناسخ والمتشابه بالمنسوخ، ولم يعقب على هذه بشيء[١].

والنحاس ممن عرض لبيان تفسير ابن عباس للمحكم والمتشابه فقال:

«وهذا معنى قول ابن عباس أنها ما أوجب الله على عباده من أحكامه اللازمة التي لم يلحقها تغيير ولا تبديل، وقد يكون المحكم ما كان خبراً؛ لأنه لا يلحقه نسخ، والمتشابه: الناسخ والمنسوخ؛ لأنهم لا يعلمون منتهى ما يصيرون إليه منه، وفي كل ذلك حكمة، وبعضه يشبه بعضاً في الحكمة». اهـ[٢].

وما تقدم محاولات أهل العلم تفسير هذه النصوص الواردة عن السلف في تعيين المحكم والمتشابه.

د ـ هناك ملحظ مهم تكرر دورانه في عدد من مرويات المحكم والمتشابه، ألا وهو أنهم لما ذكروا علوماً جعلوها أمثلة المحكم، وأُخرى أمثلة المتشابه، يقولون عن المحكم: وما يُؤمن به ويُعمل به، أو الذي يُدان به ويُعمل به، وعن المتشابه: وما يُؤمن به ولا يُعمل به، أو الذي يُدان به ولا يُعمل به.

ويفهم من هذا اعتبار جانب العمل بالآية ركيزة في التفريق بين المحكم والمتشابه، وعدم اعتبار المعنى فارقاً بين القسيمين:

وهذا مستلزم لكون المتشابه معلوم المعنى؛ لأنه لا يوجد ناسخ إلا مسبوق بمنسوخ، ولا يمكن أن يعرف الناسخ ويجهل المنسوخ، فكلاهما معلوم المعنى مستبين المراد لكنهما افترقا في العمل، فالمحكم يُعمل به ولا يُعمل بالمتشابه إنما يُؤمن به، وهنا يستفهم عن سر جعل المتشابه متشابهاً لترك العمل به، وهو معلوم المعنى.

ورواية السدي تجيب عن هذا حيث قال:

---

(١) ممن تناول روايات ابن عباس بالتحليل والدرْس بغية استيضاح مراده، الدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه: معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، والدكتور عابد السفياني في كتابه: المحكمات في الشريعة الإسلامية وأثرها في حفظ وحدة الأمة وحفظ المجتمع.

(٢) معاني القرآن (١/ ٣٤٧، ٣٤٨).

«يتبعون الناسخ والمنسوخ فيقولون: ما بال هذه الآية عُمل بها كذا وكذا مقام هذه الآية، فتركت الأُولى وعمل بهذه الأُخرى؟ هلَّا كان يعمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التي نسخت؟. . .» إلخ.

فوجود المنسوخ الذي لا يُعمل به في القرآن كان مثار حيرة البعض واضطرابه، حتى إن منكري النسخ من المعاصرين يتذرعون بهذه الشبهة وتضيق عقولهم عن إدراك أسرار النسخ، ويبقى تصور آيات لا تثمر عملاً ولا يلزم المكلف العمل بها شبهة تحول دون إيمانهم بالنسخ، فبهذا يعرف كيف يكون المنسوخ من المتشابه.

هـ ـ على اعتبار ما يُعمل به وما لا يُعمل به أساساً في تبيان المحكم من المتشابه، يفهم جعل ابن عباس وغيره الحلال والحرام والناسخ والفرائض والحدود من المحكمات. وجعله المقدم والمؤخر والأمثال والأقسام من المتشابه؛ فهذه الأخيرات عن العمل بمعزل، إنما تحتاج إلى معانٍ وتأويل، وقد يرتع في ميادين هذه العلوم من يشتبه عليه من موضوعاتها ما يشتبه، إما لشبهة استحكمت من قلبه فقدح في ضرب الأمثال بالبعوضة أو الذباب وغيرها كما هو مذكور قوله في القرآن ومردود عليه، وإما لدقة معانيها وصعوبة الإحاطة بتأويلها على كثير من أهل النظر.

و ـ عرَّف مجاهد المتشابه بأنه: ما يُصدق بعضه بعضاً وهذا نزوعٌ إلى بيان المتشابه العام لا المتشابه بمعناه الخاص الذي هو قسيم المحكم، فإنهم جعلوا معنى ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] تشابه آياته في الصدق والإحكام والفصاحة والبيان، وإرجاع تفسير مجاهد هذا إلى المتشابه العام ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، وخلص إلى تضعيف هذا القول وهو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ ومن وجوه تضعيف القول الوارد عن مجاهد ما قال:

«فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المذكور في قوله ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] والحلال مخالف للحرام، وهذا على قول مجاهد: إن العلماء يعلمون تأويله، لكن تفسير المتشابه بهذا مع أن كل القرآن متشابه، وهنا خص البعض به فيستدل به على ضعف هذا القول، وكذلك قوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧] لو أُريد بالمتشابه تصديق بعضه

بعضاً لكان اتباع ذلك غير محذور وليس في كونه يصدق بعضه بعضاً ما يمنع ابتغاء تأويله. . . » إلخ[١].

ز ـ أثر محمد بن جعفر بن الزبير المتقدم والمنسوب كذلك إلى محمد بن إسحاق.

من العلماء من فسَّر قوله في تعريف المحكم والمتشابه:

أن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهاً.

ومن هؤلاء الثعلبي، والماوردي، والبغوي، وأبو حيان، وابن تيمية[٢]، وهذا اقتناص للتعريف الذي ذكروه من قوله: «. . . من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحدٍ فيها إلا تأويلٌ واحد». اهـ.

وقد وصف ابن عطية وابن كثير هذا القول بأنه أحسن الأقوال في الآية[٣].

أما بقية الأثر فتلوح منه أوصاف المحكم والمتشابه حين قال:

فيهن حجة الرب وعصمة العباد. . . إلخ، وقوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل، كأن هذا بيان للمتشابه في معناه العام، وأما قوله عن المتشابه (ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام) فعودٌ إلى استجلاء حكمة من حكم وجود المتشابه بمعناه الخاص مما هو قسيم المحكم.

ح ـ في تعريف سعيد بن جبير المتشابهات بأنها آيات في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤهن، ومن أجل ذلك يضل من ضلَّ. . . إلخ.

مغايرة لأغلب الوارد عن الصحابة والتابعين الذين يُوضحون المحكم والمتشابه إما بعلوم، وإما بآيات قرآنية.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (١٧/ ٣٨٨، ٣٨٩)، وابن كثير جعل قول مجاهد هذا تفسيراً لقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾؛ أي: المتشابه بمعناه العام (٣/ ٨، ٩).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٣/ ١٠)، النكت والعيون (١/ ٣٦٩)، معالم التنزيل (١/ ٣٢٣)، البحر المحيط (٢/ ٣٩٦)، فتاوى شيخ الإسلام (١٧/ ٣٨٩).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ١٥٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٩).

وقد أكَّد ابن جبير على استمساك كل فرقة بشيء من المتشابه تزعم تأييده لمذهبها، وضَرَب مثالاً للحرورية في اتباعهم المتشابه، وكون آية أو آيات من المتشابه مما قد يعرض لأي أحد، سواء كان من عداد العلماء أو أفراد الناس.

أما اتباع المتشابه ـ وهو ما جلَّاه سعيد بن جبير ـ فهو شأن أهل الزيغ طلباً لما ينصر باطلهم ويقوي رأيهم، والله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ومثل نهج سعيد في بيان هذا العلم ما رآه الشعبي في بعض التفاسير من أن المتشابه هو: ما خفي لفظه، والمحكم: ما كان لفظه واضحاً، وقد جُهل القائلُ فيحتمل أنه من الصحابة أو التابعين أو أتباعهم، وبان أن هذا اللون في تعريف للمحكم والمتشابه ـ وجرى على السُّنَّة العلماء المتأخرين ـ لم يكن صريحاً في آثارهم.

ط ـ انقسم الصحابة والتابعون في مسألة: **علم الراسخين بالمتشابه أو عدم علمهم به** إلى فريقين:

فريق يرى أن الراسخين لا يعلمون المتشابه، وأن حظهم منه الإيمان به وأن محكمه ومتشابهه كلٌ من عند الله، وعطفاً على الروايات فإن وصف هذا القول بأنه قول أكثرهم وصف صحيح.

وقد تنوعت مسالكهم في التنصيص على عدم علم الراسخين المتشابه إلى ما يلي:

١ ـ النص الصريح على أنهم لا يعلمون المتشابه، كما في أثر عائشة، وعروة، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم.

٢ ـ تفسير المتشابه بما يقود إلى القطع بأن علمه قد طُوي عن الراسخين؛ كتفسير تأويل المتشابه بعواقب الأمور، أو جزائه وثوابه يوم القيامة ونحو ذلك من التفسيرات.

٣ ـ النص على أن مكان الوقف في الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ جملة مستأنفة لا معطوفة.

والاستدلال بقضية الوقوف وردت في أثر أو أثرين، وأكثر نصوصهم لا تلتفت لهذا الجانب في الآية.

وهذا يُرشد إلى أن مناقشة جانب الوقف في الآية مُركبٌ على المعنى، وأن كل طائفةٍ تقرر ما تراه في مسألة العلم بالمتشابه وجوداً أو عدماً، ثم تركب مكان الوقوف في الآية بناءً على القول الذي تذهب إليه.

٤ ـ القراءات الواردة عن جماعة من الصحابة ـ وهي قراءة شاذة ـ كقراءة أُبي، وابن مسعود، وابن عباس، وتلك دلائل على ما يذهب إليه هؤلاء الصحابة من عدم علم المتشابه، وهي نص في هذا الأمر.

أما الفريق الثاني ممن لا يقول بعلم الراسخين للمتشابه، فصح عن ابن عباس في رواية، وعن مجاهد بسند صحيح، وهو قول الضحاك، والربيع بن أنس، والقاسم بن محمد، وغيرهم من أتباع التابعين، فنتج عنه أنه قول معروف عن السلف وله أنصاره ممن علت مراتبهم في العلم والإمامة، فلا يصح أن يطلق على هذا القول أنه قول لا يُروى إلا عن مجاهد، أو لا يكاد يعرف عن السلف؛ لأن الروايات المأثورة عنهم تضاد ذلك ولا تؤيده(١).

ي ـ بينت عدد من آثارهم معنى اتباع المتشابه عند أهل الزيغ.

فمن راءٍ أنه المجادلة بالمتشابه، أو أنهم يحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم يُلبِّسون فلبَّس اللهُ عليهم.

وكذلك احتجاجهم بالمتشابه، كما بيَّن سعيد بن جبير وغيره استدلال كل فرقة بما يعضد رأيها وينصر قولها ـ بزعمهم ـ فيكون حجة للقائل وشبهة للمخالف، وجعل مجاهد الباب الذي ضلوا فيه وهلكوا فيه ابتغاء تأويله.

وهنا يجري الخلاف في معنى التأويل كما هو التنازع المعروف فيه، والآية الكريمة قد نطقت باتباعهم المتشابه وجعلت له غايتين: ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

فاتباعهم المتشابه عملهم وما يقابلون به متشابه القرآن، وأما ابتغاء الفتنة والتأويل فتلك غاية ما يعملون ومقصد الاتباع، فالاتباع وسيلة، وقصد الفتنة وطلب التأويل غاية، والله أعلم.

---

(١) انظر ما نقله القرطبي عن الإمام الخطابي (١٦/٤، ١٧)، وصف ابن السمعاني من قال بعلم الراسخين للمتشابه بأنهم شرذمة قليلة. انظر: قواطع الأدلة في أصول الفقه (١/ ٤٨٣).

ك ـ طالت دائرة الخلاف في تعيين المحكم والمتشابه لتثمر أقوالاً مختلفة عند أتباع التابعين، مما يؤكد أن غياب نص قاطع في تحديدهما أدى إلى اجتهاد في تعريفهما.

ومما أُثر عن الأتباع في تعيين المحكم والمتشابه:

١ ـ وافق مقاتل بن سليمان ابن عباس في إحدى رواياته، فقال: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ يعمل بهن، وهن الآيات التي في الأنعام، قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات آخرهن: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

... ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿الٓمٓر﴾، ﴿الٓمٓ﴾ شبه على اليهود كم تملك هذه الأمة من السنين، والمتشابهات هؤلاء الكلمات الأربع(١).

٢ ـ عن مقاتل بن حيان قال: (هن أُم الكتاب) وإنما قال: (هن أم الكتاب)؛ لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني فيما بلغنا: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿الٓمٓر﴾، ﴿الٓر﴾ فهؤلاء الأربع المتشابهات(٢).

٣ ـ قال عبد الرحمٰن بن زيد في تبيين المحكم والمتشابه:

... (والمتشابه): ذكر موسى في أمكنة كثيرة، وهو متشابهٌ وهو كله معنى واحد، وهو متشابه ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠]، ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢]، ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ [الشعراء: ٣٢] قال: ثم ذكر هوداً في عشر آيات منها، وصالحاً في ثماني آيات منها، وإبراهيم في ثماني آيات أُخرى، ولوطاً في ثماني آيات منها، وشعيباً في ثلاث عشرة آية، وموسى في أربع آيات، كل هذا يقضي بين الأنبياء وبين قولهم في هذه السورة، فانتهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ۝١٠٠﴾

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٩٨، ٩٩) [٣٢٢٠] و[٣٢٢٣]، قال محققو الإتقان: في إسناده بُكير بن معروف الأسدي صدوقٌ فيه لين. (٤/ ١٣٣٨).

[هود: ١٠٠]، وقال في المتشابه من القرآن: من يرد الله به البلاء والضلالة يقول: ما شأن هذا لا يكون هكذا؟ وما شأن هذا لا يكون هكذا[(١)]؟

[علم المحكم والمتشابه عند أهل علوم القرآن]

أ ـ علم المحكم والمتشابه قرين علم النسخ أهميةً وذكراً، له مكانة عليَّة عند أهل علوم القرآن، فلا تكاد تخلو الأسفار المعتمدة عند أهل هذا الفن من مباحثة مسائل هذا العلم وتضمينه المصنفات، وهي متفقة في تسميته بـ «علم المحكم والمتشابه».

ومضى أن من علوم القرآن ما نص الأقدمون على تسميته، ويزيد هذا العلم بما حوته آية آل عمران من إطلاق تسميته فاجتمع لهذا العلم مطابقة عنونته بعلم المحكم والمتشابه بآية قرآنية، وآثار نبوية مرفوعة، وكلام الصحابة والتابعين.

ومن ثم سار المؤلفون في علوم القرآن هذا الطريق الذي لا حيدة عنه، فاتفقوا على تسميته ولا تكاد مؤلفاتهم تغفل هذا العلم في عداد ما تعنى به من علوم القرآن.

ب ـ الجانب الأول في علم المحكم والمتشابه، معرفة المراد به وما يقصد منه، وتمثلت عناية مصنفي علوم القرآن في النظر إلى تعريفات الصحابة والتابعين وما خاضوا بشأن المقصود منه، تمثلت في اتجاهات:

١ ـ ذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرات المحكم والمتشابه، كما فعل المحاسبي، والزركشي ـ دون عزو الأقوال لقائليها ـ والسيوطي ناسباً الأقوال لأصحابها وبعزو هذه الآثار إلى مصادرها من كتب الأثر ـ، وابن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/١٩٧، ١٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/٢٣٨) [١١٤٨٠]، وهذا القول ظهر منه تعريف الإحكام والتشابه العام الذي وصف به آي القرآن كلها، إلا أن الطبري جعل معنى هذا القول: أن المحكم ما أحكم الله فيه من آي القرآن، وقصص الأمم ورسلهم الذين أُرسلوا إليهم، ففصَّله ببيان ذلك لمحمدٍ وأُمته، والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقصه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني. انظر: جامع البيان (٥/١٩٧).

عقيلة، والزرقاني، وعدد من المعاصرين[١].

وقد صدَّر كثير من هؤلاء أقوال الأصوليين وتعريفاتهم، ثم ساقوا أقوال الأقدمين ما بين مُستقل ومُستكثر.

٢ ـ طائفة ذكروا تعريفات أهل الأصول وأعرضوا صفحاً عن مرويات السلف في هذا العلم، وهذا صنيع عدد من المعاصرين[٢]، وسبقهم إلى هذا الكافيجي من المتقدمين[٣].

٣ ـ لم يُفوت أهل التصنيف مسألة علم الراسخين بالمتشابه أو عدم علمهم به، فذكروا في الجملة الأقوال وساقوا الأدلة على تفاوت في ذلك، وهذه المسألة خاض فيه الصحابة والتابعون واختلفوا فيها[٤].

٤ ـ لم تلق أقوال الصحابة والتابعين في بيان المحكم والمتشابه كثيراً من التحليل واستجلاء المعاني والوقوف على مرامي الروايات، ما عدا شيءٍ من التعقب لا يرقى إلى درجة التمحيص وإدراك مقاصد السابقين.

فقد علَّق الزرقاني على قولهم:

المحكم الذي يُعمل به، أما المتشابه فهو الذي يُؤمن به ولا يُعمل به، فقال: «وفيه أن ذلك قصر للمحكم على ما كان من قبيل الأعمال وقصر للمتشابه على ما كان من قبيل العقائد، وإطلاق القول فيهما على هذا الوجه غير سديد، فإن أرادوا بالمحكم أنه الواضح الذي يؤخذ بمعناه على التعيين،

---

(١) فهم القرآن (ص٣٢٥)، البرهان (٢/ ٧٩)، الإتقان (٤/ ١٣٣٦) فما بعدها، الزيادة والإحسان (٥/ ١٢ ـ ١٨)، مناهل العرفان (٢/ ٢١٨)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٠٧)، غذاء الجَنان بثمر الجِنان، د. فضل عباس (ص١٨٩)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٥١١ ـ ٥١٣).

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٢٨١)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص٢٤٧)، لمحات في علوم القرآن، د. محمد لطفي الصباغ (ص١٥٣)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا (ص١٢٤، ١٢٥).

(٣) التيسير في قواعد التفسير (ص٢٠٦) فما بعدها.

(٤) انظر: البرهان (٢/ ٨٣، ٨٤)، الإتقان (٤/ ١٣٣٩)، الزيادة والإحسان (٥/ ٤٢)، مناهل العرفان (٢/ ٢١٦)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص٢٠٨)، لمحات في علوم القرآن، محمد لطفي الصباغ (ص١٥٣، ١٥٤)، دراسات في علوم القرآن، الدكتور فهد الرومي (ص٥١٦).

وبالمتشابه ما كان خفياً يجب الإيمان به دون تعيين لمعناه، نقول: إن أرادوا ذلك فالعبارة قاصرة عن أداء هذا المراد، والمراد منها لا يدفع الإيراد عليها»(١).

هذا فهمه، وليس بمستقر أن يقصدوا قصر المتشابه على ما كان من قبيل العقائد، ولعل في الموقف من آيات الصفات ومسائلها أثراً في هذا الفهم ترتب عليه جعلها من المتشابه.

جاء في كتاب اللالئ الحسان في علوم القرآن ما نصه:

«وبعضهم يقول: المحكم: الفرائض والحدود، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وما يجب الإيمان والعمل به، والمتشابه: القصص والأمثال وما يجب الإيمان به ولا يُعمل به، وقد روي هذا عن عكرمة وقتادة ومجاهد».

ثم عقب على هذا فقال: «وملحظ هذا الرأي حمل المتشابه على المتماثل في القرآن والكتب الأخرى، وليس على معنى التباس المقصود منه وخفائه». اهـ(٢).

وجعل تفسير القصص والأمثال من المتشابه بمعناه العام الذي يعني المتماثل والتشابه ليس بصحيح، إن عنى به قائله ذلك.

أما بعضهم فلم يُصحح إرجاع بعض الباحثين سبب الاختلاف في معرفة المتشابه إلى الاختلاف في الوقف في آية آل عمران، وجعل سبب الاختلاف هو اختلافهم في المراد بـ «**التأويل**» في الآية(٣).

وعندي أن كلا القولين ليس بصحيح.

وسبق تقرير أن اختلافهم في المتشابه هو أصلٌ بذاته، وتباين تحديد المراد بالمحكم والمتشابه رأس المسألة، ثم تأتي مسألة الوقوف في الآية مركبة على فهم المقصود بالمتشابه؛ لا أن الاختلاف في المتشابه سببه الاختلاف في الوقف، فمن قال بذلك فقد عكس الأمر، وإنما عمدة الخلاف

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢١٨).

(٢) اللآلئ الحسان في علوم القرآن، الدكتور موسى شاهين لاشين (ص١٤٦).

(٣) دراسات في علوم القرآن، الدكتور فهد الرومي (ص٥١٦).

في تعريف المتشابه، ثم يخلص منه إلى مسألة العلم به مُحصلةً للموضوع الرئيس في هذا العلم.

ج ـ وجد من نصوص المفسرين وأهل علوم القرآن والأصوليين من نقد ما ورد عن الأولين في المراد بالمحكم والمتشابه، فأطلقوا أوصافاً لهذه الأقوال دون تعمق في قراءتها وتحليل مضامينها، وهذه جملة من أقوالهم:

١ ـ رد ابن عطية قول أبي فاختة، وقال عنه: «وهذا قولٌ متداع للسقوط مضطربٌ، لم ينظر قائله أول الآية وآخرها ومقصدها»(١).

٢ ـ وصف ابن عاشور تفسير ابن مسعود وابن عباس للمحكم والمتشابه بالناسخ والمنسوخ بأنه بعيد عن أن يكون مراداً هنا؛ لعدم مناسبته للوصفين ولا لبقية الآية(٢).

٣ ـ عدَّد صاحب كتاب «غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن» أقوال السلف في معنى المحكم والمتشابه، ثم قال: «ونظرة عجلى في هذه الأقوال تجعلنا نحكم على كثير منها بالرد وعدم القبول... فالقول بأن المحكم غير المنسوخ غير معقول ولا مقبول.

كذلك القول بأن المحكم آيات ثلاث من سورة الأنعام قولٌ لا يقبل؛ لأنه لا يعقل أن تكون هذه الآيات وحدها هي المحكمة في كتاب الله، اللهم إلا أن يكون ذلك من باب التمثيل للمحكم»(٣).

٤ ـ قال الآمدي عن بعض مروياتهم في المحكم والمتشابه:

«وهو بعيد عن ما يعرفه أهل اللغة، وعن مناسبة اللفظ له لغة»(٤).

٥ ـ قال الغزالي: «وإذا لم يرد توقيف في بيانه، فينبغي أن يُفسر بما

---

(١) المحرر الوجيز (٢/١٥٨، ١٥٩)، وتقدم تضعيف ابن تيمية تفسير مجاهد للمتشابه وذكر وجوهاً في ذلك.

(٢) التحرير والتنوير (٣/١٥٦).

(٣) غذاء الجنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن (١٩٣)، الدكتور فضل عباس، وأولى من هذا الرد المتعجل درس هذه الآراء وفحصها عل الناظر يكشف ما يعنون، أما قوله: (غير معقول) و(لا يعقل) فهو كما ترى!!

(٤) الإحكام في أُصول الأحكام (١/٢٢٤).

يعرفه أهل اللغة ويناسب اللفظ من حيث الوضع، ولا يناسبه قولهم: المتشابه: هي الحروف المقطعة في أوائل السور، والمحكم: ما وراء ذلك، ولا قولهم «المحكم: ما يعرفه الراسخون في العلم، والمتشابه: ما ينفرد الله تعالى بعلمه»، ولا قولهم: المحكم: الوعد والوعيد والحلال والحرام، والمتشابه: القصص والأمثال، وهذا أبعد».اهـ(١).

٦ ـ المعول عند مصنفي علوم القرآن ما يحققه أهل الأصول في المراد بالمحكم والمتشابه، في تبعية مألوفة حين تشترك علوم القرآن مع علوم الأصول في جملة من الفنون، وانظر إلى مصنفاتهم تجدها ملأى من كلام أهل الأُصول واختياراتهم وتعريفاتهم، وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع بإذن الله.

---

(١) المستصفى (٢/ ٢٩، ٣٠).

الفصل الثاني

علم العام والخاص

وفيه عشر مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية هذا العلم.
- المسألة الثانية: الآيات التي خاطبت أهل الكتاب، وقضية العموم والخصوص.
- المسألة الثالثة: التنصيص على بعض أفراد العام.
- المسألة الرابعة: ما ورد عنهم في تخصيص بعض العمومات بذكر بعض الفرق المخالفة وتوجيه ذلك.
- المسألة الخامسة: الخطأ في فهم عموم الآية أو خصوصها يؤول إلى الخطأ في تفسيرها.
- المسألة السادسة: نصوصهم في تبيان عموم الآية أو خصوصها ودلالات ذلك.
- المسألة السابعة: بعض ما يستدلون به على عموم الآيات أو خصوصها.
- المسألة الثامنة: ما ورد عنهم في خصوص بعض الآيات بالنبي ﷺ.
- المسألة التاسعة: آثارهم التي يستدل بها على أن للعموم صيغاً مخصوصة دالة عليه.
- المسألة العاشرة: إشارتهم للعموم الذي أريد به الخصوص.

[علم العام والخاص]

المسألة الأولى

أهمية هذا العلم

أ ـ الصحابة ﷺ يسألون رسول الله ﷺ عن الآية أهي خاصة أم عامة؟

١ ـ عن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله إليّ هذه؟ قال: **«لجميع أمتي كلهم»**(١).

وفي رواية مسلم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: **«بل للناس كافةً»**(٢).

وفي رواية: يا رسول الله هذا لهذا خاصة أو لنا عامة؟ قال: **«بل لكم عامةً»**(٣).

٢ ـ عن سعد بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اسم الله الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، دعوة يونس بن متَّى»**.

قال: فقلت: يا رسول الله هي ليونس بن متَّى خاصة أم لجماعة المسلمين؟

قال: **«هي ليونس بن متَّى خاصةً، وللمؤمنين عامةً، إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ**

---

(١) تقدم تخريجه في علم: أسباب النزول، وهو مُخرَّج في الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ (٢/١٢٦٦، ١٢٦٧) [٢٧٦٣]، وفي بعض المصادر: بل للناس عامة، كما في المعجم الكبير للطبراني (٢٠/١٢٧) [٢٧٧، ٢٧٨].

(٣) كما عند الترمذي من رواية معاذ بن جبل (ص٧٠٣) [٣١١٣].

إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]. **فهو شرط الله لمن دعاه بها»**[1].

ب ـ الصحابي يبين خصوص السبب وعموم الحكم، مثاله:

١ ـ حديث كعب بن عجرة ﷺ لما نزلت بسببه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قال: حُملتُ إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «**ما كنت أرى أن الجَهْد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟**» قلت: لا، قال: «**صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك**»، قال: فنزلت فيَّ خاصةً، وهي لكم عامةً[2].

وفي لفظ: فأنزل الله ﷻ فيه خاصة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ ثم كانت للمسلمين عامةً[3].

❁ المسألة الثانية ❁

الآيات التي خاطبت أهل الكتاب، وقضية العموم والخصوص

١ ـ عن عمر ﷺ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة: ٨٥]: إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم يا أهل الإسلام تُعنون بهذا الحديث[4].

٢ ـ وعنه كذلك أنه قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤٧، ١٢٢] وقال: مضى القوم، فإنما يعني به أنتم[5].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ (ص٧٦٧) [٤٥١٧]، ومسلم، كتاب الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم (١/ ٥٤٢) [١٢٠١].

(٣) انظر: صحيح مسلم (١/ ٥٤٢، ٥٤٣) [١٢٠١].

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (٢/ ٢١٢)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢٧٧) وغيره.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٩٠) [٤٩٦]، ونسب إلى ابن المنذر كما في الدر المنثور (١/ ٣٦٢).

٣ ـ عن زيد بن وهب[١] قال: مررنا على أبي ذر بالربذة فسألناه عن منزله؟ قال: كنت بالشام، فقرأت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. فقال معاوية: إنما هي في أهل الكتاب، فقلنا: إنها لفينا وفيهم.

وبلفظ: قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلا في أهل الكتاب[٢].

٤ ـ سأل رجل حذيفة عن قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فقيل: ذلك في بني إسرائيل؟ قال: نِعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كانت لهم كل مُرَّة، ولكم كل حُلوة، كلا والله لتسلكن طريقهم قِدى الشِّراك[٣].

٥ ـ عن علي رضي الله عنه أنه أتاه رجل من الخوارج فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعام: ١] أليس كذلك؟

قال: بلى، فانصرف عنه، ثم قال: ارجع؛ أي: فُلْ؟ إنما نزلت في أهل

---

(١) هو: زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، رحل إلى النبي ﷺ فقبض وهو في الطريق، روى عن كبار الصحابة كعمر وعثمان وأبي موسى، وأبي ذر، وأبي الدرداء، قال عنه ابن حجر: ثقة جليل لم يصب من قال في حديثه خلل. اهـ. مات في (٩٦هـ) وقيل غير ذلك.

انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ١١١، ١١٣) [٢١٣١]، تقريب التهذيب (ص٣٥٦) [٢١٧٢].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: ما أدي زكاته فليس بكنز (ص٢٢٦، ٢٢٧) [١٤٠٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤) [١٠٧٩٩]، وكرره في (١٦/ ٩٦) [٣١٢٥٢]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٦٤) [١١١٥٤].

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٨٦) [٧١٤]، والمروزي في كتابه السُّنَّة (ص٨٤) [٦٦]، ووكيع في أخبار القضاة (١/ ٣٧)، والطبري (٨/ ٤٥٨، ٤٥٩)، والخلال في السُّنَّة (٤/ ١٦٢) [١٤٢٥]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٢٠٩) [٦٤٦٣]، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٧٣٧) [١٠١٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٥٥).

الكتاب، وهم الذين عدلوا بربهم؛ يعني: أهل الكتاب[١].

ومثله عن عبد الرحمٰن بن أبزى[٢] عن أبيه أنه أتاه رجل من الخوارج فقرأ عليه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ ثم قال: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قال: بلى، فانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزى! إن هذا أراد تفسير الآية غير ما ترى، إنه رجلٌ من الخوارج، قال: رُدُّوه عليَّ، فلما جاء قال: أتدري في من أُنزلت هذه الآية؟ قال: لا، قال: نزلت في أهل الكتاب فلا تضعها في غير موضعها[٣].

٦ ـ أثر ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨] قال: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧][٤].

٧ ـ عن ابن عباس أن ابن عمر رضي الله عنه لقيه حزيناً فسأله عن هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٢] فقال: ما لكم ولهذه؟ إنما هذه للمشركين: قريش وأهل الكتاب[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٣١٦) [٧١٢٦].

(٢) هو عبد الرحمٰن بن أبزى مولى خزاعة الكوفي، سكن الكوفة، واستعمله عليٌّ على خراسان، أدرك النبي ﷺ وصلّى خلفه، أكثر رواياته عن عمر، وأبي بن كعب، وروى له الجماعة.
انظر: التاريخ الكبير (٥/ ٢٤٥) [٨٠٠]، الاستيعاب (٤٥٤) [١٥٧٤]، تهذيب الكمال (١٦/ ٥٠١) [٣٧٤٨].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤٨)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ.
انظر: الدر المنثور (٦/ ١٢).

(٤) أصله في الصحيحين، وهو بهذا اللفظ في صحيح الإمام مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم (٢/ ١٢٨١) [٢٧٧٨].

(٥) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٥/ ٤)، وجاء نحوه عن الحسن قال: الكافر، ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] قال: من الكفار، وقال: والله ما جازى الله أحداً بالخير والشر إلا عذبه، ولكنه يغفر ذنوب المؤمنين.
انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩).

٨ ـ جاء أن رجلين اختلفا في هذه الآية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] فقال أحدهما: إنما أُريد به أهل الكتاب، وقال الآخر: بل أُمة محمد ﷺ، فانطلق أحدهما إلى ابن مسعود فسأله فقال: ألست تقرأ سورة البقرة؟ فقال: بَلَى، فقال: وأي العلم ليس في سورة البقرة؟ إنما أُريد بها أهل الكتاب(١).

٩ ـ أتت آثارٌ متعددة حول هذا القضية في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] ومنها:

وعن ابن عباس في الآيات الثلاثة: إنما أنزل الله ﷻ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في اليهود خاصة(٢).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] هي في الكفار كلها(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نِعْمَ القوم أنتم، إن كان ما كان من حلوٍ فهو لكم، وما كان من مُرٍّ فهو لأهل الكتاب، كأنه يرى أن ذلك في المسلمين ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤](٤).

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٩/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٤٨٥) [٧٥٠]، وأحمد مطولاً في المسند (٤/ ٨٨) [٢٢١٢]، وأبو داود (ص٥١٤) [٣٥٧٦]، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٦٧، ٣٦٨) [١٠٧٣٢].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود (٢/ ٨١٢، ٨١٣) [١٧٠٠]، وأحمد في المسند (٣٠/ ٤٩٠، ٤٩١) [١٨٥٢٥ و١٨٥٢٩] وغيرهما.

(٤) أخرجه وكيع في أخبار القضاة (١/ ٣٨)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر في الدر المنثور (٥/ ٣٢٧).

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أما والله إن كثيراً من الناس يتأولون الآيات على ما لم ينزلن عليه، وما أُنزلت إلا في حيَّين من اليهود هم قريظة وبنو النضير(١).

وعن النخعي في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] قال: نزلت في بني إسرائيل، ورضي بها لهذا الأُمة(٢).

وهناك آثار عن طوائف من السلف كأبي مجلز، وعكرمة، والحسن، وأبي صالح، وهي في هذا المعنى المتقدم(٣).

وقال الشعبي: آية فينا، وآيتان في أهل الكتاب ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فينا، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ في أهل الكتاب، وهي بلفظ في بعض الروايات: الأولى: في أهل الإسلام، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى(٤).

وقال الحسن البصري: هي عليهم وعلى الناس عامةً(٥).

وفي رواية عنه: نزلت في أهل الكتاب أنهم تركوا أحكام الله ﷻ كلها(٦)، وقيل لأبي جعفر الباقر(٧): إنهم يزعمون أنها في بني إسرائيل؟ فقال:

---

(١) رواه الطبري (٨/ ٤٦١، ٤٦٢)، والطبراني في الكبير عنه عن ابن عباس بنحوه (١٠/ ٣٦٧) [١٠٧٣٢]، وأحمد (٤/ ٨٨ ـ ٩٠) [٢٢١٢]، وهو عن ابن عباس بنحوه، وأبو داود مختصراً (ص٥١٤) [٣٥٧٦].

(٢) أخرجه الثوري في تفسيره (ص١٠٢) [٢٤٧: ١٦: ١١]، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٨٦) [٧١٥]، ووكيع في أخبار القضاة ١/ ٣٩، والطبري (٨/ ٤٦٦، ٤٦٨)، والخلال في السُّنَّة (٤/ ١٥٩) [١٤١٦]، وابن أبي حاتم (٣/ ٢١٥) [٦٥٠٢]،

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٥٧، ٤٦٥)، الدر المنثور (٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧).

(٤) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص١٠٢، ١٠٣) [٢٤٨: ١٧: ١٥]، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٨٦) [٧١٦]، وسعيد بن منصور (٤/ ١٤٨٧) [٧٥١]، ووكيع في أخبار القضاة (١/ ٣٨، ٤/ ٥٢٧)، والطبري (٨/ ٤٦٣).

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٣/ ٢١٠) [٦٤٦٩] بلفظ: فهي عليهم خاصة، قال: عليهم والناس عامة.

(٦) كما ساقه الخلال بسنده في كتاب السُّنَّة (٤/ ١٦١) [١٤٢٣].

(٧) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، السيد الإمام، ولد زين العابدين، سمي الباقر من بَقَر العلم؛ أي: شقه فعرف أصله وخفيه، كان إماماً مجتهداً تالياً لكتاب الله، كبير الشأن، قد جمع بين العلم والعمل والسؤدد والثقة، وهو أحد الأئمة =

نعم الإخوة نحن لبني إسرائيل إن كان حُلو القرآن لنا، ومرُّه لهم، نزلت فيهم ثم جرت فينا(١).

١٠ ـ جاء أن عبد الله بن الزبير ﵁ قرأ آية فوقف عندها أسهرته حتى أصبح، فلما أصبح قال: من حبْر هذه الأمة؟ قال: قلت: ابن عباس، فبعثني إليه فدعوته، فقال له: إني قرأت آيةً كنت لا أقف عندها، وإني وقفت الليل عندها فأسهرتني حتى أصبحت ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] فقال ابن عباس: لا تُسهرك، فإنا لم نُعنَ بها، إنما عُني بها أهل الكتاب(٢).

١١ ـ عن أبي سعيد الخدري ﵁ أنه قيل له في هذه الآية: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: فقال: إيْ والذي لا إلـٰه إلا هو(٣).

١٢ ـ روي أنه جاء رجل إلى قوم في المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال: إن أخاكم كعباً يقرئكم السلام ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فقال له عبد الله: وأنت فاقرئه السلام وأخبره أنها نزلت وهو يهودي(٤).

❁ المسألة الثالثة ❁

التنصيص على بعض أفراد العام

منهج نبوي وانتهجه الصحابة والتابعون.

١ ـ عن علقمة عن ابن مسعود ﵄ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

= الاثني عشر الذين تجلّهم الشيعة الإمامية. توفي ﵀ سنة (١١٤هـ)، وقيل: سنة (١١٧هـ). انظر: التاريخ الكبير (١/ ١٨٣) [٥٦٤]، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٦٥٠، ٦٥١).

(١) أخرجه وكيع بسنده في أخبار القضاة (١/ ٤٠).

(٢) تقدم تخريجه في علم: **مشكل القرآن**.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٤٦) [٢٨٣١٦].

(٤) أخرجه الثوري في تفسيره (ص٨٣) [١٧٢: ٣٦: ٩]، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٩٦)، وابن عساكر بنحوه في تاريخه (٥٠/ ١٧٢).

﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣] قال لي رسول الله ﷺ: **«قيل لي: أنت منهم»**(١).

٢ ـ عن طلحة رضي الله عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من أُحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ فأقبلتُ وعليَّ ثوبان أخضران فقال: **«أيها السائل، هذا منهم»**(٢).

وفي معناه كذلك قوله ﷺ: **«هذا ممن قضى نحبه»**(٣).

٣ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما نزلت ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجمعة: ٣] قالوا: من هؤلاء يا رسول الله؟ فوضع يده على سلمان وقال: **«لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجالٌ من هؤلاء»**(٤).

٤ ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال لي علي بن أبي طالب في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] قال: أنا منهم، وأبو بكر منهم، وعمر منهم، وعثمان منهم، والزبير منهم، وطلحة منهم، وسعد منهم، وعبد الرحمن منهم(٥)، وفي رواية قال: هو عثمان وأصحابه(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١١٤٩) [٢٤٥٩]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٥٣) [١١٠٨٨]، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٤٧٥، ٤٧٦) [٥٠٦٤]، وغيرهم.

(٢) رواه الترمذي بنحوه (ص٧٢٨، ٧٢٧) [٣٢٠٣] وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٩٢٩) [١٤٣٥]، والطبري في تفسيره (١٩/ ٦٧)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١١/ ١٣٦، ١٣٧)، والطبراني (١/ ١١٧) [٢١٧]، والضياء في المختارة (٣/ ١٨، ١٩) [٨١٧].

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٢٠/ ١٢٦، ١٢٧)، والترمذي (ص ٧٢٨، ٧٢٧) [٣٢٠٣]، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١/ ٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (٨٦٩) [٤٨٩٧]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل فارس (٢/ ١١٨٥) [٢٥٤٦].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٩/ ٤٤٩)، وابن مردويه، والثعلبي، كما في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (٣/ ١٣٤)، والعشاري في فضائل الصديق (ص٣٥) [١٣].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧/ ٨٨) [٣٢٧١٥]، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٨٠) [٧٧١] =

٥ ـ قال علي رضي الله عنه كذلك:

... فأخبرهم أن قولي في عثمان أحسن القول، إن عثمان كان من الذين ﴿وَءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

٦ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لابن طلحة بن عبيد الله: إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ٤٧﴾ [الحجر: ٤٧]، فقال رجل من همْدان: الله أعدل من ذلك، فصاح علي عليه صيحة تداعى لها القصر وقال: فمن إذن إن لم نكن نحن أولئك(٢)؟

٧ ـ عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: قالت لي عائشة: يا عروة كان أبواك من ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، أبو بكر والزبير(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: نزلت في الذين آمنوا، وعلي بن أبي طالب أولهم(٤).

٨ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص: ٢٨] قال: الذين آمنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، والمفسدون في الأرض عتبة وشيبة والوليد، وهم الذين تبارزوا يوم بدر(٥).

= وصحَّح إسناده المحقق، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٨١٧) [١٢٥١]، وصحَّح محققه إسناده، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤١٥).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٣٦٤) [٣٨٩١٢] وكرره بسند آخر في (١٧/ ٩١) [٣٢٧٢٣].

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وابن أبي شيبة بنحوه (٢١/ ٣٨٤) [٣٨٩٥٠]، وأحمد في الفضائل (٢/ ٩٣٥) [١٣٠٠]، والطبري (١٤/ ٧٧، ٧٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٤) [٨٤٩٤]، والحاكم (٣/ ٩٧) (٣٣٩٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٨)، وساقه الذهبي مسنداً في سير أعلام النبلاء بنحوه (١/ ٣٨، ٣٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، فضل الزبير رضي الله عنه (ص٢٠) [١٢٤]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٥٩) [١٠١ ـ ١٢٣].

(٤) أخرجه ابن مردويه كما ساقه ابن كثير بسنده في تفسيره (٥/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٥) أخرجه ابن عساكر بسنده في تاريخ دمشق من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (٣٨/ ٢٦١).

٩ - عن أبي جعفر الباقر أنه سئل عن هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥] قلنا: مَن الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا، قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب، قال: عليٌّ من الذين آمنوا(١).

﴿ المسألة الرابعة ﴾

ما ورد عنهم في تخصيص بعض العمومات بذكر بعض الفرق المخالفة وتوجيه ذلك

١ - عن عامر بن واثلة قال: سمعت علياً يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، . . . قال: فمن ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]؟ قال: منهم أهل حروراء(٢).

وفي بعض الروايات عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: لا أظن إلا أن الخوارج منهم(٣).

٢ - ورد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه لما سئل عن آية الكهف ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] أهم الحروية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، ولكن الحرورية ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧](٤).

وعن أبي أُمامة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال: هم الخوارج(٥).

---

(١) رواه الطبري (٨/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٢٢٧) [٦٦٨٢]، وعزاه السيوطي كذلك إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (٥/ ٣٦٣).

(٢) تقدم تخريجه مطولاً.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ (ص٨٢٢) [٤٧٢٨].

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٦٦٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢١٨) [٤٠٠٥]، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٣/ ٧٢٢، ٧٢٣)، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة مرفوعاً (٨/ ٣٢٠، ٣٢١) [٨٠٣٤] و[٨٠٣٥].

٣ ـ كان أبو الجوزاء[١] إذا تلا هذه الآية ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] قال: نزلت هذه الآية في الإباضية[٢].

٤ ـ عن قتادة أنه كان إذا قرأ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم[٣]؟

٥ ـ عن بكر المزني[٤] في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢] قال: ما أُراها نزلت إلا في الحرورية[٥].

٦ ـ عن محمد بن كعب لما تكلم الناس في القدر نظرت فإذا هذه الآية أُنزلت فيهم ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٧ ـ ٤٩][٦].

---

(١) هو: أوس بن عبد الله الرَّبَعي أبو الجوزاء البصري، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة وعائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ روى له الجماعة، وثقه أبوحاتم، وأبو زُرعة وقال ابن حجر: يرسل كثيراً، ثقة من الثالثة، ذكروه في الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة، روى له الجماعة، وقتل في الجماجم سنة (٨٣هـ).
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٩/ ٢٢٢) [٣٩٤٩]، تهذيب الكمال (٣/ ٣٩٢، ٣٩٣) [٥٨٠]، تقريب التهذيب (ص١٥٥) [٥٨٢].

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٧١٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٣٣) [٤١٠٠ و٤١٠٥]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد في الدر المنثور (٣/ ٧٤٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٣) [٣٧٥]، والطبري (٥/ ٢٠٧، ٢٠٨)، وابن منده في كتاب التوحيد (١/ ٢٧٦) [١٢٥]، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨) [٧٨٥].

(٤) هو: بكر بن عبد الله المزني، أبو عبد الله البصري، روى عن أنس بن مالك، وابن عمر، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة، وآخرين، وثقه جماعات من أهل العلم، وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً، مأموناً، حجة، وكان فقيهاً، وقال ابن حجر: ثقةٌ ثبتٌ جليلٌ، من الثالثة، روى له الجماعة، ومات سنة (١٠٨هـ).
انظر: الطبقات الكبرى (٩/ ٢٠٨، ٢١٠) [٣٩١٢]، تهذيب الكمال للمزي (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٩) [٧٤٧]، تقريب التهذيب (ص١٧٥) [٧٥١].

(٥) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد في الدر المنثور (١٣/ ٤٣٥)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٥).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السُّنَّة (٢/ ٤١٩) [٩١٩]، والفريابي في القدر (ص١٧٤) [٢٥٤]، والطبري في تفسيره (٢٢/ ١٦٢).

وفي رواية: ما نزلت هذه الآية إلا تعييراً لأهل القدر ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩][1].

❁ المسألة الخامسة ❁

الخطأ في فهم عموم الآية أو خصوصها يؤول إلى الخطأ في تفسيرها

١ ـ ما ورد عن علي بن أبي طالب، وابن أبزى حين سئلا عن قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١] وتقدم.

٢ ـ ما جاء عن ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨] لما أشكلت على مروان بن الحكم وسأل عنها، وتقدم تخريج الأثر وذكره.

٣ ـ عن نافع بن الأزرق أنه قال لابن عباس: يا أعمى البصر يا أعمى القلب، تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ﴾ [المائدة: ٣٧]؟ فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما قبلها، هذه للكفار[2].

٤ ـ عن قتادة رضي الله عنه قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن رجالاً يقولون: إن علياً مبعوثٌ قبل يوم القيامة، ويتأولون ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨]، قال: لو كنا نعلم أن علياً مبعوثٌ ما تزوجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه، ولكن هذه للناس عامة[3].

---

(١) كما في السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٧) [٩٤١]، والطبري في تفسيره (٢٢/ ١٦٢)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧٢٦) [٣١٨] وحسن محققه إسناد الأثر، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ١١٤) [١٥٣٥]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٢/ ٦٨٤) [١٢٦٠].

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بسنده عن معمر عن قتادة (١/ ٣٠٧) [١٤٨٤]، والطبري في تفسيره (١٤/ ٢٢٠).

وجاء كذلك بمعنى هذا الأثر وأنه قال: أما تقرؤون ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١][(١)].

٥ ـ عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين ـ وأشار بيده إلى أذنيه ـ يقول: «**يخرج الله قوماً من النار فيدخلهم الجنة**». فقال له رجل: إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فقال له جابر: إنكم تجعلون الخاص عاماً، هذه للكفار، اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ هذه للكفار[(٢)].

❁ المسألة السادسة ❁

نصوصهم في تبيان عموم الآية أو خصوصها ودلالات ذلك

١ ـ عن محمد بن سيرين قال: أشرف عليهم عثمان من القصر فقال: ائتوني برجل تالٍ لكتاب الله، فأتوه بصعصعة بن صوحان[(٣)] فتكلم بكلام فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩] فقال عثمان: كذبت، ليس لك ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي[(٤)].

وفي رواية: فينا نزلت هذه الآية ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي إسحاق. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه أبوحنيفة في مسنده بنحوه (ص٢٦٠، ٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥٢٦، ٥٢٧) [٧٤٨٣]، وصحح المحقق إسناده وقال: على شرط مسلم، والآجري في الشريعة بنحوه (٣/ ١٢٠٣، ١٢٠٤) [٧٧٤]. وساقه ابن كثير بسند ابن مردويه بنحوه. انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٦).

(٣) هو: صعصعة بن صوحان بن حُجر بن الحارث العبدي الكوفي، روى عن عثمان، وعلي ـ وشهد معه صفين ـ، وابن عباس، وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، كان خطيباً، شريفاً، أميراً، مطاعاً، من كبار أصحاب علي، توفي بالكوفة في خلافة معاوية. انظر: الثقات لابن حبان (٤/ ٣٨٢)، تهذيب الكمال (١٣/ ١٦٧) [٢٨٧٦]، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٨) [١٣٤].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢١/ ٢٩٨) [٣٨٨١٤].

عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فهي لي ولأصحابي[(١)].

٢ ـ عن علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] إنما أُنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾[(٢)].

٣ ـ عن عائشة ﷺ في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] قالت: هذه للعرب خاصة[(٣)].

٤ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: ما تقولون في ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] لمن هي؟ قلنا: للمسلمين، قال: لا والله، ما هي إلا للأعراب خاصة، فأما المهاجرون فسبعمائة[(٤)].

وعن ابن عباس ﷺ كذلك: إنما هي للأعراب، وضِعْفُه للمهاجرين بسبعمائة ضعف[(٥)].

وعن ابن عمر ﷺ: نزلت هذه الآية في الأعراب ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] والأضعاف للمهاجرين[(٦)].

٥ ـ عن الشعبي قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠] فقال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما ساقه ابن كثير بسنده في تفسيره (١٠/٧٧)، وأخرجه كذلك عبد بن حميد وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٠/٥١٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/٥٧٨، ٥٧٩)، وزاد نسبته السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٠/٥١٣، ٥١٤).

(٣) أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/٤٧٧) [١١٤٧]، وابن أبي حاتم (٢/٢٩١) [٤٥١٢]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٣٢) [١٦١٥] بسنده عن الزهري عن عروة عن عائشة، وساقه القرطبي مسنداً، وقال: وذكر أبو محمد عبد الغني... ثم ساق الخبر بسنده (٤/٢٦٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/٦١) [٨١٩٧].

(٥) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٦/٢٩٧).

(٦) أخرجه الطبري (٧/٤٣)، وابن أبي حاتم (٤/٦١) [٨١٩٦]، وابن المنذر، وابن مردويه، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٦/٢٩٧).

نزلت في أكثم بن صيفي[(١)]، قلت: فأين الليثي[(٢)]؟ قال: هذا قبل الليثي بزمان، وهي خاصةٌ عامةٌ[(٣)].

٦ ـ سئل ابن عباس ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] أخاصٌ أم عامٌ؟ قال: بل عامٌ[(٤)].

٧ ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] قال: هم أهل الكتاب، وهي خاصةٌ عامةٌ[(٥)].

ومثله قال الضحاك: عامة في أهل الكتاب وفي المسلمين[(٦)].

٨ ـ عن ابن عباس ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤] إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور: ٥][(٧)].

---

(١) هو: أكثم بن صيفي بن عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم، من حكماء العرب، اختلف في إسلامه، فعده أبو نعيم ممن أدرك الإسلام، قال الذهبي: أدرك الإسلام، ولم يُسلم، وقد ذكره أبو نُعيم في الصحابة فأخطأ، له ثناءٌ على النبي ﷺ كثناء قيصر.اهـ. انظر: معرفة الصحابة (١/٣٤٢) [٢٢١]، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٧) [٢٣٢].

(٢) اختلف في اسمه كثيراً: فقيل: جُنْدُع بن ضَمرة بن أبي العاص الجُندُعي أو الضَّمري أو الليثي، وردت روايات عن ابن عباس تفيد نزول آية النساء الآنفة فيه، كما ساقها ابن حجر في الإصابة، على اختلاف في اسمه فقيل: ضَمْرة بن جُنْدُب، وقيل: جُنْدُب بن ضَمْرة، والأقوال شديدة الاختلاف

انظر: الاستيعاب (ص٣٥٥)، الإصابة (١/٢٨٧ ـ ٢٨٨) [١٢٣٤].

(٣) أخرجه أبو حاتم السجستاني بسنده في كتابه: المعمرون، كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة. (١/١٢٤، ١٢٥)، وحكى ذلك السيوطي وقال: أخرج أبو حاتم عن ابن عباس من طريقين. انظر: لباب النقول (ص٩٠) [٣١٤].

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/٤٠٩)، وساقه السيوطي بسند ابن أبي حاتم في الإتقان (١/١٩٩)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥/٢٠٩)، وضعف محققو الإتقان سنده لضعف نجدة الحنفي الراوي عن ابن عباس.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه كما في الدر المنثور (٧/٣٣١).

(٦) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٧/٣٣١).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/٢٢٨، ٢٢٩)، والطبراني في الكبير (٢٣/١٥٣، ١٥٤) [٢٣٤]. =

٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة(١)، وبمثله قال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ(٢).

وروي عنه كذلك أنها نازلة في عائشة خاصة(٣).

١٠ ـ في قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا يجوز ذلك لأحد بعد أيوب إلا الأنبياء(٤).

وذكر السيوطي في الإكليل قولاً لسعيد بن جبير أنها لهذه الأمة لمن حلف على مثل ما حلف أيوب(٥).

وعن مجاهد قال: هي لأيوب خاصة، وقال عطاء: هي للناس عامة(٦).

وعن الضحاك قال: . . . وكانت لأيوب خاصة، وهي لنا عامة(٧).

١١ ـ سأل نافع ابن عمر: إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا، ولا ندري من الفئة؟ قال لي: الفئة: رسول الله ﷺ، فقلت: إن الله يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥﴾ [الأنفال: ١٥] قال:

= قال في المجمع: فيه راوٍ لم يسم وبقية رجاله ثقات (٧/ ١٣٣) [١١٢١٣].
قلت: ويعضده رواية أخرى لابن عباس بمضمون هذه الرواية من اختصاصها بأزواج النبي ﷺ عند الطبري (١٧/ ٢٢٩)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٣) [٢٣٢].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما ساقه ابن كثير بسنده في تفسيره (١١/ ١٥٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٥٦٨) [٣٥٢]، وابن عساكر في تاريخه (٦٩/ ١٥٠).

(٢) ساقه الثعلبي بسنده في الكشف والبيان (٨/ ٣٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص٥٦٨) [٣٥٣]، وابن عساكر (٦٩/ ١٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٣٢٢) [١٥١١١]، والحاكم (٥/ ١٣) [٦٧٩١]، وابن مردويه كمافي الدر المنثور (١٠/ ٧٠٧، ٧٠٨).

(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٩/ ١٢٤).

(٥) الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٢٢).

(٦) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، ذكره السيوطي في الدر المنثور ثم أورد أثر عطاء (١٢/ ٦٠٤)، لكن ابن عساكر ساقه في تاريخه بسنده عن مجاهد قال: وهي للناس عامة (١٠/ ٦٨).

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (١٢/ ٦٠٤)، وأخرج الطبري عنه أثراً مضمونه عموم الآية (٢٠/ ١١٢).

إنما أُنزلت هذه لأهل بدر لا قبلها ولا بعدها(١).

وعن عمر أنه قال: لا تغرنكم هذه الآية: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٦] فإنما كانت يوم بدر، وأنا فئة لكل مسلم(٢)، وقال أبو سعيد الخدري ﷺ إنها كانت لأهل بدر خاصة(٣).

وبدعوى خصوص الآية قال الحسن، والضحاك وغيرهما(٤).

١٢ ـ عن مجاهد في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١]: ليست بخاصة لأحد، نزلت في جميل بن عامر زعَم الرقاشي(٥).

١٣ ـ عن الضحاك بن مزاحم قال: «نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النور: ٢٣] ونحوه عن أبي الجوزاء، وسلمة بن نُبيط(٦)» (٧).

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٨٨) عند ترجمة خلاد بن سليمان [٧٦٣]، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٦١) [١١١٣٦]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٢٨٣) [٩٦٤٥].

(٢) أخرجه الثوري في تفسيره (١١٦، ١١٧) [٣٠٢: ٨: ١٥]، وابن المبارك في الجهاد من طرق (١٨٩، ١٩٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢٥٢) [٩٥٢٤]، وسعيد بن منصور في السنن (٥/ ٢٠٣) [٩٨٦]، وابن أبي شيبة مختصراً (١٨/ ٢٣٣) [٣٤٣٧٦]، والطبري (١١/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٨٣) [٩٦٤٦].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (ص٣٨٢) [٢٦٤٨]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٦١) [١١١٣٩، ١١١٤٩]، والطبري بنحوه (١١/ ٧٧، ٧٨).

(٤) أخرجه الثوري في تفسيره (ص١١٦) [٣٠٠: ٦: ٢٥]، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٠/ ٣٤٠، ٣٤١)، والطبري في تفسيره (١١/ ٧٩ ـ ٨١)، وانظر: الدر المنثور (٧/ ٦٦، ٦٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٥/ ٦٤٥).

(٦) هو: سلمة بن نُبيط بن شَريط بن أنس الأشجعي، أبو فراس الكوفي، كان لأبيه صحبةٌ، وثقه الإمام أحمد، وكان وكيع يفتخر به ويقول: حدثنا سلمة بن نُبيط، وكان ثقةً، وممن وثقه ابن معين، والعجلي، والنسائي، قال ابن حجر: ثقةٌ، يقال: اختلط، من الخامسة.
انظر: التاريخ الكبير (٤/ ٧٥) [٢٠٠٠]، تهذيب الكمال (١١/ ٣٢٠) [٢٤٧٠]، تقريب التهذيب (٤٠٢) [٢٥٢٤].

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٧، ٢٢٨)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (١٠/ ٧٠٨)، وروى أثر أبي الجوزاء ابن أبي حاتم (٦/ ٣٢٢) [١٥١١٣]، وكذا أثر سلمة بن نبيط (٦/ ٣٢٢) [١٥١١٢].

ومثله عن سعيد بن جبير قال: إنما أُنزل هذا في شأن عائشة خاصة[(١)].

وكذا رواية للضحاك[(٢)].

١٤ ـ قال الحسن بعد ذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]: فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصةً، إنها لمرسلةٌ إلى يوم القيامة ما نسخها شيء[(٣)].

١٥ ـ عن الزهري في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] قال: نزلت في أبي هند[(٤)] خاصةً، وكان أبو هند حجام النبي ﷺ[(٥)].

❁ المسألة السابعة ❁

بعض ما يستدلون به على عموم الآيات أو خصوصها

١ ـ استشهد ابن عباس بسبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] ليجعلها في أهل الكتاب، وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧][(٦)].

٢ ـ عن نافع بن الأزرق أنه قال لابن عباس: يا أعمى البصر يا أعمى القلب، تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما قبلها، هذه للكفار[(٧)].

٣ ـ استدل ابن عباس رضي الله عنهما على خصوص قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥١، ١٥٢) [٢٢٦، ٢٢٧]، قال في المجمع: وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف (٧/ ٧٩).

(٢) كما عند الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٢) [٢٢٩].

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٥٤٩، ٥٥١).

(٤) قيل اسمه: عبد الله، وقيل: يسار، مولى فروة بن عمرو البَيَاضي، من الأنصار، تخلف عن بدر ثم شهد المشاهد كلها، وكان يحجم النبي ﷺ،انظر: الاستيعاب ٨٦٤ (٣١٨٥)، والإصابة ٤/ ٢٣٩٤ (١٠٦٧٤).

(٥) أخرجه أبو داود في مراسيله في كتاب النكاح (ص١٤٨)، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه (١٣/ ٥٩٢).

(٦) انظر: الأثر بتمامه فيما سبق.

(٧) تقدم تخريجه.

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] فقال: هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور: ٤، ٥][١].

٤ ـ عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتي ـ وأشار بيده إلى أذنيه ـ يقول: «**يخرج الله قوماً من النار فيدخلهم الجنة**». فقال له رجل: إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فقال له جابر: إنكم تجعلون الخاص عاماً، هذه للكفار، اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ هذه للكفار[٢].

٥ ـ سئل سعيد بن جبير عن هؤلاء الآيات في المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] فقلت: زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل ولم تنزل علينا، قال: اقرأ ما قبلها وما بعدها، فقرأت عليه، فقال: لا، بل نزلت علينا، ثم لقيت مِقسماً مولى ابن عباس فسألته عن هؤلاء الآيات التي في المائدة، قلت: زعم قوم أنها نزلت على بني إسرائيل ولم تنزل علينا، قال: إنه قد نزل على بني إسرائيل ونزل علينا، وما نزل علينا وعليهم فهو لنا ولهم[٣].

❁ المسألة الثامنة ❁

ما ورد عنهم في خصوص بعض الآيات بالنبي ﷺ

١ ـ عن عمرو بن دينار رضي الله عنه أن رجلاً قال لعمر: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]؟ فقال: مه، إنما هذه للنبي ﷺ خاصة[٤].

٢ ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨).
(٤) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٤/ ٦٨٩).

خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، جاء عن عمر بن الخطاب أنها لرسول الله ﷺ خاصة(١).

وبنحوه عن ابن عباس(٢)، وعن الزهري قال: هذه لرسول الله ﷺ خاصة، قرىً عربية فَدَك كذا وكذا(٣).

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

قال: هذه للنبي ﷺ خاصة، ومثله عن أبي الجوزاء(٤).

٤ - في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] قال ابن عباس: «نافلة لك»: يعني خاصة للنبي ﷺ أُمر بقيام الليل وكتب عليه(٥).

وعن أبي أُمامة: إنما كانت النافلة خاصة لرسول الله ﷺ(٦).

وقال مجاهد: لم تكن النافلة لأحدٍ إلا للنبي ﷺ خاصة، من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما عمل من عمل مع المكتوب فهو نافلة له سوى المكتوب(٧)، وروي مثلُ أقوالهم عن الضحاك، والحسن، وقتادة(٨).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: المجن ومن يتترس بترس صاحبه (ص٤٨٠) [٢٩٠٤]، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى (٢/ ٨٣٩) [١٧٥٧].

(٢) كما أخرجه ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٣٥٥).

(٣) ذكره النسائي في سننه (ص٥٧٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١١٧، ١١٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧ (١٣٠٣٣) وعن أبي الجوزاء (١٣٠٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٧٠) [١٢٧٨٩]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن مردويه، وابن المنذر، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٨٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٠)، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٩/ ٤١٧).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٥٤٤) [٢٢٢١٠]، والطبري (١٥/ ٤٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٥) [٧٥٦١]، قال في المجمع: رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شهر، وفي الآخر أبو غالب، وقد وُثِّقا، وفيهما ضعف لا يضر (٧/ ١٠٠، ٩٩) [١١١٣١]، وفي الأوسط (٥/ ٢٥٢) [٤٤٩٦].

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٧٢) [٢٢٢٧]، وكذلك ابن المنذر، ومحمد بن نصر كما في الدر المنثور (٩/ ٤١٧).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤١، ٤٢)، ومعنى قوله: (نافلةً لك) قال ابن كثير: معناه أنك =

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، قال ابن عباس: إذا نسيت الاستثناء فاستثن إذا ذكرت، وهي خاصة لرسول الله، وليس لأحدنا أن يستثني إلا في صلة اليمين(١).

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ [المجادلة: ١١]، قال مجاهد: مجلس النبي ﷺ كان يقال ذاك خاصة(٢).

وقال الضحاك: كان هذا للنبي ﷺ ومن حوله خاصة(٣).

٧ ـ في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] ورد عن قتادة أن هذا كان خاصاً بالنبي ﷺ إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر(٤).

٨ ـ في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قال قتادة: ليس لامرأةٍ أن تهب نفسها لرجلٍ بغير أمر ولي ولا مهر، إلا للنبي، كانت خاصةً له من دون الناس(٥) . . .، وبنحوه عن مجاهد(٦)، وعن

= مخصوص بوجوب ذلك وحدك، فجعلوا قيام الليل واجباً في حقه دون الأمة، رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولي العلماء وأحد قولي الشافعي واختاره ابن جرير.
وقيل: إنما جُعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره من أمته إنما تكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه. قاله مجاهد.اهـ.
انظر: تفسير ابن كثير (٩/ ٥٤).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (١١/ ٩٠) [١١١٤٣]، ورواهـ في الأوسط (٢٩٩)، وفي الصغير (٢/ ٤١)، وابن عساكر في تاريخه (٥٢/ ٢٤٥)، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه، وابن أبي حاتم (٩/ ٥١٧).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عن ابن أبي نجيح ومجاهد (٢٢/ ٤٧٦، ٤٧٧)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٤/ ٣٢١).

(٣) ساقه الطبري بسنده في تفسيره (٢٢/ ٤٧٧).

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر (٤/ ٤٣٢)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ٢٩٢)، وفي تفسير الطبري أثرٌ عن قتادة يفهم منه الاختصاص (١٢/ ٧٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٢).

(٦) أخرجه الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٨٤، ٨٥).

طائفة من السلف كـ ابن المسيب، والنخعي، ومكحول، وعطاء، وطاوس، والزهري[(١)].

٩ ـ قال عكرمة في قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦] إنما أُنزل هذا في النبي ﷺ[(٢)].

وعن الضحاك: وهي للنبي ﷺ خاصة، والناس مُوسعٌ عليهم[(٣)].

١٠ ـ قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]: هذا كان للنبي ﷺ خاصة[(٤)].

۞ المسألة التاسعة ۞

آثارهم التي يستدل بها على أن للعموم صيغاً مخصوصةً دالة عليه

١ ـ أثر قدامة بن مظعون لما شرب الخمر فأراد عمر أن يقيم عليه الحد فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم أن تجلدوني؟ فقال عمر: لِمَ؟ قال قدامة: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ [المائدة: ٩٣] فقال عمر: أخطأت التأويل[(٥)].

٢ ـ سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الأختين من ملك اليمين هل يُجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية، وحرَّمتهما آية، فأما أنا فلا أُحب أن أصنع ذلك[(٦)]. يقصد بالآية المحلِّلة: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾

---

(١) انظر: الدر المنثور (١٢/ ٨٧ ـ ٩٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٥/ ٦٨)، وابن أبي شيبة في المصنف بنحوه (١١/ ٥١٢) [٢٣١١٢].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤١٤، ٤١٥)، وعبد بن حميد كمافي الدر المنثور (١٥/ ٦٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٥٢٢) [٢٣١١٤]، والطبري (١٨/ ٥٠٥)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١١/ ٦٠٣).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) [١٧٠٧٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٧٢٩٣].

(٦) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب النكاح (٣/ ٢١٢) [١٢٣٣]، والشافعي في الأم (ص٨٧٠) [١٥٤٧]، وعبد الرزاق في المصنف (٧/ ١٨٩) [١٢٧٢٨]، وابن أبي شيبة في المصنف (٩/ ١٠٤) [١٦٥١٢]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار =

[المؤمنون: ٦ والمعارج: ٣٠]، ويقصد بالآية المحرِّمة: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣].

٣ ـ لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، قال ابن أم مكتوم: إني ضرير البصر، فنزل قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥](١).

٤ ـ ما ورد عن مروان بن الحكم حين قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أُوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبنَّ أجمعون(٢).

❁ المسألة العاشرة ❁

إشارتهم للعام الذي أُريد به الخصوص

١ ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] قال: إبراهيم(٣).

٢ ـ عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] قال: الناس في هذا الموضع النبي ﷺ خاصة(٤).

ومثله عن مجاهد، والسدي(٥).

٣ ـ قال السدي في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى﴾ [آل

= (١٠/ ١٠٤) [١٣٨٤٠]، ووردت آثار عديدة بهذا المعنى عن جماعة من الصحابة والتابعين. انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ١٠٣ ـ ١٠٥)، معرفة السنن والآثار (١٠/ ١٠٣ ـ ١٠٥)، الدر المنثور (٤/ ٣١٠ ـ ٣١٤).

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (ص٤٦٩) [٢٨٣١].

(٢) تقدم تخريج الأثر في علم: **أسباب النزول**.

(٣) عزاه السيوطي لابن عباس عند ابن جرير لكنه في تفسير الطبري عن الضحاك (٣/ ٣٥٠)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (٧/ ١٥٤)، وابن المنذر (٢/ ٧٥٢) [١٨٩٤]، وابن أبي حاتم (٣/ ٥٩) [٥٥٠٧].

(٥) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٥٤).

عمران: ٣٩] هو جبريل، أو قالت الملائكة: وهو جبريل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩](١).

[التأصيل]

١ ـ فَهِمَ الصحابة وتلاميذهم وهم أهل اللسان الفصيح والبيان المليح أن الكلام منه ذو دلالة عامة، ومنه ذو دلالة خاصة.

ولهذا سألوا النبي ﷺ في آيات عديدة عن مسألة العموم والخصوص، لاحتمال عمومه واحتمال خصوصه.

وهذا احتفاء منهم بمعرفة دلالة الآيات ومن يخاطب بها ويقصد بحكمها.

وفي الوقت ذاته إدراك أن من الخطاب ما هو عام وما هو خاص، فابتدروا السؤال عن ذلك.

وقد جاء سؤالهم النبي ﷺ في مواطن غالبها عن آيات نزلت بسبب وعلى أثر حادثة.

وفي آية البقرة أتى حديث كعب بن عجرة في كفَّارة حلق رأس المحرم، وفيه فوائد:

الفائدة الأولى: قوله: (فنزلت فيَّ خاصة، وهي لكم عامة) ما يدل على أنهم يفهمون انقسام الدلالة إلى عامة وخاصة.

الفائدة الثانية: تأكيدهم أن الآية إن نزلت بسبب خاص فإن العبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها.

أما في أحاديث سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقد سألوا النبي ﷺ عن الآية أعامة للناس كافة، أم هي خاصة بمن نزلت فيه وأتت بسببه؟

وهذا يدل على علمهم قطعية دخول صورة السبب في حكم الآية، لكن احتاجوا إلى توثق من النبي ﷺ عن عمومها، أما صورة السبب الخاص فداخلة

---

(١) رواه الطبري (٥/ ٣٦٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٤٠) [٣٥٠٤].

في الآية بلا شك؛ لأن استفسارهم عن الآية أخاصة أم عامة؟ لا يخلو الجواب من أحد وجهين: إما الخصوص، وإما العموم.

فعلى الأول اقتصر فيه على السبب النازلة بشأنه الآية وخص بها الحكم، وعلى الثاني فالعموم يشمل صورة السبب وما يجرى مجراه فالحكم شامل له كذلك.

٢ ـ تلخص بهذا أهمية العلم عند الأوائل من وجهين:

أ ـ سؤالهم النبي ﷺ عن آيات بعينها أهي على العموم أم على الخصوص؟ وفهمهم السابق لاختلاف الدلالة وتنوعها.

ب ـ بيانهم العموم والخصوص في جملة من آيات القرآن، وهي ترجمة فعلية لأهمية العلم القرآني وكشف عن دلالات الآيات.

٣ ـ كانت الآيات التي خاطبت بني إسرائيل وأوردت شيئاً من أحكامهم مثار اهتمام الصحابة والتابعين، وهذه المسألة ذات صلة بالعموم والخصوص، وذلك أن ما فيها من أحكام وتشريعات كانت في ملة بني إسرائيل وحكاها القرآن العزيز تحتمل اختصاصها بمن شرعت لهم، وتحتمل أن الحكم عامٌّ لهم ولأمة الإسلام.

وجاءت توجيهات السلف في مجملها مؤكدة أن الآيات إن خاطبت بني إسرائيل إلا أنها لهم ولنا، فهي عامة للسابقين والتالين.

وانظر إلى أقوالهم من نحو:

ـ قال عمر رضي الله عنه: إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم يا أهل الإسلام تُعنون بهذا الحديث.

ـ قيل لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أهي لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل؟ فقال: إي والله الذي لا إلٰه غيره كما كانت لبني إسرائيل، وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا.

ـ قال حذيفة رضي الله عنه: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل إن كانت لهم كل مُرَّة ولكم كل حُلوة، كلا، والله لتسلكن طريقهم قِدَى[1] الشِّراك.

---

(١) قِدَى: بمعنى قَدْرُ الشِّراك، يقال: هذا قِدَى رمحٍ بكسر القاف؛ يعني: قَدْرُ رمحٍ. انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٥٩، ٢٤٦٠)، مادة: (قدا).

وقال ابن عباس ﵄ بنحو قوله.

- قال أبو ذر لما تجادل مع معاوية ﵄ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] إنها لفينا وفيهم.

- قال النخعي: نزلت في بني إسرائيل ورضي بها لهذه الأمة.

وعلى رغم نصاعة أقوالهم في تعميم الأحكام والتشريعات على بني إسرائيل وأُمة القرآن، إلا أنه جاء ما يُعكر هذا التقرير ويعود به إلى المراجعة والقراءة المتبصرة، فلا يُظن أن الأمر متفقٌ عليه، ونصوصهم الآنفة تأكيد على ذلك وتأييد، إنما جاء ما يخالفه من نحو ما يلي:

- فهم من معاوية ﵁ لما جادل أبا ذر ﵁ أنه يرى تخصيص آية الكنز في براءة بأهل الكتاب، ونفى أبو ذر هذا القول وبيَّن عمومها.

- ما أُثر عن ابن عباس وكعب الأحبار من أن قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨] نازلة في أهل الكتاب حتى قال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية.

- جعل ابن عباس ﵄ قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] خاصة في المشركين وأهل الكتاب.

ذكر علي بن أبي طالب، وابن أبزى ﵄ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١] أن نزولها في أهل الكتاب.

جرى خلافٌ واسعٌ عند السلف في المقصود بقوله تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وهذا المثال من أظهر ما دارت وجوه الاختلاف بينهم في تخصيصها بأهل الكتاب وتعميمها لتشملهم وتشمل الجميع.

قال ابن عباس ﵄ كما في قصة الزبير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ

أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]: لا تُسهرك، فإنا لم نُعن بها، إنما عُني بها أهل الكتاب.

وهناك أمور تجمع بين هذه الآيات:

١ ـ أن كل آية فيها صيغة من صيغ العموم تقتضي القول بتعميمها.

ومع ذلك يُرى أن الصحابي أو التابعي يهمل هذا الداعي ويقول بالخصوص.

٢ ـ تنوع دواعي القول بالتخصيص في الآية وإهمال عمومها من نوع الخطاب ومن جاءت الآية تخاطبه ومن السياق، واعتبار سبب النزول كما في آية آل عمران: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، بل إن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى خصوص قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] بأنها في الكفار، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] فكانت آية سبأ في حق الكفار بصريح اللفظ، فاستدعى ذلك في آية النساء، وورد عنه أنه قال: ذلك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد كرامته فلا، قد ذكر الله قوماً فقال: ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٦][1].

٣ ـ أن كل موطن من مواطن الخصوص هذه فيها خلاف بين أهل التفسير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

فما من آية خُصصت بأحد إلا هناك من أجرى القواعد المستلزمة للعموم وقرر عمومها، وله من ألفاظ العموم التي تشتمل الآية عليها ما يقوي قوله ويعضده.

وهو الأصل بدليل احتواء كل آية على صيغة من صيغ العموم، فمن خص أو قصر الآية على بعض الأفراد احتاج إلى دليل يؤيد ما يذهب إليه.

فالقول بالعموم في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] قولُ الجمهور، وذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ في رواية ـ والحسن وجماعة إلى خصوصها.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٩٦).

وقد شهدت أحاديث نبوية وآثار عن السلف أنها عامة تتناول كل أحد كتلك التي بينت خوف الصحابة من الآية وشدتها حتى بيَّن لهم النبي ﷺ أن المجازاة قد تكون في الدنيا، فما من حَزَن يصيب المؤمن أو لأواءٍ أو نصبٍ حتى الشوكة يشاكها إلا كانت جزاءاً لما اقترف من السوء[1]، ولذا رجح طائفة من المفسرين عموم الآية كالطبري وغيره[2].

ويستفاد من هذه الآية ما يلي:

- أن هناك خلافاً بين السلف في خصوصها وعمومها.
- لعل سياق الآية وحديثها عن أهل الكتاب ما جعل طائفة من السلف يخصونها بهم ويقصرونها عليهم.
- أن القول بالخصوص قابله أحاديث عن النبي ﷺ تخالف هذا القصر على البعض وتجعلها عامة شاملة.

وبهذا يلزم الناظر طلب الأدلة حين تعارض القول بالعموم والخصوص حتى يتقوى بها أحد الرأيين، والآية حوت صيغة من صيغ العموم وهي النكرة (سوءاً) في سياق الشرط وهو ما يستلزم عمومها، ومع أن ذلك لم يَفُتْ المفسر من الصحابة والتابعين ولم يغب عن فهمه إلا أنه قابل ذلك بما يجعله يخص الآية ولا يقول بعمومها، وربما خفيت عليه الأحاديث النبوية ولو علمها لقطع بعموم الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] هذه الآية وجل منها من

---

(١) مثل ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: إني أعلم أشد آية في القرآن، فقال: ما هي يا عائشة؟ قلت: هي هذه الآية يا رسول الله ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فقال ﷺ: «**هي ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة يُنكبها**»، أخرجه أبو داود رواه مطولاً في سننه (ص٤٥٣) [٣٠٩٣]، والطبري في تفسيره (٧/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٥٤) [٦٠٢٩]، والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه (٧/ ١٥٢) [٩٨١٠]، وقد ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص٢٥٤)، وانظر في آثار الصحابة التي تعزز هذا المعنى، وتعضد الحديث: الدر المنثور (٥/ ٣٧ ـ ٤٤).

(٢) جامع البيان (٧/ ٥١٩)، معالم التنزيل (١/ ٤٦٣، ٤٦٤)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٩، ٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩٦، ٣٩٧).

وَجِلَ وأهمهم ظاهرها؛ لأنها تشمل من فرح بما أُوتي وأحب أن يحمد على ذلك، والآية فيها الاسم الموصول (الذين) وهي من صيغ العموم، فكانت دالة على عموم معناها وإن وردت على سبب خاص، وأقوال أهل العلم فيمن نزلت بسببه الآية مختلفة، فمنهم من قال: هي في أهل الكتاب، ومنهم من قال: في اليهود، ومنهم من قال: في المنافقين[(١)].

وكان الأمر في الآية سيمر دون إشكال، مع استحضار أن نزول الآية في سبب خاص لا يوجب قصرها على ذلك السبب بل هي عامة لكل من اتصف بما جاء في الآية من أوصاف، سيما والآية فيها صيغة من صيغ العموم.

لكن منبع الإشكال أن ابن عباس لما سأله مروان عن الآية وكأنه وجِل منها: «لئن كان كل امرئ منا فرح بما أُوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن جميعاً».

ففهم مروان منها العموم، ومع ذلك قال ابن عباس ﵄: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت في أهل الكتاب، ثم ساق السبب، فابن عباس أورد سبب نزولها، ولم يجعلها عامة في صاحب السبب، ومن اتصف بذلك، فكأنه قصرها على سببها.

وكان بالإمكان الجواب بتقييد الفرح في الآية بالمذموم وهو ما لم يفعله ابن عباس.

ولهذا فالآية مشكلة على ما استقر من أن العبرة بالعموم لا بخصوص الأسباب، قال الزركشي: «قال بعضهم: وما أجاب به ابن عباسٍ عن سؤال مروان لا يكفي؛ لأن اللفظ أعم من السبب... قلتُ: لا يخفى على ابن عباسٍ ﵄ أن اللفظ أعم من السبب، لكنه بيَّن أن المراد باللفظ خاص، ونظيره تفسير النبي ﷺ الظلم بالشرك فيما سبق.اهـ[(٢)]، وهذا الجواب نقله السيوطي في الإتقان[(٣)].

وقد ساق الآلوسي لُبَّ ما في قول ابن عباس من إشكال، فقال: «ومن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠٧)، المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) انظر: البرهان (١/ ٥١).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ١٩٨).

هنا يعلم بُعد القول بأن الأولى إجراء الموصول على عمومه شاملاً لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب، ويود أن يمدحه الناس بما هو عارٍ منه من الفضائل منتظماً للمعهودين انتظاماً أولياً، فإنه لو كان الأولى إجراء الموصول على عمومه لأجراه حبر الأمة وترجمان القرآن، وأزال الإشكال بتقييد الفرح بفرح الإعجاب. . .اهـ(١).

المقصود أن عدم إجراء ابن عباس ﷺ الموصول (الذين يفرحون) على عمومه مشكلٌ، فإنه قد أجاب مروان بما ورد من نزولها في أهل الكتاب، بل قال: ما لكم ولهذه الآية؟ وكأنهم لا يُعنون بها.

وقد أعرض جماعة من المفسرين عن هذا، وأجروا الآية عامةً لكل من اتصف بما نطقت به الآية، وهو عملٌ مستندٌ إلى اعتبار عموم الألفاظ لا خصوص الأسباب.

كما نص عليه الرازي، والشوكاني(٢)، ووافق ابن مسعود ابن عباس في تخصيصها بأهل الكتاب، وتقدم الأثر.

ومثل ما جاء عن ابن عباس أثر كعب بن الأحبار، وقول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] بمثل ما قال في آية آل عمران: لا تُسهرك، إنما عُني بها أهل الكتاب.

وهو بهذا يخصها بأهل الكتاب وإلا لما تابع ابن الزبير على خوفه منها وقلقه بها.

وفي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١] جعلها علي بن أبي طالب، وابن أبزى نازلةً في أهل الكتاب، وأنت تلحظ اسم الموصول (الذين كفروا)، فكل من عبد مع الله غيره أو أشرك معه في العبادة فقد عدله بربه وساواه بإلـٰهه الحق، قال ابن عطية: «ومن خصص من المفسرين في ذلك بعضاً دون بعض فلم يُصب»(٣).

---

(١) روح المعاني (٤/ ١٥١).

(٢) التفسير الكبير (٩/ ١٠٨)، فتح القدير (١/ ٤٩٢).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٣١١).

وقال أبو حيان: «و«الذين كفروا» الظاهر فيه العموم، ويندرج فيه عبدة الأصنام وأهل الكتاب، ومن خصص «الذين كفروا» بالمانوية كقتادة، أو بعبدة الأصنام أو بالمجوس، أو بأهل الكتاب كابن أبي أبزى فلا يظهر له دليل على التخصيص»(١).

أما آيات المائدة الآنفة فادعي بها التخصيص كثيراً، وجاءت نصوص تضاد هذا القول وتجري الأحكام فيها على العموم كما هو مقتضى الشرط.

فقد ردَّ طائفة عظيمة من أهل العلم دعوى الخصوص فيها، وهذا طرف من أقوالهم:

قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب؛ لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات فيهم نزلت... - ثم عمم حكمها - فقال: وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً بها هو بالله كافر»(٢).

وقال ابن عطية مجيباً عن دعوى تخصيصه ببعض أفراد العموم: «ولا أعلم لهذا التخصيص وجهاً إلا إذا صح فيه حديث عن النبي ﷺ»(٣).

وقال الرازي دافعاً تخصيصها بمن سبق ذكرهم: «وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ كلام أدخل فيه كلمة (من) في عرض الشرط فيكون للعموم»(٤).

وقال أبو حيان: «ظاهر هذا العموم، فيشمل هذه الأُمة وغيرهم ممن كان قبلهم، وإن كان الظاهر أنه في سياق خطاب اليهود»(٥).

وقال الشنقيطي: «وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب»(٦).

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٧٤).

(٢) جامع البيان (٨/ ٤٦٨).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ١٧٦، ١٧٧).

(٤) التفسير الكبير (١٢/ ٦).

(٥) البحر المحيط (٣/ ٥٠٤).

(٦) أضواء البيان (٢/ ٨١)، أما ابن عاشور فنحى منحى تخصيصها باليهود قال: ولذلك قال جمهور العلماء: المراد بمن لم يحكم هنا خصوص اليهود. قاله البراء بن عازب، ورواه عن =

فهذه مواضع وردت نصوص الصحابة والتابعين مخالفة للمأثور عنهم في أن الآيات النازلة في أهل الكتاب التي تحكي عنهم شيئاً من تشريعاتهم وأحكامهم هي لهم ولأهل الإسلام عامة للفريقين.

٤ ـ ورث الأتباع من الصحابة ومن بعدهم عن النبي ﷺ منهج التنصيص على بعض أفراد العموم وذكر شيء مما تشتمل عليه الآيات العامة من أنواع، فهو منهج نبوي أصيل، ثبت عنه ﷺ في أحاديث متعددة.

لما نزلت ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة: ٩٣] قال لابن مسعود أنت منهم، وقال عن طلحة بن عبيد الله: هذا ممن قضى نحبه، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وتتابع أهل العلم من الأوائل على هذا فأظهروا في كثير من الآيات أفراد العموم وخصوا بعض أنواع العام بالذكر، من نحو قولهم:

قول علي رضي الله عنه: إن عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا.

قول عائشة الصديقة رضي الله عنها: يا عروة كان أبواك من (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) أبو بكر والزبير.

والأمثلة على هذا تطول ويصعب إحصاؤها.

وانظر إلى دقة تعبيرهم عن هذه الأفراد المذكورة من العموم وشموله.

(أنت منهم) (كان عثمان من الذين آمنوا...).

فأتوا بـ (من) ههنا وهي للتبعيض في عبارات محكمة رصينة، وكيف لا

= رسول الله ﷺ، أخرجه مسلم في صحيحه، فعلى هذا تكون (من) موصولة وهي بمعنى لام العهد، والمعنى عليه، ومن ترك الحكم بما أنزل الله تركاً مثل هذا الترك، وهو ترك الحكم المشوب بالطعن في صلاحيته، وقد عُرفتْ اليهود بكثرة مخالفة حكامهم لأحكام كتابهم بناءً على تغييرهم إياها باعتقاد عدم مناسبتها لأحوالهم كما فعلوا في حد الزنى، فيكون القصر ادعائياً، وهو المناسب لسبب نزول الآيات التي كانت هذه ذيلاً لها، فيكون الموصول لتعريف أصحاب الصلة وليس معللاً للخبر. اهـ. (٦/ ٢١١).

يفهم أن هذه أمثلة فقط ويتبادر إلى الذهن الخصوص والآيات الكريمة في كل منها صيغة من صيغ العموم؟

أما لماذا يخصون تلك الأفراد وأولئك الأقوام بالذكر دون غيرهم؟

فهو مما لم تفصح عنه نصوصهم، لكن المتأمل يجد أن زمانهم يستدعي ذكر أولئك الأفراد والحاجة قائمة إلى تبيين فضلهم وذكر سابقتهم، ورد ما قد يلصق بهم عدواناً وظلماً.

وهو ما يمكن أن يفهم من عمل علي ﷺ حين أكثر من ذكر عثمان في روايات مختلفة؛ لأن المقام يقتضي التنويه بشأنه، وبث فضائله، وقسْ على هذا قوله في طلحة بن عبيد الله، وهذا البحث عن أسباب النص على أولئك مما يصح أن يجعل ثماراً وعللاً لذلك في آنٍ معاً.

٥ ـ ما سبق من ذكر بعض أنواع العموم ينسحب على المأثور من التمثيل بالفرق المخالفة كالخوارج والقدرية، حين ورود آيات تصف آراءهم وتنعت أحوالهم.

وحظيت فرقة الخوارج بالقدر المعلى من الذكر فاستأثرت بالغالبية الكبرى من المرويات.

وبرع السلف في اختيار الألفاظ المنبئة عن أن تلك الفرقة الحائدة عن الحق هي أولى ما يدخل في عموم الآية؛ لاشتمالهم على ما تضمنته الآيات من أوصاف لهم، مع عمومها لكل من يتصف بما نطقت به الآي، وتأمل قولهم:

ـ منهم أهل حروراء.

ـ لا أظن إلا أن الخوارج منهم.

فهم فرد من أفراد عموم الآيات، وأولى من يدخلون في شمولها، وكل من تلبس بمثل ما تلبسوا به فالآية تعنيه وتقصده ولا بد.

واستئثار فرقة الخوارج بكثرة التنصيص عليهم وضرب المثل بهم كان له من الأسباب ما يجعل السلف الكرام يخصونهم بالذكر المتكرر؛ لأنهم خرجوا في زمانهم فكان المقام يستلزم التحذير منهم والتنبيه على ضلالهم.

ومثل الخوارج، ـ لكن بصورة أقل ـ ما جاء في التنفير من طائفة

القدرية، والمتضمن بيان ما هم عليه من الزيغ وضلال المذهب.

٦ ـ دقة كلامهم حين يضربون الأمثلة ببعض ما تحتويه الآيات من عموم كقولهم:

أنت منهم، فهم أهل حروراء، نزلت في الذين آمنوا وعليٌّ أولهم، ونحوها كثير.

فهذا يفيد في فهم أنها أمثلة وشواهد، وليست تخصيصاً للعام، ويعود هذا على ما يظن فيه التخصيص عند خلوها من هذه العبارات وشبهها بالتوضيح والبيان بأنهم يضربون أمثلة لتلك العمومات ولا يعنون التخصيص، ولا يقصدون الحصر في تلك المرويات.

٧ ـ الفهم الصائب المستنير لعموم الآية أو خصوصها مانعٌ من الخطأ في تفسيرها، وضمانٌ من الانحراف في تأويلها.

ولهذا لما استدل أقوام برجوع علي رضي الله عنه بعد موته وأنه مبعوثٌ قبل يوم القيامة، ويتأولون قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، دحض ابن عباس هذا القول المغلوط بأن الآية عامة للناس، لا يبعثون قبل يوم القيامة، وعليٌّ واحد من المبعوثين يوم المعاد لا قبله.

وفي رواية أخرى قال: أما يقرؤون ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١﴾ [يس: ٣١] فهذه تشمل علياً رضي الله عنه وتشمل غيره.

ولعل الأثر يفيد أن أهل البدع وأصحاب الانحراف في تأويل القرآن لهم وسائل متعددة بها يحرِّفون معاني التنزيل ويصرفونها إلى ما تحمله صدورهم من الأهواء المردية والآراء الغويَّة.

ومن تلك الوسائل تخصيص الآية بغير مخصص وحصرها على من فتنوا غلواً فيه وحباً، أو غالَوْا طعناً فيه قدحاً وذماً، وقلِّب طرفك في كتب القوم تجد هذا وصفاً لا يكاد يتخلف.

وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما رد على من ظن أنه لا يخرج من النار أحدٌ بعد دخولها لما أغفلوا المقصود بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٣٧] ونظروا فيها نظرةً مجردة من سياقها.

فبيَّن لهم جابر رضي الله عنهما أنها خاصة بالكفار، والآية في سياق الحديث عنهم:

(إن الذين كفروا) إنكم تجعلون الخاص عاماً، فهم غلطوا في التفسير لما جعلوا الخاص من الآي عاماً.

ومثله عن ابن عباس في محاورته نافع بن الأزرق، والشواهد على هذا متعددة.

٨ ـ جاء التصريح عنهم بخصوص آيات وعمومها وهي على أحوال:

أ ـ قالوا في آية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] قالوا: هم أهل الكتاب، وهي خاصة عامة.

وفي قوله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ [النساء: ١٠٠] نزلت قبل الليثي بزمان، وهي خاصة عامة، فنصوا على الخصوص والعموم في آنٍ معاً.

وعليه؛ فالمراد بالآية الخاصة أنها نازلة على سبب خاص كآية النساء، أو في سياق خاص وهو الحديث عن أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] حيث سبقتها آيات في شأن أهل الكتاب.

ثم ينبهون على العموم في الآيات، وأن ورودها على سبب خاص أو حادثة خاصة لا يعني قصرها على ذلك السياق وتلك الواقعة، وإنما العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب ولا بخصوص السياقات.

وقل مثل هذا في قولهم:

وكانت لأيوب خاصة، وهي لنا عامة.

ليست بخاصة لأحد، نزلت في جميل بن عامر الرقاشي، فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء الأقوام خاصة، إنها لمرسلة إلى يوم القيامة.

ب ـ حكموا بالخصوص في شيء من المواطن القرآنية، ولم يُتبعوه بالدليل الموجب للتخصيص، فإن الآيات حين ترد بصيغة من صيغ العموم تبقى على عمومها، ومن يقصرها أو يخصها فعليه بالدليل.

ولذا كانت هذه المواطن محل خلاف بين المفسرين، وكثيراً ما ضعفوا القول بالتخصيص وصاروا إلى العموم حيث لا دليل يصرفه عن ذلك.

ومن شواهد هذا:

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦] قال جماعات من السلف بخصوصها في أهل بدر، كما أثر عن عمر، وأبي سعيد الخدري وابن عمر، والحسن، والضحاك وغيرهم.

وقال ثلة من علماء التفسير بالعموم ولم يأخذوا بما قيل من خصوصها في بدر وأهل بدر، من مثل الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان، والآلوسي(١).

وفي قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، جعلها أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس في الأعراب خاصة، والمهاجرون لهم التضعيف بسبعمائة ضعف.

وهذا الخصوص لم يرتضه أهل العلم، فقال ابن عطية: «وهذا التأويل يحتاج إلى سند يقطع العذر»(٢).

وقال القرطبي: «وهذا يحتاج إلى توقيف»(٣).

وفي هذا دلالة على أن القول بالعموم والخصوص قد يجتهد فيه الصحابي ويقول فيه برأيه، وأن ما كان من هذا فليس مقطوعاً به ولا حكم له بالرفع إلا أن يصرح فيه الصحابي بالأخذ من النبي ﷺ فيلزم قبوله، وما سوى ذلك محل اجتهاد وموضع نظر.

وجرى خلاف في قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤] أهي خاصة بأيوب عليه السلام أم عامة له ولمن جاء بعده؟، ونصوص السلف فيها من يقول بخصوص ذلك لأيوب عليه السلام، وفيها من يقول بعمومها لكل من جاء بعده(٤).

أما حين سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] أخاص أم عام؟ فقال: بل عام.

فقد فهم منه بعض أئمة العلم أنه يعني أن القطع للسُّراق عام في القليل

---

(١) انظر: جامع البيان (١١/ ٨١)، المحرر الوجيز (٤/ ١٥٥)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٨١)، البحر المحيط (٤/ ٤٦٩، ٤٧٠)، روح المعاني (٩/ ١٨٢).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٢). (٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٥١).

(٤) انظر: جامع البيان (٢٠/ ١١٢، ١١٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢١٣).

والكثير وهو قول مرجوح؛ لورود السُّنَّة بأنه لا قطع في أقل من ربع دينار أو ثلاثة دراهم، وهذا الفهم صرح به الطبري[(١)].

وعلَّق ابن كثير بقوله: «وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب إليه هؤلاء، ويحتمل غير ذلك، والله أعلم»[(٢)].

وما لحظه ابن كثير على علمه وإمامته ليس بكثير، فلعل وجه كلام ابن عباس أن هناك حاجة للسؤال في بعض الأحيان عن عموم الآية والتأكيد على ذلك العموم لها، واستشف هذا من سؤال من سأل ابن عباس، وليس ظاهراً أن ابن عباس يقول بقول من أخذ بقطع السُّراق في قليل المال وكثيره، والله أعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣] نطقت رواياتهم بخصوص الآية في عائشة الصديقة ﷺ وفي بعضها بنساء النبي ﷺ وعلى رأسهم عائشة.

ورد هذا عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم وغيرهم.

واستدل ابن عباس على ما ذهب إليه بدليل بارع سيأتي ذكره فيما بعد.

واختار الطبري عموم الحكم لكل من اتصف بالصفة التي ذكر الله وإن نزلت في شأن عائشة[(٣)]، وسار على ما اختار ابن جرير من العموم طائفة كالنحاس وابن كثير[(٤)].

وهذا ما يؤكد ما سبق أن الصحابة والتابعين قد يخصون الآية على من نزلت في شأنه مع أن العبرة بعموم اللفظ هو صريح حديث النبي ﷺ في وقائع عديدة، وهو ما طفحت كتب أهل العلم تقرره وتقيم الدلائل عليه، وهذا بحاجة إلى نظر في موجب أقوال الصحابة والتابعين في الآية ونظائرها ولا يعترض على فهم التخصيص في آثارهم المتقدمة بأن مرادهم نزولها في شأن الصديقة خاصة بسبب ما جرى لها من واقعة الإفك، ولكن حكمها عام في كل

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٠٩، ٤١٠). (٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٩).
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠).
(٤) معاني القرآن (٤/ ٥١٣)، تفسير ابن كثير (١٠/ ٢٠٠).

من جرى له مثل ذلك[١].

لأن من نظر نظر فاحص في آثارهم تيقن أنهم يقصدون الخصوص بالحكم لا أن النزول كان بسبب خاص.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

جاء عن ابن عباس وعكرمة أنها خاصة بنساء النبي ﷺ لا يدخل معهن رجل[٢].

قال ابن كثير معلقاً على قول عكرمة: «فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أُريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك...»[٣].

وأبو حيان نقد ما روي عن ابن عباس بقوله: «فلعله لا يصح عنه، ووصف قول عكرمة بقوله: ليس بجيد، إذ لو كان كما قالوا لكان التركيب (عنكن) (ويطهركن)»[٤].

واختار فريق من المفسرين العموم في الآية، وقضوا بدخول الزوجات في المراد؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن، وكذلك أن سبب النزول ورد فيهن[٥].

وأصاب ابن عاشور المحز حين ألمح إلى مراد عكرمة من قوله: **من شاء باهلته أنها في نساء النبي** ﷺ، فقال ابن عاشور: «وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا الوصف على أهل الكساء، إذ ليس في قوله: **«هؤلاء أهل بيتي»** صيغة قصر وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ [الحجر: ٦٨] ليس معناه: ليس لي ضيف غيرهم، وهو يقتضي أن تكون هذه الآية مبتورة عما

---

(١) قال ابن كثير عن قول ابن عباس بخصوص الآية بعائشة: «... وليس فيه أن الحكم خاص بها، وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها، وإن كان الحكم يعمها كغيرها، ولعله مراد ابن عباس، ومن قال بقوله، والله أعلم». اهـ. تفسير ابن كثير (١٠/ ١٩٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧/ ١١٨)، زاد المسير (٦/ ٣٨١، ٣٨٢)، تفسير ابن كثير (١١/ ١٥١ ـ ١٥٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٨٢، ١٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١١/ ١٥٣).

(٤) البحر المحيط (٧/ ٢٢٤).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٧/ ١١٨)، الكشاف (٣/ ٥٢٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٨٣)، البحر المحيط (٧/ ٢٢٤)، التحرير والتنوير (٢٢/ ١٤ ـ ١٦).

قبلها وما بعدها، ويظهر أن هذا التوهم من زمن عصر التابعين، وأن منشأه من قراءة هذه الآية على الألسن دون اتصالٍ بينها وبين ما قبلها وما بعدها.

ويدل لذلك ما رواه المفسرون عن عكرمة أنه قال: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ». اهـ(١).

فلعل مراد عكرمة نفي ما قد يتوهمه واهم من عدم دخول أزواج النبي ﷺ في الآية وهماً ناتجاً عن قراءة الآية دون نظر فيما قبلها وما بعدها.

ولذلك كان ينادي بأنها في أزواج النبي ﷺ؛ لا على سبيل الخصوص، وإنما تنبيهاً على دخولهم فيها دخولاً أولياً، والله أعلم.

٩ ـ أفصحت آثار قليلة عنهم عن قرائن تعضد ما يخصون به عمومات الكتاب المجيد، وكان من أهمها وتأتي على رأسها:

أ ـ موضوع السياق القرآني، فهو دليل حاضر عند تخصيص شيء من العموم.

واستدل به جابر بن عبد الله لما رد على من نفى خروج أحد من النار بعد دخولها محتجاً بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧].

فقال جابر: إنكم تجعلون الخاص عاماً، هذه للكفار، اقرؤا ما قبلها ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فردهم إلى سياق الآية ليتيقنوا أنها في الكفار، وفعل ابن عباس مع نافع بن الأزرق كما فعل جابر بن عبد الله «ويحك، اقرأ ما قبلها، هذه للكفار».

واستدل سعيد بن جبير على أن الآيات الثلاث في المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] أُنزلت وأُريد بها أهل الإسلام بالسياق حين قال لسائله: اقرأ ما قبلها وما بعدها.

فتبين أن تأمل سياق الآيات وسياقها سبيل إلى إدراك ما يخصص به العموم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/١٦).

ب ـ انتزع حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما دليلاً من القرآن على خصوص قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النور: ٢٣].

حيث تدبر ما شرعه الكتاب من العقوبة في قذف المحصنات المؤمنات، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ ثم أعقب ذلك بفتح باب التوبة لمن ارتكب هذا الجرم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾.

وحين جاء ذكر عائشة رضي الله عنها وأزواج النبي ﷺ ذكر العقوبة المغلظة البليغة لمن تعرض لهن بسوء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النور: ٢٣]، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، فدل ظاهراً على اختصاص هذه الآية بعائشة ومن في حكمها من أزواج النبي ﷺ، وهو استخراج بديع ولفتة بارعة.

ج ـ بدا أن هناك استدلالاً بسبب النزول على تخصيص الآية بمن نزلت في شأنه، وذلك حين رفع ابن عباس إشكال من استشكل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨] بقوله: ما لكم ولهذه الآية، إنما أُنزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا.

واستدل في هذه الآية كذلك بالسياق حين تلا ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فاجتمع الاستدلال بالسبب والسياق، وهذا مشكل على ما ترسخ من أن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

وهذا الأثر بحاجة إلى مزيد نظر وتفكر، والله أعلم.

١٠ ـ تلخص من الآيات التي قضى السلف أنها خاصة برسول الله ﷺ عشر آيات:

الأولى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

الثانية: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠].

الثالثة: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

الرابعة: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

الخامسة: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

السادسة: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [الروم: ٣٩].

السابعة: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

الثامنة: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر: ٦].

التاسعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ﴾ [المجادلة: ١١].

العاشرة: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦﴾ [المدثر: ٦].

ويلاحظ على هذه الآثار ما يلي:

أ ـ أن دعوى الخصوصية في مجمل هؤلاء الآيات ليس محل اتفاق بين المفسرين، بل ذلك أحد ما قيل في تفسير الآيات.

ب ـ أن نسبة هذه الأقوال إلى الصحابة والتابعين نسبة مختلفة، فمن الآيات ما ينفرد بدعوى الخصوصية مفسر واحد من الصحابة أو التابعين.

ومنها ما يقول به جمع منهم ـ من الفريقين ـ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

ومنها ما ينفرد به الصحابي كقول عمر في قوله: ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥].

ومنها ما يتفرد به التابعي كقول قتادة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وهي أيضاً متباينة في قوة القول وضعفه، فمنها ما يقوى تخصيصه برسول الله ﷺ، كما صرح القرآن بالخصوصية في آية الأحزاب ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً

إن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، بل هو مقطوعٌ به بنص القرآن، ومنها ما هو ضعيف لا محل له عند المحققين من أهل التفسير.

ج ـ خلت آثارهم من سوق الأدلة والقرائن الموجبة تخصيص معاني هذه الآيات بالنبي ﷺ، ولا ريب أن تلك الدعوى تتطلب الدليل(١).

١١ ـ ظهر أن الصحابة الكرام يفهمون العموم عبر صيغ معينة تدل عليه، وهي موضوعة له حقيقة من أسماء الشرط، والموصولات، والجموع المعرفة تعريف جنس، ولفظ كل وجميع. . .إلخ، وثبت في وقائع مختلفة ما يؤكد هذا العلم منهم، وبثَّها علماء الأصول القائلون: إن العموم له صيغ معينة دالة عليه، وساقوا هذه الآثار عن الصحابة أدلة على ذلك:

فمن ما أوردوه:

أ ـ قول عثمان ﷺ في الجمع بين الأُختين بملك اليمين: أحلتهما آية، وحرَّمتهما آية.

ووجه الاستشهاد من الأثر: أنه احتج على الجواز بعموم قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦] وهي مشتملة على صيغة من صيغ التعميم.

ب ـ احتج قدامة بن مظعون على شرب الخمر بعموم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ [المائدة: ٩٣].

وفي ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ موصول يفيد العموم، فحملها على العموم وفهم منها إباحة المطعومات، ولم ينكر عليه الصحابة ما ظنه من الآية في هذه الجزئية، إنما بينوا له خطأه في تفسير الآية حين قال عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيتَ اجتنبتَ ما حرم الله عليك، ولم يُخطئه في فهمه العموم من الآية.

ج ـ لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥] فهم ابن أُم مكتوم عمومها، وفيه (ال) و(القاعدون) وهي لام الجنس الشاملة للجميع.

---

(١) انظر: حول هذه الآيات تفسير الطبري (١٥/ ٤٠، ٤١)، الكشف والبيان (١٠/ ٧٠)، المحرر الوجيز (٥/ ١٨٥)، زاد المسير (٨/ ٤٠٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٩٦، ٢٩٧)، تفسير ابن كثير (٩/ ١٢٤، ٩/ ٥٤، ٨/ ٢٩٢).

فنزل قوله: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فخصه وغيره من أهل الأعذار من عموم الآية(١).

د ـ قال الإمام القرطبي حين ساق خبر مروان بن الحكم في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] قال: «وقول مروان: لئن كان كل امرئ منا. . . إلخ دليل على أن للعموم صيغاً مخصوصة، وأن (الذين) منها، وهذا مقطوع به من تفهم ذلك من القرآن والسُّنَّة»(٢).

فلا يُظن أن هذه المسألة أصولية بحتة لا صلة لعلم القرآن بها، فإن من المهم إدراك طرائق السلف للعموم والخصوص وكيف فهموا ذلك من نصوص الوحي.

١٢ ـ وبعد: فإن مسائل العموم والخصوص من الدقة بمكان، ومن المناسب التأكيد على النظر المتمعن في أقوال السلف والتأني حين الحكم على ما يؤثر عنهم، وأخص التنبيه على بعض عباراتهم من نحو: (نزلت في كذا خاصة) فإنه لفظ محتمل، وقد يراد به نزوله على سبب خاص، وحينئذ لا ينافي العموم، وقد يظهر في الأثر تخصيصه بمعينٍ دون غيره، وهذا يحتاج إلى شيء يحف به يقوي هذا الاحتمال.

وأيضاً ترد الآية العامة ويورد الصحابي أو التابعي أنها تعني أحداً بعينه، فلا يتسارع إلى توهم خصوصها به، إنما على ما ظهر من نهجهم من النص على بعض الأفراد للتمثيل لا قصد الحصر.

ومن هذا قول الزهري ـ وتقدم ذكره ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] نزلت في أبي هند خاصة، فلا يتسرع في ظن خصوصها به استناداً إلى لفظة (خاصة)، إنما يعني أنها نازلة على سبب خاص، وهذا لا يتنافى مع عمومها، وسبق إيراد ما أُثر عن ابن عباس حين

---

(١) انظر: الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (٣/ ٣١٧ ـ ٣٢٠)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٣٠ ـ ٣٣)، إرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٥١٨ ـ ٥٢٠)، الجامع لمسائل أصول الفقه، د. عبد الكريم النملة (٢٤١، ٢٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٧).

جعل عدة علوم أمثلة للمتشابه ومنها: العام والخاص، فلعل ذلك لخفاء مواضع العموم والخصوص ودقة تعيين أفرادها من آيات الكتاب، فلأجل هذا جعله مع علوم أُخرى أمثلة المتشابه قسيم المحكم، وجدير بالذكر أني لم أورد في مطاوي هذا العلم إلا ما ارتأيته نصاً صريحاً في العموم والخصوص، أما ما هو محتمل وما هو مظنة دعوى ذلك، فالتفاسير به مشحونةٌ، ولا بد من إدراكٍ فاحصٍ ورأيٍ قويمٍ في ما ينسب إلى الصحابة والتابعين من التخصيص والتعميم، سيما وعباراتهم وجيزة محتملة، وارتجال حكم وعزوه إليهم دون تريث وتأمل دحض مزلة.

[العام والخاص عند أهل علوم القرآن]

١ ـ علم العام والخاص من العلوم المشتركة بين أصول الفقه وعلوم القرآن، وهذا الاشتراك أضفى صيغة أصولية على عرض هذا العلم وبسط مسائله في مصنفات علوم القرآن.

وتمثل هذا في الموضوعات المبحوثة في مؤلفات علوم القرآن، ومن أوضحها:

١ ـ تعريف العام والخاص.

٢ ـ صيغ العموم.

٣ ـ أقسام العام، وشواهد كل قسم.

٤ ـ الفروق بين العام المخصوص والعام المراد به الخصوص.

٥ ـ تنوع المخصص إلى متصل، ومنفصل، وأمثلة كل نوع.

إلى آخر ما هناك من مسائل تفصيلية في العموم والخصوص.

وصار ما دوَّنَه علماء الأصول مفرغاً بنصه أو بروحه في كتب علوم القرآن مستودعاً فيه.

واتكأ أهل علوم القرآن كثيراً على تقريرات علماء الأصول وتعريفاتهم فضلاً عن النقول لما كتبوه[١].

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (٢/ ٢٣٧) فما بعدها، الإتقان (٤/ ١٤١٢ ـ ١٤٢٥)، =

وأنا هنا لا أعيب الاشتراك بين العلمين، ولا أهون من شأن أئمة كل فن، وإنما أُبرز ما خلفه الاشتراك بين الفنون، ومنها العام والخاص بين علوم القرآن وفن الأصول حتى غلب أحدهما على الآخر، وبالإمكان أن تجمع آثار السلف ويُبنى عليها قضايا العموم والخصوص، وتكون منطلقاً لتأصيل أُسس هذا العلم مستنيراً بفهوم الأوائل وتقريراتهم بما يبرز الوجهة القرآنية لعلم من علوم القرآن، وهو لا يمنع من الإفادة من ما برع فيه الأُصوليون وغيرهم.

٢ ـ لم تصرح آثار الصحابة والتابعين بتسمية العلم كما تم هذا في علوم أخرى، سوى أثرٍ عن ابن عباس مثَّل فيه للمتشابه بعلومٍ منها: العام والخاص، لكن جاء استعمال ألفاظ دالة على مسمى العلم من نحوَ: (عامة، خاصة).

وعليه استقرت تسميته بـ (العموم والخصوص) أو (العام والخاص)، ولا يحتمل غير ذلك. والله أعلم.

= الزيادة والإحسان (٥/ ٨٠ ـ ١١٣)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢١٢ ـ ٢٢٠)، دراسات في علوم القرآن الرومي (ص٥٢٦ ـ ٥٥٦)، أصول التفسير وقواعده، خالد العك (ص٣٨٠ ـ ٣٨٨).

الفصل الثالث

علم الناسخ والمنسوخ

وفيه عشر مسائل:

- المسألة الأولى: أدلة هذا العلم من كتاب الله العزيز.
- المسألة الثانية: أهمية علم الناسخ والمنسوخ.
- المسألة الثالثة: الصيغ التي يحكون بها وقائع النسخ والألفاظ المعبرة عن أفراد العلم.
- المسألة الرابعة: أقسام النسخ الواردة عنهم وأدلة كل قسم.
- المسألة الخامسة: إطلاقات النسخ عند الصحابة والتابعين.
- المسألة السادسة: هل للنسخ بمعناه الاصطلاحي الخاص علامات يستدل بها عليه في ثنايا مروياتهم؟
- المسألة السابعة: أول قضايا النسخ.
- المسألة الثامنة: بعض مجالات الإفادة من منسوخ التلاوة.
- المسألة التاسعة: الصحابي الجليل أُبي بن كعب ﷺ أقرأ الصحابة للمنسوخ وأحفظهم له، وما يستفاد من ذلك.
- المسألة العاشرة: ظهور اهتمامهم بمعرفة المتقدم من المتأخر للاستدلال به على وقائع النسخ.

[علم الناسخ والمنسوخ]

المسألة الأولى

أدلة هذا العلم من كتاب الله العزيز

١ - قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نبدل من آية أو نتركها لا نبدلها... يقول: خير لكم في المنفعة وأرفق بكم(١).

وعن أصحاب ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال: نُثْبتْ خطَّها ونُبدِّل حكمها.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نؤخرها عندنا(٢).

وقال ابن عباس كذلك: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ نرفع حكمها، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ نتركها فلا ننسخها(٣).

وعن أبي العالية: يقولون: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ كان الله أنزل أموراً من القرآن ثم رفعها فقال: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٨٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٦١) [٤٨٦]، وزاد السيوطي عزوه إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٠١، ٣٩١)، وابن أبي حاتم (١/ ١٧٨) [١٠٥٤]، وأبو عبيد في الناسخ عن مجاهد (٢/ ٧) [٦]، والنحاس في ناسخه (١/ ٤٢٨) [١١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٦١) [٤٨٧]، وعزاه السيوطي إلى آدم بن أبي إياس، وأبي داود في ناسخه انظر: الدر المنثور (١/ ٥٤٥).

(٣) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦، ٧) [٤]، والنحاس في ناسخه بهذا اللفظ (١/ ٤٣٣).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن الربيع بن أنس (٢/ ٣٩٣)، وكذا عند ابن أبي حاتم عن الربيع =

وعن مجاهد ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ نُبدل حكمها ونثبت خطها(١).

وقال قتادة: كانت الآية تنسخ الآية، وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما شاء الله من السورة، ثم تُرفع فيُنسِها الله نبيَه، فقال الله يقص على نبيه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] يقول: فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي(٢).

وعن الحسن: إن نبيكم ﷺ أُقرئ قرآناً ثم أُنسيه فلم يكن شيئاً، ومن القرآن ما قد نُسخَ وأنتم تقرؤونه(٣)، وقال الضحاك في الآية: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ الناسخ والمنسوخ(٤).

وهناك آثار متكاثرة حول هذه المعاني(٥).

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦] ثم قال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠١] قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩](٦).

وقال مجاهد: رفعناها وأنزلنا غيرها(٧).

وفي رواية له: نسخناها، بدَّلناها: رفعناها وأثبتنا غيرها(٨).

= نحوه (١/ ١٧٩)، وأخرجه أبو داود في ناسخه كماعند السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٤٦).

(١) رواه الزهري في الناسخ والمنسوخ عن مجاهد (ص١٧)، وفي الطبري: نثبت خطها ونبدل حكمها (٢/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩١)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي داود في ناسخه. انظر: الدر المنثور (١/ ٥٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن جويبر عن الضحاك (٢/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم (١/ ١٧٨، ١٧٩) [١٠٥٩].

(٥) انظرها في تفسير الطبري (٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٦)، والدر المنثور (١/ ٥٤٢ ـ ٥٥٤).

(٦) أخرجه أبو داود في ناسخه. انظر: الدر المنثور (١/ ٥٤٦)، وأشار الألباني إلى هذه الرواية وحسَّنها في السلسلة الضعيفة (١١/ ٧٦٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٢، ٣٦٣)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٩/ ١١٤).

(٨) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٣).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ قال: هو كقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾(١).

وقال السدي في الآية: هذا من الناسخ والمنسوخ. قال: إذا نسخنا آيةً وجئنا بغيرها، قالوا: ما بالك قلت كذا وكذا ثم نقضته؟ أنت تفتري، قال الله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾(٢).

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يُبدل الله ما يشاء من القرآن فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يُبدله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول: وجملة ذلك عنده في أُم الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يُبدل وما يُثبت كل ذلك في كتاب(٣).

وعن عكرمة في قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] قال: ينسخ الآية بالآية فترفع، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتاب(٤).

وقال محمد بن كعب في قوله عز وجل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ نزلت في الناسخ والمنسوخ(٥).

قال قتادة في قوله: : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] هي مثل قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾، وقوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جملة الكتاب وأصله(٦).

وعن السدي: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء من المنسوخ، ويثبت من الناسخ(٧).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦٣).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٩/ ١١٥).
(٣) أخرجه أبو عبيد في ناسخه (٦/٢، ٧)، والطبري بسنده من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٣/ ٥٦٦، ٥٧٢)، [٤]، وابن أبي حاتم كما في فتح الباري (١٣/ ٥٣٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٨٢) [٣٠٧]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٨٤ ـ ٨٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، والبيهقي في المدخل (٨/ ٤٧٦).
(٤) أخرجه ابن الجوزي بسنده في نواسخ القرآن (ص٨٦، ٨٧)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٨/ ٤٧٧).
(٥) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٨٧).
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٦٧).
(٧) ساقه ابن الجوزي بسنده في نواسخ القرآن (ص٨٧).

وعن ابن جريج ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ قال: ينسخ، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: الذكر(١).

وفي الآية أقوالٌ أخرى(٢).

٤ ـ قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦، ٧].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يقول: إلا ما شئت أنا فأُنسيك(٣).

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله(٤).

وقد استدل عمر رضي الله عنه على وقوع النسخ بآية ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وعلّل ترك شيء من قراءة أُبيّ بهذه الآية، وسيأتي ذكر الأثر.

❁ المسألة الثانية ❁

أهمية علم الناسخ والمنسوخ

١ ـ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إنما يفتي الناس ثلاثة: رجلٌ إمامٌ، أو والٍ، **ورجل يعلم ناسخ القرآن من المنسوخ**، وفي بعض الألفاظ: أو أميرٌ لا يجد بُداً، ـ أو أحمق متكلف(٥).

٢ ـ عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: انتهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٦٧).

(٢) من مثل قولهم: إن هذا عامٌ في الرزق والأجل، والشقاوة والسعادة، وقيل: يمحو الله مايشاء ويثبت، إلا أشياء: الخَلْق والخُلُق والرزق والسعادة والشقاوة والموت، وقيل: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثوابٌ ولا عقابٌ، ويثبت ما فيه ثوابٌ وعقابٌ. انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨)، المحرر الوجيز (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٤)، زاد المسير (٤/ ٣٣٧، ٣٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣)، روح المعاني (١٣/ ١٦٩ ـ ١٧٣).

(٣) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٥/ ٣٦٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٨) [٣٥٨١]، والطبري (٢٤/ ٣١٥).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢٧٢، ٢٧٣) [١٧٧]، [١٧٨]. وصحح المحقق أحد الإسنادين (١/ ٢٧٣)، وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١٠/ ٤١٥) [٦]، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٣١) [١٠٤٧]، وصححه المحقق، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٢٥، ١١٢٧) [٢٢١٧] [٢٢١٤]، وصحح المحقق سنده، وساقه البغوي بسنده في شرح السُّنَّة (١/ ٣٠٤) [١٤٢]، وابن حازم في الاعتبار في بيان الناسخ من المنسوخ في الآثار (ص٤، ٥)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص١٠٨، ١٠٩).

إلى رجل يقص فقال: أعلمت الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت(١).

وجاء في خبر ثانٍ أن علياً ﷺ دخل المسجد فإذا رجل يخوف الناس فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يذكر الناس، فقال: ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان فاعرفوني، فأرسل إليه: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، قال: فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه(٢).

٣ ـ روي عن عائذ بن عمرو(٣) ﷺ أنه قال لقاص: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: فعلام تقص على الناس وتغرهم عن دينهم، وأنت لا تعرف حلال الله من حرامه(٤)؟.

٤ ـ عن الضحاك قال: مرَّ ابن عباس ﷺ بقاص قال: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق عن معمر فذكره (٣/ ٢٢٠، ٢٢١) [٥٤٠٧]، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤) [١] و[٢]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٣٦٠) [٢٦٧١٦]، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (ص١٠٤٤)، وأخرجه ابن أبي عاصم في الذكر والتذكير (ص٣٦) [١٤]، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٤١٠) [٢]، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٩) [٢٠٩٤١]، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٤٤) [٢٣٩]، وصحح المحقق إسناده، وابن حازم في الاعتبار (ص٤)، ورواه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص١٠٤، ١٠٥، ١٠٦)، وساقه ابن الجوزي بسنده في القصَّاص والمذكرين (ص١٨١) [٢٧]، وانظر: الناسخ والمنسوخ للزهري فقد رواه مسنداً (ص١٥).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٤٠٩، ٤١٠) [١]، و(٤١٦) [٧]، وابن حازم في الاعتبار (ص٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص١٠٦، ١٠٧)، وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال إلى المروزي في العلم، والعسكري في المواعظ (١/ ١٣٢٢) [٢٩٤٤٩]، وانظر: الناسخ والمنسوخ للزهري (ص١٦).

(٣) هو: الصحابي عائذ بن عمرو بن هلال المزني، يكنى أبا هبيرة، كان ممن بايع بيعة الرضوان، سكن البصرة، وابتنى داراً بها، توفي أيام يزيد بن معاوية، روى عنه الحسن، ومعاوية بن قرة، وعامر الأحول وغيرهم.
انظر: الاستيعاب (ص٥٨٣) [١٩٩٤]، أسد الغابة (٣/ ١٤٦) [٢٧٥٤].

(٤) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٨٧).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٣١٦) [١٠٦٠٣]، وابن حازم في الاعتبار (ص٥)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص١٠٩، ١١٠).

٥ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله(١).

٦ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] لما أنزل الله القرآن آمنوا به فكان هُدىً، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدىً(٢).

٧ ـ قال محمد بن سيرين: جهدت أن أعلم الناسخ من المنسوخ فلم أعلمه(٣).

٨ ـ قال محمد بن شهاب الزهري: من لم يعرف الناسخ من المنسوخ خلَّط في الدين(٤).

المسألة الثالثة

الصيغ التي يحكون بها وقائع النسخ والألفاظ المعبرة عن أفراد العلم

أ ـ يذكر الصحابي أو التابعي واقعة النسخ في الآية دون استعمال مفردة (النسخ) ولا ما تصرف منها.

أمثلة ذلك:

ـ حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: . . . فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة

(١) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره**.
(٢) أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس (٢١/ ٢٠٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه كذلك (١٣/ ٣٦٧).
(٣) أخرجه الإمام أحمدفي العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٨٥) [٤٢٩٣]، وصحح المحقق إسناده، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص١١٠).
(٤) ذكره شعلة الحنبلي في كتابه: صفوة الراسخ (ص٣٩).

التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة(١).

وبنحو ألفاظ هذه الرواية جاء عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، والحسن وغيرهم(٢).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي بن أبي طلحة في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨] فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة(٣).

- عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان فرض على المسلمين أن يقاتل الرجل منهم العشرة من المشركين، قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾ [الأنفال: ٦٥] فشق ذلك عليهم، فأنزل الله التخفيف، فجعل على الرجل يقاتل الرجلين، قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] فخفَّف عنهم ذلك، ونُقصوا من النصر بقدر ذلك(٤).

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] هذا رُخصة من الله، والله رحيم بعباده وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وحق تقاته أن يُطاع فلا يُعصى، ثم خفَّف الله تعالى

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (١/ ٣٣٦) [٧٤٦]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٨٥٠) [١١٥٦٣]، وأبو داود في سننه (ص٢٠٠) [١٣٤٢]، (١/ ٢١١) [١٢٩٦].

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٩/ ٥٧٥) [٣٧٠٩٢]، سنن أبي داود (ص١٩٥) [١٣٠٥]، جامع البيان للطبري (٢٣/ ٣٥٩ ـ ٣٦٣، ٣٩٧، ٣٦٢)، المستدرك للحاكم (٣/ ٣٣٦) [٣٩١٨]، وانظر: الدر المنثور (١٥/ ٣٦ ـ ٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٥١٩)، وابن المنذر (٢/ ٦٠٧) [١٤٨٥]، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٧٥) [٥٠٦٣]، ونسبه السيوطي إلى أبي داود في ناسخه (٤٠/ ٢٨٤).

وهذا الأثر مفهوم منه دعوى النسخ كما هو عند الطبري (٦/ ٥١٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ (ص٧٩٨) [٤٦٥٣]، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ وهذا لفظه ـ (١٠/ ٣٠٨) [١٩٧٩٢] وغيرهم.

ذكره عن عباده فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦][(١)].

ب ـ غلب على منسوخ التلاوة استخدام العبارات التالية سواءٌ كان متضمناً حكماً شرعياً أم لا:

١ ـ كان في ما أُنزل من القرآن.

قالت عائشة الصديقة رضي الله عنها: **كان في ما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات**[(٢)].

٢ ـ سقطت أو أُسقطت في ما سقط من القرآن.

ـ عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمٰن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل الله علينا «**جاهدوا كما جاهدتم أول مرة**»؟ قال: بلى، قال: فإنا لا نجدها، قال: **أُسقطت في ما أُسقط من القرآن**[(٣)].

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كان من ما نزل من القرآن ثم سقط: أن لا يحرم من الرضاع إلا عشر رضعات، ثم نزل بعد أو خمس رضعات**[(٤)].

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت: «**فعدة من أيام أُخر متتابعات**» **فسقطت متتابعات**[(٥)].

ـ قال البيهقي: قولها سقطت تريد: نُسخت، لا يصح له تأويل غير ذلك[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/١٩)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٤/ ٥٢١، ٥٢٢)، ورد دعوى النسخ الطبري، والنحاس، ومكي، وابن العربي، وسيأتي ذكر ذلك.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات (١/ ٦٦٣) [١٤٥٢].

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٥٢) [٧١٣]، والحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص٤٠٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٥/ ٢٧٣)، وابن عساكر في تاريخه (٧/ ٢٦٦)، وساقه ابن الجوزي في نواسخ القرآن مسنداً إلى أبي داود (ص١١٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (ص٢٧٨) [١٩٤٢]، والطحاوي في مشكل الآثار (٥/ ٣١٣) [٢٠٦٤].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٢٤١، ٢٤٢) [٧٦٥٧]، والدارقطني في سننه (٣/ ١٧٠) [٢٣١٥، ٢٣١٦]، وصحح الدارقطني إسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٢٦) [٨٣٢٦]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر (٢/ ٢٤٧).

(٦) السنن الكبرى (٤/ ٤٢٦).

٣ ـ **قولهم: كنا نقرأ**، وأمثلة هذا عديدة، ومنها:

ـ عن ابن عباس أن عمر ﷺ جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه... ثم قال:... فكان في ما كنا **نقرأ** من القرآن: **لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم**...[١].

ـ عن زيد بن أرقم ﷺ قال: **كنا نقرأ** على عهد رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى الثالث**...»[٢].

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قد **كنا نقرأ** «**الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة**»[٣].

٣ ـ **قولهم: ثم رفعت أو: ثم إن ذلك رفع، رفع في ما رفع**.

قال أُبي بن كعب ﷺ: وإنا كنا **لنقرأ** فيها: **والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله ورسوله، فرفع في ما رفع**[٤].

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: نزلت سورة شديدة نحو (براءة) في الشدة **ثم رفعت** وحُفظ منها: «**إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم**»[٥].

ـ قال أنس في حادثة بئر معونة: فقرأنا فيهم قرآناً **ثم إن ذلك رُفع**: «**بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**»[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى في الزنا إذا اعترفت (ص١١٧٦ ـ ١١٧٧) [٦٨٣٠].

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٢/ ٣١) [١٩٢٨٠]، والطبراني في الكبير (٥/ ١٨٤) [٥٠٣٢]، وأبو عوانة في مسنده كما في إتحاف المهرة (٤/ ٥٧٣)، قال في مجمع الزوائد بعد عزوه إلى أحمد، والطبراني والبزار: ورجالهم ثقات (١٠/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ١١٠٣) [٧١١٠]، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣٤) [١٧٣٨٧]، وانظر: إتحاف الخيرة للبوصيري (٤/ ٢٥١) [٣٥٠٢].

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الطيالسي في مسنده (١/ ٤٣٧، ٤٣٨) [٥٤٢]، وحسن محققه إسناده، وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة ـ مع عددٍ من الروايات ـ معزواً إلى الطيالسي، ثم قال: ومدار أسانيدهم على عاصم بن أبي النجود وهو ضعيف (٦/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٤٩، ١٥٠) [٧٠٧]، والطحاوي في مشكل الآثار بأكثر من إسناد (٥/ ٢٧٤، ٢٧٥)، وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الصحيح.
وعزاه السيوطي إلى ابن الضريس في فضائله، الدر المنثور (١/ ٥٤٨).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة (ص٦٩٣) [٤٠٩٠].

وأمثلة ذلك كثيرة.

ج ـ كانوا يطلقون على الآيات التي لم تنسخ قولهم: (محكمة، مثبتة).

ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] إنها محكمة، ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة(١).

ـ عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] قال: إنها لمحكمة، وما تزداد إلا شدة(٢).

ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] هي مثبتة للكبير والمرضع والحامل، وعلى الذين يطيقون الصيام(٣).

ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: ٨] محكمة ليست بمنسوخة(٤).

ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ [النساء: ٨] هي محكمة وليست منسوخة(٥).

ـ قال الحسن، وابن سيرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٨]: هي مثبتة، فإذا حضرت وحَضَر هؤلاء القوم أُعطوا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٤) [٥٢٢١]، والطبراني في الكبير (١٠/ ١١٥) [١٠٠٦١]، وصحّح السيوطي إسناده. انظر: الدر المنثور (٤/ ٣٤٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات (٧/ ٣٨)، وروي عن مسروق مثله. انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص٢٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٣٤٨)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر (٤/ ٥٩٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٧٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦/ ١٧٨) [٣١٥٤٧].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ (ص٧٨١) [٤٥٧٦].

منها ورُضخ لهم[(١)].

- قال الحسن، والنخعي: هي محكمة وليست بمنسوخة[(٢)].

ومثله عن الشعبي[(٣)].

- قال الزهري في الآية: إنها محكمة[(٤)].

- قال الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: هي محكمة لم ينسخها شيء[(٥)].

۞ المسألة الرابعة ۞

أقسام النسخ الواردة عنهم وأدلة كل قسم

القسم الأول: منسوخ اللفظ والتلاوة، وهو نوعان:

الأول: أن يتضمن المنسوخ حكماً شرعياً فينسخ اللفظ دون الحكم:

أدلته:

أ - آية الرجم:

١ - عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب فقال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم... ولقد قرأناها: «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة»[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦/ ١٧٦) [٣١٥٣٩]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٢٥٤).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١١٧١) [٥٨٠]، والطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٢، ٤٣٣)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٢٥٤).

(٣) انظر: الطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٢)، ونواسخ القرآن (ص٢٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦/ ١٧٧) [٣١٥٤٠].

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ١٤٠، ١٤١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٨٢) [٣١١١]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٢٣٢).

(٦) أخرجه مالك في الموطأ (٤/ ١٢٩ - ١٣١) [١٦٤٧]، والشافعي في مسنده (٣/ ٢٦٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣١٠) [١٥٧٢]، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٤٣، ٣٤٤) [١٧٣٨٤]، وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٢/ ٣٠١ - ٣٠٣) بلفظ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والخطيب في الفقيه والمتفقة (/ ٢٤٨) [٢٤٣] بلفظ: (الشيخ والشيخة فارجموهما).

وروي بسياق مختلف عن ابن عباس عن عمر بلفظ: كنا نقرأ: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة»(١).

٢ ـ عن زر بن حبيش رضي الله عنه قال: قال لي أُبي بن كعب: يا زر كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثةً وسبعين آية، قال: إنها كانت لتضاهي سورة البقرة أو هي أطول من سورة البقرة، وإنا كنا لنقرأ فيها آية الرجم، وفي لفظ: وفي آخرها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم، فرفع فيما رفع(٢).

---

(١) أخرجه أبو عبيد بهذا اللفظ في فضائل القرآن (٢/ ١٤٧) [٧٠٢]، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٦/ ١٢٣) [٣٣٤٤]، والنسائي في الكبرى دون لفظ: (إذا زنيا) (٢/ ١١٠٣) [٧١٠٨] و[٧١٠٩]، والطبراني في الكبير (٢٥/ ١٨٥) [٤٥٥]، و(٢٤/ ٣٥٠) [٨٦٧]، والحاكم في المستدرك (٥/ ٥١٤) [٨١٣٤] وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الذهبي، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٠٣) [٧٧٧٦]، وقال ابن حجر: وسنده حسن، موافقة الخبر الخبر (٢/ ٣٠٤)، وزاد عزوه من هذا الوجه إلى ابن منده في المعرفة، وانظر: أسد الغابة (٧/ ١٩٢).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد (٣٥/ ١٣٣، ١٣٤) [٢١٢٠٧]، والنسائي في الكبرى (٢/ ١١٠٣) [٧١١٢]، وابن حبان (١٠/ ٢٧٣، ٢٧٤) [٤٤٢٨] [٤٤٢٩] دون لفظ: (إذا زنيا)، والحاكم (٥/ ٥١٣، ٥١٤) [٨١٣٢]، وعند الحاكم كذلك بلفظ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة) (٣/ ١٨٩) [٣٦٠٧]، والطيالسي في مسنده: (والشيخ والشيخة... نكالاً من الله ورسوله) (١/ ٤٣٦، ٤٣٧) [٥٤٢]، وعبد الرزاق في المصنف بلفظ: (إذا زنيا الشيخ والشيخة...) (٥/ ٣٢٩، ٣٣٠) [١٣٣٦٣]، وفي (٣/ ٣٦٥) باللفظ الأول [٥٩٩٠]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١٤٦، ١٤٧) [٧٠١] بلفظ: (إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)، والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٨٧٤) [١٢٣١].

وبلفظ: (الشيخ والشيخة فارجموهما) (٢/ ٨٧٢) [١٢٢٦].

وبلفظ: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) [١٢٢٧ ـ ١٢٣٠].

وبلفظ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) [١٢٢٨]، والضياء في المختارة باللفظ الذي في المتن (٣/ ٣٧١) [١١٦٦] وكذا بلفظ: (الشيخ والشيخة فارجموهما نكالاً من الله) (٣/ ٣٧٠، ٣٧١) [١١٦٤]، وفي [١١٦٥] بلفظ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)، والطبراني في الأوسط: (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالاً من الله والله عزيز حكيم) (٥/ ١٨٠) [٤٣٤٩]، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٤٤) [١٧٣٨٥]، وساقه ابن حجر بسنده دون قوله: (والله عزيز حكيم)، في موافقة الخبر الخبر (٢/ ٣٠٣، ٣٠٤)، وقال: هذا حديث حسن. وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٩٢)، وفيه: وما آية الرجم؟ قال: (إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)، =

٣ ـ أن سعيد بن العاص وزيد بن ثابت كانا يكتبان المصاحف فمروا على هذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة».

فقال عمر: لما أُنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت: اكتبنيها، قال شعبة: فكأنه كره ذلك، فقال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا لم يحصن جُلد، وأن الشاب إذا زنى وقد أُحصن رجم(١).

وجاء بلفظ: كنا نقرأ «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة» فقال مروان لزيد: ألا تجعله في المصحف؟ قال: قال: ألا ترى أن الشابين الثيبين يُرجمان، ذكرنا ذلك وفينا عمر فقال: أنا أشفيكم، قلنا: وكيف ذلك؟ قال: اذهبُ إلى رسول الله ﷺ إن شاء الله فأذكر كذا وكذا، فإذا ذكر آية الرجم فأقول يا رسول الله: اكتبني آية الرجم، قال: فأتاه فذكر ذلك له، فذكر آية الرجم فقال: يا رسول الله اكتبني آية الرجم؟ قال ﷺ: **«لا أستطيع»**(٢).

٤ ـ عن أبي أُمامة عن خالته العجماء(٣) قالت: سمعت رسول الله ﷺ

= وبمثل هذا اللفظ عند أبي نعيم ساق ابن حزم بسنده من طريق عبد الرزاق عن الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن أُبي. .ثم قال: وهذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه، المحلى (١١/ ٢٣٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٥/ ٤٧٣، ٤٧٣) [٢١٥٩٦]، وقال المحققون: رجاله ثقات رجال الشيخين غير كثير بن الصلت فقد روى له النسائي وهو ثقة، والدارمي في مسنده (٣/ ١٤٩٧) [٢٣٦٨]، والنسائي في الكبرى (٢/ ١١٠٢، ١١٠٣) [٧١٠٧]، والطبري في تهذيب الآثار (٨٧) [٣٧] وصححه. وكذلك في (٨٧٥) [١٢٣٣]، والحاكم (٥/ ٥١٥) [٨١٣٥] وصححه، وابن قانع في معجم الصحابة بزيادة الواو في قوله: (والشيخ والشيخة) (١/ ٢٢٨، ٢٢٩)، عند ترجمة: زيد بن ثابت، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٤٤) [١٧٣٨٦] بلفظ زيادة: (نكالاً من الله ورسوله).

ورواه المزي مسنداً في تهذيب الكمال (٢٤/ ١٣٠) في ترجمة كثير بن الصلت، وجوَّد ابن حزم إسناد هذه الرواية عن زيد بن ثابت في المحلى (١١/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ١١٠٣) [٧١١٠] من طريق كثير بن الصلت، ورواه أبو يعلى في مسنده كما ساقه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٠/ ١٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٤٤) [١٧٣٨٧].

(٣) هي: العجماء الأنصارية، خالة أبي أُمامة سهل بن حنيف، روى عنها أبو أمامة في الرجم. انظر: تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٢٨٧) [٣٤٤١]، أسد الغابة (٧/ ١٩٢).

يقول: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة**»(١).

النوع الثاني: أن لا يتضمن اللفظ المنسوخ حكماً شرعياً:

مثال ذلك:

١ ـ عن أُبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**»، فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [البينة: ١]. فقرأ فيها: «**ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيته لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيته لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره**»(٢).

٢ ـ عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: ... وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»(٣).

---

(١) كما عند النحاس في ناسخه (١/ ٤٣٥، ٤٣٦) [١٤]، وعند ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بلفظ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) (ص٣٦٧) [٢٥٥٣]، وابن أبي شيبة عن ابن عباس عن عمر بلفظ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) (١٤/ ٥٢٨) [٢٩٣٧١].

والخطيب في تاريخ بغداد عن ابن عباس عن عمر بلفظ: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) (٣/ ٦٧١)، وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٠/ ٣٢٠، ٣٢١) [٢٠٨٣].

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٥/ ١٢٩، ١٣٠) [٢١٢٠٢] و[٢١٢٠٣] وحسَّن المحققون سنده، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ٤٣٥، ٤٣٦) [٥٤١]، ورواه الترمذي في المناقب، مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأُبي بن كعب (ص٨٦٠) [٣٧٩٣] وكرره في [٣٨٩٨]، والحاكم مختصراً (٣/ ٣٨٧) [٤٠١٥] (٢/ ٥٩٧) [٢٩٤٤]، والضياء في المختارة (٣/ ٣٦٨) [١١٦٢] و[١١٦٣]، قال في مجمع الزوائد: في الترمذي بعضه وفي الصحيح طرف منه، رواه أحمد وابنه، وفيه عاصم بن بهدلة وثقه قوم وضعفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح (٧/ ٢١٣).

وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٨٠)، و(٣/ ٥٤٥، ٥٤٦)، وجوَّد ابن حجر إسناده، فتح الباري (١١/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً (١/ ٤٦٣) [١٠٥٠].

٣ - عن مسروق قال: سألت عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل؟ قالت: كان يقول إذا دخل بيته يتمثل يقول: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، إنما جعل المال لتُقضى به الصلاة وتؤتى به الزكاة»**. قالت: فكنا نرى أنه مما نسخ من القرآن(١).

وروي عن عدد من الصحابة.

قال أنس في سياق تحديثه بهذا النص:

ولا أدري أشيءٌ أنزل أم شيء كان يقوله؟(٢).

وعن ابن عباس ﷺ: فلا أدري من القرآن هو أم لا(٣)؟

وقال أُبي بن كعب: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾(٤).

٤ - عن بريدة بن الحصيب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: **«لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لابتغى إليه ثانياً، ولو أُعطي ثانياً لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»**(٥).

٥ - عن زيد بن أرقم قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لتمنى الثالث، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا**

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٧/ ٤٣٨) [٤٤٦٠] وضعفه المحقق، قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، وفيه مجالد بن سعيد وقد اختلط، ولكن يحيى القطان لا يروي عنه ما حدث به قبل اختلاطه (١٠/ ٣٠٥) [١٧٧٨٩]، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٧١، ٢٧٢) [١٠٢٨٠].

(٢) كما في رواية الإمام مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٣) [١٠٤٨].

(٣) كما أخرجه البخاري في صحيحه (ص١١١٧) [٦٤٣٧]، ومسلم (١/ ٤٦٣) [١٠٤٩].

(٤) أخرجه البخاري (ص١١١٧) [٦٤٤٠].

(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٤٩) [٧٠٦]، وأحمد في المسند (٣٦/ ٢٣٧) [٢١٩٠٦]، والدولابي في الأسماء والكنى (١/ ١٧٦) [٣٤٢]، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٧٩، ٢٨٠) [٣٣٠١] و[٣٣٠٢] [٣٣٠٣]، وفي الأوسط (٣/ ٢٢١) [٢٤٦٧]، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٧١) [١٠٢٧٧].

التراب ويتوب الله على من تاب»[1].

٦ ـ عن أبي واقد الليثي[2] قال: كنا نأتي النبي ﷺ فإذا نزل عليه شيء من القرآن أخبرنا به، فقال لنا ذات يوم: «**قال الله: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادياً من المال لابتغى إليه الثاني، ولو أن له الثاني لابتغى إليه الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[3].

٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى عمر يسأله... فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فقلت: صدق الله ورسوله: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**» فقال لي عمر: ما تقول؟ قال: قلت: هكذا أقرأنيها أُبي بن كعب، قال: فقم بنا إليه، قال: فأتاه فقال: ما يقول هذا؟ فقال أُبي: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ[4].

٨ ـ عن جابر بن عبد الله: كنا نقرأ: «**لو أن لابن آدم ملء وادٍ لأحب إليه مثله، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[5].

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٥٠) [٧٠٨] وفيه بدل «لتمنى»: «لابتغى»، والطبراني في الكبير (٥/ ١٨٤) [٥٠٣٢].
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٠٥):رواه أحمد، والطبراني، والبزار بنحوه، ورجالهم ثقات، وصحَّحه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٩٦٦).

(٢) هو: أبو واقد الليثي، اختلف في اسمه فقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف بن الحارث، وقيل غير ذلك، كان قديم الإسلام، وقيل: إنه شهد بدراً، وقيل: بل أسلم عام الفتح أو قبل الفتح، جاور بمكة ودفن بها. انظر: الاستيعاب (ص٨٦٥) [٣١٩٠]، الإصابة (٤/ ٢٣٩٩) [١٠٦٩٢].

(٣) رواه البزار في مسنده (١٠/ ٣١٢) [٤٤٣٣]، والطحاوي في مشكل الآثار (٥/ ٢٧٦) [٢٠٣٦]، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٩٩): رواه البزار بإسناد جيد، قال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير صبيح وهو ثقة (١٠/ ٣٠٦)، وعلقه البخاري في التاريخ الكبير عند ترجمة صبيح أبي العلاء (٤/ ٣٢٥)، وجوَّد الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٦/ ٩٦٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٣٨ ـ ٤١) [٢١١١٠] و[٢١١١١]، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٣٠) [٣٢٣٧]، والضياء في المختارة (٣/ ٤١١، ٤١٢) [١٢٠٩]، وفي المعجم الأوسط للطبراني نحوه (٤/ ٤٧٠) [٣٧٩٦]، وصحَّحه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٩٦٦).

(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٥٠) [٧٠٩] بزيادة: ملء وادٍ مالاً.

القسم الثاني: منسوخ الحكم الشرعي، وهو نوعان كذلك:

النوع الأول: نسخ الحكم الشرعي واللفظ جميعاً، وأمثلته:

١ ـ قالت عائشة رضي الله عنها: كان في ما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرمن ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن(١).

النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وأمثلته:

١ ـ عن علي رضي الله عنه قال: إن في كتاب الله عز وجل لآية ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [المجادلة: ١٢] قال: فُرضت ثم نُسخت(٢).

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥] شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحدٌ من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفال: ٦٦] قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خُفِّف عنهم(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات (١/ ٦٦٣) [١٤٥٢].

وهذا المثال اجتمع فيه نسخ الحكم والتلاوة وهي نسخ العشر الرضعات، ونسخ التلاوة دون الحكم، وهي الخمس المعلومات المحرمات.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٦) [٣١٧٨] من طرق، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧/ ١٣٢، ١٣٤) [٣٢٧٨٨] و[٣٢٧٨٩]، والترمذي (ص٧٥٠) [٣٣٠٠]، والبزار في مسنده (٢/ ٢٥٨) [٦٦٨]، والطبري (٢٢/ ٤٨٢، ٤٨٣)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٩٠، ٣٩١) [٦٩٤١] [٦٩٤٢]، وبمعناه عند أبي يعلى (١/ ٣٢٢، ٣٢٣) [٤٠٠]، والنحاس في ناسخه بنحوه (٣/ ٥٤) [٨٦٤]، والحاكم (٣/ ٢٩٥) [٣٨٤٦].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ (ص٧٩٨) [٤٦٥٣].

❁ المسألة الخامسة ❁

إطلاقات النسخ عند الصحابة والتابعين

أ - تخصيص العام:

أمثلة ذلك:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤] فنسخ من ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩][(١)].

وقال قتادة: في قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: جعل عدة المطلقات ثلاث حيض، ثم نسخ منها المطلقة التي طلقت قبل أن يدخل بها واللائي يئسن من المحيض، واللائي لم يحضن، والحامل[(٢)].

قال مكي: والأحسن أن تكون آية الأحزاب والطلاق مُخصِّصتين لآية البقرة مُبينتين لها، فلا يكون في الآية نسخ[(٣)].

وقال ابن الجوزي: واعلم أن القول الصحيح المعتمد عليه أن هذه الآية محكمة؛ لأن أولها عام في المطلقات، وما ورد في الحامل والآيسة والصغيرة فهو مخصوص من جملة العموم، وليس على سبيل النسخ[(٤)].

٢ - عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨]، و﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] فنسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥][(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (ص٣٣١)، [٢٢٨٢]، وبنحوه في [٢١٩٥]، والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٨٧٣) [٥٦٧٤]، وحسنه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٠ و٣٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٨٨)، والنحاس في ناسخه (٢/ ٢٨) [٢١٣]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٢٠٦).

(٣) الإيضاح (١٧٦).

(٤) نواسخ القرآن (ص٢٠٧).

(٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الضحايا، باب: ذبائح أهل الكتاب (ص٤١٠) [٢٨١٧]، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٦٦) [١٩٦٨٧]، وعزاه السيوطي لابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٦/ ١٨٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٩٠).

ومثله عن عكرمة، والحسن: فنسخ واستثنى...[(١)].

ومثله عن مكحول[(٢)].

قال ابن كثير: ومن أطلق من السلف النسخ ههنا فإنما أراد التخصيص، والله ﷻ أعلم[(٣)].

وقال شعلة الحنبلي: وليس بنسخ حقيقة، وإنما هو استثناء وتخصيص[(٤)].

٣ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال: فنسخ من ذلك واستثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: ٢٢٧][(٥)].

ومثله عن عكرمة، وطاوس[(٦)].

قال مكي: «وهذا ليس بنسخ، إنما هو استثناء من أعيان قد عمَّهم الخطاب الأول، فخرجوا من حكمهم بالاستثناء؛ لأنه بحرف الاستثناء»[(٧)].

وقال ابن الجوزي مُوَهِّماً الرواة نقلة الأثر:

«وقد بينا أن الاستثناء ليس بنسخ ولا يعول على هذا، وإنما هذه الألفاظ من تغيير الرواة»[(٨)].

ب ـ بيان المجمل وإيضاحه:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال ابن مسعود: نسختها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦][(٩)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٥٣١، ٥٣٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ١٥٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٠) [٧٨٦٤].

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ١٥٥). (٤) صفوة الراسخ (ص٨٩).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٣٠٣) [٨٧١]، وصحَّحه الألباني، والنحاس بنحوه عن ابن عباس (٢/ ٥٧٢) [٧٣٨]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٤١٧)، وعزاه السيوطي إلى أبي داود في ناسخه (١١/ ٣٢٢).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٧٩).

(٧) الإيضاح (ص٣٧٣). (٨) نواسخ القرآن (ص٤١٧).

(٩) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/ ٧٦ ـ ٧٠٧).

وعن قتادة: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ نسختها الآية التي في التغابن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، وعليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطاعوا[١].

وكذا ورد عن الربيع بن أنس[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، وقال ابن عباس في رواية: لم تنسخ، ولكن حق تقاته: أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم[٤].

قال ابن الجوزي ناقلاً عن أحد شيوخه: «والمعتقد إحكامها يرى أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أداءُ ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ لا ناسخاً ولا مخصصاً»[٥].

قال شعلة الحنبلي نافياً النسخ عن الآية: «... ولكن لما أجمل القول هنا فسَّره هناك، فبين أن المراد بهذا الأمر فعل ما يُقدر من الطاعات دون ما لا يستطاع؛ لأن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»[٦].

٢ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] قال ابن عباس: نسختها هذه الآية التي في الفتح، فخرج إلى الناس فبشرهم بالذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فقال رجل من المؤمنين: هنيئاً لك يا نبي الله، قد علمنا ما يُفعل بك فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله في الأحزاب: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٧] وقال: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١/ ١٣٣) [٤٣٩]، والطبري (٥/ ٦٤٢)، وابن المنذر (١/ ٣١٧) [٧٦٧]، والنحاس في ناسخه (٢/ ١٢٩) (٣٠٠)، وابن الجوزي في نواسخه (ص٢٤٢)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي داود في ناسخه، الدر المنثور (٣/ ٧٠٧).

(٢) كما رواه الطبري (٥/ ٦٤٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٢١١، ٢١٢) [٣٩٦١]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٢٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٦٤٠)، وابن المنذر (١/ ٣٠١٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢١١) [٣٩٦٠]، من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، والنحاس في ناسخه (٢/ ١٣٠) (٣٠٢).

(٥) زاد المسير (١/ ٤٣٢).

(٦) صفوة الراسخ (ص٧١).

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الفتح: ٥] فبين الله ما يُفعل به وبهم(١).

وعند الطبري هذا الأثر بنصه عن عكرمة، والحسن البصري وآخره: فبيَّن الله ما يفعل به وبهم(٢).

قال القرطبي: وقيل: «أمر النبي ﷺ أن يقول للمؤمنين ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم يوم القيامة، ثم بيَّن الله تعالى ذلك في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وبيَّن فيما بعد ذلك حال المؤمنين، ثم بيَّن حال الكافرين، وهذا معنى القول الأول إلا أنه أطلق فيه النسخ بمعنى البيان»(٣).

ج ـ تقييد المطلق:

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠] منسوخ في سورة سبحان ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨](٤).

قال الشاطبي: «وعلى هذا التحقيق يقيد المطلق، إذ كان قوله: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ مطلقاً، ومعناه مقيد بالمشيئة وهو قوله في الآية الأخرى: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾»(٥).

وقال القرطبي عن أثر ابن عباس وإطلاق النسخ في الآية: «والصحيح ما ذكرناه، وأنه من باب الإطلاق والتقييد»(٦).

٢ ـ ورد عن السدي أن قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] منسوخ، وقال: وهذا تخييرٌ نُسخ بقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ

---

(١) أخرجه أبو داود في ناسخه كما في الدر المنثور (١٣/ ٣١٣، ٣١٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٤٦٤، ٤٦٥)، وبنحوه مختصراً عن النحاس من طريق الضحاك عن ابن عباس (٢/ ٦٢٧) [٧٩٨].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٢١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٨٧)، وقريبٌ منه قول ابن العربي في كتابه: الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٦٧، ٣٦٨).

(٤) ساقه النحاس من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس (٢/ ٦١٦) [٧٨١]، وأورده مكي بن أبي طالب في الإيضاح (ص٤٠٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٤٥٠).

(٥) الموافقات (٣/ ٣٤٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٤، ١٥).

ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] [التكوير: ٢٩](١).

د ـ النسخ بمعنى: ترك العمل بالنص المؤقت إلى أمد أو المغيّا بغاية:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة: نسخ ذلك قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥](٢).

وهو مروي كذلك عن قتادة(٣).

وكذلك روي عن السدي، وأبي العالية(٤).

قال ابن الجوزي: «واعلم أن تحقيق الكلام دون التحريف فيه أن يقال: إن هذه الآية ليست بمنسوخة؛ لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً وإنما أمر به إلى غاية، وبيَّن الغاية بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ وما كان هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر»(٥).

وقال شعلة الحنبلي: «وجمهور المفسرين على إحكامها؛ لأنها لم تأمر بالعفو مطلقاً، بل مقيداً إلى غاية، ومثل هذا لا يقال له منسوخ إنما هو انتهاء غاية»(٦).

٢ ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ وقوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١] وقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩] فنسختها هذه الآية ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] والسبيل الذي جعل الله لهن: الجلد والرجم(٧).

---

(١) أورده ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص٣٩٥).
(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٨٣) [١٠٨٦].
(٣) كما أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٤، ٤٢٥)، وابن الجوزي في نواسخه (١٣٦، ١٣٧).
(٤) أخرج الطبري في تفسيره أثر السدي (٢/ ٤٢٥)، والنحاس في ناسخه (١/ ٥١٤) [٧٢]، وأخرج الطبري أثر أبي العالية بنحوه لكن جعله عن الربيع بن أنس (٢/ ٤٧٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٨٣) [١٠٨٧]، وابن الجوزي في نواسخه (ص١٣٧) كلاهما عن أبي العالية.
(٥) نواسخ القرآن (ص١٣٧). (٦) صفوة الراسخ (ص٤٤).
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦٩) [٥٠٢٢]، ونسبه السيوطي إلى أبي داود في ناسخه. انظر: الدر المنثور (٤/ ٢٧٣).

قال مكي: «وقد قيل: إنه ليس في هذا نسخ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ فعلق الفرض بوقت، فقد جعل **السبيل** بالحدود فليس بنسخ، وإنما كان حكماً منتظراً فقد أتى الله به»[١].

وقال الخطابي بعد أن ذكر ما قيل من النسخ في الآية: «وقال آخرون: بل هو مبين للحكم الموعود بيانه في الآية، فكأنه قال: عقوبتهن الحبس إلى أن يجعل الله لهن سبيلاً، فوقع الأمر بحبسهن إلى غاية، فلما انتهت مدة الحبس وحان وقت مجيء السبيل قال رسول الله ﷺ: **«خذوا عني تفسير السبيل وبيانه»**، ولم يكن ذلك ابتداء حكم منه، وإنما هو بيان أمر كان ذكر السبيل منطوياً عليه فأبان المبهم منه وفصَّل المجمل من لفظه». اهـ[٢].

وبرع القرطبي في توجيه إطلاق النسخ ههنا فقال: «... وكلاهما محدود إلى غاية وهي قوله ﷺ في حديث عبادة: **«خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً»**[٣]، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فإذا جاء الليل ارتفع حكم الصيام لانتهاء غايته لا لنسخه، وإطلاق المتقدمين النسخ على مثل هذا تجوّزٌ، والله أعلم»[٤].

٣ - قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء: ١٥] قال قتادة: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ قال: نسختها الحدود[٥].

وقال الضحاك: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

قال: الحد، نَسَخَ الحدُّ هذه الآية[٦].

وعن السدي:.. وذلك قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ

---

(١) الإيضاح (ص٢١٤). (٢) معالم السنن (٣/ ٣١٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب: حد الزنى (٢/ ٨٠٦) (١٦٩٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٥).

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه (٢/ ١٦٢) [٣٣٣]، وابن الجوزي في نواسخه (ص٢٦٤)، وبنحوه عند الطبري (٦/ ٤٩٤)، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٤/ ٢٧٤).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٩٥).

شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩] الزنى، حتى جاءت الحدود فنسختها، فجُلدت ورُجمت وكان مهرها ميراثاً، فكان السبيل هو الحد[١].

هـ ـ النسخ بمعنى: إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية:

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]: وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثاً، فنسخ ذلك فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩][٢].

وذكر نحوه الثوري عن بعض الفقهاء وقالوا: نسخت هذه كل طلاق في القرآن[٣].

قال مكي: «وقال جماعة من أهل المعاني: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه في الجاهلية وفي أول الإسلام، وقد كان يجب ألا تذكر هذه الآية في الناسخ والمنسوخ ـ على هذا القول ـ لأنها لم تنسخ قرآناً»[٤].

وقال ابن الجوزي: «وهذا يجوز في الكلام يريدون به تغيير تلك الحال، وإلا فالتحقيق أن هذا لا يقال فيه ناسخ ولا منسوخ، وإنما هو ابتداء شرع وإبطال لحكم العادة...»[٥].

ولعل من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم، ونسخت الزكاة كل صدقة، ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث، ونسخ الضحية كل ذبح[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (ص٣١٧) [٢١٩٥]، والنسائي (ص٥٠١، ٥٠٢) [٣٥٨٤]، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٥٣٤) [١٥٣٥١]، وابن الجوزي في نواسخه (ص٢٠٧، ٢٠٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٣٣٨) [١١٠٩٢].

(٤) الإيضاح (ص١٧٧).

(٥) نواسخ القرآن (ص٢٠٨).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٥٠٥) [١٤٠٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى مرفوعاً عن علي (٩/ ٤٣٢، ٤٣٣) [١٩٥٤٩] [١٩٥٥٠].

٢ ـ عن إبراهيم النخعي: كان المشركون لا يأكلون من ذبائح نسائهم فنزلت: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] فرُخِّص للمسلمين فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل(١).

٣ ـ مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

عن قتادة: فنسخ هذا ما كان قبله، فجعل الله ـ جل وعز ـ حد الطلاق ثلاثاً، وجعل له الرجعة ما لم يطلق ثلاثاً(٢).

وبمعناه عن عروة بن الزبير(٣).

و ـ النسخ بمعناه عند المتأخرين:

رفع النص القرآني أو معناه أو كلاهما بنص آخر.

وهذا أمثلته ظاهرة.

وهناك معنى ذكره ابن تيمية وابن القيم من معاني النسخ عند السلف ألا وهو: **نسخ ما يقع في النفوس من فهم معنى، وإن كانت الآية لم تدل عليه لكنه محتمل**، هذا لفظ ابن تيمية(٤).

وقال ابن القيم: **النسخ من أفهام المخاطبين ما فهموه مما لم يُرِدْه ولا دل اللفظ عليه وإن أوهمه**(٥).

وجعلا من هذا الباب إطلاق الصحابة النسخ على قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] وأنه منسوخ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) أخرجه سفيان الثوري بسنده كما ساقه ابن كثير (١٠/٤٧)، وعند الطبري مختصراً (١٦/٥٢٤)، ونسبه السيوطي إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، الدر المنثور (١٠/٤٧٥).

(٢) أخرجه النحاس بسنده في ناسخه (٢/٤٨) [٢٣٧]، وابن الجوزي في نواسخه (ص٢٠٨)، وبنحوه عند الطبري (٤/١٢٦).

(٣) انظر تخريجه في الدر المنثور (٢/٦٦٠، ٦٦١).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/١٠١).

(٥) شفاء العليل (ص٣٧٥).

ز ـ أطلقوا على ما كان على سبيل التدرج في التشريع نسخاً:

أمثلة ذلك:

١ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ نسختها: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠][١].

ومثله ما روي عن نسخ قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] بآية تحريم الخمر في المائدة[٢].

عن مجاهد قال في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] نُهوا أن يُصلوا وهم سكارى ثم نسخها تحريم الخمر[٣].

وقال قتادة: وكانوا يجتنبون السُّكر عند حضور الصلوات، ثم نسخ في تحريم الخمر[٤].

ومثال آخر:

٢ ـ قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فكان كذلك حتى نسخ هاتين الآيتين جميعاً في براءة بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] و﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦][٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (ص٥٢٧) [٣٦٧٢]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٤٣) [١١٠٤٠]، والنحاس في ناسخه (٢/ ٢٠٧) [٣٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٤٦٢) [١٧٨١٨]، وابن الجوزي في نواسخه (ص٢٧٩، ٢٨٠)، لكن في سنن النسائي الكبرى الآية الناسخة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وحسَّن الألباني إسناد الأثر. انظر: صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤١٦) [٣٦٧٢].

(٢) انظر: عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٨) (١٤٩٥)، والناسخ لأبي عبيد (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)، والطبري في تفسيره (١٤/ ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١)، والنسخ مروي عن ابن عباس، وقتادة، والشعبي، والنخعي، وجماعة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٧)، والنحاس في ناسخه (٢/ ٢٠٨، ٢٠٩) [٣٧٤]، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٩) [٥٩١]، والطبري في تفسيره (٧/ ٤٧).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٩٠) [١٩٨]، وابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٠٠) [٣٧٨٠٧]، =

وقال طائفة من السلف بنسخ قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] بآية براءة: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وبقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩][١].

وذكر ذلك ابن الجوزي عن علي، وسعيد بن المسيب وغيرهم[٢].

۞ المسألة السادسة ۞

هل للنسخ بمعناه الاصطلاحي الخاص علامات يستدل بها عليه في ثنايا مروياتهم؟

هناك بعض من العلامات يمكن أن تفصح عن النسخ بمعناه الاصطلاحي الخاص.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ عن علي رضي الله عنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى[٣].

٢ ـ في آية المزمل الموجبة قيام الليل آثار كثيرة في هذا المعنى ومن ذلك:

قول عائشة: . . . وحبست خاتمتها اثني عشر شهراً، ثم نزلت الرخصة فكان قيام الليل تطوعاً بعد فريضة[٤].

٣ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]: كان في الصوم الأول فدية طعام مسكين، فمن شاء من مسافر أو مقيم أن يطعم مسكيناً ويفطر كان ذلك رخصة له، ثم نسخ ذلك[٥].

= والطبري (٣/٢٩٨)، والنحاس في ناسخه (١/٥٣٦، ٥٣٧) [٩٥]، وابن الجوزي في نواسخه (ص١٨٠، ١٨١).

(١) ذكر هذا مكي في الإيضاح عن ابن عباس، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، والأوزاعي، (ص١٦٠).

(٢) نواسخ القرآن (ص١٩٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريج الأثر.

(٥) أخرجه أبو داود بنحوه (٣٣٧) [٢٣١٦]، وابن الجوزي في نواسخ القرآن قال: وروى عطية =

٤ ـ قال ابن عباس ـ عن آية المصابرة ـ: كان فرض على المسلمين أن يقاتل الرجل منهم العشرة من المشركين... فشق ذلك عليهم فأنزل الله التخفيف... فخفَّف عنهم ذلك(١).

٥ ـ قال مجاهد عن آية النجوى المنسوخة:... ثم نزلت الرخصة ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣](٢).

٦ ـ عن الضحاك في آية المصابرة: كان هذا واجباً عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فخفَّف الله عنهم(٣).

٧ ـ عن الشعبي: نزلت هذه الآية للناس عامة ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين ثم نزلت هذه الآية ﴿كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال: فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر(٤).

المسألة السابعة

أول قضايا النسخ

١ ـ عن عكرمة عن ابن عباس قال:... فأول ما نسخ من القرآن القبلة، وقال: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨] وذلك بأن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثاً، فنسخ ذلك وقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩](٥).

= وابن أبي طلحة عن ابن عباس (ص١٧٢، ١٧٣)، وعند الطبري بنحوه عن عطية العوفي عن ابن عباس وفيه: كان ذلك رخصة له (٣/ ١٦٥)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٥) [١٦٦٢].

(١) تقدم تخريجه، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٠٨) [١٩٧٩٢].

(٢) أخرجه سعيد بن منصور كما في الدر المنثور (١٤/ ٣٢٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢٥٣) [٩٥٢٦].

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ١٦٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن بنحوه (ص١٧٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٧١) [٢٠٧٣٥]، والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٨٧٣) [٥٦٧٤]، و في الصغرى (ص٥٠١، ٥٠٢) [٣٥٨٣]، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي (٢/ ٥٠٣، ٥٠٤).

وجاء كذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان أول ما نسخ الله من القرآن القبلة، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤][(١)].

٢ - ورد عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: أول ما نسخ من القرآن كما ذكر لنا والله أعلم شأن ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فاستقبل رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠][(٢)].

٣ - عن مجاهد عن ابن عباس: أول آية نُسخت من القرآن القبلة، ثم الصيام الأول[(٣)].

٤ - عن عكرمة والحسن البصري قالا: أول ما نُسخ من القرآن القبلة[(٤)].

٥ - عن الزهري قال: أول ما نسخ من القرآن من سورة البقرة القبلة، كانت نحو بيت المقدس، تحولت نحو الكعبة، فقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥]، نسخ بقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤][(٥)].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٢/ ١٨) [٢١]، والطبري (٢/ ٤٥٠، ٤٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٢٦) [١٣٥١]، والنحاس في ناسخه (١/ ٤٥٥، ٤٥٦) [٢٢]، والحاكم في مستدركه (٢/ ٦٥٨) [٣١١٤]، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٩) [٢٢٨٩]، وابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٥٣)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن من طريق عكرمة وعطاء الخراساني عن ابن عباس بنحو هذه الألفاظ (ص١٤٣، ١٤٤).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٢٦) (٢٤١٢)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٤٩) [٢٤٥]، وعن ابن مسعود وناس من الصحابة ما يفهم منه أن النسخ كان نسخ القرآن بالقرآن، وأن المنسوخ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ كما في رواية ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١/ ٥٦٤).

(٣) عزاه السيوطي إلى أبي داود في ناسخه. انظر: الدر المنثور (٢/ ٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٦٢٢).

(٥) الناسخ والمنسوخ لمحمد بن شهاب الزهري (ص١٨).

❁ المسألة الثامنة ❁

بعض مجالات الإفادة من منسوخ التلاوة

١ ـ إيضاح المعاني التفسيرية وتعضيدها بمانسخ تلاوةً.

روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى لوحاً مكتوباً فيه: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] فقال: من أملى عليك هذا؟ قلت: أُبي بن كعب، قال: إن أُبياً أقرؤنا للمنسوخ، اقرأها «فامضوا إلى ذكر الله»[١].

ـ وعن قتادة قال: في حرف ابن مسعود «فامضوا إلى ذكر الله» وهو كقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل: ٤][٢].

ـ عن البراء بن عازب ﷺ قال: لما نزلت ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فقال رجل كان جالساً عند شقيق[٣] له: إذن صلاة العصر، فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله[٤].

٢ ـ التذكير بما تضمنته الآي المنسوخة من المواعظ والحِكَم، ويمكن اقتناص هذه الفائدة من الآثار المروية في أن النبي ﷺ كان يقول: **«لو كان لابن آدم وادياً مَلأً من ذهب أحب إليه ثانياً، ولو أُعطي ثانياً أحب إليه ثالثاً، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»**[٥]، وهو ما ثبت أنه كان قرآناً ثم نسخ.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٣٩) [٦٧٩]، وابن أبي شيبة في المصنف مختصراً (٥/ ١٧٦) [٥٦٠٥]، وسعيد بن منصور كما في فتح الباري (٨/ ٥١٠) وصحَّح ابن حجر إسناده، وساقه القرطبي مسنداً إلى ابن الأنباري في المصاحف (١٨/ ١٠٢)، وورد الأثر من عدة طرق. انظرها في الدر المنثور (١٤/ ٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٣٣) [٣٢١٧]، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٦، ٣٥٧) [٩٥٤٠] قال في المجمع: وقتادة لم يدرك ابن مسعود، ولكن رجاله ثقات، (٧/ ١٩١) [١١٤١٨].

(٣) شقيق بن عقبة ـ الراوي عن البراء بن عازب ـ العبدي الكوفي، وثقه أبو داود، وابن حبان، روى له الإمام مسلم، وأبو داود في «الناسخ والمنسوخ» حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٥٥٦) [٢٧٦٩]، تقريب التهذيب (٤٣٩) [٢٨٣٤].

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال الصلاة الوسطى صلاة العصر (١/ ٢٨٣) [٦٣٠].

(٥) كما ثبت في البخاري، كتاب الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال من حديث ابن الزبير =

٣ ـ معرفة تفاصيل بعض الأخبار التي نزل بها قرآنٌ تُلِي ثم رُفع، وتسجيل فضائل من أُوتي الفضائل.

مثال ذلك: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في واقعة بئر معونة وفيه: قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رُفع: (بلِّغوا عنَّا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)(١).

۞ المسألة التاسعة ۞

الصحابي الجليل أُبي بن كعب رضي الله عنه أقرأ الصحابة للمنسوخ وأحفظهم له، وما يستفاد من ذلك

١ ـ عن عمر رضي الله عنه قال: علي أقضانا، وأُبي أقرؤنا، وإنا لندع من قراءة أُبي، وذلك أن أُبياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وفي لفظ: وقد نزل بعد أُبيٍ كتاب(٢).

٢ ـ جاء أن أُبي بن كعب قرأ «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً إلا من تاب فإن الله كان غفوراً رحيماً» فذكر لعمر فأتاه فسأله فقال: أخذتها من فِي رسول الله ﷺ وليس لك عمل إلا الصفق بالبقيع(٣).

٣ ـ مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغلام وهو يقرأ في المصحف: «النبي أولى بالمؤمنين وهو أبٌ لهم» فقال: يا غلام حكها، قال: هذا مصحف أُبيّ، فذهب إليه فسأله فقال: إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق(٤).

= (ص١١١٧) [٦٤٣٨]، ومثله حديث ابن عباس (٦٤٣٦)، وحديث أنس (٦٤٣٩).

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان ومعونة (ص٦٩٣) [٤٠٩٠]، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة (١/ ٣٠٤) [٦٧٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (ص٧٦١) [٤٤٨١]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٢٢) [١٠٩٢٩].

(٣) أخرجه ابن مردويه، وأبو يعلى انظر: الدر المنثور (٩/ ٣٣٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٩٣) [٢٣١٧]، وفي المصنف (١٠/ ١٨١) [١٨٧٤٨]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٤٨) [٧٠٥]، وابن عيينة في تفسيره كمافي الكشف والبيان للثعلبي (٨/ ٨، ٩)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية بسند إسحاق بن راهويه، وقال: =

٤ ـ ما ورد من ذكر آية الرجم والأحزاب التي كانت تعدل البقرة، وكذلك ما جاء عن ابن عباس أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه وفيه، فقلت: صدق الله ورسوله، «**لو كان لابن آدم وادياً من ذهب...**» هكذا أقرأنيها أُبي بن كعب، وتقدم ذكره.

٥ ـ جاء أن أُبياً كان يقرأ: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله سكينته على رسوله»، فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه، فبعث إليه، فدخل عليه فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال: من يقرأ منكم سورة الفتح؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم، فغلظ له عمر، فقال أُبي: لأتكلم، فقال: تكلم، لقد علمت أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقربني وأنت بالباب، فإذا أحببت أن أُقرئ الناس على ما أقرأني قرأت، وإلا لم أُقرئ حرفاً ما حييت[(١)].

٦ ـ جاء أن عمر رضي الله عنه رأى لوحاً مكتوباً ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] قال: من أملى عليك هذا؟ قلت: أُبي بن كعب، قال: إن أُبياً أقرأنا للمنسوخ، اقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله»[(٢)].

۞ المسألة العاشرة ۞

ظهور اهتمامهم بمعرفة المتقدم من المتأخر للاستدلال به على وقائع النسخ

١ ـ جاء في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] وأنه ناسخ لآية البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

= هذا إسناد صحيح على شرط البخاري (١٥/ ١١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٣٣٩)، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر (١١/ ٧٢٩).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٨٢٨) [١١٤٤١]، وابن أبي داود في المصاحف بنحوه مطولاً (٢/ ٥٥٨، ٥٥٩) [٥١٦]، وقال عنه المحقق: يرتقي بالمتابعة إلى الصحيح لغيره، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين (٢/ ٥٩٨) [٢٩٤٦]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٣٣٧، ٣٣٨)، وذكره الذهبي مسنداً في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٧)، ووثق المحققون رجال السند.

(٢) تقدم تخريج الأثر، وعند عبد بن حميد بلفظ: أعلمنا بالمنسوخ. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٤٧٥).

آثار كثيرة تعتني ببيان المتقدم من الأمرين من المتأخر.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون لها الرخصة، لنزلت سور النساء القصرى بعد الطولى(١).

وفي معناه قوله: من شاء قاسمته، وفي لفظ: لاعنته، ما نزلت: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها، وإذا وضعت المتوفى عنها فقد حلت، يريد بآية المتوفى عنها ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٢).

٢ ـ وردت آثار عديدة عن نسخ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، قال زيد بن ثابت: نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ بعد الآية التي أنزلت في الفرقان بستة أشهر(٣).

وفي لفظ: بثمانية أشهر(٤).

قال ابن عباس عن آية الفرقان: هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ (ص٧٧٠) [٤٥٣٢].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٣١١) [١٧٣٨٢]، وأبو داود في سننه (ص٣٣٦) [٢٣٠٧]، وابن ماجه (ص٢٩٠) [٢٠٣٠]، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٧٣٠) [١٠٩٧٦]، وفي الصغرى (ص٤٩٦) [٣٥٥٢]، والطبري (٢٣/ ٥٤، ٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٤)، وبنحوه عند عبد الرزاق في المصنف (٦/ ٤٧١) [١١٧١٤]، والطبراني (٩/ ٣٩٤، ٣٩٥) [٩٦٣٤] [٩٦٤٤].

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١٣٢١) [٦٦٧]، وأبو داود (ص٦٠٠) [٤٢٧٢]، والنسائي في الكبرى (١/ ٥٣٦) [٣٤٥٥]، والطبري (٧/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ١١٤) [٥٨٤٩]، والطبراني في الكبير (٥/ ١٣٦، ١٤٩) [٤٩٠٥] و[٤٨٦٨]، والطبراني في الأوسط (٧/ ٤٣) [٦٠٧٠]، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٧٠٨) [٢٧٩٩].

(٤) كما أخرجه النسائي في الكبرى (١/ ٥٣٦، ٥٣٧) [٣٤٥٦].

(٥) أخرجه البخاري (ص٨٣٥) [٤٧٦٣]، ومسلم (٢/ ١٣٧٦) [٣٠٢٣].

وعن ابن عباس روايات في تحديد الفاصل بين الآيتين، بسنة، وثماني سنين[(١)].

والأمثلة عديدة كآثارهم في الناسخ لقيام الليل في سورة المزمل، وآية النجوى وغيرهما.

التأصيل

أولاً: علم الناسخ والمنسوخ عمدة علوم القرآن بلا منازع، ورأس فنونها وتاج علومها، مبثوثٌ في روايات السلف مستوعبٌ في دواوين التفسير وكتب علوم القرآن، وما صنف فيه على وجه الخصوص، فنال هذا العلم ما لم ينله غيره من العلوم اشتغالاً وتصنيفاً ومدارسةً.

وجمع هذا الفن القرآني الأصالة، ونال المكانة العلية والقدر المنيف من أطرافه.

فالنسخ دلَّ عليه القرآن، والعلم إذا دلت عليه نصوص الكتاب حاز شرفاً لا يحوزه غيره.

فاجتمعت آيات القرآن، وأحاديث النبي ﷺ، ثم مرويات الصحابة والتابعين على تأصيل مسائل العلم ومباحثة وقائعه.

فأما آي الكتاب فدلت أربع آيات على علم النسخ، هي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦]، وهذه الآية نصٌّ في علم النسخ، وخصها أهل العلم من السلف فمن بعدهم بالدرس والبيان، وأثاروا ما فيها من مسائل علم النسخ وقضاياه عند معنى قوله: ﴿نَنسَخْ﴾ وبعض أنواعه من تثبيت خطها وتبديل حكمها، وشيء من حكم النسخ، والخيرية المرادة في قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ وكذا معنى ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

الآية الثانية: قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١] وتقدم بيان مروياتهم المفسرة لها بالنسخ.

---

(١) أخرجها الطبري في تفسيره (٧/ ٣٤٧).

وفسَّرها بالنسخ أئمة من أئمة التفسير؛ كالطبري، والثعلبي، وابن عطية وابن الجوزي، وابن كثير، والآلوسي(١).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

وهي مختلف فيها اختلافاً كبيراً بين أهل التفسير، ودلالتها على علم النسخ أحد الأقوال التي قيلت، وهو قول من أقوال السلف، ففي نصوصهم أنها تعني ما يُنسخ من القرآن وما يحكم فلا يبدل ويرتفع.

والخلاف واسع بين المفسرين في الآية، وكثيرٌ منهم لا يذهب إلى تفسير المحو والإثبات بالنسخ في الأحكام الشرعية، وأن ما يمحى هو المنسوخ وما يثبت الناسخ(٢).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦، ٧] حيث جاء في أحد ما قيل في معنى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن تنساه وما نسخ الله تلاوته من القرآن كما في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، والإنساء نوع من النسخ، ومفاد هذا المعنى ورد في عدد من آثار الصحابة والتابعين ـ كما سلف ـ وهو ما رجحه الإمام الطبري في الآية(٣).

وكون العلم مما نطقت به نصوص الكتاب المبين وفسرتها أقوال الأوائل بما يجلي العلم ويظهر مسائله، له فائدتان:

الأولى: هذا دليلٌ على أصالة علم النسخ ووجهٌ من وجوه علو قدره بين علوم القرآن، فما يدل عليه القرآن من العلوم ليس كغيره.

الثانية: ـ في آثار الصحابة والتابعين الواردة في تفسير الآيات الأربعة

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٣٦٢)، الكشف والبيان (٦/ ٤٣)، المحرر الوجيز (٤/ ٤٠٧، ٤٠٨)، زاد المسير (٤/ ٤٩١)، تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٥٤)، روح المعاني (١٤/ ٢٣١).

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٢٨)، جامع البيان (١٣/ ٥٦٧ ـ ٥٦٩)، الكشف والبيان (٥/ ٢٩٦، ٢٩٩)، المحرر الوجيز (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٤)، زاد المسير (٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٣ ـ ١٦٧)، روح المعاني (١٣/ ١٦٩ ـ ١٧٢)، التحرير والتنوير (١٣/ ١٦٤ ـ ١٦٦).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٣١٦)، معالم التنزيل (٤/ ٥٩٨)، المحرر الوجيز (٨/ ٥٩٢)، زاد المسير (٩/ ٩٠)، التفسير الكبير (٣١/ ٢٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٩)، تفسير القرآن العظيم (١٤/ ٣٢٢).

الآنفة كثيرٌ من الفوائد التي تؤسس علم النسخ وتثري موضوعاته، وساق ابن الجوزي جملة من هذه الآثار في باب: **إثبات أن في القرآن نسخاً**[(١)].

وهذا مهم جداً في رد منكري النسخ إلى تلك النصوص والاحتجاج عليهم بها، ليعلم كيف فهم الأولون معنى النسخ وما أنواعه عندهم وما حكمه كذلك؟ فإن كلامهم نصوص مفسرة للنص القاطع بوقوع النسخ وجوازه، فلو صرف منكرو النسخ معناه ونفوا بعض أنواعه لوُجِد في مرويات السلف ما يدحض تلك التعسفات ويظهر خطلها وزيفها[(٢)].

وأمثال هذا الخلل في المنهج يمكن رأبه في فهم النصوص كما فهمها أصحاب السبق زماناً ومكانة رحمهم الله تعالى، واطراح ما يصادم ما قالوا مصادمة تامة.

ثانياً: جاء أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما مرَّ بقاصٍ وسأله عن علمه بالناسخ والمنسوخ ثم قوله: هلكت وأهلكت، في صدارة نصوصهم الدالة على أهمية علم النسخ وعلوّ كعبه بين علوم القرآن.

ولم يخلُ مُؤلَّف في النسخ يذكر أهميته إلا أورد هذا الأثر وصدَّره،

---

(١) نواسخ القرآن (ص٨٤).

(٢) انظر: في شبه منكري النسخ وما يفسرون به الآيات الدالة عليه تجدهم يؤولونها على غير ما أوَّلها به سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

انظر: المحصول للرازي حاكياً عن أبي مسلم الأصفهاني تفسيره قول الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (٣/ ٣٠٩)، والتفسير الكبير (٣/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وانظر من كتب المعاصرين ممن أنكر النسخ أو بعض أنواعه لترى أين موقع كلام السلف وتفسيراتهم آيات النسخ من كتبهم:

التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (١/ ١٢١ ـ ١٢٨)، ونظرات في القرآن محمد الغزالي (١٩٤ ـ ٢٠٧) ولا نسخ في القرآن عبد المتعال الجبري، ولم يكتف هذا الأخير بإنكار بعض أنواع النسخ بل إنه منكر للنسخ جُملةً وتفصيلاً، والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه زهرة التفاسير (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٧)، والإمام محمد عبده. انظر: تفسير المنار (٢/ ٤١٦ ـ ٤٢٠)، وهما قد نفيا النسخ وأوّلا آية البقرة ﴿مَا نَنسَخْ﴾ بتأويل أشبه بالتحريف، والعجب من ما فسروا الآثار التي تثبت النسخ وتقرره، حيث وصلوا إلى ما يقرب التحريف لمعاني الآيات، وكل هذا مظهر من مظاهر الإعراض عن تفسيرات الصحابة والتابعين، مع أسباب أُخرى.

وربما اقتصر عليه وحده من آثار الصحابة في هذا الباب[١].

ولي مع هذا الأثر مناقشة كالتالي:

١ - لم يحظ علم النسخ مع الاتفاق على أنه أهم علوم القرآن وربما أهمها على الإطلاق، بكثرة النصوص المأثورة عنهم تبين فضله وتحرم الخوض في كتاب الله دون إتقانه والإحاطة بآياته، وكان يظن أن يوازي هذا الاهتمام ويقابل هذه الأهمية نصوصٌ مستطيلةٌ في الإعراب عن شأنه وخطره وهو ما لم يكن، إنما كان التعويل كثيراً على أثر الإمام علي ﷺ، فلعلهم استعاضوا عن القول بالتوجه إلى الآيات ونخل محكمها من منسوخها ليكون ذلك أبلغ من مجرد القول وأعظم.

٢ - كيف يدل الأثر على أهمية العلم، والكلام فيها مسوق إلى أحد القصاص؟

ثم ما علاقة أهل الوعظ والقصص بعلم النسخ حتى يغلظ عليهم في الجهل به ويوصف ذلك بالهلاك والإهلاك؟

فأما القصاص فهم: الذين يتبعون القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص، وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين.

ويطلق القصص كثيراً على الوعظ والتذكير، وهذا العلم في أصله ذو مقصد حسن؛ لأن إيراد قصة فيها موعظة وعبرة هي دعوة إلى التحلي بالفضائل والتمسك بالدين، وحث الخَلْق على تحقيق العبودية لله في كل أمورهم.

وللسلف كلام في ما يُذم وما يمدح منه، وكره بعضهم القصص لأشياء ذكروها، وقد حفَّ بالوعظ وسيرة القصاص ما عيب عليهم وذموا بسببه من وضع الحديث وبث ضعيف الأخبار وباطلها بين العوام، والجهل بجملة من علوم الشريعة، وإظهار بعض البدع وتحسينها، إلى عدة مناكير وقع فيها بعضهم، فقاد ذلك إلى التحذير منهم والنكير على فعلهم، وإن كان أصل فعلهم لا بأس به ولا محذور إذا التزم بما يلزمه من التأهل المناسب لوعظ الناس وتذكيرهم.

---

(١) صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ، شعلة الحنبلي (ص٣٩).

فلا يقص على الناس إلا العالم المتقن فنون العلم، مع الديانة والخشية[1].

قال الذهبي: «الوعظ فن بذاته يحتاج إلى مشاركة جيدة في العلم، ويستدعي معرفة حسنة بالتفسير وإكثاراً من حكايات الفقراء والزهاد»[2].

ومثله قال ابن الجوزي: «لا ينبغي أن يقص على الناس إلا العالم المتقن فنون العلم؛ لأنه يسأل عن كل فن فإن الفقيه إذا تصدر لم يكد يُسأل عن الحديث، والمحدث لا يكاد يسأل عن الفقه، والواعظ يسأل عن كل علم فينبغي أن يكون كاملاً»[3].

وبالتالي فإن أثر علي رضي الله عنه يفهم بما يلي:

أن علم الناسخ والمنسوخ بلغ شأواً عظيماً حتى صار لا يستغني عنه من كانت صلته بالتفسير صلة يسيرة غير أصيلة، كحال القصاص، فكان جهلهم به هلاكاً وإهلاكاً، فما بال من تصدى لكتاب الله تعليماً وتعلماً، ونظراً ومدارسة، فالأمر في حقه آكد وفي شأنه أوجب.

وإذا كان كلامه موجهاً للقصاص والوعاظ، فحال علماء القرآن مع النسخ أولى، والعناية بتحصيله وفهمه أحرى.

٣ ـ من المتقرر عند أهل العلم أن النسخ عند الأوائل ذو مفهوم متسعٌ شاملٌ لكل ما يطرأ على النصِّ من رفع أو تخصيص أو تقييد أو بيان، وأن مصطلح النسخ تطور ليستقر عند اصطلاح خاص متميز استقل به علماً قرآنياً معيناً.

وإذا كان ذلك كذلك وجب حمل كلام الإمام علي رضي الله عنه على النسخ بمعناه الواسع، وأنت ترى أهل الفن قصروه على معنى النسخ المتأخر، وهذا ابتسار للأثر وهو أعم من ذلك وأبسط، وبالتالي يقال:

إن المقصود بالأثر المروي ههنا ما يشمل تخصيص العام وتقييد المطلق

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٣٤ ـ ٣٦)، القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص١٥٩ ـ ٢٣٢)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٨٣ ـ ٩٠)، تاريخ القصاص وأثرهم في الحديث النبوي محمد لطفي الصباغ (ص٤٢ ـ ٦٣).

(٢) انظر: زغل العلم (ص٤٩، ٥٠).

(٣) انظر: القصاص والمذكرين (ص١٨١).

وتبيين المجمل ورفع الحكم الشرعي كلية، وهو مراد العلماء بالنسخ في مفهومه الاصطلاحي الخاص.

فالعلماء أرادوا معنىً خاصاً للناسخ والمنسوخ في الأثر، وكلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشمل من ذلك، وهذا لا مناص منه إعمالاً لمفهوم النسخ الذي كان في زمانهم.

وفي معنى هذا المروي عن علي رضي الله عنه أثر ابن عباس وعائذ بن عمرو، وتقدما.

ثالثاً: تضمن أثر حذيفة رضي الله عنه أن من يفتي الناس أحد ثلاثة: ومنهم العالم بالناسخ والمنسوخ، وفي هذا وجوب العلم بالنسخ لمن يتولى أمر الفتيا ويتصدى لإجابات السائلين، وهذا الأمر متقرر عند العلماء، وبهذا ردَّ عائذ بن عمرو رضي الله عنه على القاص الذي جهل النسخ: فعلام تقص على الناس وتغرهم عن دينهم وأنت لا تعرف حلال الله من حرامه؟

وجدير بالذكر أن هذا واقع على جانب من جوانب علم النسخ، وهو ما كان نسخاً للأحكام الشرعية، وبقيت جوانب أو نواحٍ من علم النسخ غير متضمنة أحكاماً شرعية، فهذه الأمر فيها يسير.

وفي معنى الأثر قول الزهري: من لم يعرف الناسخ من المنسوخ خلَّط في الدين.

رابعاً: جعل ابن عباس رضي الله عنهما المعرفة بالقرآن هي الحكمة المرادة في قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ثم ساق علوماً قرآنية أولها علم النسخ، فصدَّر بأهم العلوم ورأسها، ولا تكاد تذكر مروياتهم علوماً قرآنية مجتمعة إلا كان النسخ أولها، وتقدم أن ما يذكرونه من علوم له فضل وسابقة على ما لم تذكره آثارهم.

خامساً: كان للصحابة وأتباعهم عبارات محدَّدة يحكون بها وقائع النسخ، وينتقون ألفاظاً مخصصةً للإبانة عن الناسخ والمنسوخ وما يقابله على النحو الآتي:

أ ـ يذكرون واقعة من وقائع النسخ دون إيراد مفردة النسخ بما تصرف منها، لكن قصدهم النسخَ واضح لا يخفى، فهم يوردون آيتين وكيف كانت

فرضية الأولى، ثم ما نزل من الرخصة والتخفيف بعد، ورفع به التشريع الأول، واستخدام ألفاظ: التخفيف، الرحمة، الرخصة، بمثابة القرينة لدعوى النسخ، وهي حكمة من حكم ورود النسخ في القرآن.

وتضمنت هذه الطريقة بيان الأمور التالية:

١ ـ الحكم الأول ودليله (المنسوخ).

٢ ـ الحكم المتأخر ودليله (الناسخ).

٣ ـ الإشارة إلى ما وقع في رفع الحكم من التخفيف والرحمة.

٤ ـ أحياناً ذكر المدة الفاصلة بين حكم المنسوخ ونزول الناسخ.

ومن أظهر ما ورد عنهم في ذلك أثر عائشة ﵂ وغيرها في منسوخ قيام الليل بسورة المزمل.

ب ـ خصوا منسوخ التلاوة بشيءٍ من الألفاظ التي لا تستخدم في الجملة إلا مع هذا النوع من أنواع النسخ، ومن اصطلاحهم في التعبير عنه ما يلي:

١ ـ كنا نقرأ.

٢ ـ كان فيما أُنزل من القرآن.

٣ ـ أُسقطت ـ يعني: الآية ـ أو سقطت فيما سقط من القرآن.

هذه العبارة الأخيرة بينة المعنى ولا يحتمل سياقها في الخبر ومورده إلا أنها من المنسوخ لفظاً.

ومع ذلك فإن البيهقي فسرها في أحد مواضع ورودها فقال كما تقدم: «قولها: سقطت، تُريد: نُسخت، لا يصح لها تأويل غير ذلك».اهـ. وتوضيحه الواضح هنا؛ لئلا يسري إلى الأذهان معنى منكور.

٤ ـ نزلت ثم رفعت أو رفع فيما رفع، ولعل هذا التعبير جاء في غالبه لما كان المنسوخ منه آيات كثيرة، كما في خبر أبي موسى:

نزلت سورة شديدة نحو براءة في الشدة ثم رفعت، وكذا في خبر بئر معونة.

ج ـ عبروا عن ما يقابل المنسوخ مما لم يرفع تشريعه وبقي حكمه مع قولهم: ليست بمنسوخة أو لم تنسخ، أو نظيرها من العبارات، عبروا بقولهم:

مُحكَمة، والوصف بالإحكام يأتي في عِلْمَين:

- علم المحكم والمتشابه.

- علم النسخ، فيطلق بإزاء المنسوخ وما يقابله محكماً وهذا واردٌ عن الصحابة والتابعين، وكذلك قولهم: **مثبتة**، وتعني: ثابت حكمها، لم يزل العمل به قائماً لم يرفع.

وهذا أيضاً وارد عن الصحابة والتابعين كما تقدم.

سادساً: أطبقت نصوصهم على أن أول وقائع النسخ كان نسخ استقبال بيت المقدس بغرض التوجه تلقاء الكعبة المشرفة.

وفي هذا من المسائل ما يلي:

١ - أن ابتداء قضايا النسخ كان في العهد المدني؛ لأن من المعلوم أن استقبال الكعبة بعد استقبال بيت المقدس كان في المدينة حيث صلى نحو بيت المقدس لما قدم المدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم تحول إلى الكعبة[(١)].

٢ - إذا كان شأن القبلة أول ناسخ ومنسوخ، فواجب أن لا يكون ناسخٌ ومنسوخٌ مكياً، إذ أول النسخ عندهم إنما حدث بالمدينة، وكان نسخ القبلة بعد الهجرة بستة عشر شهراً وقيل سبعة عشر شهراً، ويشكل على هذا ما ورد من نسخ قيام الليل في سورة المزمل وهي مكية، وحكي الإجماع ذلك[(٢)].

ويجاب عن ذلك: بأن ابن عباس وعطاء بن يسار استثنيا آخر آية من المزمل فإنها نزلت بالمدينة[(٣)]، فإذا ثبت هذا فلعها نزلت ناسخة بعد نسخ القبلة، وإلا فيحمل مراد ابن عباس على الأولية المقيدة بما في المدينة؛ أي:

---

(١) كما أخرجه البخاري في صحيحه (ص٧٠) [٣٩٩] من حديث البراء بن عازب.

(٢) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب (ص١٢٧)، وقاله السخاوي في جمال القراء (١/ ٢٤٨).

(٣) انظر: النحاس في ناسخه (٣/ ١٢٦)، وكرر ذلك في (٣/ ١٢٨) [٩٠٨]، وفيه أنه لما قدم المدينة نسخت آخر آية في سورة المزمل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾.

بعد الهجرة، وعليه فأول مسائل النسخ ما وقع في المزمل، والله أعلم[(١)].

٣ ـ نقل طائفة من أهل العلم الإجماع على أن نسخ التوجه لبيت المقدس إلى الكعبة كان أول نسخ في القرآن كما نص عليه مكي بن أبي طالب، وابن عبد البر، والقرطبي[(٢)].

٤ ـ في أولى وقائع النسخ كان نسخ السُّنَّة بالقرآن، على الصحيح من قولي العلماء، وهناك من قال: إنها نسخ قرآن بقرآن ويجعلون المنسوخ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥] وهو ما أُشير إليه في رواية ابن مسعود، وتقدمت روايته[(٣)]، وعكرمة، وعطاء الخراساني عن ابن عباس، وهو صريح رواية الزهري، وكونها آية منسوخة لم يرتضه الطبري واستبعده النحاس، وصحح ابن الجوزي إحكامها[(٤)].

٥ ـ امتازت واقعة نسخ القبلة بأمرين:

- أنها أول وقائع النسخ في القرآن وحكي الإجماع عليه ـ عند من يقول بذلك ـ.
- أن تلك الواقعة من أظهر ما تدحض به شبه منكري النسخ؛ لأنها واقعة من الاستفاضة بمكان ويتعذر معها إنكار أو تأويل[(٥)].

٦ ـ أما ما تم من النسخ بعد نسخ القبلة فصرح ابن عباس رضي الله عنهما في رواية مجاهد عنه أنه الصيام، ولعله يقصد التخيير الذي كان في أول الأمر بين الصيام والإطعام ثم نسخ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]

---

(١) ويكون ابن عباس اهتم بتعيين أول ما جرى من مسائل النسخ في المدينة؛ لأن معظم وقائعه كان بعد الهجرة فاعتنى بهذه الأولية لهذه العلة.

(٢) انظر: الإيضاح لمكي بن أبي طالب (ص١٢٧)، الاستذكار (٧/ ٢١٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٥١)، وتقدم ما يشكل على تقرير هذا الإجماع.

(٣) انظر: جامع البيان (٢/ ٤٥٥ ـ ٤٥٨)، الإيضاح لمكي بن أبي طالب (ص١٢٣ ـ ١٢٧)، زاد المسير (١/ ١٣٥ ـ ١٥٣)، التفسير الكبير (٤/ ١٠١ ـ ١٠٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٥١).

(٤) جامع البيان (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٤٦٣)، نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص١٤٩).

(٥) انظر: العدة لأبي يعلى (٣/ ٧٧١)، المستصفى للغزالي (٢/ ٥٢)، الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (٤/ ٢٠٨).

ولما ذكر ابن عباس في رواية له واقعة نسخ القبلة أتبعها بذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال: إن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثاً، فنسخ ذلك بقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ففي اقتران هذه الآية وما جرى فيه من النسخ مع حكايته أول ما نسخ من القرآن إيماء إلى أنها كانت ثانية قضايا النسخ في القرآن، وإن كان صريح لفظه ما في روايته الأخرى من أنها قضية الصوم الأولى، والله أعلم.

سابعاً: كان للنسخ تقاسيم عديدة تختلف باختلاف اعتبارات الأنواع.

فأما باعتبار اللفظ والحكم فإن غالب العلماء من المفسرين والأُصوليين وغيرهم قسموه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: منسوخ التلاوة دون الحكم.

القسم الثاني: منسوخ الحكم دون التلاوة.

القسم الثالث: منسوخ التلاوة والحكم معاً.

وأحياناً يُعبرون باللفظ أو الرسم عن التلاوة وهي إطلاقات مؤتلفة متفقة، وهذا التقسيم قال به من أئمة العلم من المفسرين: ابن حزم الأندلسي، وعبد القاهر البغدادي، وابن الجوزي، وشعلة الحنبلي، وابن البارزي[١]، وابن جزي الكلبي[٢]. ومن علماء الأُصول: ابن حزم الظاهري ـ صاحب المحلى ـ، وأبو يعلى، والغزالي، وابن الكلوذاني الحنبلي، وابن عقيل الحنبلي،

---

(١) هو: هبة الله بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم الجهني، شرف الدين ابن البارزي، قاضي حماة، أجازه العز بن عبد السلام، وأبو شامة، وطائفة، انتهت إليه مشيخة المذهب الشافعي ببلاد الشام، له التصانيف الكثيرة منها: شرح الحاوي، والتمييز، وترتيب جامع الأصول.
قال عنه ابن كثير: صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة في الفنون العديدة، توفي سنة (٧٣٨هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٤٠٥، ٤٠٦)، طبقات الشافعية للسبكي (١٠/ ٣٨٧ ـ ٣٩١).

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٩)، الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادي (ص٤٠ ـ ٤٢)، نواسخ القرآن (ص١١٠ ـ ١١٩)، والمصفى بأكف أهل الرسوخ لابن الجوزي (ص١٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٥)، ناسخ القرآن ومنسوخه لابن البارزي (ص١٩)، صفوة الراسخ لشعلة الحنبلي (ص٣٧، ٣٨).

والرازي، والآمدي، والقرافي المالكي، والطوفي[(١)].

وقريب من هذا التقسيم الثلاثي عند ابن عبد البر: ما نسخ خطه وحكمه وحفظه فنسي، وما نسخ خطه وبقي حكمه، وما نسخ حكمه وبقي خطه يُتلى في المصحف[(٢)].

ومنهم من زاد أنواع النسخ فجعلها ستة أنواع، كما عند مكي بن أبي طالب، وذكره ابن السمعاني وغيره[(٣)].

وهو تقسيم مرعي الكرمي في كتابه قلائد المرجان[(٤)].

وأورد الطحاوي في مشكله تقسيماً نسبه إلى أهل العلم بالتأويل:

وهو أن النسخ وجهان:

أحدهما: نسخ العمل بما في الآي المنسوخة وإن كانت الآي المنسوخة قرآناً كما هي.

والآخر: إخراجها من القرآن، وهي محفوظة في القلوب أو خارجة من القلوب غير محفوظة، وهو قسمان:

- يخرج من قلوب المؤمنين حتى لا يبقى فيها منه شيء.
- القسم الآخر: أن يخرج من القرآن ويبقى في صدور المؤمنين على أنه غير قرآن، ومثَّل له بحديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب»[(٥)].

---

(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٦١، ٦٢)، العدة في أُصول الفقه (٣/ ٧٨٠، ٣٨٢)، والمستصفى (٢/ ٩٥ ـ ٩٨)، التمهيد في أُصول الفقه لابن الكلوذاني (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨)، الواضح في أُصول الفقه (٤/ ٢٢٠ ـ ٢٢٦)، المحصول (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥)، نفائس الأصول للقرافي (٦/ ٢٤٦٥، ٢٤٦٦)، الإحكام للآمدي (٣/ ١٧٥ ـ ١٧٧)، شرح مختصر الروضة (٢/ ٢٧٣).

(٢) التمهيد (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٧).

(٣) انظر: الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه (ص٦٧ ـ ٧٠)، وقواطع الأدلة لابن السمعاني (٣/ ٩٧ ـ ١٠٢)، وإرشاد الفحول للشوكاني، فقد نقله عن أبي إسحاق المروزي وابن السمعاني (٢/ ٨٠٤)، قال ابن السمعاني بعد سرده هذه الأنواع: وعندي أن القسمين الأخيرين تكلف وليس يتحقق فيهما النسخ.

(٤) قلائد المرجان (ص٩٦ ـ ١٠٦).

(٥) مشكل الآثار (٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧٩)، وبعض هذه الأنواع عند مكي بن أبي طالب في الإيضاح بمعناها.

والمقصود من هذا أن هذه التقسيمات متفرعة عن جانبين من جوانب ما ينسخ من الآية وهما: الحكم والتلاوة.

وجاء في رواياتهم قول: نثبت خطها ونبدل حكمها، وهذا يدل على نسخ الحكم وبقاء التلاوة.

وقولهم: رفعناها وأثبتنا غيرها، تدل على نسخ الحكم والتلاوة.

وجاء كذلك: نبدل حكمها ونثبت خطها، وهذا نسخ الحكم دون التلاوة، وهذا من السلف بيان النسخ بذكر أنواعه.

وكان الله أنزل من القرآن أموراً ثم رفعها، وأن النبي ﷺ أقرئ قرآناً ثم أُنسيه فلم يكن شيئاً، دال على نسخ الحكم والتلاوة جميعاً، فلا يبقى شيء منه.

ثم إن أشهر تقسيمات النسخ ما أكثر منه الأُصوليون وضمنوه في مصنفاتهم، وهو التقسيم الثلاثي المتقدم.

وهذا نتاج لما يهتم به أهل الأُصول وما هو موضع درسهم مسائل النسخ، وهي **الأحكام الشرعية**، ولذلك كان محور التقسيمات دائراً على رحى ما يتضمنه النسخ من حكم شرعي في الآية، لكن النسخ علمٌ قرآنيٌ يلزم أن تكون دائرة النظر في مسائله أشمل وأعم.

ولذلك من أنواع النسخ ما ينبغي أن يعتني به أهل علوم القرآن حين يتدارسون مسائل النسخ من وجهة قرآنية، وهو منسوخ التلاوة الذي لا يتضمن حكماً شرعياً، إنما هو شيءٌ من المعاني أو الحِكَم والآداب، وهو جزءٌ، وإن كانت أهميته دون ما تضمن حكماً شرعياً إلا أنه له دلالات يمكن أن يستقى منه فوائد في أُمور شتى.

ولهذا قسمتُ منسوخ التلاوة إلى نوعين:

نوع يتضمن حكماً شرعياً، وآخر ليس فيه حكم شرعي، إنما هو معنى أو حكمة أو موعظة وما شابه ذلك، وسيأتي تفصيل ذلك.

والإمام الطحاوي في تنويعه النسخ إلى ثلاثة أنواع جعل قسماً: للمنسوخ عملاً، ويقابله ما أُخرج من القرآن وخرج من قلوب المؤمنين حتى لا يبقى منه شيء، ونوع لم يخرج من صدور المؤمنين لكن على أنه ليس بقرآن.

وهذان النوعان مرتكزهما ما رفع ونسخ كلية حتى لم يحفظ منه شيء، وما رفع لكن بقي شيءٌ منه محفوظٌ عند المؤمنين، وهذا يحتمل أن يتضمنا أحكاماً شرعية ويحتمل غير ذلك، ولهذا جاء في الأمثلة لما بقي منه شيء محفوظ:

لو كان لابن آدم واديان من مال...، وهذا النص الباقي الذي نقل إلينا ليس فيه حكم تعبدي شرعي كما هو الحال في مسائل النسخ الغالبة.

ومثله: «**بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا... إلخ**».

وقد قَارَن تعداد أنواع النسخ في مصنفات العلماء، ذكر ما وقع من اختلاف في تلك الأنواع، إذ ذهب قوم إلى منع: نسخ الرسم مع بقاء الحكم، متذرعين بحجة عقلية وهي أن الحكم إنما بُين بالآية، فإذا نسخت لم يبق حكمها بعدها، كما لم يتخلف المعلول بعد زوال العلة، وأن نسخ التلاوة دون حكمها يكون عرياً عن الفائدة، حيث إنه لم يلزم من ذلك إثبات حكم ولا رفعه.

ومنع آخرون نسخ الحكم دون التلاوة، بحجة أن الحكم إذا نسخ وبقيت التلاوة كانت موهمة بقاء الحكم، وذلك مما يعرض المكلف إلى اعتقاد الجهل.

وكذلك إذا بقيت التلاوة دون حكمها بقيت عرية عن الفائدة ويمنع خلو القرآن من الفائدة.

والأُصوليون يعرضون الخلاف في بعض الأنواع وأدلة من يمنع، ويُجيبون على ما يحتج به المانعون بحجج عقلية في الجملة، كما هو حال أهل الأُصول وطرائقهم في المناظرة والاحتجاج للمذاهب[١].

ولن تُسلك طرق الأُصوليين في الاحتجاج العقلي لإثبات هذه الأنواع، إنما سيكون عمدة الأمر الأثرُ وصحيح النظر.

---

(١) العدة لأبي يعلى (٣/ ٧٨١ ـ ٧٨٢)، التمهيد في أُصول الفقه لابن الكلوذاني (٢/ ٣٦٨)، الواضح لابن عقيل (٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٧)، الإحكام لأُصول الأحكام للآمدي (٣/ ١٧٥ ـ ١٧٨)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦)، أُصول السرخسي (٢/ ٧٨ ـ ٨٢)، شرح الروضة للطوفي (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٩)، إرشاد الفحول للشوكاني (٢/ ٨٠٤، ٨٠٩).
وقد نسب امتناع نسخ التلاوة مع بقاء الحكم إلى شمس الأئمة السرخسي.

أما **نسخ التلاوة مع بقاء الحكم** فمن أشهر أمثلته ـ وهو بمثابة المثال الأصل الذي يؤسس هذا النوع من أنواع النسخ ـ.

(آية الرجم)، وجاءت في آثار عديدة، وحاصل ألفاظها ما يلي:

١ ـ «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

٢ ـ «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

٣ ـ «الشيخ والشيخة فارجموهما نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

٤ ـ «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله ورسوله».

٥ ـ «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة».

٦ ـ «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة».

٧ ـ «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة».

٨ ـ «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة».

٩ ـ «الشيخ والشيخة فارجموهما».

أما من ناحية أسانيد تلك الآثار:

فقال النحاس عن أثر عمر من طريق ابن عباس: وإسناد الحديث صحيح(١)، وصحح الإمام الطبري حديث عمر وزيد بن ثابت(٢).

وقال ابن حزم عن حديث أُبي: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه(٣).

وصحح الحافظ ابن حجر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من رواية سعيد بن المسيب وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وحسَّن حديث العجماء خالة أبي أُمامة الذي ترفعه إلى النبي ﷺ.

---

(١) الناسخ والمنسوخ (١/ ٤٣٨).

(٢) تهذيب الآثار فقال: وهذا خبر عندنا صحيح سنده لا علة فيه تُوهِنه، ولا سبب يضعفه (٢/ ٨٧١).

(٣) المحلى (١١/ ٢٣٥).

وحسَّن كذلك حديث أُبي بن كعب من رواية زر بن حبيش.

وصحَّح الألباني حديث عمر من رواية ابن عباس في صحيح سنن ابن ماجه.

وقال محققو المسند عن حديث زيد بن ثابت: رجاله ثقات رجال الشيخين وتقدم هذا كله.

وأمام نصاعة هذه المرويات وأسانيدها المصححة تتنوع طرق روايات هذه الآية المنسوخة تنوعاً يقود إلى إثبات الأثر لتعدد مخارجه، إلا أن هناك من ضعف كونها آية قرآنية منسوخة بهذه الألفاظ المذكورة، ولا يظن أن هناك تلازماً بين نفي كون هذه آية نسخت بهذه الألفاظ وبين إنكار هذا الضرب من أضرب النسخ، أو كذلك نفي آية الرجم التي تواترت بها الأخبار.

فمن ما يحتج به منكرو إثباتها آية مرفوعة بهذه الألفاظ كانت تتلى ثم نسخت، ومبطلو نزولها قرآناً معجزاً قرئ على الناس وقرؤوه ثم نسخ أو رفع أو نسي وبقي حكمه، ما يلي:

١ ـ أن هذه الألفاظ لم ترد في روايتي البخاري ومسلم وهما أصح الروايات، بل قال بعضهم: إنهما ـ أي: الشيخين ـ تركا إخراجها واطَّرحا روايتها عمداً.

٢ ـ ردوها من جهة أن القرآن بلغ الذروة في استصفاء الألفاظ وروعة البيان وبراعة الأسلوب، وهذه الآية على النحو الذي وردت به ليس عليها ما في آيات القرآن من حلاوة الجرس وسلاسة اللفظ والتعبير باللفظ المناسب، وفي المكان المناسب، فليس عليها سناء القرآن وبهاؤه.

٣ ـ توهيم النسائي سفيان في روايته هذه الألفاظ، فقال: ما أعلم أحداً ذكره في هذا الحديث «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة» غير سفيان، وينبغي أن يكون وهم، والله أعلم[1].

٤ ـ أن كراهية النبي ﷺ الإذن في كتابة آية الرجم، وقوله: **«لا أستطيع»** قاطعان في عدم قرآنيتها.

---

(١) السنن الكبرى (٢/ ١١٠٤).

٥ ـ أن قول عمر ﷺ: والرجم في كتاب الله حق، معناه: في حكمه وفرضه.

٦ ـ قول عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جُلد، وأن الشاب إذا زنى وقد أُحصن رجم، ومعنى ذلك أن الحكم بأن الشيخ والشيخة إذا زنيا فحكمها الرجم حكم غير صحيح فلا يصح أن ينزل به قرآن[(١)].

وأُجمل الجواب عن ما قيل في وجوه:

١ ـ أن رواية النص القرآني المنسوخ في آية الرجم جاءت بأسانيد صُحِّح بعضها وحُسّنت البعض الأخرى، وتعددت طرقه وشواهده بما يقطع بثبوتها، والمعول على الآثار وصحتها فإن ثبتت لم يكن لأحد أن يعارضها برأيٍ يراه.

قال مكي بن أبي طالب: ... نحو آية الرجم التي تواترت الأخبار عنها أنها كانت مما يتلى ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به، وبقي حفظها منقولاً لم تثبت تلاوته في القرآن. اهـ[(٢)].

وإعراض الشيخين عن تخريج الآية في ما ساقاه من روايات، يجاب عنه بأنه ليس على شرطهما، وهما لم يقصدا إخراج كل الصحيح، وكم صح من زياداتٍ أصل مروياتها في الصحيحين.

وممن أورد لفظ الآية المنسوخة ـ آية الرجم ـ مثبتاً لها دون رد أو توهين:

الإمام ابن حزم، والبيهقي، والنووي، وابن تيمية وغيرهم[(٣)].

والإمام النسائي رحمه الله إن وهَّم سفيان في روايته الآية المرفوعة، فإن غيره أثبتها وصحح من الأسانيد ما يجزم بثبوت هذه الألفاظ في الجملة.

٢ ـ أما الرد على دعوة اختلاف ألفاظ الآية بين الروايات وعدم اتساقها

---

(١) انظر: محمد رسول الله منهج ورسالة، محمد الصادق عرجون (٤/ ١١٤ ـ ١٣١)، والشيخ ابن عثيمين في كتابه الممتع شرح زاد المستقنع (١٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، وما علق به محقق الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩)، وتعليق محققي مسند الإمام أحمد (٣٥/ ٤٧٤، ٤٧٥).

(٢) الإيضاح (ص٥٣).

(٣) المحلى (١١/ ٢٣٥)، السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٤٤)، المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم (١١/ ١٩١)، فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٣٩٨، ٣٩٩).

مع ما عليه القرآن من بلوغ الذروة في الفصاحة وسلاسة الألفاظ وروعة البيان فيقال:

إن الآية قد رفعت، ولا يشترط أن يتم ضبط ألفاظها ضبطاً دقيقاً لا يختلف في شيء من حروفه؛ لأن همة الصحابة لضبطها لم تكن كما هي مع الآي الثابتة، فلا يظن تساوي عزيمتهم وتمام حرصهم على المساواة بين ما نُسخ وما لم يُنسخ حفظاً وضبطاً وإتقاناً.

ولهذا وجدت زيادة واختصار للآية في شيء من المرويات، وهذا طبعي في شأن آية مرفوعة، مع ثبات بعض المفردات في كل النصوص وهي: (الشيخ والشيخة فارجموهما) مما يشير إلى الباقي في صدورهم هو نص الآية المهم، أو ما يدل على الحكم الشرعي في حق الزاني دون أجزاء الآية الأُخرى، وكلٌّ حفظ من أجزائها ما حفظ فتباينوا في قدر المحفوظ.

وكان أُبي بن كعب وهو من هو في العلم بالقرآن ساق الآية بتمامها في أثر صحيح سنده كالشمس كما يقول ابن حزم.

ثم قد يقال ـ تنزلاً مع ما قيل ـ إن الآيات المنسوخة المرفوعة هي في مرتبة من الفصاحة والجمال لكن في مرتبة أقل من مرتبة القرآن الثابت، وهذا كله بناء على أن الآية قد حفظت كما تحفظ الآيات القرآنية التي لم تنسخ، وهو ما لم يُدع ههنا، بل قيل بالتفرقة بين الأمرين.

٣ ـ أن كراهة النبي ﷺ كتابتها دليل على أنها ليست بقرآن ثابت الآن، وهذا لا يختلف فيه مع من أدلى بهذه الحجة، فعدم كتابتها لأنها قد نسخت ولم تعد قرآناً، لكنها لا تنفي أنها كانت وتُليت زمناً ثم رفعت.

قال الطبري: «وأما قول عمر: لما نزلت أتيت النبي ﷺ فقلت: اكتبنيها، وكأنه كره ذلك. ففيه بيان واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المنزل كسائر آي القرآن؛ لأنه لو كان من القرآن لم يمتنع ﷺ من اكتابه عمر ذلك، كما لم يمتنع من اكتاب من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد تعلمه منه.

وفي أخبار عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كره كتابة ما سأله إلا كتابه إياه من ذلك، الدليل البين على أن حكم الرجم وإن كان من عند الله تعالى

ذكره، فإنه من غير القرآن الذي يُتلى ويسطر في المصاحف». اهـ[١].

٤ ـ قال الطبري: «وأما قول عمر: «ألا ترى أن الشيخ إذا زنى وقد أُحصن جُلد ورجم وإذا لم يحصن جلد» ففيه أيضاً الدليل على صحة ما قلنا من أن تأويل خبر زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة» إنما هو إذا كانا قد أُحصنا؛ لأن رسول الله ﷺ لو كان أمر برجم الشيخين مُحصنين كانا أو غير محصنين لم يكن عمر مع سماعه ذلك من رسول الله ﷺ بالذي يقول: «وإذا لم يحصنا جُلدا» فيبطل عنهما الرجم، مع علمه بحكم الله فيهما بالرجم.

فإن قال قائل: فما وجه قول عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا زنى وقد أُحصن جلد ورجم؟

قيل: ذلك قول قد ذكرناه عن أُبي أنه كان يوافقه عليه، وذكرنا فيما مضى من كتابنا هذا أن علياً رحمة الله عليه كان يرى جلد الزاني المحصن ثم رجمه، شاباً كان أو شيخاً، ومن خالف ذلك من قوله جماعة من السلف وعامة من الخلف». اهـ[٢].

قلت: ولم تحمل مروياتهم مثل هذا الاجتهاد في معرفة سر نسخ الآية تلاوة وقرآناً إلا ما ورد عن عمر وعن زيد بن ثابت: «ألا ترى أن الشابين الثيبين يُرجمان»[٣].

وهذا اجتهادهم، وأصرح منه وأوضح أن عمر ﷺ لما أراد استكتاب الآية قال له النبي ﷺ: لا أستطيع، وظاهر علة عدم الاستطاعة أنه مما نسخه الله قرآناً يتلى، وبالتالي تعذرت كتابتها، ولم يعلل المصطفى ﷺ ذلك بمثل ما قاله عمر وزيد ﷺ، وكأن لفظة «الشيخ والشيخة» لا تلائم ما تنزلت به الشريعة من اعتبار الإحصان وعدمه معيار الحكم بالرجم أو الجلد؛ لأنه قد يوجد شاب محصن وشيخ غير محصن.

---

(١) تهذيب الآثار (٢/ ٨٧٦ ـ ٨٧٧). (٢) تهذيب الآثار (٢/ ٨٧٧).

(٣) وكذا في خبر عن زيد بن أسلم عن عمر وفيه: فسألت أُبي بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا استقرئها رسول الله ﷺ فدفعت في صدري وقلت: اتستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحُمُر؟، قال ابن حجر بعد إيراده هذا الأثر منسوباً إلى ابن الضريس في فضائله: وفيه إشارة إلى بيان السبب في رفع تلاوتها، وهو الاختلاف. ا.هـ. فتح الباري (١٢/ ١٤٧، ١٤٨).

لكن ما المانع أن يُبين المقصود باللفظين أمرٌ خارجٌ عن نص الآية؟ ألا تراه قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

ولفظة الزانية والزاني لا تدل على غير فعل الزنا فلا يعلم أيراد المحصنان أم غير المحصنين؟، وبُين ذلك بأمر خارج عن نص الآية، والله أعلم.

وفي قول عمر: «كنا نقرؤها» دليل على اشتهار آية الرجم وعلْمِ مجموع الصحابة بها، وأنها كانت تقرأ وتتلى ثم رفعت، فالعلم بها ليس لآحاد الصحابة بل لطوائف وجماعات منهم، ألا ترى أن قول عمر هذا لم ينكره منكر ولم يعترض عليه أحدٌ، وقد أعلنه في جمع من الصحابة.

والنوع الثاني من أقسام منسوخ التلاوة:

ما لم يتضمن المرفوع حكماً شرعياً، إنما هو وعظ أو إخبار عن واقعة أو غير ذلك.

ومن أبرز أمثلته، وقد اختلف فيه طويلاً:

حديث: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»**، والكلام عن هذا المثال المؤصل لهذا النوع من أنواع النسخ ما يلي:

أ ـ تنازع الصحابة في هذا النص، ما بين مثبت أنها كانت آية ثم رفعت، وما بين من ظنها كذلك حتى نزلت «التكاثر» فعلم أنها من كلام النبي ﷺ.

وآخرون ترددوا كابن عباس: فلا أدري من القرآن هو أم لا؟

وأنس ـ رضي الله عن الجميع ـ: ولا أدري أشيء أنزل أم شيء كان يقوله؟

فأما المثبتون فهم كالتالي:

ـ حديث قراءة النبي على أُبي بن كعب (البينة)، وفيها: فقرأ فيها: «ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال. . .» حسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

ـ أبو موسى الأشعري: «وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم. . .» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

- قول الصديقة عائشة رضي الله عنها: «فكنا نرى أنه مما نسخ من القرآن».

- زيد بن أرقم: «كنا نقرأ على عهد رسول الله...» ووثق الهيثمي رجال الأثر وصحَّحه الألباني.

- حديث أبي واقد الليثي: «كنا نأتي النبي ﷺ فإذا أُنزل عليه شيء من القرآن أخبرنا به، فقال لنا ذات يوم: قال الله: ولو كان لابن آدم وادياً من المال...» إلخ.

- قال بريدة بن الحصيب: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة: لو أن لابن آدم وادياً من ذهب».

علقه البخاري في التاريخ الكبير، وجوَّد المنذري إسناده.

- جابر بن عبد الله: «كنا نقرأ».

فهؤلاء سبعة من كبار الصحابة أثبتوا أنه قرآن منسوخ وفيهم بعض كبار القراء: كأبي موسى، وأُبي بن كعب.

وانظر إلى أقوالهم: **كنا نقرأ، سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة، كنا نرى أنه مما نسخ من القرآن... إلخ.**

وفي المقابل تردد أنس وابن عباس ولم يدريا أهي مما نزل من القرآن أم لا؟

وهذا التردد منهما جزم به غيرهما من أعلام الصحابة بأسانيد صحيحة أو حسنة.

أما قول أُبي بن كعب: «كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾» فيعارضه ما صح عنه من أنه كان قرآناً أقرأه إياه النبي ﷺ، وهو كذلك له معنى، فقد قال ابن الجوزي: «يعني بَانَ بنزول هذه الآية أن مثل هذا المعنى في كلام الله عز وجل»[1].

وقال ابن حجر: «ووجه ظنهم أن الحديث المذكور من القرآن ما تضمنه من ذم الحرص على الاستكثار من جمع المال والتقريع بالموت الذي يقطع ذلك ولا بد لكل أحد منه، فلما نزلت هذه السورة وتضمنت معنى ذلك مع

---

(١) كشف المشكل على الصحيحين (٣/ ١٩٥).

الزيادة عليه علموا أن الأول من كلام النبي ﷺ، وقد شرحه بعضهم على أنه كان قرآناً ونسخت تلاوته لما نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١، ٢] فاستمرت تلاوتها فكانت ناسخة لتلاوة ذلك. . . والأول أولى». اهـ[١].

وعلى كلٍّ فأثر أُبي بن كعب هذا محتمل، وقد تعددت تفسيراته، وهناك من الآثار الصحيحة عن عدد من الصحابة تثبت قرآنية هذا الكلام وأنه مما رفع من القرآن تلاوة.

وقد نال هذا النص ما نال آية الرجم من نفي أن تكون ألفاظها قرآناً مرفوعاً، فقال طائفة بأن هذا لم يكن قرآناً رفع[٢].

بل اشتد بعضهم حتى وصفه بالحديث المظلم، وأنه من أبطل الباطل وأمحل المحال أن يجعل مثل هذا الكلام المزعوم قرآنيته من سورة نحو (سورة براءة) نزلت ثم رفعت. . . ثم قال:

«ولا شك عندنا في أن هذا كلام دخيل وضعه الزنادقة واليهود، وتلقفه البُله من ذوي الغفلة الإسلامية»[٣].

بل وصل ببعضهم الأمر إلى إنكار منسوخ التلاوة برمته وحشد أسباب مانعة لهذا النوع ـ بزعمه ـ، وذكر على رأسها: استلزام البداء، ثم حكم بالنكارة على الأخبار المثبتة لهذا النوع[٤].

ومحصلة شبههم أن القرآن لا بد في إثباته من القطع بتلقي نصه عن رسول الله تلقياً متواتراً.

بل وصلت الجرأة إلى تضعيف حديث أبي موسى الأشعري الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٦٢)، وانظر: عمدة القاري للعيني (٢٣/ ٧٢).

(٢) انظر ما قاله محققو مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٣)، وما قاله محقق مسند أبي يعلى (٤/ ٤٤٨، ٤٤٩). وعند مكي بن أبي طالب شيء من هذا عند تعداده أقسام النسخ. انظر: الإيضاح (ص٦٩).

(٣) انظر كتاب: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، (٤/ ١٢٧ ـ ١٣١)، وكتاب الشيخ عبد الله الغماري الذي خصصه لمنع نسخة التلاوة وسماه: ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة.

(٤) انظر هذا في كتاب الشيخ عبد الله الغماري: ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة.

قال الإمام الألباني بعد سوقه الآثار الواردة في هذا الباب:

«وجملة القول أن هذه الأحاديث عن هؤلاء الصحابة الخمسة تلقي اليقين في النفس أن النص المذكور فيها كان قرآناً يتلى حتى في الصلاة ثم رُفع، وقد جهل هذه الحقيقة ذاك المعلق على مسند أبي يعلى على قول ابن عباس الذي تردد فيه بين أن يكون قرآناً أو لا؟ فقال:

«أقول: وقول ابن عباس وحديث أُبي دفعا عشاق الناسخ والمنسوخ إلى أن يقولوا: إن هذا الحديث كان قرآناً ثم نسخ بسورة التكاثر، يقولون هذا مع علمهم أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر...» إلخ كلامه.

ومن الواضح أنه لا يفرق بين القرآن المثبت بين الدفتين الذي يشترط فيه التواتر الذي ذكر، وبين منسوخ التلاوة كهذا الذي نحن في صدد الكلام حوله، بل حكمه حكم الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية فإنه لا يشترط فيها التواتر وإن كان فيها ما هو متواتر كهذا، فإنه رواه خمسة من الأصحاب أو أكثر كما سبق...». اهـ[1].

وهنا أخلص إلى ذكر المسائل التأصيلية مما سبق مبسوطاً:

١ ـ من أقسام المنسوخ تلاوة قسم لا يمكن إغفاله لا يتضمن حكماً شرعياً حتى يكون محل نظر الأُصوليين واهتمامهم، فيحسن التنبه له وإظهاره حين يبحث علم النسخ علماً قرآنياً.

٢ ـ لا يشترط أن تنقل هذه النصوص القرآنية المرفوعة نقلاً محكماً دقيقاً لا يُختلف في شيء من ألفاظه؛ لأن همم الصحابة تفتر عن ذلك اشتغالاً بالقرآن المثبت الذي لم ينسخ، وهذا التقرير يحصل به فائدتان:

أ ـ يجاب به عن استشكال تباين مروياتهم الناقلة تلك النصوص، ولِمَ تنوعت زيادة ونقصاً في ذكر هذه الآيات المرفوعة؟

ب ـ يُقضى بذلك على ما ردده منكرو هذه المرويات استناداً إلى أنها لا تتواءم مع أُسلوب القرآن ورقة ألفاظه وعذوبة مفرداته وإحكام نظمه، حيث يقال: هذا يمكن أن يتعلل به حين يُدعى أن آثارهم تنقل المرفوع من القرآن

---

(١) السلسة الصحيحة (٦٠/ ٩٧٠ ـ ٩٧٣).

كنقلها المثبت بحيث تضبط ألفاظه ضبطاً متيناً لا زيادة فيه ولا نقصان، ومن المقطوع به أنه لو غيرت مفردة قرآنية واحدة واستبدلت بأخرى لبان تنافرها مع سائر مفردات القرآن ولم تلتئم معها، وسرعان ما تزول ملاحتها ويذهب بهاؤها، فكيف لو كان ذلك في مفردتين أو أكثر، وهذا لم يُقل به، بل قرر التفريق بين نقلهم المثبت الباقي من القرآن والمرفوع المنسوخ منه.

٣ ـ إثبات نسخ الحكم والتلاوة، ونسخ التلاوة وبقاء الحكم، خلافاً لمن منع ذلك متذرعاً بحجج عقلية، وهنا يحتج بالمنقول لا بالمعقول، والآثار تؤكد هذين النوعين، ويستبين بها الصبح لذي عينين.

٤ ـ أن فئاماً من أهل العصر المشتغلين بالتفسير أو علماء الأُصول ـ كان أشد ما أنكروه من أنواع النسخ **منسوخ التلاوة** يليه **نسخ الحكم وبقاء التلاوة**، فهو بصورة أقل، وغالباً ما تحججوا بأن الروايات المأثورة المؤصلة لمنسوخ التلاوة أخبار آحاد لا يثبت بها قرآن، فهي حجة رددوها، ولهم من السابقين سلفٌ قالوا بمثل قولهم(١).

والجواب عن هذا ودحضه قد مضى، ونخبته هنا:

١ ـ الآثار إذا صحت وجب قبولها، وهذه النصوص المرفوعة لا يشترط لها ما يشترط للقرآن الذي لم ينسخ.

٢ ـ بدعة تقسيم الأخبار إلى متواترة وآحاد لا تعرف عن الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم، حتى جاء متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك كما قال ابن حزم(٢).

ثامناً ـ استبان لأهل العلم أن السلف الكرام كان لهم اصطلاح واسع في النسخ، يعنون به معنىً عاماً اختزله المتأخرون في مصطلح خاص محدد، وهذا المعنى الذي استقر عليه المراد بالعلم هو وجه من وجوه إطلاقات المصطلح عند الأوائل.

وآثارهم تفيد أن النسخ عندهم يراد به الأوجه التالية:

---

(١) منهم: الشيخ عبد الله الغماري في كتابه: ذوق الحلاوة، ومحمد الغزالي في: نظرات في القرآن (١٩٤ ـ ٢٠٧).

(٢) الإحكام في أُصول الأحكام (١/١١٣، ١١٤).

١ ـ تخصيص العام.

٢ ـ تقييد المطلق.

٣ ـ بيان المجمل وإيضاحه.

٤ ـ ترك العمل بالنص المؤقت إلى أمد أو المغيا بغاية.

٥ ـ رفع ما كان عليه أهل الجاهلية.

٦ ـ سموا ما كان تدرجاً في التشريع نسخاً.

٧ ـ النسخ بمعناه الخاص الذي درج عليه المتأخرون، ونص العلماء عليه، كاشفين عن مراد المتقدمين بالنسخ بمعناه الواسع، وما يعنيه المتأخرون واستقر اصطلاح العلم عليه:

قال ابن البارزي: «اعلم أن المتقدمين كابن عباس رضي الله عنهما وغيره، كانوا يطلقون النسخ على التخصيص والاستثناء والأحوال المشكلة كالأمر بالقتال بعد الأمر بالصبر والصفح، لاشتراك الجميع في إزالة الحكم المتقدم، وأما المتأخرون فإنهم لا يسمون ذلك نسخاً؛ لأن النسخ عندهم رفع الحكم الثابت نصاً بنص آخر لولاه لكان الأول ثابتاً»[(١)].

وقال القرطبي: «... إلا أنه يحتمل أن يكون النسخ هناك بمعنى التخصيص، فكثيراً ما يطلق المتقدمون النسخ بمعناه»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «وفصل الخطاب أن لفظ (النسخ) مجمل، فالسلف كانوا يستعملونه فيما يظن دلالة الآية عليه، من عموم أو إطلاق أو غير ذلك»[(٣)].

وقال في الاستقامة: «ولهذا لم يكن السلف من الصحابة والتابعين يتركون دلالة آية من كتاب الله إلا بما يسمونه نسخاً، وأما تسمية المتأخرين تخصيصاً وتقييداً ونحو ذلك مما فيه صرف الظواهر فهو داخل في مسمى النسخ عند المتقدمين». اهـ[(٤)].

---

(١) ناسخ القرآن ومنسوخه (ص٥٩). (٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) فتاوى شيخ الإسلام (١٤/١٠١)، وانظر كذلك (١٣/ ٢٧٢).

(٤) الاستقامة (١/ ٢٣).

وقال ابن القيم: «قلتُ: ومراده ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة ـ وهو اصطلاح المتأخرين ـ ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً؛ لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يُحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر»[(١)].

وقال في موطن آخر: «إن للنسخ أربعة معانٍ»، . . . للصحابة والتابعين منها ثلاثة وهي:

النسخ من أفهام المخاطبين ما فهموه مما لم يُرِدْه ولا دلَّ اللفظ عليه وإن أوهمه كما أطلق الصحابة النسخ على قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قالوا: نسخها قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فهذا نسخ من الفهم لا نسخ للحكم الثابت فإن المحاسبة لا تستلزم العقاب في الآخرة ولا في الدنيا أيضاً.

وللنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين وهو ترك الظاهر إما بتخصيص عام أو بتقييد مطلق، وهذا كثيرٌ في كلامهم جداً، وله معنى رابع وهو الذي يعرفه المتأخرون وعليه اصطلحوا، وهو رفع الحكم بجملته بعد ثبوته بدليل رافع له»[(٢)].

وقال الشاطبي الذي يُكثر أهل التصانيف من نقل كلامه في تقرير معنى النسخ عند الأوائل:

«وذلك أن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً»[(٣)].

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٦٦).

(٢) شفاء العليل (ص٣٧٥).

(٣) الموافقات (٣/ ٣٤٤).

وإذا تبين أن النسخ له معنى عند المتقدمين ومصطلح خاص عند المتأخرين، فإنه بقي في المسألة أمران:

١ ـ كيف تعامل الأولون من أمثال الطبري والنحاس وغيرهما مع نصوص السلف التي تكثر من إطلاقات النسخ؟

٢ ـ هل يمكن معرفة زمان تمايز مصطلح النسخ بين ما يعنيه السلف من الصحابة والتابعين وبين ما استقر عليه معناه آخر الأمر؟

أما المسألة الأولى: فالناظر لما يذكره الطبري ـ مثلاً ـ من وقائع النسخ في تفسيره عن الصحابة والتابعين ـ يراه كثيراً ما يرد دعوى النسخ مبيناً أن هذه الواقعة من وقائع النسخ لا تنطبق عليها شروط النسخ ولا يستقيم على معنى النسخ المصطلح عليه.

وفيه يتضح أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحاكم الأوائل على ما اصطلح عليه الأواخر، وكان بالإمكان توجيه دعواهم بالنسخ في تلكم الآيات وهو ما لم يفعله الإمام الطبري.

قال في ما ادعي من النسخ في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: إنها محكمة وليست بمنسوخة؛ وذلك لأن النسخ لا يكون في حكم إلا ينفيه بآخر له نافٍ من كل وجوهه. اهـ[(١)].

وقال نافياً نسخ قوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢٠، ٢١]، وذلك أن الناسخ من الأحكام ما نفى خلافه من الأحكام. اهـ[(٢)].

وهذا غيض من فيض، وإلا فتفسيره العظيم طافح بمثل هذه التعقبات لدعاوى النسخ عند الأولين.

وكتاب النحاس وابن الجوزي في النسخ مليئان كذلك بمعاملة نصوص السلف في النسخ على الاصطلاح المتأخر الحادث، ومثله أيضاً الإيضاح

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٤٣، ١٤٤).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٤٧).

لمكي بن أبي طالب ـ في الجملة ـ، وإن بدرت منه إشاراتٌ اقتربت من الإفصاح عن مقصود القدماء بالمصطلح.

ومن تلك الإشارات قوله عما قيل من النسخ في آخر الشعراء:

«... وقد ذكر عن ابن عباس في أشياء كثيرة في القرآن فيها حرف الاستثناء أنه قال: منسوخٌ، وهو لفظ مجاز لا حقيقة؛ لأن الاستثناء مرتبط بالمستثنى منه يليه حرف الاستثناء الذي يلزمه، فبيّن أنه في بعض الأعيان الذين عمهم اللفظ الأول والناسخ منفصل من المنسوخ، وهو رافع لحكم المنسوخ، وهو بغير حرف الاستثناء». اهـ[1].

ولم يخرج الإمام الجهبذ ابن العربي عن هذا السياق فغلَّط من يقول بالنسخ على آيات لا تنطبق عليها شروط النسخ التي اصطلح عليها المتأخرون.

بل وصل به إلى تجهيل من يطلق النسخ على حكم مخصوص أو مؤقت إلى أمد غاية وتوهيمه[2].

وأجاب شعلة الحنبلي كثيراً في كتابه: صفوة الراسخ عن إطلاقات النسخ، لما هو في حقيقته تخصيص العموم أو تبيين المجمل أو تقييد المطلق، وسبق ذكر مواضع من ذلك.

وأما المسألة الثانية فيصعب على وجه الدقة تعيين زمان أوضحت أقوال العلماء وفرَّقت بين ما استقر عليه معنى النسخ عما كان يستخدم زمن الصحابة والتابعين، فإلى زمان ابن الجوزي ٥٩٧هـ، بل إلى وقت شعلة الحنبلي ٦٥٦هـ، لم توجد نصوص مفصحة موضحة استخدام المصطلح في الأول والآخر، وهذا لا ينتقص به من فهوم أولئك الأئمة العلماء الجهابذة، فلعلهم أدركوا الفرق في ذلك ـ وهم أهل الفهم والتبصر ـ، لكنهم أرادوا بيان حقيقة النسخ على اصطلاحه الأخير المستقر، ولذا نفوا وربما غلطوا في أحايين ما يطلق من النسخ على ما ليس بنسخ على حقيقة معناه المتقرر، وقد نقَّبت في

---

(١) انظر: الإيضاح (ص٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) انظر مثلاً: الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٤، ١٢٤ ـ ٣٢٣، ٣٠٣)، بل قال عن إطلاق النسخ على معنى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾: هذه غباوة، والاستثناء لا يعد نسخاً بإجماع من العقلاء (٢/ ٢٨٢).

أسفار أهل الأُصول المعتمدة كثيراً ولم أظفر بشيء صريح.

ولعل أول من جلَّى معنى النسخ عند السلف في كلام واضح مستبين هو الإمام المفسر القرطبي ٦٧٦هـ، وبرع وهو المحقق المتفنن في توضيح مقصودهم بالنسخ، وتقدم شيءٌ من نصوصه.

ثم توالى الإيضاح لمعنى النسخ بين ما يعنيه الأوائل بجعلهم كل تغيير ولو جزئي يطرأ على النص القرآني نسخاً سواء كان تخصيصاً أو تقييداً أو بياناً، وما استقر عليه المتأخرون من أنه الرفع الكلي للنص.

وكان الإمام السخاوي ٦٤٣هـ قال في ألفاظ معدودة ما يعد إفصاحاً عن معنى النسخ عند السلف إذ يقول: «... فإن قولنا نسخ وتخصيص واستثناء اصطلاح وقع بعد ابن عباس، وكان ابن عباس يسمي ذلك نسخاً، ولو وقع الاصطلاح على تسمية جميع ذلك نسخاً».اهـ(١).

وقال في خاتمة كتابه «الطود الراسخ»: «وإنما وقع الغلط للمتأخرين من قبل عدم المعرفة بمراد المتقدمين، فإنهم كانوا يطلقون على الأحوال المتنقلة النسخ، والمتأخرون يريدون بالنسخ نزول النص ثانياً رافعاً لحكم النص الأول»(٢).

ومع هذه الإشارة المهمة التي تنبئ عن إدراك ما عليه نشأة المصطلح من اتساع، إلا أن السخاوي في «الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ» المضمن في كتابه «جمال القراء» نسخ قوله الآنف وظل يصحح إحكام الآيات التي يطلق عليه النسخ ويصف إطلاق النسخ عليها بالفساد والبطلان؛ لأنها ليست من النسخ في شيء، إنما هي تخصيص، أو هي ناسخة لما كانوا عليه في الجاهلية وصدر الإسلام، ولم تنسخ قرآناً، أو هو استثناء وليس بنسخ، وجعل نسخ قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ظاهر البطلان، وكان الأولى عطفاً على إدراك معنى النسخ الواسع في عُرف السلف بيان أن هذا سيراً على اصطلاحهم(٣).

---

(١) جمال القراء (٢/ ٢٤٧). (٢) جمال القراء (٢/ ٣٩٤).

(٣) انظر مثلاً لذلك: جمال القراء (٢/ ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٩٤).

فتحصل من نصوصهم كلام القرطبي، والسخاوي، وابن البارزي، ثم شيخ الإسلام، وابن القيم، والشاطبي، والدهلوي في كتابه «الفوز الكبير»[1].

ونخبة القول في هذه المسألة الوصايةُ بأمرين:

الأول: أن يعلم أن عبارة: دعاوى النسخ عند المتقدمين أو نحوها عبارة مُجهِّلة يستتر خلفها غياب العلم بما كان عند السلف، فكان ترداد هذه العبارات والتهويل بها.

الثاني: أن زوال كثير من الإشكالات ونفي التوهمات هو بفهم ما كان عليه المصطلح عند الأولين، وما استقر عليه النسخ عند المتأخرين، وعدم محاكمة أقوالهم إلى ما نشأ بعدهم من اصطلاح خاص للنسخ.

تاسعاً: سبق بيان أن هناك نوعاً من أنواع منسوخ التلاوة لم يتضمن حكماً شرعياً كما هو النوع القسيم له وهو محل اهتمام أهل الأُصول بناءً على ما يثمر عنه من أحكام شرعية.

وهذا المنسوخ لفظه منه: ما هو مرفوع بالكلية ولم يبق منه شيء حتى في صدور المؤمنين.

ومثاله: ما جاء أن بعض الصحابة قام في جوف الليل يريد أن يفتتح سورة قد كان وعاها فلم يقدر منها على شيء، فلما أصبح وأخبر النبي ﷺ قال: «**إنها نسخت البارحة**»[2].

ومنه ما بقي منه شيء حفظته صدور الصحابة، كما ورد عن أُبي في سورة البينة: **إن الدين عند الله الحنيفية**.

وكما جاء في آثار صحيحة متكاثرة من النص المشهور: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث...**» إلخ.

وجاء عن أبي موسى الأشعري أن سورة نزلت كأنها براءة ورفعت ولم يحفظ منها إلا: «**إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما ثالثاً**».

---

(١) الفوز الكبير (٥٧/٥٨).

(٢) انظر: مشكل الآثار للطحاوي (٥/ ٢٧١، ٢٧٢).

قال ابن عقيل عن السورة التي ذكر أنها كانت كسورة الأحزاب، وكان فيها: ««**لو أن لابن آدم واديين من ذهب..**» إلخ: «ولا نعلم أكان فيها حكم أم كانت قصصاً ومواعظ وآداباً»[1]؟

المقصود أن هذا الباقي مما رفعت تلاوته وليس فيها أحكام الحلال والحرام يمكن الإفادة منه في وجوه متعددة:

أ ـ في اعتبار المعاني التفسيرية وتوضيح الآيات، ولذلك أمكن الإفادة من أثر البراء بن عازب: كان يقرأ ثم نسخ: «حافظوا على الصلوات وصلاة العصر» فعاد هذا المرفوع على الصلاة الوسطى بالبيان.

وكان عمر رضي الله عنه يقرأ: «فامضوا إلى ذكر الله» وكان يرى قراءة أُبي ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ من المنسوخ، والأمر والله تعالى أعلم ـ على العكس من ذلك، فقراءة عمر هي المنسوخة، وهي تعود على القراءة الثابتة المتواترة ﴿فَاسْعَوْا﴾ بالبيان فليس المقصود شدة المشي وسرعته، بل هو بمعنى المضي، ومن المعلوم النهي عن شدة الإسراع في الإتيان إلى الصلاة.

ب ـ ورد في آثار متعددة أن النبي ﷺ كان يقول: «لو كان لابن آدم وادياً من ذهب لتمنى الثالث. . .». وتقرر أنها كانت آية ثم رفعت، ومع ذلك كان النبي ﷺ يرددها في مواطن لتضمنها مواعظ وحِكَماً وذكرى، ولذلك جاءت في تلك الآثار دون ذكر أنها كانت آية ثم رفعت، وهذا يدل على استمرار الوعظ بهذه الموعظة، وأن نسخها لا يعني انتهاء الفائدة منها، بل تظل موطناً للاعتبار والتذكير.

وهكذا في النصوص المرفوعة يمكن جني فوائد وفرائد، وأن رفعها لا يجعلها عديمة النفع، حاشا وكلا، فإن كلام الله المثبت والمرفوع نافع ماتع، حقيق بالنظر والتفكر، وأيضاً سورتا الخَلْع والحَفْد رفعتا وبقيت ألفاظهما يستفتح بهما في الدعاء، ويمجد الله تعالى بما فيهما من المحامد والثناء.

ج ـ من الفوائد في هذا النوع من منسوخ التلاوة تسجيل بعض الوقائع ورصد أحداثها وتخليد ذكرى أصحابها، فإن واقعة بئر معونة نزل في أصحابها

(١) الواضح في أصول الفقه (٤/ ٢٢٢).

قرآن يتلى مدة ثم رفع، وهذا بلا شك رفعةٌ لشأنهم، وإيذانٌ بفضلهم، فإن من ينزل فيه قرآن يتلى ولو رفع بعد ذلك، فذلك فضل ومنزلة عليَّة.

وحوى النص المرفوع ما لقوه من الكرامة وحسن الثواب من الله تعالى فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن الفوائد من أمثال هذا النص المرفوع:

د ـ جواز نسخ الأخبار تلاوة، وشرح ذلك:

أن هذا القرآن المنسوخ تضمن خبراً وقصةً لما وقع لأهل بئر معونة، ثم رفع من القرآن ونسخ.

وعليه فإن القاعدة المكرورة المشهورة بعدم جواز نسخ الأخبار مقصود بها أن يأتي خبر يورده القرآن ثم يأتي ما يرفع مضمون ذلك الخبر ومعناه ويرفع محتواه بما يخالفه وينقضه بخبر آخر، وهذا ممتنع لا إشكال فيه؛ لأنه تكذيب للخبر المنسوخ.

أما أن يُرفع تلاوةً ولفظاً مثل ما وقع لأهل بئر معونة فسائغ واقع، فإن خبرهم كان قرآناً ثم رفع لفظه، أما الخبر ومعناه وما احتواه فهو باقٍ بثبوته في السُّنَّة الصحيحة.

عاشراً: أطلق عمر الفاروق رضي الله عنه وصفه الصحابي الجليل القدر أُبي بن كعب بأنه أقرأ الصحابة.

وهذا النعت من عمر رضي الله عنه له قيمتُه، سيما وهو المحدث الملهم، وقبل هذا وأجل منه ما جاء في الخبر الصحيح أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ أن يقرأ القرآن على أُبي بن كعب وهذه المنقبة العظيمة، بكى لها أُبي فرحاً واستبشاراً.

وورد كذلك عن عمر أن أُبيّاً أقرأ الصحابة للمنسوخ، ويؤكد هذا كثرة المرويات المتضمنة ما كان قرآناً يتلى ثم رفع وبقي حفظ أُبي له.

وفي هذه المسألة أمور:

١ ـ وصفُ عمر أُبيّاً أنه أقرؤهم للمنسوخ أو أعلمهم به يعضده كثرة المروي عنه في هذا الجانب، وتقدم إيراده.

٢ ـ قول عمر: أقرؤنا للمنسوخ، هل هو مِدحة أو تعليل لترك شيءٍ ظل أُبي ثابتاً على قراءته وهو منسوخ؟

وجواب ذلك أنها مِدحة وتعليل في آنٍ معاً.

فإذا كان أُبي اقرأهم للمنسوخ وهو ما تتقاصر الهمم عن ضبطه والاشتغال به كما يعتني بالثابت الذي لم ينسخ، فإن هذا دالٌّ على فرط عنايته واتقاد همته المسبقة بالقرآن المثبت تعلماً وحفظاً وضبطاً، فكان هذا مدحاً له من هذا الوجه، وهو كذلك تعليل لترك بعض حروف، فإن إمامة أُبي أو غيره في العلم وسبقه في إتقان القرآن وعلمه لا يستلزم ضرورة أن يدرك كل المنسوخ، فقد يحفظ شيئاً ويضبطه ثم لا يبلغه نسخه فيبقى مداوماً على قراءته، بينما علم الصحابة أو مجموعهم بنسخه، وهذا يفسر بقاءه على قراءة ما نسخ وخفي عليه رفعه، وهو ما لم يخفَ على غيره.

٣ ـ جاء في الأخبار أن عمر ﵁ حين يسمع بعض حروف أُبي التي نسخت يراجعه في ذلك ويستوثق منه ما نُسب إليه من قراءة، ويستدعي بعض أصحابه ومنهم الصحابي المتقن زيد بن ثابت.

فيقرأ قراءة العامة مما خالف فيه أُبي، وهذا دالٌّ على أنه لا يمتنع خفاء بعض النسخ على آحاد الصحابة، بل على كبارهم وعلمائهم.

والعبرة في ذلك بمجموع الصحابة لا بآحادهم؛ لاحتمال عدم العلم بالمنسوخ بعد أن كان قرآناً يتلى ويتعبد به.

ولذا عرض عمر ﵁ قراءة أُبي في سورة الفتح على ما يقرؤه غيره من الصحابة كزيد بن ثابت وغيره، وهذا يؤصل أن العبرة في هذا بمجموع الصحابة لا بأفرادهم، والله أعلم.

إحدى عشر: جهدتُ عبر نظر متمعن في مرويات النسخ عند السلف أن اخرج بأمارات وأنصب علامات حين يقصدون بالنسخ معناه الاصطلاحي الخاص، وهي محاولة تفيد الناظر في إطلاقات النسخ بادي الرأي فيفرق بين ما هو نسخٌ بمعناه الواسع وما هو مرادٌ به المعنى الخاص، وإلا فالرجوع إلى دواوين التفسير وعرض تلك الإطلاقات على شروط النسخ وضوابطه يوضح ذلك كله، إنما هذه دلائل مقربة إلى النصوص ابتداءً، ومما خرجت به من ذلك ما يلي:

١ ـ قولهم: ثم نزلت الرخصة، أو التخفيف، أو تعليل تبدل الحكم بأنها

رحمة بهم؛ لأن الرحمة السابغة والتخفيف التام لا تكون إلا برفع الحكم كلياً عن الجميع، أما اقتصاره على البعض أو الجماعة فإنه تقييد أو تخصيص لذلك التخفيف والتوسعة، ولا يتحقق فيه العموم الذي يشمل جميع المكلفين.

٢ ـ كان واجباً، صار تطوعاً بعد أن كان فريضة، فإن الانتقال من المفروض إلى المسنون ضرب من ضروب النسخ وهو النسخ من الأثقل إلى الأخف.

٣ ـ قول إن الآية قد ارتفع العمل بها، أو لم يعد يعمل بها هو في حقيقة أمره وصف للنسخ الاصطلاحي؛ لأنه ترك للعمل بالمنسوخ، إما إلى ناسخ آخر أو تركه بالكلية؛ أي: إلى غير بدل.

وليعلم أن هذه الدلائل وما التمس من أمارات هي أغلبية لا مطردة؛ لورود استعمال تلك العبارات المقربة عندهم في وقائع النسخ بمعناه العام من التخصيص والتقييد ونحوها.

ومن أمثلة ذلك:

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] هي رخصة من الله كان قد أنزل في سورة آل عمران ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وحق تقاته أن يطاع فلا يُعصى، ثم خفَّف عن عباده فأنزل الرخصة قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦][(١)].

وقال سعيد بن جبير عن الآية:

اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت الآية الأولى[(٢)].

وهذا النسخ الذي قيل في الآية فيه خلاف تقدم، وكثير من أهل التفسير يجعله من باب بيان المجمل لا أنه نسخ بمعناه الاصطلاحي الخاص، وتقدم بسط هذا.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٥٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٤٩٠) [١٩٤٢٧].

ومثال آخر:

قال مكحول: أنزل الله في القرآن ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] ثم نسخها الرب ﷻ ورحم المسلمين فقال: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥] فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب(١).

أما ما كان النسخ عندهم بمعناه الواسع ففي الرواية ألفاظٌ دالةٌ على أنه ليس بمعناه المصطلح عليه عند المتأخرين، كقولهم: فنسخ واستثنى، وهي جملة تكررت كثيراً وخصوصاً عن ابن عباس وألمح إليها مكي بن أبي طالب، ومعلوم أن الاستثناء ليس نسخاً بل هو تخصيص.

أيضاً في آية الفتح: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، و﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] هناك من جعلها ناسخة لقوله: هناك من جعلها ناسخة لقوله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] وقال ما نصه:

فبيَّن الله ما يفعل به وبهم، فأوضح هذا مرادهم بالنسخ، وأنه بيان لما أُبهم في آية الأحقاف.

ونخبة الكلام في المسألة أن في شيء من الروايات ما يشير إلى ما يعنونه بإطلاقات النسخ في الآيات.

اثنا عشر: أختم بجملة مسائل:

١ ـ ظهر احتفاء بالغ من الصحابة والتابعين في تحقيق ما في سورة المائدة من النسخ، فكانت كثرة الآثار في تبيان ما نسخ منها وتنوع طرائق إحصاء منسوخها، ولم أرَ مثل ذلك في سور القرآن الأخرى.

والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أنها آخر أو من آخر سور الكتاب تنزلاً، فكان مهماً معرفة ما فيها من الحلال والحرام والأحكام ليكون ناسخاً لما تقدمه.

ولذا أثر عن عائشة قولها: «أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في (٤/ ١٠) [٧٨٦٤].

من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرِّموه»[١].

٢ ـ رأيت المفسر السدي الكبير مكثراً من إطلاق النسخ على الآيات بصورة يفوق بها غيره، وكذلك كان عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وهو من أتباع التابعين.

٣ ـ ركزت نصوصٌ أطلقت النسخ على الآيات على اقتران ذلك بتعيين الآية المتقدمة من الآية المتأخرة، وضبط الفترة الزمنية بين الآيتين ليقوم في نهاية الأمر البرهان على نسخ المتقدمة بالمتأخرة.

وأثمرت مثل هذه اللفتات ما يلي:

١ ـ اهتمامهم بمعرفة زمان نزول السور القرآنية، ومعرفة المكي من المدني، لما في ذلك من أثر بالغ على القول بالنسخ بين الآيات.

٢ ـ دقة ضبطهم أزمنة نزول الآيات الناسخة والمنسوخة حتى عرفوا الفترة الزمنية الفاصلة بين الآيتين وتراخي الناسخة عن المنسوخة.

وهذا الأمر أكثر من مجرد معرفة نوع السورة المكية أو المدينة وأبلغ.

٣ ـ مثل هذه الآثار تأصيل لأحد أهم شروط النسخ التي ألزمها العلماء وقرروها على رأس شرائط النسخ، وهو أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ متراخياً عنه.

٤ ـ أن من علوم القرآن ما يستلزم معرفة علوم أخرى، وهذا دالٌّ على تداخلها فيما بينها وتطلب بعضها البعض الآخر في منظومة لا يُستغنى فيها بعلم عن علم.

النسخ عند أهل علوم القرآن

١ ـ تسمية العلم:

لم يختلف في تسمية العلم بالنسخ أو الناسخ والمنسوخ في القرآن، وهذا مما نُص عليه في مرويات الصحابة والتابعين المتعددة.

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **أول ما نزل وآخر ما نزل.**

٢ ـ أهمية العلم:

يصدر بأثر علي بن أبي طالب ﷺ حين مر بقاصٍّ لا يعلم الناسخ والمنسوخ وعدَّه ذلك من الهلاك والإهلاك[(١)].

ومنهم من ضم إليه تفسير ابن عباس قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وجعله النسخ أحد العلوم القرآنية حين فسر الحكمة بفهم القرآن وضرب لها أنواعاً من علومه[(٢)].

وسبق تقرير أن أثر علي ﷺ محل عناية المؤلفين في النسخ وتصدير مصنفاتهم به.

٣ ـ كان علم النسخ أظهر العلوم سفوراً في تأثر أهل علوم القرآن بما دبَّجه الأُصوليون وأصلوه من مسائله، فكانوا لما عند أهل أُصول الفقه مقتفين، وعلى تقريراتهم وتقسيماتهم معتمدين، ومرد هذه التبعية الموغلة أن من العلوم ما هو مشترك بين علوم القرآن وأصول الفقه، وباب النسخ ركن ركين في علوم الأُصول، قد أشبعه المحققون منهم تأصيلاً ومدارسة واستوعبوا موضوعاته، وأكثروا من عرض دقائقه وتفريعاته.

والعلم رحمٌ بين أهله، وهذا الاشتراك الواقع لا يُذم ولا ينتقص العلم من أجله.

لكنْ هناك طريقٌ يمكن أن تُصبغ به قضايا النسخ كعلم قرآني أصيل، وهو العلم القائم على الأثر، وذلك من ثنايا مرويات الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والتقعيد لأُصول العلم على ضوئها، ولا مندوحة من التلاقي مع بعض المباحث الأصولية المستلزمة ذكراً ونظراً، بما لا يخرج العلم عن صبغته القرآنية.

وانظر إلى طرفٍ من قضايا النسخ كتعريفه على سبيل المثال تجد متكأهم

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (٢/ ٣٤)، الإتقان للسيوطي (٤/ ١٤٣٥)، مناهل العرفان (٢/ ١٣٦، ١٣٧)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٢٦)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا (ص١٤٣)، اللآلئ الحسان موسى لاشين (ص١٦٧).

(٢) كما في مناهل العرفان (٢/ ١٣٦، ١٣٧)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٢٦)، والواضح في علوم القرآن (ص١٤٣)، واللآلئ الحسان لموسى لاشين (ص١٦٧).

تعريفات أهل الأُصول[١].

وسبق تقرير أن محل نظر أهل الأُصول وعنايتهم بوقائع النسخ ما تضمن حكماً شرعياً، أما ما سوى ذلك فيضعف الاهتمام به.

ولذا فإن التعريف الذي أراه مناسباً للنسخ كعلم قرآني يأتي على أقسامه جميعاً دون تفريق بين أنواعه أو إهمال شيء منها، أن يقال: «**رفع النص القرآني بنص من الكتاب أو السُّنَّة**»، فلفظة: النص القرآني تضم تحت بنائها كل أقسام النسخ، ولا يند عنها شيء، هذا من وجه.

ومن وجه آخر: يشمل كون النص المرفوع متضمناً حكماً شرعياً أو معنى أو موعظة أو خبراً، أما ابتسار النسخ في رفع الحكم الشرعي أو لفظه أو هما معاً فنفثة أُصولية تناسب اهتمام أهل الأُصول.

٤ ـ أكثروا من تعداد أنواع النسخ وضروبه، وهي تقسيمات تتنوع باختلاف الاعتبارات، **فباعتبار القرآن والسُّنَّة** له أقسام، **وباعتبار الحكم والتلاوة** أقسام، **ومن حيث البدل وعدمه** على أقسام.

وأهم هذه التقسيمات **ما تعلق بالحكم والتلاوة**، وقد سرت نزعة الإنكار إلى بعض الأنواع عند مصنفي علوم القرآن[٢]، فهناك من لم يثبت إلا نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، وشبههم في ذلك سبقهم بها فئام من أهل العلم من الأُصوليين وغيرهم، كدعوى أنها أخبار آحاد لا يثبت بها قرآن.

وعلل بعضهم بخشيته أن يكون ولع بعض العلماء بالتقسيم والتبويب هو

---

(١) أمثلة ذلك:

(الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب المتقدم على وجهٍ لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه)، جمال القراء للسخاوي (٢/ ٢٤٥).

أو: (رفع حكم ثابت بخطاب ثابت لولاه لكان ذلك الحكم ثابتاً بالخطاب الأول)، الزيادة والإحسان (٥/ ٢٦٩).

أو: (هو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي متراخ عنه). انظر: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور (ص٣٠٧).

أو: (رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٤٠٤)، وبنحوه في: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (ص٢٢٤).

(٢) انظر: غذاء الجنان بثمر الجِنان، محاضرات في علوم القرآن، د. فضل عباس (ص٢١٢، ٢١٣).

الذي شجعهم على اعتماد مثل هذه الأقوال، وذكرها في بطون الكتب على ما فيها من مخالفة واضحة ونبوٍ صريح عن نظم القرآن وأناقة أسلوبه المعجز، ولم ينس التشبث بدعوى أنها أخبار آحاد(١).

ولو أنهم قدموا المنقول ووردوا إليه وصدروا عنه لسلموا من هذه الجرأة المذمومة.

٥ ـ مع فشو مراد الأوائل بمصطلح النسخ وما استقر عليه عند الأواخر من إطلاق خاص، فإن طائفة من مصنفي علوم القرآن نبهوا على هذا الاختلاف والسعة والتقييد في المعنى، كما فعل السخاوي، والزركشي، والسيوطي، وابن عقيلة(٢)، وأعدادٌ من المعاصرين(٣).

لكن هذا الإيضاح لما كان عليه المصطلح وما استقر عليه لا يكفي، حتى تُنقى مصنفات وتُصفى من التهويل بكثرة دعاوى النسخ عند الأوائل.

والأمر تعدى ذلك إلى التشنيع وعيب بعض المؤلفين في علم النسخ بسبب التزيد والتكثر من إطلاق النسخ على ما ليس فيه نسخ.

كما قيل في مصنف ابن حزم، وهبة الله بن سلامة، ومرعي الكرمي أنها أجدر بالإتلاف والإزالة منها بالتداول والنشر، وأنها كتبٌ بالخطأ والقول على الله بغير علم ألصق منها بالعلم والهدى(٤).

أقول: إن هذه الألفاظ القاسية والأوصاف القادحة وإن صدرت بدافع حسن ومقصد صحيح إلا أنها تعود بالثلب، ويسري معها القدح إلى السلف الأوائل؛ لأنهم أكثروا من إطلاقات النسخ، فلو اغتر فئام بصنيع العلماء

---

(١) انظر: علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور (ص٣٠٩، ٣١٠).

(٢) جمال القراء (٢/ ٢٤٧ ـ ٣٩٤)، البرهان (١/ ٥٠، ٥١)، الإتقان (٤/ ١٤٤١ ـ ١٤٤٣)، الزيادة والإحسان (٥/ ٢٩٧، ٢٩٨).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ١٩٧، ١٩٨)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٣٤، ٢٣٥)، المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص١٩٦ ـ ٢٠٤).

(٤) المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (ص٢٥٤)، ووجَّه ذلك بأن مثل هذه الكتب اغتر بها طائفة من المتأخرين فاستعظموا ما ذكر هؤلاء لما رأوا منه من إبطال المحكمات، فأنكروا النسخ أصلاً بقصد حسن هو الذب عن القرآن العظيم، كما تسلط بصنيع هؤلاء المستشرقون الحاقدون على الإسلام فطعنوا على القرآن بذلك. اهـ.

المؤلفين، ثم جالوا بأنظارهم في موروث الأوائل السابقين لرأوا ـ من هذا الباب ـ في أقوال السلف ما يعظم به استشكالهم، وربما يستطيل معه طعنهم.

ثم ما المانع أن يقصد أحدهم ـ محمد بن حزم مثلاً أو هبة الله بن سلامة ـ جمع ما ذكره الأوائل من القول بالنسخ في جميع الآيات سيراً على المعنى الواسع للنسخ، وليس على معناه الذي اصطاح عليه بعد زمان الصحابة والتابعين؟

والناظر المدرك تطور دلالة العلم يفهم ما يعني نسخاً كلياً (مصطلح المتأخرين) وما هو نسخ جزئي (عند المتقدمين)، وأيضاً فإن محاكمة الأقدمين أو من تمسك بعرف العلم ذي المعنى الشامل تحكمٌ لا ينبغي.

ولذا يعظم دهشك حين يأتي أحد الأئمة الكبار بعد اتضاح مراد الأوائل بالنسخ واستبان مقصودهم واصفاً أقوالهم بالبطلان والفساد، أمن أجل أنهم توسعوا في مصطلح وتجوزوا في عباراتهم فيه وهو عند من بعدهم بمعنى خاص مصطلح عليه(١)؟

وبعضهم جعل من أهل التأليف في النسخ غالين تزيدوا فأدخلوا في النسخ ما ليس منه بناء على شبه ساقطة كالنحاس، وابن حزم، وهبة الله بن سلامة، ومنشأ تزيدهم كما يقول: أنهم انخدعوا بكل ما نقل عن السلف أنه منسوخ، وفاتهم أن السلف لم يكونوا يقصدون بالنسخ هذا المعنى الاصطلاحي، بل كانوا يقصدون به ما هو أعم منه مما يشمل بيان المجمل وتقييد المطلق ونحوها(٢).

وتفنيد هذا مرَّ ذكره، ومثل هذا التعنيف لا أحبذه؛ لأن القدح في مؤلفات أولئك عائد بطريق خفي على مرويات السلف المكثرة من القول بالنسخ.

وليس في ما يؤثر عن السلف ما ينخدع به، ولا مانع من اعتماد المعنى الواسع للنسخ كما عند الصحابة والتابعين وبناء مصنفاتٍ على ذلك.

---

(١) تقدم نماذج من أقوال الإمام السخاوي ومثل هذا كثير.

(٢) مناهل العرفان (٢/١٩٧).

ثم إن ضمّ الإمام أبي جعفر النحاس مع المتزيدين من دعاوى النسخ ليس بصحيح، إذ كان عارضاً للأقوال باسطاً أدلتها، متحيزاً لما يراه راجحاً منها.

ومن المقطوع به أن إيراد ما يُدعى فيه النسخ ولو على وجه ضعيف ليس تزيداً، بل هو من تحرير الآراء وتبيين ضعيفها من صحيحها، وهذا شأن العلماء النقاد المحققين.

٦ ـ ساق مؤلفو علوم القرآن جملةً من حكم النسخ ومقاصد الشرع منه[(١)].

وهناك ذكر موجز لهذه الحكم والأسرار في مرويات الصحابة والتابعين ومنها: خير لكم في المنفعة وأرفق بكم، فيها تخفيف وفيها رخصة، وكذلك ما اقترن به وقائع النسخ على معناه الاصطلاحي من ذكر: الرحمة بالمسلمين، والرخصة، ورفع المشقة والحرج.

ودوران هذه الحكمة مراتٍ عديدة في نصوصهم له سر بديع، يظفر به من تمعن في وقائع النسخ، ليرى أن غالب تلك المنسوخات كانت رفعاً للمشقة وتغليباً للرفق وإظهاراً للرحمة، فهي حكمة بليغة من بين أسرار ومقاصد عظيمة، وانظر إلى النسخ في آية المصابرة، وتقديم الصدقة بين يدي النجوى، ونسخ الاعتداد بالحول إلى أربعة أشهر وعشراً، ونسخ فرضية قيام الليل، يصدق بها هذا الملحظ الدقيق. والله أعلم.

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ١٥٢)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٣٢)، المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص٢١٣ ـ ٢١٨)، دراسات في علوم القرآن، د. الرومي (ص٤١٧).

الباب الرابع

علوم القرآن المتعلقة بالوقوف عند الصحابة والتابعين

وفيه فصلان:

- الفصل الأول: الوقف والابتداء.
- الفصل الثاني: المفصول والموصول.

الفصل الأول

علم الوقف والابتداء

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: أهمية هذا العلم في آثارهم.
- المسألة الثانية: بعض التنبيهات والآداب في علم الوقف والابتداء.
- المسألة الثالثة: التنصيص على مواطن وقوف بعض الآيات الكريمة وهو - الوقوف في ثنايا الآيات - وفيه تسميات علم الوقف والابتداء.
- المسألة الرابعة: المأثور عنهم في الوقوف بين أفراد الآيات بعد اكتمال الآية والتي تليها، ومقصده التفسير، ويمكن أن يسمى (الوقف التفسيري).
- المسألة الخامسة: جملة الآثار التي يستدل بها علماء الوقف والابتداء على أنواع الوقوف.

[علم الوقف والابتداء]

المسألة الأولى

أهمية هذا العلم في آثارهم

١ ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف[١].

٢ ـ ذكر عن ابن مسعود قوله: الوقف منازل القرآن[٢].

٣ ـ قال علقمة: قال ابن مسعود: العدد مسامير القرآن، وأنا أقول: الوقف مسامير القرآن ودُسُره[٣].

٤ ـ عن ابن عمر ﷺ قال: لقد عشنا بُرهة من دهرنا وإن أحدنا يُؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبي ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وما

---

(١) نُسب هذا القول إلى علي بن أبي طالب ﷺ في المصادر التالية:
الوقف والابتداء في كتاب الله للهذلي (ص٣٧٧)، وابن الجزري في التمهيد في علم التجويد بلفظ: «الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف» (ص٤٨)، وذكره في النشر (١/ ٢٠٩، ٢٢٥)، وذكره السيوطي في الإتقان دون سندٍ (٢/ ٥٤١)، والقسطلاني في لطائف الإشارات (١/ ٢٤٩)، والأشموني في منار الهدى (ص٥) وغيرهم.

(٢) الوقف والابتداء لأبي الحسن علي الغزَّال (١/ ٧٥)، وأورده الصفاقسي في كتابه: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين (ص١٢٩)، وأورده ابن يالوشة في كتابه: الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة (ص٤٧)، قال شارحاً هذه المقالة: ولا يخفى أن من له نظر سديد لا يعدل عن النزول بموضع مأمون من المخاوف، خصب كثير الماء والكلأ، وما يقيه من الحر والقرّ إلى ما هو بالعكس.

(٣) أورده الهذلي في كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله (ص٣٧٧)، وقوله: (وأنا أقول) يحتمل أن يكون قائلها الراوي عن ابن مسعود وهو علقمة، وعليه فهي من آثارهم في تبيين أهميةعلم الوقف والابتداء، ويحتمل أن يكون القائل الهذلي مؤلف الكتاب. والله أعلم.
ومعنى: دُسُره: الدُّسُر مسامير السفينة وشُرُطها التي تُشد بها. انظر: لسان العرب، مادة: (دسر) (٢/ ١٣٧٢).

ينبغي أن يوقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجالاً يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل(١).

المسألة الثانية

بعض التنبيهات والآداب في علم الوقف والابتداء

١ - عن ميمون بن مهران(٢) قال: إني لأقشعر من قراءة قوم يرى أحدهم حتماً عليه أن لا يقصر عن العشر، إنما كانت القراء تقرأ القصص وإن طالت أو قصرت، ويقرأ أحدهم اليوم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]، قال: ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢](٣).

٢ - عن ابن أبي الهذيل(٤) قال: إذا افتتح أحدكم آية يقرؤها فلا يقطعها

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٨٤، ٨٥) [١٤٥٣]، والنحاس في القطع والائتناف (١/ ١٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ٣٦٩، ٣٧٠) [٢٠٧]، وقال ابن منده: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم والجماعة إلا البخاري، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٦) [١٠٨] وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن (٣/ ١٧٧) [٥٣٩١]، والهروي في ذم الكلام مختصراً (٥/ ١٤٣) [١٤٥٨]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٦٠، ١٦١)، وابن الأبار في المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي (٩١، ٩٢)، وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح (١/ ٢٢٣) [٧٥٥].

(٢) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب الرَّقي، روى عن عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبي هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وثَّقه أبو زرعة والنسائي، وابن سعد، والعجلي، روى له البخاري في الأدب المفرد، والباقون، قال عنه ابن حجر: ثقة فقيه، من الرابعة، مات سنة (١١٧هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٩/ ٤٨٣) [٤٧٧٧]، تهذيب الكمال (٢٩/ ٢١٠) [٦٣٣٨]، تقريب التهذيب (ص٩٩٠) [٧٠٩٨].

(٣) ساقه أبو عمرو الداني مسنداً في المكتفي في الوقف والابتداء (ص١٠٤، ١٠٥)، وذكره ابن الطحان في كتابه: نظام الأداء في الوقف والابتداء (ص٢٥).

(٤) عبد الله بن أبي الهذيل العَنَزي أبو المغيرة الكوفي، روى عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وعمار بن ياسر، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وأُبي بن كعب، وجماعة من الصحابة.
وثقه النسائي وابن حبان، روى له البخاري في الأدب، وفي القراءة خلف الإمام، ومسلم، =

حتى يتمها، وبلفظ: إذا قرأ أحدكم الآية فلا يقطعها حتى يتمها[١].

وعنه كذلك: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويتركوا بعضاً[٢].

❁ المسألة الثالثة ❁

التنصيص على مواطن وقوف بعض الآيات الكريمة، وهو: «الوقوف في ثنايا الآيات»، وفيه تسميات علم الوقف والابتداء

١ ـ عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

قال: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هذه مفصولة، ومن في الأرض طوعاً وكرها[٣].

٢ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٣﴾ [النساء: ٨٣] قال: قوله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ فانقطع الكلام، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فهو في أول الآية يخبر عن المنافقين قال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ يعني: بالقليل المؤمنين[٤].

٣ ـ عن عطية العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

= والترمذي والنسائي، قال العجلي: تابعي ثقة، وكان عثمانياً، توفي في خلافة خالد القسري. انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٢٣٥) [٢٨٢٠]، تهذيب الكمال (١٦/ ٢٤٥، ٢٤٦)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤٤٨).

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٨٤) [٧٦] وصحَّح المحقق إسناده، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢١) [٢٦٨٨]، وابن الجزري في النشر ساقه مُسنداً بلفظي الرواية (١/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٣٦٢) [٣٠٤]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٥١) [٣٠٨٩٣]، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٢٨) [١٣٧]، وابن الجزري في النشر (١/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه ابن المنذر (١/ ٢٧٥) [٦٦٤]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٨٩) [٣٨٢١].

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٦٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٨٠٨) [٢٠٥٣]، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥) [٥٧٣٥] كلهم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ [الحديد: ١٩] قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ هذه مفصولة، ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(١).

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: (امرئٍ سلام)(٢).

٥ - عن أبي الشعثاء جابر بن زيد قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]: إنكم تَصِلون هذه الآية وهي مقطوعة، ثم يقرأ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فأثنى عليهم، إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ثم قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. ومثله عن أبي نَهيك الأسدي(٣).

٦ - عن أبي الضحى في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩].

قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩](٤).

٧ - عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

قال: ما أطاقت مِلأها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧] قال: انقضى الكلام، ثم استقبل فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ [الرعد: ١٧](٥).

---

(١) أخرجه الطبري بسنده من طريق عطية العوفي عن ابن عباس (٢٢/ ٤١٣)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٥٣)، وابن كثير (١٣/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه الفراء بإسناده (٣/ ٢٨٠)، والطبري من طريق الفراء (٢٤/ ٥٤٨)، بإسناد الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انظر: المحتسب لابن جني (٢/ ٣٦٨)، والآية المرادة ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٤، ٥].

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٠٣) [٣٢٥٣]، وضعف محقق ابن أبي حاتم إسناده (٢/ ٧٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤١٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ٤٢٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٩٩، ٥٠٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى أبي عبيد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم (٨/ ٤٢٢).

٨ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠] قال: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: هذه وعيد، فأولى لهم، ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١](١).

٩ - عن الضحاك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]. قال: هذه مفصولة، سماهم الله صديقين بأنهم آمنوا بالله وصدقوا رسله، ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾: هذه مفصولة(٢).

١٠ - عن الضحاك قال: قال الله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥] إلى قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾.

يقول: المحسنون كانوا قليلاً، هذه مفصولة، ثم استأنف فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(٣).

١١ - عن الشعبي قال: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦] فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٧](٤).

١٢ - عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي: ومن في الأرض ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أي: طائعاً وكارهاً(٥).

وذكر ابن أبي زمنين هذا التفسير عن الحسن عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣](٦).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة (٢/ ١٨٢) [٢٨٨٥]، وزاد: يقول: طاعة الله وقول معروف عند حقائق الأمور خيرٌ لهم، والطبري بسنده عن ابن ثور عن معمر عن قتادة (٢١/ ٢١١)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، الدر المنثور (١٣/ ٤٣٤)، وهو ما فسَّر به ابن أبي زمنين الآية (٤/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤١٣، ٤١٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٠٨)، والمروزي في قيام الليل انظر: مختصر قيام الليل (ص٣٨، ٣٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٣/ ٢١٣).

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وقال: صحَّ عن الشعبي. انظر: الإتقان (٢/ ٥٤٣)، والدر المنثور (١٤/ ١١٨)، وكذا قال ابن الجزري: وصحَّ عندنا عن الشعبي (١/ ٢٢٥).

(٥) أورده ابن أبي زمنين في تفسيره (٢/ ٣٥١).

(٦) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠٠).

١٣ ـ عن السدي عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾: قل ما كان للرحمٰن ولدٌ، وهذا كلامٌ تامٌ ثم استأنف فقال: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي: الموحدين من أهل مكة(١).

وروي هذا التفسير للآية عن طائفة من السلف كابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وابن زيد، وغيرهم(٢).

❁ المسألة الرابعة ❁

المأثور عنهم في الوقوف بين أفراد الآيات بعد اكتمال الآية والتي تليها، ومقصده التفسير، ويمكن أن يسمى (الوقف التفسيري)

١ ـ عن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته ثلاث عرضات، أوقفه عند كل آية، أسأله فيم أُنزلت؟ وفيم كانت؟ وبلفظ: فيمن أُنزلت؟ وفيم أُنزلت؟ وفي لفظ: أوقفه عند كل آية وأسأله عنها(٣).

٢ ـ عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال: تدري فيم أُنزلت؟ قلت: لا، قال: أُنزلت في كذا وكذا، ثم مضى(٤).

٣ ـ عن أبي مجلز رضي الله عنه قال: كنا عند قارئ يقرأ، فمرَّ بهذه الآية:

---

(١) ساقه بهذا اللفظ عن السدي الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٤١).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٨)، المحرر الوجيز (٧/ ٥٦٤، ٥٦٥)، زاد المسير (٧/ ٣٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١١٩)، التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٩١) [٧٩٢]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٥٨) [٣٠٩١٧، ٣٠٩١٨]، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢١٦) [١٨٦٦، ١٨٦٧، ١٨٦٨]، والدارمي في سننه (١/ ٧٢٥، ٧٢٦) [١١٦٠]، والطبري بسنده في مقدمة تفسيره (١/ ٨٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ٦٤) [١١٠٩٧]، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٦٧٤) [٣١٥٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٥)، والذهبي في تذكرة الحفاظ وحسَّن إسناده (٢/ ٧٠٦)، وفي سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٨)، ورواه الخلال في السُّنَّة مختصراً ليس فيه محل الشاهد (١/ ٢٢٣) [٢٦٥].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (ص٧٦٩) [٤٥٢٦].

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦] فقال للقارئ: قف، بلغني أنها سبعون درجة بين كل درجتين سبعون عاماً للجواد المضمر(١).

المسألة الخامسة

جملة الآثار التي يستدل بها علماء الوقف والابتداء على أنواع الوقوف

١ ـ عن عمر ﷺ أن النبي ﷺ كان يُقطِّع قراءته ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخرها(٢).

٢ ـ عن أُبي بن كعب ﷺ قال: أتينا رسول الله ﷺ فقال: **«إن الملك كان معي فقال لي: اقرأ القرآن»**، فعدَّ حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: **«ليس منها إلا كافٍ شافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو تختم آية رحمة بعذاب»**(٣).

وفي معناه حديث أبي هريرة(٤)، وحديث عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٢٦٠) [٩٥٤٥].

(٢) عزاه السيوطي إلى السِّلفي في انتخاب حديث الفراء، قال: ورجاله ثقات. انظر: جامع الأحاديث (٢/ ١٦٣) [٢٦٤٠].

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٨٤، ٨٥) [٢١١٤٩]، وأبو داود في سننه (ص٢١٩) [١٤٧٧]، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١٢٢، ١٢٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٨٢، ٢٨٣) [٢٠٣٧١]، والضياء في المختارة (٣/ ٣٧٨، ٣٧٩) [١١٧٣]، والسخاوي في جمال القراء (٢/ ٥٤٩) [٣١١٣]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥/ ٢١٧)، ورواه عبد الرزاق في المصنف بنحوه (١١/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٤) حديث أبي هريرة رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١٣) [٣١٠١]، والطبراني في تفسيره (١/ ٤٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٨٨).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٧٠، ٧١) [٢٠٤٢٥]، والطبري في تفسيره (١/ ٣٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١٢٦، ١٢٧) [٣١١٨]، والسخاوي في جمال القراء (٢/ ٥٥٠)، وابن الجزري في التمهيد (ص١٦٨)، وعزاه الهيثمي في المجمع إلى الطبراني وقال: وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيئ الحفظ وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. اهـ. (٧/ ٢٢٧).

٣ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله: «**اقرأ عليَّ**» قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**»، قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال لي: «**كُفَّ أو امسكْ**» فرأيت عينيه تذرفان(١).

وفي بعض ألفاظه: قال: «**فغمزني**»(٢)، وفي رواية قال: «**حسبك الآن**»(٣).

وجاء في حديث ابن مسعود مع خبَّاب رضي الله عنهما وفيه: فقرأت عليه خمسين آية من مريم، فقال: «**خبَّاب: حسبك**»(٤).

٤ ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ **يقطع قراءته، يقول:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ ثم يقف ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ ثم يقف، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ص٩٠٥)، كتاب فضائل القرآن، باب: البكاء عند قراءة القرآن [٥٠٥٥]، وكرره في [٥٠٥٦] و[٥٠٤٩]، ومسلم في صلاة المسافرين، فضل استماع القرآن من حافظه (١/ ٣٦٠) [٢٤٧]، وفي ألفاظه: رفعت رأسي أو غمزني رجل على جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل، وبهذه الألفاظ عند ابن أبي شيبة (١٩/ ١٢٣) [٣٥٥٦٠].

(٢) كما عند النسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٢٥٢) [٨٠٢٢]، وأبي يعلى (٩/ ٥) [٥٠٦٩].

(٣) كما عند البخاري (ص٩٠٤) [٥٠٥٠]، والنسائي في الكبرى (٢/ ١٢٥٢) [٨٠٢٤].

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٧/ ١٢٤، ١٢٥) [٤٠٢٥]، والبزار (٤/ ٣٢٠) [١٥٠٦]، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٤٢٥) [٥٠٠٨]، والشاشي في مسنده (١/ ٣٦٠، ٣٦١)، [٣٤٩] و[٣٥٠].

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٣٢٥) [٢٠٩، ٢١٠]، وأحمد في مسنده بنحوه (٤٤/ ٣٢٤) [٢٦٧٤٢] وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الشيخين، وأبو داود (ص٥٦٦) [٤٠٠١]، والترمذي (ص٦٥٨) [٢٩٢٧]، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٦٩)، وأبو يعلى (١٢/ ٤٥٢) [٧٠٢٢]، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١١٩) [١٣٤٤]، والطحاوي في المشكل (١٤/ ٨، ٩) [٥٤٠٦] [٥٤٠٨]، والنحاس في القطع والائتناف (١/ ١١)، (٢/ ٧٦) [١١٧٥]، والطبراني (٢٣/ ٢٧٨) [٦٠٣]، والدارقطني وصححه (٢/ ٨٦) [١١٩١]، والحاكم (٢/ ٦٠٦) [٢٩٦٤] و[٢٩٦٥]، والداني في المكتفى (١/ ١١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢٠، ٥٢١) [٢٥٧٨]، والسخاوي في جمال القراء (٢/ ٥٤٨)، وابن الجزري في التمهيد (ص١٧٤)، وبنحوه عند ابن أبي شيبة (١٥/ ٥١٥، ٥١٦) [٣٠٧٧٧]، وابن خزيمة بنحوه [٤٩٣]، وقد قال ابن الجزري عن هذا الحديث: وهو حديث حسن وسنده صحيح، النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٦).

التأصيل

١ ـ استند علماء الوقف والابتداء في تقرير أهمية هذا العلم وأصالته على أثر علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر ـ خاصةً ـ وعوَّلوا عليهما في مد جذور هذا الفن إلى الصدر الأول، وأنه متلقىً عن النبي ﷺ علَّمه أصحابه كما علَّمهم ألفاظ القرآن.

وفي الجملة لا تكاد تخلو كتبهم في الوقوف من الافتتاح بهذين الأثرين وجعلهما من أدلة علو شأن العلم وأثريته.

وممن جعل هذين الأثرين عمدته:

النحاس، والداني، والنكزاوي، والجعبري، وابن الجزري، والأشموني، والصفاقسي، والقسطلاني، وغيرهم(١).

وهذه قطوف من أقوالهم:

ـ قال النحاس: «فهذا الحديث ـ يقصد حديث ابن عمر ـ يدل على أنهم كانوا يتعلمون التام كما يتعلمون القرآن، وقول ابن عمر: (لقد عشنا برهة من الدهر) يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة»(٢).

وقال الداني: «ففي قول ابن عمر دليلٌ على أن تعليمهم ذلك توقيف من رسول الله ﷺ وأنه إجماع من الصحابة»(٣).

وقال ابن الجزري: «ففي كلام علي ﷺ دليل على وجوب تعلمه ومعرفته، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة ﷺ وصحَّ بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح»(٤).

وقال القسطلاني بعد إيراد أثر ابن عمر: «مما قد يُفهم إجماع الصحابة

---

(١) انظر: القطع والائتناف لابن النحاس (١/ ١٢)، المكتفى للداني (ص١٠٤)، الاقتداء للنكزاوي (٢٠٣)، الاهتداء في الوقف والابتداء للجعبري (١/ ١٠)، النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٥)، لطائف الإشارات (١/ ٤٩)، تنبيه الغافلين (ص١٢٨)، منار الهدى للأشموني (ص٥)، وممن أورد الأثرين أو أحدهما ابن يالوشة في كتابه الفوائد المفهمة (٤٧)، وابن عطا الله الفضالي المصري البصير في كتابه الجواهر المضيئة على المقدمة الجزرية (ص٣٤٦، ٣٤٧).

(٢) القطع والائتناف (١/ ١٢). (٣) المكتفى (ص١٠٤).

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٥).

على تعلمه»[١].

وأمام الاستشهاد بهذه الآثار ـ أثر علي وابن عمر خصوصاً ـ وإقامتها دلائل على تعلم الوقف وأهميته وتتميم ذلك بالإجماع على تعلمه وتعليمه، كان للبعض رأيٌ فيما يؤخذ من هذه المرويات، فقد قال الملا علي قاري متعقباً قول ابن عمر: **«وما ينبغي أن يوقف عنده منها»**:

«ولا يبعد أن يراد بها الآيات المتشابهة في معناها، فليس في الحديث الثاني نص على الوقف المصطلح عليه». اهـ[٢].

وقال ابن عقيلة: «كذا ذكر القسطلاني، والسيوطي ـ رحمهما الله تعالى ـ أن معنى ما يوقف عنده في خبر ابن عمر هو الوقف على القراءة، والظاهر خلاف ذلك، وأن المعنى: ما ينبغي أن يوقف من الأحكام الشرعية ولو كان المراد ما ذكروه لقيل: ما يوقف عليه فليتأمل، والله أعلم». اهـ[٣].

قلت: وفي النفس من استشهادهم بأثر ابن عمر رضي الله عنهما شيء، ومع ما في مخالفة أقوال هؤلاء الأئمة الأعلام من الحرج، إلا أني أجزم بأنه استدلال في غير موضعه، وأن قول ابن عمر: **«وما ينبغي أن يُوقف عنده منها»** ونحوها من العبارة ليس في علم الوقف والابتداء لا من قبيل ولا دبير.

وتأمل ألفاظ الأثر وسياقه واقتران هذه الجملة بقوله: «فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها... وما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منها».

فتقطع بأنه لم يُرد الوقوف بمعناها الاصطلاحي، فإن ضمها مع تعلم الحلال والحرام، والأوامر والزواجر دليلٌ على خلاف ما ذهبوا إليه، ثم إن ابن عمر ينعى على من أُوتي القرآن يقرأه ولا يعمل بما فيه، أفتراه ينعي عليهم أنهم لا يعلمون الوقوف؟ إنما المراد: الوقوف عند أحكام القرآن وفرائضه وحدوده.

ومما شاع وصف بعضهم بأنه كان وقَّافاً عند كتاب الله عز وجل، كما في

(١) لطائف الإشارات (١/ ٢٤٩).
(٢) المنح الفكرية (ص٢٥٩).
(٣) الزيادة والإحسان (٣/ ٤١٢، ٤١٣).

قصة عمر مع عيينة بن حصنٍ، وفيه: «فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقَّافاً عند كتاب الله ﷻ»[(١)]، فهل عنى بهذا علم الوقف والابتداء؟

٢ ـ في أثر علي ﷺ ما يوثق الصلة بين علم الوقف والابتداء، وعلم الأداء القرآني، أو قل تجويد حروفه وترتيل ألفاظه، فيتجاذب علم الوقف جهتان:

الأولى: تجويد القرآن وما يتعلق بكيفية الأداء القرآني وترتيله.

والثانية: علم التفسير، فإن تعيين ما يوقف عنده من آي القرآن متفرع عن إدراك المعنى، فالعلم بتأويل الآيات وتفسيرها سبيل إلى وقوفٍ معتبرٍ.

فالإمام علي ﷺ نبَّه في قيله إلى أحد جانبي هذا العلم، وفي بقية آثارهم كشف الجانب الآخر المتصل بعلم الوقوف.

ولا يغيب في هذا المقام أن ربط ترتيل القرآن وتجويده بعلم الوقف والابتداء مستلزمٌ التحري عن معنى الآية وفهم مرادها؛ لكي يتسنى للقارئ الوقوف حيث يحسن الوقوف، وعليه فهذا الأثر النفيس أشار لعلاقة هذا العلم بالتجويد بصريح العبارة، وألمح لصلته بالتفسير إشارةً، والله أعلم.

٣ ـ علق الإمام الداني على أثر ميمون بن مهران بقوله: «فهذا يعني أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يتجنبون في قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض ويتعلق آخره بأوله؛ لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم، إذ هو من كبار التابعين وقد لقي جماعةً منهم»[(٢)].

قلت: وإنما قال ابن مهران: إنما كانت القراء تقرأ القصص وإن طالت أو قصرت... على وجه التأكيد في حسن اختيار الوقوف، والتزام ذلك حتى لو طالت القراءة، وما عادتهم في استيفاء آيات القصص قراءة إلا من هذا المعنى.

ويلاحظ هنا أن الوقوف المقصود ما كان بين الآيات يعني: بعد اكتمال الآية والتي تليها، أو قل: على رؤوس الآي وليس في أثناء الآية.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (ص٧٩٥) [٤٦٤٢].

(٢) المكتفى (ص١٠٥).

وهو أحد نوعي الوقف، وسيأتي مزيد إيضاح، وإذا كان منهجهم وَصْلَ الآيات المترابطة في المعنى المتصلة في السياق فلا يقفون على رأس آية ويقطعون القراءة عليها وهي آخذة برقاب الآي التاليات بعدها في المعنى، فإن اختيار ذلك والحرص على استتمام المقصود أثناء الآيات وقبل رؤوسها آكد وأولى.

٤ ـ ما أحسن قول ابن مسعود ﷺ: «الوقف منازل القرآن»، وما أبهاها من كلمة، فإن البصير بالمنازل لا يعدل عن النزل الآمن وموطن الخصب والكلأ إلى ضد ذلك، فكذلك القارىء لا يقف على ما لا يُحسن فيختل المعنى أو يقبح الظاهر، وإنما يتتبع في وقوفه وابتدائه المعاني الفائقة والجمل اللطيفة كما يتتبع السائر النزل الحسنة والمقام اللائق.

٥ ـ أورد الإمام البيهقي أثر عبد الله بن أبي الهذيل المتقدم تحت فصل:

في تقطيع آية آية في القرآن، وجعله صِنواً لحديث أُم سلمة ﵂ المشهور في أنه ﷺ كان يُقطع قراءته، أو كانت مفسرة حرفاً حرفاً[1].

ويدل هذا على ما يفهم من أثر ابن أبي الهذيل بأن لا يتم الوقوف في أثناء الآية، بل لا بد من إتمامها والوقوف على رأسها وفاصلتها.

أما ابن الجزري فأتى بهذا الأثر على اختلاف ألفاظه عند بحثه في الفرق بين الوقف والقطع والسكت، وقال: «قال الخزاعي: في هذا دليل على أنه لا يجوز قراءة بعض الآية في الصلاة حتى يتمها، فيركع حينئذ، قال: فأما جواز ذلك لغير المصلي فمجمعٌ عليه، قلت: كلام ابن أبي الهذيل أعم من لك، ودعوى الخزاعي الإجماع على الجواز لغير المصلي فيها نظر، إذ لا فرق بين الحالتين...» ـ ثم ساق الأثر بلفظ آخر ـ وقال: «وهذا أعم من أن يكون في الصلاة أو خارجها، وعبد الله بن أبي الهذيل هذا تابعي كبير، وقوله: كانوا يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك، والله تعالى أعلم».اهـ[2].

أما في مؤلفه (غاية النهاية) فعقب على هذا الأثر قائلاً: «وقد حمله

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٥٢٠، ٥٢١) [٢٥٨٨].

(٢) النشر (١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

أئمتنا على أن مراده بذلك القراءة في الصلاة ونحو ذلك من القطع لا الوقف، والله أعلم»[(١)].

ويستخلص من هذا أن البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ يفهم من أثر ابن أبي الهذيل أنهم كانوا لا يقفون على جزء من الآية حتى يتموها ويقفوا على فاصلتها، ولذلك أورده مع حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في تقطيع القرآن آية آية.

وابن الجزري عمَّم قوله هذا فجعله مراداً في الصلاة وفي خارجها لا مخصوصاً بالصلاة، كما قاله بعضهم.

وأورد الأثر تحت بيان الفرق بين الوقف والقطع والسكت، وقرر أن هذه العبارات عند كثير من المتقدمين مرادٌ بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة، وأما عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فإن القطع عندهم عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء[(٢)].

وجعل أثر ابن أبي الهذيل ـ حين ترجم له في غاية النهاية ـ من القطع لا من الوقف[(٣)].

وهذا يدل على أنه أجرى قوله في الأثر (يقطعون) على ما اصطلح عليه المتأخرون من أنه يعني الانتهاء من القراءة لا الوقف بمعناه الاصطلاحي، مع تقريره أن المتقدمين يعبرون عن الوقف بألفاظ مختلفة وهي: الوقف، والقطع، والسكت.

وهو حملٌ لمصطلح (القطع) الذي يعني به المتقدمون (الوقف) على المصطلح اصطلاح المتأخرين، ولذلك فسَّر كلام ابن أبي الهذيل على الانتهاء من القراءة لا الوقف المتعارف عليه، وهذا ـ والله تعالى أعلم ـ ليس بسديد، بل تُحمل ألفاظ المتقدمين على اصطلاحاتهم وما يريدون منها لا على ما استقر عليه المتأخرون.

أما أبو عبيد القاسم بن سلام فقال عن الأثر: «وأما حديث عبد الله فإنما وجهه عندي أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامها، ثم يبدو له في أُخرى،

---

(١) غاية النهاية (١/ ٤٦٣).
(٢) النشر (١/ ٢٣٨، ٢٣٩).
(٣) غاية النهاية (١/ ٤٦٣).

فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن فليس هذا عندنا من فعل أهل العلم، إنما يفعله الأحداث ومن لا علم له...». اهـ[(١)].

وهذا التوجيه من الإمام أبي عبيد يُخرج الأثر عن علم الوقف والابتداء، وظاهر كلامه جعل معنى الأثر من التخليط في القراءة، والتنقل من سورة إلى أُخرى دون مراعاة الترتيب، فكلما عنَّت له سورة قرأها وترك ما كان يقرأ، وربما وقف على ما لا يحسن الوقوف عليه منتقلاً إلى موضع آخر. والله أعلم.

وفي أثر الشعبي الذي قال فيه: فلا تسكت حتى تقرأ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٧] وضوحٌ في إطلاق السكت مراداً به الوقف بمعناه الاصطلاحي، وهذا قرَّره ابن الجزري ـ وتقدم ـ حين ذكر أن الوقف والقطع والسكت عند الأقدمين مرادٌ به الوقف، فهي ألفاظ مختلفة في مبانيها لكنها دالة على معنى واحد متحد.

٦ ـ نصت طائفة من المرويات عن الصحابة والتابعين على أماكن الوقوف في بعض الآيات القرآنية، وجمعت منها ما هو مبثوث في دواوين السُّنَّة والأثر، ومن المسائل التأصيلية المستقاة من هذه الآثار:

أ ـ تعدد مسميات هذا العلم عندهم إلى: القطع الاستئناف، أو الفصل والوصل، القطع والاستقبال، القطع والوصل، وكثيراً ما يكتفون بقولهم: مفصولة، أو انقطع الكلام ثم استأنف، فيلفظون بأحد شقي العِلْم ويظهر الآخر مفهوماً من السياق.

وقد يجمعون بين شقي المصطلح فيقولون: هذه مفصولةٌ ثم استأنف، انقطع الكلام ثم استقبل.

وبان بهذا تطور تسمية العلم وتدرج المصطلح، حتى استقرعلى **الوقف والابتداء** وليست هذه التسمية ذائعةً في آثارهم، ولهذا فالنحاس كان أوفق علماء الوقوف في تسمية كتابه: القطع الائتناف؛ لأن في نصوصهم ما يتطابق مع هذه التسمية.

---

(١) فضائل القرآن (١/ ٣٦٢).

ولا يفوت هنا أن يُشار إلى أن كلمة الوقف لم تظهر في آثارهم التي تنص على الوقوف في بعض الآيات، إنما ظهرت في مرويات جلَّت أهمية العلم وعلو كعبه، كقول ابن مسعود ﷺ: **الوقف منازل القرآن**، وقول علي: **التجويد معرفة الوقوف**، وأثر ابن عمر: **وما ينبغي أن يوقف عنده منها**.

ب ـ أن هذه طريقة من طرائق ثلاثٍ تُعرِّف مواطن الوقوف والابتداء المأثورة عن الصحابة والتابعين، فهم نصُّوا على مكان الوقف من الآية وما يبتدئ به بعدها، وبقيت طريقتان هما:

الأولى: من خلال القراءات القرآنية الشاذة التي تُبين عن الوقوف في الآية.

وأظهر مثال على ذلك ما جاء في سورة آل عمران ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

ففي قراءات ابن مسعود، وابن عباس، وأُبي بن كعب ﷺ[١] ما يكشف عن أنهم يقفون على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧] وأبان ذلك قراءاتهم التفسيرية.

الثانية: التمعنُ في تفسيرهم الآيات وأقوالهم في التأويل طريقةٌ دقيقةٌ جليلةٌ تقود إلى العلم بمواطن الوقوف عند السلف.

وهذه الطريقة ليست من الظهور بمكانٍ، ولا تقارن الطريقتين الأُخريين في الوضوح، وهي تقوم على محورين:

الأول: تأمل تفسيرات السلف وفهمها.

الثاني: تركيب مواطن الوقوف على تلك المعاني.

وهذه أمثلة إذا تدبرت تفسيراتهم استخلصت منها مواطن الوقوف:

- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢].
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، تفسير الطبري (٥/ ٢١٨)، المصاحف لابن أبي داود (١/ ٣٠٩)، تفسير ابن المنذر (١/ ١٣٠) [٢٥٤]، المحرر الوجيز (٢/ ١٦٣)، البحر المحيط (٢/ ٤٠١).

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].
- قوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١].
- قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].
- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

ج ـ يمكن تقسيم الوقف باعتبار **محل الوقف** إلى قسمين:

الأول: وقف أثناء الآيات وقبل الوقوف على فاصلتها.

وهذا ما اشتغل به علماء هذا الفن وأكثروا من تقسيماته والتقعيد لما يحسن منه وما ليس بذلك، وما يتصل به المعنى ويتم، وما هو خلاف ذلك.

الثاني: الوقف بين الآيات، ويعني: بعد الوقوف على رأس الآية وقبل الشروع في التي تليها.

وهذا الوقف يغاير القطع؛ لأن القطع انصراف عن القراءة وانتهاء من التلاوة، أما هذا الوقف فلا تزال التلاوة متواصلة لم يُنته منها بعد.

وهذا الوقف لها مقاصد ظهر منها: **إرادة التفسير وبيان المعنى.**

ومن أعلى أمثلته وأبينها أثر مجاهد المشهور، وهو أنه كان يستوقف ابن عباس عند كل آية يسأله عن تفسيرها حتى ختم القرآن ثلاث مرات من فاتحته إلى خاتمته يسأله عن كل آية ما أُريد بها.

فهذا الأثر أصلٌ لما يسمى: **الوقف التفسيري.**

بمعنى: الوقف على رأس كل آية وقطع القراءة بمقدار ما يُعرف المعنى، وقد اكتسب هذا النوع المشروعية من إقرار ابن عباس صنيع مجاهد ورضاه عن عمل تلميذه.

ومن الأمثلة الأُخرى لهذا القسم من قسمي الوقف أثر ابن عمر رضي الله عنهما حين توقف عن قراءة سورة البقرة، وعلَّم نافعاً تلميذه ما أُريد بقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وكذا أثر أبي مجلز عند قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وبهذا يُعلم أن نصوصهم خلت من العبارة الصريحة في تقسيمات الوقوف إلى ما هو عند المتأخرين، وإنما حملت آثارهم شيئاً يُلتمس منها أدلة بعض الأنواع المذكورة عند أهل الفن وعلماء الأداء، ـ وسيأتي مزيد بسط لهذا ـ.

٧ ـ في حكاية أم سلمة سُنَّة النبي ﷺ في قراءته وأنه كان يُقطعها آيةً آيةً قراءة مفسرة، فيقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ ثم يقف وهكذا، في هذا الأثر الأصل يبحث أهل الوقف والابتداء[(١)].

مسألة: الوقوف على رؤوس الآي:

يذهب طوائف من أهل العلم إلى اختيار الوقوف على رؤوس الآي مطلقاً سواء وجد تعلق لفظي أم لا.

ويَبْنُون على أثر أُم سلمة ﵂ الذي يرونه أصلاً في هذا الباب، وهذا الوقف استحبه الداني، وهو اختيار البيهقي، وجعله السخاوي مذهباً مؤيداً بحديث أم سلمة، وقال ناقلاً عن الداني: «وهو قول جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين، يستحبون القطع على الآي، وإن تعلق بعضهم ببعض»[(٢)].

وهو قول أبي عمرو البصري وكان يقول:

إنه أحبُّ إليَّ إذا كان رأس آية أن يسكت عندها[(٣)].

وذهب إلى هذا من العلماء الهذلي، وابن الجزري، والأشموني[(٤)]،

---

(١) ذكر الداني أنه أصلٌ لهذا الباب. انظر: المكتفى (ص١١١).

(٢) المكتفى (ص١٠٠ و١١٦)، شعب الإيمان (٢/ ٥٢١)، جمال القراء (٢/ ٥٥٣)، نظام الأداء في الوقف والابتداء لابن الطحان (ص٤٦)، وهو قول صاحب الطرازات المعلمة في شرح المقدمة عبد الدائم الأزهري (ص١٩٩، ٢٠٠).

(٣) انظر: المكتفى للداني (١/ ١١٠)، النشر لابن الجزري (١/ ٢٣٨).

(٤) الوقف والابتداء في كتاب الله، للهذلي (ص٣٩٩)، التمهيد في علم التجويد (ص١٧٤)، منار الهدى (ص١٢)، وقال: وهذا أصلٌ معتمدٌ في الوقف على رؤوس الآي.

وجعله صاحب «الدرر البهية في شرح المقدمة الجزرية» المشهور عند جمهور العلماء وأهل الأداء[١].

ويرى فريق من العلماء أن رؤوس الآي وغيرها سواء، وفي حكم واحد من جهة تعلق ما بعده بما قبله وعدم تعلقه، فهم يراعون المعنى لا الفواصل، ومن هؤلاء السجاوندي[٢].

وعند بعض الأئمة نظر في الاستدلال بحديث أم سلمة رضي الله عنها على مسألة سُنِّية الوقوف على رؤوس الآي.

ومنهم: الإمام الجعبري، والقسطلاني[٣].

قال الجعبري عن دلالة حديث أُم سلمة: «لا دليل فيه على دعواي؛ لأنه إنما قصد به إعلام الفواصل لمزاحمة الترصيع[٤]، ولم يضبطه قياس، وجهل قومٌ هذا المعنى فسموه وقف السُّنَّة إذ لا يُسن إلا ما فعله تعبداً، ولكن هو وقف البيان»[٥].

ورده القسطلاني من جهتين: جهة الإسناد، وضعَّف رواية (كان يُقطع قراءته) والجهة الأُخرى قال ناقلاً عن بعضهم: «... فالأظهر أنه عليه السلام إنما كان يقف ليبين للمستمعين رؤوس الآي، ولو لم يكن لهذا لما وقف على (العالمين) ولا (الرحيم) لما في الوقف عليهما من قطع الصفة عن الموصوف، ولا يخفى ما في ذلك». اهـ[٦].

والمقصود هنا وجه استدلالهم بأثر أُم سلمة رضي الله عنها على الوقف على

---

(١) الدرر البهية في شرح المقدمة الجزرية، أسامة عبد الوهاب (ص٧١).

(٢) علل السجاوندي (٣/ ١٨١)، قال ملا علي القاري بعد ذكره المذهب الأول في المسألة: لكنه خلاف ما ذهب إليه أرباب الوقوف كالسجاوندي وصاحب الخلاصة وغيرهما. اهـ. المنح الفكرية (ص٢٥٠).

(٣) الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء (١/ ١١)، لطائف الإشارات (١/ ٢٥٣).

(٤) الترصيع: أن يتعمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة، وكأن ذلك شبه بترصيع الجوهر في الحلي، وقيل هو: أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز. انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب (١٣٤ ـ ١٣٧).

(٥) وصف الاهتداء في الوقف والابتداء (١/ ١١، ١٢).

(٦) لطائف الإشارات (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

رؤوس الآي، وليس الغرض استيفاء الأقوال واستيعاب الأدلة، فإنه خارج عن المقصود.

وفي ما تقدم دلالة على ما يطلب به إنهاء القراءة والانصراف منها، وأنه بأحد أمرين:

- إما بالعبارة، كما في خبر ابن مسعود ﷺ: **«حسبك الآن»** أو **«أمسك»، وفي أثر آخر: فقال للقارئ: «قف»**.

- وإما بالإشارة، ودليله: فغمزني بيده فنظرت إليه وعيناه تذرفان.

٨ - استأثرت تقسيمات الوقوف والحديث عن أنواعه بحظ وافرٍ من جهود أهل الوقف والابتداء، ونصبوا جملة من المرويات الآنفة دلائل على ما توصلوا إليه من تقاسيم الوقوف.

الأثر الأول: حديث ابن مسعود ﷺ وقراءته على النبي ﷺ سورة النساء حتى بلغ قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] فقال: **«حسبك الآن»**.

هذا الأثر كان دليلاً عند جماعة على نوعٍ من الوقف.

قال الداني: «فأما القطع على الكافي الذي هو دون التمام، فمستعمل جائز، وقد وردت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ به، وثبت التوقيف باستعماله».اهـ. ثم ساق خبر ابن مسعود(١)، ومثله عن ابن الطحان(٢)، والجعبري(٣)، والصفاقسي(٤)، وابن الجزري(٥)، والأشموني(٦)، كلهم يجعلون هذا الحديث دليلاً للوقف الكافي، وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده إلا أن له به تعلقاً ما من جهة المعنى فهو منقطع لفظاً متصل معنى.

الأثر الثاني: حديث أُبي بن كعب ﷺ في نزول القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو تختم آية رحمة بعذاب.

---

(١) المكتفى (ص١٠٥). (٢) نظام الأداء (ص٢٦).

(٣) وصف الاهتداء في الوقف والابتداء (١/ ١١).

(٤) تنبيه الغافلين (ص١٣٤)، وقال عن استدلال الداني بخبر ابن مسعود: وهو استدلال ظاهر جلي باهر.

(٥) التمهيد في علم التجويد (ص١٧١، ١٧٢).

(٦) منار الهدى (ص١١).

وفي معناه حديث أبي هريرة وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة رضي الله عنهم وغيرهم.

قال ثلةٌ من علماء الوقف:

هذا تعليم التمام من رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام إذ ظاهره دالٌّ على أنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب، ويفصلها مما بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة أو الثواب، والضد في ذلك لازم أيضاً.

هذا ما قرره الداني[(١)]، وتبعه ابن الطحان[(٢)]، وهو قول ابن الجزري[(٣)]، وقبلهم الإمام النحاس[(٤)]، وكلام الداني ههنا تعقبه السخاوي فقال: «وليس الأمر كما ذكر أبو عمرو، بل الحديث يدل على أن القارئ يقف حيث شاء لقوله: (كافٍ شافٍ) ولم يرد بالفصل وترك الوصل أن الكلام قد تم، وإنما أراد أن القارئ إذا وصل غيَّر المعنى وقلبه؛ لأنه إذا قال: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ﴾ [الرعد: ٣٥] غيَّر المعنى وصيَّر الجنة عقبى الكافرين، ألا ترى أنه لو قرأ ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] لم يكن في ذلك شيء، وإن كان قد وصل المغفرة بالعذاب، وإنما الممنوع تغير المعنى بسبب الوصل»[(٥)].

قلت: جعلهم قوله ﷺ: **«كلها كافٍ شافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو تختم آية رحمة بعذاب»** دليلاً على الوقف التام فيه نظر، فهذه الجمل جاءت في سياق الحديث عن الأحرف السبعة، ومع ذلك فسروها بما يُحتج به على هذا النوع من أنواع الوقوف.

وهذا غريب، ومردّ غرابته إلى أمرين:

الأول: أن السياق في الحديث عن نزول القرآن على سبعة أحرف لا عن الوقف والابتداء.

الثاني: أن الحديث لم يتضمن ألفاظاً دالة على الوقوف من نحو: الوقف، أو القطع، أو السكت، بل قال: ما لم تختم آية رحمة بعذاب، وهي عبارة لا تدل على الوقف ولا تشير إليه.

---

(١) المكتفى (ص١٠٣).
(٢) نظام الأداء (ص٢٣، ٢٤).
(٣) التمهيد في علم التجويد (ص١٦٧، ١٦٨).
(٤) القطع والائتناف (ص١٣).
(٥) جمال القراء (٢/ ٥٥٠، ٥٥١).

قال ابن عقيلة معقباً على هذا الأمر:

«وما ذكر من حَمْل (كافٍ) على الوقف الكافي أو التمام بعيد»[(١)].

الأثر الثالث: حديث أُم سلمة رضي الله عنها الشهير في وصفها قراءة النبي ﷺ وتقطيع القراءة آيةً آيةً، كان دليلاً عند بعض الأئمة على الوقف الحسن، وهو ما ذهب إليه الداني[(٢)]، وابن الطحان[(٣)]، وابن الجزري[(٤)]، والصفاقسي[(٥)]، والأشموني[(٦)].

ومهما يكن من شيء فإن مرويات الصحابة والتابعين خلت من هذه التقاسيم للوقوف، ولم تجعلها على أنواع متعددة كما هو صنيع علماء الوقوف، لكن المتأخرين توسَّعوا في تنويع الوقف وتقسيمه وبَنَوْا على آثارٍ عن الصحابة وما تلقوه من النبي ﷺ، وضبطوه من قراءته دلائل على تلك التقسيمات، واستنبطوا أنواعاً استندوا في تقريرها، واجتهدوا في تدعيمها بتلك النصوص التي تُجتلى منها، وتَستخْرِجُ ما لم تذكره صراحةً.

علم الوقف والابتداء عند أهل علوم القرآن

أ ـ تسمية هذا العلم: استقرت تسمية هذا العلم بعلم (الوقف والابتداء) حتى أصبحت لازمة لمن ألف في هذا الفن.

ومضى أنه يستنطق من مرويات السابقين عدة تسميات ليست محصورة على ما درج عليه أهل الفن آخر الأمر، فكان عند الأوائل: القطع والاستئناف، أو الفصل والوصل ونحو ذلك.

ثم تطورت التسمية حتى استقرت على ما هي عليه الآن، والأمر في ذلك يسير، وقد عرفت إطلاقاتهم في هذا العلم الجليل، وكان النحاس أوفق المؤلفين تسمية، إذ عنون لكتابه بـ: القطع والائتناف، وهو إطلاق كثر في آثار الصحابة والتابعين.

ومن جهة أُخرى فإن هناك علماً سُمي فيما بعد (المفصول والموصول)

(١) الزيادة والإحسان (٣/٤١٦).
(٢) المكتفى (ص١١٠).
(٣) نظام الأداء (ص٢٦).
(٤) التمهيد في علم التجويد (ص١٧٤).
(٥) تنبيه الغافلين (ص١٣٦).
(٦) منار الهدى (ص١٢).

وهو علم مستقل ذو صلة وثيقة بعلم الوقف والابتداء، لكنه منفصل عنه تسميةً وإفراداً، وتمايز العلوم ووضوح معالمها بحيث تستقل عن غيرها خصيصة هذا الزمان.

وفي مروياتهم التعبير عن الوقف بالفصل، فكانوا يقولون: هذه مفصولة، أو هذه مفصولة ثم استأنف(١).

ب ـ **تابع أهل علوم القرآن علماء الوقف والابتداء** ونقلوا نصوصهم التي جعلوها أُسساً في أهمية العلم ووجوب تعلمه وتعليمه، وساقوا أثر علي بن أبي طالب، وابن عمر رضي الله عنهم الذي جعله السيوطي الأصل في هذا العلم، واستأثرت النقول عن أئمة علم الوقف بنصيب وافر من كتاباتهم(٢).

وأجاد ابن عقيلة المكي في تمحيص هذه الآثار ونقده لمن عدَّها أصلاً في أهمية الوقف والابتداء وتعلمه وتعليمه، وسبق ذكر ذلك(٣).

وفي الجملة كان علماء فنون القرآن مستندين إلى أئمة علم الوقف والابتداء في مسائل العلم وموضوعاته.

فبخلاف النصوص التي اعتمدها علماء الوقف وتبعهم عليها أهل علوم القرآن، كانت المسائل التي ضمنوها مؤلفاتهم متكئين على علماء الفن مستفيدين من كلامهم ما يلي:

١ ـ تقسيم الوقوف إلى أنواع عُضِّد بعضها بنصوص مأثورة.

٢ ـ مسألة الوقوف على رؤوس الآي والخلاف فيها(٤).

٣ ـ بعضهم عرض لاصطلاح المتقدمين في ألفاظ: الوقف، والقطع

---

(١) انظر في تسمية العلم بالوقف والابتداء: جمال القراء للسخاوي (٢/ ٥٤٨)، البرهان للزركشي (١/ ٤١٥)، الإتقان للسيوطي (٢/ ٥٣٩)، الزيادة والإحسان وسماه: علم الوقوف (٣/ ٤١٠)، والسيوطي في التحبير عكس العنوان فجعله: الابتداء والوقف. انظر: (ص١٧٤).

(٢) جمال القراء للسخاوي (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣)، البرهان (١/ ٤١٥)، الإتقان (٢/ ٥٣٩، ٥٤١)، الزيادة والإحسان (٣/ ٤١٢).

(٣) الزيادة والإحسان (٣/ ٤١٢، ٤١٣).

(٤) انظر: جمال القراء للسخاوي (٢/ ٥٥٣)، البرهان للزركشي (١/ ٤١٥)، الإتقان (٢/ ٥٣٩)، الزيادة والإحسان (٣/ ٤١٢).

والسكت، وما تقرر عند المتأخرين، وساق أثر ابن أبي الهذيل[١]، ولم يخلُ من نقولٍ لابن الجزري وغيره من أصحاب الشأن.

ج - مما استرعى الانتباه أن كثيراً من مؤلفات المعاصرين التي قصدت ضم علوم قرآنية مجموعة تحت مؤلف واحد، قد تركت علم الوقف والابتداء، فلم تفرده بالذكر مع تلك العلوم، ولعل سبب ذلك اختصاص علم الوقوف بمصنفات مستقلة مع تجاذب علوم متعددة له كعلم التفسير وعلم التجويد، إضافة لعلوم القرآن.

(١) انظر: الإتقان (٢/ ٥٦٠، ٥٦١).

الفصل الثاني

علم المفصول والموصول

وفيه أربع مسائل:

- المسألة الأولى: الروايات المصرحة «مرويات الصحابة».
- المسألة الثانية: الروايات غير المصرحة «مرويات الصحابة».
- المسألة الثالثة: الروايات المصرحة بالعلم «مرويات التابعين».
- المسألة الرابعة: الروايات غير المصرحة «مرويات التابعين».

[علم المفصول والموصول]

المسألة الأولى

الروايات المصرحة

(أ) مرويات الصحابة

١ ـ أثر عن ابن عباس ﵄ في بيان المحكم والمتشابه من القرآن ـ قوله: هو التقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام[1].

٢ ـ عن ابن عباس ﵄ في قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

قال: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هذه مفصولة عن ﴿وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2].

٣ ـ عن عطية العوفي عن ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: ١٩]، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾ هذه مفصولة، ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[3].

٤ ـ قال ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣] قال:

---

(١) تقدم تخريجه في: **نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره.**

(٢) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء.**

(٣) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء.**

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فانقطع الكلام وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهو في أول الآية تخبر عن المنافقين، قال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني بالقليل «المؤمنين»(١).

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ تم الكلام هاهنا، شهد له بالرسالة ثم قال مبتدئاً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾(٢).

۞ المسألة الثانية ۞

الروايات غير المصرحة

أمثلة ذلك.

١ ـ عن علي رضي الله عنه قال: سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١] ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحولٍ غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم، فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في إثرها، فأنزل الله تبارك وتعالى بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠١، ١٠٢]، إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢] فنزلت صلاة الخوف(٣).

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٠٧)، قال ابن كثير: وهذا سياق غريب جداً، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥١)، قال أحمد شاكر: وكان في المخطوطة والمطبوعة: (يوسف عن أبي روق) والصواب (سيف) كما في تفسير ابن كثير ومما سيأتي في كلام أبي جعفر، وهو سيف بن عمر التميمي وهو متروك الحديث، أما (عبد الله بن هاشم) فلم أجد له ذكراً ولا ترجمة، ورد أبي جعفر الآتي بعدُ دالٌّ على تضعيفه هذا الحديث.اهـ. تفسير الطبري، بتحقيق: الشيخ أحمد شاكر (٩/ ١٢٦).

وروي مثله عن أبي أيوب الأنصاري[١].

وعن ابن عباس كذلك[٢].

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله[٣].

وجاءت قراءة ابن عباس رضي الله عنهما تبين موضع الانفصال في الآية.

«وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به»[٤]، ومثلها قراءة أُبي بن كعب وابن مسعود[٥].

٣ ـ في قوله تعالى في قصة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٢، ٥٣].

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما اجتمع الملك بالنسوة قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] فغمزه جبريل عليه السلام فقال: ولا حين هممت بها؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣][٦].

وروي عن أنس موقوفاً، وفي بعض المصادر مرفوعاً نسبة هذا القول إلى ابن عباس[٧].

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت بلقيس: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً

---

(١) ذكر ذلك البغوي في معالم التنزيل (١/ ٥٨٨).

(٢) ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦٢، ٣٦٣).

(٣) تقدم تخريجه في علم: **المحكم والمتشابه**.

(٤) تقدم تخريجه في علم: **المحكم والمتشابه**.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، تفسير الطبري (٥/ ٢٢١)، المحرر الوجيز (٢/ ١٦٣)، البحر المحيط (٢/ ٤٠١).

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ٣٩٠) [١٢٥٥٠]، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٦١) [٧٢٩٠]، وزاد السيوطي نسبته إلى الفريابي، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور (٨/ ٢٧٢).

(٧) أثر أنس الموقوف، انظر: الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٢/ ٢٤٤) [٣١٤٧]، وعزاه السيوطي وساقه مرفوعاً إلى ابن مردويه، والحاكم في تاريخه. انظر: الدر المنثور (٨/ ٢٧٣، ٢٧٤).

﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤] قال: يقول الرب تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[(١)].

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٦٠، ٦١].

قال ابن عباس: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾ [الصافات: ٥٨ ـ ٦٠] قال: هذا قول أهل الجنة.

يقول الله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٦١][(٢)].

وقال قتادة مثله[(٣)].

المسألة الثالثة

الروايات المصرحة بالعلم

(أ) مرويات التابعين

أمثلة ذلك.

١ ـ عن أبي الشعثاء جابر بن زيد قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]: إنكم تَصِلون هذه الآية وهي مقطوعة، ثم يقرأ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧] فأثنى عليهم، إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧] ثم قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. ومثله عن أبي نَهيك الأسدي[(٤)].

٢ ـ عن أبي الضحى في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ١٢٢) [١٧٠٨٥].

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٢/ ٤١٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره مختصراً (١٩/ ٥٥١)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٦/ ٣١)، وزاد عزوه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعبد الرزاق. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٤١٤).

(٤) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩](١).

٣ - عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قال: وما يدريكم أنها إذا جاءت، ثم استقبل يُخبر فقال: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

٤ - عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

قال: ما أطاقت مِلأها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧] قال: انقضى الكلام، ثم استقبل فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد: ١٧](٣).

٥ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠] قال: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: هذه وعيد، فأولى لهم، ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١](٤).

٦ - عن الضحاك قال: قال الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥] إلى قوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا﴾.

يقول: المحسنون كانوا قليلاً، هذه مفصولة، ثم استأنف فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾(٥).

٧ - عن الضحاك في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]، قال: هذه مفصولة، سماهم الله صديقين بأنهم آمنوا بالله وصدقوا رسله، ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذه مفصولة(٦).

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٤١٤) [٧٧٩٧]. وزاد السيوطي عزوه إلى أبي الشيخ في الدر المنثور (٦/ ١٧٢). وقال محققو الإتقان: إسناده حسن، رجاله بين ثقة وصدوق (٢/ ٥٨٢).

(٣) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

(٤) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

(٥) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

(٦) تقدم تخريجه في علم: **الوقف والابتداء**.

٨ ـ عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي: ومن في الأرض ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أي: طائعاً وكارهاً[(١)].

وذكر ابن أبي زمنين هذا التفسير عن الحسن كذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣][(٢)].

٩ ـ عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: هذا من الموصول والمفصول، قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ في شأن آدم وحواء، يعني: في الأسماء، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: عما يُشرك المشركون، ولم يَعْنِهِما[(٣)].

وبلفظ: هذا من الموصول المفصَّل[(٤)].

وبلفظ: المفصول المفصَّل[(٥)].

وجاء عن السدي كذلك: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا فصلٌ من آية آدم، خاصة في آلهة العرب[(٦)].

١٠ ـ عن السدي عند قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾: قل ما كان للرحمٰن ولد، وهذا كلام تام ثم استأنف فقال: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي: الموحدين من أهل مكة[(٧)].

وروي هذا التفسير للآية عن طائفة من السلف كابن عباس، والحسن،

---

(١) أورده ابن أبي زمنين في تفسيره (٢/ ٣٥١).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٠٠).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٩) [٩٧٣]، والطبري في تفسيره (١٠/ ٦٣١)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٤٩) [٩٤٢٢]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٦/ ٧٠٥).
(٤) هي رواية الطبري المتقدمة (١٠/ ٦٣٢).
(٥) هي رواية عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٩) [٩٧٣].
(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٤٩، ٢٥٠) [٩٤٢٨].
(٧) ساقه الماوردي في تفسيره بهذا اللفظ عن السدي (٥/ ٢٤١).

وقتادة ومجاهد، وابن زيد وغيرهم(١).

١١ ـ عن السدي في قول الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] هذا فصلٌ من كلام عيسى، وهذا يوم القيامة(٢).

١٢ ـ عن أبي مالك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] قال: هذه مفصولة، أطاعاه في الولد، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذه لقوم محمد(٣).

۞ المسألة الرابعة ۞

الروايات غير المصرحة

مرويات التابعين

أمثلة ذلك.

١ ـ عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢]، قال: يقول المشركون: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ فيقول المؤمن: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾(٤).

وعن مجاهد قال: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم قبل يوم القيامة،

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٨)، المحرر الوجيز (٧/ ٥٦٤، ٥٦٥)، زاد المسير (٧/ ٣٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١١٩)، التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٣١٢) [٧١٠٥].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٢٥٠) [٩٤٣٠]، وساقه السيوطي عنه مسنداً في الإتقان، قال محققوه: رجاله بين ثقة وصدوق، غير محمد بن أبي حماد، لم أقف عليه، ولكن الذهبي ترجم في الميزان (٣/ ٥٢٧) لمحمد بن حماد السامري عن مهران بن أبي عمر الرازي قال: «لا يعرف وخبره منكر»، ولعله هو؛ لأنه يروي عن مهران والله أعلم. فإن كان كذلك فهو ضعيف به لما سبق من كلام الذهبي.اهـ. الإتقان (٢/ ٥٧٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/ ٢٩٧) [٣٦١٠٣].

فإذا صيح بأهل القبور يقول الكافر: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾، فيقول المؤمن إلى جنبه ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1].

وعن قتادة في قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢]. قال: أولها للكفار، وآخرها للمسلمين، قال الكفار: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ وقال المسلمون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[2].

وعن الحسن قال: ينامون قبل البعث نومة، فإذا بعثوا قال الكفار: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ قال: فتجيبهم الملائكة: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[3].

٢ ـ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

قال: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ هم اليهود، ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ﴾ قال: هذه للمسلمين[4].

وفي رواية أخرى في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ قال: قالها مشركو قريش[5].

٣ ـ عن الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [التكاثر: ٣] قال: الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ قال: المؤمنون، وكذلك كان يقرؤها[6].

---

(١) أخرجه هنّاد في الزهد (١/ ١٩٦) [٣١٧]، والطبري بنحوه عن مجاهد (١٩/ ٤٥٧، ٤٥٨)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٥٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١٧) [٢٤٩١]، وعند الطبري نحوه (١٩/ ٤٥٦، ٤٥٨)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٦٠).

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٦٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٣٩٢) [٧٦٣٨] و[٧٦٣٩]، ونسبه السيوطي إلى أبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٦/ ١٢٨).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٣٩٠) [٧٦٢٤]، ونُسب إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور (٦/ ١٢٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٠١).

٤ ـ عن الحسن قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ هذه للمشركين ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ هذه للمسلمين[١].

٥ ـ عن الحسن في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]. نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد، قال: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كلام منقطع عما قبله[٢].

[التأصيل]

١ ـ الموصول لفظاً المفصول معنى علم قرآني شديد الصلة بعلم الوقف والابتداء، سائرٌ في فلكه، دائرٌ معه حيثما دار، وهذا يفسر توارد الأمثلة وتكرارها في العِلْمَين، وما ذاك إلا لما بينهما من وثيق الارتباط.

قال السيوطي: «وهو أصلٌ كبيرٌ في الوقف، ولذا جعلته عقبه، وبه يحصل حَلُّ إشكالات وكشف معضلات كثيرة»[٣].

ويظهر من عنوان العلم المقصودُ منه:

فهو اتصال بين الألفاظ مع انفصال في المعنى.

وعُرِّف العلم بأنه: (مجيء الآية أو الآيات في السورة الواحدة على نظم واحد في اللفظ، يوهم اتصال المعنى)[٤].

وهذا التعريف لي عليه ملحظان:

---

(١) أخرجه الطبري (٩/٣٠٨)، وابن أبي حاتم (٣/٣٦٢) [٧٤٣٧]، وأبو الشيخ كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٥).

(٢) عزاه البغوي إلى الحسن في معالم التنزيل وهذا لفظه (٣/٣١٦)، وساقه الطبري بسنده عن عبد الرحمٰن بن زيد. انظر: جامع البيان (١٧/٣٦٩)، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير إلى الحسن، وابن زيد (٦/٦٤، ٦٥)، وعند ابن كثير هو من قول عطاء الخراساني وعبد الرحمٰن بن زيد (١٠/٢٧٤).

(٣) الإتقان (٢/٥٧٦).

(٤) الموصول لفظاً المفصول معنىً، للباحثة: خلود العبدلي (ص٢٩).

الأول: قولها: (في السورة الواحدة) زيادة في التعريف لا حاجة لها، فلا يتصور في هذا الفن القرآني اتصال الآيات ظاهراً وانفصالها في المعنى حقيقة إلا في السورة الواحدة، سواء في آية واحدة ـ وهو أظهر ـ أو بين مجموعة من الآيات في إطار سورة واحدة.

الثاني: قولها: (يوهم اتصال المعنى) فلفظة (يوهم) ليست شرطاً في مفردات هذا العلم، فقد تتجاور الجملتان في آية واحدة في ألفاظها ومعناها منفصل، دون أية إيهام، بل هو من الظهور بمكان، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، من أظهر الأمثلة وهي محل اتفاق على وجود الانفصال معنى بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ و﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ولا يتوهم اتصالها في المعنى، بل هو ممتنع أشد الامتناع لإخلاله بالمعنى المراد.

ومثله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ [غافر: ٦]، ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ [غافر: ٧].

وعليه؛ فإن من المناسب تعريف العلم بالآتي:

«مجيء آية أو آيات متصلة ألفاظها ظاهراً، منفصلة المعنى حقيقةً».

وليعلم ابتداء أن مواطن الاتفاق على ما كان متصل اللفظ منفصل المعنى قليلة، عطفاً على المواطن التي اختلف فيها أهل التفسير.

بل إن معظم أفراد هذا العلم مختلف فيه، وهو على قول من أقوال تفسير الآية، حتى إن أشهر أمثلة العلم وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] وهو مثال مصرحٌ فيه باسم العلم، وتظهر ثمرة من ثمار العلم به يعود على الآية بتبيان معناها وحل مشكلها، قد تنازع فيه أهل العلم، ولهم آراء ومذاهب غير هذا المعنى الذي ينبني على المفصول والموصول.

٢ ـ صرحت المرويات بتسمية هذا العلم، وحملت بعض المصادر تسمية ابن عباس للعلم في سياق توضيحه المحكم من المتشابه في القرآن، وسبق بيان

أن هذا لعله لخفاء مواضع الفصل والوصل ودقة تعيين أفرادها من آيات الكتاب، فمن أجل هذا جعل هذا العلم مع علومٍ أُخرى أمثلة للمحكم والمتشابه، والله أعلم.

وجاء في أثر السدي: **هذا من الموصول والمفصول**، وهذا التصريح ـ مع أثر ابن عباس الآنف ـ أكثر الآثار إبانة عن تسمية العلم وعنوانه.

وجاء كذلك: **هذا من الموصول المفصَّل، هذه مفصولة ثم استأنف، إنكم تصِلُون هذه الآية وهي مقطوعة، وهذا كلام تام ثم استأنف، انقضى الكلام ثم استقبل، ثم انقطع الكلام**، ونحوها من الألفاظ المصرحة بالعلم.

وملخصها كالتالي:

الموصول والمفصول، القطع والوصل، القطع والاستقبال، الفصل والاستئناف.

وفي بعض الآثار يكتفون بقولهم: هذه مفصولة، أو انقطع الكلام، فيلفظون بأحد شقي العلم ويظهر الآخر مفهوماً من السياق.

وهذه التسميات سبق ذكرها في علم الوقف والابتداء، وأنهم أطلقوا مثل هذه العبارات التي توضح العلم وتسميه.

وهو نتاج الاشتراك بين العِلمين والتقارب بينهما، وسيأتي مزيد بيان.

٣ ـ ظهرت أفراد هذا العلم في نصوص الصحابة والتابعين من طريقين:

أ ـ التنصيص صراحة على أن الآية موصولة الألفاظ منفصلة المعنى، وأمثلته تقدمت.

ب ـ ظهور ذلك من ثنايا تفسيرهم الآية دون التصريح بأن ذلك من علم الموصول والمفصول.

وأحسن أمثلة ذلك:

ما جاء عنهم في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥٢].

فإنه شاهدٌ مشتهرٌ في أنه من **الموصول والمفصول**، لكن نصوصهم خالية من التصريح بذلك، وإنما هو أمر يعلم من ألفاظ تفسيراتهم الآية.

وقلْ مثلَ هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٣٤﴾ [النمل: ٣٤] وكذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

٤ ـ أمثلة قليلة من شواهد هذا العلم متفقٌ على أنها من الموصول لفظاً المفصول معنى، حتى لوضوحها لم يؤثر عن الصحابة والتابعين النص على ذلك.

أما غالب أفراد هذا العلم فمحل اختلاف بين المفسرين، وتعدد تأويل الآية وأوجه فهم المفسر لها يجعل القول بالاتصال والانفصال أحد ما قيل وليس قولاً وحيداً في تأويل الآية.

أما مثال ما اتفق على أنه من العلم، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٦، ٧].

٥ ـ قُسمتْ ضوابط معرفة الموصول والمفصول إلى ضابطين: **الضوابط النقلية والضوابط الاجتهادية**، وجعل من النقلية ما يؤثر عن السلف دالاً على أن الآية موصولة لفظاً مفصولة معنى(١).

والنظر المستبصر حاكمٌ على أن هذا العلم كله من باب الاجتهاد، سواء ما نقل عن السلف من الصحابة أو التابعين أو ما رجع فيه إلى ضوابط اجتهادية، والأدلة على هذا ما يلي:

الدليل الأول: أن القول بالموصول والمفصول في آية كريمة فرعٌ عن النظر في وجه تفسيرها وتأمل سياقها، فهو نتاج اجتهاد المفسر في الآية، وعليه فإن القول بالوصل والفصل وما يتعلق بها يأتي في ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: النظر في معنى الآية وتأمل السياق، وذاك أمرٌ خاضعٌ للنظر والاجتهاد.

---

(١) الموصول لفظاً المفصول معنى، خلود العبدلي (١٤٤، ١٤٩).

الخطوة الثانية: معرفة الوصل والفصل في الآية، وتعيين موقفه عطفاً على وجه الآية.

الخطوة الثالثة: تركيب الوقف والابتداء خطوة ثالثة، فالوقف والابتداء ثمرة تبين الموصول والمفصول، وسيأتي.

الدليل الثاني: اختلاف تفسير الآية وتعدد تأويلاتها برهانٌ على أن القول بالفصل والوصل موضع اجتهاد ورأي، ولذلك تعددت الأقوال في شواهده من الآيات، ولم يكن القول بالوصل والفصل وحيداً في وجه الآية بل هو من جملة أقوال، وكثيراً ما رجح أهل التفسير الأقوال التي ليست من الموصول والمفصول.

٦ ـ لم تنل مواضع الموصول والمفصول في أدق أمثلتها وأظهرها حظوةً عند أهل التفسير، فذهبوا يرجحون الأقوال الأُخرى الخالية من دعوى الاتصال والانفصال.

أمثلة ذلك:

أ ـ رد الإمام الطبري من فسر قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١] بما يعني اتصال قوله: ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ في اللفظ، وانفصالها في المعنى، وهو مضمون أثر علي بن أبي طالب، وروي عن ابن عباس، وأبي أيوب الأنصاري ﷺ، فقد جاء عنهم ما يفيد نزول قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢] في صلاة الخوف وأن هذه الجملة في الآية متصلة ظاهراً منفصلة حقيقة.

قال الطبري: «وهذا من تأويل الآية حسنٌ لو لم يكن في الكلام (إذا) ولكن قوله: (إذا) تؤذن بانقطاع ما بعدها عن معنى ما قبلها»[(١)].

وشنَّع ابن العربي على من ذهب هذا المذهب في الآية فقال: «ولقد انتهى الجهل بقوم آخرين إلى أن قالوا: إن الكلام قد تم في قوله: ﴿تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وابتدأ بقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ وأن الواو زائدة في

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٠٧، ٤٠٨).

قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢] وهذا كله لم يفتقر إليه عمر ولا ابنه ولا يعلى بن أُمية معهما»(١).

قال الشوكاني: «وما يرد هذا ويدفعه الواوُ في قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، وقد تكلف بعض المفسرين فقالوا: إن الواو زائدة...»(٢).

ب - في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] هذه الآية من أشهر أمثلة الموصول والمفصول.

وصرح السدي في غير ما رواية أنها اتصال في اللفظ مع انفصال المعنى، وأنَّ قصة آدم وحواء في أولها، ثم استأنف الكلام إلى ما عليه المشركون من اتخاذ الآلهة والأوثان فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: فهذا فصل من قصة آدم وحواء المتقدمة.

قال ابن عطية عن هذا القول في الآية:

«وهذا تحكم لا يساعده اللفظ، ويتجه أن يقال: تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم». اهـ(٣).

وجماعات من المفسرين قرروا معنًى مختلفاً للآية ولم يصيروا إلى دعوى الوصل والفصل فيها(٤).

والآية فيها إشكالات كثيرة، حتى قال الآلوسي: «وهذه الآية عندي من المشكلات، وللعلماء فيها كلام طويل ونزاع عريض»(٥).

ج - في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ

---

(١) أحكام القرآن (١/ ٦١٧). (٢) فتح القدير (١/ ٥٩٩).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ١١٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٧٠، ٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٣٨، ٣٣٩)، التسهيل لابن جزي (١/ ٣٣٢، ٣٣٣)، تفسير ابن كثير (٦/ ٤٨٠ - ٤٨٥)، روح المعاني (٩/ ١٣٧ - ١٤٣)، أضواء البيان (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٥) روح المعاني (٩/ ١٣٩).

ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٢، ٥٣] جعل ابن كثير هذا من قول المرأة، وليس من قول يوسف، وعليه فليس في الآية اتصال في اللفظ وانفصال في المعنى، قال: «وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب ببيان القصة، ومعاني الكلام، وقد حكاه الإمام الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فأفرده بتصنيف على حدة».اهـ[1].

وضعف ابن عطية من جعله من قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «وهذا يضعف؛ لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك، وبعد هذا يقول الملك ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾»[2].

وصوَّب ابن القيم أنه من قول امرأة العزيز، وأقام عليه دلائل[3].

وجعل ابن عاشور ظاهر نظم الكلام أنه من قول امرأة العزيز[4].

د ـ ومثل هذا الاختلاف ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]، فإن جعل معناها مبنياً على الفصل والوصل ليس بالقوي عند أهل المعاني، والأقوال متعددة عند أهل العلم، والأمثلة على هذا الملحظ مبثوثة في دواوين التفسير[5].

٧ ـ تقع مواطن الوصل والفصل على ضوء مرويات الصحابة والتابعين على ضربين:

الضرب الأول: ما كان في آية واحدة، ومثاله من المأثور عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾ [الحديد: ١٩].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠).
(٢) المحرر الوجيز (٥/ ١٠٤).
(٣) روضة المحبين (ص٢٢٧، ٢٢٨).
(٤) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٩٢، ١٣/ ٥).
(٥) انظر في تفسير الآية: جامع البيان (٧/ ٢٦٢ ـ ٢٦٦)، زاد المسير (٢/ ١٤٧، ١٤٨)، المحرر الوجيز (٢/ ٦١٤، ٦١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٧)، روح المعاني (٥/ ٩٤ ـ ٩٦).

الضرب الثاني: ما كان في آيتين متجاورتين، ومثال ذلك: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]. ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥٢].

٨ ـ اتصل هذا العلم القرآني بمنظومة علوم قرآنية، وهي على النحو التالي:

علم التفسير: فإن معرفة أفراد الموصول والمفصول لا يتأتى إلا بكشف معنى الآية ووجهها ابتداءً وتدبر سياقها وصولاً إلى ما فيها من اتصال في اللفظ وانفصال في المعنى، وتباين النظر في النص القرآني وتعدد وجوه تأويلاته مؤثرٌ جداً في إثبات الآية من ضمن أفراد الموصول والمفصول أو في نفيه.

ـ علم الوقف والابتداء: هذا العلم مستفيدٌ من علم الموصول والمفصول متأثرٌ به، فإذا استبان موطن الانفصال في الآية وتعين ذلك تركب عليه موضع الوقف والابتداء، ولأجل هذا التداخل بين العلمين كانوا يطلقون عبارات:

هذه مفصولة، انقطع الكلام ثم استأنف، هذا من الموصول والمفصول.

وهذا تعيين لأمثلة العلم، ولمواطن الوقف والابتداء في الآية معاً.

ـ علم البلاغة: وهذا بناءً على جعل الاستطراد، وحسن التخلص، والاعتراض الموهم مما يتسبب في القول بالوصل والفصل[1]، ـ وسيأتي ـ.

وفي طيات هذا العلم ما يمكن استخلاصه من دقائق القرآن البلاغية، ولفتاته البيانية.

ـ علم مشكل القرآن: معرفة الموصول والمفصول، تعود في مواضع منها على الإشكال بالتجلية، وتحل غامض موهمه، وتكشف معضله، وكثيراً ما يستشهد العلماء بآية الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] على ما أثمره

---

(١) انظر: الموصول لفظاً المفصول معنى، للباحثة: خلود العبدلي (ص١٥٠ ـ ١٥٨).

معرفة ما فيها من اتصال لفظها وانفصال معناها على الآية ب من رفع ما أشكل من قصة آدم وحواء، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] فالقول بأن فيها موصولاً ومفصولاً يحل مشكل الآية ويكشف معناها.

وقد أورده ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» تحت باب: **مخالفة ظاهر اللفظ معناه**، وقال: «ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحدٌ وهو قولان».اهـ. ثم أورد أمثلة ذلك(١).

ظهر في بعض الشواهد هذا العلم وجه صلة وارتباط بين علم المقدم والمؤخر وعلم الموصول والمفصول، ومثاله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]، حيث قاد القول بالتقديم والتأخير إلى أنه من الموصول والمفصول.

٩ ـ هناك أمور يستدل بها على مواقع الموصول والمفصول، أُجملها فيما يلي:

ـ النص من الصحابي أو التابعي على أن موطن الآية فيه وصل وفصل.

ـ استدل البعض بسبب النزول على فرد من أفراد علم الموصول والمفصول.

ومضى ما يتعلق بذلك عند قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١] كما هو مضمون أثر علي بن أبي طالب، وابن عباس الواردين في سبب النزول(٢).

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٢٧٥، ٢٩٤).

(٢) وهذا بناء على صحة الوارد من سبب النزول، وسبق أنه ضعيف، والسيوطي في الإتقان قال ما نصه عن الآية: لكن تبين سبب النزول أن هذا من الموصول والمفصول، الإتقان (٢/ ٥٧٩)، وذهب الثعلبي إلى أن في الآية موصولاً ومفصولاً، فقال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ تمام الكلام ههنا، ثم أصبح يقصر صلاة المسافر واو العطف، فقال: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يريد فإن خفتم، وهو حرف شرط، وفي القرآن مثل هذا كثير؛ أي: خفي الخبر بتمامه، ثم عطف عليه حرف منفصل عنه في الباطن، =

ـ تدبر سياق الآية ومعرفة سابقها ولاحقها طريقٌ مهمٌ في تعيين الموصول والمفصول، وهو جزءٌ من النظر في الآية عموماً وتطلب معناها، لكن يجدر تخصيصه بالذكر تنبيهاً على أهميته في العلم وشأنه.

ـ معرفة القراءات الواردة في الآية: كما جاء في قراءة الكسر عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] فالعلم بأوجه القراءات في الآية يُدرَكُ به ما فيها من موصول ومفصول.

١٠ ـ أنواع الموصول لفظاً المفصول معنى:

هذا العلم على أنواع شتى كما تفيده الرواية، وهي كما يلي:

١ ـ اختلاف أصحاب الأقوال: ومثاله: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤] ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

٢ ـ اختلاف المخاطبين في الآية: جاء في أثر مجاهد عند قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] هم اليهود، ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: هذه للمسلمين.

٣ ـ الانتقال من غرض إلى آخر، وانفصاله عنه في المعنى، مثاله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥].

ومثال آخر: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ [غافر: ٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

ومثال ثالث: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١].

١١ ـ لهذا العلم القرآني فوائد وثمار، لعل من أعلاها دفع الإشكالات عن الآية ورفع إيهامها، وكان القول بأن في آية الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] وصلاً في اللفظ فصلاً في المعنى، تخليصاً لما فيها من إشكال متعلق بقصة آدم وحواء.

= وهو في الظاهر كالمتصل؛ كقوله: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. انظر: الكشف والبيان (٣/ ٣٧٤).

ومثله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١] وهي من مشكلات القرآن، ومن ذهب إلى أن فيها موصولاً ومفصولاً فقد حلَّ عقدتها.

• ومن ثمار العلم إثراء المعنى القرآني، فإن توالي معنى واحد وسياق متصل لموضوع لا يختلف، يفترق عما تنفصل فيه الآية معنى وتتصل لفظاً من ناحية تعدد أوجه الآية واتساع مرادها، وذلك عائدٌ على الآية بالسعة والثراء في معانيها.

• تتعين مواطن الوقوف والابتداء في الآية، عند تحصيل موطن الانفصال في الآية وضبطه فيستبين به المعنى ويتضح.

١٢ ـ هناك من جعل من الضوابط الاجتهادية التي يمكن معرفة الأسباب التي عدت لأجلها تلك المواضع من الموصول لفظاً والمفصول معنى:

ـ الاعتراض وخُصَّ بالاعتراض الموهم، فإن لم يكن يوهم فلا يكون الموضع من الموصول لفظاً المفصول معنى، ومُثّل له بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢][1].

ـ اختلاف مرجع الضمير كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٢][2].

ـ الاستطراد[3].

وعندي أن هذا من التوسع الذي لا ينبغي، ولو صح إدخال هذه الضوابط الأسباب في علم الموصول لفظاً المفصول معنى لطفحت كتب

---

(١) الموصول لفظاً المفصول معنى، خلود العبدلي (ص١٥٠، ١٥١)، وهي تنقل أمثلة عن الزركشي في البرهان.

(٢) المصدر السابق (ص١٥٢).

(٣) المصدر السابق (ص١٥٨).

التفاسير بأمثلته وشواهده؛ لما يعلم من دوران الكثير من الآيات المتضمنة للاعتراض، واختلاف مرجع الضمائر، والاستطراد، وحسن التخلص.

بينما واقع هذا العلم يظهر قلة شواهده مقارنة بشواهد غيرها من العلوم، ـ وهذا على الأقل في مرويات الصحابة والتابعين ـ.

وكذلك الخلاف بين أهل التفسير في كثير من مواضع الموصول لفظاً المفصول معنى، مما قلَّل المواضع المتفق عليها من أفراد هذه العلم، فما هي إلا مواضع قليلة.

ثم إن مفهوم هذا العلم يظهر منه تجاور الجمل القرآنية لفظاً بينما هي منفصلة في المعنى، ولا يتضح مثل هذا إلا إن كان الانفصال في المعنى واضحاً ظاهراً، بينما في الأمثلة المسوقة لاختلاف مرجع الضمائر أو الاعتراض أو الاستطراد وحسن التخلص لا تنفك الألفاظ عن بعضها، وتتباين جملها تماماً، بل بينها نوع علاقة ووجه اتصال وإن خفي، أو ظهر من وجه بعيد عن النظر ابتداءً ويحتاج مزيد تفكرٍ وتدبر لاستظهاره، ولا يكون **الاعتراض** مثلاً إلا تثبيتاً للمعنى المراد في الآية ونفي ما يوهم عليه أو يقدح فيه.

إذن مثل هذا لا ينفصل المعنى انفصالاً مؤثراً بيناً حتى يُجعل من أفراد الموصول والمفصول، والله أعلم.

علم الموصول لفظاً المفصول معنى
عند أهل علوم القرآن

أ ـ أظهرت مروياتهم شيئاً من مسميات العلم وما يطلق عليه، ولعل أوضحها وأصرحها رواية ابن عباس في تفسيره المراد بالمتشابهات، والسدي في آية الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] من قوله: «هذا من الموصول والمفصول».

وقد ذكره الحارث المحاسبي ضمن أفراد الباب الثالث الذي جعله في أساليب القرآن، وعنون له بـ: **المفصل والموصول**، وشرح المراد بالعلم في عبارة مطولة، وعرض شواهد متعددة من ضمنها ما هو مأثور عن السلف وتقدمت روايتها[١].

---

(١) فهم القرآن (ص٤٩٢ ـ ٤٩٨).

أما الحافظ السيوطي فسماه: **الموصول لفظاً المفصول معنى**[(١)]، وهو سابق بهذه التسمية المطابقة فلم أجد من سبقه إلى هذا.

وزاد على تسمية الأوائل ـ خاصة قول السدي ـ لفظين كاشفين عن العلم.

فالموصول «**لفظاً**» وهو يعني اتصال الألفاظ في الآية، المفصول «**معنى**» أي: معناه منفصل عن ما اتصل به من ألفاظ الآية.

ونقل عن ابن الجوزي قوله: «قد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها، وهي غير متصلة بها»[(٢)].

ب ـ أشار الإمام الزركشي لهذا العلم في موطنين:

الأول: في ثنايا حديثه عن علم المناسبات، حيث ضمَّ نُتفاً من شواهد العلم، ومنها ما أُثر عن السلف مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وصدر ذكر الأمثلة بقوله: «وقد يكون اللفظ متصلاً بالآخر والمعنى على خلافه».

ثم أورد أمثلة من بينها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٦٥].

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ [غافر: ٦، ٧][(٣)].

الثاني: في أكبر أنواع كتابه البرهان «في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة»، وسماه «المدرج» نظير المدرج من الحديث، ثم عرفه فقال:

«وحقيقته في أُسلوب القرآن أن تجيء الكلمة إلى جنب أُخرى كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها».

---

(١) الإتقان (٢/ ٥٧٦).

(٢) نقله في الإتقان ناسباً قوله إلى كتابه (النفيس) (٢/ ٥٨١).

(٣) البرهان (١/ ٧٩ ـ ٨١).

وأورد أمثلة لصيقة بعلم الموصول والمفصول.

كما جاء في قصة بلقيس: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤].

وفي قصة يوسف: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

وقوله: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢][1].

قلت: فوصله الزركشي بعلمين: علم المناسبات وعلم أُسلوب القرآن وفنونه البليغة، يدل على تعدد اعتبارات العلم وصلته بفنون القرآن الأُخرى، ويؤكد ما له من تعلق بعلوم البلاغة وضروب الفصاحة، فمن أولى المعنى التفسيري عنايته الفائقة، وما يعود به على الآية وتأويلها، جعل الموصول والمفصول عند حديثه عن الوقوف ومتعلقاتها؛ لأن أثر الموصول والمفصول في المعنى، فكان تحديد مواطن الوقف ومواطن الابتداء من أعظم ثماره وأينعها.

ومن نظر في ما يثمره العلم غزارةً في البيان ودقةً في فنون الكتاب البليغة ولفتاته الفصيحة ألحقه بعلم الأُسلوب القرآني، واستعرض شواهده والمراد به وما يضفيه على أساليب القرآن.

فتعدد زوايا النظر في هذا العلم وتنوع اعتبارات درسه ومتعلقه دليلٌ على علو كعبه ولطافة شأنه بين فنون القرآن.

وقد تبع ابن عقيلة الإمام السيوطي في عنونة العلم بـ (الموصول لفظاً المفصول معنى)[2].

ج ـ وصف السيوطي هذا النوع من أنواع علوم القرآن بأنه: «نوع مهم، جديرٌ أن يُفرد بالتصنيف، وهو أصلٌ كبيرٌ في الوقف، ولذا جعلته عقبه». اهـ[3].

---

(١) البرهان (٣/ ٣٤٠، ٣٤١).

(٢) الزيادة والإحسان (٣/ ٤٧٨).

(٣) الإتقان (٢/ ٥٧٦).

فالسيوطي أشاد بالعلم، وبيَّن صلته الوثيقة بالوقف والابتداء، وعلل جعله الموصول والمفصول عقب علم الوقوف.

وتبعه على هذا ونقله عنه ابن عقيلة المكي(١).

د ـ دوَّن السيوطي آثار العلم في حل الإشكالات وكشف المعضلات.

واستشهد على هذا بآية الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] وصدر بها الشواهد المؤكدة أثر العلم وفائدته، وأتى بأكثر من رواية بأسانيد أصحابها في تقرير موطن الشاهد من الآية(٢).

هـ ـ برع السيوطي كعادته في الإكثار من أمثلة العلم، وبعضها مسند إلى كتب الأثر، وتميز بأن ماأورده مأثورٌ عن السلف والصحابة والتابعين(٣).

وبدا اهتمامه بما يعزز دور العلم في كشف المشكل وإيضاح الموهم حين بدأ بآيات ظهر معناها بإدراك ما فيها من الوصل والفصل.

و ـ تبع ابن عقيلة السيوطي في ما سطَّره في هذا الفن القرآني، واعتمد عليه بالكلية في أقواله وآثاره التي أورد(٤).

لكنه زاد بأمرين:

الأول: تعقب السيوطي حين جعل كشف إشكال آية الأعراف المتقدمة عن طريق القول بأن فيها موصولاً ومفصولاً، فتبنى ـ ابن عقيلة ـ أقوالاً لأهل العلم في الآية غير ما ادعيُ من الوصل والفصل(٥).

ولم يصحح المعنى الوارد عند آية النساء ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١].

وعارض الأثر المروي بما جاء في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف وسؤال يعلى بن أمية له(٦).

وابن عقيلة في هذا مسبوق بطوائف من أهل التحقيق أعرضوا عما ورد في الأثر الذي يجعل الآية من الموصول والمفصول، وذهبوا إلى مضمون أثر عمر بن الخطاب.

---

(١) الزيادة والإحسان (٣/ ٤٧٨).
(٢) الإتقان (٢/ ٥٧٦ ـ ٥٧٩).
(٣) المصدر السابق.
(٤) الزيادة والإحسان (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٨٢).
(٥) الزيادة والإحسان (٣/ ٤٨١).
(٦) الزيادة والإحسان (٣/ ٣٨٣).

الثاني: استوعب ما مثل به السيوطي للعلم، ثم زاد بعض الأمثلة للموصول والمفصول لم يذكرها السيوطي.

وختم بقوله: «وقس على ذلك، ومن نظر في الكتاب العزيز استخرج من هذا النوع شيئاً كثيراً»[١].

ز ـ أعرضتْ مصنفات عديدة من مصنفات علوم القرآن عن بحث هذا العلم وتخصيصه بنوع مستقل، إنما كانت منه شذرات عند المحاسبي والزركشي، وكان السيوطي سابقاً في الإعراب عن العلم وتسميته وتعريفه، وإظهار أهميته وشأنه في حل المشكلات، وإيراده أمثلته من نصوص الصحابة والتابعين. والله أعلم

(١) الزيادة والإحسان (٣/ ٤٨٤، ٤٨٥).

الباب الخامس

أنواع متفرقة من علوم القرآن عند الصحابة والتابعين

وفيه سبعة فصول:

- الفصل الأول: الأحرف السبعة.
- الفصل الثاني: جمع القرآن وكتابته.
- الفصل الثالث: مفردات القرآن.
- الفصل الرابع: تعضيد السُّنَّة بالقرآن.
- الفصل الخامس: ملح التفسير ولطائفه.
- الفصل السادس: تحزيب القرآن والمفصل.
- الفصل السابع: الاستنباط من القرآن.

الفصل الأول

الأحرف السبعة

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: وقائع اختلاف الصحابة في حروف من القرآن.
- المسألة الثانية: الوارد عنهم في نزول القرآن على سبعة أبواب وسبعة أحرف.
- المسألة الثالثة: مروياتهم التي استدل بها على تفسيرات الأحرف السبعة.
- المسألة الرابعة: أهم جوانب علم الأحرف السبعة في آثارهم، وما قرروه في النصوص وأكدوا عليه في المسائل.
- المسألة الخامسة: جمع عثمان هل كان على حرف واحد، أو هو للأحرف السبعة كلها؟

[الأحرف السبعة]

المسألة الأولى

وقائع اختلاف الصحابة في حروف من القرآن

١ ـ حديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم(١) قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أُساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلَّم فلبَّبْتُه بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت: كذبت فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت... فقال رسول الله ﷺ: **«كذلك أُنزلت، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»**(٢).

٢ ـ عن أُبي بن كعب ؓ قال: كنت في المسجد فدخل رجلٌ يصلي فقرأ قراءةً أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ فحسَّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في

(١) هو: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان يقول عمر إذا بلغه أمرٌ ينكره: أما ما بقيت أنا وهشام بن حكيم فلا يكون ذلك، توفي قبل أبيه وقيل: استشهد بأجنادين، وهوقولٌ غلَّطه ابن الأثير وقال: والذي قُتل بأجنادين هشام بن العاص.
انظر: الاستيعاب ٧٤١ (٢٦٤٧)، أسد الغابة (٥/ ٣٧٢) [٥٣٧٤].

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: أُنزل القرآن على سبعة أحرف (ص٨٩٥ [٤٩٩٢]، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (١/ ٣٦٥، ٣٦٦) [٨١٨].

الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري فَفِضْتُ عَرَقاً وكأنما أنظر إلى الله ﷻ فَرَقاً فقال لي: **يا أُبي، أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أُمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوِّن على أُمتي، فردَّ إليَّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف»**[(١)].

وفي بعض المصادر أن هذه السورة سورة النحل[(٢)].

٣ ـ عن ابن مسعود ؓ قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: **«كلاكما محسنٌ»**، قال شعبة: أظنه قال: **«لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**[(٣)].

وفي بعض الروايات عن عمر بن الخطاب ؓ أن النبي ﷺ قال له: **«يا عمر إن القرآن كله صواب، ما لم تجعل رحمة عذاباً، أو عذاباً رحمة»**[(٤)].

وفي رواية ابن مسعود ؓ اختلف رجلان في سورة، فقال هذا: أقرأني النبي ﷺ، وقال هذا: أقرأني النبي ﷺ، فأتى النبي ﷺ فأخبر ذلك قال: فتغير وجهه ـ وعنده رجل ـ فقال: **«اقرؤوا كما عُلمتم فلا أدري أبشيءٍ أُمر أم بشيء ابتدعه من قبل نفسه ـ فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم»** قال: فقام كل رجل منا، وهو لا يقرأ من قراءة صاحبه، وفي بعض الروايات: أنها سورة الأحقاف[(٥)].

٤ ـ عن عمرو بن العاص ؓ أن رجلاً قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو بن العاص: إنما هي كذا وكذا بغير ما كان الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (١/ ٣٦٦) [٨٢٠].

(٢) كما عند الطبري في مقدمة تفسيره (١/ ٣٣ ـ ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري، فضائل القرآن، باب: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، (ص٩٠٥، ٩٠٦) [٥٠٦٢].

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٧/ ٨٨، ١٠٠) [٣٩٨١، ٣٩٩٢]، وأبو يعلى (٨/ ٤٧١) [٥٠٥٧] وحسَّن المحقق سنده، والطبري (١/ ٢٢، ٢٣)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٢، ٢٣) [٧٤٧].

(٥) كما عند الإمام أحمد في مسنده (٢٦/ ٢٨٥) [١٦٣٦٦]، والطبري في مقدمة تفسيره (١/ ٢٥)، وحسَّن ابن كثير إسناد الرواية. انظر: فضائل القرآن (ص١٣٢).

فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا في القرآن فإن مراءً فيه كفر**»(١).

ومثله حديث أبي جهيم الأنصاري(٢)، وهو نحو الأثر السابق(٣).

۞ المسألة الثانية ۞

الوارد عنهم في نزول القرآن على سبعة أبواب وسبعة أحرف

١ - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أُنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ(٤).

٢ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نزلت الكتب من باب واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف.

وفي بعض المصادر بزيادة: زآجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال(٥).

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٦٦، ١٦٧٦) [٧٢٩]، والإمام أحمد في المسند (٢٩/ ٣٥٣، ٣٥٤) [١٧٧١٩]، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٠) [٢٢٦٦] دون ذكر القصة.

(٢) أبو جهيم بن الحارث بن الصمَّة الأنصاري، له صحبة، روى له الجماعة، ويقال: هو ابن أخت أُبي بن كعب.

انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (ص٧٨٧) [٢٨٦٨]، تهذيب الكمال (٣٣/ ٢٠٩، ٢١٠) [٧٢٨٩]، الإصابة لابن حجر (٤/ ٢١٨٦) [٩٦٨٩].

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٦٦) [٧٢٨]، والإمام أحمد في المسند (٢٩/ ٨٥) [١٧٥٤٢]، والطبري في تفسيره (١/ ٣٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١١) [٣٠٩٩]، والبغوي في شرح السُّنَّة (٤/ ٥٠٥) [١٢٢٨]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٧/ ٢٢٨).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٠) [٣١٢]، قال في مجمع الزوائد: رجاله ثقات (٧/ ٢٣١).

(٥) روي مرفوعاً صراحة وموقوفاً على ابن مسعود، وله حكم الرفع، رواه النسائي في الكبرى (٢/ ١٢٣٦) [٧٩٣]، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١٥) [٣١٠٢]، وابن حبان في صحيحه مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٣/ ٢٠) [٧٤٥]، وأعله محققه للانقطاع، والطبراني في الكبير (٩/ ١١، ١٢) [٨٢٩٦]، والحاكم (٢/ ٢٥٣) [٢٠٧٥]، و(٣/ ٥، ٦) [٣١٩٨]، والهروي في ذم الكلام (٣/ ٦٣، ٦٤) [٥٦٧]، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٧٥) وقال: هذا حديث لا يثبت، وضعفه الطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١٦)، وجعله ابن كثير موقوفاً على =

٣ ـ عن عمر بن أبي سلمة[(١)] أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن مسعود: **«إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد، وإن القرآن أُنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وضرب الأمثال، وآمر وزاجر...»**[(٢)].

٤ ـ عن فُلفلة الجعفي[(٣)] قال: فزعتُ فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئناك حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن نزل على نبيكم ﷺ من سبعة أبواب على سبعة أحرف، أو قال: حروف، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرفٍ واحدٍ[(٤)].

= ابن مسعود. انظر: فضائل القرآن (ص١٢١)، وكذا ضعَّفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٤٦)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢/ ١٣٤).

(١) هو: عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسود بن هلال المخزومي القرشي، ربيب رسول الله ﷺ، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، استعمله عليٌ على فارس والبحرين، وشهد معه الجمل،روى عنه ابن المسيب، وأبي أُمامة، وعروة بن الزبير، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان (٨٣هـ).

انظر: الاستيعاب (٤٨٠) [١٦٩٩]، الإصابة (٢/ ١٣٠٩) [٥٧٤٢].

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ١١، ١٢) [٨٢٩٦]. قال في مجمع الزوائد: وفيه عمار بن مطر وهو ضعيف جداً وقد وثقه بعضهم (٧/ ٢٣٠).

(٣) هو: فُلفلة بن عبد الله الجعفي الكوفي، روى عن حذيفة بن اليمان، والحسن بن علي، وعبد الله بن مسعود، ذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن حجر: مقبول من الثانية.

انظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٣٠٠)، تهذيب الكمال للمزي (٢٣/ ٣١٦) [٤٧٧٤]، تقريب التهذيب (٧٨٧) [٥٤٧٧].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧/ ٢٨٣) [٤٢٥٢]، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٩٣) [٦٦]، والنسائي في الكبرى (٢/ ١٢٣٦) [٧٩٣٠]، وفي فضائل القرآن (ص٦٢) [٩]، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١٠٨، ١٠٩) [٣٠٩٤]، والشاشي في مسنده (٢/ ٣٠٤) [٨٨١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤٢)، وساقه ابن كثر بسنده في فضائل القرآن (٨٢، ٨٣)، قال في مجمع الزوائد: رواه أحمد، وفيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات (٧/ ٢٢٩)، وحسَّن الألبانيُ الحديث في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٣٤).

المسألة الثالثة

مروياتهم التي اُستدل بها على تفسيرات الأحرف السبعة

١ ـ روي أن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه فقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فإن القرآن نزل على رجل من مضر(١).

٢ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يُملين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف(٢).

٣ ـ وورد عن عمر قوله لابن مسعود رضي الله عنهما... فإن الله أنزل القرآن بلسان قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام(٣).

٤ ـ روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: نزل القرآن بلسان مضر(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٧٢، ١٧٣) [٣٤]، وحسنه محقق المصاحف وقال: لكن في المتن ما ينكر وهو أن عمر بن الخطاب لم يرد كتابة الإمام، بل الذي قام بذلك هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وعلى هذا فالأثر فيه شذوذ.اهـ (١/ ١٧٣)، وصحّح أبو إسحاق الجويني هذا الأثر في تحقيق فضائل القرآن لابن كثير (ص٥١).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢/ ١٧١ (٧٣٨، ٧٣٩) ولفظه: لانمكن، وسعيد بن منصور في سننه بلفظ: لا يَلِينَّ ٣/ ٩٣٩ (٤١٩)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٧٣، ١٧٤) [٣٧]، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن جابر بن سمرة مرفوعاً ثم قال: ورواه سعيد بن منصور عن جرير عن عبد الملك عن جابر بن سمرة عن عمر بن الخطاب قوله ثم ساقه من طريقين (٨/ ٤٩٣، ٤٩٤)، وقال في موطن آخر: وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب (٢/ ٥٣٩)، وأورده ابن كثير نقلاً عن ابن أبي داود وقال: وهذا إسناد صحيح. انظر: فضائل القرآن (ص٥١)، وعلق ابن حجر على الأثر فقال: وليس في الذين سميناهم أحد من ثقيف، بل كلهم إما قرشي وإما أنصاري، فتح الباري (٨/ ٦٣٦).

(٣) أخرجه ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء (ص٢٥) [٦]، والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٦٤١)، وساقه ابن عبد البر مسنداً في التمهيد (٨/ ٢٧٨)، وعزاه أبو شامة إلى سنن أبي داود انظر: المرشد الوجيز (ص١٠٩).

(٤) ساقه ابن حبان مسنداً في كتابه (الثقات) عن عثمان مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٧/ ٣٠٢)، وأورده ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٧٧)، وأبو شامة في المرشد الوجيز (ص١٠٩).

٥ ـ حديث عثمان المشهور: «وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه أكثر ما نزل بلغتهم»(١).

٦ ـ قراءة أُبي بن كعب رضي الله عنه: (للذين آمنوا أمهلونا)(٢)، وقراءته (كلما أضاء لهم مروا فيه)(٣).

٧ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إني قد تسمعت إلى القَرَأة فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما عُلِمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف، فإنما هو كقول أحدهم: هلم وتعال(٤).

٨ ـ جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: نزل القرآن على سبعة أحرف فهو كقولك: اعجل اسرع(٥).

وقال الزهري: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلالٍ ولا حرام(٦).

٩ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أقرأ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] فقال الرجل: (طعام اليتيم) فرددها عليه فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول (طعام الفاجر)؟ قال: نعم، قال: فافعل(٧).

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن (ص٨٩٤) [٤٩٨٧].

(٢) ساقها مسندة القرطبي في تفسيره (١/ ٤٢).

(٣) ساقها مسندة القرطبي في تفسيره (١/ ٤٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٧٩) [١٢٩٣]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٧٦) [٧٥٣]، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٦٠) [٣٤]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٦٨) [٣٠٦٥١]، وذكره البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٢٠٠) [٣٩٥]، والطبري في تفسيره (١/ ٤٦)، وساقه ابن مجاهد بسنده في كتاب السبعة (ص٤٧)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٢) [١٤٣١]، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٩) [٨٦٨٠]، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٠٢) [٤٠٩٤]، وفي شعب الإيمان (٢/ ٤٢٠) [٢٢٦٨].

(٥) رواه الداني في الأحرف السبعة (ص٢٢) [٩]، والبيهقي في السنن الصغرى (١/ ٣٥٥) [١٠٠٦]، وفي شعب الإيمان كذلك (٢/ ٤٢٠) [٢٢٦٩].

(٦) كما عند الإمام مسلم في صحيحه (١/ ٣٦٦) [٢٧٢].

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٣٦) [٦٧٠]، وأخرجه أبو يوسف في كتاب الآثار (ص٤٤) [٢٢٣] بزيادة قول ابن مسعود: «إن الخطأ في القرآن ليس أن تقول الغفور الرحيم العزيز الحكيم. .» وابن الأنباري كما في تفسير القرطبي الذي ساقه بسند ابن الأنباري (١٦/ ١٤٩)، =

١٠ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش وكعب خزاعة، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة[(١)].

١١ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: أُنزل القرآن على سبعة أحرف، صار في عجز هوازن منها خمسة (عجز هوازن، وثقيف، وبنو سعيد بن بكر، وبنو جشم، وبنو نصر بن معاوية)[(٢)].

وقال الكلبي في قوله: أُنزل القرآن على سبعة أحرف قال: خمسة منها لهوازن، وحرفان لسائر الناس[(٣)].

١٢ ـ عن الأعشى قال: قرأ أنس هذه الآية: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً) فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي ﴿وَأَقْوَمُ﴾ فقال: «أقوم» و«أصوب» و«أهيأ» واحدٌ[(٤)].

١٣ ـ عن سعيد بن المسيب قال: نزل القرآن على لغة هذا الحي من ولد هوازن وثقيف[(٥)].

١٤ ـ ذكر أنه قيل لسعيد بن المسيب: ما سبعة أحرف؟ قال: كقولك: هلم وتعال وأقبل، وكل ذلك سواء[(٦)].

١٥ ـ عن أبي مجلز قال: طعن قوم على عثمان ﷺ بحمقهم جمع

= وساقه ابن حزم مُسنداً في الإحكام في أُصول الأحكام (٤/ ١٧١)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر في الدر المنثور (١٣/ ٢٨٥).

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن بنحوه (١/ ١٦٩) [٧٣٥]، والطبري في تفسيره (١/ ٦١).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الفضائل (٢/ ١٧٠) [٧٣٦]، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٨٠)، وأبو شامة في المرشد الوجيز (ص٩٢، ٩٣)، وذكره ابن بطال في شرح البخاري (١٠/ ٢٣٢)، وقال الطبري: وليست الرواية به عنه ـ يعني: ابن عباس ـ من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله.اهـ (١/ ٦١).

(٣) التمهيد (٨/ ٢٨٠)، وذكره ابن بطال في شرح البخاري (١٠/ ٢٣٢).

(٤) أخرجه الطبري في مقدمة تفسيره (١/ ٤٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٨٨) [٤٠٢٢]، وساقه الذهبي بسند ابن الأبار وقال: إسناد صحيح، طبقات القراء (١/ ٨٥)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة وسكت عليه (٦/ ٢٩٤) [٥٨٨١]، قال الهيثمي في المجمع: رواه البزار وأبو يعلى بنحوه ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات (٧/ ٢٣٥).

(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٢٨٠).

(٦) ذكره الباقلاني في كتابه: الانتصار (١/ ٣٧١).

القرآن ثم قرؤوا بما نسخ[(١)].

١٦ ـ عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ القرآن على حرفين[(٢)].

١٧ ـ عن مجاهد أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف[(٣)].

١٨ ـ عن إبراهيم التيمي[(٤)] قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر[(٥)].

١٩ ـ عن ابن سيرين في بيان الأحرف السبعة: إنما هو كقولك: هلم وتعال وأقبل، وقال في قراءة ابن مسعود: (إن كانت إلا زقيةً واحدةً) وفي قراءتنا ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٥٣] والمعنى فيها واحد[(٦)].

❁ المسألة الرابعة ❁

أهم جوانب علم الأحرف السبعة في آثارهم، وما قرروه في النصوص وأكدوا عليه من مسائل

١ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا القرآن كما عُلمتم، وفي رواية بزيادة: فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف[(٧)].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٥٣) [٧١٥] ولفظه: لا تعجب من حمقهم، كان مما عابوا على عثمان تمزيق المصاحف، ثم قبلوا ما نسخ. اهـ، وساقه القرطبي مسنداً إلى أبي عبيد في ما ينقله أبو بكر بن الأنباري. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٧).

(٤) هو: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء الكوفي، كان من العباد، روى عن أنس وعن عائشة أم المؤمنين مرسلاً، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو زرعة: ثقة مرجئ، قتله الحجاج بن يوسف، روى له الجماعة، وقال ابن حجر: ثقة إلا أنه يرسل ويدلس، من الخامسة. مات سنة (٩٢هـ) وله أربعون سنة.
انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣) [٢٦٤]، تقريب التهذيب (ص١١٨) [٢٧١].

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٧٢) [٤٧١]، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٥).

(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٧٦) [٧٥٤].

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٩٩، ٢٠٠) [٨٣٢]، والبزار في مسنده (٢/ ٩٩) [٤٤٩]، والطبري في تفسيره (١/ ٢٣)، وابن مجاهد في كتابه السبعة (ص٤٧)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٥٠) [٣٤٤٢]، وأحمد بن منيع كما في إتحاف الخيرة للبوصيري (٦/ ٣٤١) [٥٩٨٠]، =

٢ ـ عن ابن مسعود ﷺ أنه أتاه ناسٌ من أهل الكوفة، فقرأ عليهم السلام وأمرهم بتقوى الله وأن لا يختلفوا في القرآن ولا يتنازعوا فيه، فإنه لا يختلف ولا يتساقط ولا ينفد لكثرة الرد، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة، حُدودَها وقراءتَها وأمْرَ الله فيها، ولو كان شيء من الحرفين يأمر بشيء وينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله.

... قد علمت أن رسول الله ﷺ كان يُعرض عليه القرآن كل عام مرة فعرض عليه عام قبض مرتين، كنت إذا قرأت عليه القرآن أخبرني أني محسنٌ، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها فإنه من جحد بحرف منه جحد به كله(١).

وروى الإمام أحمد نحوه وفيه زيادات، قال: ... إن هذا القرآن أُنزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط، فإذا قال القارئ: هذا أقرأني قال: أحسنت، وإذا قال الآخر قال: كلاكما محسنٌ.

... إن هذا القرآن لا يختلف ولا يُستشنُّ ولا يَتْفَهُ لكثرة الرد، فمن قرأه على حرف، فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علَّم رسول الله ﷺ، فلا يدعه رغبةً عنه فإنه من يجحد بآية منه يجحدْ به كلِّه، فإنما هو كقول أحدهم لصاحبه اعجل، وحيَّ هلا...(٢).

= وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢١، ٢٢) [٧٤٦]، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧) [٦١٥، ٦١٧]، وبنحو ذلك ورد عن سمرة بن جندب كما في المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٣٠٦) [٧٠٣٢].

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٢٦، ٢٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١١٩، ١٢٠) [١٠٠٧٦]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤١)، قال في المجمع: رواه الإمام أحمد في حديث طويل، والطبراني وفيه من لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح (٧/ ٢٣٠)، وروى الهروي بعضه في ذم الكلام (٢/ ٦٤، ٦٥) [١٦٢].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٩٥، ٣٩٦) [٣٨٤٥]، وابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ١٤١، ١٤٢). قال محققو المسند: إسناده ضعيف لجهالة الرجل من همدان، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين (٦/ ٣٩٦، ٣٩٧)، قلت: وبعض أجزائه له شواهد تقويه، وقال ابن الأثير: لا يتفه: هو من الشيء الحقير التافه، يقال: تَفِه يَتْفَه فهو تافه (٢/ ١٩٢)، ومثله عند أبي عبيد في غريب الحديث (٥/ ٦٧)، وعندهما يستشن بلفظ: يَتَشانّ: أي: لا يخلق على =

٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ليس الخطأ أن يقرأ غفور رحيم مكان عزيز حكيم، ولكن الخطأ أن يقرأ ما ليس منه، أو يختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة(١).

٤ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول لأصحابه: من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره(٢).

٥ ـ كان أبو العالية إذا قرأ عنده إنسان لم يقل: ليس هو كذا ولكن يقول: أما أنا فأقرأ هكذا.

قال الراوي: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: أرى صاحبك قد سمع أنه من كفر بحرفٍ فقد كفر بكله(٣).

٦ ـ عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله في كتابه أنه قال: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾ [النحل: ١٠٣] إنما افتتن أنه كان يكتب الوحي لرسول الله، فكان يملي عليه (سميع عليم) أو (عزيز حكيم) أو نحو ذلك من خواتيم الآية، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو يملي عليه الوحي، فيستفهمُ رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله أعزيز حكيم أو سميع عليم؟ فيقول: **«أي ذلك كتبت فهو كذلك» فافتتن وقال: إن محمداً ليكل ذلك إليّ فاكتبُ ما شئت، فهذا الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة**(٤).

= كثرة الرد، مأخوذ من الشنّ وهو الجلد الخلِق البالي. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٥/ ٦٧)، والنهاية (٢/ ٥٠٧).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ١٨٦) [٧٨٣]، شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٢٢) [٢٢٧٢].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٦)، وهو جزء من حديثه الطويل الذي تقدم، والهروي في ذم الكلام (٢/ ٩٤، ٩٥) [١٨٦].

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٨٥، ١٨٦) [٧٨١]، والطبري في مقدمة تفسيره (١/ ٤٨، ٤٩)، وابن عساكر في تاريخه (١٨/ ١٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٨٨) (١٣٥١٩). انظر: الدر المنثور (٩/ ١١٧).

المسألة الخامسة

جمع عثمان هل كان على حرف واحد، أو هو للأحرف السبعة كلها؟

١ ـ جاء في بعض الآثار أنه قيل لعثمان رضي الله عنه في أثر طويل: نقم عليك أنك جعلت الحروف حرفاً واحداً، فقال: جاءني حذيفة فقال: ما كنت صانعاً إذا قيل: قراءة فلان وقراءة فلان كما اختلف أهل الكتاب؟ فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأً فمن حذيفة[١].

٢ ـ عن إسماعيل بن أبي خالد قال: لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان... قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله عز وجل... فرد عليهم عثمان رضي الله عنه قال: أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف، فاقرؤوا على أي حرفٍ شئتم[٢].

وجاء بألفاظ أُخرى:

... قالوا: أحرقت كتاب الله، قال: اختلف الناس في القراءة، فقال هذا: قرآني خير من قرآنك، وقال هذا: قرآني خير من قرآنك، وكان حذيفة أول من أنكر ذلك وأنهاه إليَّ، فجمعت الناس على القراءة التي كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: فلم حرقت المصاحف؟ أما كان فيها ما يوافق القراءة التي جمعت الناس عليها، أفهلا تركت المصاحف بحالها؟

قال: أردت أن لا يبقى إلا ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت في الصحف التي كانت عند حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

٣ ـ عن عَبيدة السلماني قال: القراءة التي عُرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢١/ ٣١٥، ٣١٧) [٣٨٨٤٦]، قال محققو المصنف: أبو محصن هو حصين بن نمير الواسطي من رجال التهذيب، وهو من حيث البدعة ناصبي (٢١/ ٣١٥).

(٢) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٤٣، ٢٤٤) [١٢١]، وحكم محقق المصاحف على إسناده بالانقطاع، وعلى متنه بأن فيه ما ينكر؛ لأن قوله: (اقرؤا على أي حرف شئتم) لا يستقيم مع الواقع؛ لأن عثمان وحَّد الأمة في أول خلافته على مصحفه الذي كتبه ووزعه على الأمصار، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٩/ ٢٤٩).

(٣) أخرج ذلك البلاذري مطولاً في أنساب الأشراف (٦/ ١٧٧، ١٧٨).

العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم(١).

٤ ـ عن ابن سيرين قال: كان جبريل يُعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان، فلما كان العام الذي قُبض فيه عارضه مرتين، فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة(٢).

[التاصيل]

١ ـ علم الأحرف السبعة من عُضَل العلم، مشكلٌ لجهابذة العلماء وأئمته الأولين، وهو كذلك حتى هذا الزمان رغم كثرة المؤلفات وتتابع المصنفات في جهود حثيثةٍ من أهل الاختصاص ساعية إلى إيضاح مسائله وكشف غامضه، والذي من أولها وعلى رأسها: معنى الأحرف السبعة والمراد بها.

٢ ـ أعاد العلماء سبب الاختلاف العريض في معنى الأحرف السبعة وبيان المراد منها إلى غياب نصوص قاطعة جلية عن النبي ﷺ أو عن الصحابة والتابعين تكشف معناها، وترفع النزاع فيها.

قال ابن العربي رحمه الله: «واختلف الناس في ذلك اختلافاً متبايناً... وذلك أن جبريل عليه السلام لما نزل على النبي ﷺ بالقرآن نزل بحرف، قال: إن أُمتي لا تطيق ذلك فنزل بحرفين ثم لم يزل يستزيده حتى بلغ السبعة ولم تتعين هذه السبعة بنص من النبي ﷺ ولا بإجماع من الصحابة». اهـ(٣).

٣ ـ وردت وقائع لعدد من الصحابة اختلفوا في حروف من القراءة فترافعوا إلى النبي ﷺ، وكانت تلك الوقائع لأكابر الصحابة، عمر، وعلي، وابن مسعود، وهشام بن حكيم رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٦٠) [٣٠٩٢٢]، وقال محققو الإتقان: رجاله ثقات، غير أنه مرسل (١/ ٣٣٥)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أشتة في المصاحف. انظر: الإتقان (١/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٣٩) [٥٧]، ورجاله ثقات مع أنه مرسل، كما قال محقق السنن ولفظه: فيرجى أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة، وعزاه السيوطي إلى ابن أشتة في المصاحف، وابن الأنباري. انظر: الإتقان (١/ ٣٣٥)، والدر المنثور (١/ ٥٥٢).

(٣) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (١/ ٤٠٠)، وللباقلاني كلام مبسوط حول هذا المعنى. انظر: الانتصار (١/ ٣٨٤، ٣٨٥).

ويُقرر من مروياتهم المسائل التالية:

أ ـ تأكيدهم جميعاً على توحيد مصدر تلقي القرآن، وأنهم قرؤوا عن النبي ﷺ كما أقرأهم، واحتج كلٌ على الآخر بقوله: «أقرأنيها رسول الله ﷺ».

وقال الصحابي الآخر: «قد أقرأنيها على غير ما قرأت».

«سمعت رجلاً قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها».

وعليه، فكلٌ يستمسك بما أقرأه النبي ﷺ، فالقراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول، فلا رخصة ولا مجال في أن يقرأ أحدٌ من تلقاء نفسه وباجتهاده، بل لا بد من السماع من النبي ﷺ.

وهذا يقضي على أي قولٍ يدعي الإذن أن يقرؤوا بلغاتهم أو لهجاتهم مطلقاً دون أخذ مباشر من النبي ﷺ، وتلك دعوى باطلة والنصوص تقرر التزامهم بما أقرأهم النبي ﷺ، وهو أمرٌ لم يوكل إلى أحد غيره، ونصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«اقرؤوا كما علمتكم»**.

ب ـ صوَّب المصطفى ﷺ وحسَّن فعل من احتكموا إليه بما أقرأهم به من الحروف موضحاً أنها هكذا أُنزلت، وأن القرآن أُنزل على سبعة أحرف مقرراً أنها شافية كافية كلها، فبأي حرف قرأت أصبت، ناهياً عن الاختلاف والمراء في القرآن، آمراً إياهم بالقراءة كما عُلِّموا.

ج ـ رشح من جملة الآثار تسميةُ سور القرآن التي وقع بينهم اختلاف في حروفها، وهي:

سورة الفرقان، سورة النحل، الأحقاف، ولم تتعين الآيات المختلف في حروفها من هذه السور على وجه التحديد.

د ـ يُستقى من هذه الوقائع أن النبي ﷺ حين صوَّب قراءاتهم كما أقرأهم وأخبرهم بنزول القرآن على حروف سبعة لم يستفهموا منه معنى الأحرف ولم يسألوه عن المراد بها؛ لأنهم أيقنوا أنها أوجه من الاختلاف في ألفاظ القراءة ووجوه التلاوة، فالاختلاف بين ألفاظ هذه الحروف وما أُقرئ به كل واحد من هؤلاء الصحابة، وليس اختلافاً في المعاني.

هـ ـ بهذه الآثار تبطل أقوالُ من فسَّر الأحرف السبعة بضروبٍ من المعاني من مثل قولهم: هي حلال وحرام، وأمثال، ومحكم ومتشابه، ومقدَّم

ومؤخَّر، وفرائض وحدود، إلى غير ذلك مما هي محصلة اثنين وعشرين قولاً في معنى الأحرف وتتساقط كثير من التفسيرات التي حُكيت في بيان الأحرف السبعة[١].

وهذا الملحظ بيَّنه جماعة من أهل العلم: كأبي عبيد، وابن قتيبة، والطبري، والطحاوي، وابن عبد البر، ومكي بن أبي طالب، والبغوي، وابن عطية[٢]، بل قال ابن حزم: «وكذب هذا القول أظهر من الشمس؛ لأن خبر أُبي الذي ذكرناه، وخبر عمر الذي أوردناه شاهدان بكذبه، مخبران بأن الأحرف إنما هي اختلاف ألفاظ القراءات، لا تغاير معاني القرآن، ولا يجوز أن يقال في هذه الأقسام التي ذكرنا: أيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا». اهـ[٣].

وقال مكي بن أبي طالب: «ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لما تخاصموا إليه في القراءة أمرهم بالقراءة، فلما سمعهم صوَّب قراءتهم ولم يسألهم عن معان مستورة في أنفسهم، إنما سمع ألفاظهم فصوبهم، وأيضاً فلو كانت في حلال وحرام، وأمر ونهي، وناسخ ومنسوخ وشبهه لم يقل: اقرؤوا بما شئتم، وأي ذلك قرأت أصبت»[٤].

وابن عطية قال ما نصه: «... وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة». اهـ[٥].

٤ ـ اقترنت بعض أحاديث الأحرف السبعة بنزول القرآن من سبعة أبواب، وهو ما زاد معاني الأحرف خفاءً، وأكثر من الأقوال فيها فظهرت

---

(١) انظر لمعرفة هذه الأقوال: فنون الأفنان لابن الجوزي (٢٠٣، ٢٠٥)، الإتقان للسيوطي (١/ ٣٢٤) فما بعدها، الزيادة والإحسان (١/ ٤٧٦ ـ ٤٨٠).

(٢) فضائل القرآن (٢/ ١٧٥، ١٧٦)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص٣٣)، جامع البيان (١/ ٤٣)، مشكل الآثار (٨/ ١٢١)، الإبانة عن معاني القراءات (ص٧٢)، التمهيد (٨/ ٢٨٩، ٢٩١)، شرح السُّنَّة البغوي (٤/ ٥٠٩)، المحرر الوجيز (١/ ٢٦).

(٣) الإحكام في أُصول الأحكام (٤/ ١٦٩).

(٤) الإبانة عن معاني القراءات (ص٧٢، ٧٣).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٢٦).

وجوه من المعاني في بيان الأحرف السبعة مع أن النصوص الصحاح قاطعة أنها وجوه من الاختلاف في الألفاظ والتلاوة لا المعاني، وهذا التداخل بين السبعة أبواب والسبعة أحرف جعلت أبا عبيد يقول بعد إيراده حديث ابن مسعود يرفعه إلى النبي ﷺ: «وليس هذا من ذاك في شيء، إنما هذا أن القرآن نزل في سبع، ومعناه: سبع خصال أو سبع خلال، وتلك الأحاديث إنما هي نزل القرآن على سبعة أحرف، والأحرف لا معنى لها إلا اللغات».اهـ(١).

وهذه الآثار جاء منها ما رفع إلى النبي ﷺ من حديث ابن مسعود وهو أشهرها.

وهو حديث ضعَّفه جماعات من أهل العلم بالأسانيد؛ للانقطاع في إسناده بين أبي سلمة وابن مسعود(٢).

قال ابن عبد البر: «وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت... وهذا الحديث مُجتمع على ضعفه من جهة إسناده وقد رده قوم من أهل النظر»(٣).

وألمح الحافظ ابن حجر إلى ضعفه كذلك(٤).

ومن غير هؤلاء الأئمة المضعفين للحديث من حسَّنه من أهل الحديث بل من صححه(٥).

وفي معناه رواياتٌ عن ابن مسعود ومعاذ رضي الله عنهما وهي مرفوعة حكماً؛ لأن مثله لا يقال بالرأي، وحُسّنت بعض تلك المرويات وهي تقوي الحديث المرفوع، وتضعيف رواية السبعة أبواب طريق من طرق الإجابة عن معناها يُحل به تعلقها بالأحرف السبعة.

أما الطريق الثاني من تأويل الحديث:

فهو أن ما جاء تفسيره من ذكر الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه ونحو ذلك هو تفسير للسبعة أبواب لا للأحرف السبعة.

وجواب ثالث: أن قوله: حلال وحرام إلى آخره، لا تعلق لها بالأحرف

---

(١) فضائل القرآن (٢/ ١٧٥).
(٢) مشكل الآثار (٨/ ١١٦).
(٣) التمهيد (٨/ ٢٧٥، ٢٧٦).
(٤) فتح الباري (٨/ ٦٤٦).
(٥) ممن صحَّحه ابن حبان كما قاله ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٤٦)، والحاكم (٣/ ٦)، وحسَّنه الألباني كما تقدم.

السبعة ولا بالأبواب السبعة، بل إخبار عن القرآن أنه كذا وكذا، واتفق كونه بصفات سبع كذلك[١].

قلت: وردت آثارٌ موقوفةٌ عن ابن مسعود ﷺ وهي مرفوعةٌ حكماً[٢]، **وأبي هريرة رفعه إلى النبي ﷺ**[٣].

أن القرآن أُنزل على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال... إلخ.

وبغض النظر عن أسانيدها فهي تقوي من يرى أن هذه الأوجه الخمسة، وتلك السبعة الأبواب، ـ كما في الجواب الثالث ـ حين تطابقت في ذكر الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه إلخ هي وجوه لا علاقة لها بالأحرف السبعة، وإن جاءت في نصوص تذكر قراءات القرآن ونزوله على تلك الأحرف، وانظر إلى تسميته ههنا بـ (أوجه) فدل على أنها وجوه من المعاني وتلك أحرف من القراءات وتلاوة الألفاظ.

٥ ـ لما غاب النص القاطع لمعنى الأحرف السبعة فنشب الخلاف واحتدم الجدل في المراد منها ظهر من ثنايا الاختلاف الواسع آثارٌ عن بعض الصحابة أو التابعين أُلتُمس منها تبياناً للأحرف، وعلى رأسها أثر ابن مسعود: «إني استمعت إلى القراءة فوجدتهم متقاربين...».

حيث استدل به عددٌ من العلماء؛ كأبي عبيد، وأبي عبيد الهروي، والبيهقي، والبغوي، وابن الجوزي:

على تفسير الأحرف السبعة باللغات السبع، فكل حرف على لغة قبيلة من قبائل العرب إلى السبعة، وبعض القبائل أحظى من بعض، وعلى اختلاف بينهم

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١/ ٦٥، ٦٦)، الانتصار لأبي بكر الباقلاني (١/ ٣٦٨)، الأحرف السبعة للداني (٥٨، ٥٩)، المرشد الوجيز لأبي شامة (١٠٨، ١٠٩)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٢٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس (ص١٣٠) [١٣٠] بلفظ: نزل القرآن على خمسة أحرف: حلال وحرام....، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٧٥) [٧٥١، ٧٥٢]، والطبري (١/ ٦٤)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ١٣٣) [٢٦١].

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٧) [٢٢٩٣]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٢٣) [١٣٤٦].

في تعيين هذه القبائل[١].

واستدل بعضهم بذات الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه - مع جملة غيرها - على تفسير الأحرف السبعة بأنها سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو: أقبل، وهلم، وتعال، يعني: الألفاظ المترادفة متفقة أو متقاربة المعاني، وهو ما اختاره الطحاوي، وابن عبد البر، ونُسب إلى ابن جرير الطبري[٢]، ونُسب إلى أكثر أهل العلم[٣].

فانظر إلى اتفاقهم على الاحتجاج بهذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه وافتراقهم في فهم المقصود منه، وبالتالي تعدد أقوالهم في تبيين الأحرف السبعة.

هناك بعض الأدلة يستشهد بها من يفسر الأحرف السبعة باللغات السبع من لغات العرب كلها على تباين بين هذه القبائل فبعضها أكثر حظاً وأسعد بها من بعض[٤].

وهذه الأدلة كما يلي:

١ - مجموعة من المرويات في نزول القرآن بلغة مضر كما في أثر عمر وعثمان رضي الله عنهما.

٢ - قول عمر لابن مسعود: فإن القرآن نزل بلغة قريش ولم ينزل بلغة هذيل.

٣ - حديث عثمان رضي الله عنه: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم.

٤ - أثر ابن مسعود رضي الله عنه: لا يُملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وغلمان ثقيف.

---

(١) نص أبو عبيد على ذلك في غريب الحديث (٢/ ٦٤٢ - ٦٤٧)، وفي فضائل القرآن (٢/ ١٧٥، ١٧٦)، وكذلك هو قول أبي عبيد الهروي. انظر: الغريبين في القرآن والحديث (ص٤٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢١)، وانظر: شرح السُّنَّة للبغوي (٤/ ٥٠٧)، فنون الأفنان (ص٢١٨، ٢١٩).

(٢) مشكل الآثار (٨/ ١٢١)، التمهيد (٨/ ٢٨٤، ٢٩١)، وجامع البيان (١/ ٥٢، ٥٣).

(٣) هناك خلاف في تعيين هذه اللغات، قال ابن الجوزي: والذي نراه أن التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح لنا سنده، ولا يثبت عند جهابذة النقل نقله، بل نقول: نزل القرآن على سبع لغات فصيحة من لغات العرب.اهـ فنون الأفنان (ص٢١٧).

(٤) كما في لطائف الإشارات (ص٣٢).

٥ - قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قرأها (زِقيةً واحدةً).

٦ - أثر ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي من نزول القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش وكعب خزاعة، وفي رواية: صار في عجز هوازن منها خمسة أو خمسة من هذه الأحرف لهوازن، وحرفان لباقي الناس.

٧ - قراءة أنس بن مالك رضي الله عنه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: ٦] قرأها (وأصوب قيلاً) فقيل له: إنما نقرأ ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، فقال أنس: أصوب وأقوم وأهيا واحد[(١)].

* من يفسر الأحرف بأنها سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وهلم وتعال يعضد قوله بالآثار التالية:

١ - قراءة أُبي بن كعب ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ للذين آمنوا أمهلونا، أخرونا..

٢ - قراءة أُبي بن كعب: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ مَرّوا فيه، سعوا فيه.

٣ - قراءة ابن مسعود: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ قرأها: طعام الفاجر[(٢)].

٤ - قول الزهري: هي في الأمر الواحد الذي لا يختلف في حلال ولا حرام.

* يستدل من فسر الأحرف السبعة بأنها وجوه سبعة من الاختلاف، ومجموعها: الإبدال، والتقديم والتأخير، وزيادة حرف ونقصانه، واختلاف حركات البناء، والإعراب، والتفخيم والإظهار، يستدلون ببعض قراءات الصحابة من مثل: (فامضوا إلى ذكر الله)، (كالصوف المنفوش)، (إن كانت إلا زِقيةً واحدةً) وغيرها[(٣)].

---

(١) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٢/ ١٦٩، ١٧٦)، التمهيد لابن عبد البر (٨/)، المحرر الوجيز (١/ ٣٤، ٣٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٤، ٤٥).

(٢) مشكل الآثار للطحاوي (٨/ ١٢٤، ١٢٥)، التمهيد (٨/ ٢٩١، ٢٩٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٢)، (١٦/ ١٤٩).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص٤٠ - ٤٦)، الانتصار للباقلاني (١/ ٣٨٥ - ٣٨٩)، التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٢٩٥)، المحرر الوجيز (١/ ٢٧، ٢٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٥، ٤٦)، النشر لابن الجزري (١/ ٢٦)، لطائف الإشارات للقسطلاني (ص٣٧ - ٤٠).

٦ ـ أخذ بعض أهل العلم دليلاً من قصة اختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في حروفٍ من القراءة على ضعف تفسير الأحرف السبعة بأنها لغات من لغات العرب، وردوا ذلك به؛ لأن عمر وهشام كلاهما قرشيٌّ من لغةٍ واحدةٍ وقبيلةٍ واحدةٍ، ولو كان كما ذكروا لما تنافروا وتناكروا القراءة وذهبوا إلى النبي ﷺ ليفصل بينهم[(١)]، واشتد ابن حزم بعبارات عنيفة راداً على من فسَّر الأحرف بلغاتٍ من لغات العرب، مستدلاً بواقعة عمر مع هشام بن حكيم وهما قرشيان من قبيلة واحدة، جاران ساكنان في مدينة واحدة وهي مكة، ولغتهما واحدة[(٢)].

وفات هؤلاء أن مناكرة هؤلاء الصحابة واختلافهم لم يكن لأن المُنكِر سمع ما ليس في لغته فأنكره، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ، وعساه قد أقرأه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته، هكذا أجاب ابن عطية[(٣)]، وبنحوه مطولاً الآلوسي[(٤)].

٧ ـ ضعَّف ابن عبد البر بعض المرويات التي يستدل بها مَن فسَّر الأحرف السبعة بأنها لغات سبع من لغات العرب فقال عن أثر ابن عباس ﵄: أُنزل القرآن على سبعة أحرف صار في عجز هوازن منها خمسة: «هذا حديث لا يثبت من جهة النقل».

وعن أثر ابن المسيب: نزل القرآن على لغة هذا الحي من ولد هوازن وثقيف قال: «وإسناد حديث سعيد هذا أيضاً غير صحيح»[(٥)].

كما ردَّ قول القائل في تفسير الأحرف أنها لغات سبع بلغة مضر فقال:

«وأنكر آخرون أن تكون كلها في مضر، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن عليها مثل كشكشة قيس وعنعنة تميم»[(٦)].

٨ ـ عُلم بهذا أن الأقوال المحكية في تفسير الأحرف السبعة متباينة في

---

(١) الانتصار للباقلاني (١/ ٣٧٩)، التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٢٨٠، ٢٨١)، النشر لابن الجزري (١/ ٢٤).
(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ١٦٨، ١٦٩).
(٣) المحرر الوجيز (١/ ٣٠).
(٤) روح المعاني (١/ ٢١).
(٥) التمهيد (٨/ ٢٨٠).
(٦) التمهيد (٨/ ٢٧٧).

نفسها قوة وضعفاً، ومنها ما استمسك بآثار عن الصحابة والتابعين أيَّد بها قوله فزاد من حظوته بين العشرات المتكاثرة في بيان الأحرف السبعة، ولم يغفل العلماء النظر في الأحاديث المرفوعة الواردة في الأحرف مع الآثار الموقوفة، بل أعملوا فيها دقيق النظر وثاقب الفكر جاهدين الوصول إلى تفسيرٍ يُركن إليه ويستوثق منه.

وعلى كلٍ فليست كل الأقوال متساوية في قوتها ومأخذها بل هي متفاوتة، وتمحيصها وتقليل الخلاف في هذه الآراء المحتشدة مطلبٌ مهمٌ، خاصةً في علم قرآني كهذا، فلا يتوجه من عشرات الأقوال إلا خمسة أو ستة لها أدلتها، وفيها نظر فسيح يمكن تمعنها، فحظها من الأثر والنظر كبير.

٩ ـ حملت مروياتهم التأكيد على جوانب في موضوع الأحرف السبعة، قرروها وأكدوا عليها، لئلا يكون ما جاء رحمةً وسعةً موطناً للضيق والتناكر والاختلاف، وأهم تلك الموضوعات:

أ ـ الأمر بالقراءة كما عُلِّموا، فالقراءة سُنَّة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، وتأكيدهم هذا الأمر جاء استجابة لأمر النبي ﷺ بذلك **«اقرؤوا كما عُلمتم»**.

ب ـ أوصى ابن مسعود ؓ سائليه بعدم الاختلاف والتنازع في القرآن؛ لأنه ليس موطناً لذلك، بل هو أصل الاجتماع والائتلاف.

فإن الاختلاف فيه وفي وجوه قراءته قد يؤول إلى جحد شيءٍ منه، وجحدُ حرف من القرآن جحدٌ للقرآن كله.

ج ـ كذلك وصَّى ابن مسعود ؓ أن لا يتحول القارئ عن حرف إلى آخر رغبةً عنه، فإن كلاً من عند الله، وهي ألفاظ متنوعة مؤتلفة المعاني، والوصية من ابن مسعود لها قدرها، وكلامه أنفس ما يكون؛ لأنه كلام العالم الحبر الإمام، خصوصاً أن ابن مسعود كان له بادئ الأمر موقف متفرد من جمع عثمان بن عفان، لكنه مع ذلك يحث على التمسك بهذه الوصايا النافعة العظيمة الخالصة.

د ـ من وجوه التأدب البليغ والتوقير للقرآن مع تنوع وجوه قراءاته ما أُثر عن أبي العالية من أنه كان إذا قُرئ عليه بحرف لا يَقرأ به لا يقول له: ليس كذلك، وإنما يقول: أما أنا فأقرأ كذا.

وهذا غاية الاحتراز وبالغ الصون للقرآن، فلم يقل: ليس كذا، ولو قاله فإنه يعني أنه لا يَقرأ بذلك الحرف وليس جحداً منه لما قُرئ، ولما فُهم منه جحوداً أو إنكاراً، ومع ذلك يحسن اختيار العبارة متجافياً عن ما يمكن أن ينبو منها.

وحريٌّ بمن وقف على هذا الأدب الرفيع مع تنوع الأحرف واختلاف القراء أن يمتثله ويتخلق به.

١٠ ـ صرحت روايات مرفوعة في حديث الأحرف السبعة أنه ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت: سميعاً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب[(١)].

وبلفظ: كله صواب، ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة[(٢)].

وجاء مثله عن ابن مسعود.

وختم الأحاديث بهذه الجُمل كان له أثره في بيان معنى الأحرف السبعة، فتناولها العلماء بالشرح والكشف عن علاقتها بالأحرف والقراءات.

غير أن فريقاً من الأئمة انتحى جانباً، وذهب إلى تفسير هذه الجملة بما لا صلة له بالأحرف، وخرجوا بها عن سياقات ورودها، فجعلوها تعليماً للوقف التام من رسول الله ﷺ، وأن المعنى دالٌّ على قطع الآية التي فيها ذكر النار والعقاب وفصلها عما بعدها إن كان بعدها ذكر الجنة والثواب، وكذا عكس هذا لازم أيضاً.

هذا قول النحاس، والداني، وابن الطحان، وابن الجزري[(٣)].

وهذا التفسير خروج عن سياق الأحرف السبعة، وبه يضعف ذلك القول.

أما من لم يخرجها عن سياق الأحرف فلهم في تأويلها وجوه:

---

(١) كما في رواية أحمد في مسنده (٣٥/ ٨٤، ٨٥) [٢١١٤٩]، وأبي داود في سننه (٢١٩) [١٤٧٧]، والطبري (١/ ٣٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١١٣، ١٢٢) [٣١٠١] [٣١١٣]، وغيرهم.

(٢) كما عند أحمد (٢٦/ ٢٨٥) [١٦٣٦٦]، والطبري (١/ ٢٥)، وحسَّن ابن كثير سند هذه الرواية. انظر: فضائل القرآن (ص١٣٢).

(٣) القطع والائتناف (١٣)، المكتفى في الوقف والابتداء (١٠٣)، نظام الأداء لابن الطحان (ص٢٣، ٢٤)، التمهيد في علم التجويد (ص١٦٧، ١٦٨).

فالباقلاني يرى أن هذا مما كان مطلقاً مباحاً ثم نسخ ومنع الناس من تبديل أسماء الله تعالى في آية وموضع من المواضع بغيره مما هو بمعناه أو مخالف لمعناه، وأنه ليس بمحالٍ أن ينزل الله القرآن على وجهٍ ثم ينسخ ذلك الوجه من القراءة بغيره[١].

وقال البيهقي: «فيحتمل أن يكون المراد به: أن ذلك في جملة ما نزل من القرآن غير أنه قرأه في غير الموضع الذي نزل فيه فلا يأثم به ما لم يختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة»[٢].

وعاد ثانية ليوجه رواية ابن مسعود وهي في معنى الرواية المرفوعة: «يعني ـ والله أعلم ـ ليس الخطأ المأثوم به مخطئُه أن يقرأه هكذا؛ لأن الذي قرأه من جملة ما نزل من القرآن وهو من أسماء الله ﷻ فلا يأثم بقراءته في غير موضعه»[٣].

وأجاب أبو عبيد عن أثر ابن مسعود فقال: «أرى أن عبد الله إنما أراد بهذا أنه إذا سمع السامع من يقرأ هذه الحروف من نعت الله ﷻ لم يجز له أن يقول أخطأت؛ لأنها كلها من نعوت الله تبارك وتعالى.

ولكن يقول: هو كذا وكذا على ما قال أبو العالية، وليس وجهه أن يضع كل حرف من هذا في موضع الآخر وهو عامد لذلك، فإذا سمع رجلاً ختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة فهناك يجوز له أن يقول أخطأت؛ لأنه خالف الحكاية عن الله تبارك وتعالى». اهـ[٤].

أما أبو شامة فعد ذلك سائغاً قبل جمع الصحابة المصحف تسهيلاً على الأمة حفظَه، ثم إن الصحابة خافوا من كثرة الاختلاف وألهموا وفهموا أن تلك الرخصة قد استُغني عنها بكثرة الحفظة للقرآن، فحسموا مادة ذلك بنسخ القرآن على اللفظ المنزل غير اللفظ المرادف له[٥].

وقال الباقلاني نحو هذا الكلام[٦].

قصدي بإيراد هذا أنه احتف بآثار نزول الأحرف السبعة ما زاد من

---

(١) الانتصار للباقلاني (١/ ٣٧٠، ٣٧١).
(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤٢١).
(٣) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٢).
(٤) فضائل القرآن (٢/ ١٨٦، ١٨٧).
(٥) المرشد الوجيز (ص٩٧).
(٦) الانتصار (١/ ٣٧٠، ٣٧١).

غموضها فضلاً عن خلو المرويات من تفسير كاشف لهذه الألفاظ التي ختمت بها نصوص عدة.

١١ ـ تعددت أقوال من فسر الأحرف السبعة بلغات سبع من لغات العرب، أهي لغات سبع متفرقة على لغات العرب كلها يمنها ونزارها، أم هي كلها في لغة مضر فجائز أن يكون منها لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة، ومنها لقيس، على قبائل مضر تستوعب سبع لغات، أم هي خاصة بلسان قريش فقط؟

وكلٌّ يستند في قوله إلى رواياتٍ مضمونها نزول القرآن بلغة قريش، وأخرى تفيد نزوله بلغة مضر، على خلاف وتفصيل بينهم في فروع هذا التفسير من تفسيرات الأحرف السبعة(١).

١٢ ـ من أُمهات المسائل في موضوع الأحرف السبعة مسألة: بقاء الأحرف السبعة كلها إلى الآن أو أن عثمان ﷺ جمع الأُمة على حرف واحد وتُركت الستة الأخرى جمعاً للأُمة ودرءاً للفتنة والاختلاف التي نشبت بوادره فدفعت الخليفة الراشد إلى جمع القرآن في عمل عظيم أطبقت عليه الأمة وارتضته ورضيت به.

ومجمل الأقوال ثلاثة:

القول الأول: أن عثمان ﷺ جمع الأُمة على حرفٍ واحدٍ وتركت هذه الستة الباقية.

وأشهر من تبنى هذا القول: الطبري، والطحاوي، وابن عبد البر، والشاطبي، والقسطلاني، ونسبه ابن تيمية لجمهور العلماء من السلف والأئمة(٢).

وقال: «والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول».

---

(١) انظر: مشكل الآثار للطحاوي (٨/ ١١٦ ـ ١١٨)، التمهيد (١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠)، المحرر الوجيز (١/ ٣٠، ٣١)، المرشد الوجيز (١٠٦ ـ ١١٠)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٣، ٤٥)، لطائف الإشارات (٣٤، ٣٥).

(٢) جامع البيان (١/ ٥١، ٥٤)، مشكل الآثار (٨/ ١٢٥)، التمهيد (٨/ ٢٩١ ـ ٢٩٥)، فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٩٥)، الموافقات (٤/ ٢٩٢)، لطائف الإشارات (ص٦٥).

وأتوا على ما قالوه بأدلة أغلبها كان استنطاقاً لنصوص الأحرف السبعة وما فهموه من جمع عثمان للمصاحف، أما أصرح الآثار التي يسوقونها على هذا فهي ما يلي:

أ ـ استدلوا بقراءات واردة عن ابن مسعود وأُبي بن كعب، من مثل قراءة أُبي بن كعب (للذين آمنوا أمهلونا) (أخرونا) (ارقبونا)، و(كلما أضاء لهم مرّوا فيه، سعوا فيه)، وما أقرأ به ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ (طعام الفاجر).

ومثل: (الصوف المنفوش) و(جاءت سكرت الحق بالموت)، (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر). (فامضوا إلى ذكر الله) و(نعجة أنثى)[١]، فكلها حروف كان يُقرأ بها وهي اليوم خالية منها المصاحف فدل على أن عثمان جمعهم على حرف واحد.

ب ـ استدلوا بجمع عثمان الأُمة على المصحف الذي جمع الناس عليه وارتضاه أهل زمانه فكان إجماعاً، وفهموا أن عمل عثمان في جمعه هو جمع الناس على حرف واحد وترك ستة أحرف؛ ليزول الخلاف وتتفق الكلمة، وأن هذا لا يعني أن الأُمة ضيعت ما هو مأمور بحفظه ولكن الأمة مخيرة في قراءته بأي حرف من الأحرف السبعة، فرأت من المصلحة الثبات على حرف واحد، وتركت الأحرف الستة التي عزم إمامها العادل عليها حتى دُرست معرفة هذه الأحرف من غير جحودٍ لصحتها وصحة شيء منها[٢].

ج ـ أن خط المصحف نفى ما كان يُقرأ به من ألفاظ الزيادة والنقصان والمرادفة والتقديم والتأخير وكانوا علموا أن تلك الرخصة قد انتهت بكثرة المسلمين واجتهاد القراء وتمكنهم من الحفظ[٣].

وهو مفهوم قراءات الصحابة التي سيقت أول الأدلة، فعدم تضمن المصحف لها وهي صحيحة الأسانيد دالٌّ على ذهاب الأحرف الستة وبقاء حرف واحد.

---

(١) التمهيد (٨/ ٢٩١ ـ ٢٩٥)، المرشد الوجيز (ص١١١، ١١٢).
(٢) جامع البيان (١/ ٥٤ ـ ٥٩)، مشكل الآثار (٨/ ١٢٧ ـ ١٣٢)، شرح السُّنَّة للبغوي (٤/ ٥٢٣).
(٣) المرشد الوجيز (ص١٤٢).

القول الثاني: إن المصحف العثماني اشتمل على الأحرف السبعة جميعاً ولم يذهب شيء منها.

وهو قول جماعات من الفقهاء، والقراء، والمتكلمين(١).

وقال به الباقلاني، والداني، والقاضي عياض(٢).

أدلتهم:

أ ـ استدلوا بجمع عثمان بن عفان رضي الله عنه كما استدل به أصحاب القول الأول لكنهم فهموا منه فهماً مغايراً وهو أن حقيقة عمله كان تحريق المصاحف التي تضمنت:

- ما لم يثبت أنه قرآن.
- القراءات التفسيرية المثبتة في مصاحف الصحابة.
- ما نُسخ من القرآن.

ومعلوم أن بعض الصحابة كان مستمراً على قراءة ما نسخ(٣).

ولم يعلم بذلك وهو أمر جائزٌ وقوعه لكبار قراء الصحابة فضلاً عن آحادهم.

كما كان عمر رضي الله عنه يثني على أُبي بن كعب ويعدُّه أقرأهم ومع ذلك يتركون من قراءته شيئاً من المنسوخ تمسك به أُبي وظل يقرؤه ولم يعلم بنسخه وعلم ذلك مجموع الصحابة.

إذن لم يكن بين عثمان وعبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب رضي الله عنهم وأمثالهم خلاف في الأحرف السبعة الثابتة، إنما جرى بعض ذلك في الوجوه المتقدمة المذكورة، ويمكن الاستشهاد بما يفصح عن عمل عثمان رضي الله عنه بقول أبي مجلز في أثره الذي تقدم: طعن قوم على عثمان رضي الله عنه بحمقهم ـ جمع القرآن، ثم قرؤوا بما نسخ.

---

(١) نسبه إلى هؤلاء ابن تيمية في فتاويه (١٣/ ٣٩٥)، وابن الجزري في النشر (١/ ٣١).

(٢) الانتصار (١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٧)، الأحرف السبعة للداني (ص٦٢، ٦٣)، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٩١)، وقال القاضي عياض: ذهب قوم من ضعفة القراء المنتسبين إلى الحديث وجماعة من المعتزلة أن عثمان كتب المصحف وجمع الناس على بعض الأحرف السبعة... وهو قولٌ منكورٌ مهجورٌ، ولا يصححه نقل ولا عقل.اهـ. (٣/ ١٩١).

(٣) انظر: الانتصار للباقلاني (١/ ٣٦٣، ٣٦٤).

ب ـ أثر عَبيدة السلماني ومحمد بن سيرين من أن القراءة التي يقرؤها الناس اليوم ـ يعنون في زمانهم ـ هي ما كانت على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل النبي ﷺ في رمضان الأخير، فإذا قلنا إن العرضة كانت بجميع الأحرف السبعة وهي قراءة الناس أيام هذين التابعين تحصل أن الأحرف السبعة كلها محفوظة لم يذهب منها شيء.

ج ـ نظروا في عمل عثمان رضي الله عنه في المصاحف وما تناقلته الروايات من أخذه الصحف التي كانت مكتوبة بأمر أبي بكر الصديق وحفظت عند عمر ثم حفصة، ونسختها الكتبة في مصحف واحد، ومعلوم أن صحف أبي بكر كانت محتوية على الأحرف السبعة فالمنسوخ منها مشتمل على الأحرف السبعة.

القول الثالث: أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، ومعناه أنها تحتوي على بعض الأحرف لا كلها، وهو قول متوسط بين الأولين، وهذا القول إمامه أبو العباس المهدوي، وابن الجزري[١].

وهم يستدلون بأدلة قريبة من أدلة من يقول ببقاء حرف واحد، وذهاب هذا المذهب يلزم منه الدلائل على ذهاب شيء من الأحرف السبعة بعمل عثمان في المصاحف وهو ما يسوق له أصحاب الفريق الأول البراهين.

قلت: الذي يعني في هذه المسألة الكبيرة كما وصفها شيخ الإسلام[٢]، أن هناك روايات تاريخية ظفرت بها أوردها أهل التواريخ والسير تشير إلى شيء من هذه القضية التي من نظرها بعين التحقيق علم أنه لا يمكن أن يفوتها مبغض الخليفة الراشد عثمان بن عفان والناقم عليه من الخارجين البغاة الذين شقوا عصا الطاعة وحرضوا عليه في فتنة عمياء أدت إلى مقتله رضي الله عنه في الحادثة المشهورة المشحونة بها كتب التاريخ والسير.

وما سيورد ههنا من الروايات التاريخية حقيق بالنظر الفسيح فيه، دون رده استناداً إلى تطبيق المعايير الحديثية بحذافيرها؛ لأنها مما لا يتضمن حلالاً ولا حراماً فيتشدد في قبوله ويتعنت في أسانيده.

---

(١) شرح الهداية للمهدوي (١/٦ ـ ٨)، النشر (١/٣١).

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٣/٣٨٩).

جاء في كتب التواريخ قول الخارجين على عثمان الناقمين عليه:

١ ـ «ننقم عليك أنك جعلت الحروف حرفاً واحداً» فأجابهم عثمان بما ظهر من بوادر الاختلاف بين القراء وكلٌ يفضل قراءته على قراءة غيره، وأن ما فعله كان بإشارة من حذيفة.

٢ ـ «نقمنا أنه محا كتاب الله...» وأتى في جواب عثمان: «فاقرءوا على أي حرف شئتم».

٢ ـ قولهم: فلم حرقت المصاحف، أما كان فيها ما يوافق القراءة التي جمعت الناس عليها، أفهلا تركت المصاحف بحالها؟

فقال: أردت أن لا يبقى إلا ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ، وثبت في الصحف التي كانت عند حفصة زوج رسول الله ﷺ.

والظاهر أن هذه الروايات لا تدل على قول واحدٍ يمكن أن تقويه على الأقوال الأُخرى، بل تباينت، ففي الرواية الأولى قالوا: جعلت الحروف حرفاً واحداً، مما يومئ إلى تركها الأخرى ولم ينفه عثمان بل عدل إلى ذكر الموجب لذلك، وفي الثانية قال: اقرؤوا على أي حرف شئتم، وهي عبارة تشير إلى بقاء السبعة كلها، مما حدا بمحقق كتاب المصاحف لابن أبي داود أن يحكم عليها بأنها منكرة، لمخالفتها المشهور عنه من جمعه الأُمة على حرفٍ واحدٍ[1].

أما الرواية الثالثة فدليل على أنه إنما ألغى ما ليس بقرآنٍ من المصاحف المنتشرة في زمانه مما لم تثبت قرآنيته أو كان قد نسخ بالعرضة الأخيرة ورفع، وهذا الفهم مستوحى من قوله: أردت أن لا يبقى إلا ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ، وثبت في الصحف التي كانت عند حفصة.

ومعلوم أن تلك الصحف قد اشتملت على الأحرف السبعة مما لا يكاد يختلف فيه.

المقصود من هذا كله أن يُعتنى بجانب الروايات والآثار في هذه المسألة العظيمة علها تقود إلى رأي يستراح إليه، وهي مما اختلف فيه الأئمة والعلماء

(١) تقدم ذكر ذلك في تخريج الرواية.

وبقيت ميداناً للمدارسة لم يُجزم فيه بشيء يخلو من اعتراض معترض أو استشكال مستشكل، ولما فزع الناس إلى ابن مسعود كما في أثر فلفلة الجعفي في شأن المصاحف أوصاهم بما تلزم التوصية به وأخبرهم أن القرآن مُنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب، وابن مسعود ﷺ صاحب الموقف المشهور من جمع عثمان لم يؤثر عنه الاعتراض على عثمان بإبقاء حرف من الأحرف السبعة، ولو كان ذلك كذلك لنادى به ابن مسعود وشهره، إنما عتب على عثمان تحريقه المصاحف وهو الصحابي الإمام الذي أخذ القرآن من النبي ﷺ دون واسطة، بل أرشد النبي ﷺ من أراد القرآن غضاً طرياً أن يقرأه بقراءة ابن أُم عبد، ومن المعلوم أن مصاحف بعض كبار قراء الصحابة حوت شيئاً من المنسوخ لم يعلم به أحدهم وظل يقرؤه، واجتمع جماعات من الصحابة على العلم بنسخه، فليس شرطاً أن لا يفوت الصحابي بعض ما نسخ ورفع من القرآن وإن كان مُقدماً ماهراً بالقرآن، فهذا أُبي يشهد له عمر بأنه أقرأهم ويقرن تلك الشهادة بالإخبار عن تركه شيئاً من حروفه مما نسخ وأُبي لم يعلم به، فلا تلازم بين الأمرين.

ثم لقائل أن يقول: أفيكون ما جاء للسعة والرحمة والتيسير على الأُمة ـ بنزول الأحرف السبعة ـ سبباً للتنازع والفرقة والاختلاف؟[(١)].

---

(١) ثم لما تقررت هذه الوجوه عندي ظفرت بكلام جزل صاعق، ساقه الإمام ابن حزم في هذه المسألة العويصة، إذ يقول:

«وأما دعواهم أن عثمان ﷺ أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المنزلة بها القرآن من عند الله عزوجل، فعظيمة من عظائم الإفك والكذب، ويُعيذ الله تعالى عثمان ﷺ من الرِّدة بعد الإسلام، ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان ﷺ أقل من هذه مما لانكرة فيه أصلاً، فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة؟، ومعاذ الله من ذلك»، الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ١٦٢)، ثم قال في موطن آخر: «وأما الأحرف السبعة فثابتة كما كانت إلى يوم القيامة، مبثوثةٌ في القرءات المشهورة من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال فما بين ذلك»، الإحكام في أُصول الأحكام (٤/ ١٦٥)، وقال: «فحرامٌ على كل أحدٍ أن يظن أن شيئاً أخبر رسول الله ﷺ أن أُمته لاتطيق ذلك، أتى عثمان فحمل الناس عليه فأطاقوه، ومن أجاز هذا فقد كذّب الرسول في قوله لله تعالى: إن أُمته لاتطيق ذلك، ولم ينكر الله تعالى عليه ذلك، ولا جبريل ﷺ، وقال هولاء المجرمون: إنهم يطيقون ذلك وقد أطاقوه، فيا لله ويا للمسلمين؟ أليس هذا اعتراضاً مجرداً على الله عزوجل، مع التكذيب لرسوله ﷺ؟، فهل الكفر إلا هذا؟»، الإحكام في أُصول الأحكام (٤/ ١٦٧)، هذا نص كلامه، ولا يوافق على جميعه.

١٣ ـ استشهد الطبري مراراً ببعض الآثار التي ينتفي معها قول من قال: الأحرف السبعة هي ضروب من المعاني مثل: الأمر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام والقصص وأمثال ذلك.

ومن تلك الآثار قول ابن مسعود: من قرأ على حرف فلا يتحولن إلى غيره رغبة عنه.

وأن مجاهد كان يقرأ على خمسة حروف، وسعيد بن جبير على حرفين.

ومحل الشاهد من ذلك كما يقول الطبري: «أفترى الزاعم أن تأويل قول النبي ﷺ: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف**» إنما هو من الأوجه السبعة التي ذكرنا من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والجدل، والقصص، والمثل، كان يرى أن مجاهداً وسعيد بن جبير لم يقرءآ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه»[1]؟

وقال عن أثر ابن مسعود: «فمعلوم أن عبد الله بن مسعود ﷺ لم يعنِ بقوله هذا: من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد، ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل، وإنما عنى ـ رحمة الله عليه ـ أن من قرأ بحرفه وحرفه قراءته. . .فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبةً عنه، ومن قرأ بحرف أُبي أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله ﷺ ببعض الأحرف السبعة فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبةً عنه، فإن الكفر ببعضه كفر بجميعه». اهـ[2].

فالقول مستفيضٌ من أهل العلم على بطلان تفسير الأحرف السبعة بضروبٍ من المعاني، وقد اجتمع على نكارة هذه الآراء أدلة متنوعة وآثار متعددة، وهو ما يفضي إلى سقوط أكثر من عشرين قولاً في تفسير الأحرف، فيقل الخلاف وينحصر ما يعضده الأثر ويقويه صحيح النظر في ما يقارب خمسة أقوال.

والعلم عند الله ﷻ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧، ٤٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤٦، ٤٧).

الأحرف السبعة عند أهل علوم القرآن

١ ـ حظي هذا العلم بعناية مصنفي علوم القرآن على رغم تجاذب علم القراءات له من طرف آخر، لكنهم لم يغفلوا بحثه في المؤلفات وتضمينه المصنفات، وعنونوا له بعناوية مختلفة:

أ ـ نزول القرآن على الأحرف السبعة، أو الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها. . . .(١)

ب ـ معرفة على كم لغة نزل؟ وهو عنوان الزركشي(٢)، وكأنه تابع أبا عبيدة الذي ساق أحاديث الأحرف تحت باب: لغات القرآن، وأي العرب أُنزل القرآن بلغته؟(٣).

ج ـ لم يجعلوه مستقلاً بل ضمنوه علم: كيفية إنزاله، كما عند الحافظ السيوطي(٤).

والأمر في هذا قريب، والملفت ههنا ما عنون به أبو عبيد والزركشي هذا العلم، فالزركشي يلمح إلى اختياره في معنى الأحرف السبعة، وأنها سبع لغات من لغات العرب، هكذا يبدو ـ والله أعلم ـ أما أبو عبيد فقد صرح بما يختاره في معنى الأحرف السبعة وجعل عنوانه دليلاً على اختياره، والتسمية المستفيضة: علم الأحرف السبعة.

٢ ـ تناول المصنفون علم الأحرف السبعة مع تصدير بعضهم القول بأنه علم مخيف شائك، ودحض مزلة حتى خفي على بعض العلماء، فعدوه مشكلاً(٥).

---

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة (ص٨٥)، الزيادة والإحسان (١/ ٤٧٢)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١١٦)، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (ص١٦٦)، مباحث في علوم القرآن للقطان (١٤٨)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٣٧٠)، لمحات في علوم القرآن محمد لطفي الصباغ (ص١٦٧)، اللآلي الحسان، موسى لاشين (ص١٠٥)، أصول التفسير وقواعده خالد العك (ص٤٢٢).

(٢) البرهان (١/ ٢٦٩).

(٣) فضائل القرآن (٢/ ١٦٣).

(٤) الإتقان (١/ ٣٠٦)، وجعل المسألة الثالثة: في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها، وكذا في التحبير جعلها المسألة السابعة من مسائل النوع العشرون، كيفية النزول (ص١١٩).

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (ص١٦٦)، ونحوه في: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١١٦).

أما أهم الموضوعات التي عرضوها في العلم فهي ما يلي:

أ - نقلوا عن أبي عبيد تواتر حديث الأحرف السبعة ومنهم من سرد أسماء لصحابة رواة الحديث.

ب - ساقوا روايات الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف ما بين مستقل ومستكثر.

ج - كان مدار بحث هذا العلم عندهم في أمرين رئيسين:

الأول: معنى نزول القرآن على أحرف سبعة.

الثاني: هل اشتملت المصاحف العثمانية على حرف واحد أم هي حاوية للأحرف السبعة كلها، أم لما يحتمله رسم الأحرف منها؛ أي: بعض الأحرف لا كلها؟

فأما معنى الأحرف: فمنهم من استوعب الأقوال المتكاثرة التي بلغت نحواً من أربعين قولاً، وعلى رأس هؤلاء الحافظ السيوطي(١)، وابن عقيلة المكي الذي أوصلها إلى سبعة وأربعين قولاً(٢).

ومنهم من توسط فذكر اثني عشر قولاً أو أربعة عشر قولاً(٣).

وآخرون اقتصروا على أربعة أقوال أو خمسة أو سبعة هي أدق الأقوال ولها حظ من القبول والنظر(٤)، مع مناقشتها وعرض أدلتها والجواب عن أدلة المخالفين.

٣ - لم تخلُ كتب علوم القرآن من نقولاتٍ لعلماء الفن، بله التأسيس على كلامهم من أمثال أبي عبيد، وابن قتيبة، وأبي حاتم السجستاني، والطبري، والباقلاني، والداني، وابن عبد البر، وأبي شامة، وابن الجزري.

٤ - المهم في هذا المبحث معرفة كيف استفادوا من نصوص الصحابة

---

(١) الإتقان (١/ ٣٠٩).

(٢) الزيادة والإحسان (١/ ٤٩٤).

(٣) الأحرف السبعة للداني (ص٢٧ - ٣٠)، ويبدو اقتصاره على قولين، البرهان للزركشي (١/ ٢٧٢ - ٢٨٥)، مناهل العرفان (١/ ١٤٢، ١٥١)، المدخل لدراسة القرآن لمحمد أبو شهبة (١٧٤ - ٢٠١)، اللآلي الحسان د. موسى لاشين (ص١٠٦ - ١١١).

(٤) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص١٥٠ - ١٥٣)، المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (٧٧، ٧٨)، أُصول التفسير وقواعده خالد العك (٤٢٢، ٤٢٤).

والتابعين في هذا العلم، وهذا تم أثناء الاستدلال لأقوالٍ ونقد أخرى وهو لا يكاد يخرج عما قرره العلماء وخصوصاً من ألف في موضوع الأحرف السبعة، واستشرح الحديث وتصدر في بيان تأويل هذه الأحرف وخاض في تفسيرها.

٥ ـ لخص بعضهم شيئاً من الأُصول التي تستخرج من الأحاديث الواردة في هذا النزول، وهو بمثابة استنطاق النصوص وتأصيلها، والتأكيد على أهم موضوعاتها(١).

وهو نهجٌ يلزم الوصاية به فإن زيادة النظر العميق في النصوص والآثار سبيل إلى تمحيص الآراء وتخليص المذاهب من شوائبها، وصنيع مؤلفي علوم القرآن في هذا العلم القرآني الاستناد إلى الآثار والمرويات، ثم تحليلها واستنطاقها وإعمال الرأي والنظر فيها، كما عولوا على آراء المتقدمين من العلماء الكبار ممن يُصدر بكلامهم في موضوع الأحرف السبعة.

٦ ـ يحسن التنبيه على بعض ما أورده مؤلفو علوم القرآن من مسائل وفي الآثار المروية ردها أو تأييدها:

أ ـ ضَعَّف بعضهم تفسيرها باللغات السبع لحديث عمر وهشام وكلاهما قرشيان من قبيلة واحدة ولغة واحدة، ومحالٌ أن ينكر عمر على هشام لغته(٢).

والإجابة عن هذا التعليل العليل تقدم، وصرح به من مصنفي علوم القرآن أبو شهبة وغيره(٣).

ب ـ أجاب فريق عن الاستدلال بأثر عثمان رضي الله عنه في أن القرآن نزل بلغة قريش في تفسير الأحرف بلغات سبع كلها في قريش بأن ذلك محمول على ابتداء نزوله، أو مراد عثمان: أن معظمه وأكثره نزل بلغة قريش قبل الترخيص بقراءته على سبعة أحرف(٤).

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن لأبي شهبة (ص١٧١ ـ ١٧٤)، اللآلي الحسان في علوم القرآن، د. موسى لاشين (ص١٠٦، ١٠٧).

(٢) الإتقان للسيوطي (١/ ٣٢٤)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص١٥٥)، المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (ص٧٩)، علوم القرآن وإعجازه د. عدنان زرزور (ص١٧٩).

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص١٨١).

(٤) المرشد الوجيز لأبي شامة (ص٩٢، ١٠٢)، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (ص١٨٠، ١٨١).

وأجاب صاحب تاريخ القرآن بهذين الجوابين لينصر القول ببقاء الأحرف السبعة كلها في مصحف عثمان رضي الله عنه وأنه لم يذهب من الحروف السبعة شيء[1].

ج ـ نقل جماعة قول السيوطي في الإتقان عن أحد العلماء: إن أكثر الأقوال المحكية في تفسير الأحرف السبعة يعارضها حديث عمر وهشام بن حكيم فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا في أحكامه، إنما اختلفا في قراءاته وحروفه[2].

ويقصد من أوَّلَ الأحرف بضروب من المعاني.

د ـ اقترن نزول القرآن على حروف سبعة بإقرار نزوله من سبعة أبواب، وهو ما أضاف غموضاً ولبساً في تفسير الأحرف.

وأهل علوم القرآن لم يغفلوا هذه الجزئية في علم الأحرف، وأجابوا عنها بما أجاب به أهل العلم[3].

٧ ـ انقسموا في مسألة: ما اشتملت عليه المصاحف العثمانية من الأحرف السبعة إلى طوائف ثلاث، كلٌّ ذهب إلى قول أيده بأدلة وآثار مروية، وهي مستقاة مستفادة من أقوال السابقين، ومن أشهر من قال بضم مصحف عثمان الأحرف السبعة كلها من أهل علوم القرآن: الزرقاني، محمد سالم محسين وجماعة، بل وصف الزرقاني القول باشتمالها على حرف واحد فقط بأنه استناد مائل واحتجاج باطل، ووصفه محمد سالم محيسن بالقول الباطل الذي ينبغي ألا يعول عليه، وهما من أكثر أهل المصنفات دفاعاً عن القول ببقاء الأحرف السبعة[4].

القول الثاني: إن مصاحف عثمان رضي الله عنه مشتملة على حرف واحد من

---

(١) تاريخ القرآن، د. محمد سالم محيسن (ص١٥٨، ١٥٩).

(٢) الإتقان (١/ ٣٣٣)، الزيادة والإحسان (١/ ٤٨٠)، مناهل العرفان (١/ ١٥٣).

(٣) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٠٧ ـ ١٠٩)، البرهان للزركشي (١/ ٢٧٥، ٢٧٦)، الإتقان (١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧)، الزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/ ٤٩٤، ٤٩٥)، وجعل ذلك مما اشتبه على كثيرٍ من العلماء.

(٤) مناهل العرفان (١/ ١٤٧ ـ ١٤٩)، تاريخ القرآن (ص١٥٥)، علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور (ص١٨٥)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا، محي الدين مستو (ص١١٤).

السبعة، وهو قول الحارث المحاسبي، وبعض المعاصرين من أمثال محمد أبو شهبة، ومناع القطان، وعبد الله الجديع(١).

وتوسط آخرون فقالوا ببقاء ما يحتمله الرسم من الأحرف السبعة(٢).

وحجج كل فريق هي مجموع ما تقدم، وكلٌ له إجابات على ما احتج به الآخرون وإيرادات تشغب على ما اختاروه، وقد تيقنت أن مرد معرفة الصواب في هذه المسألة الكبيرة فهم حقيقة ما عمله عثمان ﷺ في جمعه المصاحف، فهو دليل كل فريق مع تأييد ذلك بأقوال عقلية، ولو استبان الجمع العثماني بآثار صريحة مفصحة لانتهي إلى قول قاطع ترضى به النفس وتطمئن إليه.

٨ ـ ولج كثير من أهل الشبهات من باب الأحرف السبعة ليبثوا شبههم ويدسوا زيفهم، سيما والنصوص فيها ما استعصى على أهل الرسوخ في العلم ورأوه دحض مزلة.

وأمام إثارة المتشابهات والقدح في آيات الكتاب تصدى بعض مؤلفي علوم القرآن ببراعة للذود عن حياض القرآن والذب عن الحق المبين، وأطالوا في دفع حجج المستشرقين ومن سار في فلكهم، فعادت شبههم خاسئة حسيرة.

ومن أهم المرويات التي عالجوها وهي بحاجة لذلك:

قراءة ابن مسعود (طعام الفاجر).

وقراءة أنس (وأصوب قيلاً) قال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد.

وأثر: إن قلت: (سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً) ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب(٣).

وهم في ذلك مسبوقون بكلام متين أدحض شبهات لاكها رؤوس هؤلاء

---

(١) المدخل لدراسة القرآن (ص٢١٦)، مباحث في علوم القرآن (ص١٥٨)، المقدمات الأساسية (ص٧٨، ٧٩).

(٢) لمحات في علوم القرآن للصباغ (ص١٧٣)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٣٩٦).

(٣) مناهل العرفان (١/ ١٥٥ ـ ١٥٧)، المدخل لدراسة القرآن لأبي شهبة (ص٢٠١ ـ ٢١٢)، اللآلئ الحسان لموسى لاشين (ص١١٤، ١١٥).

المعاصرين، ودحضها أبو بكر بن الأنباري بمؤلَّف في الرد على من خالف مصحف عثمان. وساق قطوفاً منه الإمامُ القرطبي[(١)].

٩ ـ ذكرت روايات الأحرف السبعة حكماً لهذه الأحرف، وبنى عليه المتأخرون وبسطوا الكلام في حكم ذلك وفوائده[(٢)].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨١ ـ ٨٥).

(٢) انظر: التحبير في علوم التفسير للسيوطي (ص١٢٨)، مناهل العرفان (١٢٣ ـ ١٢٧)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص١٦٠، ١٦١)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٣٩٧).

الفصل الثاني

علم جمع القرآن وكتابته

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: جمع الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ.
- المسألة الثانية: بعض الآثار التي ظواهرها منازعة لأولية الصديق أبي بكر ﷺ وأسبقيته بجمع القرآن.
- المسألة الثالثة: جمع الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.
- المسألة الرابعة: ما دوَّنته المرويات عن مهمة الخليفة الراشد عثمان بن عفان في جمع القرآن الذي أمر به.
- المسألة الخامسة: بعض الروايات المشكلة المتصلة بجمع القرآن وكتابته.

[علم جمع القرآن وكتابته]

المسألة الأولى

جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه

١ ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة وعنده عمر رضي الله عنه، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتلُ بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلتُ: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبَّع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر. ورأيت في ذلك رأياً، قال: فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[1]، والرقاع واللِّخاف[2]، وصدور الرجال، فوجدت آخر سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة مع خزيمة[3]،

(١) العُسُب: جمع عسيب وهي الجريدة من النخل، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٥/ ١٧٧)، والنهاية لابن الأثير (٣/ ٢٣٤).

(٢) اللخاف: جمع لَخْفة وهي: حجارةٌ بِيضٌ رِقاق. انظر: غريب الحديث (٥/ ١٧٧)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ٢٤٤).

(٣) هو: خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة، أبو عمارة الأنصاري الخطمي، ذو الشهادتين، قيل إنه بدري، والصواب قول من قال: إنه شهد أحداً، كان من كبار جيش علي، واستشهد يوم =

وفي رواية أبي خزيمة فألحقتها في السورة وكانت الصحف عند أبي بكر حياته، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر(١).

٢ ـ عن عروة بن الزبير قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فَرَق أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت رضي الله عنهما: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه(٢).

٣ ـ روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يجمع القرآن، فقام في الناس فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان، فقُتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: من كان عنده من كتاب الله شيئاً فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني رأيتكم تركتم آيتين فلم تكتبوها، قالوا: وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] فقال عثمان: وأنا أشهد، فكيف ترى أن نجعلهما؟ قال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن(٣).

= صفين، روى له الجماعة سوى البخاري. انظر: تهذيب الكمال (٨/ ٢٤٣، ٢٤٤) [١٦٨٥]، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (ص٨٠٤) [٤٦٧٩]، وفي كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن (ص٨٩٤) [٤٩٨٦].

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٣١١)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٥٧) [٢٣]، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٨٦).
قال ابن كثير: منقطع حسن. انظر: فضائل القرآن (ص٥٩).
وقال ابن حجر كذلك: رجاله ثقات مع انقطاعه.
انظر: فتح الباري (٨/ ٦٣١).
وقال القسطلاني بقول ابن حجر في لطائف الإشارات (ص٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٧١، ١٧٢) [٣٣]، وذكره ابن حجر مختصراً في الفتح، وأورده ابن كثير مقتصراً على أن عمر لم يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان. انظر: فضائل القرآن، وأعله محقق المصاحف بنكارة متنه، وإسناده منقطع (١/ ١٧٢)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٣٦٥).

٤ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف، وبلفظ: لا تمكن من مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف[(١)].

٥ ـ جاء عن عمر رضي الله عنه أنه لما أراد أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه وقال: إذا اختصمتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإن القرآن نزل على رجل من مضر[(٢)].

٦ ـ عن أبي العالية قال: إنهم جمعوا القرآن في مصحفٍ في خلافة أبي بكر فكان رجالٌ يكتبون ويملي عليهم أُبي بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، فظنوا أنها آخر ما نزل من القرآن، فقال أُبي: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] فهذا آخر ما نزل من القرآن[(٣)].

٧ ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كتبته في عهد أبي بكر في قطع الأدم وكِسَر الأكتاف وفي كذا وكذا، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبه في صحيفةٍ واحدةٍ، وكانت عنده فلما هلك عمر كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي ﷺ[(٤)].

ومعنى هذا الخبر ورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وفيه: . . . فكتبه أبو بكر رضي الله عنه في الجريد والأكتاف[(٥)].

٨ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أيُّ القراءتين تعدون قراءة الأولى؟ وفي رواية: أي القراءتين تقرأ؟ قالوا: قراءة عبد الله، قال: قراءتنا القراءة الأولى، وقراءة عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ قراءة الأخيرة، إن رسول الله ﷺ كان

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **الأحرف السبعة**. (٢) تقدم تخريجه في علم: **الأحرف السبعة**.

(٣) تقدم تخريجه في علم: **أول مانزل وآخر مانزل**.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٤)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١٢٨، ١٢٩) مطولاً، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٥٤، ٥٥)، وذكره بهذا اللفظ مكي بن أبي طالب في الإبانة (ص٦١)، وأبو شامة في المرشد الوجيز (ص٥٧، ٥٨).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٣٠) [٤٨٤٣].

يُعرض عليه القرآن كل رمضان عرضة، فلما كان العام الذي قُبض فيه، عرض عليه عرضتان، فشهد عبد الله، وشهد ما نسخ منه وما بدل، وفي لفظ: فقراءة عبد الله الآخرة(١).

وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نفسه أنه قال: كان جبريل يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارض بالقرآن في آخر سنة مرتين فأخذته من النبي ﷺ ذلك العام(٢).

٩ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى، فاستعان عليه بعمر ففعل(٣).

١٠ ـ عن الزهري عن سالم وخارجة بن زيد قالا: إن أبا بكر رضي الله عنه قد جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر، ففعل، فكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتى توفي، ثم عند عمر حتى توفي، ثم عند حفصة زوج النبي ﷺ، فأرسل إليها عثمان، فأبت أن تدفعها إليه حتى عاهدها ليَرُدنَّها إليها فبعثت بها إليه، فنسخ منها عثمان هذه المصاحف، ثم ردها إليها، فلم تزل عندها حتى أرسل مروان فأخذها فحرقها(٤).

١١ ـ عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن، فكتبوه في الوَرَق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفر، وقال بعضهم: المُصْحَف

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند بنحوه (٤/ ٢٩٥) [٢٤٩٤]، (٥/ ١٤٠) [٢٩٩٩]، والنسائي في الكبرى (٢/ ١٢٣٨) [٧٩٤٠]، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٣٥) [٢٦٥٢] وهذا لفظه، وصححه محقق مسند أبي يعلى، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٠٣) [١٢٦٠٢]. قال الهيثمي في المجمع: قلت: في الصحيح بعضه، ورواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح (٩/ ٣٤٧) [١٥٥٥٩].

(٢) أخرجه ابن الأنباري كما في الدر المنثور (١/ ٥٥٣).

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في الفتح إلى موطأ ابن وهب وساقه بإسناده، وساقه السيوطي بسند ابن وهب في موطأه. انظر: الإتقان (٢/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٦٨، ١٦٩) [٣٠]، والطحاوي في مشكل الآثار (٥/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٣٠٠)، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٨٨)، ووثق محقق المصاحف رجاله لكن مع انقطاع في السند (١/ ١٦٩).

فإن الحبشة يسمونه المُصْحَف، وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمَّاه المُصْحَف[(١)].

١٢ ـ عن ابن شهاب الزهري قال: لما أُصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يهلك من القرَّاء طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جُمع في عهد أبي بكر في الوَرَق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصُحُف[(٢)].

المسألة الثانية

بعض الآثار التي ظواهرها منازعة لأولية الصديق أبي بكر رضي الله عنه وأسبقيته بجمع القرآن

١ ـ عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عن آية من كتاب الله فقيل له: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن، وكان أول من جمعه في المصحف[(٣)].

٢ ـ عن عكرمة قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر رضي الله عنه قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرهتَ بيعتي؟ فقال: لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، فقال أبو بكر: فنعم ما رأيت[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أشته في المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب، كما أورد ذلك السيوطي في الإتقان (٢/ ٣٤٤).

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر إلى موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري (٨/ ٦٣٢)، وانظر: السيوطي في الإتقان (٢/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٧٠، ١٧١) [٧٢]، قال ابن كثير: وهذا منقطع، فإن الحسن لم يدرك عمر، فضائل القرآن (ص٥٩)، وأورده ابن حجر في فتح الباري وقال: هذا منقطع (٨/ ٦٢٩).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٩٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٤٣) [٣٠٨٥٧]، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٦، ٧٧) [٢٢]، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٣٠٠، ٣٠١)، وفيه لفظة: (المصحف)، وليس في الإسناد أشعث الكندي، وهو من حديث ابن سيرين، وعقب ابن عبد البر ذلك بأن مراسيل ابن سيرين أصح مراسيل التابعين، وابن عساكر في تاريخه (٤٢/ ٣٩٨، ٣٩٩).

وفي لفظ ابن أبي داود: حتى يجمع القرآن في مصحف[١].

٣ ـ جاء أن أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة[٢]، أقسم لا أرتدي برداءٍ حتى أجمعه، فجمعه... إلخ[٣].

٤ ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه استشار عمر في جمع القرآن فأبى عليه، وقال: أنتم قوم تلحنون، واستشار عثمان فأذن له[٤].

المسألة الثالثة

جمع الخليفة الراشد عثمان بن عفان

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم حذيفة بن اليمان على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن

---

(١) كما رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٦٩، ١٧٠) [٣١]، وقال: لم يذكر (المصحف) أحدٌ إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا حتى أجمع القرآن؛ يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن.اهـ، وقال ابن كثير بعد أن رواه عن ابن أبي داود: هكذا رواه وفيه انقطاع، فضائل القرآن (ص٨٨).

(٢) سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى: أبا عبد الله، كان من فضلاء الموالي، ومن خيار الصحابة وكبارهم، وهو معدود من القراء، وقد أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عن أربعة، وذكر منهم سالماً مولى أبي حذيفة، شهد بدراً واستشهد يوم اليمامة سنة (١٢هـ) رضي الله عنه.
الاستيعاب (ص٢٩٧) [٩٧٢]، الإصابة لابن حجر (١/ ٦٧٩) [٣٠٥٣].

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أشتة في كتابه «المصاحف». انظر: الإتقان (٢/ ٣٨٢)، وقال: إسناده منقطع أيضاً.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٣٤) [٣٠٥٤١].
قال محقق المصنف: عمر بن حمزة ضعيف، وهو أيضاً خبر منكر مخالف لما صح من مشورة عمر على أبي بكر بجمع القرآن، ثم اختيارهما زيد بن ثابت لجمعه، وقيامه بالأمر على أتمه رضي الله عنه.اهـ.

العاص[1]، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام[2] فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[3].

٢ ـ عن علي رضي الله عنه قال: اختلف الناس في القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه قال: فجعل الرجل يقول للرجل: قراءتي خير من قراءتك، قال: فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فجمعنا أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إن الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة وأنتم بين ظهرانيهم، فقد رأيت أن أجمعهم على قراءة واحدة، قال: فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك، قال علي: لو وليت مثل الذي وُلي لصنعت مثل الذي صنع[4].

وجاء بنحوه عن سويد بن غفلة[5] قال: والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته

---

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُمية، ولد عام الهجرة، كان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة، كان أحد الكتبة الذين ولاهم عثمان جمع المصحف، استعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان فافتتحها، اعتزل أيام الجمل وصفين، ولزم بيته بعد مقتل عثمان، توفي سنة (٥٩هـ).
الاستيعاب (ص٢٧٢) [٨٧٦]، أسد الغابة (٢/ ٤٨١) [٢٠٨٣]، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤١).

(٢) عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي، كان ابن عشر سنين حين وفاة النبي ﷺ، وكان من فضلاء المسلمين وخيارهم علماً وقدراً، روى عن عمر، وعلي، وعثمان، وعائشة وغيرهم، شهد الجمل مع عائشة، وكان صهر عثمان، وكان أحد من أمرهم عثمان بكتابة المصاحف، قالت عائشة: لأن أكون قعدت عن مسيري إلى البصرة أحب إلي من أن يكون لي عشرة أولاد من رسول الله مثل عبد الرحمٰن بن الحارث، توفي قبل معاوية.
الاستيعاب (ص٤٥٨) [١٦٠٢]، أُسد الغابة (٣/ ٤٢٨) [٣٢٨٣]، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن (ص٨٩٤) [٤٩٨٧].

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٨) [٢٤٤٦]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٥) سويد بن غفلة بن عَوْسَجة بن عامر أبو أمية الجُعفي الكوفي، قيل له صحبة ولم يصح، بل أسلم في حياة النبي ﷺ، وسمع كتابه إليهم، شهد اليرموك، وحدث عن الخلفاء الراشدين، وابن مسعود، وبلال، وأبي ذر، وغيرهم، قال عنه ابن حجر: من كبار التابعين، ومات سنة (٨٠هـ)، وله مائة وثلاثون سنة.

من علي بن أبي طالب، سمعته يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً، أو قولوا له خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن مَلأٍ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن يجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت، قال: فقيل: أيُ الناس أفصح؟ وأيُ الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرؤهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما ويُملي الآخر، ففعلا، وجمع الناس على مصحف، قال: قال علي: والله لو وليتُ لفعلت مثل الذي فعل(١).

٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال: يا معشر المسلمين، أُعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر ـ يريد: زيد بن ثابت ـ.

وقال كذلك: يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلُّوها، فإن الله يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فالقوا الله بالمصاحف.

قال الزهري: فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجالٌ من أفاضل أصحاب النبي ﷺ(٢).

٤ ـ جاء عن زيد بن ثابت أنه قال في خبر طويل: ... فأمرني عثمان أن

= تهذيب الكمال (٢٦٥) [٢٦٤٧]، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٩ ـ ٧٣)، تقريب التهذيب (ص٤٢٤) [٢٧١٠].

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٠٥، ٢٠٦) [٧٧٠]، والآجري في الشريعة (٤/ ١٧٨٤) [١٢٤٣]، وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٩٩٦) بنحوه وفيه زيادة، وأورده البغوي في شرح السُّنَّة (٤/ ٥٢٤، ٥٢٥)، وصحَّح ابن حجر إسناده بعد أن ساقه عن ابن أبي داود، فتح الباري (٨/ ٦٣٥)، وكذا صحَّحه القسطلاني في لطائف الإشارات (ص٦١).

(٢) رواه الترمذي، تفسير القرآن، سورة التوبة (ص٦٧٨) [٣٠١٤]، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٨٣ ـ ١٨٥) [٥١]، [٥٢]، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٦٤، ٦٥)، وأبو نعيم في الإمامة (ص٣٠٩) [١١٦]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٣٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٥٤).

اكتب له مصحفاً، وقال: إني جاعل معك رجلاً لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما فيه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليَّ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص[(١)][(٢)].

٥ ـ حديث ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال... قال عثمان:... فكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهةً بقصتها، وحسبتُ أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يُبينْ لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم اكتبْ بينهما سطر: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فوضعتُها في السبع الطول[(٣)].

٦ ـ عن عبيدة قال: قراءتنا التي جمع الناس عثمان عليها هي العرضة الأخرى[(٤)].

٧ ـ عن مصعب بن سعد[(٥)] قال: سمع عثمان قراءة أُبي، وعبد الله، ومعاذ ﷺ فخطب الناس ثم قال: إنما قبض نبيكم منذ خمس عشر سنة، وقد اختلفتم في القرآن، عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من

---

(١) هو: أبان بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، أسلم بين الحديبية وخيبر، أمره الرسول ﷺ على بعض سراياه، واستعمله على البحرين، استشهد في غزوة أجنادين، وقيل: في وقعة مرجع الصفر في صدر خلافة عمر.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٨) [٧١٩]، والاستيعاب (ص٥٥) [٥٠].

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٨/١٢٧ ـ ١٣٠). قال ابن حجر: ووقع في روايه عمارة بن غزية (أبان بن سعيد بن العاص) بدل (سعيد)، قال الخطيب: ووهم عمارة في ذلك؛ لأن أبان قتل بالشام في خلافة عمر ولا مدخل له في هذه القصة.اهـ. فتح الباري (٨/٦٣٦).

(٣) تقدم تخريجه مطولاً في : **علم أول ما نزل وآخر ما نزل.**

(٤) عزاه في كنز العمال إلى ابن الأنباري في المصاحف (١/ ٢٧٥) [٤٨٣٢]، وجاء عنه بنحوه عن ابن أبي شيبة (١٥/ ٥٦٠) [٣٠٩٢٢]، وقال محققو الإتقان: رجاله ثقات غير أنه مرسل (١/ ٣٣٥)، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أشتة في المصاحف. انظر: الإتقان (١/ ٣٣٥).

(٥) هو: مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي، روى عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن عمر، وآخرين، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة، كان ثقة كثير الحديث، روى له الجماعة، ومات سنة (١٠٣هـ).
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٦٨) [١٥٣٣]، تهذيب الكمال للمزي (٢٨/ ٢٤، ٢٥) [٥٩٨٢].

رسول الله ﷺ لما أتاني به، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعُسُب فيه الكتاب، فمن أتاه بشيء قال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ ثم قال: أي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، ثم قال: أي الناس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت، قال: فليكتب زيد، وليملل سعيد، فكتب مصاحف فقسمها في الأمصار، فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه(١).

وفي لفظ آخر: جلس عثمان على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنما عهدكم بنبيكم ﷺ منذ ثلاث عشرة سنة، وأنتم تختلفون ـ أو تمترون ـ في القرآن، وتقولون: قراءة أُبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم: سمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأيُ الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد فكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد ﷺ يقول: لقد أحسن(٢).

٨ ـ عن مصعب بن سعد قال: أدركت الناس حين شقَّقَ عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال: لم يعب ذلك أحد(٣).

٩ ـ عن أبي قلابة رضي الله عنه قال: لما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٠٩، ٢١٠) [٨٣]، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٨٨، ٨٩)، قال أبو شامة: وفي تسمية معاذ هنا نظر، فإن معاذاً توفي قبل ذلك في طاعون عمواس في خلافة عمر، ولعل قراءته بقيت بعده عند أصحابه فسمعها عثمان منهم. اهـ. المرشد الوجيز (ص٥٨، ٥٩).

(٢) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٠٨، ٢٠٩) [٨٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٤٣٤)، وصحَّح إسناده ابن كثير في فضائل القرآن (ص٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ١٩٦، ١٩٧) [٣٨٨٠]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٩٨) [٥٥٤]، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠٠٤)، والداني في المقنع (ص١٨)، وساقه ابن كثير عن مصعب بن سعد وقال: هذا إسناد صحيح. انظر: فضائل القرآن (ص٧٨).

فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً، قال أبو قلابة: فحدثني مالك أبو أنس[١]، قال: كنت في من يُملي عليهم.. قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويَدَعون موضعها حتى يجيء أو يُرسل إليه، فلما فرغ من المصحف كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم[٢].

١٠ ـ عن محمد بن سيرين قال: كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرت بما تقول، فرفع ذلك إلى عثمان ﷺ فتعاظم ذلك في نفسه، فجمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأرسل إلى الرَّبْعَة[٣] التي كانت في بيت عمر فيها القرآن فكان يتعاهدهم ـ وفي رواية ـ: فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه.

قال محمد: فحدثني كثير بن أفلح[٤] أنه كان يكتب لهم، فربما اختلفوا

---

(١) الصحيح أن الراوي مالك بن أبي عامر جد الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ففي رواية ابن أشتة التي ذكرها السيوطي في الإتقان قال: .. حدثني رجل من بني عامر يقال له أنس بن مالك (٢/ ٣٨٩، ٣٩٠)، وقال محقق المصاحف: رجاله ثقات إلا أن أبا قلابة وهم في قوله مالك بن أنس، ولعله مالك بن أبي عامر، واستدراك المؤلف أيضاً فيه إيهام أوخطأ من النساخ (١/ ٢٠٤)، وقال ابن حجر: ووقع في تسمية بقية من كتب أو أملى عند ابن أبي داود مفرقاً جماعةٌ منهم: مالك بن أبي عامر جد مالك بن أنس من روايته ورواية أبي قلابة عنه (٨/ ٦٣٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٦، ٥٧)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٠٣، ٢٠٤) [٧٤]، ونسبه السيوطي إلى ابن أشتة. انظر: الإتقان (٢/ ٣٨٩، ٣٩٠)، وروى الداني بسنده في المقنع نحواً منه (ص١٦، ١٧).

(٣) قال ابن كثير: الرَّبْعَة هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة ﵄، فضائل القرآن (٨٥)، ويبدو أنه تعريف باللازم؛ لأن الربعة كما في لسان العرب: إناء مربع كالجونة (٣/ ١٥٦٧)، فهو صندوق أو إناء يوضع فيه المصحف.

(٤) هو كثير بن أفلح المدني، مولى أبي أيوب الأنصاري، روى عن أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، وهو أحد كتاب المصاحف التي جمعها عثمان، وثقه النسائي وذكره ابن حبان في الثقات.

في الشيء فأخروه، فسألت: لم تؤخروه؟ قال: لا أدري، قال محمد: فظننت فيه ظناً فلا تجعلوه أنتم يقيناً، ظننت أنهم كانوا إذا اختلفوا في الشيء أخروه حتى ينظروا آخرهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبوه على قوله[(١)].

١١ ـ عن محمد بن سيرين قال: جمع عثمان للمصحف اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار منهم أُبي بن كعب وزيد بن ثابت.

وفي لفظ: . . . من قريش والأنصار منهم أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص[(٢)].

١٢ ـ عن عطاء أن عثمان بن عفان لما نسخ القرآن في المصاحف أرسل إلى أُبي بن كعب، فكان يُملي على زيد بن ثابت وزيدٌ يكتب، ومعه سعيد بن العاص يُعربه، فهذا المصحف على قراءة أُبي، وزيد[(٣)]، وبنحوه عن مجاهد[(٤)].

المسألة الرابعة

ما دونته المرويات عن مهمة الخليفة الراشد عثمان بن عفان في جمع القرآن الذي أمر به

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول؟[(٥)].

= انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ١٠٥) [٤٩٣٦]، الكاشف للذهبي (٢/ ١٤٣) [٤٦٢٦].

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤) [٨٧] [٨٨] [٨٩]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٣٥)، وصححه الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (ص٨٥).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢١٤) [٩٠] و[٩١]، وأعله المحقق بالانقطاع، لكن المتن صحيح (١/ ٢١٤)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات بنحوه (٣/ ٤٦٦)، قال الذهبي: إسناده قوي لكنه مرسل. انظر: السير (١/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٥/ ٣١٢).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٣١٢).

(٥) تقدم تخريجه.

٢ - عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٤٠]، قال: قد نسختها الأخرى، قلت: فلِم تكتبها أو تَدَعها؟ قال: يا ابن أخي لا أُغير شيئاً من مكانه[١].

٣ - عن كثير بن أفلح قال: «... وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه...»[٢].

٤ - عن هانئ[٣] مولى عثمان قال: كنت الرسول بين زيد وعثمان لما كتب المصحف، فأرسل إليه زيد يسأله عنه (لم يتسن أو لم يتسنه)؟ فقال: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ بالهاء[٤].

٥ - عن هانئ مولى عثمان قال: لما كتب عثمان المصاحف شكُّوا في ثلاث آيات، فكتبوها في كتف شاة، وأرسلوني بها إلى أُبي بن كعب وزيد بن ثابت، فدخلت عليهما، فناولتها أُبي بن كعب، فقرأها، فوجدها (لا تبديل للخلق ذلك الدين القيم) فمحا بيده أحد اللامين وكتبها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ووجد فيها (انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنن) فمحا النون وكتبها ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ وقرأ فيها (فأمهل الكافرين) فمحا الألف وكتبها ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾، ونظر فيها زيد بن ثابت، ثم انطلقت إلى عثمان فأثبتوها في المصاحف كذلك[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ (ص٧٦٩) [٤٥٣٠].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هو: هانئ البربري أبو سعيد، مولى عثمان، قال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات. روى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، قال ابن حجر: صدوق من الثالثة.
الثقات لابن حبان (٥/٥٠٩، ٥١٠)، تهذيب الكمال (٣٠/١٤٧) [٦٥٥٠]، تقريب التهذيب (ص١٠١٨) [٧٣١٦].

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/١٠٢) [٥٦١]، والطبري في تفسيره (٤/٦٠١، ٦٠٢)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن الأنباري. انظر: الدر المنثور (٣/٢١٥).

(٥) رواه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (١٤/٣٥٣، ٣٥٤) [٣٤٨٣] وضعف الحافظ =

المسألة الخامسة

بعض الروايات المشكلة المتصلة بجمع القرآن وكتابته

١ ـ عن عباد بن عبد الله بن الزبير[(١)] قال: أتى الحارث بن خزيمة، وفي بعض الألفاظ: ابن خزمة[(٢)] بهاتين الآيتين من آخر براءة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى عمر بن الخطاب، فقال: من معك على هذا؟ قال: لا أدري، والله إني أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ، ووعيتها وحفظتها، فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها، فوضعتها في آخر براءة[(٣)].

٢ ـ عن قتادة أن عثمان رضي الله عنه لما رُفع إليه المصحف قال: إن فيه لحناً ستقيمه العرب بألسنتها، وبلفظ: أرى في المصاحف أو فيه لحناً ستقيمه العرب بألسنتها[(٤)].

= ابن حجر إسناده، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٠٢) [٥٦٠]، والطبري في تفسيره (٤/ ٦٠٢)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن الأنباري في المصاحف، (٣/ ٢١٤، ٢١٥).

(١) هو: عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام، روى عن زيد، وعائشة، وعدة، كان ثقة كبير القدر، من الطبقة الثالثة، ولي القضاء لأبيه وكان قاضي مكة زمن أبيه وخليفته إذا حج. انظر: الكاشف (١/ ٥٣١) [٢٥٦٨]، تقريب التهذيب (ص٤٨٢) [٣١٥٢].

(٢) هو: الحارث بن خزمة أو خزيمة بن عدي يكنى أبا بشر، من الخزرج، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، ومات سنة (٤٠هـ)، قال ابن الأثير: وقد ذكرابن منده أن الحارث بن خزمة هو الذي جاء إلى عمر بخاتمة براءة، وهذا عندي فيه نظر، الاستيعاب (١٤٥) [٤٢٥]، سُد الغابة (١/ ٦٠٢، ٦٠٣) [٨٧٤].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٤٠) [١٧١٥]، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٢١) [٩٦]، وقال في مجمع الزوائد: والطبري في تفسيره في خبر مطول عن زيد بن ثابت بنحوه (١/ ٥٤، ٥٥)، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده ضعيف، لانقطاعه، عباد بن عبد الله بن الزبير ثقة، ولكنه لم يدرك قصة جمع القرآن، بل ما أظنه أدرك الحارث بن خزمة ولو أدركه لما كان ذلك مصححاً للحديث، إذ لم يروه عنه، بل أرسل القصة إرسالاً (٢/ ٣٤٠، ٣٤٢) وضعّفه محقق المصاحف وقال: والمتن فيه ما ينكر، وفيه ابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالتحديث، (١/ ٢٢٢).

(٤) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة عن يحيى بن يعمر عن عثمان (٣/ ١٠١٣)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٢٨) [١٠٦]، وفي [١٠٧] عن يحيى بن يعمر عن عثمان، وكذلك عنه [١٠٨].

وفي رواية أخرى: لما فرغ من المصاحف أتي به عثمان فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحن وستقيمه العرب بألسنتها(١).

٣ - عن عكرمة قال: لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن، فقال: لا تغيروها؛ فإن العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف(٢).

٤ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان في ما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرمن ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهو مما يُقرأ من القرآن(٣).

٥ - عن عائشة رضي الله عنها: لما نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، فلقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها(٤).

٦ - عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن

---

(١) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٢٨) [١٠٤]، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٣)، وساقه السيوطي بسند ابن أشتة في كتاب المصاحف. انظر: الإتقان (٤/ ١٢٤٥).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٠٣) [٥٦٢]، وأخرجه ابن الأنباري في كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان» من طريق أبي عبيد، كما قال السيوطي في الإتقان (٤/ ١٢٣٩)، وأخرجه الداني في المقنع من طريق يحيى بن يعمر وعكرمة عن عثمان (ص١٢٠، ١٢١)، وابن الأنباري في الرد على من خالف مصحف عثمان كما قاله السيوطي في الإتقان (ص١٢٠، ١٢١)، (٤/ ١٢٣٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات (١/ ٦٦٣) [١٤٥٢]، وأخرج ابن الجوزي في نواسخ القرآن عن عائشة بنحوه (ص١١٨، ١١٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (ص٢٧٨) [١٩٤٤]، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٦٤) [٤٥٨٨]، والدارقطني في سننه (٥/ ٣١٦) [٤٣٧٦]، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣٩٥) [٧٨٠١]، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١١/ ٢٦١) [١٥٤٦٨]، وابن حزم في المحلى (١١/ ٢٣٥، ٢٣٦)، ورواه الإمام أحمد بلفظ: فكانت في ورقة تحت سرير في بيتي، فلما اشتكى رسول الله ﷺ تشاغلنا بأمره، ودخلت دويبة لنا فأكلتها (٤٣/ ٣٤٢، ٣٤٣) [٢٦٣١٦]، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٨)، قال ابن حجر رداً على من ضعف الأثر: بل راويها ثقة غير متهم، ثم ساقه بسند إبراهيم الحربي في كتابه غريب الحديث. انظر: الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٥٠٣).

قوله: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، وعن قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وعن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩] فقالت: يا ابن أخي هذا عمل الكتَّاب أخطؤوا في الكتاب(١).

٧ ـ جاء أن عائشة سئلت عن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ [المؤمنون: ٦٠] فقالت: (والذين يؤتون ما أَتوا)، فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذاك كان يقرؤها، وكذلك أُنزلت، ولكن الهجاء حُرِّف(٢).

٨ ـ عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ أنه كان يقرأ ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الرعد: ٣١] (أفلم يتبين الذين آمنوا) قال: كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ(٣).

---

(١) أخرجه الفراء في معاني القرآن (١/ ١٠٦)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٠٣) [٥٦٣]، وسعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٥٠٧) [٧٦٩]، وقال محقق السنن: سنده ظاهر الصحة، ومتنه منكر، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٤)، والطبري في تفسيره (٧/ ٦٨٠، ٦٨١)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٣٥) [١١٣]،كذلك الثعلبي في تفسيره بسنده (٦/ ٢٥٠) بلفظ: هذا خطأ من الكاتب، والداني في المقنع (ص١٢٢)، عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر في الدر المنثور (٥/ ١٢٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٢/ ٥١، ٢٢) [٢٥١١٥]، وضعفه المحققون، والبخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٢٨) في الترجمة رقم [٢٣٧] بلفظ: كان النبي ﷺ يقرأ: (الذين يأتون ما أتوا) كذلك أُنزلت، وابن أشتة في المصاحف. انظر: الإتقان (٤/ ١٢٥٠)، والحاكم في المستدرك وصححه، وتعقبه الذهبي قال: يحيى ضعيف (٢/ ٦٢٦، ٦٢٧) [٣٠٢٣]، وليس فيه اللفظ المشكل إنما القراءة فحسب، وضعفه ابن كثير في تفسيره قال: إسماعيل بن مسلم المكي ضعيف (١٠/ ١٣٠)، وقال في مجمع الزوائد، وأخرج الطبري في تفسيره قراءة عائشة: (الذين أتوا) (١٧/ ٧٠)، وليس فيه اللفظة المشكلة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٣٧)، وأبو عبيد في فضائل القرآن وليس فيه اللفظ: (كتب وهو ناعس) (٢/ ١٢٣) [٦٢٣]، وابن الأنباري في المصاحف كما نقل ذلك القرطبي في تفسيره (٩/ ٣٢٠)، وعزاه السيوطي إليه في الدر المنثور (٨/ ٤٥٧).

قال ابن حجر: وروى الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: أفلم يتبين، ويقول: كتبها الكاتب وهو ناعسٌ،... وأما ما أسند الطبري عن ابن عباس فقد اشتد إنكار جماعة ممن لا علم لهم بالرجال صحتَه، وبالغ الزمخشري في ذلك كعادته إلى أن قال: وهي والله فرية ما فيها مرية، وتبعه جماعة بعده والله المستعان.اهـ. فتح الباري (٨/ ٢٢٤).

٩ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله عز وجل هذا الحرف على لسان نبيكم ﷺ: «ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» فلصقت إحدى الواوين بالأخرى، فقرأ لنا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣] ولو نزلت على القضاء ما أشرك أحد[(١)].

وعن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها (ووصّى ربك) وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً[(٢)].

١٠ - عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً) ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها هاهنا: (والذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم)[(٣)].

وبنحوه كذلك عن ابن عباس إلا أن فيه: انزعوا هذه الواو فاجعلوها في ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ [غافر: ٧][(٤)].

١١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا

---

(١) رواه أحمد بن منيع كما في المطالب العالية (١٥/ ١٧) [٣٦٥٠]، وأخرجه ابن أشتة قريباً منه في المصاحف. انظر: الإتقان (٤/ ١٢٥٣).
وعزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر، وابن مردويه، من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور (٩/ ٢٨٧). قال ابن حجر: وقد جاء عن ابن عباس نحو ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ قال: (ووصى) التزقت الواو في الصاد، أخرجه سعيد بن منصور بإسناد جيد عنه، فتح الباري (٨/ ٢٢٤)، وبنحو هذا اللفظ ساقه السيوطي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعزاه إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف. انظر: الدر المنثور (٩/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك عن ابن عباس مثله. انظر: الدر المنثور (٩/ ٢٨٧).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٤٣)، وعزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر، في الدر المنثور (٩/ ٢٨٨)، وأخرجه ابن أشتة في المصاحف بنحوه وفيه تفصيل، كما في الإتقان (٤/ ١٢٥٣).
(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس كما في الإتقان (٤/ ١٢٥٤) وعزاه إلى ابن المنذر في الدر المنثور (١٠/ ٣٠٠).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن خرِّيت عن عكرمة عن ابن عباس. انظر: الإتقان (٤/ ١٢٥٥)، وعزاه في الدر إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٠/ ٣٠٠).

﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا﴾ [النور: ٢٧] كان يقرؤها (حتى تستأذنوا) وقال: إنما (تستأنسوا) وهمٌ من الكُتّاب.

وفي رواية: أخطأ الكاتب، إنما هي (حتى تستأذنوا) وبلفظ: وهي سقطٌ من الكُتّاب(١).

١٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: ٣٥] قال: هي خطأٌ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، إنما هي: (مثل نور المؤمن كمشكاة)(٢).

١٣ ـ عن سعيد بن جبير قال: في القرآن أربعة أحرف لحن (الصابئون)، (والمقيمين) ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]. ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾(٣).

١٤ ـ عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] قال: هي خطأٌ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ٣٣١ (١٥١٧٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٩) (٣٥٤٨)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٣٧، ٤٣٨) [٨٨٠١، ٨٨٠٢، ٨٨٠٣]، والضياء في المختارة (١٠/ ٩٠، ٩١)، [٨٦، ٨٧]، وصحَّح المحقق إسناده. قال ابن كثير: وهذا غريب جداً عن ابن عباس (١٠/ ٢٠٧). وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف، وابن منده في غرائب شعبة، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٥/ ١١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٣٥٧) [١٥٣٥٧]، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦١) [٣٥٥٥]، وليس فيه نسبة الخطأ إلى الكاتب، وابن أشتة في المصاحف كما ذكر السيوطي (٤/ ١٢٥٥)، وأشار محققو الإتقان لضعف الخبر كأن ذلك وهماً من عطاء، بدليل ما روى علي بن أبي طلحة وسعيد بن جبير عن ابن عباس من تفسير نوره (بالهدى الذي في قلب المؤمن) ولم يذكر في الرواية نسبة الخطأ إلى الكاتب، الإتقان (٢/ ١٢٥٥).

(٣) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٣٢) [١١١]، قال محقق المصاحف: فيه الفضل بن حماد الخيري، ولم أقف له على ترجمة (١/ ١١١).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (٥/ ٥٣٨، ٥٣٩)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٢٧٢) [٦٥٧]، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد، والفريابي (٣/ ٦٤٦).

١٥ ـ عن أبي الزبير خالد[(١)] قال: قلت لأبان بن عثمان بن عفان[(٢)]: ما شأنها كتبت (لكن الراسخون في العلم... والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) ما بين يديها وما خلفها رفعٌ، وهي نصْبٌ؟ قال: إن الكاتب لما كتب (لكن الراسخون) حتى إذا بلغ قال: ما اكتب؟ قيل له: اكتب (والمقيمين الصلاة) فكتب ما قيل له[(٣)].

[التاصيل]

أولاً: جمع الصديق، وفيه مسائل:

١ ـ ثبت بلا مرية أسبقية الخليفة الصديق أبي بكر ﷺ تولي جمع القرآن الكريم كتابةً، في عمل عظيم حفظ للأمة كتاب ربها بتوفيق الله تعالى، تحقيقاً لوعده الذي نطق به القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وهو ما عُدَّ من أعلى مناقب الصديق وأجل فضائله، وهذه الأسبقية جاء ما يوهم معارضتها بآثار ضعيفة في الجملة كنحو ما ورد عن عمر، وعلي، وسالم مولى أبي حذيفة أنهم جمعوا القرآن.

ولو صح منها شيء فهو مؤول على ما سيأتي ذكره.

٢ ـ لم يختلف في السبب الداعي لأن ينهض أبو بكر بهذا العمل المتحتم ويحوز به الشرف المعلى، في حين تعددت الوقائع الموجبة لما علمه عثمان في عصره من جمع آخر للقرآن وإن آلت إلى مقصدٍ واحدٍ، فقد صح في

---

(١) لم أعثر له على ترجمة، وقد قال محقق المصاحف: إسناده ضعيف، والزبير أبو خالد مجهول العين فيما ظهر لي، والله أعلم (١/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) هو: أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي، أبو سعيد، روى عن أبيه، وعن أُسامة بن زيد، وزيد بن ثابت. كان ثقة من كبار التابعين، روى له البخاري في الأدب وكتاب: رفع اليدين في الصلاة. قال الذهبي: كان فقيهاً مجتهداً، وقال ابن حجر: مدني ثقة من الثالثة. مات سنة (١٠٥هـ).
انظر: تهذيب الكمال (٢/ ١٦ ـ ١٨) [١٤١]، الكاشف (١/ ٢٠٦) [١٠٩]، تقريب التهذيب (ص١٠٣) [١٤٢].

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٠٤) [٥٦٥]، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٤)، والطبري (٧/ ٦٨٠)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٤٣) [١١٢].

البخاري وغيره من دواوين السُّنَّة أن وقعة اليمامة ذهب فيها كثير من القراء، واستحر القتل بهم فخشي عمر من ذهاب شيء من القرآن المحفوظ في صدور هؤلاء الصحابة القراء، حيث لم يكن مجموعاً كله كتابةً في مصحف واحد، بل كان أوزاعاً متفرقاً في الأكتاف والعُسُب واللِخَاف والرقاع، وهذه الكتابة في تلك الأدوات تمت في زمن النبي ﷺ حين كان يتنزل عليه الوحي فيأمر أحد كتابه بكتابته، وليس لهم من الوسائل ولا يمتلكون من الأدوات إلا ما ذكر، فكانوا يثبتونه خطاً فيها.

وعلاوة على مرتبة الكتابة التي اهتم بها النبي ﷺ كانت هناك مرتبة أعلى هي الاهتمام بهذا المكتوب ومراجعته، وتفقده لئلا يسقط منه شيء عند كتابته.

فقد روى زيد بن ثابت قال: كنت اكتب الوحي عند رسول الله ﷺ، وكان يشتد نَفَسُه ويعرق عرقاً شديداً مثل الجُمان، ثم يُسرى عنه فاكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقطٌ أقامه[(١)].

والحاصل زمن النبي ﷺ وقت تنزل الوحي من كتابته وتوثيقه خطاً، يطلق عليه أنه جمع للقرآن بمعنى أنه حُفظ في الصدور، وكُتب في السطور حين كان يكتب في الرقاع والأكتاف وغيرها، لكنها كتابة متفرقة لم تكن مجموعة في صُحُف أو مصحف واحد، بل كانت أوزاعاً مع جماعات الصحابة.

وعليه فعمل أبي بكر الصديق إن نُظر إلى ما سبق في زمان النبوة من إرهاص وتهيئة لما يتم بعد ذلك فهو جمع ثانٍ للقرآن، بكتابته مجموعاً بعضه إلى بعض في صُحفٍ ولمِّ ما تفرق منه في الكتابة الأُولى المتفرقة.

وإن نظر إلى خصيصة العمل الذي تم وأنه جمعٌ للمتفرق مجموع في صحف، فاسم الجمع صادقٌ عليه لائقٌ به.

وقد تردد الصديق وزيد لما أشار به عمر وقالا: كيف نفعل شيئاً لم يفعله

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥/ ١٤٢) [٤٨٨٨، ٤٨٨٩]، وفي الأوسط (٢/ ٥٤٤) [١٩٣٤]، والصولي في أدب الكاتب (٣/ ١٦٥)، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٣٣) [١٤٠٦]، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون، إلا أن فيه: وجدت في كتاب خالي، فهو وجادة (١/ ٢٠٤، ٢٠٥) [٦٨٤].

رسول الله ﷺ، ومعنى هذا العبارة أن القرآن في عهده لم يجمع من قبل بهذه الصورة، وعلى هذا النمط، وإلا فالروايات المتكاثرة تشهد بكتابته بين يدي رسول الله ﷺ في الرقاع والعسب والأكتاف، واحتج بعض العلماء بهذه الجملة على نفي أي رواية تزاحم الصديق في أولية هذا الجمع[1].

٣ ـ صرَّح الخليفة الصديق بأسباب اختياره الصحابي الجليل زيد بن ثابت لمهمة جمع القرآن، مع أن طائفة من كبار قراء الصحابة وعلمائهم متوافرون، ففي القوم أُبي بن كعب وهو من هو في علمه وجلالته، وابن مسعود، والأحاديث في علمه بالقرآن لا تخفى، وأبو موسى الأشعري، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وهؤلاء أئمة في العلم والهدى، ومع ذلك اختار الصديق زيداً وترك هؤلاء وشفع لزيد دون غيره:

أمور أربعة اجتمعت كلها فيه، وتحصل عليها وهي كما قال الصديق:

١ ـ إنك امرؤ شاب، ولدى الشباب من الجد والنشاط والقدرة ما ليس عند غيرهم.

٢ ـ إنك عاقل، فيكون ذلك أوعى له.

٣ ـ لا نتهمك؛ يعني: بعيد عن التهمة فتركن النفس إليه.

٤ ـ قد كنت تكتب الوحي، وزيد بن ثابت أحد من كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ.

وعليه فإن ذكر سبب وراء ما ذكره الصديق وصرح به اجتهادٌ ليس في كلام أبي بكر ما يعضده، بل هو تقويل لما لم يقله، ولعل في الآثار ما يضعفه.

كمن قال: إن من أسباب توليته زيداً هذه المهمة كونه شهد العرضة الأخيرة[2].

فإن هذا لم يذكره أبو بكر علةً لاختياره وسبباً، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإن في المرويات ما يشرك مع زيد غيره كابن مسعود، ومع ذلك لم

---

(١) انظر: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، د. غانم الحمد (ص١٠٣).

(٢) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (٤/ ٥٢٥، ٥٢٦)، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٩٩).

يوكل إليه جمع القرآن، ومثل هذه الدعوى توهم انفراده وحده بشهود العرضة الأخيرة دون بقية الأصحاب وهذا ليس بصحيح مطلقاً.

نعم، تناقلت بعض المصنفات(١) ما ساقه البغوي عن أبي عبد الرحمٰن السُلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها رسول الله ﷺ وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه وولاه عثمان كتب المصاحف رضي الله عنهم أجمعين. اهـ(٢).

هذا هو النص بعينه عند البغوي وفيه: إضافة سببٍ لم يذكره الصديق سيما وقد شاركه معه آخرون، ثم إن هذا النص بتمامه لا يعلم أكان كله من قول أبي عبد الرحمٰن السلمي أم هو بعض قوله، وتممه البغوي باسطاً معناه شارحاً له، هذا غير واضح.

وفي خبر ابن عباس ما يؤكد شهود ابن مسعود العرضة الأخيرة حيث قال ـ كما تقدم ـ: فشهد عبد الله ما نسخ منه وبدل، فقراءة عبد الله الأخيرة، اهـ. بل هو ما أخبر به ابن مسعود عن نفسه: «إنه عارضه بالقرآن في آخر سنة مرتين، فأخذته من رسول الله ﷺ ذلك العام».

أبان قول زيد: «فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب والرقاع واللِّخَاف» عن الأدوات التي كتب فيها القرآن في العهد النبوي، وما نقل منه المكتوب في عهد الصديق، فهو نقل للمكتوب وللمحفوظ؛ لقوله: وصدور الرجال.

أما تدوين الجمع الصديقي وما أُثبت فيه من وسائل فوضَّحه قولهم: «وكانت الصحف عند أبي بكر حياته»، وهذا يفيد أنه كتب في صحف.

وجاء في رواية: حتى جُمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف، وقول عثمان لما عزم على جمعه ثانية لحفصة:

---

(١) انظر: المرشد الوجيز (ص٦٩)، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، فهد الرومي (ص١٣)، جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة، د. علي العبيد (ص٣٥).

(٢) شرح السُّنَّة (٤/ ٥٢٥، ٥٢٦).

«أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك»، وجاء في أثر أنه كُتب في الأكتاف وقطع الأدم في عهد الصديق، ثم في عهد عمر كتبه في صحيفة واحدة، وهذا مخالف للروايات كلها أنها كانت في صُحُف، وأجاب ابن حجر عن تلك الرواية بما سيأتي ذكره.

٤ ـ شرّك زيد بن ثابت طائفةً من أجلاء الصحابة وعلمائهم في هذه المهمة العظمى، وصرحت بعض المرويات بأسمائهم كعمر بن الخطاب ﷺ، ويبدو أنه كان ذا ريادة ومسؤولية كبرى في هذا العمل، وهو ما يفسر إسناد الجمع إليه ونسبة العمل له في عدد من المروي، مع أن ذلك كان في عهد أبي بكر الذي أمر زيداً بذلك، وما توجيه ذلك إلا ما تولاه الفاروق من مهام في ذلك العمل العظيم.

كذلك ممن اشترك في العمل الجمعي أُبي بن كعب، ونطق باسمه في أثر ابن سيرين وفي قصة كتابة آخر براءة وسبق الأثر هناك، وهو جهد يقوم على المراجعة والتمحيص والاستيثاق منه؛ لعلمه الوافر بالقرآن، بل لا يبعد عن الصواب ولا يجانب الحق إن قيل إن هذا الجمع المرتضى شارك فيه الصحابة بمجموعهم، ولم يُعلق ذلك على طائفة إلا بقدر ما يتولونه ويرأسون فيه أفراداً.

يدل على ذلك ما يلي:

قول عمر: لا يُملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف.

فدل هذا على أن هناك من يملي وليس فرداً واحداً.

وقوله: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً فليأتنا به.

وكذا: فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

وأيضاً: فأقبل الناسُ بما كان معهم وعندهم.

وتلك النصوص تشير إلى مشاركة الصحابة هذا العمل ورضاهم بما صنعه الصديق حتى شاركوه واستجابوا لرغبته جمع المتفرق من القرآن، فكان إجماعاً لم يُختلف فيه، ووكل إلى زيد بن ثابت رئاسة هذا العمل والتحقق من كل ما يكتب ويُدون في الصحف.

وعلى هذا فقوله ﷺ: فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب والرِّقاع واللِّخاف وصدور الرجال، هو تعبير عن مرحلة من مراحل الجمع وخطوة من

خطواته، وليس كل ما تمَّ في جمع القرآن في عهد أبي بكر، وإنما تلا ذلك ما أسفرت عنه المرويات من مشاركة في الجمع توثقاً ومراجعةً لما يُملى ويُكتب.

٥ ـ رضي الصحابة ما قام به الخليفة الراشد أبو بكر وارتضوه وشاركوا معه في إنجازه في صورة من التأييد والتسابق للعناية والحفظ لكتاب الله، ولذلك صرح الإمام علي رضي الله عنه بأن أبا بكر أعظم الناس في المصاحف أجراً، وأنه أول من جمع ما بين اللوحين.

٦ ـ إذا علم أن زيداً قام إثر تكليفه بمهمة الجمع بتقصي ما كتب في عهد النبوة من الوحي في الرقاع والعُسُب واللِّخاف وغيرها، وأنها خطوة من خطوات الجمع، فقد أضيف إليها كما في النصوص ما يلي:

طلب من الصحابة من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن أن يأتي به، واشترط أن يأتي على ذلك «بشاهدين» وفي معنى الشاهدين يقول أهل العلم:

قال السخاوي: «ومعنى هذا الحديث ـ والله أعلم ـ من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله، الذي كُتب بين يدي رسول الله ﷺ وإلا فقد كان زيدٌ جامعاً للقرآن.

ويجوز أن يكون معناه: من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله؛ أي: من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن، ولم يُرد: على شيء مما لم يقرأ أصلاً ولم يعلم بوجه آخر»[(١)].

وقال ابن حجر: «وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب، أو المراد أن يشهد على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن، وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ»[(٢)].

قلت: وما ذكر من معانٍ للشاهدين اللذين لا يقبل من أحدٍ شيئاً إلا بهما كلها محتملة قريبة إلا من فسَّر الشاهدين بالحفظ والكتاب، فإن هذا صرف للفظ عن ظاهره بلا دليل. والله أعلم.

---

(١) جمال القراء (١/٨٦)، ونقله عنه أبو شامة في المرشد الوجيز (ص٥٥).

(٢) فتح الباري (٨/٦٣١).

وفي قوله: (وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسُب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان).

قال ابن حجر: «وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كون زيد كان يحفظه، وكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط»[(١)].

وعليه، فمنهج الجمع اعتمد على مصدرين معاً:

المصدر الأول: ما كان محفوظاً في صدور الرجال، ويدل عليه قول زيد: أجمعه. . . ومن صدور الرجال.

وقوله: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً، دالٌّ على التأكيد على التلقي من رسول الله ﷺ مباشرة.

وكما قال خزيمة: تلقيت من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

المصدر الثاني: ما كان مكتوباً مفرقاً في الأكْتَاف والعُسُب واللِّخَاف والرقاع، وتكلل هذان الأمران بشهادة الشاهدين.

وفي أثر ابن شهاب قوله: «أقبل الناس بما كان معهم وعندهم» قال بعضهم: «بما كان معهم يدل على إتيان الناس بالمحفوظ، و«عندهم» بالمكتوب»[(٢)].

وهذا عناية للقرآن واحتياط لا يترك موضعاً لريبة أو احتمالاً لنقص أو زيادة.

وهذا كله بتوفيق الله وتيسيره وحفظه لكتابه، إذن يتواطأ الحفظ والتلقي مع المكتوب وشهادة الشاهدين.

قال صاحب «المعجزة الكبرى»: «. . . ولكنه ـ أي: زيد بن ثابت ـ كان لا بد أن يرى ما حفظه مكتوباً في عصر النبي ﷺ، وأن يشهد شاهدان بأنها هكذا رأوا ذلك المكتوب في عصر النبي ﷺ، وبإملائه عليه الصلاة والسلام،

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٣١).

(٢) جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابةً، د. علي العبيد (٣٥/ ٣٦).

وقد تتبع القرآن بذلك آية آية لا يكتب إلا ما يراه مكتوباً عن النبي ﷺ في عهده، ويشهد شاهدان أنهما هكذا رأيا ذلك المكتوب في عهد النبي ﷺ ونقلاه، أو يرى ذلك المكتوب عند اثنين، فهو شهادة كاملة عنده.

وقد حصل على القرآن كله مكتوباً بنصاب الشهادة في عصر النبي ﷺ، فما كان إلا أن نقل المكتوب في عصر النبي ﷺ، ولكنه وجد آيتين لم يشهد اثنان بأنهما كتبتا في عصر النبي ﷺ، بل شهد واحد فقط، وهو خزيمة بن ثابت الأنصاري».

ثم قرر أن عمل زيد رضي الله عنه لم يكن كتابة مبتدأة، ولكنه إعادة لمكتوب، فقد كتب كله في عصر النبي ﷺ. وعمل زيد الابتدائي هو البحث عن الرقاع والعظام التي كان قد كتب عليها، والتأكد من سلامتها بأمرين:

بشهادة اثنين على الرقعة التي توجد فيها الآية أو الآيتان أو الايات، وبحفظ زيد نفسه وبالحافظين من الصحابة. اهـ[1].

ولب هذه المسألة: هل كان القرآن مكتوباً كله على عهد النبي ﷺ مع قلة الوسائل وضعف القدرة في زمنهم، ولذا كان تدوينه في الرِّقاع واللِّخَاف والعُسُب؟

والجواب عن هذا أن العلماء فسروا قول زيد بن ثابت أنه لم يجد آخر براءة إلا مع خزيمة أو أبي خزيمة الأنصاري.

كما قال ابن حجر: «والحق أن المراد بالنفي نفي وجودها مكتوبة لا نفي كونها محفوظة»، ثم استدل على هذا المعنى بما ورد عند أبي داود في المصاحف من روايتين أوضحتا حفظ عثمان بن عفان وأُبي بن كعب لآخر التوبة، فكيف يقول إنها لم توجد إلا مع خزيمة الأنصاري[2]؟

ومعنى قوله: (فقدت آية كذا فوجدتها مع فلان) أنه كان يتطلب نسخ القرآن من غير ما كتب بأمر النبي ﷺ، فلم يجد كتابة تلك الآية مع ذلك الشخص[3]، وإلا فالآية كانت محفوظة عنده وعند غيره، وهذا المعنى أولى

(١) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة (ص٣١ ـ ٣٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٣٢).

(٣) هكذا في المطبوع من المرشد الوجيز، ولعلها والله أعلم (مع غير ذلك الشخص) حتى يستقيم المعنى (ص٥١).

مما ذكره مكي وغيره أنهم كانوا يحفظون الآية، لكنهم أُنسوها فوجدوها في حفظ ذلك الرجل فتذاكروها وأثبتوها لسماعهم إياها من النبي ﷺ[(١)].

قلت: واستدلال الحافظ ابن حجر على تفسير قول زيد: «لم أجدها مع أحد غيره» بالروايات الأخرى الدالة على حفظ جماعة من الصحابة كعثمان وأُبي آخر براءة دليل قوي على أن مراد زيد لم يجدها أي: مكتوبة وليس القصد محفوظة، وإلا فهو مع ثلة من الصحابة يحفظونها ولا شك[(٢)].

وعليه فالمتقرر أن القرآن كان مكتوباً جميعه على عهد النبي ﷺ، وإنما كان مفرقاً في الأدوات التي كتبوه فيها، واعتراض ذلك بقلة إمكاناتهم وندرة الوسائل عندهم ذهولٌ عن أن الله تعالى إذا أراد حفظ شيء هيأ له من الأسباب ما لا يخطر على بال لينفذ وعده المحتوم.

ثم إذا ثبت كتابة بعضه وحفظه في الرقاع وغيرها سرى ذلك إلى الجميع، فلا سبيل إلى كتابة بعضه دون بعض، ولو عزَّت الأدوات وقلَّت الوسائل، والله أعلم.

ولحظت في شرح الإمام أبي شامة قول زيد الآنف أنه يرى تطلب زيد للمكتوب ونسخه من غير ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ، فكأنها كتابة أُخرى بعد كتابته عند نزول الوحي بأمر رسول الله ﷺ فيجتمع حينئذ كتابتان، ولو سُلم هذا لكانت درجة من العناية ورتبة من الحِياطة لا يكون مثلها إلا لكتاب خالد محفوظ.

وأيضاً عبارة زيد (**لم أجدها**) هي بالمكتوب أوفق؛ لأنه لو كان الأمر أمر حفظ ووعي لقال: **لم يحفظها أو يجمعها**، أو نحو ذلك من العبارة. ولذلك لم يستثن نفسه مع ذلك الرجل مع أنه كان يحفظها وإلا كيف أثبتها؟.

٧ ـ دلت الآثار على مصير تلك الصحف وأنها بقيت في عهدة الصديق ثم الفاروق ثم انتقلت إلى حفصة أُم المؤمنين ـ رضي الله عن الجميع ـ حتى طلبها عثمان في عصره لينسخها في المصاحف، ثم أعادها إليها.

---

(١) المرشد الوجيز (ص٥١، ٥٢)، وما قاله مكي بن أبي طالب انظره في الإبانة عن معاني القراءات (ص٦٠).

(٢) ممن نص على ذلك الإمام القسطلاني في لطائف الإشارات (ص٥١، ٥٢).

وجاء أنه لما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها الصحف ليمزقها، وخشي أن يخالف الكتاب بعضه بعضاً، فمنعته إياه، فلما توفيت حفصة أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر ساعة رجعوا من جنازة حفصة بعزيمة ليرسلها، فأرسل بها ابن عمر إلى مروان فمزقها؛ مخافة أن يكون شيء من ذلك خلافاً لما نسخ عثمان[١].

قال أبو عبيد: «لم يسمع في شيء من ذلك الحديث أن مروان هو الذي مزق الصحف إلا في هذا الحديث»[٢].

قلت: وهذا من مروان ـ إن ثبت ـ نوع من التحري والحيطة الفائقة وإلا ففي المرويات أن عثمان نسخ ما في هذه الصحف لما عزم جمع الأمة على مصحف واحدٍ، فدل على أن ما في الصحف التي كانت عند حفصة فُرِّغتْ بنصها وفصها في مصحف عثمان، فليس بينها اختلاف في شيء من الحروف والحمد لله.

٨ ـ هناك تعقب من الحافظ ابن حجر لبعض مرويات جمع القرآن في زمن الصديق، فقال عند أثر: لا يُملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف: وليس في الذين سميناهم أحدٌ من ثقيف، وكلهم إما قرشي وإما أنصاري[٣].

وقال في الرواية التي توهم أن الجمع الذي أمر به أبو بكر كان في قطع الأُدم وكِسر الأكتاف وكذا وكذا، قال مصححاً رواية الزهري ـ وهي فيما سبق ـ ونصها: «حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق»... قال: وإنما كان في الأديم والعُسب أولاً قبل أن يُجمع في عهد أبي بكر، ثم جُمع في الصحيفة في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة. اهـ[٤].

وليست رواية الزهري فحسب هي التي تقرر أن المكتوب في ذلك الجمع كان في الصُّحُف والوَرَق إنما عدة روايات قُررت سابقاً.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٩٨)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٠٣) [٧٣] و(٢١١) [٨٥]، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٨٨)، وصححه ابن كثير في فضائل القرآن (ص٨٦).

(٢) فضائل القرآن (٢/ ٩٨).

(٣) فتح الباري (٨/ ٦٣٦).

(٤) فتح الباري (٨/ ٦٣٢، ٦٣٣).

٩ ـ تمت تسمية القرآن بالمصحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وذلك مضمون الأثر الذي أخرجه ابن أشتة في كتابه المصاحف، ـ وتقدم ـ.

١٠ ـ ذاع في الآفاق واستفاض أسبقية الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن، ولم يعد هذا مجالاً لقولٍ يزاحمه أو أثرٍ ينازعه، وهذا متقرر لا لبس فيه.

إنما أتت بعض آثارٍ تفيد بعمل كعمل الصديق أبي بكر قام به خليفتان راشدان وصحابيٌ آخر من كبار قرائهم، فأما الأول فأثر عمر رضي الله عنه أنه سأل عن آية، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فأمر بجمع القرآن.

وهذا أثر منقطع كما قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر ـ رحمهما الله ـ، فإسناده ضعيف.

أما من ناحية المتن، فقال الحافظ ابن كثير: «ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع، ولهذا كان مهيمناً على حفظه وجمعه...». اهـ، ثم ساق ما روي من أنه لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان، وأن أبا بكر قال لعمر وزيد: فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[١].

وهذا التوجيه متفق مع ما وجه ابن حجر به الأثر فقال: «أي: أشار بجمعه في خلافة أبي بكر فنسب الجمع إليه لذلك»[٢]، وهو كذلك قول السيوطي[٣].

قلت: والمرويات تفيد بما لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من دورٍ كبير ومسؤولية عظيمة في جمع الصديق الأول إذ كان ـ كما سيأتي ـ مكلفاً بالعمل مع زيد بن ثابت في مراحل جمع القرآن.

فلا غضاضة من أن ينسب إليه الجمع سواء كان لإشارته على الصديق بذلك كما نطقت به الآثار الصحاح، أو كان بما تبعه واضطلع به عمل مباشر في جمع القرآن.

الأثر الثاني ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أنه جعل على نفسه إلا يلبس رداءه لصلاة حتى يجمع القرآن.

---

(١) فضائل القرآن (ص٥٩).
(٢) فتح الباري (٨/ ٦٢٩).
(٣) الإتقان (٢/ ٣٨٢).

وهو كذلك منقطع الإسناد كما قال ابن كثير، وأعله كذلك ابن أبي داود كما تقدم بأن لفظة (المصحف) لم يذكرها إلا أشعث[(١)] وهو ضعيف كما في التقريب، وإنما الرواية: حتى أجمع القرآن، وفسروا قوله: (أجمع القرآن) يعني: أحفظه، فإنه يقال للذي (يحفظ) القرآن قد جمع القرآن.

وهذا التفسير من ابن أبي داود وافقه عليه ابن كثير، وقال: «فإن علياً لم ينقل عنه مصحف ـ على ما قيل ـ ولا غير ذلك»[(٢)]، وهو قول ابن حجر كذلك حيث فسَّر الجمع بالحفظ في الصدر[(٣)].

لكن هذا التأويل لا يساعده ما جاء في الرواية من قوله: **رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي**... إلخ، فهو لا يتناسب مع تفسير جمعه بالحفظ، ولهذا جاء عند السيوطي رواية أخرى عن ابن سيرين وفيها: أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: **فطلبتُ ذلك الكتاب، وكتبتُ فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه**[(٤)].

وعند ابن سعد وابن عبد البر قال ابن سيرين: «**وبلغني أنه كتبه على تنزيله، ولو أُصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير**»[(٥)].

وهذه الرواية تضعف ذلك التأويل وإن قال به أئمة من أهل العلم الجهابذة.

وجعل الملا علي القاري هذا أحد التأويلين لقول علي: **حتى أجمعه**، فقال: «أو المراد بجمعه جمعه بانفراده وهو يحتمل النقصان، والمراد بجمع أبي بكر جمعه بالإجماع، ولا شك أن العبرة بهذا الجمع لعدم احتمال الزيادة والنقص فهو أولى بأن يقال له الأول»[(٦)].

---

(١) هو: أشعث بن سوَّار الكندي الراوي عن ابن سيرين هذا الأثر، قاضي الأهواز، ضعيف، من السادسة، مات سنة (١٣٦هـ).
انظر: تقريب التهذيب (ص١٤٩) [٥٢٨]، والكاشف للذهبي (١/ ٢٥٣) [٤٤٠].

(٢) المصاحف (١/ ١٧٠)، وفضائل القرآن (ص٨٨).

(٣) فتح الباري (٨/ ٦٢٩).

(٤) أخرجه ابن أشتة في المصاحف كما نسبه إليه السيوطي في الإتقان (١/ ٣٨١، ٣٨٢).

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٩٢)، والتمهيد (٨/ ٣٠١).

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٠٤، ١٠٥).

وعليه فمراد علي ـ على هذا الرأي ـ أن يجمعه جمعاً خاصاً به، لا جمعاً تُقصد به الأُمة كلها ويُقدم إليها.

أما الوجه الثالث:

هذا المروي عن علي رضي الله عنه مع انقطاعه، معارض بما ثبت عنه نفسه من إقراره بما قام به الخليفة الصديق من جمعه للقرآن وأوليته في ذلك، والثناء عليه بهذه المنقبة، حيث قال: «أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع القرآن»(١).

وأما أثر سالم مولى أبي حذيفة فوصفه السيوطي بقوله: «ومن غريب ما ورد»، وحكم على إسناده بالانقطاع(٢).

وكذا حكم الملا علي القاري على سند الأثر بأنه منقطع(٣).

وقد وجه الإمام السيوطي أثر سالم هذا بقوله: «وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر»، وهذا ذهول من الحافظ رحمه الله جعل المفسر الكبير الآلوسي(٤) يصفها بالعثرة إذ يقول: «وهي عثرة منه لا يقال لصاحبها لعا(٥)؛ لأن سالماً هذا قتل في وقعة اليمامة كما في الإصابة للحافظ ابن حجر، ونص عليه السيوطي نفسه في إتقانه بعد هذا المبحث بأوراق، ولا شك أن الأمر بالجمع وقع من الصديق بعد تلك الوقعة، وهي التي كانت سبباً له

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٤٢، ٥٤٣) [٣٠٨٥٦]، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٧٦)، بلفظ: يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع اللوحين، والإمام أحمد في فضائل الصحابة بنحوه (١/ ٢٨٢، ٢٨٣) [٢٨٠]، وابن أبي داود في المصاحف بنحوه (١/ ١٥٥) [١٩، ٢٠]، وصحَّحه الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (ص٥٧)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦٢٩)، وحسَّنه السيوطي في الإتقان (٢/ ٣٨٠)، ورواه بنحوه الداني في المقنع (ص١٣)، والسخاوي في جمال القراء (١/ ٨٥)، وروي في مسند ابن أبي شيبة كذلك عن الشعبي عن صعصعة قال: أول من جمع ما بين اللوحين وورَّث الكلالة أبو بكر، (١٥/ ٥٤٣) [٣٠٨٥٨].

(٢) الإتقان (٢/ ٣٨٢).

(٣) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٠٥).

(٤) الإتقان (٢/ ٣٨٢).

(٥) قال في مجمع الأمثال: لا لعاً لفُلان، يقال للعاثر: لعاً له، إذا دعوا له، و(لا لعاً له) إذا دعوا عليه وشمتوا به؛ أي: لا أقامه الله من سقطته (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦) [٣٥٥٣].

كما يدل عليه حديث البخاري الذي قدمناه، فسبحان من لا ينسى»[١].

قلت: فيحمل الأثر مع انقطاعه على أنه كان عملاً خاصاً لسالم لم يكن مقصوداً حفظه للأُمة كلها، ومعلوم أن الصحابة كان لهم مصاحف خاصة رتبوها ترتيباً خاصاً بالنسبة للسور، ولعل هذا من ذلك، والله أعلم.

أما الخبر الوارد عن زيد بن ثابت في أنه استشار عمر لجمع القرآن فأبى عليه، واستشار عثمان فأذن له، فهو خبرٌ ضعيفٌ، ومخالفٌ لما صح في البخاري وغيره، من أن عمر هو من أشار على أبي بكر بجمع القرآن عقب حادثة وقعة اليمامة، وأن زيد بن ثابت لم يزل يراجعه أبو بكر وعمر حتى شرح الله صدره للذي شرح له صدرهما.

وأما في زمن عثمان ﷺ فكان ذلك بإيعاز من حذيفة بن اليمان ﷺ في القصة المستفيضة، ولم يكن لزيد إلا مهمة القيام بالجمع مع ثلةٍ من الصحابة والتابعين.

ثانياً: جمع القرآن في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان:

١ ـ تنوعت في الظاهر الوقائع التي حملت عثمان على جمع القرآن جمعاً ثانياً، لكنها تؤول إلى مقصد متحد وغاية عظيمة بها حذيفة الذي أشار به في رواية من روايات الجمع ومفادها خشية اختلاف الأمة وتفرقها، ولا يفوت أن أشير بادئ الأمر إلى أن كثيراً من أحداث الجمع هذا ومسائله يشوبها شيء من عدم وضوح ما تم فيه على وجه القطع، وبدت الروايات يلفها الغموض وتتنازعها الآثار، خصوصاً ما يتعلق بمسألة: جمع عثمان الأُمة على حرف واحد أم على سبعة أحرف؟، وفي ظني أن مفتاح هذه المسألة الكبيرة كما وصفها شيخ الإسلام، هو الظفر بنصوص مفصحة عن كنه جمع عثمان وحقيقته، وهو ما لم يكن، وإلا لحسمت الخلاف ولم يفترق العلماء فيها إلى أقوال متعددة، وكلٌّ مصدره روايات مأثورة في جمع عثمان.

٢ ـ كان الاختلاف الذي رآه حذيفة في مغازاه أهل الشام في فتوح أرمينية وأذربيجان باعثاً لأن يشير على عثمان بن عفان بجمع القرآن.

---

(١) روح المعاني (١/ ٢٢).

وهناك أيضاً ما رآه عثمان من اختلاف الغلمان في القراءة، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، فقال عثمان: أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد اختلافاً وأشد لحناً.

فجائز أن تكون هذه الحوادث بمجموعها حاملة عثمان على ما عزم عليه من جمع القرآن، ولا مانع من أن يلحظ عثمان ما وقع عنده في المدينة من بوادر الاختلاف المفضي إلى التخطئة بل التكفير.

ثم يأتي حذيفة مخبراً بما كان بين أجناد المسلمين أثناء الفتوحات فيصح العزم وتنهض النفس لهذا العمل؛ حفظاً للأمة واحترازاً من الخلاف الذي يفرقها ويشتت ائتلافها[١].

٣ ـ أُنيطت هذه المهمة الجليلة بجماعة من أفاضل الصحابة والتابعين وعلمائهم، ونطقت الروايات بأن عددهم اثنا عشر رجلاً، وأظهرت أسماء طائفة منهم، فأما أربعة منهم فجاء في البخاري التصريح بهم، وهذا من الظهور بمكان، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء ثلاثة منهم قرشيون وهم الأواخر، وزيد بن ثابت أنصاري.

وممن ذكر منهم في مطاوي المرويات: أُبي بن كعب[٢]، وكثير بن أفلح، ومالك بن أبي عامر جد مالك بن أنس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس.

قال ابن حجر بعد تعداد من سمتهم الروايات ممن كتب أو أملى في هذا الصنيع: «فهؤلاء تسعة عرفنا تسميتهم من الاثني عشر». اهـ[٣].

ويضاف إلى هؤلاء الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، فإن في الآثار

---

(١) ولابن حجر كلام في الجمع بين الروايات التي سببت القيام على هذا الجمع بنحو ما ذكر. انظر: فتح الباري (٨/ ٦٣٥).

(٢) أشار بعض المصنفين إلى أن مشاركة أُبي بن كعب مثار تساؤل من الباحثين قدماء أو محدثين؛ لأن الروايات تضطرب في تحديد وفاته أهي (١٩، ٢٢، ٣٠، ٣٢هـ)، وممن رجح عدم مشاركته الذهبي في السير (١/ ٤٠٠). انظر: رسم المصحف، غانم قدوري الحمد (ص١١٦، ١١٧).

(٣) فتح الباري (٨/ ٦٣٦).

شواهد على قربه من النفر الذين تولوا أمر الجمع، وجاء فيها استشارة زيد له في بعض الآيات، وسبقت نصوص ذلك.

قلت: وفي السير العطرة لهؤلاء يتجلى ما حظوا به من كريم المآثر وعظيم الشمائل، ومن طالع تراجمهم في كتب الرجال والسير أدرك أسباب اختيار هؤلاء من بين طوائف الأخيار والعلماء في زمانهم، وتيقن ثاقب نظر عثمان وحسن رأيه حين ألقى بمهام هذا الأمر إلى هؤلاء الأئمة، فبخلاف جماعة الصحابة الزكية نفوسهم العلية مقاماتهم تنضح سيرة سعيد بن العاص بالفضل والعلم، فكانوا يسمونه كريمة قريش كما قال معاوية بن أبي سفيان، وعبد الرحمٰن بن الحارث الذي امتدحته الصديقة عائشة ﵂ بكلام عظيم فخيم تقدم ذكره.

وهكذا في بقية من عرف باسمه كاتباً أو مملياً في هذه الجمع العثماني، يكللهم العلم والفضل والعقل الحصيف، وما وقع من ذكر اسم أبان بن سعد بن العاص وأنه أحد من شارك في الجمع فهذا وهمٌ من الراوي كما قاله الخطيب ونقله عنه ابن حجر كما تقدم.

٤ ـ سبق في الجمع الأول إظهار موقف الصحابة المتوافرين في عهد الصديق وأنهم أجمعوا عليه واتفقوا، ورضوا عن هذا العمل وارتضوه، وهو من عظيم أعمال أبي بكر ﵁ ومناقبه.

وهذا الموقف في جملته هو ما كان عليه الأمر في جمع عثمان ﵁، لكن لما اختلف عهد عثمان وظهرت الخوارج نقموا عليه وأوغلوا في ثلبه حتى لم يدعوا ما سطع من عمله وصنيعه، وتكشفت مصلحته تنادي بأنه نعم العمل، وأن فيه خيراً للأمة وصلاحاً لها وحماية من التنازع والاختلاف المذموم، احتاج العمل إلى نصوص واضحة من الصحابة تبين عن موقفهم من فعل عثمان، فكان قول الإمام علي ﵁: «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف، وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن مَلإٍ منا جميعاً».

وفي رواية: «فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك»، فعلي ﵁ يحكي إجماع الصحابة على عمل عثمان وموافقتهم له ورضاهم بجمعه، وكذلك قال

مصعب بن سعد: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد»، وهذا حكاية للإجماع مرة أُخرى.

ولا يكاد يعرف عن الصحابة والتابعين خلاف ما ذكره الإمام علي بن أبي طالب إلا ما فاضت به الأخبار عن موقف ابن مسعود ﷺ موقفاً متفرداً لم يتابعه عليه أحد، والذي يتلخص عن موقفه في هذه القضية أمران:

أ ـ موقفه من تولية زيد بن ثابت مهمة جمع القرآن دونه، وهو من هو في العلم بالقرآن والتلقي مباشرة من رسول الله ﷺ، مع شهود الصحابة مكانته وإذعانهم بفضله، فكان يردد فيهم علو كعبه في العلم والقرآن، ولا يدفع قوله منكر أو دافع.

ب ـ رفضه تسليم مصحفه الخاص حين طلب عثمان من الصحابة كلهم ممن يملك مصحفاً خطه لنفسه أن يسلمه عثمان، واستجابوا لذلك أجمعون ما عدا ابن مسعود أول الأمر.

فأما **القضية الأولى** فجميع الصحابة مقرون لابن مسعود بعلمه، وتلقيه كثيراً من سور القرآن من فِي رسول الله ﷺ، وتولية زيد دونه لا يعني ضرورةً أن ابن مسعود تنقصه الأهلية لهذا المنصب، لكنْ هناك أسبابٌ دفعت عثمان يعهد إلى زيد بالأمر، أهمها وأظهرها أن زيداً تولى العمل في عهد أبي بكر الصديق.

قال الإمام الذهبي حاشداً جملة من أسباب ذلك: «إنما شق على ابن مسعود؛ لكون عثمان ما قدَّمه على كتابة المصحف، وقدَّم في ذلك من يصلح أن يكون ولده، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة، ولأن زيداً كان يكتب الوحي لرسول الله فهو إمام في الرسم، وابن مسعود إمام في الأداء، ثم إن زيداً هو الذي ندبه الصديق لكتابة المصحف وجمع القرآن، فهلا عتب على أبي بكر؟

وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد، وفي مصحف ابن مسعود أشياء أظنها منسوخةً نُسخت، وأما زيد فكان أحدث القوم بالعرضة

الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ عام توفي على جبريل». اهـ[١].

قلتُ: جاء عند الذهبي في سيره أن عثمان حين غضب عليه ابن مسعود لعدم توليته جمع القرآن احتج بفعل أبي بكر وعمر وأنهما عزلاه عن جمع المصحف في عهد الصديق وولّيا زيداً، فاتبع فعلهما[٢].

وهذا نصٌ مهم جداً يقتضي متابعة عثمان رضي الله عنه للخليفتين الراشدين قبله، وأنه فعل كما فعلا، ورأى أن يستعمل زيداً كما استعملاه.

وفي نص الذهبي ـ السابق ذكره ـ كلامٌ رصينٌ لا مزيد عليه، ولا ينكر شيء منه، إلا ما سيأتي بسطه من مسألة عود ابن مسعود إلى عثمان ورضاه وتسليمه بما تم من جمع القرآن من عدمها، وأمر ثانٍ أن زيداً ليس وحده من شهد العرضة الأخيرة، فقد صرح ابن مسعود عينه وابن عباس معه، بشهود ابن مسعود العرضة الأخيرة.

وهنا ملحظ قاله الإمام الكبير الذهبي وهو عتب ابن مسعود على عثمان، مع أن أبا بكر قدَّم زيداً كذلك لجمع القرآن ولم يؤثر عن ابن مسعود حرفاً يعارض به أو يعتب على عدم تقديمه لذلك الأمر في عهد الصديق، والله أعلم.

ولا يفوت هنا أن النصوص لم تحمل صراحة أسباب تولية عثمان زيداً هذا الأمر، كما كانت الأسباب مذكورة منوهاً بها في خبر أبي بكر لما عزم على جمع القرآن، سوى أن عثمان سأل الناس: من أكتب الناس؟ فقالوا: زيد بن ثابت، وأي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، وهو ما يفهم منه سببٌ واحدٌ جاء لفظه صريحاً وهو تولي زيد كتابة الوحي لرسول الله ﷺ، مع سببٍ آخر أفاده الخبر الذي ساقه الذهبي وهو أن أبا بكر وعمر قد ولياه أمر الجمع الأول فاتبع عثمان فعلهما، أما أبو بكر بن الأنباري فيرى اختيار زيد دون ابن مسعود لأسباب مختلفة عما في كلام الذهبي فيقول: «ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٨٨).

(٢) ساقه عن الواقدي قال: حدثنا الضحاك بن عثمان عن الزهري قال: قال ثعلبة بن أبي مالك، قال: سمعت عثمان.......... ثم ذكره. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٥).

القرآن، وعبد الله أفضل من زيد وأقدم في الإسلام وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه كلَّه ورسول الله ﷺ حيٌّ، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة النبي ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حيٌّ أولى بجمع القرآن وأحق بالإيثار والاختيار». اهـ(١).

وقوله هذا لم يوافقه عليه القرطبي، بل ساق من الأخبار ما تؤكد جمع ابن مسعود القرآن في عهد النبي ﷺ، وقال: «وهذه الأخبار تدل على أن عبد الله جمع القرآن في حياة النبي ﷺ خلاف ما تقدم»(٢).

قلتُ: فإذا ثبت أن ابن مسعود كان جمع القرآن كله في حياة النبي ﷺ كما هو الأصح، والله أعلم، فإن تعليل ابن الأنباري بقضية الحفظ في اختيار زيد دون ابن مسعود ليس بوجيه، والله أعلم.

ولا يلزم من أنه أخذ من النبي ﷺ بضعاً وسبعين سورة ألا يكون قد تلقى بقية القرآن من غيره من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، ولذلك ورد أنه تعلم بقية القرآن من مُجَمِّع بن جارية الأنصاري(٣)(٤).

وليس في الأثر إلا الإخبار بتلقيه بضعاً وسبعين سورة من النبي ﷺ مباشرة، ولا تحتمل عدم تلقي البقية من غيره، كيف وهو من شهود العرضة الأخيرة كما أخبر هو عن نفسه وحدث بذلك ابنُ عباس.

أما موقف الصحابة من مخالفة ابن مسعود هذه فمضى قول الزهري: فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجالٌ من أفاضل أصحاب النبي ﷺ. اهـ.

وهذا دليل على أنه لم يتابع على موقفه من هذا الجمع.

---

(١) نقله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٧، ٥٨).

(٣) هو: مُجَمِّع بن جارية بن عامر بن مُجَمِّع العطاف الأنصاري، معدود في أهل المدينة، ذكر أنه قد جمع القرآن في عهد النبي ﷺ، وكان أبوه ممن اتخذ مسجد الضرار، توفي في آخر خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب (ص٦٧٦) [٢٣٧٢]، والإصابة (٤/ ١٧٧١) [٧٧٣٥].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٨).

القضية الثانية: رفض عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تسليم مصحفه عثمان لما أمر بجمعها وقام بإحراقها تحقيقاً لمقصده من مشروع جمع القرآن.

وجاء في أثر ابن مسعود: «من استطاع منكم أن يَغُلَّ مصحفه فليفعل».

وهنا تتبدى مسألة رجوع ابن مسعود عن هذه المخالفة وعودته إلى صف الإجماع الذي اصطف فيه الصحابة ومن في زمانهم.

هل عاد أم بقي متمسكاً بموقفه مصمماً على رأيه؟

أما ابن أبي داود[(١)] وابن عساكر فقالا برجوعه عن رأيه وعوده إلى ما أجمع عليه الصحابة، واستشهدا بما جاء أن أناساً من أهل الكوفة أتوه فقرأ عليه السلام وأمرهم بتقوى الله وأن لا يختلفوا في القرآن ولا يتنازعوا فيه، فإنه لا يختلف ولا يتساقط ولا ينفد لكثرة الرد، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة حدودها وقراءتها وأمر الله فيها، ولو كان من الحرفين يأمر بشيء وينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله[(٢)].

وقد أحسن ابن كثير وأصاب لما تعقب هذا الاستدلال من ابن أبي داود: «وهذا الذي استدل به أبو بكر على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوعٌ عما كان يذهب إليه، والله أعلم»[(٣)].

وكذلك قال برجوعه أبو بكر ابن الأنباري[(٤)].

وقال الذهبي: «وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد»[(٥)].

قلت: ولم يرد نص صريح يفيد برجوع ابن مسعود عما كان عليه، وهو رأي القرطبي في شرح المفهم على صحيح مسلم، وسيأتي نص كلامه.

فإن كان رضي الله عنه قد عاد فهذا الذي يُرجى، وإلا فلا يضر ذلك إجماع الصحابة ولا يضير الاتفاقَ مخالفةُ واحدٍ جماعات الصحابة وحشودهم في ذلك الزمان ولله الحمد.

---

(١) عقد ابن أبي داود باباً بعنوان: باب رضاء عبد الله بن مسعود بجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف (١/ ١٩٣).

(٢) تقدم تخريجه في علم: **الأحرف السبعة**.

(٣) فضائل القرآن (ص٨٣).

(٤) نقل ذلك القرطبي في تفسيره (١/ ٥٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٨٨).

قال القرطبي: «وكان هذا رأياً منه انفرد به عن الصحابة ﷺ، ولم يوافقه أحد منهم عليه، فإنه كتم مصحفه ولم يُظهره، ولم يقدر عثمان ولا غيره عليه أن يُظهره.

وانتشرت المصاحف التي كتبها عثمان، واجتمع عليها الصحابة في الآفاق، وقرأ المسلمون عليها، وتُرك مصحف عبد الله وخفي إلى أن وُجد في خزائن بني عبيد بمصر عند انقراض دولتهم، وابتداء دولة المعز، فأمر بإحراقه قاضي القضاة بها صدر الدين على ما سمعناه من بعض مشايخنا فأُحرق». اهـ[١].

وأختم بضرورة فهم موقف ابن مسعود من جمع عثمان حق الفهم وفي كلامه: «أعزل عن نسخ المصاحف» وليس في موقفه أزيد من هذا النص، فإنه اعترض على تولية زيد العمل دونه، ولم يكن معارضاً الأمر برمته، أهدف من هذا أن كثيراً من الظنون في هذه القضايا لو ردت إلى الآثار والمرويات ونهلت منها لقضى على ما لم يقم على أثر صحيح ونص واضح صريح.

٥ ـ تمثلت مراحل الجمع الثاني فيما يلي:

أ ـ أرسل عثمان بن عفان إلى حفصة يطلب الصحف التي عندها من جمع أبي بكر للقرآن وبقيت عنده ثم انتقلت إلى عمر ثم إلى حفصة، وقال: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك».

وتمسك بهذا النص ـ وفي معناه عدة نصوص أُخرى ـ من يقول إن عثمان جمع القرآن على الأحرف السبعة كلها ولم يترك منها حرفاً؛ لأنه معلوم متقرر أن جمع أبي بكر كان بالأحرف جميعها، وما دام عثمان نسخها من تلك الصحف فقد ضمَّ القرآن بأحرفه السبعة لم يهمل منها شيئاً.

قال الطبري كما نقله عنه ابن عطية: «إن الصحف التي كانت عند حفصة جُعلتْ إماماً في هذا الجمع الأخير»[٢].

ب ـ جاء أن عثمان لما خطب الناس مستشيراً لهم عارضاً عليهم ما عزم

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٢)، ولم أجده بلفظه هذا في تفسير الطبري.

على تنفيذه، أمر من كان عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ أن يأتي به فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعُسُب فيه الكتاب.

والرواية يلزمها التوجيه مع ما يظهر من تعارضها مع الرواية التي تفيد نسخهم المصاحف من الصحف المجموعة في عهد أبي بكر المحفوظة عند حفصة.

أليس أبو بكر قد جمع القرآن وطلب من الصحابة كذلك أن يأتوا بما معهم مكتوباً في الرقاع والأكتاف فهل كرر عثمان الطلب لذلك، أو لم يكف فعل أبي بكر واستيعاب ما عند الصحابة من المحفوظ المكتوب؟

ولعل توجيه ذلك أن الصحابة كان لهم مصاحف خاصة، وكتابات للقرآن في مختلف الأدوات من الرقاع والعُسُب وغيرها، فحين استوثق أبو بكر من جمع القرآن في الصحف التي ضمها لديه أبقى ما كان عند الصحابة في أيديهم، فلما عزم عثمان على الجمع الآخر طلبها ورغب من أفراد الصحابة تسليمها له، وهو ما وافقوا عليه وارتضوه فأخلَوا وفاضهم مما استبقوه من المصاحف تتميماً لمقصده من ذلك العمل، والله أعلم.

والإمام أبو شامة له توجيه خليق بإمامته وعلمه إذ يقول:

«وأما ما روي أن عثمان جمع القرآن أيضاً من الرقاع كما فعل أبو بكر فرواية لم تثبت، ولم يكن له إلى ذلك حاجة، فالاعتماد على ما قدمناه أول الباب من حديث صحيح البخاري، وإنما ذكرنا ما بعده زيادة كالشرح له، وجمعاً لما روي في ذلك، ويمكن أن يقال: إن عثمان طلب إحضار الرقاع ممن هي عنده وجمع منها، وعارض بما جمعه أبو بكر أو نسخ مما جمعه أبو بكر، وعارض بتلك الرقاع، أو جمع بين النظر في الجميع حالة النسخ، ففعل كل ذلك أو بعضه استظهاراً ودفعاً لوهم من يتوهم خلاف الصواب، وسداً لباب القالة: إن الصحف غُيرت أو زيد فيها ونقص، وما فعله مروان من طلب الصحف من ابن عمر وتمزيقها ـ إن صح ذلك ـ فلم يكن لمخالفة بين الجمعين، إلا فيما يتعلق بترتيب السور فخشي أن يتعلق متعلق بأنه في جمع الصديق غير مرتب السور فسدَّ الباب جملةً، هذا إن قلنا: إن عين ما جمعه عثمان هو عين ما جمعه أبو بكر، ولم يكن لعثمان فيه إلا حمل الناس عليه مع

ترتيب السور، وأما إن قلنا بقول من زعم أن عثمان اقتصر مما جمعه أبو بكر على حرف واحدٍ من بين تلك القراءات المختلفة، فأمر ما فعله مروان ظاهرٌ». اهـ(١).

ج ـ أبانت المرويات عن إشراف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه على ذلك العمل العظيم، وملاحظته بعين العناية البصيرة مراحل هذا الجمع، فكانوا يعودون إليه عند الاختلاف فيحسم بقوله ما تدارءوا فيه ويقرر الصواب.

وفي النصوص المتقدمة براهين ذلك، ولا يُنسى دور أُبي بن كعب الذي أفاد الأثر أنهم يستشيرونه في بعض الحروف إذا اختلفوا، فقام بتصحيح المكتوب وتصويبه ووافقه زيد على ذلك، وهذه مرتبة من التمحيص ودرجة من التحقيق بذلها الصحابة القراء لإتقان نقل القرآن، وهذا من أكبر الشواهد على خلو الكتاب العظيم من أدنى درجات اللحن والخطأ، وبهذه الآثار استدل أبو بكر بن الأنباري على نفي اللحن عن القرآن مع كل درجات التثبت والتمحيص(٢).

د ـ أرشدهم عثمان قبل ابتداء مهام الجمع إلى اعتماد لغة قريش أو لسان قريش لما يتنازعون في كتابة المفردة القرآنية، والخلاف المقصود ههنا الخلاف في الرسم والكتابة لا في اللفظ والتلاوة بدليل قوله: (فاكتبوه)(٣).

وجاء في شرح الحديث: «يعني إذا اختلفتم فيه من الهجاء ليس من الإعراب، وقال بعضهم: أراد إذا اختلفتم في إعرابه، ولا يبعد أنه أراد بالوجهين...»(٤).

وفي رواية ابن سيرين أنهم كانوا إذا اختلفوا في شيء أخروه، لينظروا أحدثهم بالعرضة الأخيرة فيكتبوها على قوله، وهذا يفيد في اعتبارهم العرضة الأخيرة وحرصهم على تيقنها، وما ذلك إلا ليجتنبوا إثبات المنسوخ؛ لأن العرضة الأخيرة هي المعتمدة، وإتقانها وشهودها سبيل إلى نفي ما نسخ أثناء زمن التنزل وإمكانية النسخ.

---

(١) المرشد الوجيز (ص٧٥، ٧٦). (٢) انظر: الإتقان (٤/ ١٢٤٤).
(٣) انظر: جمع القرآن حفظاً وكتابةً، د. علي العبيد (ص٤٥).
(٤) عمدة القاري (١٦/ ١٠٩).

ولم تحمل المرويات اختلافهم إلا في كلمة (التابوت) حيث أراد زيد أن يكتبها (التابوه) فمنعه الثلاثة القرشيون ورفعوا اختلافهم إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوها (التابوت).

هـ - جاء أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يسألهم لما يأتون بالورق والرقاع فيها القرآن: أنت سمعته من رسول الله وهو أملاه عليك؟

يطلب البينة كما كان يطلبها الصديق.

قال البيهقي عقب وصفه الأثر بأن فيه انقطاعاً: «وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي ﷺ، وروينا عنه أن الجمع في الصحف كان في زمن أبي بكر، والنسخ في المصاحف كان في زمن عثمان، وكان ما يجمعون وينسخون معلوماً لهم، فلم يكن به حاجة إلى مسألة البينة». اهـ[1].

قال أبو شامة: «لم تكن البينة على أصل القرآن، فقد كان معلوماً لهم كما ذكر، إنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة، فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله ﷺ وبإذنه على ما سمع من لفظه على ما سبق بيانه.

ولهذا قال: فليُمل سعيد، يعني: من الرقاع التي أُحضرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتج زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه». اهـ[2].

و - في خبر عن زيد بن ثابت أنهم لما فرغوا من كتابة المصحف أرسل عثمان إلى حفصة أن تعطيه الصحف وحلف لها: ليردنها إليها، فأعطته فعرضت المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء، فردها عليها وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا المصاحف[3].

وهذا إن ثبت دليل على ما أُحيط به الجمع من خطوات الاستيثاق ودقة التنفيذ والكتابة للمصحف، وأن المصحف العثماني لم يختلف في شيء من الحروف مع صحف أبي بكر، وهذه الرواية في النفس منها شيء؛ لأن مضمونها أن عثمان عارض المصحف الإمام، وتأكد من إتقان ما قاموا به من

---

(١) نقله أبو شامة عن البيهقي عن كتابه المدخل. انظر: المرشد الوجيز (ص٥٩).

(٢) المرشد الوجيز (ص٥٩، ٦٠).

(٣) أخرج هذا الأثر الطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ١٢٧ - ١٣٠) وصححه المحقق.

جمع وكتابة بعرضه على صحف أبي بكر، وأنه وقع بعد الانتهاء من الجمع، لكن النصوص الأُخرى توضح أن عثمان طلب الصحف في بدء جمع الأمة على القراءة الثابتة وأول خطوات مهمة الجمع، ونسخ ما في الصُّحُف، ولفظه في البخاري: **أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك... حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة**، فهذه الرواية فيها نظر، سيما أن في سياق خبر زيد هذا ذكر أبان بن سعيد بن العاص مشاركاً زيداً في الجمع، وهذا وهمٌ كما نبَّه عليه الخطيب، فهل يكون هذا وهماً آخر يضاف لسابقه؟

٦ ـ في خبر حذيفة أنه كان يغازي الشام في فتوح أرمينية وأذربيجان، فلما قدم أشار على عثمان بجمع القرآن، وكذا في قول عثمان: إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة. وفي رواية: ثلاث عشرة سنة، ما يمكن أن يُحدد أو يقرب زمن بدء هذا الجمع العثماني، فعلى ضوء المرويات السابقة ما بين ٢٣ ـ ٢٥هـ ويعني ذلك أنه في استهلال عثمان لخلافته بدأ العمل بالجمع، حيث أرخ الطبري تاريخ غزو أذربيجان وأرمينية بسنة ٢٤هـ، وفي رواية سنة ٢٦هـ[(١)].

قال ابن حجر عن قصة حذيفة: «وكانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين من السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان».

ثم جمع بين روايتي عثمان: منذ خمس عشرة سنة، منذ ثلاث عشرة سنة، فقال: «فيجمع بينهما بإلغاء الكسر في هذه وجبره في الأولى، فيكون ذلك بعد مضي سنة واحدة من خلافته، فيكون ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين... وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً».اهـ[(٢)].

٧ ـ يفترق جمع الصديق عن جمع عثمان رضي الله عنهما فيما يلي:

* الغاية من الجمع.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٣٤).

* السبب الباعث عليه.

* في الأحرف التي حواها كل جمع في خلاف طويل مشهور في المسألة.

* ترتيب الآيات والسور.

* في الموقف من المصاحف التي بأيدي الصحابة.

وتتفقان في أمرين:

* رضى الصحابة وإجماعهم على ما صنعه الخليفتان وتلقيهم ذلك بالقبول والطاعة: مشاركة جماعات الصحابة للخليفتين هذه المهمة دليل الرضا وعنوان الانقياد، والجمعان وإن أُنيطا بمجموعة من الصحابة والتابعين، إلا أن الروايات تذكر مشاركة سواد الصحابة الأعظم فيه وسعيهم لتنفيذه وإتمامه.

فأما سبب الجمع الصديقي فهو الخوف من ضياع شيء من القرآن بذهاب حفاظه في المعارك؛ لأنه لم يكن مجموعاً بل مكتوباً متفرقاً.

أما سبب الجمع العثماني فهو نشأة بوادر الاختلاف الموصل إلى حد التخطئة والتكفير بين الناس، سواء بحضرته في المدينة أو فيما نأى عنه في الأمصار كما أخبره بذلك حذيفة.

الغاية من الجمع الصديقي حفظ ما تفرق من القرآن واستيعاب ما كتب منه في العهد النبوي، حتى لا يضيع منه شيءٌ بذهاب قرائه، ولذلك كان كله عنده في صحف مجموعة، وأبقى ما بأيدي الصحابة معهم.

أما الغاية من الجمع العثماني فهذه مسألة متنازع فيها بين أهل العلم. وهو فرعٌ عن مسألة ما أبقاه عثمان من الأحرف السبعة هل أبقى الأحرف كلها أم جمع الأُمة على حرف واحد؟ وقد سبق في علم الأحرف السبعة بسط المسألة لما لها من صلة وثيقة بموضوع الأحرف.

وأكرر هنا أن مفتاح العلم بهذه القضية علماً تطمئن إليه النفس وتتيقنه، يكمن في فهم حقيقة ما تم عمله في الجمع العثماني، لكن النصوص لا تُبين عن ذلك كله مفصلاً، بل هي محتملة، ولكل صاحب قول ما يستدل به من الرواية، كما هو حال المخالف له في قوله.

فهل الاختلاف الذي أفزع عثمان وحمله على ما قام به هو اختلاف

القرأة في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؟ أم هو اختلاف بين الأحرف السبعة وما بقي في مصاحف الصحابة من المنسوخ الذي رفع ولم يعلم به الصحابي فمكث على قراءته وإقراءه، وانتقل ذلك إلى من تلقوا عنه، وكذا في ما خالطها من القراءات التفسيرية مما يظن أنه من القرآن وليس كذلك؟

قال الباقلاني: «وأن أبا بكر رضي الله عنه قد أحسن وأصاب، ووفق لعمل عظيم في جمع الناس على مصحفٍ واحدٍ وقراءاتٍ محصورةٍ، والمنع من غير ذلك. . . وأن عثمان لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، وإلغاء ما لم يجر مجرى ذلك، وأخذهم بمصحف عثمان لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه وتسليم ما في أيدي الناس من ذلك، لما فيه من التخليط والفساد، وخشية دخول الشبهة على من يأتي من بعد». اهـ[(١)].

ما ورد من أن عثمان طلب الصحف التي عند حفصة من جمع أبي بكر لينسخها ويردها إليها بعد ذلك دليل لمن يقول إن عثمان أبقى الأحرف السبعة كلها؛ لأن الصحف التي نسخها مشتملة على الأحرف كلها بالإجماع فكذلك ما نقل فيها.

ومما احتجوا به موقف عبد الله بن مسعود من جمع عثمان، كيف لم ينكر عليه ترك ستة أحرف ورفض القراءة بها، وهو من أنكر عليه ما هو أقل من ذلك، فلو كان الأمر على ما ذكروا لأذاع ابن مسعود النكير والمعارضة، ولم يفعل، فدل على خلاف ما قالوا.

أما من يرى احتواء المصاحف على حرف واحد أو ما يحتمله الرسم منها، فيرى أن ذلك هو الغاية من جمع عثمان، والأمر بالقراءة بها أمر رخصة وإباحة لا أمر إيجاب وفرض، وأن القراء كانوا مخيرين فيها، فلما ظهر من بعضهم التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وهو أمر منهيٌّ عنه ويؤدي إلى الكفر، عزم عثمان على جمعهم على حرف إشفاقاً منه عليهم،

(١) الانتصار لصحة نقل القرآن (ص٦٤، ٦٥).

ورأفةً منه بهم، فاستوثقت له الأُمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية(١).

والمسألة لم تزل مثار مدارسة ونظر دون القطع فيها بشيء، وكلٌّ ينتصر لما يراه صواباً.

٨ ـ الجمع في عهد الصديق كان مرتب الآيات كما هو في العهد النبوي؛ لأن ذلك لا يكون إلا بتوقيف من النبي ﷺ وهو أمرٌ مجمعٌ عليه.

أما في عهد عثمان فزاد ترتيب السور كما يفيده خبر ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله عن الحامل لأن يعمدوا إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فيقرنوا بينهما ولم يكتبوا بسم الله الرحمٰن الرحيم.

أما ترتيب الآيات فأمرٌ باشره النبي ﷺ وليس موضعاً لاجتهاد مجتهد.

ولذلك لما سأل ابن الزبير عثمان رضي الله عنهما عن آية ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] لم تكتبها أو تدعها؟ أجاب: يا ابن أخي لا أُغير شيئاً من مكانه.

قلت: ويستأنس لأن ترتيب أبي بكر لم يطل السور بخلاف عثمان أن جمع الصديق في صحف، وجمع عثمان في مصحف والمصحف يتضمن ترتيباً لسوره، أما الصحف فغايتها جمع القرآن كله حتى لا يُفقد منه شيء، وأمر ترتيب سوره مع صحف مجموعة ليس غايةً مقصودةً.

٩ ـ الأمر الخامس الفارق بين الجمعين إبقاء الصديق مصاحف الصحابة بأيديهم، بينما جمع عثمان مصاحفهم وحرَّقها، وذلك لما تضمنه بعضها من المنسوخ ولم يعلم به الصحابي، وما هو من القراءة التفسيرية التي تظن قرآناً، ولا سبيل إلى ائتلاف الأمة ونزع فتيل الاختلاف المذموم إلا بذلك العمل. وهذا التباين من الخليفتين في المسألة فرع عن اختلاف غاية ما أقدم عليه كل واحدٍ منهما من العمل العظيم.

١٠ ـ أرسل عثمان مصاحف إلى الآفاق كما هو نص الأثر في البخاري ولفظه: . . . «حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا».

---

(١) جامع البيان للطبري (١/٥٨، ٥٩).

وليس في آثار الصحابة ولا التابعين تعيين عدد هذه المصاحف، إنما الوارد شيء عن أتباع التابعين(١).

وليس في هذه المسألة كبير فائدة.

١١ ـ هذا العلم هو في حقيقة أمره رصد تاريخي وتدوين لمراحل جمع القرآن منذ فجر النبوة ابتداءً حين كان يُؤلف في الرقاع والأكتاف وغيرها، وانتهاء بما وصل إليه المصحف في عهد عثمان.

وهو إن كان كذلك إلا أنه مؤثرٌ في علوم قرآنية أُخرى، كاشف عن بعض قضاياها، ومن أهمها:

أ ـ مسألة الأحرف السبعة، وذكرت قبلاً أنه لو أُحيط بجمع عثمان إحاطة فائقة وحُصِّلت دقائق أحداثه وتفاصيل عمله لعاد ذلك على معنى الأحرف وما بقي منها بعد الجمع العثماني بالسفور والبيان، وليس الموضوع خالياً من الآثار، ولكن لا تكفي للقطع لرأي تَثْلَج به النفس.

ب ـ مسألة ترتيب سور القرآن أهي اجتهادية أم توقيفية؟ لها علاقة بموضوع الجمع القرآني، أما ترتيب الآيات فالإجماع منعقد على أنه أمرٌ توقيفيٌ، وعثمان في غير ما رواية أكد ذلك أثناء عمله العظيم.

ج ـ رسم المصحف، وهو علم كبير مستقل عظيم الصلة بالجمع القرآني الذي تم في العهدين، سيما جمع عثمان بن عفان، بل لا يبعد إن قيل إنه علم متولد من رحم الجمع العثماني.

١٢ ـ كان حديث زيد بن ثابت في جمع الصديق، وحديث أنس بن مالك في جمع عثمان، هما عمدة الأخبار في هذين الجمعين، والمسائل التي تضمنهما هما أُصول المسائل في ذلك، وكلا الخبرين خرجهما البخاري في صحيحه وخرجه غيره من دواوين السُّنَّة.

١٣ ـ يلتقي الجمعان في مسألتين متأكدتين:

أ ـ رضا الصحابة ومن في زمانهم بما عمله الخليفتان والتسليم بكونهما عملاً عظيماً سائغاً، بل عدوا ذلك من أعظم مناقب أبي بكر وعثمان وجميل

---

(١) انظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود، ما كتب عثمان ﷺ من المصاحف (١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

صنعهما، وتميز كل جمع بمشاركة الصحابة والتابعين في مراحل ذلك الجمع رضاً وقبولاً وانقياداً.

ب ـ أن الكتابة كانت خالية من النقط والشكل على ما قرره العلماء، وفي ذلك من الفوائد، إمكانية احتمال اللفظ أكثر من قراءة، فيستوعب من الأحرف ما يحتمله اللفظ(١).

أما مسألة ترتيب الآيات فإنها منذ عهد النبي ﷺ، ولم يكن ذلك موكولاً إلى أحد واجتهاده، وليس لهما إلا إثبات ما رتبه النبي ﷺ بأمر ربه.

١٤ ـ أُورد على جمع القرآن مرويات تقدح زناد الشكوك عند المتربصين بالقرآن، وتبذر شبهاً تنبت في قلوب متبعي المتشابه الرِّيب، ويعصم منها ذو العلم؛ لأنه يفهم هذه النصوص ويعلم ما تقوم عليه إسناداً وما تفسر به متونها، وفيما يلي تلك الآثار وما أُجيب به عنها، ونفي من موهمها:

أ ـ قول عائشة رضي الله عنها عن آية الرضاع: فتوفي رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ من القرآن.

هذا الأثر لا غبار عليه سنداً، لإخراج الإمام مسلم له في صحيحه، ومع ذلك فقد وهَّم الطحاوي أحد رواة السند وقال: «وهو عندنا وهمٌ منه؛ أعني: ما فيه مما حكاه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ توفي وهو مما يقرأ من القرآن»(٢).

أما متنه فأُوِّل كلامها بالآتي:

قال ابن حزم: «وهذا لا تعلل فيه، وإنما معناه: أنه يُقرأ من القرآن الذي سقط رسمه وإثباته في المصحف، ولم تقل قط عائشة: إنه من القرآن المتلو في المصحف، فبطل تعللهم»(٣).

---

(١) انظر لمعرفة بدايات النقط: كتاب النقط لأبي عمرو الداني (ص١٢٩ ـ ١٣١)، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم الحمد (ص١٣٣) فما بعدها، وانظر: مباحث في علم القرآن، صبحي الصالح (ص٩٠) فما بعدها، علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور (ص١٣٧).

(٢) انظر: مشكل الآثار (٥/ ٣١١ ـ ٣١٣)، وساق الحديث من طرق آخر عن عائشة ليس فيه اللفظة المتنازع فيها وجعله أولى من الحديث الذي قبله.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ٦٢).

وقال ابن السمعاني: «يعني: أنه يُتلى حكمه دون لفظه»(١).

وعند البيهقي أنه يتلوه من لم يبلغه نسخ تلاوته(٢).

وقال النووي: «ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلواً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى»(٣).

وهذا التخريج لكلام الصديقة عائشة رضي الله عنها فيه مقنع، وبه تخلص اللفظة من إيهامها، وهو أصح من توهين الحديث وتضعيفه(٤).

ب ـ قول عائشة: لما نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، فلقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ تشاغلنا بموته، فدخل داجن فأكلها.

فأما من حيث إسناده فإن ابن حجر رحمه الله رد تضعيف من وهن الخبر وقال ـ كما سبق ـ: «بل راويها ثقة غير متهم».

وصححه كذلك ابن حزم في المحلى(٥).

قال ابن حزم مفسراً متن الأثر: «لأن آية الرجم إذ نزلت حفظت وعرفت وعمل بها رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يكتبها نُساخ القرآن في المصاحف ولا أثبتوا لفظها في القرآن... وبقيت الصفحة التي كتبت فيها كما قالت عائشة رضي الله عنها فأكلها الداجن ولا حاجة بأحد إليها.

وهكذا القول في آية الرضاعة ولا فرق، وبرهان هذا أنهم قد حفظوها كما أوردنا، فلو كانت مثبتةً في القرآن لما مَنَع أكل الداجن من إثباتها في القرآن من حفظهم». اهـ(٦)، ومع هذا الجواب السديد إلا أنه ذهب في مصنف

---

(١) قواطع الأدلة (٣/٩٩).

(٢) نقله عنه أبو شامة في المرشد الوجيز (ص٤٣)، وقال عنه: وهذا تأويل حسن. اهـ. وكأنه ينقله من كتاب البيهقي المدخل.

(٣) المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم (١٠/٢٩).

(٤) هناك عبارة سديدة من الحافظ ابن حجر، وسيأتي ذكرها، «تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل».

(٥) انظر: المحلى (١١/٢٣٦). (٦) المحلى (١١/٢٣٦).

آخر إلى تكذيب الخبر وأنه خبر ولّده الكاذبون والملحدون، وقال: «فصح أن حديث الداجن إفك وكذب وفرية، ولعن الله من جوَّز هذا أو صدق به». اهـ[(١)].

وأما الإمام القرطبي فقال: «وأما ما يُحكى من أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض»[(٢)].

أما الباقلاني فله رد بليغ رصين لما يشكل من الأثر، قاله بعد تأكيد أنه هذا من المنسوخ: «وقولها: (لقد كانت مكتوبة في ورقة تحت سريري)؛ لأنه دلالة على قلة الحفظ له والاحتراز والاعتناء بحياطته لأن عادتهم في الثابت الباقي الرسم صيانته وجمعه وحراسته، دون طرحه في الظهور تحت الأَسِّرة والرِّجل وبحيث لا يؤمن عليه، فأما إذا نسخ وسقط فرضه جاز ترك حفظه والاعتناء به، وجعل ما يُكتب فيه ظهوراً يُنتفع به، ويثبتون فيها ما يريدون». اهـ[(٣)].

فأما الأثر فصحيح الإسناد، وإن كان ظاهره موهماً يوقع في لبس إلا أن هناك من الجواب عن ذلك ما تتيقنه النفس وتمحو أدنى ما يخاف منه من شبهة ولله الحمد.

وجواب الإمام ابن حزم الأول لا مزيد عليه، فعائشة رضي الله عنها تريد أن تلك الآيات المنسوخة كانت مكتوبةً في صحيفةٍ حتى أكلتها الداجن، ولا حاجة إلى الأخذ بها لأنها منسوخة لم تعد مثبتة في المصاحف.

ج ـ نقل عن عثمان رضي الله عنه أن المصاحف لما عرضت عليه قال: إن فيها لحناً وستغيره العرب بألسنتها.

فذهبت طائفة من أهل العلم إلى تضعيف الخبر وتوهينه من جهة سنده، فهي آثار مراسيل منقطعة، وألفاظه مضطربة؛ كأبي بكر بن الأنباري، والباقلاني، والمهدوي، والداني، وابن الجزري[(٤)].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ٧٧، ٧٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١١٣)، ومثله قول الزمخشري (٣/ ٥٠٣).

(٣) الانتصار لصحة نقل القرآن (١/ ٤٠٩).

(٤) الانتصار لصحة نقل القرآن (٢/ ٥٣٥ ـ ٥٣٨)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١١٩)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري، وقال: والأثر قد رواه الحافظ =

حتى قال الآلوسي: «فالحق أن ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع، وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها»(١).

وبرغم انقطاع أسانيد الروايات المتقدمة واضطرابها فقد عزَّز أئمة العلم ما في متن هذا الخبر من نكارة، وساقوا أوجهاً من الردود، بها يستبين ضعف الخبر سنداً وبطلانه متناً.

وهذه الوجوه بمجموعها ساقها الطبري، والزمخشري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن هشام، وابن الجزري، والآلوسي.

ـ أن الصحابة كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات فكيف يقرون اللحن في القرآن مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته؟

ـ أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟

ـ أنه لو قدر أن عثمان رأى ذلك في نسخة واحدة فإما أن تكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط، وعثمان قد رآه في جميعها وسكت، فهذا ممتنع عادة وشرعاً من الذين كتبوا ومن عثمان ومن المسلمين.

وإن قالوا في بعض دون بعض فقد اعترفوا بصحة البعض ولم يذكر أحد منهم ولا من غيرهم أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف إلا في ما هو من وجوه القراءات وليس ذلك بلحن.

ـ أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأن المصحف يقف عليه العربي والعجمي.

ـ أنه قد ثبت اختلافهم في كلمة (التابوت) وأراد زيد أن يكتبها بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه ورفعوه إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوه بالتاء لغة قريش(٢).

= أبو بكر بن أبي داود بألفاظ مضطربة مختلة، وكلها منقطعة لا يصح شيء منها (١/ ٤٥٩)، وفي الإتقان للسيوطي نقل تضعيف ابن الأنباري لهذه الأخبار (٤/ ١٢٤٢)، شرح الهداية للمهدوي (٢/ ٤١٩).

(١) روح المعاني (١/ ٣٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٦٨٤)، الكشاف (١/ ٥٧٧)، فتاوى شيخ الإسلام (١٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٦)، =

وهناك مذهب ثالث يقوم على بيان معنى مفردة اللحن الواردة في أثر عثمان وبها يتضح ما يقصده عثمان، وينتفي المتبادر من أن معنى اللحن: الخطأ، وهذا الاتجاه كان ابن خالويه من أوائل من ذهب إليه، فقال: «ليس اللحن هاهنا أخطاء الصواب، وإنما هو خروج من لغة قريش إلى لغة غيرهم»(١).

وأبان الداني عن وجه هذا الأثر عبر بيان لفظة «اللحن» فقال: «أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم، إذ كان كثير منه لو تُلي على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها، ألا ترى قوله: (أولا أذبحنه) و(لا أوضعوا) و(من نبائ المرسلين) وشبهه ما زيدت فيه الألف والياء والواو في رسمه لو تلاه تالٍ لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط، لصير الإيجاب نفياً، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله، فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك كذلك جائزاً مستعملاً، فأعلم عثمان رضي الله عنه إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك وعزبت معرفته عنه ممن يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيُعرِّفونه بحقيقة تلاوته ويدلونه على صواب رسمه»(٢).

ومضمون جواب الداني جزم به ابن أشتة في كتاب «المصاحف»(٣)، ووافقه على هذا التخريج ابن عاشور وجعل المراد باللحن ما في رسم المصاحف من إشارات مثل كتابة الألف في صورة الياء إشارة إلى الإمالة ولم يكن اللحن يطلق على الخطأ(٤).

وجاء في أثر هاني مولى عثمان أنه بعثه بكتف شاة إلى أُبي بن كعب فيها (لم يتسن) و(لا تبديل للخلق) و(فأمهل الكافرين) قال: فدعا بالدواة فمحى أحد اللامين(٥).

= والنشر في القراءات العشر (١/ ٤٥٩)، وشذور الذهب لابن هشام (٧٩، ٨٠)، الإتقان للسيوطي (٤/ ١٢٤١ ـ ١٢٤٣)، روح المعاني للألوسي (١/ ٣٠، ٣١).

(١) الحجة في القراءات السبع (ص٢٤٤).

(٢) المقنع (ص١١٩، ١٢٠).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (٤/ ١٢٤٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢/ ١٣٤).

(٥) تقدم تخريجه.

قال ابن الأنباري: «فكيف يُدعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه، وهو يوقف على ما كتب، ويُرفع الخلاف إليه الواقع بين الناسخين؛ ليحكم بالحق ويُلزمهم إثبات الصواب وتخليده»(١).

وهذا الجواب المنيع من ابن الأنباري أيده السيوطي في ما أخرجه ابن أشتة في المصاحف عن ابن الزبير أن رجلاً قام إلى عمر فقال: إن الناس قد اختلفوا في القرآن فكان عمر قد هم أن يجمع الناس على قراءة واحدة، فطعن طعنته التي مات فيها، فلما كانت خلافة عثمان قام ذلك الرجل فذكر له، فجمع عثمان المصاحف، ثم بعثني إلى عائشة فجئت بالمصحف فعرضناها عليها حتى قومناها، ثم أمر بسائرها فشُقّقت، قال السيوطي: فهذا يدل على أنهم ضبطوها، وأتقنوها ولم يتركوا فيها ما يحتاج إلى إصلاح وتقويم.اهـ(٢).

قلت: عقب محققو الإتقان بأن السند الذي ساقه المؤلف ضعيف جداً، فيه الربيع بن بدر متروك كما تقدم(٣).

وذكر عائشة ههنا مُنْكر؛ لأن الصحف لم تكن بأيديها إنما كانت عند حفصة، وقوله في الأثر: **هَمَّ أن يجمع القرآن على قراءة واحدة**، تمسك به من يرى أن جمع عثمان كان على حرف واحد من بين الأحرف السبعة، وليس بحجة لذلك الرأي، فإن قوله: (قراءة واحدة) أوسع من (حرف واحد)، فقول (قراءة واحدة) تصدق على كل الأحرف السبعة، فإنها قراءة واحدة متحدة في الصحة والثبوت يخرج بذلك القراءات المتعددة مما نسخ ورفع من القرآن ومن ما يتوهم أنه من القرآن كالقراءات التفسيرية وغيرها.

د ـ أثر عائشة ﵂ وسؤال عروة لها عن لحن القرآن وقولها: **هذا من عمل الكُتَّاب أخطأوا في الكتاب**، يبدو أن سنده صحيح(٤)، لكن الإشكال في نكارة متنه، والآلوسي جعل أثر عائشة مروياً بسند صحيح على شرط الشيخين(٥).

---

(١) نقله السيوطي في الإتقان (٤/ ١٢٤٤).

(٢) انظر: الإتقان (٤/ ١٢٤٣، ١٢٤٤).

(٣) انظر: الإتقان (٤/ ١٢٤٤).

(٤) قال محقق سنن سعيد بن منصور: سنده ظاهره الصحة ومتنه منكر، وليس الخطأ فيه من أبي معاوية؛ لأنه قد توبع، فيحتمل أن يكون الخطأ من هشام بن عروة (٤/ ١٥١٠).

(٥) روح المعاني (١/ ٣١).

قال السيوطي بعد عرض الأجوبة عن رواية عثمان ورد طائفة هذه الآثار؛ لأنها لا تقوم بها الحجة وعدم تصحيح خبر عائشة[(١)].

قال: «وبعد فهذه الأجوبة لا يصلح منها شيء عن حديث عائشة، أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح كما ترى»[(٢)].

وفيما يلي مجمل الجواب عن آثار عائشة:

١ ـ أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليها، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأٌ لا يجوز، والدليل على ذلك أن ما لا يجوز مردود بإجماعٍ من كل شيءٍ، وإن طالت مدة وقوعه[(٣)].

٢ ـ قال الداني: «تأويله ظاهر، وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم التي تزاد لمعنى وتنقص منها لآخر تأكيداً للبيان وطلباً للخفة، وإنما سألها فيه عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله ﷻ لنبيه ﷺ ولأمته في القراءة بها، وإنما سمى عروةُ ذلك لحناً وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتساع في الإخبار وطريق المجاز في العبارة، إذ كان ذلك مخالفاً لمذهبهما وخارجاً عن اختيارهما، . . . على أن أم المؤمنين ﵂ مع عظيم محلها وجليل قدرها واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها لحَّنتْ الصحابة وخطأت الكتبة، وموضعهم في الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا ما لا يسوغ ولا يجوز»[(٤)].

٣ ـ لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابته بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أُبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صوابٌ غير خطأ، مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط، لم يكن الذين أُخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) كما فعل الباقلاني في الانتصار (٢/ ٥٣٩، ٥٤٠)، وابن عاشور في تفسيره (١٦/ ٢٥٤).

(٢) الإتقان (٤/ ١٢٤٥).

(٣) هذا جواب ابن أشتة، وابن جُبارة في شرح الرائية، قاله السيوطي في الإتقان (٤/ ١٢٤٦).

(٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١٢١، ١٢٢).

يعلّمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم ولقنوه الأُمة تعليماً على وجه الصواب وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءةً على ما هو به في الخط مرسوماً، أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنيع في ذلك للكاتب، قاله الطبري[(١)].

وهناك من ذهب إلى تضعيف جميع ما ورد مما فيه طعن بالمتواتر ولم يقبل تأويلاً ينشرح له الصدر، ويقبله الذوق وإن صححه من صححه، والطعن في الرواة أهون بكثير من الطعن بالأئمة الذين تلقوا القرآن العظيم الذي وصل إلينا بالتواتر من النبي ﷺ، ولم يألوا جهداً في إتقانه وحفظه[(٢)].

وعليه فالنظر إلى الأثر كان من ثلاث جهات، وهي:

- إما رد الخبر من جهة الإسناد.
- وإما التسليم بصحة السند ومناقشة ما في المتن من نكارة.
- وإما معرفة مراد عائشة بقول: أخطأوا الكتاب، أو هذا من لحن القرآن، ومن يذهب إلى هذا الاتجاه الثالث يتجاوز صحة السند، وينفي نكارة المتن بمثل هذا الفهم والتخريج لمعناه.

وفي أثر سعيد بن جبير قال ابن أشتة: «فيعني باللحن القراءة واللغة، يعني أنها لغة الذي كتبها وقراءته، وفيها قراءةٌ أخرى»[(٣)].

وعلق السيوطي غير مرتضٍ هذا الجواب:

«وأقول: هذا الجواب إنما يحسن لو كانت القراءة بالياء فيها، والكتابة بخلافها، وأما القراءة على مقتضى الرسم فلا». اهـ[(٤)].

وعند الباقلاني جواب عما روي عن الصحابة من رواية عثمان وعائشة، وما جرى مجراهما، بأن الوجه الأشهر الظاهر المعروف المألوف في هذه الحروف غامض قليل، أو غلطٌ عند كثير من الناس، ولحنٌ عند من لا يعرف الوجه فيه، ونحو هذا الكلام فلم يضبط ذلك الرواة عنهم ولم يسمعوا علته ولم

---

(١) جامع البيان (٧/ ٦٨٤).
(٢) هذا نص كلام الألوسي. انظر: روح المعاني (١٦/ ٢٢٤).
(٣) نقله عنه السيوطي في الإتقان (٤/ ١٢٤٦).
(٤) انظر: الإتقان (٤/ ١٢٤٧).

يوردوه وجهه، إما لسهوٍ لحقهم أو لذهابهم عن سماع تمام الكلام، أو لاقتصارهم على شاهد الحال واذكارهم بذلك من كان يسمع هذا الكلام من عائشة وعثمان[١].

وهذه الأجوبة تسري على كل الآثار التي فيها نسبة الخطأ إلى كَتَبَة المصاحف.

هـ ـ رد العلماء ما جاء عن ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧] أن هذا خطأ من الكاتب، أو سقطٌ من الكاتب بما يلي:

ـ ذهب فريق من المفسرين إلى أن هذه الرواية لا تصح عن ابن عباس، وهو قول البيهقي، والزمخشري، وابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وأبي حيان الذي قال: «من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك، فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين، وابن عباس بريءٌ من ذلك القول»[٢].

مع أن الحافظ ابن حجر قد صحح سند ابن عباس في ما أخرجه سعيد بن منصور، والطبري، والبيهقي[٣].

وهناك من أجاب عن معنى الرواية فقال:

١ ـ إن هذه كانت القراءة الأولى ثم صارت القراءة إلى ما عليه العامة، ويعني هذا أنها كانت ثم نسخت ولم يطَّلع على ذلك ابن عباس[٤].

وبنحو هذا الجواب من قال إن ابن عباس بنى ذلك على القراءة التي تلقاها عن أُبي بن كعب، وأما اتفاق الناس على قراءتها بالسين ـ تستأنسوا ـ فلموافقة خط المصحف، الذي وقع الاتفاق على عدم الخروج عما يوافقه، وكانت قراءة أُبي من الأحرف التي تركت القراءة بها[٥].

---

(١) الانتصار لصحة نقل القرآن (٢/ ٥٥٠).
(٢) شعب الإيمان (٦/ ٤٣٨)، الكشاف (٣/ ٢٢١)، أحكام القرآن (٣/ ٣٧٠)، المحرر الوجيز (٦/ ٣٦٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢١٤)، البحر المحيط (٦/ ٤١٠٠).
(٣) فتح الباري (١١/ ١٠).
(٤) انظر بمعنى هذا التوجيه: شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٤٣٨).
(٥) فتح الباري (١١/ ١٠).

٢ ـ أجاب ابن أشتة عن هذه الآثار جميعاً بأن المراد أخطؤوا في الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أن الذي كُتب خطأٌ خارجٌ عن القرآن[(١)].

و ـ يقول ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١] إنها (أفلم يتبين)، كتبها الكاتب وهو ناعس، وإسناد هذا الأثر قال عنه الحافظ ابن حجر: «وروى الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس...»[(٢)].

وتضعيف الخبر وإبطاله منهج متبع سار عليه أئمة العلم حين يعارض متنه ما ثبت بالتواتر من القرآن.

قال الزمخشري مبطلاً الأثر: «هذه والله فريةٌ ما فيها مريةٌ»[(٣)].

ووصفه القرطبي بالباطل؛ لأن مجاهداً وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف[(٤)].

وهناك جواب يتكرر مع مثل هذه الآثار وهو أن ذلك كان في القراءة الأُولى، يعني التي نسخت، ولم يعلم بذلك الصحابي واستمر على قراءتها، بينما هي اليوم من المنسوخ الذي لا يُقرأ؛ لمخالفته رسم المصحف.

وقال ابن أشتة: «يعني: فلم يتدبر الوجه الذي هو أولى من الآخر»[(٥)].

ز ـ جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إنما هي (ووصى) التزقت الواو بالصاد.

هذا الأثر صحَّحه ابن حجر وقال: «أخرجه سعيد بن منصور بإسناد جيد».

ثم طرز هذا التصحيح بعبارة رائعة فقال: «ولكن تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل فلينظر في تأويله بما يليق به»[(٦)].

---

(١) الإتقان (٤/ ١٢٥٥، ١٢٥٦).
(٢) فتح الباري (٨/ ٢٢٤).
(٣) الكشاف (٢/ ٥١٠).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢٠).
(٥) نقل جوابه السيوطي في الإتقان (٤/ ١٢٥٦).
(٦) فتح الباري (٨/ ٢٢٤).

وهناك من ضعف الأثر وقالوا: «لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصاحفنا»(١).

ح - أثر عائشة في قراءتها (يؤتون ما أَتَوا) قولها: ولكن الهجاء حُرِّف، والأثر مضعف عند أهل العلم، ويبقى قولها (ولكن الهجاء حُرّف) محتاجاً إلى التوجيه ونفي ظاهره الموهم، أما القراءة التي تَقرأُ بها فلها توجيه وتخريج يمكن لا إشكال فيها(٢).

قال ابن أشتة: «فمعنى قول عائشة: حُرِّف الهجاء أُلقي إلى الكاتب هجاء غير ما كان الأولى أن يُلقى إليه من الأحرف السبعة»(٣).

ومن يعول على ضعف الإسناد يستغن عن تكلف التأويل وتحمل توجيه مشكلها، وهو ما جنح إليه ابن الأنباري في هذا الأثر وغيره كما يذكر السيوطي(٤).

وتقدم أن هناك من يبطل الآثار التي ظاهر أسانيدها الصحة لمعارضتها المتواتر من القرآن، فكيف إذا كان الأثر ضعيف الإسناد كذلك؟

وفي خبر ابن عباس وقوله: (انزعوا هذه الواو واجعلوها في ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] وفي ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧]، وإن كان ظاهره موهماً إلا أنه ليس مشكلاً إذا حمل ذلك على أن ابن عباس كان يقرأ بذلك، فتكون قراءة كانت ولم يعد يحتملها رسم المصحف الذي أجمع عليه عثمان فنسخت واندثرت ولم يعد يُقرأ بها، ولا يفهم من كلام ابن عباس إلا الإشارة لما كان يقرأ.

ولا يقصد حقيقة التغيير في الخط ورسم المصحف كما يمكن توهمه من ظاهر اللفظ.

---

(١) نسب هذا إلى أبي حاتم. انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٠، ٤٦١)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣٧).

(٢) يعني: يعملون العمل وهم يخافونه، ويخافون لقاء الله ومقام الله، هكذا جاء توجيه القراءة في المحتسب لابن جني (٢/ ٩٥).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (٤/ ١٢٥٦).

(٤) الإتقان (٤/ ١٢٦٥).

بقي حديث عباد بن عبد الله بن الزبير، وفيه لفظ منكر وهو قول عمر: «لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة».

فظاهره أن أمر ترتيب الآيات موكل إلى اجتهاد الصحابة، والجواب عن هذا:

ـ ضعف السند كافٍ في رد الأخبار الواهنة خصوصاً إن كان في متونها ما ينكر ويخالف الصحيح.

ـ قال ابن حجر: «فظاهره أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف»(١).

ـ قال الآلوسي في تفسيره بعد ذكره أن ترتيب الآيات أمر توقيفي وأن الإجماع قد انعقد على ذلك من غير خلاف بين المسلمين:

«وما يدل بظاهره من الآثار على أنه اجتهادي معارض ساقط عن درجة الاعتبار كالخبر الذي أخرجه ابن أبي داود ـ ثم ساقه ـ ثم قال: فإنه معارض بما لا يخفى مما يدل على خلافه»(٢).

ولب الجواب عنه أنه خبر مُعارض بما لا يُحصى ـ كما يقول الآلوسي ـ من المرويات والنصوص القاطعة أن أمر ترتيب الآيات توقيفي من النبي ﷺ وليس للصحابة مدخل في ذلك.

وفوق ذلك كله فالخبر الذي أخرجه ابن أبي داود لم يصح إسناده، فبطل الركون إليه جملة وتفصيلاً، ولله الحمد.

ط ـ جاء في خبر أبان بن عثمان بن عفان أن الكاتب لما كتب ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ﴾ [النساء: ١٦٢] قال: ما أكتب؟ قيل له: اكتب (والمقيمين الصلاة).

هذا الأثر أورده الطبري عند تفسير الآية وذكر من الأقوال في توجيه قوله: (والمقيمين الصلاة) أن ذلك غلط من الكاتب، وأجاب عنه فقال: «فلو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير

(١) فتح الباري (٨/ ٦٣٢) وأومأ إلى ضعفه بقول: فهذا إن كان محفوظاً.

(٢) روح المعاني (١/ ٢٦).

مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أُبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صوابٌ غير خطأ»[١].

ونقل القرطبي عن القشيري قوله تعليقاً على هذا الأثر: «وهذا المسلك باطل؛ لأن الذين جمعوا الكتاب كانوا قدوة في اللغة، فلا يظن بهم أنهم يدرجون في القرآن ما لم ينزل»[٢].

قلت: ويضاف على ما تقدم ضعف إسناد الأثر، ففيه رجل مجهول وهو الراوي عن أبان بن عثمان بن عفان وما في متنه من النكارة، والله أعلم.

[جمع القرآن وكتابته عند أهل علوم القرآن]

[أ] تسمية العلم:

جمع القرآن علم أثري خالص، لا تستنبط مسائله ولا تبحث أفراده إلا على ضوء النصوص الواردة عن الصحابة والتابعين؛ فهو جانب تاريخي في أصله، يحفظ ما مرَّ به المصحف المطهر من مراحل في تدوينه وكتابته منذ فجر النبوة حتى وصل إلى عهد عثمان، وعنه انبثقت المصاحف إلى هذا الزمان، وائتلفت الأمة على ضبطه ورسمه.

عناوين أهل العلم في عرضهم هذا العلم التاريخي كما يلي:

١ ـ بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة ﭫ، وهذا للزركشي[٣].

٢ ـ في جمعه وترتيبه، السيوطي[٤]، ومثله ابن عقيلة[٥]، وأحد المعاصرين[٦].

أما السخاوي فذكر في ثنايا: الكتاب الثالث من جمال القراء ـ منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم، ثم ذكر في مباحثه: ذكر تأليف القرآن[٧].

---

(١) جامع البيان (٧/ ٦٨٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٥).
(٣) البرهان (١/ ٢٩٥).
(٤) الإتقان (٢/ ٣٧٧).
(٥) الزيادة والإحسان (٢/ ٦).
(٦) مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع القطان (ص١١٤).
(٧) جمال القراء (١/ ٨٤ ـ ٩٠).

٣ ـ جمع القرآن الكريم[١].

٤ ـ تدوين القرآن الكريم، وفيها مباحث متعددة من كتابته في زمن النبي، وتوحيد المصاحف، وتأليف القرآن، تطور شكل المصحف، ومنها: جمع القرآن في الصحف وكافة مسائله[٢].

٥ ـ كتابة القرآن الكريم[٣].

٦ ـ جمع القرآن وتاريخه[٤].

وقريبٌ منه: تاريخ جمع القرآن[٥].

٧ ـ جمع القرآن وتدوينه، باب: قطعية النص القرآني وتاريخ توثيقه[٦].

٨ ـ جمع القرآن وكتابته[٧].

وكلها عناوين وصفية لهذا العلم التاريخي.

وأوسع تلك المسميات: جمع القرآن الكريم، وهم في جملتهم يستفتحون هذا التوصيف الأثري بما كان عليه القرآن في عهد النبي ﷺ من كتابته وتدوينه في الوسائل المتاحة آنذاك.

وحفظ الصحابة للقرآن وأعداد الحفظة منهم وأسماؤهم والإجابة عن الآثار المتوهم منها قلة الصحابة الحفاظ، بينما هم كثرة كاثرة، ثم من ذلك يَدْلُفون إلى الجمع الصديقي والجمع العثماني، ولفظة: **جمع القرآن** يراد بها حفظه في الصدور وكتابته في السطور وتوثيقه خطّاً، فهو اصطلاح يشمل الأمرين، وقضايا حفظه في صدور الصحابة متقررة ليس فيها كبير إشكال، إنما الأمر كله في مطاوي مفردات الجمع بمعنى كتابته وتدوينه، وفيه كمٌّ زاخر من المرويات، مِن لازم ذلك تتبعها واستيعابها والإجابة على ما يوهم منها؛ لتوصد الأبواب دون شبه المرتابين، وإثارات المحرضين على القرآن وأهله.

---

(١) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (٧١)، إتقان البرهان، د. فضل عباس (١/ ٢٦٠).

(٢) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم الحمد (ص٤٩، ٥٥).

(٣) تاريخ القرآن الكريم، د. محمد سالم محيسن (ص١٢٧).

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم، الشيخ محمد أبو شهبة (ص٢٦٢)، ومناهل العرفان (١/ ١٩٧).

(٥) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد الصباغ (ص٩٩).

(٦) علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور (ص١١٧).

(٧) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٦٥).

وفي بعض العناوين السابقة، الإشارة إلى أنه بحث تاريخي من خلال تسطير مجرياته وما دونته الروايات من ذلك.

- قرنوا في صدارة هذا العلم بينه وبين مسائل مرتبطة به من نحو: ترتيب القرآن؛ ويعني: ترتيب آياته وسوره، وهي قضية حوتها آثار الجمع ومروياته.

[ب] أساسات هذا العلم لا تبنى إلا على الأثر الذي يرصد سير عملية جمع القرآن في عهديه، ولذلك فأفراده ومباحثه في كتب علوم القرآن أُثبتت على قواعد النصوص وعبر المرويات، وأهم ما حوت من قضايا:

١ - جمع الصديق، وفيه: السبب الباعث على الجمع، اختيار زيد للمهمة الجليلة وأسباب ذلك، مصادر الجمع، مراحل الجمع وخطواته، مزايا ذلك الجمع، موقف الصحابة من ذلك العمل.

٢ - الجمع العثماني، وفيه: السبب الداعي لذلك، مهمة الجمع من الصحابة والتابعين، تفاصيل مراسم كتابة المصحف، مزايا ذلك الجمع، عدد المصاحف التي بعثها عثمان إلى الأمصار، موقف الصحابة من جمعه، وفي أثناء ذلك يذكر موقف عبد الله بن مسعود الذي انفرد به، الفروق بين الجمعين.

هذا مجمل الموضوعات التي بسطها أهل علوم القرآن مستخرجة من النصوص المأثورة من الجمع في عهديه(١).

٣ - أهم حديثين لم تخل منهما كتب علوم القرآن وهما منبع مسائل الجمع في عهد أبي بكر وعثمان ﭭ.

هما حديث زيد بن ثابت ﭬ الذي أخرجه البخاري في قصة بدء الصديق جمع القرآن.

---

(١) انظر: جمال القراء (١/ ٨٥)، البرهان (١/ ٢٩٥)، الإتقان (٢/ ٣٧٧)، الزيادة والإحسان (٢/ ٦)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة (ص٢٦٢)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٩٧)، مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح (ص٧٤)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (١٢٠)، إتقان البرهان، د. فضل عباس (١/ ٢٦٦)، تاريخ القرآن، د. محمد سالم محيسن (١٣٤)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٨٣)، محاضرات في علوم القرآن، د. غانم الحمد (ص٥٥).

وحديث أنس بن مالك في البخاري حاكياً جمع عثمان وسببه وما تم فيه.

فلم يخلُ كتاب يتحدث عن الجمع إلا صدر بهما وعوَّل عليهما، واستخرج قضايا الجمع من ثنايا الأثرين، فهما بحقٍ عمدة الآثار في جمع القرآن في عهدي الخليفتين.

٤ ـ كذلك اعتُني بأثرين هما:

«اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين».

وقول عمر: «من كان تلقى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأت به حتى يشهد شهيدان».

فقد ترددا في عدد من مصنفات علوم القرآن(١).

وكثيراً ما أعقبهما نقولٌ عن السخاوي وأبي شامة في بيان معنى تلك الآثار، كذلك نقلت بعض المصنفات نصاً مهماً للحارث المحاسبي في كتابه **«فهم السنن»**(٢).

٥ ـ وافقوا في كثير من المصنفات أقوال أئمة العلم السابقين في أن قول زيد: (لم أجدها مع غيره)؛ يعني: لم يجدها مكتوبة؛ لأن زيداً وجماعاتٍ من حفاظ الصحابة كانوا يحفظون الآية(٣).

إلا أن الزركشي ظهر من كلامه أنه يعني: لم يجدها محفوظة ولا مكتوبة حيث قال: «ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد؛ لأن زيداً كان قد سمعها

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٠٧)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٧٦)، المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة (ص٢٧١)، إتقان البرهان، فضل عباس (١/ ٢٧١)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص١٢٧)، لمحات في علوم القرآن، محمد الصباغ (ص١٠٦، ١٠٧).

(٢) يضاف إلى المصادر السابقة: البرهان للزركشي (١/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢)، الإتقان للسيوطي (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٩٢)، الزيادة والإحسان (٢/ ٢١)، تاريخ القرآن، د. محمد سالم محيسن (ص١٣٨ ـ ١٤٠).

(٣) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٧٥)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص١٢٢)، إتقان البرهان، د. فضل عباس (١/ ٢٧١)، المقدمات الأساسية للجديع (ص٩٧)، علوم القرآن وإعجازه، عدنان زرزور (ص١٢٧)، ولم يجوز تفسيرها بأنه لم يجدها محفوظة، مناهل العرفان (١/ ٢٣١).

وعلم موضعها من سورة الأحزاب بتعليم النبي ﷺ، وكذلك غيره من الصحابة نسيها، فلما سمع ذِكْره، وتتبعه للرجال كان للاستظهار، لا لاستحداث العلم»[(١)].

٦ ـ أضاف بعضهم إلى أسباب اختيار زيد لمهمة الجمع مسألة شهوده العرضة الأخيرة[(٢)].

وسبق القول أن هذه العلة لم يذكرها أبو بكر في سياق حديثه لأوصاف زيد التي جعلته يُختار لهذا العمل.

كما أكَّد ذلك شهود غيره العرضة الأخيرة كما ثبت عن ابن مسعود أنه كان منهم.

٧ ـ تناولت مؤلفاتهم بعض الآثار التي تشكل على أولية أبي بكر في جمعه القرآن، كأثر علي ﷺ، وسالم مولى أبي حذيفة، وينقلون عن السيوطي الآثار التي ساقها ابن أشتة كتابه **المصاحف** وحفظها السيوطي في إتقانه، ولهم في توجيه ذلك: الإشارة إلى ضعف أسانيد الروايات وانقطاعها، وأن مرادهم بذلك ـ لو صح ـ مصاحف لأنفسهم خاصة، لا يقصد بها جمع الأُمة عليها[(٣)].

وأجاب بعضهم بجواب غريب فقال: «وإن صح هذا ـ مع استحالته ـ فليس هو بجمع للقرآن، إنما هو كتاب في علوم القرآن، وإنما قلت هذا مع استحالته فلأن جمعه حسب ترتيب النزول غير ممكن، فقد سأل محمد بن سيرين عكرمة: ألفوه كما أُنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمع الإنس والجن على أن يألفوه هذا التأليف ما استطاعوا».اهـ[(٤)].

فما علاقة ترتيبه حسب النزول، مع القول بأنه ليس بجمع للقرآن، إنما

---

(١) البرهان (١/ ٢٩٦).

(٢) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٩٥)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا (ص٨٣).

(٣) الإتقان (٢/ ٣٨١، ٣٨٢)، الزيادة والإحسان (٢/ ٢٣، ٢٤)، مناهل العرفان (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، المقدمات الأساسية، الجديع (ص٩٨)، المدخل لدراسات القرآن الكريم، محمد أبو شهبة (٢٧٢، ٢٧٣).

(٤) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص٨٩).

هو كتاب في علوم القرآن؟، هذا لم يقل به سابقٌ من أهل العلم، وجواب العلماء المتقرر أن هذا ـ لو صح ـ كان جمعاً خاصاً لا يقصد به جمع الأمة عليه، والله أعلم.

٨ ـ في حديث عباد بن عبد الله بن الزبير قول عمر: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة.

ردَّ بعضهم هذه الرواية الموهمة أن ترتيب الآيات موكول إلى اجتهاد الصحابة، بأن ذلك لا يثبت رواية ولا دراية مع إجلال عمر ﷺ عن هذه المقولة المنكرة[١].

ووجه ابن عقيلة ما يُنكر من الأثر بقوله: «لا يدل ذلك على أنهم كانوا يجتهدون في تأليفه، إلا أن الحارث وسيدنا عمر ﷺ حفظا الآيتين، ولم يعلما بمحلهما ولا في أي سورة وضعهما النبي ﷺ، فلأجل ذلك احتاجوا إلى الاجتهاد فيها، وقد بيَّن أُبيٌّ أن هاتين الآيتين وضعهما النبي ﷺ في آخر براءة، فكشف ما كان مجهولاً».اهـ[٢].

٩ ـ معظم آرائهم في جمع أبي بكر أنه كان مرتب الآيات دون السور.

وفهم من كلام ابن عقيلة ذهابه إلى أن السورة في جمعه كانت مرتبةً كما الآيات.

قال عن حديث ابن عباس في سؤاله عثمان: (ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال): «وما ذكر من اجتهاد سيدنا عثمان ﷺ، لا ينفي أن بعض الصحابة اطلع على أنها مرتبة كذلك، وأنها سورة مستقلة، وأما ترتيبها على ما ذكر فيدل عليه جمع سيدنا أبي بكر، فإن مصحف سيدنا عثمان ﷺ على وفق جمع سيدنا أبي بكر ﷺ ليس فيه مخالفة له في الترتيب، وإنما ما جمعه أبو بكر لم يقتصر فيه على لغة من اللغات...».اهـ[٣].

وتضمن ما قال عن أثر ابن عباس أمران:

ـ ميله إلى الجمع في عهد أبي بكر كان مرتب الآيات والسور.

(١) إتقان البرهان، د. فضل عباس (١/ ٢٧٤، ٢٧٥).
(٢) الزيادة والإحسان (٢/ ١١).
(٣) الزيادة والإحسان (٢/ ١٧).

ـ ينفي ما ظهر من إشكال في أثر ابن عباس المشهور وهو ما ظن به التشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي، قراءةً وسماعاً وكتابةً في المصاحف.

وهذا التوهم زاد الأثر ضعفاً عند من يرى إن إسناده ضعيف كذلك. فابن عقيلة ههنا يجيب على ما أنكر من متن الخبر.

١٠ ـ رأيُ جماعات من أهل علوم القرآن أن عبد الله بن مسعود قد رجع آخر الأمر إلى الجماعة، والتزم أمر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ[١].

ومسألة عوده إلى ما اتفق عليه الصحابة تقدم بسطها، واحتج بعضهم على ذلك بقول ابن مسعود: إني قد سمعت القَرَأة فوجدتهم متقاربين[٢].

١١ ـ في عدد المصاحف التي بعثها عثمان إلى الأمصار أقوال متعددة، وكلٌّ اختار ما يراه.

وقد أحسن من قال: «لم تحدد الرواية عدد المصاحف التي كُتبت، لكنها أشارت إليها بهذه العبارة (حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا) وهي عبارة تدل على أن عدد المصاحف لم يكن قليلاً». اهـ[٣].

وقد سبق أن الرواية جاءت عن أتباع التابعين في أعداد المصحف المرسلة إلى الآفاق.

١٢ ـ استدل بأثري هانئ مولى عثمان بن عفان ـ وتقدما ـ على أن الصحابة كانوا يدققون في كتابة المصحف أثناء العمل وبعد إنجازه، فإنها لم ترسل إلى الأمصار إلا بعد عرضها ومراجعتها[٤].

وهذا من حسن العناية بالآثار سيما والعلم أثريٌّ خالصٌ.

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢١٤)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٨٢، ٨٣)، المدخل لدراسات القرآن، محمد أبو شهبة (ص٢٨٦)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا (ص٩٣)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٩٩، ١٠١).

(٢) المقدمات الأساسية، عبد الله الجديع (ص١٢١).

(٣) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم الحمد (ص٦٥).

(٤) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم الحمد (ص٦٧).

وبهذا يمكن استلهام الفوائد الأنيقة التي تنبئ عن ما لقيه المصحف في عهدي الجمع من توثيق وتدقيق.

١٣ ـ إتقان الحافظ السيوطي حافل بالآثار خاصة من بعض المصادر المفقودة ككتاب (المصاحف) لابن أشتة، وهي مرويات مهمة في موضوع الجمع القرآني، مع حسن نظر من الحافظ، وتتميم ذلك ببعض الأحكام على الآثار صحة وضعفاً.

فلا غرابة أن يرد المصنفون حياضه، ويستقون من عذب منهله.

١٤ ـ من المسائل التي تباحثها أهل مصنفات علوم القرآن مسألة: ما اشتمل عليه المصاحف العثمانية من الأحرف السبعة.

ومضى في علم الأحرف السبعة بسط مواقفهم من تلك القضية، وأكرر هنا أن فهم ما تم في مصاحف عثمان وجمعه على وجه القطع واليقين هو السبيل إلى الاهتداء إلى رأي فصْلٍ في المسألة الكبيرة، والله أعلم.

الفصل الثالث

مفردات القرآن

وفيه:

- الجانب التوقيفي، وهو قسمان:

• القسم الأول: ما هو داخل ضمن علم فضائل القرآن.

• القسم الثاني: ما ورد نصاً في علم مفردات القرآن.

- الجانب الاجتهادي.

الجانب التوقيفي

وهو قسمان:

القسم الأول: ما هو داخل ضمن علم فضائل القرآن.

القسم الثاني: ما ورد نصاً في علم مفردات القرآن.

* * *

ما هو داخل ضمن علم فضائل القرآن:

فأما ما هو محسوب ضمن فضائل القرآن، فآثاره المرفوعة اتجهت نحو: أعظم وأفضل آيات القرآن أو سور القرآن، وصحت أحاديث نبوية متكاثرة في آية الكرسي، وأنها أعظم آي الكتاب، وفي سورة الفاتحة أنها أفضل القرآن وأعظم سوره.

فإذا اعتبرنا هذه الآثار فحسب صح أن علم المفردات له جانب توقيفي، ويقوي دخول مثل هذه الأحاديث النبوية في هذا العلم ما يلي:

١ ـ أن مروياتهم في مفردات القرآن تسير في هذا الاتجاه، فهي من أمثال: أرجى، أخوف، أعدل، أشد فكذلك هذه أعظم، وأفضل، وخير، وإن انفرد الحكم على آية أو سورة بأنها أعظم أو أفضل أو خير القرآن بصدوره عن النبي ﷺ، ومثل هذا لا يدخله الاجتهاد.

٢ ـ جاء في بعض الآثار عن الصحابة السؤال والمدارسة عن أعظم القرآن مع أرجى القرآن وأشد آية فيه، وهكذا في مفردات متنوعة من هذا العلم القرآني.

٣ ـ أفرد بعضهم هذا العلم بنوع مستقل من أنواع علوم القرآن، وذكروا تقرير أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي تحت علم **مفردات القرآن**؛

كالسيوطي في التحبير[(١)]، بل في كتب علوم القرآن المتقدمة من جعلته بعد علم فضائل القرآن من مثل السخاوي في جمال القراء[(٢)]، وهو يوحي بالارتباط الوثيق بين العِلمين، وفي كثير من كتب فضائل القرآن مزجٌ بين هذا العلم وآثار الفضائل التي وردت للسور والآيات.

فأما المأثور من أحاديث النبي ﷺ في أخباره عن أعظم آي القرآن وأفضل سوره، فكتب السُّنَّة طافحة بهذه الآثار الصحيحة، فقد صح واستفاض ما ورد في آية الكرسي، وسورة الفاتحة، وسورة البقرة، والمعوذات ونحوها.

وما يعنينا هنا فهو أن نستجلي ما ورد عن الصحابة وما أخبروا به عن هذه الآيات والسور، وقد كانت طرائقهم كالتالي:

الطريقة الأولى: تقرر عند الصحابة الكرام أن أعظم آي القرآن هي آية الكرسي، فأذاعوا فضل هذه الآية، وبثُّوا الأخبار الواردة في شأنها، وتمَّ هذا في المدارسة وسؤال أهل العلم بالقرآن عن أعظم آي الكتاب، وفي هذا من الفوائد:

- الإعلام بفضلها ونشر خبر عظمتها بين المسلمين.
- توجيه أولي الألباب إلى تدبر هذه الآية والاهتمام بها حفظاً وشرحاً وعملاً.

وهذه مروياتهم التي تناولت هذه الآية خلاف ما رووه عن النبي ﷺ:

١ - ما ورد في أثر مسروق، وشُتَير[(٣)]، - وسيأتي - عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه -: أعظم آية في كتاب الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][(٤)]، وقد تعددت مرويات ابن مسعود في هذه الآية.

٢ - سؤال عمر بن الخطاب للركب عن أي القرآن أعظم؟ وجوابهم بأنها آية الكرسي[(٥)].

---

(١) التحبير (ص٣١٠).
(٢) جمال القراء (١/ ٧٦ - ٧٧).
(٣) شُتير بن شَكَل العبسي، أبو عيسى الكوفي، روى عن علي، وابن مسعود، وحفصة، وأُم حبيبة، وكانت لأبيه صحبة، كان ثقة قليل الحديث، وقد مات في ولاية ابن الزبير.
انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٣٠١)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٥٢).
(٤) سيأتي تخريجه.
(٥) سيأتي تخريجه.

٣ ـ قال سلمة بن قيصر الحضرمي[(١)]، وكان أول أمير على إيليا: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور آية هي أعظم من ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى ختم الآية[(٢)].

٤ ـ عن ابن مسعود ﷺ قال: «ما خلق الله من سماء ولا أرض، ولا إنس ولا جان أعظم من آية في سورة البقرة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»[(٣)]، وبلفظ: «ما خلق الله سماءً ولا أرضاً ولا سهلاً ولا جبلاً أعظم آية من الكرسي»[(٤)].

٥ ـ عن ابن عباس قال: «ما خلق الله سماءً ولا أرضاً ولا سهلاً ولا جبلاً أعظم من سورة البقرة، وأعظم آية فيها آية الكرسي»[(٥)].

الطريقة الثانية: تنوعت عبارات الصحابة في بيان فضل آية الكرسي، فاستعملوا لفظ: أشرف وأفضل، سيد آي القرآن، وهي تصب في معنى (أعظم)، ومن آثارهم في ذلك:

١ ـ سُئل ابن عباس: أي سورة في القرآن أفضل؟ قال: البقرة. قيل: فأي آية أفضل؟ قال: آية الكرسي[(٦)].

وعنه كذلك: أشرف سورة في القرآن (البقرة)، وأشرف آية (آية الكرسي)[(٧)].

---

(١) سلمة، وقيل: سلامة بن قيصر الحضرمي، نزيل مصر، اختلف في صحبته، فأثبتها أحمد بن صالح، ونفاها أبو زرعة، ذكره ابن حبان في الصحابة، مات ببيت المقدس وقبره بها.
انظر: الاستيعاب (ص٣٢٦) [١١٣١]، الإصابة لابن حجر (١/ ٧٤٥) [٣٣٤٧].

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٣٥) [٤٢٢]، والفريابي في فضائل القرآن (ص١٧٨) [٧٣].

(٣) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٥٥) [١٩٥].

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ٩٥٥) [٤٢٧]، وهو حديث حسن كما قال محقق السنن، وذكره المروزي في مختصر قيام الليل دون إسناد (ص١٦٨).

(٥) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٥٤) [١٨٩] لكن في سنده عن رجل من بني تميم، ففيه مجهول، وعزاه السيوطي إلى محمد بن نصر والهروي في فضائله. انظر: الدر المنثور (٣/ ١٧٢)، وذكره المروزي دون سند في مختصر قيام الليل (ص١٦٨).

(٦) أخرجه الفريابي في فضائل القرآن (ص١٥٤) [٤٣]، والمستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٥١٤) [٧٢٥]، وحسّنه محققه.

(٧) أخرجه الفريابي في فضائل القرآن عن التميمي عن ابن عباس (ص١٥٣) [٤٢٤]، =

٢ ـ عن علي ﷺ قال: «سيد آي القرآن ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»(١).

٣ ـ قول عبد الله بن عمرو: «إن الله تعالى اختار الكلام فاختار القرآن، واختار القرآن فاختار منه سورة البقرة، واختار من سورة البقرة آية الكرسي»(٢).

والاختيار مشعر بالفضل والاصطفاء.

ما ورد من الأحاديث المرفوعة في علم مفردات القرآن:

١ ـ حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] وسأفسرها لك يا علي: **«ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يُثنّي عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه»**(٣).

= وذكره محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (ص١٦٨)، ورواه المستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٥١٧) [٧٣٠]، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٢٦، ٣٢٧) [٣٥٢]، وضعف محققو المختارة إسناد الأثر.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٩) [٢٣٩٧]، وعزاه السيوطي إلى ابن الأنباري في المصاحف. انظر: الدر المنثور (٣/ ١٧٢).

(٢) أخرجه المستغفري بسنده عن عبد الله بن عمرو (٢/ ٥٢٦) [٧٤٩]، وقد وقع في مصنف عبد الرزاق عن عبد الله بن مروان (٣/ ٣٦٧) [٥٩٩٤].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٨٧) [٦٤٩]، وأبو يعلى (١/ ٣٥٢) [٤٥٣]، وكرره في [٦٠٨]، والدولابي في الكنى (١/ ٥٧٤، ٥٧٥) [١٠٣١]، وابن أبي حاتم في تفسيره كما ساقه ابن كثير في تفسيره بإسناد ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٨١)، ورواه أحمد بن منيع كما في إتحاف الخيرة للبوصيري (٦/ ٢٦٧) [٥٨١٢/ ٤]، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك (٢/ ٣٣٥) رقم [٤٠٣]، والحاكم في المستدرك (٥/ ٥٥٢) [٨٢٢٧]، المستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٧٥٧) [١١٤٨]، وغاية المقصد في زوائد المسند للهيثمي (٢/ ٨٩٩)، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد معزواً إلى أبي يعلى وضعَّفه (٧/ ١٦٤، ١٦٥) [١١٣٢٨]، وضعَّفه محققو المسند، ومحقق أبي يعلى (١/ ٣٥٢)؛ لأن فيه أزهر بن راشد الكاهلي وهو ضعيف.

٢ ـ عن علي بن أبي طالب مرفوعاً: **«ما أنزل الله تعالى آية أرجى من قوله:** ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] **قد خزنها لأُمتي يوم القيامة»**(١).

٣ ـ عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها؟ فسكت القوم، فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أعظم آية في القرآن** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وأعدل آية في القرآن** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] **وأخوف آية في القرآن** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] **وأرجى آية في القرآن** ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]»(٢).

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: إني أعلم أشد آية في القرآن، فقال: **«ما هي يا عائشة»**، قلت: هي هذه الآية يا رسول الله ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فقال ﷺ: **«هي ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة يُنكبها»**(٣).

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ: أي آية أُنزلت من السماء أشد عليك؟ فقال: **«كنت بمِنىً أيام موسم، واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس في الموسم، فأنزل علي جبريل** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]»(٤).

---

(١) أخرجه الديلمي في مسنده (٤/ ٦٢) [٦١٩٥]، وفيه حرب بن سريج فيه ضعف والباقون ثقات.

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير فقد ساقه بسند ابن مردويه مختصراً (٢/ ٤٣٦)، ورواه المستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٧٦١) [١١٥٢]، والجوزقاني في الأباطيل (ص٣٨٦، ٣٨٧) برقم [٧١٢]، ونسبه السيوطي إلى الهروي في فضائله، والشيرازي في الألقاب الدر المنثور (٣/ ١٧١)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ص١٣٦) برقم [٩٥٤].

(٣) أخرجه أبو داود رواه مطولاً في سننه (ص٤٥٣) [٣٠٩٣]، والطبري في تفسيره (٧/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٥٤) [٦٠٢٩]، وشعب الإيمان للبيهقي بنحوه (٧/ ١٥٢) [٩٨١٠]. وقد ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص٢٥٤).

(٤) رواه الضياء في المختارة (١٠/ ١٣) [٢] في مسند ابن عباس، وعزاه السيوطي إلى =

٦ ـ عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠] فقال: «**هلك القوم بمعاصيهم الله ﷻ**»[١].

وبلفظ: سألنا عنها رسول الله ﷺ فقال: هذه الآية ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾[٢].

= ابن مردويه (٥/ ٣٨٤)، قال محققو المختارة: فيه من لم أعرفه، رجاء بن عبد الله أبو صالح الصَّغاني، ومحمد بن عبد السلام الكوفي، لم أجد له ترجمة، والأعمش مدلس وقد عنعن هنا، وقابوس بن أبي ظبيان فيه لين.اهـ. قلت: وهذه الآية من سورة المائدة، وهي من آخر القرآن نزولاً، وبه يضعف متن هذا الحديث من أنها نازلة في أول أمر الدعوة.

(١) ساقه الثعلبي بسنده عند آية النبأ (١٠/ ١١٧)، وفي سنده الحسن بن دينار وهو ضعيف. انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٣٩٤)، وساقه ابن كثير مرفوعاً بسند ابن أبي حاتم عن جسر بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة، وقال ابن كثير: جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية (١٤/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (ص١٤٢)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٥١)، وساقه بسنده عن جسر بن فرقد عن الحسن عن أبي هريرة.

الجانب الاجتهادي

[أرجى آية]

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ جاء في بعض كتب التفاسير دون أسانيد ما نصه: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال عند قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٤] لم أر في القرآن أرجى من هذه الآية، لا يشاكل بالعبد إلا العصيان، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران ـ قال ذلك حين تذاكروا القرآن ـ فقال عمر: لم أر آية أرجى من التي فيها ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] قدم الغفران قبل قبول التوبة، وقال عثمان: لم أر آية أرجى من ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩]، وقال علي بن أبي طالب: لم أر أرجى من ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣][(١)].

٢ ـ عن الشعبي قال: لقي عمر بن الخطاب ركباً في سفر فيهم ابن مسعود، فأمر رجلاً يناديهم، قيل: من أين القوم؟ فقالوا: أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم لعالماً، فأمر رجلاً أن يناديهم... أي القرآن أرجى؟ فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] فقال: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: نعم[(٢)].

---

(١) تفسير البحر المحيط (٦/ ٧٣)، روح المعاني (١٥/ ١٥١)، وبنحوه مبسوطاً عند القرطبي (١٠/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه (٢/ ٣١٦) [٣٦٧٧]، والسلفي في المختار من الطيوريات (١/ ٢٤٦، ٢٤٧) حديث رقم [١٧٣]، قال محققو الإتقان عن سند السلفي: =

وقد جاء في خبر مماثل إجابة ابن مسعود بهذه الآية عن أرجى آي القرآن، ورفعه إلى النبي ﷺ، وتقدم.

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦](١).

٤ ـ عن محمد بن المنكدر قال: التقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو، فقال له ابن عباس: أي آية في كتاب الله أرجى عندك؟ قال عبد الله بن عمرو: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، فقال ابن عباس: لكن أنا أقول قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فرضي من إبراهيم قوله: (بلى)، قال: فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان(٢).

وعند عبد الرزاق عن ابن عباس عند هذه الآية بلفظ: ما في القرآن آية أرجى في نفسي منها(٣).

٥ ـ عن إبراهيم النخعي قال: ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧](٤).

= وفي إسناده مجالد بن سعيد، ليس بالقوي ضعفه الأئمة (٦/ ٢١٥٩)، وقالوا عن سند عبد الرزاق: في إسناده انقطاع، إذ هو من بلاغات معمر عن عمر رضي الله عنه (٦/ ٢١٦٠)، وقال محقق الطيوريات: سنده ضعيف جداً فيه مجالد بن سعيد ليس بالقوي، والهيثم بن عدي متروك، والعكلي وابن أبي خالد لم أعرفهما (١/ ٢٤٨).

(١) نسبه إليه النحاس في إعراب القرآن (٤/ ١٧٥)، وكذا القرطبي في تفسيره (٩/ ٢٨٥)، وقال السيوطي في الإتقان بعد أن نقله عن النحاس معزواً إلى ابن عباس: وكذا حكاه عنه مكي، قال: ولم يقل على إحسانهم. انظر: الإتقان (٦/ ٢١٦٤).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٨٦) [٥٣٨]، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال عنه ابن حجر: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة، تقريب التهذيب (٥١٥) [٣٤٠٩]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٢٥) [٢٧٣٨]، والحاكم في مستدركه (١/ ٢٣٣) [٢٠٥] وصححه، وقال الذهبي: سنده فيه انقطاع، وعند الطبري بنحوه (٤/ ٦٢٨، ٦٢٩)، وذكره السخاوي في جمال القراء (١/ ٧٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد (٣/ ٢٢٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١١٦) [٣٣٢]، وكذا عند الطبري من طريق عبد الرزاق (٤/ ٦٢٨).

(٤) أخرجه ابن المنذر، وأبو الشيخ كما عند السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٤٤).

٦ - عن أبي عثمان النهدي قال: ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢][(١)].

٧ - عن حرب بن سريج[(٢)] قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين[(٣)]: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث عنها أهل العراق أحق هي؟ قال: إي والله... ثم أقبل عليَّ فقال: إنكم تقولون يا معشر العراق إن أرجى آية في كتاب الله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، قلت: إنا لنقول ذلك، قال: فكلنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] وهي الشفاعة، وقد جاء عند الثعلبي مسنداً عن أبي جعفر قال: حدثني محمد بن علي ابن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب، ثم ساق نص الأثر[(٤)].

٨ - عن علي بن الحسين قال: وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨][(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩/ ٤١٥) [٣٦٥٢٨]، والطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ساقه بسند إلى علي بن أبي طالب (٢/ ٦٧٣) [٤١٨]، وعند الدينوري في المجالسة وجواهر العلم بنحوه عن جعفر بن محمد (٨/ ١١٩) [٣٤٣٣]، والبيهقي في الشعب دون قوله: (لهذه الأمة) (٥/ ٤٣٢) [٧١٦٥].

(٢) هو: حرب بن سريج بن المنذر المنقري، أبو سفيان البصري البزاز، روى عن الحسن، وأبي جعفر الباقر، وأيوب، وروى عنه: ابن المبارك، وزيد بن الحباب، وأبو سلمة وغيرهم.
قال البخاري عنه: فيه نظر، وقال ابن حبان: يُخطئ كثيراً، حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، وقال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق يخطئ من السابعة [١١٧٤].
انظر: التاريخ الكبير (٣/ ٦٣) [٢٢٨]، تهذيب التهذيب (١/ ٣٦٩).

(٣) هو: أبو جعفر الباقر، تقدمت ترجمته.

(٤) حديث أبي جعفر الباقر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٤، ١٦٥) [٩٧٦]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه. انظر: المنثور (١٥/ ٤٨٥، ٤٨٦)، وعلى كلٍّ فالأثر فيه حرب بن سريج وهو كما تقدم في ترجمته: صدوق يخطئ، ونسبه السيوطي في الإتقان إلى علي بن أبي طالب، أما الخبر الذي عن علي بن أبي طالب فعند الثعلبي في تفسيره مسنداً (١٠/ ٢٢٤).

(٥) تقدم تخريج هذا الأثر في مبحث (أول ما نزل وآخر ما نزل).

[أشد آية]

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: والله ما أنزل الله في كتابه أشد منها[١].

٢ ـ عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤] قال: ما نزلت علينا آية كانت أشد علينا منها، ولا أعظم علينا منها، فقلنا: ما هذا إلا من سخطة أو مقت حتى نزلت: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥] قال: ذكِّرْ بالقرآن[٢].

٣ ـ عن الحسن قال: سئل أبو برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله فقال: قول الله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠][٣].

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] أتى أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمٰن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأسعد بن زرارة رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما أنزل الله عليك آية أشد علينا من هذه، فنسخ الله هذه الآية فأنزل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥][٤].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره (٩/ ٥٢)، وضعفه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (١١/ ١٥١)، وقد ورد من طرق صحاح عن أبي بكر رضي الله عنه، إنما المقصود الإسناد بهذا اللفظ على وجه الخصوص.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (١٥/ ٢٦٥) [٣٧٢٣]، وقد ضعفه محققو المطالب وقالوا: موقوف ضعيف لإرسال مجاهد (١٥/ ٢٦٦)، وضعفه البوصيري في إتحاف الخيرة؛ لأن فيه ليث بن أبي سليم، والجمهور على ضعفه (٦/ ٢٧٦) [٥٨٣٣]، وعزاه في الدر المنثور إلى ابن مردويه (١٣/ ٦٨٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٥١٧) [١٩٦١٩] بلفظ: سألت أبا برزة عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار، ورواه ابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ٣٠) [٩٧٧] وكرره في (١١٣٢)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه شعيب بن بيان وهو ضعيف [١١٤٦٣]، وهو عند ابن مردويه بسياق طويل عن الحسن عن أبي برزة كما في الدر المنثور (١٥/ ٢٠٦)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٥/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٢٧) [٢٤١٥]. انظر: الدر المنثور (٣/ ٤١٨).

٥ ـ عن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠] قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً[١].

٦ ـ عن محمد بن المنتشر[٢] قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: إني لأعرف أشد آية في كتاب الله، فأهوى عمر فضربه بالدرة فقال: ما لك نقبت عنها حتى علمتها؟ فانصرفت حتى كان الغد، فقال له عمر: الآية التي ذكرت بالأمس، قال: وهل تركتني أخبرك بها، فقال له عمر ﵁: ما نمت البارحة، فقال: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فما منا أحد يعمل سوءاً إلا جُزي به، فقال عمر: إنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك، ورخَّص فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠][٣].

٧ ـ عن علي بن الحسين: . . . وأشد آية على أهل النار ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠][٤].

٨ ـ عن الحسن: ما أنزل الله على النبي ﷺ آية كانت أشد عليه من قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧][٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٦)، وساقه ابن كثير مسنداً عن قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو (١٤/ ٢٣٤)، ونسبه في الدر إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه (١٥/ ٢٠٦).

(٢) محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمداني ثم الوادعي الكوفي، روى عن عمه مسروق على خلاف فيه، وعن أمية وابن عمر وغيرهم، وثقه الإمام أحمد، وقال عنه خيراً، وثقه ابن سعد قال: له أحاديث قليلة. انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٤٢٢، ٤٢٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٧٠٨).

(٣) رواه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (١٤/ ٥٧٧) [٣٥٧٠]، وضعفه محققو المطالب لعلتين: محمد بن المنتشر يصغر عن إدراك عمر، وعبد الجليل بن عطية يهم، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ١٩٨) [٥٦٧١].

(٤) تقدم تخريج هذا الأثر في مبحث (أول ما نزل وآخر ما نزل).

(٥) نسب إلى ابن أبي حاتم وغيره كما في الدر المنثور (١٢/ ٥٧)، وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة (٦/ ٤٢٨).

وهناك أثران فُسِّر فيهما معنى وصف الآية بالشِّدة:

١ ـ في حديث مسروق وشُتَير: وسمعته يقول ـ يعني: ابن مسعود ـ: أشد آية في القرآن تفويضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] قال: صدقت[١].

٢ ـ عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣][٢].

[أخوف آية]

مرويات الصحابة والتابعين

١ ـ حديث عمر رضي الله عنه لما سأل الركب وفيهم ابن مسعود: فأي آية أخوف؟ قالوا: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣][٣].

٢ ـ عن محمد بن سيرين قال: لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨][٤].

٣ ـ عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣] قال: ما في القرآن آية أخوف عندي منها، إنا لا نَنْهَى[٥]، وعنه بزيادة بعد ذكر الآية: أساء الثناء على الفريقين جميعاً[٦].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٧١) [٦٠٠٢]، والبخاري في الأدب المفرد (٤/ ١٣) [٤٨٩]، وحسن الألباني إسناده، والطبري (٢٠/ ٢٢٦، ٢٢٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٢، ١٣٣) [٨٦٥٨، ٨٦٥٩، ٨٦٦٠، ٨٦٦١]، والمستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٧٦٢) [١١٥٣]، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٥٨) [٢٣٩٣]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني بأسانيد ورجاله رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف (٧/ ١٩٢) [١١٤٢٢، ١١٤٢٣]، والأثر عند أبي عبيد في فضائله (٢/ ٨٥) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٥٥١)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ (٥/ ٣٧٣).

(٣) تقدم تخريج الأثر، وهو عند السلفي بلفظ: فأي القرآن أحزن؟ قالوا: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] (١/ ٢٤٦، ٢٤٧) [١٧٣].

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر (١/ ١٥٧)، وذكره معزواً إلى عبد بن حميد بلفظ: كانوا يتخوفون من هذه الآية، (١/ ١٥٧).

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد (ص١٩) برقم [٥٧]، والطبري في تفسيره (٨/ ٥٥١)، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (٥/ ٣٧٣).

(٦) انظر: الدر المنثور (٥/ ٣٧٣).

[أجمع آية]

١ ـ ما جاء عن ابن مسعود في الأثر الذي رواه مسروق وشُتير: وأجمع آية في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠][(١)].

وبلفظ: إن أجمع آية في القرآن في الخير والشر في سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠][(٢)].

وبلفظ: ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام، وأمر ونهي من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠][(٣)].

٢ ـ جاء في حديث عمر للركب الذين فيهم ابن مسعود: أي القرآن أجمع؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨][(٤)].

٣ ـ عن الحسن رحمه الله أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] ثم قال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة[(٥)].

[أوسع آية]

١ ـ عن ابن سيرين قال: قال علي رضي الله عنه: أي آية أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيات القرآن ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠] ونحوها، فقال علي: ما في القرآن أوسع من ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣][(٦)].

---

(١) تقدم تخريج الأثر.

(٢) هو بهذا اللفظ عند الطبري (١٤/٣٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٧٣) [٢٤٤٠].

(٣) كما عند البخاري في الأدب المفرد (ص١٧٤) [٤٨٩].

(٤) تقدم تخريج الأثر.

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/١٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٦٢، ١٦٣) [١٤٠]. انظر: الدر المنثور (٩/١٠٣).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٤٩، ٥٠) [٦٨]، والطبري في تفسيره (٢٠/٢٨). انظر: الدر المنثور (١٢/٦٧٦).

[أحب آية]

١ ـ عن علي رضي الله عنه قال: ما في القرآن آية أحبُّ إليّ من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨](١).

٢ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أربع آيات في كتاب الله عز وجل أحبُّ إلي من حمر النعم وسودها في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤](٢).

وعند ابن المنذر وغيره بلفظ: إن في النساء خمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها... ثم ذكر الأربع آيات المتقدمة وزاد: قوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء: ٣١](٣).

٣ ـ جاء عن ابن عباس نحوه لكنه جعلها ثماني آيات كلها في النساء، فزاد على الخمس المتقدمة:

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾ [النساء: ٢٦].
- ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧].
- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٨].

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، سورة النساء (ص٦٨٤) [٣٠٣٧] وقال: حديث حسن صحيح، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (ص٤٠) (٥١)، ونسبه السيوطي في الدر للفريابي (٤/ ٤٧٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص٣١٦).

(٢) أخرجه هنَّاد في كتاب الزهد (٢/ ٤٥٤، ٤٥٥) [٩٠٣]، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٠) رقم [٩٠٦٩]، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٢٥) [٧١٤١].

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٨٨) [٥٤٠]، وسعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٢٩٧) [٦٥٩]، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧٠٩) [١٧٧٦]، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٦٨) [٢٤٢٥، ٢٤٢٦]، ورواه الحاكم (٢/ ٢٧، ٢٨) [٣٢٤٧]، قال في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح (٧/ ٤٨) [١٠٩٥٤].

وجعل قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] جعلها مكان ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤](١).

[أعدل آية]

١ ـ عن ابن مسعود عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]: إن أعدل آية في القرآن آخرها اسم من أسماء الله(٢).

وقد تقدم في حديث عمر وجواب ابن مسعود بحديث رفعه إلى النبي ﷺ، وأعدل آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠](٣).

[أشد تفويضاً]

١ ـ في حديث مسروق وشُتَير بن شَكَل وتقدم: ما في القرآن آية أكثر أو أكبر تفويضاً من آية في سورة النساء القصرى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣](٤)، وجاء الأثر بلفظ: أشد آية في القرآن تفويضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢](٥).

وكذلك بلفظ: أسرع فرجاً(٦).

وبلفظ: ما في القرآن آية أشد تفويضاً من قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣](٧).

وبلفظ: إن أكبر آية في القرآن فرحاً آيةٌ في سورة الغُرَف: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٦٦٠، ٦٦١)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٢٧) [٧١٤٥]، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة. انظر: الإتقان (٦/ ٢١٦٦)، وفيه رجل متروك انظر: تحقيق الشيخ أحمد شاكر تفسير الطبري (٨/ ٢٥٧).

(٢) نسبه السيوطي إلى ابن الضريس في فضائل القرآن. انظر: الدر المنثور (١/ ٢٤٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريج هذا الأثر عن مسروق وشُتير بتوسع.

(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٨٤) [٥٣٧]، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٣) [٨٦٥٩]، و(٨٦٦٠].

(٦) هذا لفظ المستغفري في فضائل القرآن (٢/ ٧٦٢) [١١٥٣].

(٧) كما عند البخاري في الأدب المفرد (ص١٧٤) [٤٨٩].

أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣][١].

[أرخص آية]

١ - عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: أي آية أرخص في كتاب الله؟ قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]: على شهادة أن لا إلـٰه إلا الله[٢].

وجاء بلفظ: أي آية في كتاب الله أرجى؟ قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] على شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، قيل له: فأين قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣] فقال ابن عباس: زدْ، اقرأ، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزمر: ٥٤] فيها، علّقه؛ أي: اعملوا[٣].

[أحكم آية]

١ - في حديث عمر للركب الذين منهم ابن مسعود قال: أي القرآن أحكم؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠][٤].

وكذا أخرج عبد الرزاق عن ابن مسعود قال: . . . وأحكم آية: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨][٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (ص٥١) [٦٩]، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٣٢، ١٣٣) [٨٦٥٨، ٨٦٥٩، ٨٦٦١]. ويلاحظ أن الآية ههنا آية الزمر بخلاف ما جاء في الآثار السابقة من تعيين آية الطلاق كأشد الآي تفويضاً.

(٢) ساقه ابن كثير مسنداً معزواً إلى ابن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (١٢/ ٢٣٥)، وهذا اللفظ أورده السيوطي في الإتقان، وضعفه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٠٥).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد بهذا اللفظ كما في الدر المنثور (١٣/ ١٠٥).

(٤) تقدم تخريج الأثر.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٦) [٣٦٧٧].

[أحزن آية]

١ ـ في حديث عمر للركب الذين فيهم ابن مسعود، قال: أي القرآن أحزن؟ فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣][(١)].

[التاصيل]

أولاً: التأصيل من هذه الآثار المرفوعة:

١ ـ يظهر أن مجموع هذه الآثار المرفوعة إلى النبي ﷺ ضعيفة الأسانيد، فيبقى أصل هذا العلم في الحديث النبوي مُستقى من القسم الأول في جانبه التوقيفي وهو ما كان ضمن علم **فضائل القرآن**؛ وأعني: بذلك الوارد في أعظم، وأفضل آي القرآن كما تقرر سابقاً.

٢ ـ وأياً ما كان فإن هذه المرويات المرفوعة تجلى فيها احتفاء الصحابة بهذا العلم حتى سألوا النبي ﷺ عن أفراد هذا العلم القرآني.

٣ ـ حوت هذه المرويات الحديث عن أفضل، وأعدل، وأرجى، وأعظم، وأخوف، وأشد آية، وغلب الوارد عن (أشد آية) غيرها كثرة، فجاء في ثلاثة آثار، ثم (أرجى آية) في أثرين.

٤ ـ في جملة هذه الآثار جواز وصف الآية بأنها أشد آية أو بأنها شديدة، وهذا مأخوذ من إقراره ﷺ عائشة لما وصفت قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقد فسَّر النبي ﷺ هذه الآية بما يُخليها من وصف الشدة، وذلك لما قال: «**هي ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها**»، وهذا دليل على أن الصحابي قد يصف الآية بالشديدة أو المخوفة ونحو ذلك بناء على ما يفهم من معناها، ويعرف من تفسيرها.

٥ ـ من المنهج النبوي في هذا العلم أن يُبين وجه كون الآية القرآنية هي أفضل الآي أو أشدها أو غير ذلك يبين هذا مفسراً معناها مفصحاً سبب اختيارها وتفضيلها على سائر الآيات، وتمثل هذا في أثر علي وأثر عائشة رضي الله عنهما.

---

(١) تقدم تخريجه مراراً، ولفظه هذا عند السلفي في المختار من الطيوريات (١/٢٤٦، ٢٤٧) رقم [١٧٣].

٦ ـ جاء في خبر علي رضي الله عنه وصفُ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] بأنها أفضل آية، والتعبير بالأفضلية لا يعني أنها (أعظم) آية؛ لأن هذا حق آية الكرسي كما استفاضت به الأخبار، وإنما يُفسر معناها هنا بما جاء في قوله: «**ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يثني عليهم العقوبة...**» إلخ. فبان أنها أفضل في حق المؤمن، وآل معناها إلى معنى الأرجى من آيات القرآن، وهذا يُستخلص منه فائدتان:

الأولى: أن التعبير بالأفضلية له جهات، منها ما هو بإطلاق ومنها ما هو بتقييد.

الثانية: أن أوصاف الآية قد تتنوع عند الصحابة ومردها إلى معنى متحد، أو تتنوع حسب تأويل الآية ونظر المفسر لها، وسيأتي مزيد بيان بإذن الله.

ثانياً: التأصيل من الآثار الموقوفة في هذا العلم:

١ ـ كان للصحابة الكرام القدح المعلى والنصيب الأوفى من هذا العلم القرآني، وتمثل اعتناؤهم به واهتمامهم بشأنه، في عدة أمور:

أ ـ تعدد المأثور عنهم في أفراد متنوعة من هذا العلم القرآني.

ب ـ مدارسته وإلقاء السؤالات على المتقدمين في العلم بالقرآن، وما مساءلة عمر القوم الذين فيهم ابن مسعود، ومدارسة ابن عباس مع عبد الله بن عمرو إلا شواهد على الاحتفاء بهذا النوع من علوم القرآن.

٢ ـ من ما يُقطع به ويؤكد عليه أن ذكرهم: أرجى، وأخوف، وأعدل آي القرآن ونحوها، مرده غالباً إلى الاجتهاد والنظر، وبحسب رأي قائله.

وعلى ذلك الدلائل التالية:

أ ـ من نصوصهم ما يدل صراحة على ذلك، كقولهم:

أرجى في نفسي أو عندي، أو أرجى عندك، ونحوها من العبارات (أوسع عندي) أو (أحبّ إليّ).

ب ـ اختلافهم في تحديد أرجى الآيات وأخوفها وأعدلها وسائر أفراد هذا العلم، ولو كان هناك نصٌّ نبوي صحيح لارتفع الاختلاف.

ج ـ لم ينكر بعضهم على بعض اختيارهم تلك الآيات، بل ذهب كل واحد منهم إلى ما أفضى إليه نظره واجتهاده.

وبالتالي يصح أن يختار كلٌ ما يراه دون تضييق ولا نكير ولا تخطئة.

٣ ـ ما يذكره الصحابة من آيات مختلفة في هذا العلم تتباين قوة ورجحاناً وهي على درجات، فبعض الآيات حظها أوفر من البعض الآخر، كأن يقول بها عدد من الصحابة أو يتوافق اثنان أو أكثر من كبار الصحابة وأهل العلم بالقرآن على آية من الآيات، أو يقول الصحابي ذلك بمحضر من الصحابة فيُقررون على ذلك دون مخالفٍ منهم.

٤ ـ ما يذكره الصحابة والتابعون من مفردات العلم على قسمين:

أ ـ أن ينصوا على أن الآية أرجى أو أشد أو أحكم بإطلاق.

ب ـ أن يُذكر مقيداً بطائفة أو فئة، كما في قولهم: (أشد آية في كتاب الله على أهل النار)، و(ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة)، (أرجى آية في القرآن لأهل التوحيد).

٥ ـ جاء في بعض الآثار إفصاح بعض الصحابة والتابعين عن سبب اختيار الآية أنها الأرجى أو الأشد أو غير ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

الأثر الذي حوته بعض التفاسير عن الخلفاء الراشدين الأربعة لما تذاكروا القرآن وتدارسوا أرجى آية في القرآن، فقال الصديق عن آية الإسراء: «لا يشكل بالعبد إلا العصيان، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران»، وقال عمر: «قدم الغفران قبل التوبة».

ولما اختار ابن عباس أن أرجى آي القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: فرضي من إبراهيم قوله: (بلى)، فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان.

وعن الضحاك بن مزاحم في قوله: إن قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٣]، قال: ما في القرآن آية أخوف عندي منها؛ إنا لا نَنْهَى.

وكذا بلفظ: أساء الثناء على الفريقين جميعاً.

وعلى كلٍّ، فمثل هذا الإفصاح عن وجه كون الآية الأرجى أو الأشد أو نحو ذلك ليس كثيراً، ويبقى النظر الدقيق في هؤلاء الآيات سبيلاً إلى إظهار ما فيها من رجاء أو شدة أو مخافة.

٦ ـ تجلى في صنوفٍ من الروايات اختلاف أوصاف الآية من صحابي إلى آخر، وهذا يرجع إلى نظره في الآية، وهو يختلف من مفسر إلى آخر.

وفيما يلي أمثلة لهذا الملحظ:

الآية	الصحابي أو التابعي	وصف الآية
١ ـ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	ابن مسعود	أرجى آية
	علي بن أبي طالب	أوسع آية
	ابن مسعود	أكبر آية فرحاً، أشد تفويضاً
٢ ـ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾	ابن مسعود	أحزن آية، أخوف آية
	عبد الله بن عمرو، أبو برزة الأسلمي	أشد آية
	عن بعضهم كما في أثر علي بن أبي طالب	أوسع آية
	عن بعضهم كما في أثر عمر بن الخطاب	أشد آية
٣ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾	ابن مسعود	أحكم آية
	وفي خبر مسروق وشُتير عن ابن مسعود	أجمع آية
	جاء في خبر ابن مسعود ورفعه إلى النبي ﷺ	أعدل آية

الآية	الصحابي أو التابعي	وصف الآية
٤ ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾	ابن مسعود	أحكم آية
	ابن مسعود	أجمع آية
	ابن مسعود في حديثه المرفوع	أخوف آية
٥ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	علي بن أبي طالب	أحبّ آية
	علي بن الحسين	أرجى آية
٦ ـ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾	ابن عباس	أشد توبيخاً
	الضحاك بن مزاحم	أخوف آية

وحقيق بالقول أن بعض الآيات تحتمل أكثر من وصف، أو هي متنوعة الصفات تبعاً لتنوع نظر المفسر ومأخذ الآية عنده، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] يصح أنها أرجى آية، وأكبر آية فرحاً، ومرد هذا الفرح ما تحمل من رجاء وأمل للمذنبين، وهي أوسع آية يعني: سعتها في الرجاء والرحمة.

فهذه الأوصاف تلتقي ولا تتضاد.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] هي آية مخوفة ومحزنة في آن معاً، لما يظهر من معناها، وقد أخافت هذه الآية الصحابة وأحزنتهم، فسألوا النبي ﷺ وقالوا: كيف الصلاح بعد هذه الآية؟

وقلْ مثلَ هذا في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] فمن يقول إنها الأرجى فذلك السبب لمن يقول إنها أحب آية.

وقد وصف ابن عباس قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣] بأنها أشد الآي توبيخاً، وجعلها الضحاك أخوف آية، وكلا الوصفين صحيح.

فهي من جهة شديدة التوبيخ للربانيين والأحبار لعدم النهي عن الإثم وأكل السحت.

ومن جهة هي مخوفة لهم حيث لم ينهوا عن تلك المآثم، وعلل الضحاك

كونها أخوف آية بقوله: (إنا لا نَنْهى)، وفي لفظ: أساء الثناء على الفرقين جميعاً؛ أي: وصف مقارف الإثم ومن لا ينهاه بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] فجعلهم في المذمة سواء.

٧ ـ هذا العلم القرآني ثمرةٌ من ثمرات تدبر آي الكتاب، وحسن النظر في معانيه العظام.

وبهذا يُعلم سر اهتمام الصحابة خصوصاً والتابعين بهذا العلم، ومدارستهم مفرداته، فقد فتشوا عن أرجى الآيات ليمتثلوها رجاءً، وعن الشديد المخوف ليعيشوها خوفاً حاجزاً عن المناهي.

٨ ـ من أنواع هذا العلم، أن يحكم الصحابي أو التابعي على آية أنها الأشد ثم يتبين له أن شدتها متوهمة أو مؤقتة إلى أمد.

وكما جاء عن علي رضي الله عنه أنه ما نزل عليهم آية أشد من قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤]، حتى نزلت: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]، فهذه شدة مؤقتة إلى أمد ثم زالت شدتها.

ومثال ثانٍ ما جاء عن عمر رضي الله عنه لما أعلمه بعضهم بأشد آية في القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فأقره عمر أنها كانت كذلك حتى أنزل الله بعدها ورخَّص ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

وقد يستشهد لأن الآية أشدُ آي القرآن بما جاء في حديث عائشة قالت للنبي ﷺ: إنها تعرف أشد آية في القرآن وهي قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فبيَّنَ لها النبي ﷺ معنى المجازاة بالسوء في الآية أنها تعني: المجازاة بالعقوبة حتى في الدنيا، كما قال: هي ما يصيب المؤمن حتى النكبة ينكبها، أو كما جاء: **«ألست تحزن؟ ألست تنصب؟ أليس تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»**.

ومع هذا التفسير النبوي إلا أن الآية تبقى مخوفة عندهم، وعدّوها كذلك في بعض الآثار، إذ لا يؤمن معها من تأخير الجزاء إلى الآخرة، والنفس المؤمنة تؤجل وتخاف وتتجافى عن الأمن المفضي إلى الأمن من مكر الله، وفي الوقت نفسه ترجو وتحسن الظن بمولاها.

ويمكن القول إن المنتفي عن الآية أنها أشد الآيات، ولا يعني بالضرورة انتفاء شدتها بالكلية بل تبقى شديدة وإن لم تكن الأشد (هذا جواب ثانٍ محتمل).

٩ ـ جاء في خبر عن عمر ﷺ أنه أهوى بالدِّرة على من نقَّب عن أشد آية في القرآن حتى عرفها.

وتخريج مثل هذا الموقف أنها حالة خاصة قد يكون احتفَّ بها ما استوجب من عمر فعل ما فعل، وإلا فإن عمر تدارس أفراداً من العلم وتذاكره مع بعض علماء الصحابة.

ولذا استفهم عمر في نهاية الأثر عن الآية المرادة، وأوضح أنها كانت كذلك حتى أنزل الله ما بعدها ورخَّص.

فليس في هذا العلم ما لا يؤمر بالتنقيب عنه استشهاداً بفعل عمر كما في الأثر المتقدم وقد علم جواب ذلك.

١٠ ـ بدا جلياً أن الصحابة أوفر نصيباً وأعظم وارداً في هذا العلم من التابعين، وكان ابن مسعود ذا حظٍّ عظيم في هذا العلم من بين الصحابة، وعُرف اشتغال كبار الصحابة ومنهم الخلفاء الراشدون بمفردات القرآن، وهذا يزيده مكانة ويعلي مقامه، وقد ورَّث الصحابة والتابعون من بعدهم العناية بهذا العلم وإطلاق النظر في أفراده حتى لو أدى اجتهادهم إلى خلاف ما قاله من قبلهم، ففي بعض المرويات عن أبي جعفر الصادق، وعبد الله بن المبارك، وعن سفيان، ومالك، والشافعي وغيرهم، وذاك دال على تجدد النظر والاجتهاد في موضوعاته، وعدم الاكتفاء بما نقل مأثوراً، ولذلك شحنت كتب التفاسير بما يختاره المفسرون من أرجى الآيات وأشدها وأخوفها ونحو ذلك، وهم يوافقون المأثور حيناً، ويخالفون حيناً ولا نكير على ذلك.

١١ ـ في أثر ابن عباس: أرخص آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] واختلف في هذا اللفظ فحكي: أرخص، وأرجى، ولعل هذين اللفظين يُفسر بعضهما بعضاً، فالمراد بـ(أرخص) أي: أكثر سهولة ويسراً، وهذا من تيسير الله وتخفيفه على عباده، ومن بين طيات هذا التفسير يحصل الرجاء، وعلى كلٍّ فاللفظة وردت على أكثر من وجه، والأثر الذي فيه (أرخص) قد ضعفه الحافظ ابن رجب الحنبلي.

١٢ ـ الغالب في هذا العلم أن يُنص على آية واحدة بأنها الأرجى أو الأشد أو الأعدل، وجاء قليلاً ذكر مجموعة من الآيات تحت وصف واحد، مثل أثر ابن مسعود لما جعل أربع آيات أو خمس من سورة النساء أحبَّ آي القرآن إليه. ومثله عن ابن عباس في ثماني آيات كلها في سورة النساء. والله أعلم.

[مفردات القرآن عند أهل علوم القرآن]

أ ـ تسمية هذا النوع من علوم القرآن بـ: مفردات القرآن.

من طالع مرويات السلف من الصحابة والتابعين تيقن أنها لم تشتمل على اسم هذا العلم، بل انصب الأمر على تدارس أفراده ومساءلات أهل العلم عنه، ومن المتقرر أن عدداً من العلوم جاءت تسمياتها؛ كالناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر، وأمثال القرآن إلى غير ذلك.

وإلى ما قبل عصر السيوطي كانت تسمية هذا العلم عند أهل علوم القرآن كالتالي:

١ ـ ساق الإمام عبد الرزاق الصنعاني جملة من آثاره تحت باب: **تعليم القرآن وفضله**(١).

٢ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام في: فضائل القرآن، تحت عنوان: باب: **فضائل آيات من القرآن**(٢).

٣ ـ المستغفري في فضائل القرآن فجعلها في مطالب تحت باب عنوانه: **ما جاء في فضل آيات من آي القرآن خصوصاً فيها خصال حميدة**(٣).

٤ ـ الإمام البيهقي ذكر جملة من مروياته في: شعب الإيمان، تحت فصل: **في فضائل السور والآيات**(٤).

٥ ـ السخاوي عنون للعلم بـ: **فضائل بعض الآيات**(٥).

٦ ـ الإمام الزركشي ضمَّن آثار العلم في النوع (الثامن والعشرون): **هل في**

---

(١) المصنف (٣/ ٣٦٥).
(٢) فضائل القرآن (١/ ٨٢).
(٣) فضائل القرآن (٢/ ٧٥١) فما بعدها.
(٤) شعب الإيمان (٢/ ٤٥٥) فما بعدها.
(٥) جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ٧٦، ٧٧).

القرآن شيء أفضل من شيء؟ وعنون لها بـ: **فائدة**[١].

ومن ما سبق يظهر من طرائقهم في تناول هذا العلم أمران:

أ ـ أن تسميته بـ**«مفردات القرآن»** لم تكن عندهم، ولعل أول من سمَّاه مفردات القرآن هو السيوطي.

ب ـ أنهم يذكرونه إما عقب علم الفضائل أو يدمجون بين العِلْمَين فيذكرونهما تحت فضائل القرآن دون تمايز وفصل بينهما.

وأحسب أن السيوطي هو مبتكر التسمية، وقد ذكره في الإتقان، وكذا في التحبير، أما في معترك الأقران فعدها وجهاً من وجوه الإعجاز، وعنون له بـ: **ما فيها من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف**[٢]، وتبعه ابن عقيلة في مُسمَّاه بـ «مفردات القرآن»[٣].

والسيوطي كالسابقين جعل هذا العلم بعد علم **«أفضل القرآن وفاضله»** في الإتقان.

وكذا في التحبير، وقال: «هذا النوع من زيادتي، وهو نوع لطيف قريب مما قبله»[٤].

ولم يبين السيوطي وجه التسمية ولا مراده بها حتى يعلم أهي مطابقة للمضمون أم لا؟ وفي قوله: (نوع لطيف قريب مما قبله) إشارةٌ إلى التقارب بين علمي الفضائل والمفردات.

ومن محاولاتهم تعريف العلم وتوضيحه ما قاله: طاشكبري زاده، وصديق حسن خان اللذان قالا في تعريفه: «علم يبحث فيه عن أحوال آية آية من جهة أحكامها ومعانيها»[٥].

وما ذكروه لا ينطبق على مضمون هذا الفن القرآني، ولعلهما قصدا تعريف شيء آخر غير هذا العلم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٥١٩ ـ ٥٢٨).

(٢) الإتقان (٦/ ٢١٥٩)، التحبير (ص٣١٠)، معترك الأقران (١/ ٤٧٢).

(٣) الزيادة والإحسان (٦/ ٤١٧)، قال: (مفردات القرآن العزيز).

(٤) التحبير (ص٣١٠)، وجعله عقب علم: «أفضل القرآن وفاضله ومفضوله».

(٥) مفتاح السعادة (٢/ ٥٢٠)، وأبجد العلوم (٢/ ٥١١).

وقال بعض الباحثين: «لكن الذي ظهر لي أن مقصود الجلال رَحِمَهُ اللهُ ما يقابل المجموع أو المزدوج ويعني بها: آيات اختصت بمعنى غلب عليها، بحيث يمنع هذا المعنى الاختلاط مع معان أُخر».اهـ[1]، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير مُوضح.

وعندي أن المفردات: (انفراد آية من بين الآيات التي من جنسها في المعنى بزيادة وتفضيل في ذلك المعنى).

فأرجى آية انفردت من بين آيات الرجاء بوصفها الأرجى، وأشد آية انفردت من بين آيات الشدة بوصفها أشد الآيات وهكذا في البقية، وهذا كله تلمس لمراد السيوطي بعنوان هذا السيوطي، وليست التسمية جلية الدلالة على أفراد هذا العلم القرآني.

وعوداً إلى بدءٍ فإن صنيع عدد من أهل علوم القرآن من تعقيب علم الفضائل بهذا العلم أو دمجهم بينها يلفت النظر إلى الارتباط الوثيق والصلة الوكيدة بين العِلمين، وقد خرجت بعد النظر بفروق بينهما كما يلي:

١ ـ الفضائل توقيفية ولا مجال للرأي فيها، أما المفردات فمحلها النظر والاجتهاد، وتقدمت الأدلة على ذلك.

٢ ـ الفضائل تصدق على السور والآيات، أما المفردات فهي لآيات مخصوصة، ولا علاقة لهذا النوع بالسور الكاملة.

٣ ـ أن جهات الفضائل متعددة منها ما هو لعظم الثواب أو لدفع العذاب، أو اشتماله على معانٍ عظيمة أو الحفظ والتحرز من الشيطان وما يؤذي ونحو ذلك. أما المفردات فلا تتعدد فيها هذه الأوجه، بل مردها للمعنى من الرجاء والشدة والعدل ونحوها، من ما هو ثمرة من ثمار التدبُّر المفضي إلى العمل وكمال الخشية وحسن الرجاء وتحصيل الصالحات. والله أعلم.

ب ـ طالعت عشرات المؤلفات في علوم القرآن فلم أجد احتفاءً بهذا العلم القرآني واهتماماً به كما هو عند الصحابة والتابعين، فليس هو عند أهل

---

(١) هذا تعريف الدكتور حازم حيدر في كتابه: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٤٤٢).

الزمان من علوم القرآن المكينة، والأولى العناية بما اعتنى به الأوائل والسير على نهجهم في تمييز العلوم والتفاضل بينها، ومما يدلك على القصور الواضح في تناول هذا العلم وفهمه والوقوف على أسراره أن أحد الباحثين جعل البحث في هذا الباب لا يخلو من طرافة[1]! وهو شديد الغرابة كما ترى فليتأمل، إنما مأثورهم فيه نتاج التدبر المثمر والتمعن المبهر في آيات الكتاب العزيز.

ج - **ختم بعض أهل علوم القرآن هذا العلم بمسائل مما لا علاقة لها بما سبق من الآثار**؛ كقولهم: وفي القرآن آيتان جمعت كلٌّ فيهما حروف المعجم، وليس فيه حاءٌ بعد حاءٍ بلا حاجز إلا في موضعين، وكم في القرآن آية أولها غين؟ ومثل هذا ليس له أصل في كلام الصحابة والتابعين[2].

(١) فضائل القرآن الكريم، للدكتور: عبد السلام الجار الله (ص٤٤٧).

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (٦/ ٢١٧١) فما بعدها، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (٦/ ٤٣٠) فما بعدها.

الفصل الرابع

علم تعضيد السُّنَّة بالقرآن

وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: الصحابة الكرام يروون عن رسول الله ﷺ ما يؤسس به هذا العلم القرآني.
- المسألة الثانية: أصل هذا العلم من مقول الصحابة والتابعين.
- المسألة الثالثة: مرويات الصحابة والتابعين في هذا العلم.

[علم تعضيد السُّنَّة بالقرآن]

المسألة الأولى

الصحابة الكرام يروون عن رسول الله ﷺ ما يؤسس به هذا العلم القرآني

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف على يمين ليقتطع بها مال رجل مسلم أو قال ـ أخيه ـ لقي الله وهو عليه غضبان»**، قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧][1].

٢ ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أم في ما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨]»[2].

٣ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه المشهور وفيه: قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة**

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها في كتاب الشهادات، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ (ص٤٣٦) [٢٦٧٦]، ومسلم في كتاب الأيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (١/ ٧٤) [١٣٨] وهذا لفظ مسلم.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابه رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته (٢/ ١٢٢٣) [٢٦٥٠].

رؤوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]»(١).

وفي لفظ مسلم: ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾(٢).

٤ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، وهو عنده فوق العرش، الخلق منتهون إلى ما في ذلك الكتاب، وتصديق ذلك في كتاب الله** ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]»(٣).

المسألة الثانية

أصل هذا العلم من مقول الصحابة والتابعين

١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه: إذا حدثناكم بحديث، ـ وفي لفظ: إذا حدثتكم بحديث ـ أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله...(٤).

وقال كذلك: ما قال رسول الله ﷺ إلا في كتاب الله عز وجل(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ (ص٨٣٩) [٤٧٧٧].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وما خصاله؟ (١/ ٢٥) [٩].

(٣) أخرجه الحافظ أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٣٢٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه، والديلمي. انظر: الدر المنثور (١٣/ ١٨٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٣٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٦٦) [٩١٤٤]، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٠٤) [٣٦٤٢] وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٠٤، ١٠٥) [٦٦٧]، والبغوي في تفسيره (٣/ ٦١٨)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الإتقان (٥/ ١٩٠٧)، وفي الدر المنثور إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (١٢/ ٢٥٧، ٢٥٨).

قال في مجمع الزوائد: (١٠/ ٧٨): «رواه الطبراني وفيه عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتبة المسعودي، وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله ثقات».

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٤١) [١٠٨٤]، ورجاله ثقات، وضعفه المحقق للانقطاع بين سعيد بن جبير وأبي موسى الأشعري، وأخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة للبوصيري (٦/ ٢٢٠) [٥٧٢٩]، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٣٣٤، ٣٣٥) =

٢ ـ قال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه، إلا وجدت مصداقه في كتاب الله[(١)].

وجاء بلفظ: وقلما سمعت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وجدت له تصديقاً في القرآن[(٢)].

٣ ـ قال محمد بن كعب القرظي: . . . وكنت إذا سمعت الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ التمسته في القرآن[(٣)].

❁ المسألة الثالثة ❁

مرويات الصحابة في هذا العلم

١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد صام الدهر كله**»، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر، فلي الشهر كله، ووجدت تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠][(٤)].

وهو بهذا اللفظ عن أبي هريرة[(٥)].

٢ ـ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قصة إسراء النبي ﷺ ولقياه إبراهيم وموسى عليه وعليهم السلام. . . فتذاكروا الساعة، قال عيسى: . . . فذكر من خروج الدجال ثم قال: فأهبطُ فأقتله ويرجع الناس إلى بلادهم، فيستقبلهم

= [١٣٩٦]، وقال الهيثمي: رواه الطبراني واللفظ له، وأحمد بنحوه في الروايتين ورجال أحمد رجال الصحيح (٨/ ٣٣٥).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٦٣، ٣٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٢٥٧) [١١٦٢١].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٦٥) [١١٩٤]، والطبري في تفسيره (١٢/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص٣١٦) [٩٠٤]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٩، ١٠) [٢٧٢٨]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٥/ ٢١٣، ٢١٤).

(٤) أخرجه الترمذي بنحوه (ص١٩٢) [٧٦٢]، وابن ماجه (ص٢٤٣، ٢٤٤) [١٧٠٨]، والنسائي بلفظ ثم قال: صدق الله في كتابه ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ (ص٣٣٢) [٢٤١١]، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٤٠٢، ٤٠٣).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٥، ٦) [٦٦٥٠]، ابن حبان (٨/ ٤١٧، ٤١٨) [٣٦٥٩].

يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماءٍ إلا شربوه، ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه... قال ابن مسعود: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦][1].

٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، قال: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك أن يُطعم معك**»، قال: ثم أي؟ قال: «**أن تُزاني حليلة جارك**»، قال: قال عبد الله: فأنزل الله تصديق ذلك ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ [الفرقان: ٦٨][2].

وعند البخاري بلفظ: وأنزل الله تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾[3].

٤ ـ عن الشعبي قال: سمعت المغيرة بن شعبة يخبر به الناس على المنبر، وفي رواية ـ يرفعه إلى النبي ﷺ ـ قال: «**سأل موسى ربه، ما أدنى أهل**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (ص٥٩٤، ٥٩٥) [٤٠٨١]، وفيه أن الذي قال: وتصديق ذلك في كتاب الله، العوام بن حوشب أحد رواة الحديث وليس ابن مسعود.
والحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٠، ١٤١) [٣٥٠٠]. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، ومؤثر بن عفازة ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات. انظر: مصباح الزجاجة على ابن ماجه (٤/ ٤١٠، ٤١١).
وأبو يعلى (٩/ ١٨٧) [٥٢٩٤]، والطبراني في تفسيره (١٥/ ٤١٣، ٤١٤)، ومحل الشاهد عندهما من كلام العوام بن حوشب، وحسنه محققا الكتابين.
وابن عساكر في تاريخه (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)، ومحل الشاهد من كلام عبد الله بن مسعود.
وضعَّفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص٣٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٠٤، ١٠٥) [٣٦١٢]، والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٥٣٨) [٣٤٦٤]، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٣٢، ٣٣) [٥٠٩٨]، وابن حبان (١٠/ ٢٦٤، ٢٦٥) [٤٤١٦]، والشاشي في مسنده (٢/ ٢٧، ٢٨) [٤٩٣].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: قتل الولد خشية أن يأكل معه (ص١٠٥٠) [٦٠٠١].

الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنةَ فيقال له: ادخلْ الجنة، فيقول: أي رب كيف، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أما ترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك... قال: ومصداقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»[١].

٥ - عن أبي هريرة ﷺ يبلغ به النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٧][٢].

وفي لفظ البخاري: فاقرأوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٣].

وفي رواية الترمذي: وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾[٤].

٦ - عن أبي عثمان[٥] قال: بلغني عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: إن الله يجزي المؤمن بالحسنة ألفَ ألفَ حسنة، فأتيته فسألته، قال: نعم وألفي ألف حسنة، وفي القرآن من ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] فمن يدري ما تلك الأضعاف[٦]؟

وأخرج أحمد في مسنده وابن أبي حاتم نحوه.

ولفظ أبي هريرة: . . . أوليس تجدون هذا في كتاب الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فالكثيرة عند الله

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة منها (١/ ١٠٤، ١٠٥) [١٨٩]، ورواه غيره.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢/١٢٩٨) [٢٨٢٤].
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ص٥٤١) [٣٢٤٤].
(٤) انظر: سنن الترمذي (ص٧٢٦) [٣١٩٧].
(٥) هو: النهدي، التابعي المعروف، تقدمت ترجمته.
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩/٢١٩، ٢٢٠) [٣٥٨٤٨].

أكثر من ألف ألف وألفي ألف، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة**»(١).

٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها إلا الطيب، ويربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم مُهره أو فصيله حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحد**».

وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦](٢)، ومثله وارد عن أبي هريرة رضي الله عنه(٣).

٨ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة مُدمن خمر، ولا عاق، ولا منَّان**»، قال ابن عباس: فشق ذلك عليَّ؛ لأن المؤمنين يصيبون ذنوباً حتى وجدت ذلك في كتاب الله في العاق ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢]، وفي المنان: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وفي الخمر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [البقرة: ٩٠](٤).

٩ ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي على الناس ظاهرين، لا يبالون من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»، قال النعمان: فمن قال: إني أقول عن رسول الله ﷺ ما لم يقل، فإن تصديق ذلك

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٣/٣٢٧) [٧٩٤٥] وليس فيه ذكر الآية، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٤٠٤) [٢٤٧٧].
قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير، لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر، ثم ساقه (٢/٤٧٧)، وضعفه محققو المسند (١٣/٣٢٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/٣٦٤، ٣٦٥) [٩٩٠٧]، والإمام أحمد في المسند (١٦/١٠٦) [١٠٠٨٨]، والترمذي (ص١٦٩) [٦٦٢]، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٩٣) [٢٤٢٦، ٢٤٢٧]، والدارقطني في الصفات (ص٦٧) [٥٥]، والبغوي في شرح السُّنَّة (٦/١٣٠، ١٣١) [١٦٣٠]، وصححه محققو المسند وقالوا: وهذا إسناد حسن في المتابعات (١٦/١٠٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٩٩، ١٠٠) [١١١٧٠]، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص١١٦، ١١٧) [٢٤٤]، قال في مجمع الزوائد: رجاله ثقات إلا أن عتاب بن بشير لم أعرف له من مجاهد سماعاً (٥/٨٢، ٨٣)، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٥/٥٠٢).

في كتاب الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥](١).

١٠ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمِنُوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار... ثم يقول: اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول: من كان في قلبه مثقال ذرة»**.

قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا فليقرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠](٢).

وفي لفظ: وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾(٣).

١١ - عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة فارقها والله عنه راضٍ»**.

قال أنس: وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾ [التوبة: ٥](٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٥٩) [٣٦٤١].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١/ ١٠١) [١٨٣]، والإمام أحمد في المسند (١٨/ ٣٩٤) [١١٨٩٨] وهذا لفظه.

(٣) كما في رواية الإمام مسلم في صحيحه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (ص١١) [٧٠]، والبزار (١٣/ ١٣٢) [٦٥٢٤]، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٤٤)، والحاكم وصححه (٢/ ٦٥) [٣٣٣٠]، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٤١، ٣٤٢) [٦٨٥٦]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٩١٧) [١٥٤٩]، والضياء في المختارة (٦/ ١٢٦) [٢١٢٢] [٢١٢٣]، وصحَّحه أحمد شاكر في تحقيق تفسير الطبري (١٤/ ١٣٦) [١٦٤٧٥]، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص١٠) [٧١]، وضعَّفه البوصيري في زوائد ابن ماجه (١/ ١٢٣) [٢٤]، والإسناد فيه أبو جعفر الرازي وهو مختلف فيه. انظر: تقريب التهذيب (ص١١٢٦) [٨٠٧٧].

١٣ ـ قال أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» قال: فقال: تصديق هذا في القرآن، قال: فقرأ علينا ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] فهؤلاء الذين يجتنبون الكبائر، وهؤلاء الذين واقعوا الكبائر بقيت لهم شفاعة محمد ﷺ[١].

مرويات التابعين

أمثلة ذلك:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو اتبعني وآمن بي عشرة من اليهود لأسلم كل يهودي**».

قال: قال كعب: اثنا عشر، تصديق ذلك في المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢][٢].

٢ ـ عن أبي قلابة قال: نزلت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وأبو بكر يأكل، فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراءٍ ما عملتُ من خير أو شر؟ قال: «**أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر، وتُدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة**»، قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠][٣].

وأبو إدريس هو الخولاني، وقد رواه ابن مردويه عنه قال: كان أبو بكر الصديق يأكل مع رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده وهذا لفظه (٧/ ١٤٧) [٤١١٥]، وقال المحقق: إسناده ضعيف جداً. وساقه ابن حجر في المطالب العالية (١٨/ ٦١٤) [٤٥٨٦].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦/ ٢٢٧، ٢٢٨) [٩٣٨٨]، وصححه المحققون لغيره، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤٢٤) [٦٠٣٧]، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥١٣)، وقال: حدث بهذا الحديث الهيثم بن الربيع فقال فيه: أيوب عن أبي قلابة عن أنس أن أبا بكر كان جالساً عند رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وهو غلط والصواب عن أبي إدريس.اهـ.

(٤) كما في الدر المنثور (١٥/ ٥٨٦، ٥٨٧)، وحكم الدارقطني عليه بأنه مرسل. انظر: العلل (١/ ٢٢٧).

٣ ـ قال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله، حتى قال: «**لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما أُرسلت به إلا دخل النار**»، قال سعيد: فقلت: أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [هود: ١٧] الملل كلها[(١)].

٤ ـ روى محمد بن كعب القرظي بعد حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ما توضأ عبد فأسبغ وضوءه، ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى**».

قال محمد بن كعب القرظي: وكنت إذا سمعت الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ التمسته في القرآن، فالتمست هذا فوجدته ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ١، ٢] فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت في الآية التي في سورة المائدة: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] حتى بلغ: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم[(٢)].

٥ ـ عن محمد بن كعب القرظي قال: سمعت بالثلاث التي تذكر في المنافق، إذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، فالتمستها في الكتاب زمناً طويلاً حتى سقطت عليها بعد، حين وجدنا الله يذكر فيه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧]، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] إلى آخر الآية، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١][(٣)].

٦ ـ كان أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث أصحابه... فحدثهم ذات يوم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تستضيئوا بنار المشركين**»، فأتوا الحسن فأخبروه، فقال: نعم، أما قوله: لا تستضيئوا بنار المشركين، فإنه يقول: لا تستشيروا المشركين في شيء من أموركم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه الخرائطي في مساوى الأخلاق (ص٧٢، ٧٣) [١٤٣]، مرفوعاً نص الحديث في آية المنافق، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٧/ ٤٥٨).

بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨](١).

٧ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل قيل: يا رسول الله أرأيت ما نعمله أشيء قد فرغ منه أو شيء نستأنفه؟ قال: **«كل امرئ مهيأ لما خُلق له»**، قال يونس بن ميسرة(٢): إن تصديق هذا الحديث في كتاب الله عز وجل، أما تسمع الله يقول في كتابه: ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، أرأيت يا سعيد لو أن هؤلاء أهملوا كما يقول الأخابث أين كانوا يذهبون حيث حبب إليهم وزين لهم أو حيث كره لهم وبغض إليهم؟(٣).

[التأصيل]

١ ـ هذا العلم القرآني المبتكر مما حملته نصوص الصحابة والتابعين، وأصله مروي من كلام النبي ﷺ، وقد أطلقتُ عليه مسمى: **«تعضيد السُّنَّة بالقرآن»**، وحقيقة هذا العلم كالآتي:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٧١٠)، وابن المنذر في تفسيره ـ وهذا لفظه ـ (١/ ٣٤٤، ٣٤٥) [٨٤١]، وأبو يعلى كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٦)، وأخرجه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة للبوصيري (٥/ ٤٠٠) [٤٩٠٧/ ١]، وأبو الشيخ الأصفهاني في أمثال الحديث (ص٢١٩، ٢٢٠) [٢٩٦]، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٠) [٩٣٧٥]، والسنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) [٢٠٩٩٠]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٣/ ٧٣٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٣٢٢، ٣٢٣) [٤٧٨١]، وعلق ابن كثير على ما قاله الحسن فقال: «فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر». اهـ. تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٨).

(٢) يونس بن ميسرة بن حَلْبَس الجُبلاني الحميري، عالم دمشق، روى عن جماعة من الصحابة كابن عمر، ومعاوية، وعبد الله بن بسر المازني وغيرهم. قال أبو حاتم: كان من خيار الناس، وكان يُقرئ في مسجد دمشق، ثقة عابد، معمر من الثالثة كما قال ابن حجر، ووثقه العجلي، والدارقطني، وابن حبان، مات سنة (١٣٢هـ).
تهذيب الكمال (٣٢/ ٥٤٤) [٧١٨٥]، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٠) [٩٨]، تقريب التهذيب (ص١٠٩٩) [٧٩٧٣].

(٣) أخرجه الفريابي في القدر (ص٥٣) [٣٨] وحسن المحقق سنده، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٦٣) [٣٧٧٣]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي عن إسناده: قال ابن معين في سليمان بن عتبة: لا شيء. اهـ، والبيهقي في القضاء والقدر (١/ ٢٣١، ٢٣٢) (٣٠).

أن يسمع الصحابي أو التابعي حديث النبي ﷺ على وجهه ثم يجد في آي الكتاب العزيز ما يعضد به معنى الحديث النبوي، ويصدق مراده.

وعليه فهو مقابل لما يُسمى: تفسير القرآن بالسُّنَّة، فإن ذلك يبتدئ بالآي القرآنية حين تستلزم كشفاً وتبياناً لتأويلها عن طريق الظفر بنص عن النبي ﷺ يُجلي ما فيها ويكشف تأويلها.

إنما في تعضيد السُّنَّة بالقرآن الأمر عكس ذلك «يسمع الصحابي أو التابعي حديثاً عن رسول الله ﷺ ثم يعمد إلى كتاب الله ينتزع منه آية تعضد معنى الحديث النبوي وتصدق مراده».

وعليه فأُسس هذا العلم.

١ ـ الحديث النبوي.

٢ ـ آية قرانية تعضد الخبر الوارد عن النبي ﷺ وتؤيد معناه.

٣ ـ اجتهاد الصحابي أو التابعي في العثور على شيء من القرآن معززاً الحديث النبوي مطابقاً له.

وعليه، فعمل الصحابي أو التابعي اجتهاد محض ونظر ممعن في الكتاب المبين وما يصح منه أن يجعل موافقاً الحديث مصدقاً له.

ولا ريب في توافق الوحيين إذ هما من مشكاة واحدة.

٢ ـ تشاطر الصحابة والتابعون التوجه إلى هذا النوع وتقاسما الاهتمام به وبثه في الآثار، وكان التصريح بالالتفات لأحاديث النبي ﷺ حين سماعها والتنقيب في مكنون الكتاب المجيد عما يعضدها ويصدقها عن ابن مسعود من الصحابة حين قال: **«إذا حدثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله»**، ومن التابعين سعيد بن جبير إذ يقول: **«ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله»**.

ولفظة **«على وجهه»** تفيد أن الحديث إذا صح إسناده وثبت نقله كما حُدث به، فلا يمكن إلا أن يوافقه القرآن ويطابقه.

وكذا ما نطق به محمد بن كعب القرظي: **«وكنت إذا سمعت الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ التمسته في القرآن»**.

وقوله: «التمسته» دليلٌ على عمل الناظر في أخبار النبي ﷺ حين يسمع ما يتطلب تعضيده وتقرير مضمونه من آيات القرآن.

والوارد عن الصحابة يتمثل في رواية القول الصادر عن رسول الله ﷺ، ثم تعقيبه بما يشهد له من القرآن، فهو توجهٌ عمليٌ إلى إظهار ما يُعضد به الأحاديث من الآيات.

٣ ـ ثمت ما يتبادر إلى استعلامٍ عن الداعي لهذا والموجب الذي يدفع الصحابي أو التابعي لتحصيل ما يُعضِد نصوص النبي ﷺ من آي القرآن، مع أن كلاهما حق ويقين، فما يحدث به النبي ﷺ يلزم الإيمان به وتصديقه كما القرآن؟

والجواب عن هذا: أنه لم ترد نصوص مصرحة في بيان موجب ذلك، إنما يستخرج من نصوصهم داعيان، هما:

أ ـ إيضاح تلاقي نصوص القرآن مع نصوص السُّنَّة على تلك المعاني، واتفاقهما في التشريع والأحكام والتوجيهات، فلا يمكن وقوع ما يتناقض به نص قرآني مع آخر نبوي؛ لأنهما من مشكاة واحدة، وكلاهما وحي رباني من حكيم خبير.

ب ـ لحظت في كثير من الوارد عن الصحابة في هذا النوع ملحظاً مهماً يكشف حكمة من تلك الحكم وداعٍ من تلكم الدواعي، فقد حدث صحابة النبي ﷺ بأحاديث عن بعض الغيوب من أحوال القيامة، والشفاعة، وأمور القدر، وأحاديث الوعيد لبعض الكبائر، وخروج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان من النار.

ولعل هذه الأحاديث الصحيحة المتلقاة عن رسول الله ﷺ ونَشَرَها أصحابُه، كانت تلاقي في عصرهم وزمانهم بعض الإنكار من أهل البدع والأهواء، أو الاستغراب ممن يستريب فيها، وكان ذلك لعدم إدراك معناها وكنه حقيقتها.

فاستدعى ذلك ـ وهم صدوق مصدقون ـ أن يعضدوا ما يروونه بما في كتاب الله، دحضاً للمنكرين ودفعاً للمستريبين في نصوص السُّنَّة المطهرة، ومن شواهد ذلك:

قال النعمان بن بشير حين روى حديث الطائفة المنصورة: **فمن قال إني أقول عن رسول الله ﷺ ما لم يقل فإن تصديق ذلك في كتاب الله**.

وقال ابن عباس حين سمع عقوبة مدمن الخمر والعاق والمنَّان: **فشق ذلك علي؛ لأن المؤمنين يصيبون ذنوباً حتى وجدت ذلك في كتاب الله**.

روى أبو سعيد الخدري حديثاً طويلاً وفيه: خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وقال: **فمن لم يصدق بهذا فليقرأ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وأنس بن مالك كان يحدث بحديث الشفاعة ويقول: **تصديق هذا في القرآن، ثم قرأ**: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

ثم ابن مسعود لما بث خبر يأجوج ومأجوج ضمن خبر طويل وقال: **فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله ﷻ**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦]، وهكذا في غير ما رواية.

٤ ـ هنا تبرز مسألة الصلة بين الآيات المعضدة للأحاديث، التي تورد تصديقاً وتأييداً، ما نوع هذا الارتباط والصلة بين الآية والأثر، أهي مطابقة لمعنى الحديث، أو شاهدة لبعض أجزاء الحديث وجوانبه، أو هي موضحة لما يطرأ على من إشكال أو عسر يعوق فهم النص النبوي، مزيلة لإيهامه؟

والجواب عن هذا ما يلي:

أ ـ من الآيات ما يوافق معنى الحديث الرئيس ويعزز مراده ويطابقه في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] هذا يعضد حديث: «**إن الله يقبل الصدقة، ويربيها كما يُربي أحدكم فلوه**».

لما أخبر ابن مسعود بحديث النبي ﷺ أن أكبر الذنوب الشرك، وقتل الولد، والزنا بحليلة الجار، جعل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨] مصداقاً لما في كلام النبي ﷺ.

ويلحظ هنا موافقته في اعتبار هذه الكبائر الثلاث أعظم الذنوب، وجاءت مجموعة في الحديث النبوي وهي كذلك في آية الفرقان.

وكأن ابن مسعود جعل اجتماع هذه الذنوب العظام في آية وما ترتب عليها من العقوبة والوعيد شاهداً للحديث الذي جعلها من أكبر الذنوب، وإن كان في معصية القتل والزنا مخصوصين بصورتين خاصة وهي: قتل الولد والزنا بحليلة الجار.

ب ـ أن تشهد الآية لجانب من جوانب الحديث أو جزءاً من أجزائه، وليس للقول النبوي جميعه.

مثال ذلك:

روى ابن مسعود ﷺ حديثاً طويلاً في أخبار الساعة وما يكون بين يديها، وفيه ذِكر يأجوج ومأجوج وإتيانهم من كل حدب ينسلون، فلا يمرون بماءٍ إلا شربوه، ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه.

قال: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦].

فأورد الآية مصدقة هذه الجزئية عينَها من أجزاء الخبر الطويل.

ومثله ما أتى عن أبي سعيد الخدري ﷺ لما حدث بأثر طويل ثم استشهد لإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان من النار، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠] فكأنه اعتبر الحسنة وهي الإيمان وإن كانت مثقال ذرة لا يظلم صاحبها وينجو بها من النار.

وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ ما أعده الله لأهل الجنة: . . . **«ولا خطر على قلب بشر»**، وهذه الجملة من الأثر النبوي جعل مصداقها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

ج ـ أحياناً يتبع الصحابي أو التابعي الآية المعضدة الحديث النبوي، يُتبعه بشرح وجه الصلة ونوع الارتباط بين الآية والحديث.

وهذا نهج مكينٍ يُغني عن أي اجتهاد في استخراج ما بين الآية المسوقة والحديث المُعضد من علاقة وربطٍ واتصالٍ، جعلت أحدها مصدقاً الآخر مؤيداً له.

مثال ذلك:

عضَّد يونس بن ميسرة حديث النبي ﷺ: **«كل امرئ مهيأ لما خلق له»** بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧، ٨] قال: أرأيت يا سعيد لو أن هؤلاء أهملوا كما يقول الأخابث أين كانوا يذهبون حيث حبب إليهم وزين لهم، أو حيث كره لهم وبغض إليهم؟

ومثال ثانٍ:

عضد محمد بن كعب القرظي كلام النبي ﷺ: **«ما توضأ عبد فأسبع وضوءه، ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى»**، بآية هي: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ١، ٢] قال: فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت الآية التي في سورة المائدة: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] فعرفت أن الله لم يتم النعمة عليه حتى غفر لهم. اهـ.

ويستتم الأمر في هذا بالقول:

إن اجتهاد الصحابي أو التابعي في الاستدلال بآية معضدة قولاً نبوياً ظاهرٌ ساطعٌ، وأُلاحظ ههنا أن وجه الآية المستشهد بها للحديث أحياناً ليس الوجه الظاهر والمعنى المتبادر، إنما هناك وجهٌ دقيق ومنزعٌ عميق من ما تتسع له الآية من معانٍ وما تكتنزه من دلالات متعددة يتضح للمفسر منها ما يُؤيد به معنى الآثر النبوي ويصدقه.

د ـ يمكن أن لا تعضد المعنى الرئيس في الحديث النبوي مباشرةً، إنما تعزز جانباً من جوانب موضوع الحديث وتكشفه.

لما سمع ابن عباس ﵄ بحديث النبي: **«لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاق، ولا منَّان»** بحث في الكتاب العزيز طويلاً ليستخلص ثلاث آيات لا تعود على الحديث بصورة مباشرة، إنما تبين عظم جرم هذه الذنوب، لتنال الوعيد الشديد، ففي مدمن الخمر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وفي العاق قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢]، وفي المنان قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فأنت ترى أن الآيات تظهر عظم قبح المعاصي الثلاث وهي العقوق وإدمان الخمر والمنة، من ما ترتب عليه في حديث النبي ﷺ أنه محروم من الجنة.

هـ ـ قد لا يوافق الصحابي أو التابعي على إيراد الآية القرآنية التي يراها تصدق معنى الخبر النبوي وتعزز معناه؛ لأن تأويل الآية متباين عن وجه الحديث غير ناهض ليكون معضداً مصدقاً له مع اختلاف التفسير.

مثال ذلك:

قول كعب الأحبار رضي الله عنه عن قول النبي ﷺ: «**لو اتبعني وآمن بي عشرة من اليهود لأسلم كل يهودي**»، قال كعب: اثنا عشر، تصديق ذلك في المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢].

فالحديث فيه ذكر عشرة من اليهود لو أسلموا لأسلم كل اليهود، وكعب يجعلهم اثنى عشر بمصداق ما في المائدة، هذا ليس بواضح ولا يظهر صوابه، والله أعلم.

قال بعضهم محاولاً توجيه قول كعب: «لعل المراد بذلك قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] فيعلم منه أنهم كانوا يعتمدون على شهادة هذا العدد، فلو شهد هذا العدد بحقية دينه لاعتمدوا عليه، والله تعالى أعلم». اهـ(١).

ومما هو موضع النظر والاستدراك، وليس بمُسلَّم لصاحبه، ما ورد عن محمد بن كعب من جعل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ١، ٢]. وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

---

(١) قاله السندي، كما نقله محققو مسند الإمام أحمد (١٥/ ٢٢٧).

وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، جعله مصداقاً لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ما توضأ عبد فأسبغ وضوءه، ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى**»، فاجتهاده وربطه بين النص القرآني والنص النبوي فيه نظر، ولا يبعد من تكلف، وقيل: لعله أراد ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وذلك بأمور منها: مغفرة الذنوب، ففيه إشارة إلى هذا[1]. والله أعلم.

و ـ حين يستغلق معنى الحديث على سامعه أو يبعد إدراك مقصوده يلجأ الراوي إلى آية قرآنية تفسر الأثر النبوي وتسهل فهمه وترفع ما خفي على متلقيه.

مثال ذلك:

حدث أبو هريرة بقول النبي ﷺ: «**إن الله يجزي المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة، وألفي ألف حسنة**» فلما سئل عن ذلك قال: أوليس تجدون هذا في كتاب الله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وفي رواية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

فمن يدري ما تلك الأضعاف؟ وفي رواية: فالكثيرة عند الله ألف ألف، وألفي ألف.

٥ ـ يدخل في هذا النوع من مرويات السلف، أن يحدثوا بحديث النبي ﷺ، ثم يقولون: اقرؤوا إن شئتم... كذا، أو يعقبون ذلك بذكر آية من القرآن، فهذا من ما يمكن إدراجه في مفردات هذا العلم، وإن كان أصرحها ما صُدّر به هذا الفن القرآني، من نحو قولهم: وتصديق ذلك في كتاب الله.

أو قولهم: فالتمسته في القرآن فوجدته في القرآن.

٦ ـ ظاهر أغلب المرويات عن الصحابة والتابعين وفي شيء من أحاديث النبي ﷺ المؤسسة هذا العلم أن الحديث الوارد عن المصطفى ﷺ مما يطلب

---

(١) أفادني بهذا فضيلة شيخنا الدكتور بدر البدر. حفظه الله.

تعضيده نوع مختص من الأحاديث، مما يكون السامع محتاجاً إلى تأكيد محتواه بآية قرآنية، ولا يكون ذلك إلا في قضايا عظيمة وموضوعات جليلة.

ولو تمعنت في آثارهم لوجدتها ذات علاقة بأمور الغيب، من مشاهد القيامة، وأخبار الجنة والنار والشفاعة، ومسائل القدر وبعض الخطايا المتوعد عليها، وشأن الساعة، وبعض عظائم الثواب وكريم الجزاء من الله تعالى.

وعليه، فليس كل حديث يسمعونه يبحثون عن ما يصدقه ويسانده، إنما ذلك على ضوء ما تقدم في أحاديث خاصة، وإن كان خبر النبي ﷺ وحده موجب للتسليم والقبول، إلا أن هذا مفيد في تقرير المعنى وتثبيت المقصود بتوارد نص القرآن والحديث عليه.

ويتبين من خلاله توافق الوحيين واعتضاد كل منهما بالآخر.

٧ ـ **ختاماً**: لم يفرد أحد من أهل علوم القرآن هذا العلم بنوع مستقل ضمن فنون القرآن ومعارفه، والله أعلم.

الفصل الخامس

علم مُلح التفسير ولطائفه

وفيه:

تقسيم ما ورد عنهم في هذا العلم إلى أنواع:

- أولاً : موضوع الأوائل.
- ثانياً: اللطائف المتعلقة بأعلام أو مفردات قرآنية.
- ثالثاً: بعض الملح اللفظية واللطائف البلاغية.

[علم مُلَح التفسير ولطائفه]

تقسيم ما ورد عنهم في هذا العلم إلى أنواع:

أولاً: موضوع الأوائل

مرويات الصحابة

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]. قال: أول من صلب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف: فرعون(١).

٢ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول نبي سأل الله الموت يوسف(٢).

قال ابن جريج: وأنا أقول في بعض القرآن من الأنبياء من قال: توفني(٣).

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في سورة المجادلة: «... وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٠/ ٣٦٣)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٦/ ٥٠١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٦٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ٤٣٣، ٤٣٤) [١٢٨٦٣].

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٦٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٤٨، ٤٤٩)، والبزار. انظر: كشف الأسرار (٢/ ١٩٨) [١٥١٣]، والطبراني في الكبير مطولاً (١١/ ٢٦٤، ٢٦٥) [١١٦٨٩]، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٠٥، ٦٠٦) [١٥٦٤٢]. قال في مجمع الزوائد: وفيه أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف (٤/ ٤٥٢).

مرويات التابعين

١ - عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] قال: الخراج، وأول من وضع الخراج موسى ﷺ، فجبى الخراج سبع سنين[١].

وبمعناه عن ابن عباس دون تصريح بالأولية[٢].

وقال سعيد بن جبير: فكان أول من قطّع من خلاف وأول من صلب في الأرض: فرعون[٣].

٢ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] ملكهم الخدم، قال: كانوا أول من مَلَك الخدم[٤].

٣ - عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨﴾ [الشعراء: ٧٨] قال: كان يقال: أول نعمة الله على عبده حين خَلَقَه[٥].

٤ - عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨] قال: بلغني أن فرعون أولُ من طبخ الآجُرَّ[٦].

وعن ابن جريج قال: أول من أمر بصبغة الآجُرَّ وبنى به فرعون[٧].

٥ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١١] دروع، وكان

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٣١، ٥٣٢)، وابن أبي حاتم بلا تصريح بالأولية (٤/ ٢٢١) [٩٢٣٨].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٦٠) [٨٨٥٢]، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، كما في الدر المنثور (٦/ ٦٤١).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٦/ ٥٠١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٨٣) [٦٩٤]، والطبري (٨/ ٢٨٠، ٢٨١)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٥/ ٢٤١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٣٣) [١٦٤٨٩].

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٧٦) [٢٢١٧]، والطبري (١٨/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤) [١٧٦٧٣]، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١١/ ٤٦٩).

(٧) ذكره الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٥٤، ٢٥٥)، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٤٦٩).

أوَّل من صبغها داود، إنما كان قبل ذلك صفائح(١).

٦ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر: ٣٦] كان أول من بنى بهذا الآجُرّ(٢) وطبخه(٣).

٧ ـ عن الحسن في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] قال: قاس إبليس، وهو أول من قاس، وفي رواية: أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس، وهو مروي عن ابن سيرين(٤).

٨ ـ قال محمد بن إسحاق ـ في قصة ابني آدم في سورة المائدة ـ فيما يذكره عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: كان ـ في ما يزعمون ـ أول قتيل من بني آدم، وأول ميت(٥).

ثانياً: اللطائف المتعلقة بأعلام أو مفردات قرآنية

مرويات الصحابة

١ ـ سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذي القرنين فقال: «... كان عبداً صالحاً، وأحب الله فأحبَّه، وناصح الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه فضربوه

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢٣)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٢/ ١٦٧).

(٢) هو: طبيخ الطين، الواحد بالهاء، وهو الذي يُبنى فيه، فارسي معرب، لسان العرب (١/ ٣٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧٦) [٢٢١٧]، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٢٥) وفي تاريخه (١/ ٤٠٥)، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٣/ ٤١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/ ٥٣٤) [٣٦٩٦٥]، والدارمي في سننه عن الحسن (١/ ٢٨٠) [١٩٦]، وعن ابن سيرين (١/ ٢٨٠) [١٩٥]، والطبري (١٠/ ٨٧)، وابن حزم في الإحكام بسنده عن ابن سيرين (٨/ ٣٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله بسندين عن الحسن (٢/ ٨٩٢) [١٦٧٤]، وابن سيرين (٢/ ٨٩٢) [١٦٧٥]، وحسَّن المحقق الأثرين.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٤)، وتصدير هذه الأولية بالزعم منصرفة إلى قوله: وأول ميت، أما كونه أول قتيل فثابت بالسُّنَّة وأن على قاتله وزر من قتل إلى يوم القيامة؛ لأنه أول من سن القتل.

ضربتين في رأسه فسمي ذا القرنين»[(١)].

٢ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بعث الله جبريل إلى إبراهيم فحج به حتى إذا أتى عرفة قال: قد عَرَفت، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك فلذلك سميت عرفة»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إنما سميت عرفات؛ لأنه قيل لإبراهيم حين أري المناسك: عرفت»[(٣)]؟

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إنما سميت عرفات؛ لأن جبريل كان يقول لإبراهيم: هذا موضع كذا، وهذا موضع كذا، فيقول: قد عرفتُ، قد عرفتُ، فلذلك سميت عرفات»[(٤)].

وعنه من طريق الكلبي عن أبي صالح: إنما سميت تروية، وعرفة؛ لأن إبراهيم عليه السلام أتاه الوحي في منامه أن يذبح ابنه، فرأى في نفسه أمن الله هذا أم من الشيطان؟ فأصبح صائماً، فلما كان ليلة عرفة أتاه الوحي، فعرف أنه الحق من ربه، فسميت عرفة[(٥)].

٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «نحن أعلم من حيث تسمت اليهود باليهودية من كلمة موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ولِمَ تسمَّت النصارى بالنصرانية من كلمة عيسى عليه السلام ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]»[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦/ ٥٦٩) [٣٢٥٧٧]، وابن عبد الحكم في فتوح مصر (١/ ٥٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٨٨٤) [١٣٥٣]، والطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧٠)، وابن الأنباري في الأضداد (٣٥٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٠٠، ١٠١).

(٢) رواه ابن خزيمة مطولاً (٤/ ٢٦٤) [٢٨٤٢]، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف مطولاً (٥/ ٩٦) [٩٠٩٩]، والطبري في تفسيره (٣/ ٥١٣، ٥١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٣١٢) [١٨٨٦]، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه الطيالسي في سنده (٤/ ٤١٤، ٤١٦) [٢٨٢٠]، وأحمد في المسند (٤/ ٤٣٦، ٤٣٨) [٢٧٠٧]، والطبري (٣/ ٥١٤)، والمحاملي في أماليه (٨٢، ٨٣) [٣٢]، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٦، ٣٢٧) [١٠٦٢٨]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦٤، ٤٦٥) [٤٠٧٧]، وابن عساكر في تاريخه (٦/ ٢٠٩).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦٦) [٤٠٧٩]، وفي فضائل الأوقات (ص١٠٦) [٢٤٥].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٩٧) [٩٠٧٩]، وعزاه السيوطي بنحوه وزيادة إلى أبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (١/ ٣٩٥).

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ سبب التسمية باليهود بمضمون أثر ابن مسعود[(١)].

وقال ابن عباس ﷺ: «إنما سميت النصارى نصارى؛ لأن قرية عيسى كانت تسمى ناصرة»[(٢)].

٤ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: إنما سمي إبليس؛ لأن الله أبلسه من الخير كله: آيسه منه[(٣)].

وقال كذلك: إنما سميت المرأة امرأة؛ لأنها خلقت من المرء، وسميت حواء؛ لأنها أم كل حي[(٤)].

٥ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: . . . ومن ثم سُمِّي آدم؛ لأنه أُخذ من أديم الأرض[(٥)].

٦ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: «إنما سُمُّوا الحواريين؛ لبياض ثيابهم، كانوا صيَّادين»[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٨٢)، عن عبد الله بن بُحيٍّ عن علي، وابن أبي حاتم. انظر: كنز العمال (١/ ٢٦٨) [٤٧٣٩].

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٣٥، ٣٦)، والطبري (٢/ ٣٤).

(٣) أخرجه الطبري بنحوه (١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم (١/ ٧١) [٣٦٣]، وابن الأنباري في الأضداد (ص٣٣٦)، وابن المنذر انظر: الدر المنثور (١/ ٢٧٠).

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (١/ ٥٩)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٨٨٤) [١٣٥٣]، والطبري (١٥/ ٣٧٠)، وابن الأنباري في الأضداد (ص٣٥٤)، وبنحوه عند أبي الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٩) [٩٦٢]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه، الدر المنثور (٩/ ٦٣٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥١١ ـ ٥١٣)، وفي تاريخه (١/ ٩٠، ٩١)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٢) [٣٧١]، وابن منده في التوحيد (١/ ٢١٠) [٥ ـ ٧٧]، والحاكم (٣/ ١٣٥، ١٣٦) [٣٤٨٨]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٥٧، ٢٥٨) [٨١٦] [٨١٧]، وابن عساكر في تاريخه بنحوه (٧/ ٣٨٠)، وأخرجه ابن سعد عن ابن مسعود. انظر: الطبقات الكبرى (١/ ١٠)، وابن عساكر في تاريخه (٧/ ٣٧٩، ٣٨٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٢١)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٢١٦) [٥١٤]، وابن أبي حاتم (٢/ ١٥٦) [٣٦١٨]، وصحَّح ابن حجر إسناد ابن أبي حاتم انظر: فتح الباري (٧/ ١٠٠)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٣/ ٥٩٣).

٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «البيت العتيق أعتق من الجبابرة»(١).

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة»(٢).

وروي عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ(٣).

٨ ـ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: «إنما سميت بكة؛ لأن الناس يجيئون إليها من كل جانبٍ حجاجاً»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنما سميت بكة؛ لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء»(٥).

مرويات التابعين

١ ـ عن أبي العالية قال: «إنما سمي ذو القرنين؛ لأنه قرن ما بين مطلع الشمس ومغربها»(٦).

وعن ابن شهاب الزهري نحوه، قال: «إنما سمي ذا القرنين أنه بلغ قرن الشمس من مغربها، وقرن الشمس من مطلعها»(٧).

وقال قتادة: «إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه كان له عقيصتان»(٨)(٩).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٤٨٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢) [١٩٢٥]، والطبري في تفسيره (١٦/ ٥٢٩)، والأزرقي في أخبار مكة (١/ ١٥٠، ١٥١) [١٣١]، والطبراني في الكبير (٢١/ ٢٢) [٢٨]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤/ ٢١٠).

(٣) وهو حديث ضعيف عند أهل العلم. انظر: تخريجه في السلسلة الضعيفة للألباني (٧/ ٢٠٥، ٢٠٦) [٣٢٢٢]، وضعيف الجامع الصغير (ص٢٩٨) [٢٠٥٩].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٣٨٨) [١٤٣٢٧]، والطبري (٥/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٩٩) [٣٨٨٠]، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٣/ ٦٧٢).

(٥) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٣٩١) [٣٥٣]، وضعَّف المحقق سنده.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٥٠) [٩٦٣]، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٩/ ٦٣٨).

(٧) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (١/ ٥٩).

(٨) قال في النهاية: العقيصة: الشَّعَر المعقوص، وهو نحوٌ من المضفور، وأصل العقص: الليُّ وإدخال أطراف الشعر في أصوله، (٣/ ٢٧٥).

(٩) أخرجه الشيرازي في الألقاب، كما في الدر المنثور (٩/ ٦٣٩).

وبمعناه وارد عن الحسن[(١)].

وعن وهب بن منبه أنه سُئل عن ذي القرنين فقال: «لم يُوحَ إليه، وكان مَلِكاً، قيل: فلم سُمِّي ذا القرنين؟ فقال: اختلف فيه أهل الكتاب، فقال بعضهم: مَلَكَ الروم وفارس، وقال بعضهم: إنه كان في رأسه شِبه القرنين»[(٢)].

وفي رواية عنه قال: «إنما سُمي ذا القرنين؛ أن صفحتي رأسه كانتا من نُحاس»[(٣)].

وهناك آثار حول هذه الأقوال[(٤)].

٢ ـ عن سعيد بن جبير: «أتدرون لِمَ سُمي آدم؟ لأنه خلق من أديم الأرض»[(٥)].

٣ ـ وقال كذلك: «. . . وإنما سمي إنساناً؛ لأنه نسي»[(٦)].

٤ ـ عن سعيد بن جبير: «إنما سُمُّوا الحواريين؛ لبياض ثيابهم»[(٧)].

٥ ـ عن سعيد بن جبير أنه سئل: لأي شيء سميت بكة؟ قال: لأنهم يتباكون فيها، قال: يعني يزدحمون، وبلفظ: لأن الرجال يتباكون فيها والنساء جميعاً[(٨)].

وبمثله عن مجاهد بزيادة: وإنه لا يحل فيها ما يحل في غيرها[(٩)].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٧/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧٠، ٣٧١)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٤) [٩٥٥]، وعزاه السيوطي لأحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٩/ ٦٣٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧١)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٥١) [٩٦٥].

(٤) انظر: الدر المنثور (٩/ ٦٣٢ ـ ٦٦٠).

(٣) انظر: الدر المنثور (٩/ ٦٣٢ ـ ٦٦٠).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٠)، والطبري في تفسيره (١/ ٥١٢)، وفي تاريخه (١/ ٩١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٣٨٧).

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٣٨٧).

(٧) أخرجه الطبري (٥/ ٤٤٢)، وابن أبي حاتم، لكنه من قول ابن عباس (٢/ ١٥٦) [٣٦١٨].

(٨) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١٠٧٠) [٥١١]، وحسن المحقق إسناده، وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٣٨٨) [١٤٣٢٨]، والطبري (٥/ ٥٩٦).

(٩) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩٥)، وسعيد بن منصور بنحوه (٣/ ١٠٧٣) [٥١٤]، وابن أبي شيبة (٨/ ٣٨٩) [١٤٣٣١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٤٥) [٤٠١٦]، وبنحوه عند الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٣٩٤) [٣٦٤].

وقال قتادة: سميت بكة؛ لأن الله بكَّ به الناس جميعاً، فيُصلي النساء قُدَّام الرجال، ولا يصلح ذلك ببلدٍ غيره[١].

وعن ابن جريج: «إنما سميت بكة؛ لتباك الناس بأقدامهم قدام الكعبة، ويقال: إنما سميت بكة؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة»[٢].

٦ ـ عن مجاهد قال: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه أُعتق من الجبابرة لم يدَّعه جبار قط»، وفي لفظ: «فليس في الأرض جبارٌ يدَّعي أنه له»[٣].

وعنه كذلك: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه لم يرده أحد بسوءٍ إلا هلك»[٤].

وقال سعيد بن جبير: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه أُعتق من الغرق في زمان نوح»[٥].

وقال الحسن: «سمي البيت العتيق؛ لأنه أول بيت وضع»[٦].

٧ ـ عن قتادة قال: «إنما سمّوا نصارى بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى ابن مريم، فهو اسمٌ تسمَّوا به، ولم يُؤمروا به»[٧].

وعن ابن جريج قال: «النصارى، إنما سُمُّوا نصارى، من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها: ناصرة»[٨].

٨ ـ عن عطاء قال: «إنما سميت عرفة؛ أن جبريل كان يُري إبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩٦)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٤٤) [٤٠١٥]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، الدر المنثور (٣/ ٦٧٣).

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٣٩١، ٣٩٢) [٣٥٥]، والفاكهي في أخبار مكة عن ابن إسحاق (٢/ ٢٨١، ٢٨٢) [١٥٢٧].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٧٨٩)، وعبد بن حميد كما في تغليق التعليق (٣/ ٨٦) [١٦٠٧٧]، والطبري بنحوه (١٦/ ٥٣٠)، وأخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٣٩٣) [٣٦٠]، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٤٨٠).

(٤) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٤٨٠).

(٥) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٤٨٠).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٤٨١).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٤).

(٨) أخرجه الطبري (٢/ ٣٣)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٣٢).

المناسك فيقول: عرفتُ، عرفتُ، فسُمِّي عرفاتٍ»(١).

ومثله عن أبي مجلز(٢).

وقال السدي: «... ثم انطلق حتى وقع بعرفات، فلما نظر إليها عرف النعت، قال: قد عرفتُ، فسمي عرفات»(٣).

٩ ـ قال الشعبي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] كانت بدر بئراً لرجل يقال له: بدر، فسميت به، وذكر الواقدي أنه ذكره لبعضهم فأنكراه وقالا: فلأي شيء سميت الصفراء؟ ولأي شيء سميت الحمراء؟ ولأي شيء سمي رابغ؟ هذا ليس بشيء، إنما هو اسم الموضع(٤).

١٠ ـ عن الشعبي وابن شبرمة عند قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨] «إنما سمي هوىً؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار»(٥).

١١ ـ عن السدي: «الإبلاس تغيير الوجوه، وإنما سمي إبليس؛ لأن الله نكَّس وجهه وغيره»(٦).

ثالثاً: بعض الملح اللفظية واللطائف البلاغية

مرويات الصحابة

١ ـ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]، لولا أنه قال: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لقتله بردها(٧).

---

(١) أخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث (١/ ١٩٠)، وابن أبي شيبة (٨/ ٣٩٠) [١٤٣٣٤]، والطبري (٣/ ٥١٤)، والفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٩) [٢٧٢٥]، وساقه ابن كثير بسند ابن المبارك. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٣٨٩) [١٤٣٣٣]، والفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٩) [٢٧٢٤].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٦٧، ٥٦٨].

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤)، وابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٠١) [٣٧٨١٢]، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧، ١٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٣٧) [٤١٣٢] [٤١٣٣].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم، الدر المنثور (١٠/ ١٨٠).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم، الدر المنثور (٦/ ٥٠).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦/ ٥٢٤) [٣٢٤٨٢]، وأحمد في الزهد (ص١٠١)، =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو لم يتبع بردها ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لمات إبراهيم من بردها»[١].

٢ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٧] لم يستطع أن يقول من فوقهم، علم أن الله من فوقهم».

وفي لفظ: «لأن الرحمة تنزل من فوقهم»[٢].

٣ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧] لو قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لغلبتكم عليه الترك والروم»[٣].

وبلفظ: «لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾»[٤].

وروي بألفاظ قريبة من هذا.

٤ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [الرحمٰن: ٥٤]: «قد أُخبرتم بالبطائن، فكيف لو أُخبرتم بالظواهر»[٥].

= وفي العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٢٢١) [٤٩٦٠] [٤٩٦١]، والطبري بنحوه (١٦/ ٣٠٧)، ونسبه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٣٠٩).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٠٦)، وفي تاريخه عن السدي عن ابن عباس (١/ ٢٤١، ٢٤٢)، ومثله عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٣١). ونسبه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠١)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧) [٦٦١]، وأورده ابن حجر في المطالب العالية منسوباً إلى إسحاق في مسنده (١٢/ ٥٦٨) [٣٠١١]، وضعَّف المحققون إسناده وقالوا: لكنه توبع بالأثر الذي أخرجه الطبري، ومعنى الأثر صحيح (١٢/ ٥٦٨، ٥٦٩)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٦/ ٣٣٩).

(٣) عزاه السيوطي بهذا اللفظ إلى ابن المنذر، الدر المنثور (٨/ ٥٥٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٧٠٠)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٣٨، ٤٣٩) [٣٩٩٦].

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ١٣٥ (١٥٦)، والطبري (٢٢/ ٢٣٤)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٨٥) [٣٨٢٥]، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في البعث والنشور (ص٢٠٠) [٣٠٩]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٧٣).

مرويات التابعين

١ - عن أبي العالية في قوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]، قال: السلام لا يؤذيه بردها؛ ولولا أنه قال: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لكان البرد أشد عليه من الحر[(١)].

٢ - عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]: ولو قال: أفئدة الناس تهوي إليهم، لحجت اليهود والنصارى والمجوس، ولكنه قال: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ فهم المسلمون[(٢)].

وعن مجاهد قال في قوله: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: لو كانت أفئدة الناس، لازدحمت عليه فارس والروم، ولكنه ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[(٣)].

٣ - عن سعيد بن جبير قال في: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤] قيل هذه البطائن من إستبرق، فما الظاهر؟ قال: هذا مما قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][(٤)].

ومثله عن أبي هريرة[(٥)].

٤ - عن عطاء بن يسار قال: «الحمد لله الذي قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥] ولم يقل: في صلاتهم»[(٦)].

٥ - عن الحسن قال: «إنما عاتب الله أولي الألباب؛ لأنه يُحبهم، ووجدت ذلك من آية من كتاب الله ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]»[(٧)].

٦ - عن عون بن عبد الله[(٨)] قال في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٠٩). (٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٩٨).

(٣) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص١٥٧) [٤٦٥: ٥: ٦]، وابن أبي شيبة (٨/ ٧٩٠) [١٦٠٨٣]، والطبري في تفسيره (١٣/ ٦٩٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٤٤). (٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٦٤) لكنه من رواية عطاء بن دينار، ونسبه في الدر المنثور إلى الطبري، لكن عن عطاء بن يسار (١٥/ ٦٨٨).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٨/ ٤٢٥).

(٨) هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي الزاهد، روى عن عبد الله بن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة وغيرهم، وثقه أحمد، والعجلي، والنسائي، وصفه الذهبي بالإمام القدوة العابد، توفي سنة بضع عشرة ومائة. =

أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] أخبره بالعفو قبل الذنب(١).

التأصيل

١ ـ يحسن في فاتحة هذا العلم أن يعرف المراد: بـ **ملح التفسير ولطائفه**.

فقد أورده ابن عقيلة تحت عنوان: «علم لطائف القرآن وأسراره ونكته وفوائده» وقال: «والمقصود في هذا النوع بيان سر التقديم والتأخير، والتعبير بالمجاز دون الحقيقة، وإظهار أسرار ذلك ونكته ولطائفه»(٢).

وجعله آخر بمسمى: مُلح القرآن، وعرفه بما يلي: «هي طرائف القرآن الكريم ونكاته ولطائفه البديعة»(٣).

ومنهم من جعله بمسمى «مُلح التفسير»(٤).

والذي يناسب في تسمية هذا العلم أن يُضاف إلى التفسير لا إلى القرآن فيقال: ملح التفسير ولطائفه؛ لأن إضافتها لعلم التفسير مُشعرٌ بمصدر هذه اللطائف وأنها من المفسر، وهي موطن نظر واجتهاد قابلة للتعقب والاستدراك، بينما لو أُضيفت للقرآن لأشعرت إلى حدٍ ما بقطعيتها والأمر أنها ليست كذلك، بل هي ـ في غالب أنواعها ـ من نتاج المفسر وصنعه وحسن نظره وتمعنه في الآيات جملاً ومفردات.

أما ضبط المراد بالعلم، فذلك مرده إلى جانبين، جانب في معنى الملحة أو اللطيفة في الحد اللغوي، وجانب في إضافة المفردة إلى علم التفسير، ومن هذين يتكون المقصود بالعلم، فالمُلح من الملاحة وهي الحُسن والبَهاء، فالملحة بالضم واحدة المُلح من الأحاديث، ويقال أيضاً: المُلْحَة والمُلَحَة، والكلمة المليحَة وهو الكلام الجيد الحسن(٥).

= انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٥٣) [٤٥٥٣]، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣)، تقريب التهذيب (ص٧٥٨) [٥٢٥٨].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨/ ٥٤٢) [٣٥٣٦٣] وكرره في [٣٦١٠٩].

(٢) الزيادة والإحسان (٦/ ٣٥٠).

(٣) معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي (ص٢٧٧).

(٤) مفاتيح التفسير، د. أحمد الخطيب (٢/ ٨٦٣).

(٥) الصحاح للجوهري (١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧)، ولسان العرب (٦/ ٤٢٥٥ ـ ٤٢٥٨).

واللطيفة مفردة اللطائف من كلمة لَطُفَ يَلْطُفُ بمعنى: صَغُر ودَقَّ.

واللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي(١).

وليس المراد خفاءه حتى لا يعلم، إنما المقصود دقة مأخذ المعنى ولطافة شأنه بحيث لا يدركه كل أحد.

وعند إضافة اللفظة إلى التفسير يصبح المقصود بهذا العلم القرآني:

«ما يذكر عند تفسير الآية من النكت الحسان، والدقائق البديعة، والفوائد الرشيقة».

إذا تبين هذا عُلِمَ أن هذا الفن من فنون القرآن ليس من صلب العلم التفسيري، وهذا تفريع عن تقسيم العلم إلى أقسام ثلاثة:

ما هو من صُلْب العلم، وما هو من مُلَح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صُلبه ولا مُلَحه(٢).

٢ ـ لا يختلف في أن السلف الأوائل من صحابة وتابعين كان جل عنايتهم في علم التفسير متجهةً إلى المعنى وبسط المقصود بالآيات فهماً وتأويلاً وما تحويه من هدايات ودلالات؛ فهذا صلب العلم ومقصد رئيس للتفسير، لكن هذا لا يعني أنهم أغفلوا جانب الملح التفسيرية ودقائقها ولطائف الآيات البيانية وأسرارها، بل أُثر عنهم شيء من ذلك، على وجه أقل وصورة أخف من توجههم واشتغالهم بمقاصد التفسير الكبرى.

ويؤخذ عنهم في هذا، أن لا يشتغل المفسر ومن عُني بالعلم وتصدى له بهذه الملح والدقائق بحيث تصرفه عن أغراض التفسير ومهماته الجليلة، فيقضي جهده وفكره في ما يسع فواته بالكلية أو فوات شيء منه إلى ما لا بد من دِراكه وتحصيله على وجه صحيح، من ما هو من غايات العلم ومطالبه الرئيسة.

٣ ـ يمكن إجمال أنواع الملح واللطائف التي برزت في آثار الصحابة والتابعين في ثلاثة موضوعات:

أ ـ موضوع الأوائل.

---

(١) لسان العرب (٥/ ٤٠٣٦، ٤٠٣٧).

(٢) الموافقات للشاطبي (١/ ١٠٧).

ب ـ تعليل مسميات الأعلام والمفردات القرآنية.
ج ـ شيء من النكات البلاغية والدقائق البيانية لآيات القرآن، وهذا على قلته في آثارهم شيءٌ ليس عليه إشكال.

إنما الذي يحتاج لدليل أو تعليل هو إدخال النوعين الأولين في علم ملح التفسير ولطائفه.

قلت: ويدل على هذا ما يأتي:

أولاً: أنهم يذكرونها في سياق تفسيرهم الآيات، وكل مُلحة أو نكتة تذكر عند الآية المختصة بها، فذكرهم لها في نصوص التفسير دالٌّ على أنها ذات صلة بالعلم، قويت هذه الصلة أم ضعفت، ولا موقع لها إلا في علم الملح والنكات واللطائف.

ثانياً: أن مادة النكتة والملحة التي تتولد منها اللطيفة التفسيرية من نبع القرآن فلا مناص من أن يُنسب إليه من العلوم ما تولد من مفرداته وتمخض عن النظر في جمله وتراكيبه.

ثالثاً: أن الملحة لا تؤثر في المعنى التفسيري، فلو نوزعت أو لم تصحح فإنها غير مؤثرة، ولا تشغب على المراد.

٤ ـ أُثرت في علم الملح واللطائف مروياتُ الصحابة والتابعين على حدٍّ سواء، وقد تختلف أقوالهم ويورد التابعي من النكت واللطائف غير ما يذكره الصحابي.

فمثلاً: في سبب تسمية الكعبة بالبيت العتيق، أو في تسمية النصارى بما سمّوا به، أو في تلقيب ذي القرنين بذلك اللقب، تعددت أقوالهم وتنوعت نصوصهم في ذلك.

وفي مقابل هذا يتفقون على ذكر اللطيفة أو النكتة، فقد اتفقت الملحة التي ذكروها عند قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، في أقوال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومثله في الوارد عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وأيضاً ذكره ابن عباس وسعيد بن جبير عند قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٢٤].

فقالوا: إن أول من قطع من خلاف وأول من صلب فرعون، وتقدمت شواهد طافحة بما اتفقوا عليه، وما تنوعت أقوالهم فيه.

٥ ـ لحظت في الوارد من الملح واللطائف في آثارهم تعدد مصادرها وتنوع وسائل إحرازها وطرق تحصيلها والظفر بها.

ففي موضوع الأولية أو تعليلات تسميات الأفراد والأعلام في القرآن كان جلياً اعتمادهم على ما دوَّنه التاريخ من سير أقوام قص القرآن خبرهم، أو أعلام ذكرهم، فيكون مصدر الملحة واللطيفة مأثوراً عن أهل الكتاب وربما صرحوا بذلك.

فقد قال وهب بن منبه في علة تسمية ذي القرنين بلقبه: اختلف فيه أهل الكتاب... ثم طفق يذكر الأقوال.

وأمثلة مصدر الملح واللطائف المختصة بالنوعين المذكورين عديدة منها:

ما ورد في سبب تسمية (عرفات) و(الحواريين) و(النصارى) والأوليات المذكورة عند قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ [سبأ: ١١]، ﴿إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ [المائدة: ٢٠]، ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨].

أما ما سوى ذلك فإن منبع الملحة والنكتة هي: اللفظة القرآنية، وجذورها اللغوية، وحسن تبصر في دلالات جمل القرآن وتراكيب مفرداته، ومن ثنايا ذلك تشع نفائس الدقائق البلاغية والأسرار البيانية، وهو ما استولى على جهد المتأخرين فحصروا فيه علم الملح التفسيرية واللطائف القرآنية.

وشواهد ذلك:

مأثور أقوالهم عند قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩].

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبرهيم: ٣٧].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣].

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: ٥].

ولا بد هنا من تقرير مسألة مهمة وهي أن توجه الطاقات وتوالي الهمم والاهتمام نحو أسرار القرآن البلاغية ودقائقه المليحة ونكاته السنية لم يكن في

ذِكره وتجليته على نحو غزيرٍ مكثرٍ، إنما هي شذرات وإشارات، ليس لأنهم عنها بمعزلٍ؛ لكن لأن هذا من طبائع قرائحهم الفصيحة وألسنتهم العربية الأصيلة، فإلمامهم بنكاته اللطيفة وتدفق مُلَحِه في نفوسهم وعلى صفحات قلوبهم أغنى عن كثرة القول وترداده، بينما حاجة من خلفهم، حاجة متنامية كلما بَعُد الناس عن معدن اللغة الصافي وخالط اللسان العربي من الشوائب ما عزز الاتجاه إلى الكتاب العزيز استخراجاً للطائفه، وإحياءً لدقائقه ونشرها.

٦ ـ من جملة ما مضى يتبين أن علم الملح واللطائف تدرج في مراحل منذ عهد الصحابة والتابعين، من موضوعات الأولية وتعليل مسميات الأعلام والألفاظ وشيء من نكت المعاني إلى ما أصبح عليه واقع الملح واللطائف التفسيرية مستفيضاً في ما يلي:

أ ـ لطائف المناسبات كما قال الرازي: لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط. اهـ[١].

ب ـ النكت البلاغية والملح البيانية وما في الألفاظ القرآنية وتراكيبها من المحاسن، وفي تعبير القرآن من الجمال الذي يأخذ الألباب ويغمر بسناه الأفئدة، ومن نظر في كتب التفاسير علم أن هذا موضع اشتغال أهل التفسير بصورة فائقة غيرها مما ينضوي تحت علم الملح والنكات، وهو ميدانٌ تبارى فيه أهل العلم وتنافس فيه العلماء؛ ليظهروا ما استجن من لطائف الكتاب، وما أوجز من كنوز دقائقه وبيانه، وإذا رأيت قولهم: لم قال كذا؟ أو لماذا أتى بلفظة كذا؟ أو لم التعبير بكذا[٢]؟

فاعلم أن تحت جواب هذا ملحة تفسيرية ولطيفة مودعة ثمَّت، ومعنى فائق اللطافة والحسن.

ج ـ طرائق القرآن وعاداته في ألفاظه وأساليبه من جوانب اللطائف التفسيرية، كما تقرر أن من عادة القرآن أن يُكنى عن الألفاظ التي لا يستحسن التصريح بها ويجافي بروعته وجلاله مرذول الألفاظ.

---

(١) التفسير الكبير (١٠/١١٣).

(٢) وقد ألف الرازي الحنفي كتاباً حافلاً سماه «غرائب آي التنزيل» أو «أسئلة القرآن» هو من هذا الباب.

ومثاله: استخدام اللمس والمس والمباشرة في الكناية عن الجماع، فهذا ما يعد من محاسن أساليب القرآن ومكنون لطائفه(١).

د ـ رابع ما هو من الملح واللطائف هو: نظرٌ في حروف كلمات القرآن، ثم تحصيل ما يلطف قوله ويستملح شأنه منها، إما من ناحية العدد، وإما من ناحية التركيب والوصف.

كقولهم: عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة، عدد أيام الشهر، وكلمة (هي) في السورة ذاتها تركيبها رقم (٢٧)، وحروف البسملة تسعة عشر حرفاً على عدد خزنة النار التسعة عشر.

ووصف ابن عطية ما سبق في آية القدر بأنه من ملح التفسير وليست من متين العلم(٢).

ومن الأمثلة أيضاً: ـ آيتان إذا عكست حروفهما استقامتا ولم يختلف لفظهما ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ [المدثر: ٣](٣).

ـ كلمة واحدة فيها عشرة أحرف كلها متصلة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

ـ ثلاث سور متواليات ليس فيها لفظ الجلالة (الله) وهي سورة القمر، الرحمٰن، الواقعة(٤).

ـ وما ذكره ابن الجوزي في فنون الأفنان خاتماً بها كتابه: فإن قيل: فأين معك تسع آيات أول كل آية «قال»؟

فالجواب: إنها في الشعراء أولها ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣].

وفي القرآن آيتان آخر كل آية شين ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ [قريش: ١].

فإن قيل: وأين معك آية تحتوي على حروف المعجم؟ فقل: هما آيتان

---

(١) نص ابن عاشور على سبيل المثال على أن هذا من لطائف القرآن. انظر: التحرير والتنوير (٢/ ٢٢٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٦٠، ٦١).

(٣) معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي (ص٢٧٧).

(٤) معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي (ص٢٧٧، ٢٧٨).

في آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ [آل عمران: ١٥٤] وفي الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩][(١)]، ومثله كثير.

وابن الجوزي لم يسمها ملحاً ولطائف لكنها لا تستحق من الوصف إلا أنها كذلك، والله أعلم.

وهذا النوع ليس موضع اشتغال عند الأوائل من الصحابة والتابعين، فلم تحمل المرويات عنهم شيئاً في ذلك.

٧ ـ ردد بعض جهابذة التفسير عند سوق ملح هذا العلم ولطائفه مقولاتٍ من نحو:

والنكت لا تتزاحم[(٢)].

ومثل هذه اللطائف كالزهرة تشم ولا تحك[(٣)].

وهذه الضوابط صحيحة بالنظر إلى أن ما يستخرج من النكت البلاغية ودقائق المعاني ولطائف الأقوال مردها النظر وحسن التأمل في الآيات، فلا مانع من توارد أكثر من نكتة وتعدد الملح وتنوع اللطائف عند آية واحدة، فكلٌ يُفتح عليه من الفهم وجليل الفوائد بقدره، فتتوالى النكت ولا تتضاد.

أما في أنواع من الملح والنكات المأثورة كموضوع الأولية، وتعليل بعض مسميات الأعلام والألفاظ القرآنية، فهذه الضوابط المذكورة لا محل لها هنا، بل تتزاحم في هذه الأنواع من الملح، وبعضها أولى من بعض وأوفق بالقبول، ولهذا اختلف الصحابة والتابعون في تعليل مسميات قرآنية وتنوعت عباراتهم.

وبعضها أرجح من بعض وأقوى، خذ مثلاً سبب تسمية البيت العتيق، أو عرفات، أو ذي القرنين، فالآراء متعددة، وليست كلها على قدم واحدة من الصحة والقوة.

وبعض المرويات جاء لها بعض التعقب والاستدراك، وهو دليل على أن من تلك الآثار ما هو موضعٌ للمناقشة والنقد.

---

(١) فنون الأفنان (٤٧٨ ـ ٤٨٠).
(٢) كما قاله الألوسي في تفسيره (١٠/١٥٢)، وابن عاشور (١/٢٩٣).
(٣) التحرير والتنوير (١٥/٢٩٣).

فلما قال ابن عباس إن يوسف ﷺ أول نبي سأل الله الموت، قال ابن جريج: وأنا أقول في بعض القرآن من الأنبياء من قال: «توفني»[١].

وقول ابن عباس له معنىً صُرِّح به في بعض الروايات: ما سأل نبي الوفاة غير يوسف.

ولذلك فهو أولٌ ووحيدٌ في هذا السؤال، وهو ما جعل ابن جريج يستدرك على ابن عباس قوله.

وفي تسمية «بدر» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣] قول للشعبي، أنكره عليه آخرون، ولم يأخذوا به كما تقدم من قول الواقدي.

[ملح التفسير ولطائفه عند أهل علوم القرآن]

تفرد ابن عقيلة المكي من بين مصنفي علوم القرآن بتخصيص الملح واللطائف بنوع مستقل ضمن فنون القرآن في كتابه: الزيادة والإحسان.

وسماه: علم لطائف القرآن وأسراره ونكته وفوائده[٢].

ولا يعني هذا أن جوانب الملح واللطائف قد صرفت عنها مصنفات علوم القرآن، إنما يقصد اختصاص العلم استقلالاً وذكره إفراداً له عن غيره، بينما روح هذا العلم وقطوف منه منثورة في كتاب البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي وغيرهما، ويؤكد هذا أن أفراد علم الملح ومسائله المتكاثرة تستمد من علوم البلاغة وصنوف البيان، وهو ما تبارت فيه المصنفات وعكفت عليه قامات العلماء استخراجاً وتأصيلاً وتدويناً.

وصدَّر ابن عقيلة هذا العلم بأن كتب التفاسير مشحونةٌ بذلك خصوصاً تفسير الإمام الرازي.

قال: «والمقصود في هذا النوع: بيان سر التقديم والتأخير والتعبير بالمجاز دون الحقيقة، وإظهار أسرار ذلك ونكته ولطائفه»[٣].

---

(١) هذا نص قول ابن جريج، ولم يتبين لي أين في القرآن من الأنبياء من قال «توفني»، والله أعلم.

(٢) الزيادة والإحسان (٦/ ٣٥٠).

(٣) الزيادة والأحسان (٦/ ٣٥٠).

قلت: وقصره على التقديم والتأخير والحقيقة والمجاز من باب التمثيل فحسب، وإلا فإن اللطائف لا تقتصر على هذين دون غيرهما، بل أنواعه كثيرةٌ بكثرة صنوف البلاغة وفنونها.

ثم ذكر ابن عقيلة كتاب الرازي الحنفي (أسئلة القرآن)، وأورد شيئاً من ما ضمنه كتابه، وأن لها مسمى آخر وهو: غرائب آي التنزيل، أو أُنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل[1].

وفحوى اللطائف المذكورة في هذا الفن عند ابن عقيلة هي من ضروب فصاحة القرآن وأسرار بلاغته في التقديم والتأخير، والتنكير وضده، ووجوه العطف، والمجاز والحقيقة، والتكرار إلى ما سوى ذلك.

وهي على هيئة: لم قال كذا ولم يقل كذا؟ أو ثم قال كذا؟ أو كيف قال كذا؟ وأشباه هذه الاستفهامات التي تلتمس بها وجوه النكات وطرائف الملح، وهي طريقٌ إلى إذكاء القرائح واستمطار غزير المعاني[2].

---

(١) الزيادة والإحسان (٦/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٢) الزيادة والإحسان (٦/ ٣٥١ ـ ٣٦٦).

الفصل السادس

علم تحزيب القرآن والمفصل

وفيه خمس مسائل:

- المسألة الأولى: تحزيب القرآن عند السلف.
- المسألة الثانية: تقسيم المفصل إلى قصار وأواسط وطوال.
- المسألة الثالثة: دارت آثار الصحابة والتابعين في ما يتعلق بحزب المفصل على موضوعات عدة.
- المسألة الرابعة: تقسيمات سور القرآن إلى السبع الطوال، المئين، المثاني، المفصل، وما جاء عنهم في تفسير هذه المفردات.
- المسألة الخامسة: ما هي السبع الطوال؟ وهل هي المثاني أم غيرها؟

[علم تحزيب القرآن والمفصل]

المسألة الأولى

تحزيب القرآن عند السلف

١ - عن أوس بن حذيفة الثقفي(١) قال: قدمنا وفد ثقيف... فلما أصبحنا سألنا أصحاب رسول الله ﷺ عن أحزاب القرآن، كيف يُحزبونه؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل(٢).

---

(١) هو أوس بن حذيفة بن ربيعة الثقفي، ويقال: أوس بن أبي أوس، قال خليفة بن خياط: واسم أبي أوس حذيفة، كان في الوفد الذي قدم على النبي ﷺ من بني مالك، وعداده في أهل الطائف، وله أحاديث، قال ابن معين: حديثه عن النبي في تحزيب القرآن حديث ليس بالقائم. اهـ.
انظر: الاستيعاب ٥٧ (٦٢)، أسد الغابة (١/ ٣١٦) [٢٩٨]، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٥) [٣١٤].

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢/ ٤٣٢، ٤٣٣) [١٢٠٤]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٣٥٦) [٢٨٧]، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٧١)، وفيه: وحزب المفصل ما بين قاف فأسفل، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٥١١، ٥١٢) [٨٦٧٢]، وأحمد في المسند (٢٦/ ٨٩) [١٦١٦٦] وفيه زيادة: وحزب المفصل من قاف حتى يختم، وابن ماجه في سننه (ص١٩٠، ١٩١) [١٣٤٥]، وأبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب: تحزيب القرآن (ص٢٠٨، ٢٠٩)، [١٣٩٣]، والطبري في تفسيره، وفي تهذيب الآثار (٢/ ٧٧١) [١١٠٧]، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٣٩٩) [١٣٧١]، والطبراني في الكبير (١٥/ ٤٢) [٨٧] بلفظ: وما بين (ق والقرآن المجيد) آخر المفصل حزب حسن، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٣٠٦)، والداني في البيان في عد آي القرآن (ص٣٠٠)، وفي آخره بلفظ: وحزب المفصل ما بين قاف وأسفل، والخطيب في الموضح (١/ ٣٢٨) بلفظ: وحزب المفصل من قاف، وأخرجه ابن الأثير في أسد الغابة من طريق أبي داود الطيالسي (١/ ٣١٧، ٣١٨) وحسَّن ابن كثير إسناد أبي داود وابن ماجه في فضائل القرآن (ص١٤٨)، وكذلك العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٢٢٥) [٨٧٥]، والحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/ ١٦٦)، وضعفه الألباني =

٢ ـ عن همام عن قتادة قال: أسباع القرآن: السبع الأول في النساء ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والثاني في الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

والثالث في الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩].

والرابع: خاتمة المؤمنين.

والخامس: خاتمة سبأ.

والسادس: خاتمة الحجرات.

والسابع: ما بقي من القرآن(١).

وبنحوه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مع اختلاف في تحديد الأسباع(٢)، وهو إلى تحديد السبع الرابع، وسقطت بقية الرواية.

٣ ـ تقسيم الحجاج بن يوسف في رواية أوردها ابن أبي داود في المصاحف لما جمع الحفاظ والقراء... وفيها:

قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف؟ يعني: ـ على عدد الحروف ـ قال: فإذا أول سبع في النساء ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥] في الدال.

والسبع الثاني في الأعراف: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ [التوبة: ١٧] في التاء.

والسبع الثالث في الرعد: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] في الألف آخر ﴿أُكُلُهَا﴾.

والسبع الرابع في الحج: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٦٧] في الألف.

= في ضعيف سنن أبي داود (ص١٠٥، ١٠٦) [١٣٩٣]، وفي ضعيف سنن ابن ماجه (ص١٠١، ١٠٢).

(١) انفرد بإخراجه ابن أبي داود في المصاحف (١/٤٦٦) [٣٥١] وحسَّن المحقق إسناده.

(٢) انفرد ابن أبي داود بإخراجه في المصاحف (١/٤٦٦، ٤٦٧) [٣٥٢]، والإسناد صحيح كما قال المحقق، فإن رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة من الأسانيد الصحيحة إلى قتادة.
وهناك تحزيب آخر أورده ابن أبي داود عن يحيى بن آدم وهو من الطبقة التاسعة من طبقات الرواة. انظر: المصاحف (١/٤٧٨).

والسبع الخامس في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٦] في الهاء.

والسبع السادس في الفتح: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] في الواو.

والسبع السابع: ما بقي من القرآن(١).

المسألة الثانية

تقسيم المفصل إلى قصار وأواسط وطوال

١ ـ جاء في بعض روايات حديث معاذ المشهور: ... وأمرني بسورتين من أوسط المفصل(٢).

٢ ـ عن الحسن قال: كتب عمر إلى أبي موسى أن اقرأ في المغرب بقصار المفصل، وفي العشاء بوسط المفصل، وفي الصبح بطوال المفصل(٣).

٣ ـ عن مروان قال: قال لي زيد بن ثابت: ما لك تقرأ في المغرب بقصار المفصل، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بطولى الطوليين(٤).

٤ ـ عن سليمان بن يسار قال: ... وكان أبو هريرة يقرأ في الأوليين من المغرب بقصار المفصل، وفي الأولين من العشاء بوسط المفصل، وفي الصبح بطوال المفصل(٥).

---

(١) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٤٦٧، ٤٦٨) [٣٥٣]، والسخاوي في جمال القراء بسنده (١/ ١٢٦). وذكره الزركشي في البرهان عن أبي محمد الحمّاني (١/ ٣١٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٣/ ٢١٧) [١٤٩٦٠]، وصحّح المحققون إسناده.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ١٠٤) [٢٦٧٢]، وابن أبي داود في المصاحف (٢/ ٥٥٦) [٥٠٩]، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦) [٣٦١٤، ٣٦٢٦، ٣٦٣١]، وعند الطحاوي مختصراً في شرح معاني الآثار (١/ ٢١٥) [١٢٨١]، وبنحوه في معرفة السنن للبيهقي (٢/ ٢٩١) [٢٧٥٧] و[٢٧٧٤]، وبنحوه عند الزيلعي في نصب الراية (٢/ ٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: القراءة في المغرب (ص١٢٤) [٧٦٤].

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٩٩) [٥٢٠]، وأحمد في مسنده (١٦/ ٥١٣) [١٠٨٨٢]، وابن ماجه في سننه مختصراً (ص١١٧) [٨٢٧]، والنسائي في الكبرى (١/ ١٧٠) [١٠٥٦]، وفي الصغرى (ص١٣٦) [٩٨٢]، والطحاوي مختصراً في شرح معاني الآثار (١/ ٢١٤) [١٢٧٩]، وابن حبان (٥/ ١٤٥) [١٨٣٧]، وصححه ابن حجر في بلوغ المرام (ص٧٨).

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان ليلة العيد أرسل الوليد بن عقبة إلى ابن مسعود وأبي مسعود وحذيفة وأبي موسى الأشعري فقال لهم: إن العيد غداً فكيف التكبير؟ فقال عبد الله: تقوم فتكبر أربع تكبيرات وتقرأ بفاتحة الكتاب وسورة من المفصل ليس من طوالها ولا من قصارها(١).

وأخرج ابن أبي شيبة أن ابن مسعود كان يوتر بثلاث يقرأ في كل ركعة منهن بثلاث سور من آخر المفصل في تأليف عبد الله(٢).

٦ ـ عن أبي سعيد قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فقرأ سورتين من أقصر سور المفصل.

قال ابن جريج: قرأ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] يومئذ(٣).

٧ ـ في مصنف ابن أبي شيبة مزيد من الآثار(٤).

المسألة الثالثة

دارت آثار الصحابة والتابعين في ما يتعلق بحزب المفصل على موضوعات عدة

١ ـ فضائل حزب المفصل.

٢ ـ هل في المفصل سجود؟

٣ ـ هل يبدأ في تعليم الصبيان بحزب المفصل؟

٤ ـ بعض الأحكام المتعلقة بحزب المفصل.

٥ ـ بعض مسميات حزب المفصل في نصوصهم.

٦ ـ مكان نزول حزب المفصل.

أما **فضائل حزب المفصل** فورد في أحاديث النبي ﷺ ما يوصف بـ **فضائل حزب المفصل**، ومنها:

١ ـ حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ وفيه: «... **وفُضِّلت**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢١٥، ٢١٦) [٥٧٥٤].

(٢) المصنف (٤/ ٥١١) [٦٩٤٧].

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٦٥) [٣٧٢١].

(٤) انظر: المصنف (٣/ ٢٢٢) [٣٥٨٢]، (٣/ ٢٣٧) [٣٦٣٧].

بالمفصل»[(١)]. وحديث أبي أُمامة[(٢)] وحديث معقل بن يسار[(٣)]، وحديث ابن مسعود موقوفاً بنحوه[(٤)].

ومن آثار الصحابة:

٢ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «...وإن لكل شيءٍ لُباباً، وإن لُباب القرآن المفصل»[(٥)].

وفي بعض الروايات عنه:

«السبع الطوال مثل التوراة... وسائر القرآن بعد فضل»[(٦)].

الموضوع الثاني: هل في المفصل سجود؟

الفرقة الأولى: ترى أن المفصل ليس فيه سجود:

آثارهم:

١ ـ عن عمر رضي الله عنه قال: ليس في المفصل سجود[(٧)].

٢ ـ عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: سألت أُبي بن كعب: في المفصل سجود؟ قال: لا[(٨)].

٣ ـ عن أبي الدرداء قال: سجدت مع النبي ﷺ إحدى عشرة سجدة ليس

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **نزول القرآن.**

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٥٨) [٨٠٠٣]، قال في المجمع: وفيه ليث بن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه وبقية رجاله رجال الصحيح (٧/ ٢٣٨).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٨٧، ٤٨٨) [٢٤٨٦].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٥٥٣) [٣٠٩٠٠]، والدارمي في مسنده (٤/ ٢١٤٠) [٣٤٤٣].

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٥٦١) [٣٠٩٢٥]، والدارمي في مسنده (٤/ ٢١٢٦) [٣٤٢٠]، وابن الضريس في فضائل القرآن (١٤٩) [١٧٩]، والطبراني في الكبير (٩/ ١٢٩) [٨٦٤٤]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٨٨) [٢٤٨٧].

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح (٧/ ٢٣٩). وقد أشار الألباني لرواية الدارمي وحسَّن إسنادها. انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ١٣٥).

(٦) رواه الدارمي (٤/ ٢٠١٤٠) [٣٤٤٣]، والطبراني بنحوه (١/ ٩٧).

(٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٩٠) [٤٢٥٣].

(٨) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٩١) [٤١٦١]، (٣/ ٣٩٢) [٤٢٦٣]، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٣/ ٢٣٥) [٤٤٠٠].

فيها من المفصل شيء[(١)].

٤ ـ عن ابن عباس ﵄ قال: ليس في المفصل سجدة[(٢)].

وعنه الأثر المشهور: أن رسول الله ﷺ لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول إلى المدينة[(٣)].

٥ ـ عن أنس والحسن أنهما قالا: ليس في المفصل سجدة[(٤)].

وروي عن عطاء مثله[(٥)].

٦ ـ عن سعيد بن جبير قال: ليس في المفصل سجود[(٦)].

ومثله عن طاوس[(٧)] ومجاهد[(٨)].

٧ ـ عن عكرمة قال: سجد النبي ﷺ في المفصل بمكة، يقول: ثم لم يسجد بعد[(٩)].

الفرقة الثانية: من ترى أن المفصل فيه سجود:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قرأ النجم فسجد بها وسجد من كان معه[(١٠)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: عدد سجود القرآن [١٠٥٦] (ص١٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١٧) [٣٨٠٨]، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص٨١، ٨٢) [١٩٨ ـ ١٠٦٥]، قال أبو داود: روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ إحدى عشرة سجدة، وإسناده واهٍ (ص٢١٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٤٣) [٥٩٠٠]، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٠) [٤٢٥٤]، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١٨) [٣٨١٠].

(٣) رواه أبو داود (ص٢١٠) [١٤٠٣]، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١٦) [٣٨٠٤]، وفي معرفة السنن والآثار (٣/ ٢٣٦) [٤٤٠٤]، وضعفه ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٦٣)، والألباني في ضعيف أبي داود (ص١٠٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٤٣) [٥٩٠٢].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٤٣) [٥٩٣].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٩٠) [٤٢٥٦].

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٩١) [٤٢٥٩].

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٢) [٤٢٦٢].

(٩) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٤٣، ٣٤٤) [٥٩٠٤] وهو مرسل.

(١٠) أخرجه البخاري، كتاب سجود القرآن، باب: ما جاء في سجود القرآن وسنتها (ص١٧٢) [١٠٦٧]، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة (١/ ٢٦٠) [٥٧٦].

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجد رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١] و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١][(١)].

وفي بعض ألفاظ الحديث: سجد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ ومن هو خيرٌ منهما[(٢)].

٣ - عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ثلاثة في المفصل وسورة الحج سجدتين[(٣)].

الموضوع الثالث: هل يبدأ في تعليم الصبيان بالمفصل؟

١ - عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سألني عمر: كم معك من القرآن؟ قلت: عشر سور، فقال لعبيد الله بن عمر: كم معك من القرآن؟ قال: سورة، قال عبد الله: فلم يأمرنا ولم ينهانا غير أنه قال: فإن كنتم متعلِّمين منه بشيء فعليكم بهذا المفصل؛ فإنه أحفظ[(٤)].

٢ - عن عاصم بن عمر رضي الله عنهما أن عمر كان لا يأمر بنيه بتعلم القرآن إن كان أحد منكم متعلِّماً فليتعلم من المفصل فإنه أيسر[(٥)].

٣ - عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم[(٦)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ المساجد ومواضع الصلاة ـ سجود التلاوة (١/ ٢٦١) [١٠٨، ١٠٩].

(٢) أخرجه النسائي في الصغرى، كتاب الصلاة، باب: السجود في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ (ص١٣٤) [٩٦٦]، [٩٦٧]، وفي الكبرى (١/ ١٧٠) [١٠٣٩]، [١٠٤٠]، وأبو يعلى (١٠/ ٤٣٤) [٦٠٤٧].

(٣) رواه ابن ماجه (ص١٤٨) [١٠٥٧]، وأبو داود (ص٢١٠) [١٤٠١]، والدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٠، ٢٧١) [١٥٢٠]، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٤) [٨٢٣]، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٣/ ٢٤٧) [٤٤٤٧]، وفي السنن الكبرى (٢/ ٤١٨، ٤١٩) [٣٨١١]، وفي شعب الإيمان (٢/ ٣٧٩) [٢١٠٨]، وضعَّفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص٨٢)، وضعيف سنن أبي داود (ص١٠٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٩٧) [٣٠٧١٩].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٨١) [٦٠٣٠].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن (ص٩٠٢) [٥٠٣٥].

٤ ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] في سور مثلها من المفصل(١).

الموضوع الرابع: بعض الأحكام المتعلقة بحزب المفصل:

١ ـ عن عبد الله قال: غدونا على عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ فقال رجل: قرأت المفصل البارحة، فقال: هذّاً كهذِّ الشعر؟ إنا قد سمعنا القرأة وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشر سورة من المفصل، وسورتين من آل حاميم(٢).

وجاء بلفظ: لقد تعلمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة، فقام عبد الله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن من الحواميم [حم الدخان، وعم يتساءلون](٣).

وفي رواية ثالثة: جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذّاً كهذِّ الشعر؟ لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين من آل حم في كل ركعة(٤).

قال علقمة: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن من الحواميم (حم الدخان) و(عم يتساءلون).

وجاء في بعض الروايات تعيين هذه السور العشرين: الرحمٰن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت ونون في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، ويا أيها المزمل ويا أيها

---

(١) تقدم تخريجه في علم: **المكي والمدني**، وهو مُخرَّج في البخاري وغيره، وهو عند النسائي في الكبرى بلفظ: «فما قدم حتى نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وسورة من المفصل» (٣/١٨٥٧) [١١٦٠٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ص٩٠٣)، ومسلم (١/٣٦٨) [٨٢٢].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ص٨٩٦) [٤٩٩٦]، ومسلم (١/٣٦٨) [٨٢٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (ص١٢٦) [٧٧٥]، ومسلم (١/٣٦٧، ٣٦٩) [٨٢٢].

المدثر في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، وهل أتى على الإنسان ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة(١).

٢ ـ سُئلت عائشة ﵂: أكان رسول الله يجمع بين السور في ركعة؟ قالت: المفصل(٢).

٣ ـ سُئل سعيد بن جبير عن الرجل يجمع بين السورتين في ركعة؟ قال: أما ما كان من المئين فاركع بكل سورة، وأما ما كان من المثاني والمفصل فاقرن إن شئت(٣).

٤ ـ عن إبراهيم النخعي: إني لأقرأ السور من المفصل في ركعة(٤).

الموضوع الخامس: بعض مسميات حزب المفصل في آثارهم:

١ ـ عن ابن عباس ﵄ قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم. يريد: المفصل(٥).

٢ ـ عن نافع قال: ذُكر عند ابن عمر ﵄ المفصل، فقال: وأيُ القرآن ليس بمفصل؟ ولكن قولوا: قصار السور وصِغار السور(٦).

---

(١) كما في رواية أبي داود في سننه (ص٢٠٩) [١٣٩٦]، والفريابي في فضائل القرآن (ص٢١٤) [١٢٤]، قال أبو داود: هذا تأليف ابن مسعود ﵁، وصححه الألباني دون سرد السور. انظر: ضعيف سنن أبي داود (ص١٠٧)، ولابن خزيمة رواية مسرود فيها أسماء هذه السور مع تقديم وتأخير (١/ ٢٧٠)، وأوردها محمد بن نصر في قيام الليل. انظر: مختصر قيام الليل (ص١٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٥٧) [٣٧٢٢]، والإمام أحمد في المسند (٤٢/ ٤٥٧) [٢٥٦٨٧]، وابن خزيمة (١/ ٢٩٨) [٥٣٩]، وبنحوه عند البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٩٨) [٢١٨٠]، وفي السنن الكبرى (٢/ ٨٠) [٢٥١٨]، وبلفظ قريب عند ابن حبان في صحيحه (٦/ ٢٦٩) [٢٥٢٠٧].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٥٥) [٣٧١٦].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٥٥) [٣٧١٢].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن (ص٩٠٢) [٥٠٣٥].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٩٧) [٣٠٧١٨]، وابن أبي داود في المصاحف (٢/ ٥٥٧) [٥١١] وصحح المحقق إسناده.

٣ ـ عن الحسن قال: ليس في العربي سجود(١).

٤ ـ قال خالد الحَذَّاء(٢): كانوا يسمُّون المفصَّل العربي(٣).

الموضوع السادس: مكان نزول حزب المفصل:

١ ـ عن ابن مسعود قال: أُنزل المفصل بمكة، فمكثنا حججاً نقرؤه لا ينزل غيره(٤).

وبلفظ: قرأنا المفصل بمكة حِججاً ليس فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٥).

۞ المسألة الرابعة ۞

تقسيمات سور القرآن إلى السبع الطوال، المئين، المثاني، المفصل، وما جاء عنهم في تفسير هذه المفردات

١ ـ جاء عن النبي ﷺ في عدة آثار أنه أُعطي السبع الطوال مكان التوراة، والمثاني مكان الإنجيل، والمئين مكان الزبور، وفُضِّل بالمفصل.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٩١) [٤٢٥٧].

(٢) هو: خالد بن مهران الحَذَّاء، أبو المُنازِل البصري، رأى أنس بن مالك،روى عن أبي العالية، وأبي قلابة، وعطاء، وعكرمة، وجماعات، روى عنه الحمادان، وسفيان الثوري، وابن المبارك، وشعبة، والأعمش، وصفه الذهبي بـ الإمام الحافظ الحجة،قال ابن حجر: ثقةٌ يرسل من الخامسة، توفي سنة (١٤١هـ)، وقيل: (١٤٢هـ).
انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٧٧) [١٦٥٥]، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٩٠) [٩٠]، تقريب التهذيب (٢٩٢) [١٦٩٠].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩٧).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٩٢) [١٢٦]، وضعَّفه المحقق، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٨٢) [٦٣٤٠]، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٣٩٧) [١٣٧٠]، وقوَّى المحقق إسناده، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خديج بن معاوية وثقه أحمد وغيره وضعفه جماعة (٧/ ٢٣٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥١٤) [٣٠٧٦٩]، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧١٧) [١٧٩٢]، والحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/ ٥٩٧) [٢٩٤٣]، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ١٣١)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (١/ ١٧٧).

في خبر واثلة بن الأسقع(١)، وأبي أُمامة(٢)، ومعقل بن يسار(٣).

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أخذ السبع الطوال فهو خير»**.

وفي بعض الروايات: **«فهو حبر»**(٤).

٣ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه: الطوال كالتوراة، والمئون كالإنجيل، والمثاني كالزبور، وسائر القرآن بعد فَضْلٌ على الكتب(٥).

۞ المسألة الخامسة ۞

ما هي السبع الطوال؟ وهل هي المثاني أم غيرها؟

١ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] قال: السبع الطوال(٦).

وعن ابن مسعود مثله(٧)، وابن عمر(٨)، والضحاك(٩).

٢ ـ جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إني قرأت المفصل البارحة في ركعة، فغضب وقال: إنما فُصِّل لتفصلوه(١٠).

---

(١) تقدم تخريجه مطولاً.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أبو عبيد في الفضائل (٢/ ٣٠) [٤١١]، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٦٦) [٦٩]، وضعَّف المحقق إسناده، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٣٣٢) [٨٥٧]، والإمام أحمد في المسند (٤٠/ ٥٠١) [٢٤٤٤٣]، والبزار في المسند. انظر: زوائد مسند البزار (٣/ ٩٥) [٢٣٤٧]، ومحمد بن نصر في قيام الليل. انظر: مختصر قيام الليل (ص١٧٠)، والفريابي في فضائل القرآن (ص١٧١، ١٧٢) [٦٥]، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٤٠٨) [١٣٧٨]، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٠) [٢١١٤] وصحَّحه، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٦٥) [٢٤١٥]، والخطيب في تاريخه (١١/ ٣٢٠)، والبغوي في شرح السُّنَّة (٤/ ٤٦٨) [١٢٠٣]، وقال عنه الألباني في صحيح الجامع: حسن (ص١٠٣٦) [٥٩٧٩].

(٥) رواه الطبري (١/ ٩٧).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه في الدر المنثور (٨/ ٦٤٨).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٠٧).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٠٧).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١١٢).

(١٠) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٥٩) [١٥٦]، وقال محققه: سنده صحيح على شرط =

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول(١).

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير قال في قوله تعالى: (السبع المثاني): البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس(٢).

وفي رواية: والأعراف والكهف(٣).

وفي أُخرى: هي السبع الطوال، ولم يُعطهن أحد إلا النبي ﷺ، وأُعطي موسى منهن اثنتين(٤).

وفي أخرى: أُوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطوال، وأُوتي موسى ستاً، فلما ألقى الألواح ذهب اثنتان وبقي أربع(٥).

ورواية أُخرى عنه من رواية سعيد بن جبير قال في ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾: السبع الطُّول، قلت: لم سميت المثاني؟ قال: يتردد فيهن الخبر والأمثال والعبر(٦).

= الشيخين، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٤٥، ٣٤٦) [٢٠٣٣]، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٤٨٤) [١٧٩٩]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٩٧) [٢١٧٩].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٣٠) [٤١٢]، وابن الضريس في في فضائل القرآن (ص١٥٠) [١٨٢]، والطبري (١٤/ ١٠٩)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٦٦) [٢٤١٧].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩٩) [٣٤٠٤]، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه أبو داود (ص٢١٧) [١٤٥٩]، والنسائي في الكبرى مختصراً (١/ ١٦١) [٩٨٩]، والطبري (١٤/ ١٠٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٤٦، ٢٤٧)، والحاكم (٣/ ٩٨، ٩٩) [٣٤٠٣]، وصحَّحه على شرط الشيخين، والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه (٢/ ٤٦٨) [٢٤٢٣]، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٥/ ٤٦٥، ٤٦٦)، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ: وأوتي موسى عليه السلام سبعاً (٢/ ٤٦٦) [٢٤١٦].

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١١٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٦٧) [٢٤٢٢]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٨/ ٦٥٠).

وفي رواية: ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ فاتحة الكتاب، والسبع الطول منهن[(١)].

وعن مجاهد في قوله: ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ هي السبع الطُّول الأول ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ سائره[(٢)].

٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المثاني: ما ثُنِّي من القرآن، ألم تسمع لقول الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣][(٣)].

٦ - عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾: السبع الطُّوال، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، فقيل لابن جبير: ما قوله: ﴿ٱلۡمَثَانِي﴾؟ قال: ثُني فيها القضاء والقصص.

وبلفظ: ثُني فيها الأحكام والفرائض[(٤)].

٧ - عن أبي العالية في قوله: ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾: فاتحة الكتاب سبع آيات، قال: وإنما سميت المثاني؛ لأنه يُثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها، قيل للربيع: إنهم يقولون: السبع الطُّول قال: لقد أُنزلت هذه الآية وما نزل من الطُّول شيء[(٥)].

وجاء في رواية مُوضحة عند الطبري أن الذي يقول: هي **السبع الطول** هو الضحاك بن مزاحم[(٦)].

٨ - عن سفيان في قوله: ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾: المثاني: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وبراءة، والأنفال سورة واحدة[(٧)].

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٨/ ٦٥٠).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧) [٢٤١٩]، وعند الطبري بنحوه (١٤/ ١١١). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وآدم بن أبي إياس، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٨/ ٦٥٠، ٦٥١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٢٠، ١٢١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد (١٤/ ١٠٩، ١١٠)، وأبو عبيد في فضائل القرآن بنحوه (٢/ ٣٠) [٤١٢]، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٦٦) [٢٤١٨].

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٦٧) [٢٤٢٠]، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (٨/ ٦٤٨).

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ١١٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٤).

التأصيل

١ ـ المقصود بتحزيب القرآن: تقسيمه إلى أوراد وتجزئته إلى أقسام.

وهو من الحزب الذي يعني: الوِرد، ووِرْد الرجل من القرآن والصلاة: حزبه، والحزب أيضاً ما يجعله الرجل على نفسه من قراءةٍ وصلاةٍ كالوِرْد[(١)].

واستخدام هذا المصطلح «تحزيب القرآن» لا إشكال فيه برغم أنه ورد في سنن أبي داود ما ظاهره كراهة لفظة «التحزيب» فعن ابن الهاد[(٢)] قال: سألني نافع بن جبير بن مطعم[(٣)] فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أُحَزِّبُه؟، فقال لي نافع: لا تقل ما أُحَزِّبُه؛ فإن رسول الله ﷺ قال: قرأت جزءاً من القرآن، قال: حسبت أنه ذكره عن المغيرة بن شعبة[(٤)].

وهذا اجتهاد خاص من نافع بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يقوى على مدافعة الأحاديث والآثار الوفيرة التي استخدمت لفظ التحزيب وأذاعته دون نكير، ومن هذه الآثار حديث أوس بن حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنه طرأ علي حزبٌ من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه»**، وهو حديث أوس المشهور عمدة الباب في موضوع تحزيب القرآن، والأثر حسَّنه جماعات من أهل العلم كالحافظ ابن حجر، والعراقي، وابن كثير وغيرهم.

---

(١) لسان العرب (٢/ ٨٥٣)، مادة: (حزب).

(٢) هو: يزيد بن عبد الله بن أُسامة ابن الهاد الليثي، أبو عبد الله المدني، وثقه ابن معين والنسائي، عداده في صغار التابعين، وصفه الذهبي بـ الإمام الحافظ الحجة، توفي سنة (١٣٩هـ).

انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٦٩، ١٧٠) [٧٠١١]، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٨٨).

(٣) هو نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي، روى عن أبيه ورافع بن خديج، وجرير بن عبد الله البجلي، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وجماعات من الصحابة، وثقه أبو زرعة والعجلي وغيرهما، وروى له الجماعة، قال ابن حبان: كان خيار الناس، توفي سنة (٩٩هـ).

انظر: الثقات ابن حبان (٥/ ٤٦٦، ٤٦٧)، تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٧٢) [٦٣٥٩]، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤١) [٢١٧].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (ص٢٠٨) [١٣٩٢]، قال الألباني: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال البخاري، وظاهره الإرسال. انظر: صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٨٥)، وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٤٦٥) [٣٥٠]، والسخاوي بسنده في جمال القراء (١/ ١٢٥).

وما ورد عن عائشة أنها قالت: إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على سريري[١].

وعن عبد الله بن عمر أنه كان يقرأ في المصحف، وقال: هذا حزبي الذي أُريد أن أقوم به الليلة[٢].

وعن عمرو بن حزم أن رجلاً استأذن على عمر بالهاجرة فحجبه طويلاً ثم أذن له، فقال: إني كنت نمت عن حزبي فكنت أقضيه[٣].

٢ ـ انبنت مسألة تحزيب القرآن عند السلف على حديث أوس بن حذيفة الثقفي حين قدموا على النبي ﷺ وسألوا الصحابة كيف يُحزبون القرآن؟

فمعتمد التحزيب هذا الحديث ولم أجد أثراً آخر صريحاً في تقرير أمر تحزيب القرآن إلا هذا، وهو أثرٌ صحَّحه جماعة من المحدثين النقَّاد كابن حجر، وابن كثير، والحافظ العراقي، وضعفه غيرهم كابن معين، والألباني[٤].

وهذا التحزيب مشهور بتحزيب السلف أو الصحابة للقرآن، وعلى ضوئه يكون تحزيب القرآن أسباعاً على النحو التالي:

١ ـ ثلاث سور: البقرة، وآل عمران، والنساء.

٢ ـ خمس سور: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

٣ ـ سبع سور: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.

٤ ـ تسع سور: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان.

٥ ـ إحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١/ ٣٤٠) [١٣٢٢]، والفريابي في فضائل القرآن (ص٢٣٠) [١٥٤]، وأبو عبيد في فضائل القرآن بلفظ: جزئي، أو قالت: سبعي (١/ ٣٥٨) [٢٩٤]، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ: جزئي (١٥/ ٥٢٦) [٣٠٨٠٨].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٥٠٤، ٥٠٥) [٨٦٤٧] [٨٦٤٨]، وبنحوه عند أبي عبيد في فضائل القرآن (١/ ٣٥٧) [٢٩٠].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٢٨) [٤٨١٧].

(٤) انظر: تضعيف ابن معين لحديث أوس بن حذيفة، أُسد الغابة (١/ ٣١٧).

٦ ـ ثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات.

٧ ـ حزب المفصل من ق إلى الناس.

ويبقى الخلاف في حزب المفصل ما أوله؟ على أقوال أشهرها ثلاثة(١):

ـ ق.

ـ الحجرات.

ـ القتال «محمد»(٢).

ومما يقوي أن أوله سورة (ق) أدلة عدة:

أ ـ جاء في بعض روايات أوس بن حذيفة التنصيص على أن أول المفصل (ق)، كما في رواية ابن سعد في الطبقات الكبرى، والإمام أحمد في المسند، والطبراني في الكبير، والداني في البيان، والخطيب في الموضح.

ب ـ أن تعداد السور الواردة في خبر أوس بن حذيفة من ثلاث سور وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة ثم حزب المفصل ما يقتضي أن أول المفصل (ق).

وهو بناءً على عدم احتساب سورة الفاتحة وذاك ملحظٌ نبَّه عليه الحافظ ابن حجر.

الذي قال: «ويستفاد من هذا الحديث ـ حديث أوس ـ أن الراجح في المفصل أنه من أول سورة (ق) إلى آخر القرآن، لكنه مبنيٌّ على أن الفاتحة لم تعد في الثلث الأول، فإنه يلزم من عدها أن يكون أول المفصل من الحجرات، وبه جزم جماعة من الأئمة». اهـ(٣).

ج ـ انتزع الطحاوي رحمه الله دليلاً على أنه من بداية (ق) بأثر ابن مسعود:

---

(١) أورد السيوطي في المراد بأول المفصل اثني عشر قولاً. الإتقان (٢/ ٤١٣).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣/ ١٩٩)، البرهان للزركشي (١/ ٣٠٨) فما بعدها، فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٩١، ٢٩٢).

(٣) فتح الباري (٨/ ٦٥٩)، وبذلك احتج ابن كثير على أن الحجرات هي أول المفصل. انظر: فضائل القرآن (ص١٤٧، ١٤٨).

«أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ المفصل بمكة»[١]، وصدر سورة الحجرات أُنزلت بالمدينة لما تنازع أبو بكر وعمر في سبب مشهور وبقية آيات السورة في حوادث واقعة بالمدينة.

فانتفى بذلك أن تكون الحجرات من المفصل بهذه الأسباب، وتعين أن الابتداء من (ق).[٢]

٣ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن تحزيب السلف هذا ما نصه:

«وهذا الحديث ـ حديث أوس بن حذيفة ـ يوافق معنى حديث عبد الله بن عمرو في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة، وفي أنهم حزبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر، فإنه قد علم أن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين، هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده.

... وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر، فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية، وتارة بالسور لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد فتعين التحزيب بالسور». اهـ[٣].

ثم أطال في تحسين تحزيب الصحابة بالسور على التحزيب المحدث الذي تم بعدهم من عدة وجوه.

ويستخلص من هذا فوائد:

الفائدة الأولى: أن تحزيبهم القرآن إلى سبعة أحزاب مقصده تعيين ما يقرأه المتعبد في كل يوم من الأوراد التي يلتزمها في صلاته وقراءته.

وأنت ترى شيخ الإسلام قد عضد خبر أوس بن حذيفة بما يرويه عبد الله بن عمرو أن المسنون عندهم قراءة القرآن وختمه في سبع ولذلك

---

(١) تقدم تخريج الأثر.
(٢) مشكل الآثار للطحاوي (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩).
(٣) فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٤٠٩).

جعلوا تحزيبه أسباعاً[١].

الفائدة الثانية: أن تحزيبهم كان بالسور، وما أُحدث بعدهم كان تحزيباً بالآيات والأحرف.

وجاء في أثر قتادة وما في معناه تحزيبه المصحف بالآيات والأحرف أسباعاً، مخالفاً لما عليه السلف من الصحابة وما استقر عليه الأمر من التحزيب الذي عليه المصحف الآن، وهو ما تشير الروايات إلى أن محدثه هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

ولا إشكال في أن ما كان عليه السلف من تحزيبهم المصحف بالسور على سبعة أجزاء هو الأحسن والأكمل.

ولكن هل يستدعي ذلك تغيير التحزيبات التي استقرت عليه المصاحف في هذه الأزمنة؟

الذي لا أمتري فيه أن إبقاء تحزيبات المصحف على ما هي عليه أولى مع اليقين بأن تحزيب السلف أحسن وأولى، وهو تحزيب معلوم لا يُجهل.

وانظر إلى تطاول الزمان ومضي القرون على هذا التحزيب، وتتابع أئمة في الدين والعلم ولم يبادروا إلى تغييره، أو يدعوا إليه، كل ذلك مع إشهار تحزيب السلف وبثه بين المسلمين وهو معروفٌ لم يُهجر ولم يُطوَ العلم به.

الفائدة الثالثة: جاء في مجموعة من آثارهم استحباب ابتداء تعليم الصبيان القرآن من المفصل، وتقوت هذه المرويات بأثر ابن عباس في الصحيح وغيره أنه لما مات ﷺ كان قد قرأ المفصل، وبأثر البراء بن عازب أنه ما قدم ﷺ المدينة حتى قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وسورٍ من المفصل، وجاء التعليل لاستحباب الابتداء بالمفصل بأنه أيسر، وهذا تعليل صحيح مناسب، فإن سور المفصل أقصر من غيرها، وفي انتهاء السورة وختمها ما يشحذ همة المتعلم لبقية القرآن، بخلاف ما لو ابتدأ في سورة طويلة فلربما طالت فترة تعلمه واستصعب ختمها وقطعه الفتور فانقطع عن التعلم.

---

(١) المراد بحديث عبد الله بن عمرو ما رواه البخاري وفيه: ... واقرأ في كل سبع ليال مرة. انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: في كم يقرأ القرآن (ص٩٠٤) [٥٠٥٢].

٤ ـ من المسائل التي يبحثها السلف في حزب المفصل مسألة: السجود في المفصل.

على قولين مشهورين وردت بها المرويات، وغلب على من لا يرى السجود فيه ضعف أسانيد مروياتهم، وهم محجوجون بما ثبت في الصحيحين وغيرهما من سجوده ﷺ في سورٍ من المفصل في مكة والمدينة.

ومن أثبت سجوده بمكة ونفاه بالمدينة فهو معارضٌ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث روى سجود المصطفى ﷺ في سورتي الانشقاق والعلق وهما من المفصل.

ومعلوم أن إسلام أبي هريرة كان متأخراً في عام خيبر، فثبت بهذا مشروعية السجود في المفصل، وصح أن الذاهب إلى ذلك أصح سنداً وأقوى أثراً[١].

وقال الإمام الطحاوي: «وقد تواترت الآثار أيضاً عن رسول الله ﷺ بسجوده في المفصل»[٢].

ثم قال: «فهذا أبو هريرة رضي الله عنه قد تواترت عنه الروايات أنه سجد مع رسول الله ﷺ أيضاً في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]»[٣].

٥ ـ جاء في أحد الآثار تحديد نزول حزب المفصل بنزوله في مكة، وهذا الأثر ـ إن صح ـ يُحمل على غالب سور المفصل، وإلا فإن من المفصل ما هو مدني بالإجماع كسورة المجادلة والحشر وغيرها.

وبهذا الأثر انتزع الطحاوي دليلاً على أن سورة (ق) هو أول حزب المفصل، وتقدم ذلك.

وصح في مروياتهم تقسيم حزب المفصل إلى قصار وأواسط وطوال تقسيماً ثلاثياً.

ولم تحدد المرويات مقدار كل قسم من هذه الثلاثة، إنما عينت بعض أمثلةٍ **للقصار والأواسط والطوال.**

---

(١) انظر ما قرره ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٦٤).

(٢) شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٧).

(٣) شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٨).

وهذا يثمر معرفة السُّنَّة النبوية في القراءة في الصلوات الجهرية، وقد مضت السُّنَّة بقراءة القصار في المغرب والأواسط في العشاء، وفي الفجر بطوال المفصل.

٦ ـ جاء عن ابن عمر قوله: وأيُ القرآن ليس بمفصل؟

ولعله أراد أن لا يُتناسى وصف القرآن جميعه بأنه مفصلٌ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هـود: ١]، ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

وليس إنكاراً منه تسمية الحزب الأخير من القرآن بالمفصل إنما أراد التنبيه على هذا المعنى، كيف والنصوص مصرحة بتسميته بالمفصل، واستفاض هذا وشاع بما لا يؤثر فيه إنكار منكر، والله أعلم.

٧ ـ ليس في نصوصهم التصريح بسبب تسميته بالمفصل سوى ما يمكن أن ينتزع من قول ابن مسعود: إنما فُصِّل لتفصّلوه، فهو يشير إلى كثرة الفصل بين سور هذا الحزب بالبسملة، وما ذاك إلا لكثرة سوره وقصرها مقارنة بغيرها من سور السبع الطول والمثاني والمئين.

٨ ـ اختصت سور المفصل ببعض الفضائل، وجاءت آثار الصحابة والتابعين تؤكد بعض موضوعات هذا الحزب الخاتم للقرآن.

وهذه الموضوعات هي:

أ ـ حملت آثارهم استحباب بدء تعليم الصبيان القرآن من المفصل؛ لأنه أيسر حفظاً والبداءة به حافزٌ على استكمال تعلمه وحفظه.

ب ـ اختلفوا في مشروعية السجود في المفصل، وكانت الآثار التي تقول بمشروعية السجود أصح إسناداً وأقوى آثاراً.

ج ـ امتازت سور المفصل بورود مروياتٍ تبين منزلتها، وتروي فضائلها على وجه الخصوص.

د ـ تعلق بحزب المفصل شيء مما له علاقة بالعمل في الصلاة والقراءة.

فقد سئلت عائشة ﵂ عن الجمع بين السورتين في ركعة أكان رسول الله ﷺ يفعله؟ فأجابت بوقوع ذلك في المفصل، وهذا بمفهومه يدل

على أن المئين والمثاني لا يُجمع بين السورتين فأكثر في ركعة، وهو ما صرحت به رواية عن سعيد بن جبير.

ووردت آثار عن ابن مسعود جاءه من يخبره بقراءة المفصل في ليلة، وهو ما أنكره ابن مسعود على فاعله، فإن المفصل إنما سمي بذلك لتفصلوه، وكأن قراءته كله في ليلة تجعل القارئ يهذّه هذَّ الشعر مما ينافي التمهل في قراءته والتمعن في آياته، وأورد صفاتٍ لبعض سور المفصل فوصفها بالنظائر، والقرناء أو القرائن.

قال بعض أهلم العلم: «النظائر: السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص لا المتماثلة في عدد الآي، قال المحب الطبري: كنت أظن أن المراد أنها متساوية في العد حتى اعتبرتها فلم أجد منها شيئاً متساوياً»[(١)].

وفسرها البغوي وابن الأثير بأنه أراد اشتباه بعضها ببعض في الطول[(٢)].

وقال العيني: «النظائر: جمع نظيرة، وهي السورة التي يشبه بعضها بعضاً في الطول والقصر، وقال صاحب «التلويح»[(٣)]: النظائر: المتماثلة في العدد، والمراد هنا المتقاربة لأن الدخان ستون آية، وعم يتساءلون أربعون آية...» ثم رد العيني من فسر النظائر بأنها المتماثلة في المعاني، فقال: «ولا دخل للتماثل في المعاني في هذا الموضع، وإنما المراد التقارب في المقدار...» ثم ساق رواية لحديث ابن مسعود ذكر فيه: الرحمٰن، والنجم من ضمن طوال السور النظائر، ثم قال العيني: «وهذا ينادي بأعلى صوته: أن المراد من النظائر السور المتقاربة في المقدار لا في المعاني؛ لأنه ذكر فيه الرحمٰن والنجم وهما متقاربتان في المقدار؛ لأن الرحمٰن ست وسبعون آية، والنجم ثنتان وستون آية وهي قريبة من سورة الرحمٰن في كونهما من النظائر، وكذا ذكر فيه الدخان، وعم يتساءلون فإنهما أيضاً متقاربتان في المقدار، فإن الدخان سبع أو تسع

---

(١) فتح الباري (٢/ ٣٠٣).

(٢) شرح السُّنَّة (٤/ ٢٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٨٧).

(٣) صاحب التلويح هو: مغلطاي بن قليج الحنفي، له شرح على الصحيح اسمه: «التلويح شرح الجامع الصحيح».

وخمسون آية، وعم يتساءلون أربعون أو إحدى وأربعون آية». اهـ[(١)].

قلت: النظائر: سورٌ من حزب المفصل وعددها عشرون سورة، كان ﷺ يقرأ في كل ركعتين بسورتين، فكل سورة هي نظيرة الأُخرى في قراءتها، ومن هذا المعنى تسميتها بالقرائن، أو القرناء فإن كل سورتين يُقرن بينهما في القراءة.

وهل النظائر تسمى كذلك لتناظرها في المعاني والمواعظ أم للتقارب في المقدار والعدد؟

قولان لأهل العلم، ولعل الأرجح التقارب في المقدار، ويعضد هذا المعنى بأنه جمع بين سورتي الرحمٰن وهي مدنية، والنجم وهي مكية، ومعلوم افتراق الموضوعات التي تأتي تقررها السور المكية وما تأتي من أجل تشريعه وتقريره السور المدنية.

وانظر إلى اقتران سورة (اقتربت) و(الحاقة) ثم تأمل موضوعات السورتين لتجد أن القول بأن النظائر تعني في: المعاني والمواعظ والقصص ليس بذاك، والله أعلم.

بقي في أثر ابن مسعود قوله في رواية: (عشرون من المفصل)، وفي رواية ثانية: (ثمانية عشر من المفصل وسورتين من آل حم)، والدخان ليس من المفصل فكيف عدَّها منه، والحواميم كذلك لا تعد من المفصل؟

والجواب:

أن هذا من باب التغليب، وفيه تجوز؛ لأن الدخان ليست من المفصل، ولذلك فَصَلها في بعض الروايات وأخرجها منها، فقال: (ثماني عشر سورة من المفصل وسورتين من آل حم)[(٢)].

وقال النووي جواباً عن هذا: «لا تعارض فيه؛ لأن مراده في الأُولى: معظم العشرين من المفصل»[(٣)].

---

(١) عمدة القاري للعيني (٦/ ٦٤، ٦٥).

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٠٣)، عمدة القاري للعيني (٦/ ٦٥).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/ ١٠٧).

وهناك استشكال آخر في رواية: (وسورتين من آل حم) مع أنه لم يذكر إلا سورة واحدة هي الدخان.

أجاب عن هذا ابن حجر فقال: «وعرف بهذا أن قوله في رواية واصل: (وسورتين من آل حم) مشكل؛ لأن الروايات لم تختلف أنه ليس في العشرين من الحواميم غير الدخان فيحمل على التغليب، أو فيه حذف كأنه قال: وسورتين إحداهما من آل حم»[(١)].

استدل بعضهم برواية: (ثمانية عشر من المفصل وسورتين من آل حم) على أن المفصل ما بعد آل حم[(٢)].

وهذا يعني أن هذه الرواية تضعف من يقول ببداءة حزب المفصل من سورة الدخان، والله أعلم.

وبعضهم استدل بقول علقمة: (عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود...).

على أن تأليف مصحف ابن مسعود على غير تأليف المصحف العثماني[(٣)].

وهكذا هي جملة من مصاحف الصحابة الخاصة مختلفة الترتيب للسور[(٤)].

ويُحمل هذا على أنهم اجتهدوا في ترتيب مصاحفهم الخاصة، وانحلَّ هذا بجمع عثمان الأُمة على المصحف الواحد مرتب السور، واستقر إجماعهم على هذا الترتيب وعلى المصحف في جميع شؤونه.

٩ ـ ظهر في آثار نبوية ومرويات عن الصحابة تقسيم آخر للقرآن لا علاقة له بتحزيب السلف المشهور، وتقدم أنها على سبعة أحزاب قصدوا منه تحديد أورادهم في الصلاة والقراءة كل ليلة بحيث يختمون القرآن كل سبع ليالٍ.

---

(١) فتح الباري (٢/ ٣٠٣).

(٢) منهم: القاضي عياض في شرح لصحيح مسلم (٣/ ١٩٨)، والنووي في المنهاج (٦/ ١٠٧).

(٣) فتح الباري (٨/ ٦٥٨).

(٤) أورد السيوطي في الإتقان ناقلاً عن ابن أشتة في المصاحف ترتيب مصحف أُبي وابن مسعود. انظر: الإتقان (٢/ ٤١٩).

وهذا التقسيم في معرض ما وهبه الله رسوله ﷺ من سور القرآن بحيث تعادل كل طائفة من السور كتب الله السابقين المنزلة على أنبيائه.

وجاءت في أربعة أقسام:

السبع الطوال، المئين، المثاني، المفصل.

فأما المفصل فمعروف لا يحتاج إلى بيان، إذ يُوافق الحزب السابع من تحزيب الصحابة للقرآن حيث جعلوا الحزب السابع: المفصل.

وبقي النظر في المراد بالسبع الطوال، والمئين، والمثاني، فأما السبع الطوال فاضطربت رواياتهم في تعيينها، على وجوه عدة، فطائفة منهم فسروا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] بأنها السبع الطول، مع ظهور قول آخر قوي يفسر الآية هذه بفاتحة الكتاب وهي سبع آيات.

وبناءً على تفسير الآية بالسبع الطول فإن هذا يعني أنهم يصِفُون السبع بوصفين: الطول، والمثاني، فهي طويلة وتُثنى كذلك بمعنى تتكرر فيها الأحكام والمواعظ والتشريعات.

ثم أوردوا أسماء هذه السور على وجه التفصيل فقالوا: هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، هذه السور الست تتفق عليها الآثار.

ثم يختلفون في سابع هذه السور على أقوال:

يونس، كما في رواية لابن عباس، وسعيد بن جبير.

الكهف، في رواية ثانية لابن عباس.

ظاهر رواية حديث ابن عباس لما سأل عثمان في الحديث المشهور المختلف في صحته ما يفيد أن السابع من هذه السبع: الأنفال وبراءة، وهي بمنزلة السورة الواحدة.

وعلَّل سعيد بن جبير تسميتها بالمثاني؛ لأنه يتردد فيها الخبر والأمثال والعبر.

وجاء تعليله هذا في سياق تفسيره آية ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ أنها السبع الطول وهو ما يشير إلى أنها في آثارهم تلك وصفت بوصفين بالطول والمثاني في آنٍ معاً.

مع أن ظاهر أحاديث واثلة بن الأسقع وأبي أُمامة وغيرهما تميز السبع الطول عن المثاني، فكل يختص بسورٍ متباينة عن السور الأُخرى.

أما المثاني ففسرها سفيان عند قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ بالبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وبراءة والأنفال سورة واحدة.

وظاهرٌ أنه أراد بيان قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ فهل تفسيره هذا تفسيرٌ للسبع الطول بوصفها مثاني كذلك، أم أراد تفسير المثاني كما فرَّق الحديث النبوي بين القسمين السبع الطول والمثاني؟ هما احتمالان.

وفي رواية لابن عباس: المثاني: ما ثُني من القرآن.

وجاءت رواية أبي العالية تبين أن تفسير السبع المثاني في آية الحجر بالسبع الطول تفسيرٌ مشتهرٌ عند التابعين وهو كذلك، فإن أبا العالية لما جعل معنى آية الحجر فاتحة الكتاب قال له الربيع: إنهم يقولون السبع الطول، فقوله: «يقولون» دليل على اشتهار هذا القول ومعرفة التابعين به، فردَّ أبو العالية على تفسير السبع المثاني بالسبع الطول بأن هذه الآية ـ آية الحجر ـ أُنزلت وما نزل من الطول شيءٌ، وقصده أن سورة الحجر ومنها هذه الآية نزلت بمكة، ولما تتنزل السور السبع الطول بعد، والتي غلب نزولها بالمدينة، وهذا احتجاج قوي وحجة مؤيدة لتفسير آية الحجر بفاتحة الكتاب.

والخلاف في الآية بين الصحابة والتابعين مشهور مسطر في دواوين التفسير.

وعلى كل فلم تشفِ آثارهم في تجلية المراد بالمئين والمثاني، إنما هي نُتفٌ من المرويات لا تصرح بحدود كل قسم ونصيبه من السور.

١٠ ـ ترتيب هذا التقسيم الرباعي لسور القرآن كالتالي: السبع الطول، ثم المئين، ثم المثاني، ثم المفصل[١]، وقد عرفت السبع وحزب المفصل.

وبقي المئون والمثاني بينهما لم تفصح مروياتهم عن معناهما، وظاهر

(١) في أثر ابن عباس لما سأل عثمان بن عفان في الخبر المشهور ما يفيد أن المئين هي التي تعقب السبع الطوال، وهو ما قرره علماء القرآن.

الألفاظ أن المئين: السور ذوات مئات الآيات، والمثاني ما هي أقل من ذلك، وتُثنى فيها المواعظ والقصص والأحكام، وبهذا يستوعب هذا التقسيم الرباعي القرآن كله.

تحزيب القرآن عند أهل علوم القرآن

قلة من أهل علوم القرآن من أفرد هذا العلم بنوع مستقل، ومنهم السخاوي في جمال القراء وسماه: **تجزئة القرآن**[(١)].

والزركشي في البرهان وسماه: **معرفة تقسيمه بحسب سوره، وترتيب السور والآيات وعددها**[(٢)].

أما السيوطي وابن عقيلة فأومآ إلى شيءٍ من موضوعاته ضمن علم جمع القرآن وترتيبه، ولم يفرداه بنوعٍ مستقل[(٣)].

وهذه الموضوعات التي أورداها هي:

تحديد السبع الطول، أن للمفصل طوالاً وأوساطاً وقصاراً، أثر ابن عمر في كراهية قول حزب المفصل، ترتيب مصحف أُبي وابن مسعود نقلاً عن ابن أشتة في كتابه «المصاحف».

أما مسألة تعيين حزب المفصل فقد حكى الزركشي، والسيوطي، وابن عقيلة اثني عشر قولاً في المراد بهذا الحزب[(٤)].

وكل هذه المؤلفات ذكرت حديث أوس بن حذيفة وهو معتمد تحزيب السلف للقرآن، ثم انفرد السخاوي بذكر أثر نافع بن جبير المتضمن كراهية لفظ: التحزيب، ولم يعلق عليه[(٥)].

وبحثوا معاني تقسيم القرآن إلى أربعة أقسام:

هي: السبع الطول، المئون، المثاني، المفصل، وسبقت الإشارة إلى هذا التقسيم في الآثار والأحاديث النبوية، وهو تقسيمٌ آخر خلاف التحزيب

---

(١) جمال القراء (١/ ١٢٤).
(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٠٧).
(٣) الإتقان (٢/ ٤١٢ ـ ٤١٩)، الزيادة والإحسان (٢/ ٢٨، ٢٩).
(٤) البرهان (١/ ٣٠٨)، الإتقان (٢/ ٤١٣)، الزيادة والإحسان (٢/ ٣٤).
(٥) المصادر السابقة.

المشهور، وبينوا معاني الطول والمئين والمثاني والمفصل، وسبب التسمية بهذه المصطلحات[١].

وفي تعيين المفصل صرَّح الزركشي بالترجيح بين الأقوال وصحَّح أن أوله عند أهل الأثر سورة (ق)[٢].

وهو قولٌ تمَّ تعضيده بثلاثة مرجحات سبق ذكرها.

ومن ثَمَّ أفاضت هذه المصنفات في بحث التحزيب الذي استقر عليه المصحف وهو ما أحدثه الحجاج بن يوسف، وذكرت تجزئة القرآن وأعشاره.

(١) جمال القراء (١/ ١٢٥).

(٢) البرهان (١/ ٣١١).

الفصل السابع

علم الاستنباط من القرآن الكريم

وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: هو علم عزيز، والناس يختلفون في تحصيله والتقاط جوهره، كلٌّ بحسبه.
- المسألة الثانية: الاستنباط من القرآن على وجوه.
- المسألة الثالثة: الاستنباط في القرآن على درجات من حيث قوته وضعفه أو قبوله ورده.

[علم الاستنباط من القرآن]

المسألة الأولى

هو علم عزيزٌ، والناس يختلفون في تحصيله والتقاط جواهره، كلٌّ بحسبه

١ ـ كان عمر بن الخطاب ﷺ يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غُصْ غوَّاص(١).

٢ ـ قال علي بن أبي طالب لما قيل له: هل عندكم شيء ما ليس في القرآن؟

وفي رواية ـ ما ليس عند الناس ـ؟ فقال: لا والذي خلق الحب وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه...(٢). وفي لفظ: إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن(٣).

٣ ـ عن ابن عباس لما سُئل عن صلاة الضحى: إنها لفي كتاب الله، ولا يغوص عليها إلا غوَّاص(٤).

٤ ـ عن ابن عباس ﷺ أن عمر كان يسأل المهاجرين عن هذه الآية ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ [النصر: ١] فيم نزلت؟ فقال بعضهم:

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٢٤٥) [١٩٤٠]، وأخرج نحوه الذهبي في السيرة (٣/ ٣٤٥، ٣٤٦).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب: العاقلة (ص١١٩٠) [٦٩٠٣].
(٣) كما في رواية البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير (ص٥٠٤) [٣٠٤٧].
(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٦٠) [٧٨٨٠]، ونسبه السيوطي إلى البيهقي في شعب الإيمان «ولم أجده». انظر: الدر المنثور (١١/ ٨٢).

أمر الله نبيه ﷺ إذا رأى الناس ودخولهم في الإسلام وتشددهم في الدين أن يحمد الله ويستغفره، قال عمر: ألا أعجبكم من ابن عباس، يا ابن عباس ما لك لا تتكلم؟ قال: علمه الله متى يموت، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: ١، ٢] فهي آيتك من الموت، قال: صدقت، والذي نفسي بيده ما علمتُ منها إلا الذي علمتَ(١).

وعند البخاري بلفظ: أن عمر بن الخطاب ﷺ سألهم عن قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا ابن عباس ما تقول؟ قلت: مثلٌ ضُرب لمحمد ﷺ، نُعيت إليه نفسه(٢).

وكذلك عند البخاري بلفظ: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتُم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليُريهم قال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ وذلك علامة أجله، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول(٣).

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٠٩١) [٧٠٤٠]، وعزاه السيوطي بنحوه إلى عبد بن حميد، وابن سعد. انظر: الدر المنثور (١٥/ ٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ (ص٨٩١) [٤٩٦٩].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ (ص٨٩١) [٤٩٧٠].

❁ المسألة الثانية ❁

الاستنباط من القرآن على وجوه

الوجه الأول: استنباط معانٍ تفسيرية دقيقة أو فوائد عميقة من الآية الكريمة:

مرويات الصحابة

١ ـ جاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] بكى، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: يا رسول الله أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا اكتمل فإنه لم يكمل قط شيء إلا نقص، قال: «صدقت»[(١)].

٢ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خيرٌ لها من الحياة، إن كان براً فقد قال الله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] وإن كان فاجراً فقد قال الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨][(٢)].

٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر فاستخلفه، والتي قالت: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، والعزيز حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩/ ١١٨، ١١٩) [٣٥٥٤٩]، وابن وضاح في البدع (ص١٣١) [١٨٧]، والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣٧٢) [٧٨٠] وحسن المحقق إسناده، والطبري (٨/ ٨١)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (١/ ١٤٣) [٤٩٥]، وابن أبي شيبة (١٩/ ١٧٥) [٣٥٧١٤]، والزهد لأبي داود (ص١٣١) [١٢٨]، والطبري (٦/ ٢٦٢ ـ ٣٢٦)، وابن المنذر في تفسير (٢/ ٩٠٥) [١٢١١]، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٠٦) [٤٦٠٣]، والطبراني في الكبير (٩/ ١٦٥) [٨٧٥٩]، والحاكم (٣/ ١٧) [٣٢٢٢]، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير يزيد بن أبي زياد، وهو حسن الحديث (١٠/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه ابن الجعد في مسنده (٢/ ٩٢١، ٩٢٢) [٢٦٤٩]، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٨٢، ٣٨٣) [١١١٣]، وقال محققه: «رجال السند كلهم ثقات»، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٠/ ٥٨٦) [٣٨٢١٣]، وابن سعد في الطبقات بنحوه (٣/ ٢٥٤)، والطبري (١٣/ ٦٤)، والخلال في السُّنَّة (٢/ ٢٦١، ٢٦٢) [٣٤٠]، وابن أبي حاتم (٥/ ٣٥٢) [١٢٢٩١]، =

٤ ـ عن علي رضي الله عنه أنه خطب فقال: عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كف يده عنهم كف يداً واحدة، وكفوا عنه أيدي كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم، حتى لربما غضب الرجل للرجل، وما يعرفه إلا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله، فتلا هذه الآية: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [النور: ٨٠] قال علي: والركن الشديد العشيرة، فلم تكن للوطٍ عشيرة، فوالله الذي لا إلـه إلا هو ما بعث الله نبياً قط إلا بثروة من قومه...[1].

٥ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن الحذر لا يرد القدر، وإن الدعاء يردُّ القدر، وذلك في كتاب الله ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ [يونس: ٩٨][2].

وعن ابن عباس نحوه بلفظ: إن الدعاء ليرد القضاء، وقد نزل من السماء اقرءوا إن شئتم: ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ فدَعَوْا، صُرف عنهم العذاب[3].

وروي نحوه عن أبي الدرداء[4].

٦ ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما استقصى كريم قط؛ لأن الله يقول: ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾ [التحريم: ٣][5].

٧ ـ سُئل أبو هريرة رضي الله عنه عن الصلاة الوسطى فقال: سأقرأ عليك القرآن حتى تعرفها، أليس يقول الله في كتابه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] الظهر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ المغرب، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ٥٨]

= والطبراني في الكبير (٩/ ١٨٥) [٨٨٢٩]، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٤/ ١٣٢٥) [٢٥٢٥]، والحاكم بنحوه (٣/ ٨٥، ٨٦) [٣٣٧٣]، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(١) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٨/ ١١٢)، وكنز العمال (١/ ٢٤٥) [٤٤٣٦].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٢٣١) [١١٤٣٣]، واللالكائي في شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٢/ ٦٦٥، ٦٦٦) [١٢١٢].

(٣) أخرجه ابن المنذر، وأبو الشيخ. انظر: الدر المنثور (٧/ ٧٠٨).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١١٢٨) [٥٤٧]، وضعف المحقق سنده، والطبري (٦/ ٣٢٧)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٠٩) [١٢١٠].

(٥) أخرجه ابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٥٧٩).

العتمة، ويقول: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] الصبح، ثم قال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] هي العصر هي العصر[١].

٨ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان تُبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله عز وجل ذمَّ قومه ولم يذمه[٢].

٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إياكم والرأي، فإن الله قال لنبيه: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] ولم يقل: ما رأيت[٣].

١٠ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥] قال: فكان الرجم مما أخفوا[٤].

١١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بعث الله نبياً إلا وهو شاب، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وقرأ ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣][٥].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه مطولاً (١/ ٥٣٧ ـ ٥٣٩) [٢٠٤٠]، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٧٥) [١٠٤٥].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٤٣) [٣٧٣٣]، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحَّحه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٤٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٣٣) [٥٩٦٤]، والهروي في ذم الكلام وأهله (٢/ ٢١٢، ٢١٣) [٢٧٥]، ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر (٤/ ٦٨٩).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٢٦٢)، والنسائي في الكبرى (١/ ٢/ ١١٠٦) [٧١٢٤]، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٧٦) [٤٤٣٠] وصححه المحقق، والحاكم في المستدرك (٥/ ٥١٤) [٨٠١٣٣]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/ ٩٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن الضريس، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٥/ ٢٣٧).
قال ابن رجب: وقد استنبط ابن عباس الرجم من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ وقال: ثم ذكر أثر ابن عباس.اهـ. فسماه استنباطاً، جامع العلوم والحكم (١/ ٣٣٨).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢١٦) [٦٤١٧]. قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وفيه قابوس بن أبي ظبيان، وثقه يحيى بن معين في رواية، وضعَّفه في أخرى، وقال =

١٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما عرفت صلاة الضحى إلا الآن، ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، وكنت أقول: أين صلاة الإشراق؟ ثم قال بعد: هُن صلاة الإشراق[١].

١٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما أمَّن الله من خلقه أحداً إلا محمد ﷺ، قال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وقال للملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩][٢].

١٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩] ألستم عرباً؟ وهل تكون النسخة إلا من كتاب[٣].

وعند الطبري: ألستم عرباً؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل[٤].

مرويات التابعين

١ ـ عن كعب الأحبار قال: إن تُبَّعاً نُعِتَ نَعْتَ الرجل الصالح، ذم الله قومه ولم يذمه[٥].

= ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وضعفه أحمد (١/ ١٦٦). وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٩/ ٥٠٥).

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، والطبراني في الكبير بنحوه (٢٤/ ٤٠٦) [٩٨٦]، والحاكم (٥/ ٧١) [٦٩٥٨]، وبنحوه عن عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٧٩) [٤٨٧٠] و[٤٨٧١]، وجاء في عدة روايات عن ابن عباس عند سعيد بن منصور، وابن مردويه، وعبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٥١٥ ـ ٥١٨).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ٩٦) [٢٧٠٥]، وضعفه المحقق، وقال ابن حجر في المطالب العالية: في إسناده نظر (١٥/ ٦٣٩)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد مطولاً، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير الحكم بن أبان وهو ثقة، وقال: رواه أبو يعلى باختصار كبير. اهـ. (٨/ ٣٢٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٩) [٣٧٤٥]، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في القضاء والقدر بنحوه (١/ ٢٣٣، ٢٣٤) [٣١].

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠٤، ١٠٥).

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٩، ٥٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٢/ ٣٤٩)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد (١٣/ ٢٧٩).

٢ - دخل يحيى بن يعمر على الحجاج فذكر الحسين، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي ﷺ، فقال يحيى: كذبت، قال: لتأتيني على ما قلت ببينة، فتلا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ [الأنعام: ٨٥] فأخبر تعالى أن عيسى من ذرية آدم بأمه، قال: صدقت.

وفي رواية: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب[(١)].

٣ - عن إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، وينبغي لمن لم يشفق أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦][(٢)].

٤ - عن أبي مجلز: لا ينبغي لأحد أن يُلقن ابنه الشر، فإن بني يعقوب لم يدروا أن الذئب يأكل الناس، حتى قال لهم أبوهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣][(٣)].

٥ - عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٩٤] قال: قد كره الصالحون الفُرقة قبلكم[(٤)].

٦ - عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٣٠، ٣١] يقول: لا تخالفوا علي ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ قال: وكذلك كانت الأنبياء تكتب جُملاً، لا يُطنبون ولا يُكثرون[(٥)].

---

(١) أخرجه الحاكم مطولاً (٤/ ١٥٣) [٤٨٢٥]، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٩، ٢٧٠) [١٢١٥٠]، وبنحوه عند ابن أبي حاتم (٣/ ٣٨٤، ٣٨٥) [٧٥٨٦]، ونسبه السيوطي إلى أبي الشيخ كذلك في الدر المنثور (٦/ ١٢١، ١٢٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٢/ ٢٩٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥١٧) [٩٠٠].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٣٤٤) [١٢٢٢٨].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٢٣٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٦٨) [٢١٥٦]، والطبري (١٨/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ١٢٠) [١٧٠٧٠]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١١/ ٣٥٩).

٧ ـ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] افتتح أول الخلق بالحمد، وختم بالحمد، فتح بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختم بقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥](١).

٨ ـ عن محمد بن كعب القرظي قال: ثلاث من فعلهن لم ينجُ حتى ينزِل به، من مَكر أو بَغى أو نَكث، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، و﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠](٢).

٩ ـ عن أبي المليح(٣) قال: يعيبون علينا الكتاب، وقد قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ [طه: ٥٢](٤).

وعن قتادة أنهم ذكروا الكتاب وسألوه عن ذلك فقال: وما بأسٌ بذلك، أليس الله الخبير يُخبر: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ [طه: ٥١، ٥٢](٥).

وبلفظ: وما يمنعك أحد أن تكتب وقد أنباك اللطيف الخبير أنه كتب،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٤) [٢٦٥٠]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٧/ ٧٣٥، ٧٣٦).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٢/ ٣٠٨، ٣٠٩).

(٣) هو أبو المليح بن أسامة الهذلي، قيل: اسمه عامر، وقيل: زيد بن أُسامة بن عمير، وقال الدارقطني: أبو المليح بن أسامة بن عمير بن عامر، روى عن أنس بن مالك، وبريدة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم، روى له الجماعة، وثقه أبو زُرعة وابن حبان، ذكره في «الثقات»، قال ابن حجر: ثقة من الثالثة، توفي سنة (٩٨هـ)، وقيل: (١٠٨هـ).

انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٣١٦ ـ ٣١٨) [٧٦٤٨]، تقريب التهذيب (١٢١٠) [٨٤٥٦].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٤٦٣) [٢٦٩٦٦]، والدارمي في سننه (١/ ٤٣١) [٥٠٦]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣١٢) [٤٠٧]، والخطيب في تقييد العلم (ص١١٠) وفيه: أبو المليح عن أيوب، وباقي المصادر عن أيوب عن أبي المليح، وفي ترجمة أبي المليح كان أيوب معدوداً على رأس الرواة عنه، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٢١٣).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٩/ ٢٢٩)، والخطيب في تقييد العلم (ص١٠٣).

وقرأ: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢][١].

١٠ ـ عن الحسن: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧﴾ [المؤمنون: ٥٧] إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال في المنافق: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨][٢].

١١ ـ جاء أنه لما توفي سعيد بن أبي الحسن[٣]، وجد عليه الحسن وجْداً شديداً، فكُلم في ذلك فقال: ما سمعت الله عاب على يعقوب الحزن[٤].

١٢ ـ جاء عن عكرمة في خبر طويل وفيه: . . . ثم قرأ ابن عباس ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥] قال: أليمٌ: وجيعٌ، قال ابن عباس: فأرى الذين نهوا قد نَجَوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء نتركها ولا نقول فيها، قال عكرمة قلت: إي جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾؟ [الأعراف: ١٦٤] قال: فأمر بي فكُسيت ثوبين غليظين[٥].

وفي رواية عند الطبري وغيره: قال ابن عباس: فما أدرى أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ أم لا؟ قال عكرمة: فما زلت أُبَصِّره حتى عرف أنهم

(١) كما ذكره السيوطي معزواً إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، في الدر المنثور (١٠/ ٢١٣).
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٣٥٠) [٩٨٥]، والطبري (١٧/ ٦٨)، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٥٩٩).
(٣) هو: سعيد بن أبي الحسن واسمه يسار، الأنصاري مولاهم البصري، أخو الحسن البصري، روى عن بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وابن عباس، ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة، وثقه أبو زُرعة، والنسائي، وقال ابن حجر: ثقة من الثالثة، مات سنة (١٠٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٣٨٥) [٢٢٢٥]، تقريب التهذيب (ص٣٧٥) [٢٢٩٧].
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨/ ٣٩٢، ٣٩٣) [٣٥٠١٥]، والإمام أحمد في العلل (٢/ ٣٩٢) [٢٧٥٠].
(٥) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٢٦) [٩٥٣]، والطبري (١٠/ ٥١٥، ٥١٦).

قد نَجوا، فكساني حُلة[١].

١٣ ـ عن الشعبي قال: من قتل رجلين فهو جبَّار، وتلا قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩][٢].

١٤ ـ عن عكرمة قال: من قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥][٣].

وفي بعض المصادر نسبة الأثر إلى ابن عباس من طريق عكرمة[٤].

١٥ ـ عن الشعبي قال: فُقَرَات[٥] ابن آدم ثلاثة: يوم وُلد، ويوم يموت، ويوم يُبعث، وهي التي ذكر عيسى في قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٣][٦].

١٦ ـ عن سليمان بن حبيب المحاربي[٧]: من وجد للذكرى في قلبه موقعاً فليعلم أنه مؤمن قال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥][٨].

١٧ ـ عن عطاء الخراساني قال: طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها

---

(١) أخرجه ابن سعد مختصراً في الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٣)، والطبري (١٠/ ٥١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٨٢، ٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٢٥٣) [٢٨٣٣٧]، والطبري في تفسيره (١٨/ ١٩٧)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وسعيد بن منصور، الدر المنثور (٩/ ٧٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٤٦) [٣٠٥٧٨]، الطبري في التفسير (٢٤/ ٥١٧).

(٤) عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٢) [٤٤٠٦]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٥٦) [٢٧٠٦].

(٥) جمع فُقْرة بالضم وهي الأمور العظام، ومنه حديث الشعبي فُقرات ابن آدم ثلاثاً، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٦٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٦٩).

(٧) هو: سليمان بن حبيب المحاربي أبو أيوب، ويقال: أبو بكر الدمشقي الداراني القاضي، قاضي دمشق لعدد من الخلفاء، روى عن بعض الصحابة؛ كأبي أُمامة، وأنس بن مالك، وثقه يحيى بن معين والعجلي والنسائي، روى له البخاري وأبو داود وابن ماجه.
قال ابن حجر: ثقة من الثالثة، مات سنة ست وعشرين ومائة، تهذيب الكمال (١١/ ٣٨٢، ٣٨٤) [٢٥٠١]، تقريب التهذيب (٤٠٦) [٢٥٥٩].

(٨) أخرجه ابن المنذر انظر: الدر المنثور (١٣/ ٦٨٨).

عند الشيوخ، ألم تر إلى قول يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقال يعقوب عليه السلام: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨][(١)].

وعنه كذلك: ما استقصى حليم قط، ألم تسمع إلى قوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣][(٢)].

الوجه الثاني: استنباط أحكام فقهية:

مرويات الصحابة

١ ـ روى أبو الأسود الدؤلي قال: رُفع إلى عمر رضي الله عنه امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر أن يرجمها فجاءت أختها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت: إن عمر يرجم أختي، فأنشدك الله إن كنت تعلم أن لها عذراً لما أخبرتني به، فقال علي: إن لها عذراً، فكبرت تكبيرة سمعها عمر ومن عنده، فأرسل عمر إلى علي: ما عذرها؟ قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَالُهُۥ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، فالحمل ستة أشهر، والفصل أربعة وعشرون شهراً، قال: فخلّى عمر سبيلها، قال: ثم إنها ولدت بعد ذلك لستة أشهر[(٣)].

ووردت القصة بين عثمان وعلي في رواية بلفظ: أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَالُهُۥ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فكم تجده بقي إلا ستة أشهر؟ فقال عثمان: والله ما تفطنتُ لهذا[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ٤٢٥) [١٢٧٩٩]، وابن عدي في الكامل (٧/ ٦٩).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٢٦) [٨٣٦١].

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف وهذا لفظه (٧/ ٣٥٠، ٣٥١) [١٣٤٤٤]، وابن قتيبة مختصراً في تأويل مختلف الحديث (ص٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٧٦) [٢٣٠٣]، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٠) [١٧٤٦]، ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٧٠٠) [١٥٩٦٥]، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٣٢٣).

(٤) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٣/ ٣٢٣)، وبنحوه عند البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٠٠) [١٥٩٦٧].

وهذه القصة بما فيها من استنباط وردت كذلك عن ابن عباس مع عمر في رواية(١).

ومع عثمان في رواية أُخرى(٢).

٢ ـ عن علي رضي الله عنه قال: إن كنت مستتيباً المرتد ثلاثاً.

وفي رواية: يستتاب المرتد ثلاثاً، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ [النساء: ١٣٧](٣).

وبنحوه عن فضالة بن عبيد(٤).

٣ ـ جاء أن ابن مسعود رضي الله عنه سئل: أكان رسول الله ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ فقال: أوما تقرأ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١](٥).

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال: أبدأ بالصفا قبل المروة أو أبدأ بالمروة أو أصلي قبل أن أطوف أو أطوف قبل أن أصلي؟ أو أذبح قبل أن أحلق أو أحلق قبل أن أذبح؟ فقال ابن عباس: خذ ذلك من قِبَل القرآن فإنه أجدر أن يحفظ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فالصفا قبل المروة، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦] فبدأ بالذبح قبل الحلق، وقال: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧/ ٣٥٢) [١٣٤٤٩] وسعيد بن منصور في سننه تحقيق الأعظمي (٢/ ٦٦) [٢٠٧٤]، من رواية الحسن عن عمر، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٢٤/ ٧٤) [٣٥٤٤٧]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه تحقيق الأعظمي (٢/ ٦٦) [٢٠٧٥]، والطبري في تفسيره (٤/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٣٧٦) [٢٣٠٤]، وابن منده في التوحيد (١/ ٢٤٧) [٤ ـ ١٠٣]، ونسبه السيوطي إلى وكيع، وعبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٣/ ٨)، (١٣/ ٣٢٤)، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٢٤/ ٧٤) [٣٥٤٤٥].

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٩، ٦٠٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٦٢) [٦١٤٣]، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢١٢) [٥١١٣]، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣٧) [١٧٣٦٣].

(٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٨/ ٣٣٧) [١٧٣٦٦]، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٥/ ٧٧، ٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٧٥، ٧٦) [٥٢٢٦]، وابن ماجه في سننه (ص١٥٦) [١١٠٨]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٢٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٢، ٩٣) [١٠٠٠٣]، وبنحوه عند أبي يعلى (٨/ ٤٤٧) [٤٠٣٤].

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فالطواف قبل الصلاة(١).

٥ ـ قيل لابن عباس رضي الله عنهما: أتأمر بالعمرة قبل الحج، والله تعالى يقول: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]؟

فقال ابن عباس: كيف تقرؤون ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١] فبأيهما تبدؤون؟ قالوا: بالدَّين، قالوا: فهو ذاك(٢).

٦ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما عن الخلع: إنما هو فُرقة وفسخ، ليس الطلاق، ذكر الله الطلاق في أول الآية وفي آخرها، والخلع بين ذلك فليس بطلاق، قال الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩](٣).

٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس للعبد طلاق إلا بإذن سيده وقرأ: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٧٥](٤).

وسئل كذلك عن المملوك يتصدق بشيء، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لا يتصدق بشيء(٥).

٨ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما ما آسى على شيء فاتني إلا أني لم أحج ماشياً حتى أدركني الكبر، أسمع الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧] فبدأ بالرجال قبل الرُّكبان(٦).

٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لأحد تلاميذه: أتقرأ سورة الحج؟ يقول الله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] فإن آخر المناسك الطواف بالبيت(٧).

١٠ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في ميراث الجَدّ مع الإخوة: هو أبٌ ـ

---

(١) تقدم تخريج الأثر في علم: **المقدم والمؤخر**.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده (٢/١٩٣) [٨٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٤٣٨) [١٢٨٣١]، وسفيان بن عيينة كما في الدر المنثور (٢/٣٣٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف بنحوه (٦/٤٨٦) [١١٧٦٧] و[١١٧٧١]، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٤١) [١٨٧٦٦]، وكرره في [١٩٥٦٦]، والبيهقي في السنن (٧/٥٠٣) [١٥٢٣٣].

(٤) تقدم تخريجه في علم: **أمثال القرآن**.

(٥) تقدم تخريجه في علم: **أمثال القرآن**.

(٦) تقدم تخريجه في علم: **المقدم والمؤخر**.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما ساقه ابن كثير بسنده في تفسيره (١٠/٤٩).

يعني: الجد ـ ليس للإخوة معه ميراث، وقد قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] وبيننا وبينه آباء[(١)].

وعنه كذلك: من شاء لاعنته عند الحجر الأسود، إن الله لم يذكر في القرآن جدّاً وجدَّة، إن هم إلا الآباء، ثم تلا: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨][(٢)].

١١ ـ بلغ ابن عباس أن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: إن طلق ما لم ينكح فهو جائز، فقال ابن عباس: أخطأ في هذا، إن الله يقول: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] ولم يقل: إذا طلقتم النساء ثم نكحتموهن[(٣)].

وفي رواية قالها: ما قالها ابن مسعود، وإن يكن قالها فزلةٌ من عالم، في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] ولم يقل: إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن[(٤)].

١٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها في العشر الأواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم أو إني لأظن أي ليلة هي؟ فقال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ فقال ابن عباس، قلت: خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين، وسبعة أيام وأن الشهر يدور في سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياء ذكرها. فقال عمر: لقد فطنتَ لأمر ما فطنا له.

وفي رواية: إني والله ما أرى القول إلا كما قلتَ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٢٦٦) [١٩٠٥٩].

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، ت: الأعظمي (١/ ٧٤) [٥٠].

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦/ ٤٢٠) [١١٤٦٨]، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٨٢) [٩٦٣٥]، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١/ ٥٦٩، ٥٧٠) [٢٨٧٥]، وعلق البخاري نحو هذا بمعناه عن ابن عباس. انظر: فتح الباري (٩/ ٣٣٤)، قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وإسناده منقطع ورجاله ثقات (٤/ ٤٣٧).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٥٠٩، ٥١٠) [١٥٢٥٩].

وزاد قتادة عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع قال: هو قول الله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨][١].

مرويات التابعين

١ ـ عن سعيد بن المسيب قال: أحب لأهل الذمة أن يُتْعَبُوا في أداء الجزية، لقول الله: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩][٢].

٢ ـ جاء رجل إلى علي بن الحسين[٣] فسأله عن رجل قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق؟ قال: ليس بشيء، بدأ الله بالنكاح قبل الطلاق، فقال: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] ولم يقل: إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن، ولم يره شيئاً[٤].

٣ ـ عن إبراهيم النخعي أنه كره كتابة المصاحف بالأجر وتأول هذه الآية ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة: ٧٩][٥]، ومثله عن الأعمش[٦].

٤ ـ عن القاسم بن محمد ونافع مولى ابن عمر: لا اعتكاف إلا بصيام، لقول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإنما ذكر الله ﷻ الاعتكاف مع الصيام[٧].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٤/٢٤٦، ٢٤٧) [٧٦٧٩]، وابن خزيمة بنحوه في صحيحه (٣/٣٢٢، ٣٢٣) [٢١٧٢]، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/٥١٩، ٥٢٠)، والطبراني في الكبير (١٠/٣٢١، ٣٢٢) [١٠٦١٨]، والحاكم في المستدرك (٢/٧٧، ٧٨) [١٦٣٩] وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/٢٧٧، ٢٧٨) [٩٧٢]، والبيهقي في فضائل الأوقات (٦٤) [١٦٤]، وفي شعب الإيمان (٣/٣٣٠، ٣٣١) [٣٦٨٦]، قال ابن كثير بعدما ساق هذا الخبر مسنداً إلى الطبراني: وهذا إسناد جيد قوي، ونص غريب جداً، (١٤/٤١٣).

(٢) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٧/٣١٤).

(٣) علي بن الحسين بن علي، زين العابدين، سبقت ترجمته.

(٤) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١٢/٧٩)، والثعلبي بسنده في تفسيره الكشف والبيان (٨/٥٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٥٤٤) [٢٠٦٠٦]، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٦) [٨٠٦]، وعبد الرزاق في مصنفه (٨/١١٤) [١٤٥٣١]، وليس فيه ذكر الآية.

(٦) أخرجه وكيع كما في الدر المنثور (١/٤٣٨).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً (٢/٣٧٨، ٣٧٩) [٤٠٧٥٨]، والبيهقي في معرفة السنن والآثار وليس فيه الاستنباط من الآية (٦/٣٩٤) [٩٠٩٣].

٥ ـ عن أبي جعفر[(١)] قال: الولي في القرآن، يقول الله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢][(٢)].

٦ ـ عن عطاء الخراساني قال: لا بأس بذبائحهم ـ يعني: النصارى ـ ألم تسمع الله يقول: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨][(٣)].

٧ ـ عن بعضهم أنه كان لا يرى بركوب البحر بأساً، وقال: ما ذكره الله في القرآن إلا بخير[(٤)].

الوجه الثالث: استنباط آداب لفظية منتزعة من القرآن:

مرويات الصحابة

١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يقل أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة؛ فإنه ليس منكم أحد إلا يشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاتها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥][(٥)]. وبنحوه عن عمر، وليس فيه ذكر نص الآية[(٦)].

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقولن أحدكم زرعت، ولكن ليقل: حرثت»**. قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤][(٧)].

---

(١) لم يتبين من هو أبو جعفر راوي الأثر ولعله أبو جعفر الباقر، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره. انظر: الدر المنثور (٢/ ٧٠٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٤٨٦) [٨٥٧١]، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار منسوباً إلى عبد الرزاق (١٥/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٩/ ٢٠).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢١٢، ٢١٣) [٩٨٣١]، قال في مجمع الزوائد: وإسناده منقطع، وفيه المسعودي وقد اختلط (٧/ ٣١٩)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر (١٤/ ٥١٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢١/ ٧٨) [٣٨٣٧٣].

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٤٨)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٣٠) [٥٧٢٣]، وصحح سنده المحقق، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٢٢) [١١٩٦٧]، وفي شعب الإيمان (٤/ ٣١١، ٣١٢) [٥٢١٧]، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه (١٤/ ٢١٥).

٣ ـ عن أبي العالية قال: كنت أطوف مع ابن عباس بالبيت فكان يأخذ بيدي فيعلمني لحن الكلام، فقال: يا أبا العالية لا تقل: انصرفتم من الصلاة، ولكن قل: قضيتم الصلاة، فإن الله يقول: ﴿ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]، وفي لفظ: بأن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قد قضيت الصلاة(١).

وبنحوه عن ابن عمر(٢).

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يكره أن يقول الرجل: إني كسلان ويتأول هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢](٣).

مرويات التابعين

١ ـ عن مجاهد أنه كره (زعموا) ثم قرأ سفيان ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [التغابن: ٧](٤).

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه دون ذكر الآية(٥).

٢ ـ عن محمد بن سيرين قال: لا تقل سورة قصيرة ولا سورة خفيفة، قال: فكيف أقول؟ قال: قل سورة يسيرة، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]، ولا تقل خفيفة، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥](٦).

وبنحوه عند أبي العالية(٧).

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٠١) [١٠٥٢]، وصحح المحقق سنده، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ١٩٧، ١٩٨) [٧٦٨٧]، والطبري (١٢/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢) [١٠٩٨٩]، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ١٩٨) [٧٦٨٩].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بنحوه في الصمت وآداب اللسان (ص٢٢٦) [٣٦٨]، وابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ١٦٧) [٦١٧٢].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٢١٢) [٢٦٣٠٩]، وعبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (١٤/ ٥١٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢١١) [٢٦٣٠٨]، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٤/ ٥١٤).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٩٧، ٤٩٨) [٣٠٧٢٠].

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٤٩٨) [٣٠٧٢١].

٣ ـ عن قتادة أن الأحنف بن قيس كان لا ينام في السُّرَادق[١]، ويقول: لم يُذكر السُّرادق إلا لأهل النار[٢].

٥ ـ سُئلت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يصلي على الحصير، فإني سمعت في كتاب الله ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]؟ قالت: لم يكن يُصلي عليه[٣].

۞ المسألة الثالثة ۞

الاستنباط في القرآن على درجات من حيث قوته وضعفه أو قبوله ورده

فأعلاه:

١ ـ ما شهد له دليل آخر يعضده ويصوب ما فيه من استنباط.

٢ ـ ما كان بمحضر جمع من الصحابة أو التابعين فأقروه ولم ينكروه، بل سكتوا عنه رضاً به وقبولاً له.

٣ ـ ما توارد عليه أكثر من مفسرٍ من الصحابة والتابعين.

الأمثلة:

مثال ما شهد له دليل آخر يعضد استنباطه ويصوبه.

ما جاء عن النبي ﷺ من حديث سهل بن سعد في شأن تبع: **«لا تسبوا تُبّعاً، فإنه كان قد أسلم»**[٤].

---

(١) قال في النهاية: وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خِباء (٢/ ٣٥٩)، وفي الصحاح: واحد السُّرَادقات التي تُمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كُرْسُف فهو سُرادق (٤/ ١٤٩٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٤١٥، ٤١٦) [٣٩١٢].

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٢٦) [٤٤٤٨]، وأورده ابن حجر في المطالب العالية وعزاه إلى ابن أبي شيبة (٣/ ٤٠٥) [٣٣٤] وحسَّن المحقق إسناده، ونسبه ابن رجب في فتح الباري إلى بقي بن مخلد في مسنده وساقه بسنده ثم قال: وهذا غريب جداً (٣/ ٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله موثقون (٢/ ١٥٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥١٩) [٢٢٨٨٠]، والروياني في مسنده (٢/ ٢٣٢) [١١١٣]، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣) [٦٠١٣]، وفي الأوسط (٤/ ١٧٦) [٣٣١٤]، وابن شاهين =

فإنها دليل لأثر عائشة وكعب الأحبار في شأن «تُبَّع».

وروي مثل حديث سهل بن سعد الساعدي عن ابن عباس مرفوعاً[1].

وكذلك صوَّب النبي ﷺ ما استخرجه عمر من آية المائدة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] من دقيق المعنى، وقال: صدقت.

مثال ما كان بمحضر من الصحابة والتابعين فأقروه ولم ينكروه، بل سكتوا عنه رضاً به وقبولاً له.

حديث ابن عباس لما سأله عمر رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

لما استنبط من هذه الآيات أنها علامة على قرب أجل النبي ﷺ ودنو وفاته.

فقد قال بمحضر من الصحابة وسكتوا على هذا وأقروه رضاً به وقبولاً له.

مثال ما توارد عليه جماعة من الصحابة والتابعين، وهذا من أمثلته:

من وضعت لستة أشهر، فاستنبط علي وابن عباس رضي الله عنهم أن هذا أقل مدة الحمل من قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وكذا أنه لا طلاق قبل نكاح لأن الله قال: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ

= في ناسخ الحديث ومنسوخه (٤٩٢) [٦٥٩]، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١٢/ ٤٣٩)، وابن مردويه كما في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٥، ٦)، وحسَّن سنده البوصيري في إتحاف الخيرة (٥/ ٣٥٩).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٧) [١٤٤١]، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (ص٤٩١، ٤٩٢) [٦٥٨]، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٣٦)، وابن مردويه كما في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧٢)، قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن أبي برة المكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات (٨/ ٩٣)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٦)، قال ابن حجر عن سند رواية ابن عباس: وإسناده أصلح من إسناد سهل. فتح الباري (٨/ ٤٣٤). وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة من رواية ابن عباس، وسهل بن سعد، وعائشة مرفوعاً، ووهب بن منبه مرسلاً وهو صحيح بشواهده (٥/ ٥٤٨، ٥٤٩) [٢٤٢٣].

طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فقد قال به ابن عباس وعلي بن الحسين وطائفة غيرهما.

التأصيل

١ ـ الاستنباط من القرآن علمٌ عزيزٌ، ورد أهل العلم على اختلاف فنونهم حياض الكتاب المجيد واغترف كلٌّ من فراته بقدره، وبذلك يتفاوت الناس فيه من حيث المقدار ونفاسة المستنبط ودقته وصوابه وما ليس بذلك.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وهو المورد الوحيد لما تصرف عن مفردة الاستنباط.

وبالرجوع إلى أصل المادة اللغوي يتضح أن جذر اللفظة مأخوذ من «النَّبط» وهو الماء الذي ينبط من قعر الماء إذا حُفرت، ونبط الماء ينبُطُ وينبِطُ نُبُوطاً: نَبَع، وكل ما أُظهر فقد أُنبط، واستنبطه واستنبط منه علْماً وخبراً ومالاً: استخرجه، والاستنباط: الاستخراج، واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه(١).

ومن أصل مادة الاستنباط يتكشف أن هذا العلم ليس إدراكاً لمعانٍ فقط بل هو استخراج.

وهذا يعني: مزيد معالجة وجهد وتفكر للوصول إلى المعنى المستنبط والفائدة المنتزعة.

وسقيه بإخراج الماء من قعر منبعه، وهو ما يستدعي جهداً ومجاهدة وطاقة مستفرغة لتحصيل ذلك ونيله، ولأهل العلم من المفسرين والأصوليين تعريفات عديدة للاستنباط، وهم يعنون عموم المفردة، لا يريدونه مضافاً إلى القرآن علماً من علومه، ومن تلك التعريفات:

قال السمعاني: «الاستنباط هو: استخراج العلم»(٢).

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١١٦٢)، لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٣٢٥).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٣).

وقال السرخسي: «والاستنباط ليس إلا استخراج المعنى من المنصوص بالرأي»[١].

وقال ابن حزم: «الاستنباط هو إخراج الشيء المغيب من شيء آخر كان فيه».

وعرفه في موطن آخر: «هو استخراج الحكم من لفظ هو خلاف لذلك الحكم»[٢].

وعند الزمخشري: «ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يَعْضُلُ ويهم»[٣].

وقال ابن القيم: «استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير المستنبط»[٤].

أما مفهومه الاستنباط علماً من علوم القرآن.

فقيل في تعريفه: «ربط كلام له معنى بمدلول الآية بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارةٍ أو دلالة مفهوم أو غيرها»[٥].

وقيل كذلك: «استخراج ما خفي من القرآن بطريق صحيح»[٦].

وهذان التعريفان فيهما مسحة أُصولية مع ما في التعريف الأول من طول يخرج به عن حد التعريفات؛ أورثه التأثر باحتفاء أهل الأُصول بالاستنباط من ما تمتلئ به كتبهم، وهو محل بحثهم وتقريرهم، وليس المهم طريقة الاستنباط وكيف يأتي المعنى أو الحكم المستنبط لكي تقسم إلى دلالة الإشارة أو المفهوم، إنما يعني في هذا أمور:

أولها: أن يكون ذلك استنباطاً، وهو ما دل عليه لفظة (استخراج).

ثانيها: نوعية المستنبط المنتزع من الآية أكان معنى وفائدة دقيقة، أو حكماً مستخرجاً، أو أدباً قرآنياً؟

---

(١) أُصول السرخسي (٢/ ١٢٨).
(٢) الإحكام في أُصول الأحكام (٦/ ٢١)، (١/ ٤٨).
(٣) الكشاف (١/ ٥٣٠). (٤) أعلام الموقعين (٢/ ٣٩٧).
(٥) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد الطيار (ص١٦٠، ١٦١).
(٦) منهج الاستنباط من القرآن الكريم، فهد الوهبي (ص٤٥، ٤٤).

ثالثها: مدى صحة هذا الاستنباط وقوته من عدمها.

أما طرائق الاستنباط فليست محصورة في ما عند الأصوليين من دلالة الإشارة أو الاقتضاء أو المفهوم وغيرها بل هي أعم من ذلك وأوسع.

ألا ترى أن من الاستنباط ما لا يدخل تحت أي دلالة من تلك الدلالات، وإذا أمعنت فيه النظر رأيته هبةً من الله وفتحاً، يورثه الله من يشاء من عباده، يقذفه نوراً في قلوبهم تنطق به ألسنتهم.

أما ما جاء في التعريف من قول (بطريقٍ صحيح) فهذا حصرٌ للاستنباط الصحيح المقبول وليس حداً للاستنباط بعامة؛ لأن الاستنباط إذا لم يصح ولم يجد قبولاً فهو لا يخرج عن دائرة الاستنباط، وتبقى مسألة صحته من عدمها أمرٌ آخر.

وأيضاً قوله: (ما خفي) تغني عنها لفظة (استخراج) مع ما فيها من الإشارة إلى المعالجة والنظر الثاقب المتكرر، ولا يكون ذلك إلا للخفي من المعاني لا الظاهر منها.

وفي لفظة (طريقٌ) وضوحٌ في ما يهتم به الأُصوليون، ذلك أن العناية بالطرائق التي يتوصل بها إلى الاستنباط وصحة تلك الوسائل وشرعيتها قضية مفصلية للحكم على الاستنباط قبولاً ورداً، وبالتالي على الحكم المنتزع منه، أما في الاستنباط كعلم قرآني فإن الاعتناء بالمستنبط في صورته التي توصل إليها المفسر وما وجهه في الآية الكريمة وأثره، فكأن الاستنباط عند أهل الأصول يهتم بشكل أوفق بوسائل الاستنباط، وعند المفسرين أهل علوم القرآن بغايات ذلك المعنى المستنبط، ويناقشونه في صوره الأخيرة التي انتزعها المستنبط.

وعليه، فإن التعريف الذي أراه يصدق على الاستنباط علماً قرآنياً هو:

[استخراج ما في القرآن من دقيق المعاني ونفيس الأحكام وثمين الآداب]:

والتعبير بمفردة (استخراج) ليميز المستنبطات عن الفوائد، فإن الفوائد لا تحتاج إلى غوصٍ لإظهارها وتعانٍ في تحصيلها، بل هي واضحةٌ جليةٌ قريبةٌ من الظاهر، بينما حق الاستنباط طول تدبر ومعاناة في الظفر بها، فليست متاحةً لكل أحد.

٢ ـ أن الاستنباط منحة الله لمن يشاء هبةً وفضلاً، يقذف في قلب صاحبه الفهم وجليل العلم.

قال علي ﷺ: ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن.

والمعنى أن هناك من يخصهم الله دون غيرهم بفتح مغاليق العلم لهم، وإلقائها في صدورهم، وهذا يتعلق بجانبين:

الأول: كثرة الاستنباط وغزارته.

والثاني: مدى دقة المعنى المستنبط أو الفائدة وقدرها نفاسة.

ولذلك قال ابن عباس ﷺ لما استخرج صلاة الضحى من القرآن: (ولا يغوص عليها إلا غواص)، فالمستنبطات جواهر في بواطن النصوص، ودرر مستكنة في الآيات مخبوءة في قاع الآثار لا يقدر على تحصيلها إلا الماهر الجهبذ بقدر منحة المولى وهبته.

ولا يفوت ههنا أن أشير إلى أن أثر علي ﷺ الذي تقدم إيراده وهو في الصحيح، ذكره ابن القيم حين تكلم عن الاستنباط[(١)].

وقال ابن حجر معلقاً على حديث علي الآنف: «ومراد علي أن الذي عنده زائداً على القرآن مما كتب عنه: الصحيفة المذكورة وما استنبط من القرآن»[(٢)].

٣ ـ إذا تقرر التفاوت في الاستنباط بين الناس فإن الصحابة الأخيار تباينوا في المستنبطات قدراً ونفاسة، قال ابن المنير: «. . . لأن الحديث البين يستوي الناس في الأخذ منه، وإنما يتفاوتون في الاستنباط من الإشارات الخفية». اهـ[(٣)].

ولهذا لما جمع عمر ابن عباس بأشياخ الصحابة، أدرك معنى عميقاً من سورة النصر، لم يدركه غيره، وهذا ما جعل عمر يجالسه مع كبراء الأصحاب وأجلائهم، ولحظت كثرة ما ورد عن ابن عباس من الاستنباط من بين الصحابة

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٣٩٧). (٢) فتح الباري (١٢/ ٢٥٧).

(٣) المتواري على تراجم أبواب البخاري (ص٨٦).

عامة، وكذلك علي بن أبي طالب من بين الخلفاء الراشدين، وكأنه فرغٌ عن كثرة المروي من التفسير عنهما والاشتغال بفنون هذا العلم.

٤ ـ أثر ابن عباس في فهمه قرب أجل النبي ﷺ حين نزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١].

من آكد الآثار وأهمها في علم الاستنباط، ذلك أن ما يتفرع عنه من مسائل في العلم كثيرة، ومنها:

١ ـ قد يدرك الصغير سناً من الصحابة من فهم القرآن ما لا يدركه كبيرهم، وهذا فضلٌ له لا يُرزي بمن لم يوصله اجتهاده إلى ذلك، وبالتالي يقال: قد يستنبط المفضول ما لم يدركه الفاضل، ولا حرج في ذلك ولا غضاضة.

قال عمر لابن عباس: «لقد فطنتَ لأمر ما فطنا له».

وقال الملا علي القاري عن الحديث: «فإذا لم يكن عنده إلا ما في القرآن، والقرآن كما هو عنده فهو عند غيره، فيكون ما عنده من العلوم يكون عند غيره، لكن التفاوت واقع غير منكر ولا مدافع، فبيَّن أنه جاء من قِبَل الفهم والقدرة على الاستنباط، واستخراج المعاني وإدراك اللطائف والرموز». اهـ[(١)].

٢ ـ أن هذا النوع من الاستنباط من أقوى ما استنبط من الكتاب العزيز، فقد اجتمع له من المعضدات ما قلَّ اجتماعه لغيره.

فهو بمحضر من كبار الصحابة ولم ينكروه، بل سكتوا إقراراً منهم بما قاله ابن عباس.

ثم وافقه عمر الخليفة المحدث: صدقت، والذي نفسي بيده ما علمتُ منها إلا الذي علمتَ.

وفي رواية: ما أعلمُ منها إلا ما تقول.

وهناك نصوصٌ عن غير واحد من صحابة رسول الله ﷺ، فيها المعنى الذي استنبطه ابن عباس.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٧/١٨، ١٩).

وهذا يحتمل موافقتهم له فيما فهمه، ويحتمل أنهم أذاعوا ذلك المستنبط الدقيق من السورة وتناقلوه فيما بينهم حين بثه ابن عباس في محفلهم الذي كان فيه عمر، فجاء مثله عن أبي بكر[١]، وعلي[٢]، وأبي هريرة[٣] وغيرهم من الصحابة[٤].

٣ ـ في أثر عمر مع ابن عباس ﷺ دليل على تطلب الصحابة الكرام المعاني الدقيقة والاستنباطات الجليلة من القرآن، فهذا عمر يجمع أشياخ الصحابة ويسألهم عما يقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١]، ثم يميل إلى ما قاله ابن عباس من معنى منتزع عميق دله عليه بصيرته وذهنه الوقّاد.

ولا يستشكل ضعيف العلم ههنا: كيف أن عمر ﷺ لم يصوب الصحابة في تفسيراتهم السورة وما قالوا في تأويلها مع أنها صحيحة، وهي ظاهر السورة الكريمة، ووافق ابن عباس وأيّد رأيه؟

فإن عمر ﷺ لم يقصد المعنى المتبادر الجلي الظاهر من السورة، فإن هذا لا يُسأل عنه الأكابر في العلم، ولا يُجمعون لأجله، لعدم خفائه وسطوع بيانه، إنما أراد عمر قياس غور فهمهم وبراعة استخراجهم المعنى الذي برع به ابن عباس بثقوب ذهنه ورسوخه في الاستنباط.

قال الخطيب البغدادي متحدثاً عن العلم: «وأهل العلم في حفظه متقاربون، وفي استنباط فقهه متباينون». اهـ[٥].

٤ ـ الاستنباط إما أن يكون من آية واحدة أو يكون نتاج نظرٍ في آيتين، فبمجموعهما يتم الاستنباط.

ومثال الآية الواحدة كثير ظاهر.

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن النجار كما في الدر المنثور (١٥/٧٢٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر. انظر: مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣٧٠)، والخطيب كما قال السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٧٢٤).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه (٩/ ٣٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق وابن مردويه كما في الدر المنثور (١٥/ ٧٢٧)، وضعف محقق تاريخ بغداد إسناده جداً.

(٤) انظر: كلام ابن عطية في تفسيره (٨/ ٧٠٣، ٧٠٤).

(٥) انظر: الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣٩).

ومثال ما استخرج المعنى أو نبعت الفائدة أو الحكم من آيتين، استنباط علي وابن عباس أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، فإن هذا تم من آيتين وهما: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] و﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. وقد تجتمع من ثلاث آيات فائدة دقيقة، أو نكتة عزيزة، ففي كل آية طرف وجزء مما يتكون منه الاستنباط.

مثال ذلك:

ثلاث من فعلهن لم ينجُ حتى ينزل به، من مَكَر أو بَغَى أو نَكَث ثم قرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، و﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠] والشواهد على هذا عديدة.

٥ ـ تنوعت استنباطات الصحابة والتابعين من الكتاب العظيم إلى أنواع هي:

أ ـ معانٍ دقيقة، وفوائد عزيزة.

ب ـ أحكام فقهية.

ج ـ منظومة آداب منتزعة من لفظ القرآن.

وكانوا ينطقون بما استنبطوه ويشيرون إلى الآية مورد الاستنباط.

وقد لا يذكرون الآية إما لظهور مصدر الاستنباط، وإما لأن المعنى المستنبط مستوحى من عموم قصة أو حادثة، أو من مجمل آيات تؤول إلى معنى واحد.

مثال ذلك:

قول الحسن لما وجد على أخيه واشتد حزنه: ما عاب الله على يعقوب الحزن، فهذا معنى مستوفى من القصة بطولها.

وما قال بعضهم من أنه كان لا يرى في ركوب البحر بأساً؛ لأن الله ما ذكره في القرآن إلا بخير، فهي فائدة مأخوذة من أن البحر في القرآن من منة الله على عباده بما ينشر جوفه من لحوم طرية ودرر وحُليّ، فهي مأخوذة من عدم الذكر بما يسوء، ووصفه بضد ذلك من المنة والإنعام.

٦ ـ أما وسائلهم التي توصلوا بها إلى تلك المستنبطات فلم تفصح المرويات المأثورة عن ذلك، إنما ينطق بالمستنبط، والناظر يسعى ملتمساً طرائق ذلك، مرجعاً ما أُثر إلى ما قسمه العلماء وأهل الأُصول من أنواع الدلالات كدلالة الإشارة، والمفهوم، ودلالة الاقتران، وغيرها من طرائق الاستنباط.

والمفسر لا يهمه تلك التفريعات، إنما محل درسه وموطن نظره في المستنبطات، ومدى صحتها وقوتها وتأثيرها مما هو بخلاف ذلك.

وينبغي التفريق بين ما ترجع إليه المستنبطات من وسائل كأنواع الدلالات وغيرها، وبين ما يدفع المفسر من الصحابة والتابعين إلى استخراج تلك الدرر الكوامن والجواهر الخفية من آي القرآن، وما يهيج فكره ـ ويلفت نظره ـ حتى يُحرز هذه المستنبطات، **فذلك حيناً يكون نظراً إلى المفردة القرآنية في جانبها اللغوي أو التفسيري.**

كما استنبط عمر ﷺ من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فمفردة «أكملتُ» أوحت بما فهمه عمر من أن الكمال لا يعقبه إلا النقص.

أو في كلمة الإشراق ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] فمنها وجد ابن عباس دليل صلاة الضحى بعد طول تتبع في القرآن.

وحيناً يكون بملاحظة التقديم والتأخير لألفاظ القرآن، فقد استنبط ابن عباس فضل الحج ماشياً على من حج راكباً حين ابتدأ ذكر المشاة على الركبان ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧] وكذا حين أدرك أن الطواف بالبيت هو ختام المناسك لما أتى ذكره بعد ذكر أعمال الحج ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[1].

ومثله ما جاء عند قول الله ﷻ: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وقد تقدم.

هذه شذرات مما يدفع إلى استخراج الاستنباطات عند أصحابها، لكن

---

(١) ابن عباس يرى أن المراد بالطواف ههنا طواف الوداع وغيره يجعل المراد بالطواف طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج.

الحظ الآخر لما تنبت منه هذه المعاني المستنبطة وما تقتنص منه الشوارد الفائقة هو: **فتحٌ من الله تعالى وهبةٌ يدركها المفسر بحسن إمعانه في الآيات، وجميل تدبره في البينات، فإن التدبر والنظر المتكرر سبيل عظيم لنفائس الاستنباط.**

ومعلوم أن التدبر ينطلق من أُمور متعددة ترجع إلى قوة فهم المفسر ودقة فكره، وثقوب نظره، وإلى علمه بالتفسير وتحصيله مهماته وأُصوله، وإلى ثرائه اللغوي، وما سوى ذلك من منطلقات التدبر.

٧ ـ بناءً على ما اكتمل عند الصحابة من مقومات المفسر وشرائط التفسير مع ما فاقوا به غيرهم من الخصائص التي لا يشاركهم فيها غيرهم من الصحبة وملازمة النبي ﷺ، وشهود التنزيل ووقائعه فإن استنباطاتهم لا يرد عليه الحكم بالرد أو البطلان لما تقدم من مسوغات جعلت ما يقولون في علم الاستنباط أعلى درجات الاستنباط وأثمنها، إنما تتفاوت في أمرين:

١ ـ الكثرة، فبعض الصحابة ـ خصوصاً علماءهم وفقهاءهم ـ أوفر حظاً في كثرة الوارد عنهم من الاستنباط من غيرهم.

٢ ـ مدى دقة هذه الاستنباطات وعمقها، ونفاستها ولطفها، فبعضها ثمين بعيد الغور، وبعضها قريب من ظاهر الآية.

واستنباطات التابعين يقال فيها ما قيل في حق استنباطات الصحابة، لكن قد يوجد في التابعين من تلبس ببدعة منكرة، خاصة بعدما ظهرت الفرق ونجمت الأهواء بما لم يكن في زمان الصحابة.

وعليه فلا يبعد أن يأتي مبتدع باستنباط لا يوافق عليه، وحينئذ يحكم ببطلانه وعدم قبوله، وهذا فرع عن تأويل الآية على وجه مردود، فإذا حدث هذا في التفسير فالاستنباط متفرع عنه، وهذا من ناحية التأصيل النظري إما تطبيق ذلك واقعاً بمثال لهذا، فلا يحضرني شاهد من خلال تتبع كتب التفسر المعنية بالاستنباط، والله أعلم.

وكل ما مضى يشمل أنواع الاستنباط سواء كان معنى أو فائدة أو حكماً فقهياً.

أما استنباط الآداب من ألفاظ القرآن ـ ومرّ شواهد ذلك من مرويات

الصحابة والتابعين ـ، فالأمر فيها واسع، فليست ملزمة يتعين الأخذ بها لكنها آدابٌ قد يخالف فيها بعض الصحابة والتابعين، ولذلك لما أورد ابن أبي شيبة من كره لفظ (زعموا) كعبد الله بن مسعود، ومجاهد، وغيرهما، عقب ذلك بمن رخص في استخدام هذه اللفظة وبوب على ذلك فقال: [من رخص في: زعموا]، ثم أورد آثاراً مُجوزة عن ابن عمر، وأبي قلابة، والحسن، والنخعي، وغيرهم(١).

وتعقب ابن العربي ما جاء عن ابن عباس من كراهية قول: انصرفنا من الصلاة، فقال: «وهذا كلامٌ فيه نظر، وما أظنه يصح عنه»(٢).

ورُدَّ قول من كره الصلاة على الحصير؛ لأن الله ذكره في حق الكفار ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] بما ثبت في الصحيحين من أنه ﷺ كان يصلي على الحصير(٣).

وعليه، فهذه آداب ليست بلازمة، إنما هي من محاسن الألفاظ وبديع الكلام يحسُن مراعاتها والتأدب بها.

٨ ـ أنواع الاستنباطات تختلف درجاتها صحة وضعفاً، قوة وعمقاً، وهي على مراتب:

أ ـ ما شهد للاستنباط دليل آخر يعضد ما تضمنه من استنباط أو أقره النبي ﷺ وتقدم أمثلة ذلك.

ب ـ ما كان بمحضر من الصحابة فأقروه وسكتوا عنه رضاً به وقبولاً له، كما في خبر عمر مع ابن عباس رضي الله عنهما.

ج ـ ما توارد على قوله واستخراج معناه أكثر من واحدٍ من الصحابة والتابعين، فما قاله جمع أولى وأحرى من ما قال به اثنان منهم، وما قاله اثنان أولى من قول الواحد.

---

(١) المصنف (١٣/ ٢١٢ ـ ٢١٤).
(٢) أحكام القرآن (٢/ ٦٠٥).
(٣) في حديث أنس بن مالك الذي رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب: الصلاة على الحصير (٦٨) [٣٨٠]، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات (١/ ٢٩٦) [٦٥٨]، قال النووي: وهو مجمع عليه. انظر: المنهاج (٥/ ١٦٣).

٩ ـ يبدو أن كثرة الاستنباط فرع عن وفور المرويات في التفسير، فمن كثر قوله في تأويل القرآن كثر المأثور عنه من الاستنباط.

ولذلك فاق ابن عباس رضي الله عنهما غيره من الصحابة كما فاقهم في الوارد عنه من المرويات عدداً.

وكذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثر استنباطه عما لدى الخلفاء الراشدين الثلاثة.

وينبغي في هذا المقام مزيد تقصٍّ وتحليل لما أتت به النصوص من استنباطات الخلفاء الراشدين الأربعة، فرسوخ أقدامهم في العلم وما تميزوا به من الفهم المنير والقرائح المتوقدة، تجعل ما يستنبطونه بنور النظر من القرآن في أعلى مقامات الاستنباط وأجلها.

ومن ذلك ما ورد في كتب السيرة حين اجتمع المهاجرون والأنصار في السقيفة لاختيار خليفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقد أُثر أن أبا بكر قال للأنصار: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وقد سمانا الله (الصادقين) وسماكم (المفلحين) وأمركم أن تكونوا معنا حيث كنا، يشير بهذا إلى قول الله في وصف المهاجرين ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⁽٨⁾﴾ [الحشر: ٨].

وفي وصف الأنصار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⁽٩⁾﴾ [الحشر: ٩].

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ⁽١١٩⁾﴾ [التوبة: ١١٩][1]، وهذا من ألطف الاستنباط وأشرقه.

وقد كان منهج عمر بن الخطاب مع ابن عباس رضي الله عنهم منهجاً بليغاً في استقطاب أهل الرسوخ في العلم، ومن سالت قرائحهم بدقيق الاستنباط وغزير الاستخراج من كنوز الكتاب العظيم، فكان يُدخله مع أشياخ الصحابة،

---

(١) ذكر هذا ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم (ص٦٠ ـ ٦٢)، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٨٨، ٢٨٩).

ويعرض عليه المسألة ويقول: **غُصْ غَوَّاص**، ولا يكون ذلك إلا بالتنقيب عن الدقائق وهذا النهج حقه الاتباع، وتولية أهل النظر والفكر الثاقب الاهتمام والاحتفاء؛ حتى يفجروا ينابع المعاني الثمينة والأحكام اللطيفة، ويثوروا العلم بتثوير القرآن.

١٠ - جاء في أثر علي مع عثمان في قضية المرأة التي ولدت لستة أشهر قول عثمان: والله ما تفطنتُ لهذا.

وقال عمر لابن عباس لما استنبط وقت ليلة القدر: لقد فطنتَ لأمر ما فطنا له.

في هذا مسائل:

أ - قد يستخرج المفضول من المعاني والأحكام ما لم يبلغه الفاضل، وهذا لا يزري به وليس فيها منقصة له، وسبق المفضول للفاضل في مسائل لا تعني تفضيله مطلقاً حتى في باب الاستنباط من القرآن، فإن العبرة بمجموع ما استكمله الفاضل منزلة وعلماً، ولا يشكل عليه فوات بعض المعاني المستنبطة التي لم يدركها وأدركها من هو دونه.

ب - قد يوافق الصحابي صحابياً آخر في استنباطه، وذلك يقوي الاستنباط ويكسبه مزيد شأن على ما لم يعضده قول صحابي آخر.

ج - أن فطنة المستنبط النابهة، ووفور ذكائه، وزكاء نفسه، وجودة قريحته من الأسباب التي إن توفرت في المفسر أثمرت روائع الاستنباط وجليل المعاني والفوائد.

وهذا دليل على أن من شرائط مقادحة أهل العلم بالاستنباطات القيمة واستخراج مكنونها من القرآن منها ما يعود إلى صفات ذاتية تتوفر في المفسر المنوط به تحصيل المستنبطات، وهي صفاتٌ تعود إلى سيلان ذهن المفسر وعقله الحصيف وذكائه الحاد.

ختاماً

١ ـ لم يفرد مصنفو علوم القرآن علم الاستنباط من القرآن بنوع مستقل ضمن فنون القرآن ومعارفه، إنما وجدت دراسة عن «منهج الاستنباط في القرآن»، لكنها على طرائق الأُصوليين، وبنفس أُصولي غالب، ولم يكن التوجه المخصوص نحو استنباطات الصحابة والتابعين، إنما دائرة الدراسة أوسع وأشمل، وأرى أن منهجية الاستنباط الأصيلة يلزم أن تصدر عن إيعاب نصوص الصحابة والتابعين، ودرس ما ورثوه من استنباطات قيمة دقيقة، ومن ثَمَّ بناء منهجية مؤسسة للاستنباط يكون عمدتها إرثهم النفيس ومأثورهم العظيم في هذا العلم.

٢ ـ اعتنى أئمة التفسير باستنباطات القرآن، وخلطوا مصنفاتهم بشيءٍ وفير من ما أُثر عن السلف ومن ما هو من قول جهابذة العلم وكبار المفسرين.

ومن مظنات ذلك من كتب التفسير: تفسير ابن عطية، والرازي، والقرطبي، والآلوسي، وغيرهم كثير، وكذلك برع الإمام الجهبذ ابن القيم في حيازة درر الاستنباطات وروائع المكنونات من القرآن وهي متفرقة في تضاعيف مؤلفاته العظيمة.

الباب السادس

سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين وآثار تأصيل هذه العلوم

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين.
- الفصل الثاني: آثار التأصيل لعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين.
- الفصل الثالث: إفادة المؤلفين في علوم القرآن من هذه النصوص والآثار.

الفصل الأول

سمات علوم القرآن
بين عهدي الصحابة والتابعين

وفيه عشر سمات

[سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين]

طُبعت علوم القرآن ومعارفه في عهد الصحابة والتابعين وبواكيرها الأولى بسمات بارزة وخصائص ظاهرة، تجلت لمن عانى آثارهم وأنعم النظر في نصوصهم، ورصد هذه الخصائص مطلب مهم، إذ به تعرف حال العلوم وطرائق أصحابها فيها تلقياً ونشراً في تلك المرحلة السابقة التي اجتمعت فيها ميزتان:

- جلالة أهل العلوم وسبقهم غيرهم، وإنافتهم على من تلاهم.

- نفاسة الزمان وتقدمه، فهم في عصر النبوة المشرق وما تلاه من عهود مؤسسة للعلوم ناهضة بالفنون، وتتجلى أهم سمات المعارف القرآنية فيما يلي:

السمة الأولى:

١ ـ سارت علوم القرآن متآخية مع علوم الشريعة وخاصة ما تفرع من القرآن من فنون ومعارف، وتلاقت جسداً واحداً لا ينفصل فنٌّ عن قرينه، ولا يستقل علم عن علم، وهذه طبيعة النواة الأولى للعلوم، وميزة المعارف في بواكيرها الناشئة.

وكان تلاقي علوم الكتاب المختلفة وتلقيها والتروي من مناهلها سمة جلية للرعيل الأول حين كانوا ـ كما حكاه أبو عبد الرحمٰن السلمي في أثره المشهور ـ لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جيمعاً.

وهذا يؤسس أنها علوم تؤخذ بتمامها وكمالها دون فصل ولا استقلال، وربما تأكد هذا التداخل والالتقاء بين علوم القرآن والتفسير ـ مثلاً ـ إذا كان العلم قد دلت عليه آيات من القرآن، فكلام الصحابة والتابعين في تفسير الآية وتوضيح معناها هو متضمن مسائل في علوم الكتاب في الوقت عينه، وهذا

واضح في علم النسخ، ونزول القرآن، وأسباب النزول، وأشباه تلك المعارف.

وهذه الشمولية في تلقي علوم الكتاب المجيد، ونشرها وتعليمها خلفت آثاراً لم تفت الناظر الراصد تطور علوم القرآن منذ انبثاقها زمن النبوة إلى عصرنا الراهن، وهي كالتالي:

أ ـ عدم استقلالية كل فن متصل بالقرآن عن الآخر ولا انفصاله على حدةٍ، وتلك طبيعة مراحل العلوم الأولى وأثرٌ كذلك في آنٍ معاً.

ب ـ اتفاق سبل نقل هذه العلوم وتوحد أسانيدها وطرقها، فمن ينقل علم التفسير ويحمل روايته هو من ينقل المأثور عنهم في علوم القرآن وفنونه، أو في حروفه وأوجه قراءاته.

ج ـ أشْهَر أصحابَ اليد الطولى والقدح المعلى في علم القرآن بمختلف معارفه، ودل على أهل البراعة فيه من أئمة الصحابة والتابعين، فمن حاز مهمات علم التفسير وبرع فيه فحاله كذلك مع علوم القرآن وحروف القراءة وألفاظها؛ لأنهم استقوا مجموع هذه المعارف والفنون بتمامها كلاً لا ينفصل عن الآخر ولا يستقل علم عن علم.

خذ مثلاً لذلك الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، كيف كان علمه الغزير بالكتاب المجيد ألفاظاً وحروفاً وتفسيراً وعلوماً، ومثله كثير من جهابذة الصحابة والتابعين، وكل هذا نتاج الشمولية التي اصطبغت بها معارف القرآن وعلومه المتنوعة في نشأتها الأولى تلقياً ونشراً.

السمة الثانية:

٢ ـ أنها علوم أثرية، نقلها إلينا رواة الآثار وحملة الأسانيد، فسمة الإسناد لهذه المرويات سمة مشتركة بين نصوص الصحابة والتابعين في العلوم القرآنية، والإسناد ذو منزلة عظيمة في الدين، يقول ابن المبارك: «الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[1]، والكلام الطويل والبحث المبسوط في أسانيد التفسير ومناهج أهل العلم ونقاد الحديث في توثيق الطرق

---

(١) انظر: مقدمة صحيح الإمام مسلم (١/ ٩).

الصحيحة وتوهين الضعيف منها، يقال ههنا بحذافيره في مرويات السلف من علوم القرآن.

ومرَّ قريباً أن سبل نقل كلام الأوائل في أنواع من معارف الكتاب هي طرق نقل نصوصهم في التفسير نفسها، وقد قرر العلماء قواعد الجرح والتعديل وميزوا الطرق الموثقة من الموهنة، وعرَّفوا الأسانيد صحيحها وضعيفها عن أئمة التفسير من الصحابة والتابعين.

كما فعل الحافظ ابن حجر في مقدمة العجاب في بيان الأسباب، وغيره كثير من أئمة الحديث ونقاد الأثر.

وما يهم درسه ويتعين النظر الفسيح فيه ههنا هو: ما يمكن أن يُبنى عليه التأصيل لعلوم القرآن والتقعيد من تلك الآثار المختلفة قوة وضعفاً في أسانيدها، وهل يمكن أن يجعل ضعف الطريق وتوهين السند حائلاً دون استقاء قواعدهم ومناهجهم في فنون الكتاب المبين؟

والجواب عن هذا أن العلوم المنقولة إلينا بالأسانيد على ضربين:

١ ـ علوم نقلية، وضابطها: ما لا سبيل إلى العلم بها إلا من طريقهم؛ لأن شرطها حضور الوقائع ومشاهدة التنزيل، والعيش في أزمنة النزول وأمكنتها، وهو شرط لا يتحقق إلا في الصحابة الكرام.

ومن أمثلة ذلك: المكي والمدني، أسباب النزول، المبهمات، جمع القرآن وكتابته، والأحرف السبعة.

٢ ـ علوم اجتهادية، وضابطها: ما اتصلت بأوجه المعاني والاستنباط وكان مبناها على النظر والرأي، ولا يشترط فيها ما اشترط في سابقها.

ومثالها: المحكم والمتشابه، النسخ، وموهم الاختلاف، والاستنباط، والملح واللطائف، وجملة عديدة من العلوم.

فأما العلوم النقلية فلا تؤخذ إلا من الصحابة لا غير، فهم ينطبق عليهم شرط المعاصرة وحضور الوقائع ومشاهدة التنزيل.

أما تلاميذهم من التابعين فإن رواياتهم هذه العلوم من قبيل المرسل؛ لأنهم يروون ما لم يحضروه، إنما المظنون بهم أنهم نقلة لتلك المعارف من طريق أشياخهم من الصحابة خصوصاً أنه لا مدخل للاجتهاد والنظر في

تحصيلها، ولذلك لو طبقت معايير الحديث بتمامها لردت مروياتهم المرسلة؛ اعتماداً على أن المرسل من أقسام الضعيف كما هو عند محققي المحدثين.

لكن هذا مما لا يمكن تطبيقه على هذا النوع من العلوم، وقد احتف بها من القرائن ما يدل على أنهم رواة لها ونقلة وإن لم يصرحوا بمن أخذوا عنه ذلك من الصحابة، ثم بعد تقرير هذا تبقى أسانيد الصحابة في روايات علوم القرآن وتميزها معلومة قد نخلها صيارفة الرواية وبينوا الموثق من الضعيف، كما هو الحال في أسانيد التفسير، إذ تقدم أنهم نقلوا كل ما يتصل بكتاب الله دون تفريق بين العلوم والمعارف، وهذا حال العلوم في بداياتها، أما حال العلوم الاجتهادية وما فيه فسحة في النظر والرأي فهي أخف تأثراً من العلوم النقلية بحال الأسانيد وتباين الطرق.

وما دام الاجتهاد فيها أمراً سائغاً تتنوع بسببه الآراء وتختلف المعاني، فقد يحتف بالأسانيد الضعيفة ما يرتقي بها إلى درجة القبول سواء كان بقرينة لغوية، أو تعضيد السياق، أو النظر الصحيح، أو غير ذلك من معضدات الأقوال.

وعوداً على بدءٍ فإن نصوص الصحابة والتابعين في علوم القرآن يُستقى منها التأصيل ونهج الأوائل في العلوم دون تفريق بين ما صح إسناده قبولاً واعتماداً، وما ضعف رداً وإهمالاً.

وذلك للأدلة التالية:

أ ـ أن ضعف السند لا يلزم منه ضعف المتن ولا تلازم بينهما كما يقرره أئمة الحديث.

فمثلاً لو حكى الصحابي أو التابعي مكية سورة أو مدنيها ثم لم يُرتض إسناد الرواية فإن في جنبات السورة المرادة من الموضوعات والقضايا ما يعضد قول الراوي ويؤيده.

ب ـ أن الحكم بالضعف على الطريق إنما هو من خلال ما وصل إلينا من دواوين السُّنَّة، وبقيت ذخائر من كتب الأثر مفقودة لم يعثر عليها، ولعل فيها ما يقوي السند الضعيف، أو ينقل المروي من طريق صحيح لا غبار عليه، وهذه فائدة ذكر من عُزي إليه الأثر من كتب السُّنَّة المفقودة عند كل أثر من

الآثار، فإنه يرشد إلى عدم المبادرة إلى توهين الطريق بنظرة عجلى وحكم جازم حاسم، فلعل له طريقاً أو طرقاً في سفرٍ من أسفار الرواية المفقودة يصح بها الخبر ويعتمد.

ج ـ أن الجادة عند أهل علوم القرآن اعتماد المروي عن الصحابة والتابعين في صنوف من مسائل معارف الكتاب دون التفات منهم لضعف السند أو توهين راوٍ من رواة الأثر.

والأمثلة على هذا متوافرة، تجدها في ذكرهم مكي السور ومدنيها، والمبهمين في آي القرآن، وأوائل ما نزل وأواخره.

هذه هي الجادة عندهم، إلا في بعض المسائل ترى منهم اهتماماً بالسند ولجوءاً إليه، وتعويلاً على الصحيح دون الضعيف، وذلك في ما يلي:

١ ـ عند تعدد مرويات أسباب النزول وتعارضها يلجأ العلماء إلى النظر في طرق الروايات وتقديم الصحيح على الضعيف، وهي إحدى الوسائل التي ذكرها السيوطي عند تعدد الأسباب، وتبعه المصنفون في علوم القرآن على هذا التقعيد.

٢ ـ حين ترد بعض الروايات المشكلة في بعض المعارف كمثل علم جمع القرآن وكتابته، وتخالف ما هو أصح منها من الأخبار، أو تلقي بظلال من الإشكال على ما تقرر من حماية القرآن وصيانته في مراحل كتابته ووقت تدوينه بحفظ المولى العزيز، وما رسخ من اجتماع أعلى درجات الحياطة والتثبت تجعل النقص منه أو الزيادة عليه من أمحل المحال وأبطل الباطل.

٣ ـ تقرر أن علم فضائل القرآن معتمده التوقيف عن رسول الله ﷺ، لكن العلم شابه كثيرٌ من الدس وأُشيعت فضائل منتحلة من صنع الوضاعين لأغراض معروفة فكان النظر في الأسانيد وتقليبها بنظر حديثي رصين من الأمور المفصلية في اعتماد الصحيح دون الضعيف والموضوع.

هذه أظهر المسائل التي حظيت بالتفاتٍ ظاهرٍ من أهل علوم القرآن إلى طرقها وتمحيصها لاعتماد الصحيح القوي من أسانيدها، وفرق جلي بين اطراح الخبر بالكلية لضعف طريقه وبين التعويل على ما صح منها وتقديمه على الواهن في مسائل مخصوصة تتطلب الترجيح بين رواياتها أو تنفي الموهم منها، وذلك في العلوم النقلية خاصة.

د ـ أن غالب التأصيل لعلومهم القرآنية كان من طريق تتبع الأمثلة والشواهد، نظراً في تضاعيفها يوصل إلى تقعيدٍ وتأسيسٍ على ضوء آثارهم، فلو ضَعُف إسناد رواية أمكن أن يصح طريق مثال آخر للعلم، وفوق ذلك يمكن أن تكون الروايات بمجموعها وهي تتناول موضوعاً من موضوعات العلم القرآني تثبت نهجهم، وتبين عن مسلكهم فيه.

أما العلوم الاجتهادية فإن أسانيد نصوصها الواهية أيسر أمراً وأخف شأناً.

السمة الثالثة:

تقرر أن العلوم القرآنية التي أفاض فيها الصحابة والتابعون تعلماً وتعليماً على ضربين:

الأول: علوم نقلية، ومن شواهدها: نزول القرآن، والأسباب، والمكي والمدني، وجمع القرآن وكتابته، وتقدم ضابطها.

الثاني: علوم اجتهادية كمثل: النسخ، وموهم الاختلاف، ومشكل القرآن، والاستنباط، والوقف والابتداء وغيرها، وتقدم ضابطها.

فأما العلوم النقلية فلها خصيصتان:

الخصيصة الأولى: أنها مما لا يستطاع العلم بها وتحصيل مسائلها وإحراز قضاياها إلا من طريق الصحابة ابتداءً وما نقله عنهم وحفظه منهم تلاميذهم من التابعين بعد ذلك، فإن شرط تلك العلوم مشاهدة التنزيل وحضور الوقائع، وهو ما لا يتوفر إلا في الصحابة ممن اصطفاهم المولى ﷻ لصحبة نبيه ﷺ، والعيش مع القرآن في تنزلاته وأحداثه.

الخصيصة الثانية: أنها علوم لا يدخلها النظر والاجتهاد إلا بمقدار استنطاق النصوص المأثورة فيها، وفهم متونها واستجلاء ما تكتنزه من موضوعات وقضايا علمية، وأما العلوم الاجتهادية التي مبناها النظر الفسيح وتعدد الأوجه وإن صبغت بالاجتهاد والنظر المتبصر الممعن، إلا أن لها جوانب يمكن الإفادة من مناهجهم في نشرالمعارف وتوصيف طرائقهم حين تناولوا فنون القرآن، وتولية ما اهتموا بإظهاره وفتقوا مسائله أكبر الاهتمام.

فمثلاً طرائقهم في تجلية موهم الاختلاف بين آي القرآن، وحسن إزالة مشكل القرآن، واهتمامهم بمفردات القرآن، والاستنباط من الكتاب العزيز، إلى ما سوى ذلك من العلوم المتنوعة، وإن كان للنظر وحسن التأمل وإدارة الفكر فيها نصيب كبير، إلا أن المأثور عنهم فيه مواطن جليلة للاستنارة بما بثوه من علم وما خطته نصوصهم من قضايا نفيسة، وينبغي ههنا تبيين وصف مجموعة هذه المعارف القرآنية والعلوم بالاجتهادية أنها على قسمين:

الأول: أن يكون أصل العلم مما دلت عليه النصوص المأثورة إما من كتاب الله، أو من أحاديث النبي ﷺ، أما بقية مفرداتها فمردها إلى النظر والتدقيق المتبصر، وكدّ الأفهام لتحصيل مسائلها وانتزاع موضوعاتها، فمثلاً علم النسخ ونزول القرآن، وأمثال القرآن، والمحكم والمتشابه دل عليها القرآن في شيء من آياته، فأصلها منصوص عليه من القرآن مع بعض موضوعاتها، وبقيت أجزاؤها الأُخرى ملتقطةً من ثنايا الروايات وبطون الآثار.

القسم الثاني: أن يكون أصل العلم مع ما تولد منه من قضايا علمية ومسائل قرآنية، كلها من نتاج الاجتهاد وجودة التفكر في مكنونات الكتاب العزيز، من مثل: ملح التفسير ولطائفه، وتعضيد السُّنَّة بالقرآن، والاستنباط من القرآن، وكل ما يشع نوره ويُحرز من كنوزه من مستجدات علوم القرآن فمن هذا النوع.

وقد أصَّل عبد الله بن مسعود لما في طيات القرآن-من علوم لا تنفد وعجائب لا تنقضي حين قال: من أراد العلم فليُثَوِّر القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين.

السمة الرابعة:

يجيء إدراك اهتمام الصحابة والتابعين بالعلوم وتمييز ما أحاطوه بها من العناية والحفاء في وجوه:

أ ـ من العلوم ما أذاعوا مقدار ما أوتوه فيها من العلم والفهم، كقول علي بن أبي طالب: «يا أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين

لوحي المصحف آية تخفى عليّ فيم أُنزلت؟ ولا أين أُنزلت؟ ولا ما عُني بها»[١].

وقول ابن مسعود: والله الذي لا إلٰه غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أُنزلت؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت؟ ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[٢].

ففي بواطن قولهم إشارات إلى فنون من القرآن، متضمنة لعلوم الأسباب، والمكي والمدني، والمبهمات، واستبطن كلامهم الدعوة إلى تولية هذه الأنواع جليل الاعتناء وبالغ التحصيل.

ب ـ تمثل ذلك واقعاً عملياً عبر تتبع موارد العلم القرآني عند آياته وسوره، كعلم المكي والمدني حيث بينوا نوع كل سورة وما استثني منها ـ إن وجد ـ وأيضاً أحاطوا بكل وقائع النزول وأحداث التنزيل وبثوا علمها للأمة.

وفي علم النسخ والعام والخاص ميزوا ما في كل آية من الكتاب من النسخ والإحكام والعموم والخصوص، وجلّوا معاني أمثال القرآن وحازوا دقائقها وأسرارها، وهكذا في أمثلة طويلة، وذلك بيان علو كعب العلوم وفاضل منزلتها بالفعل لا بالقول.

ج ـ جاء ذكر طائفة من معارف التنزيل في أكثر من رواية مأثورة.

كما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[٣].

فما ذكر من العلوم له ميزة على غيره، وتوجيه إلى فضله وسامق مكانته.

وفي جنبات مثل هذه الآثار فوائد نفيسة وإشارات مضيئة تقدمت.

السمة الخامسة:

أن قضية التأصيل للعلوم القرآنية من نصوص السلف ومأثورهم كانت في غالب أمرها عبر تأمل أمثلة العلم وشواهده العملية، وهي سمة مفصلية بالغة الشأن والأثر.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

فلم يكن التوجه إلى عبارات مستبينة، وتقسيمات صريحة، وجمل مرصوفة، وتأصيل واضح ناصع، كما هي العلوم عند المصنفين خصوصاً من المتأخرين، إنما هي أمثلة للعلم القرآني وشواهد، وإشارات بطينة تقتنص من جنباتها المسائل العلمية والقواعد المؤصلة المؤسسة، وهذه سمة غالبة لمن يؤصل علوم القرآن من مرويات السلف الأوائل.

ومن الأمثلة لذلك وهي كثيرة جلية، عُرف النسخ عند الصحابة والتابعين ومرادهم به، فلم يفصحوا عنه بكلمة واحدة، لكن أهل العلم الجهابذة توصلوا إلى مقصودهم من طريق تتبع مستوعبٍ راصدٍ لنصوصهم العملية في آيات النسخ.

وكذا مصطلح المكي والمدني لم يحفظ عنهم في تحديده عبارة، ومثله طرائقهم في رفع المشكل، وحل موهم الاختلاف، وأساليب الاستنباط ودرجاته، وأنواع ملح التفسير، وتقسيمات المقدم والمؤخر، وما استجلوه واهتموا به من قضايا أمثال القرآن، ولذلك جلّ أمر تأسيس العلوم القرآنية من نصوصهم والحال هذه، واستوجب ذلك معاناة المروي ودرسه، وتكرار النظر في مقولهم وفحصه، وشحذ الأذهان في تبصر المرويات وانتزاع مهماتها.

السمة السادسة:

من علوم القرآن ما يعود نفعه وتسري فائدته إلى علم التفسير وتأويل المعاني.

من مثل: أسباب النزول، المكي والمدني، مشكل القرآن، والنسخ وغيرها.

فهذه العلوم حلت في مرتبة علية من عناية الأوائل؛ لما لها من تأثر وأثر.

وكان أثر علي بن أبي طالب وابن مسعود من أنه ما من آية في كتاب الله إلا ويعلمان أين أُنزلت؟ وفيم أُنزلت؟ أو فيمن أُنزلت؟ إرشادٌ إلى قدر ما حصلوا من تلك العلوم العائد أثرها إلى علم التفسير، وتلك وصايةٌ بإعطائها ما تستحق من ضبط وتحصيل.

وأيضاً احتشدت الدواوين بما نقل عن الصحابة والتابعين في تبيان مكي السور ومدنيها وما استثنى منها، وما ورد في كل آية من نسخ أو إحكام أو خصوص أو عموم ووقائع الأسباب وأحداث تنزلات كل آية من آي القرآن، وهذا كله بيان عملي في شأن تلك المعارف، وأثرها في علم التفسير العظيم.

السمة السابعة:

امتاز علم الصحابة والتابعين في معارف القرآن بالتحقيق وتدقيق المسائل ونفي الضعيف الذي لا يقوم على دليل أو يسانده تعليل، ولهذا جاءت تعقبات بعضهم بعضاً واستدراكات لبعض المأثور وتصويبات مؤكدةً فشو النقد المثمر عندهم للمروي، وحسن تبصر في موضوعات العلوم، وبهذا يؤسسون لمن بعدهم في انتقاء الأقوال الصحيحة، ورد الضعيف، وغربلة الموضوعات القرآنية، وتنمية روح تنقية المعارف من ما شابها ولحق بها، ومن شواهده:

أ - رد ابن عباس على نوف البِكَالي حين جانب الصواب بقوله: إن موسى نبي الله ليس بموسى الخضر.

ب - ردت عائشة رضي الله عنها مقولة من جعل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ [الأحقاف: ١٧] نازلة في أخيها عبد الرحمٰن بن أبي بكر.

ج - قال بعضهم قلت لمجاهد: بلغني أن ابن عباس قال: لا يحل قتل الأسارى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، فقال مجاهد: لا يُعبأ بهذا شيئاً أدركت أصحاب محمد ﷺ وكلهم ينكر هذا، ويقول: هذه منسوخة، إنما كانت في الهدنة التي كانت بين النبي ﷺ وبين المشركين، فأما اليوم فلا يقول الله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥][(١)].

د - وقع تعقب بين أئمة من التابعين ومراجعات في المقصود بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٢١٠) [٩٤٠٤]، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (١٣/ ٣٥٣).

مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠]، وتقدم في علم المكي والمدني.

ولا ينبغي أن يظن قلة هذه النزعة النقدية لدى السلف الأوائل ظناً يستند إلى ندرة الروايات التي تؤكد هذه المنهجية؛ لأن المهم في هذا اقتفاء أثرهم في غربلة الآراء وتقويم الأقوال التي تطفح بها مصنفات علوم القرآن، وأثرٌ واحدٌ يكفي في تأسيس هذا المسلك والتحضيض على اتباعه، ثم إن زمانهم لم تكن كل المرويات قد استوت على سوقها، وصافحت أسماعهم جميعها، إنما نقدوا ما بلغهم وتدارسوا جُملاً منه، وأسَّسوا هذه النهج الفاحص، وبقي ما يحتاج إلى ذلك من الأثر مهمة التالين.

السمة الثامنة:

الاختلاف بين الصحابة والتابعين في قضايا من علوم القرآن أمر حملته المرويات وحفظته الدواوين، فهو واقعٌ لا ينكر، سواء كان اختلاف تضاد أم اختلاف تنوع، ولو حصرنا وقائع الاختلاف بين الصحابة وقسمناها على نوعي العلوم النقلية من أسباب النزول، وأوائل ما نزل وأواخره، والمكي والمدني، والمبهمات، والعلوم الاجتهادية لتحصل من هذا شيئاً وافراً.

فأما العلوم النقلية فاختلفوا في أول ما نزل وفي آخر ما نزل، وهو ما حدا بأهل مصنفات علوم القرآن إلى التوجيه بين المرويات تارة والترجيح تارة أُخرى.

ففي هذه الأنواع من العلوم يبدو ظهور نوع اختلاف التضاد أكثر من غيره، فلا يمكن أن تكون أولية مطلقة إلا لآية واحدة، ولا آخرية مطلقة إلا لآية كذلك.

وفي وقائع نزول الأحداث وأسبابها تتعدد رواياتهم في ذكر السبب عند شيء من الآيات، وأمام هذا الاختلاف طرق المفسرون مسالك يوجهون بها تنوع الأقوال التي تحكي سبب النزول، وربما قالوا بتعدد النزول أكثر من مرة جمعاً بين المروي من نصوص الصحابة، وفي المكي والمدني يختلفون، والصواب مع أحدهم لا مع الجميع لأن السورة لا تكون مكية ومدنية في آن معاً.

أما مروي التابعين في العلوم النقلية فإن اختلافهم في مواضع مع أشياخهم من الصحابة أمرٌ واضحٌ، ظاهره اختلاف بين الصحابي والتابعي وواقع أمره وحقيقته اختلاف بين الصحابة أنفسهم ظهر برواية التابعي؛ لأن المظنون أنهم نقلة لهذه المسائل عن الصحابة، وهي مما لا مدخل للاجتهاد فيها ولا مجال للرأي في موضوعاتها، علماً أن حدوث الاختلاف في العلوم النقلية مما يستوجب إذكاء الفهوم وكد الأذهان لمعرفة ما تأتلف به المرويات أو يُترجح بها الصحيح على غيره، أو تُستظهر حالات متعددة تحمل كل رواية على حالة، كما حاول بعض أهل العلم توجيه مرويات الصحابة في ذكر أوائل القرآن نزولاً إلى أن المقصود أولية مقيدة لا مطلقة، وأمثال هذه الجوابات.

وقد يشاع ما اختلف فيه من مسائل الفنون القرآنية ويصل إلى الصحابي أو التابعي ما خالفه فيه غيره.

كما قال أبو سلمة لجابر في بيان ما اشتهر من أول ما نزل: قلت: **يقولون:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] وذلك حين قال جابر بأن المدثر هي أول ما نزل.

وعلم الصحابي أو التابعي بقول يخالف قوله له ثمرة نافعة؛ لأنه يدفعه إلى تعضيد ما يقول بدليله، ولهذا استدل جابر بحادثة نزول الوحي على أن أول ما نزل من القرآن سورة المدثر.

ولعل هناك ما ينشأ بعد تقرير الاختلاف في هذه الأنواع وهو:

ما الذي يجعلهم يختلفون في العلوم النقلية، ومعلوم أنها مما يقطع فيها بصواب قول لا بصواب أقوال، فإن الأولية في النزول والآخرية، وأسباب النزول، ومن عناهم القرآن ببعض آياته لا تحتمل التعدد في مجمل أحوالها؟

والجواب عن هذا ما يلي:

أن الصحابي قد ينقل واقعة يظن معها أنها هي سبب النزول وتخالفه الروايات الأُخرى ويكون الصواب فيها، أو يرى آية من القرآن هي أول ما نزل حسب علمه واجتهاده أو هي آخره وليست كذلك، كما جعل معاوية آخر آية من الكهف آخر ما نزل مطلقاً، وتبين من أقوال فئام من الصحابة أن هناك ما هو بعد هذه الآية بكثير وهو ما يصدق عليها أنها الآخر مطلقاً.

وقل مثله في مبهم في القرآن اختلف فيه الصحابة والتابعون والصواب مع قولٍ دون سائر الأقوال.

وعليه فإن اجتهاد الصحابي في نقل ما لابس الآي القرآنية من نزول أو سبب أو ترتيب لأولية ما نزل أو آخريته، أو تعيين مبهم في القرآن ظاناً أنها السبب المباشر للنزول، أو أنها الأول أو الآخر، كل ذلك سبب في اختلافهم في العلوم النقلية، والله أعلم.

أما الاختلاف في العلوم الاجتهادية من المشكل، وموهم الاختلاف، أو الاستنباط في القرآن وغيرها فهو من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد؛ لسعة دائرة الاختلاف بين مسائلها بحيث يتنوع الاجتهاد وتتعدد أوجه الرأي والنظر.

ويؤكد ههنا على أن اختلاف المرويات في هذه العلوم إن كان سائغاً واسع الآفاق إلا أنه لا يمنع من تباين الأقوال نفاسةً وجودةً، ورجحان بعضها على بعض قوة واعتماداً في عديد من القضايا القرآنية، كما سبق أن أجوبة الصحابة والتابعين عن موهم الاختلاف مردها النظر والاجتهاد إلا أنها ليست على مرتبة واحدة من القوة والرجحان، بل تتنوع فيما بينها قبولاً وظهوراً.

ومثله استنباطاتهم من القرآن فهي على درجات من الدقة والملاحة وإن جمعتها صفة العلو والجلالة، فهي في أعلى مقامات الاستنباط.

السمة التاسعة:

أن ألفاظ الصحابة والتابعين توسم بسمات الإيجاز الموفي بالمعنى، مع غزارة العلم، ودقة الفهم، وغور المراد، وسعة وجوه التأويل، ورسوخ في إتقان العلوم وترتيب أهميتها، والبداءة بما يجب البدء به وتقديمه على غيره، وإحراز مكنوناته والظفر بذخائره، وهذا يستوجب من الناظر في نصوصهم استقصاء المروي عنهم وإمعان الفكر في مراميها وكد الذهن في استجلاء علومها، مع النظر الحصيف والبصر المستقصي.

وانظر لتتيقن هذه السمات ما أُثر عنهم في أمثال القرآن، واستنباطات القرآن، ومثلها كثير.

السمة العاشرة:

اتفاق الصحابة وأتباعهم على علوم القرآن الأصلية ومهمات الفنون العتيقة، فلا تجد علماً قرآنياً جال فيه الصحابة وتخلف عنهم التابعون، ولا فناً ابتدع التابعون الوجهة إليه وبسط مسائله دون سبق الصحابة وريادتهم، فهم سائرون في ركاب منتظمة قد عرفوا الفنون وقدموا أهمها على غيره، واغترفوا من بحور الكتاب العزيز البدائع والجواهر، وهذا لا يمنع أن ينفرد التابعون بشعبة من شعب العلم القرآني ولا يكون للصحابة فيه أثر؛ لأنهم شغلوا بمقاصد العلم الرئيسة وقضاياه الكبيرة.

ومثال ذلك: انفراد التابعين بجانب الأمثال الكامنة في القرآن، فلم أجد للصحابة اهتماماً دلت عليه آثارهم.

وهذا يرشد إلى أن العلوم في تطورها وتدرج سيرها منذ البدايات حتى اكتمالها ونضوجها تجعل المتأخر يوسع مجالات الفنون ويفتق الموضوعات ويثورها.

ويزيد من نشر مكنونات الكتاب المجيد، فكم ترك الأول للآخر، خصوصاً والمورد الذي لا ينضب ولا تغيض معارفه هو القرآن العظيم.

الفصل الثاني

آثار التأصيل لعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين

وفيه تسعة آثار

[آثار التأصيل لعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين]

لا يمتري أحد في أن التأصيل لمعارف القرآن من نصوص السلف وتأسيسها على نورٍ من أقوالهم، وما خلفوه من إرث علمي خالد، كله ذو آثار مهمة، ونتائج عظيمة، فالمقصود بهذا الفصل:

ما يثمره التمعن والتبصر في مرويات الصحابة والتابعين، وما يكسبه تأصيل علومهم ويعود به من النفع على معارف التنزيل وفنونه، خصوصاً مع وفرة التصانيف على توالي الأزمان، وما لقيته العلوم من مدارسات ومصنفات ارتقت بها ووطدت دعائمها.

وأهم فوائد ذلك وثماره ما يلي:

أ ـ حفظ إرث الصحابة والتابعين في علوم الكتاب، وهو إرثٌ حصلوه من معدن العلم الزاكي وإمامه الوافي ﷺ، فهم مغترفون من بحره، ناهلون من حياضه، علَّمهم القرآن العظيم بمختلف فنونه ومهمات أفراده، وعلمٌ هذا شأنه ومنبعه، وهؤلاء أئمته وأهله، حريٌّ بأن يستودع سويداء القلوب، ويحرز تحت جوانح الضلوع الوثيقة.

ب ـ أن تعرف جذور العلم من شجرته المورقة، وتستبين أُسسه من منقولهم، فإذا سأل راغب عن أُصول هذه الفنون من قول السلف ومصادرها من علمهم بالكتاب أُرشد إلى هذه الآثار والنصوص، وبُلِّغ بما فرعوه من المسائل وأوقفوه من العلم في أبوابٍ متفرقةٍ من علم القرآن العظيم، فعلومهم أصلٌ لما تفرع من أفراد كل علم قرآني.

ج ـ إعادة ترتيب العلوم أهمية وأولية على ضوء ما نطقت به الروايات، وهو ما يمايز المعارف ويباين بينها ويجعلها على درجات متفاوتة؛ لأنهم أعلم الناس بقدر كل علم ومنزلته، ولذا أولوه ما يستحقه من درسٍ ونشرٍ، ووضعوه في رتبته التي يستحقها.

وهذا الأثر المهم لا يُظن أن أهل علوم القرآن أهملوه أو فاتهم، لكن ينبغي تأكيده وتولية ما لم ينل نصيبه الواجب من العناية وما يليق به، فمثلاً ترى علم النسخ من كبرى العلوم القرآنية واهتمام الأوائل به اهتمام بالغٌ حافلٌ.

وجاء أهل العلوم القرآنية فاهتموا به وشغلوا بمدارسته وتصنيف موضوعاته بما لا يكاد يوجد عند غيره، ومثله وقريب منه المكي والمدني، والأسباب إلى ما سوى ذلك.

ومما يتطلب زيادة تطلبٍ وحسن تتبع لموارده علم المفردات، والملح واللطائف، والاستنباط من القرآن، فهي قد نالت نصيباً، تتأكد زيادته وترسيخ مفرداته من طيات موروث الصحابة والتابعين.

د ـ أن يعلم أن علوم القرآن على نوعين:

علوم منقولة، لا سبيل إلى ضبطها وتحصيل أفرادها إلا مِنْ طريق الصحابة، ومَنْ أخذها عنهم من التابعين، وأن الأثر النقلي عمدة هذه العلوم وليس للمتأخر عنهم إلا التنقيب عن تلك الآثار في خطوة أولى، ثم إعمال النظر وإمعان التأمل للخروج بالمسائل والقضايا العلمية.

وعلوم اجتهادية، بمعنى أنها لا تفتقر إلى نقول عن الصحابة والتابعين بحيث لا تؤسس جوانبها إلا على أثرٍ وروايةٍ، بل هي موطن اجتهاد ورأي، لكن في نصوص السابقين من النكت والفوائد الفريدة ما يمكن الاستئناس به، والسير على منواله واقتفاء نهجه.

وإذا علم النوعان واستبان القسمان اتضح ما من العلوم شرطه أثرٌ عنهم، وما أُخلي من قيد ذلك الشرط، فتتفتق الأذهان وتسيل القرائح في استصفاء العلوم من حياض القرآن، واستخراج معارفة الدفينة وكنوزه الثمينة، فإن علومه لا تنقضي وعجائبه تترادف تترا.

وبهذا تعلم علومهم الأصلية المأثورة مما هي من العلوم الاجتهادية المستجدة.

هـ ـ معرفة مسميات العلوم المأثورة عنهم، وإقرار ما يراد بالمعارف ومصطلحاتها ودلالاتها في زمنهم، فإن نظرة فاحصة في آثار الأولين التي احتشدت بها الدواوين وذخائر التفسير تكشف عن مفهوم خاص وسيع في علم

النسخ، وكذلك استبان أن المكي والمدني يطلقونه على الدلالة المكانية للمفردتين لا الدلالة الزمانية، كما هو أشهر تعريفات أهل العلوم المتأخرين، وفي علم المحكم والمتشابه فسروه بتفسيرات عدةٍ هي مجال مدارسة وتحليل من علماء القرآن.

وهكذا لا يمكن ضبط تلك القضايا إلا من طرائق النصوص وألفاظ الرواية، وهذا الأمر لبنة أُولى في بنيان العلوم، غير مانعٍ من تطور دلالات الفنون وترقي استعمالاتها من زمنهم الأول إلى وقت استقّرار العلوم القرآنية واستوائها، كما هو واقع في علم النسخ، والمكي والمدني، والأمثلة عديدة.

و ـ أن لهم في العلوم الاجتهادية مسالك حقها الاتباع وشأنها الاحتذاء، وهو أمرٌ مرده عظيم ما أوتوه من الفهم الراسخ في كتاب الله والموهبة الفياضة والأذهان الوقَّادة، فإذا وضح نهجهم واقتفيت خطاهم عاد النفع البالغ على علم الكتاب وصيغت حروفه بقلم الأثر والرواية.

فمثلاً: جاءت عنهم طرائق في رفع موهم الاختلاف والتناقض المظنون، وإزالة مشكل القرآن بمناهج حسنة سديدة، ومنطلقات رجيحة، ونبهوا على أُمور لا بد أن تؤخذ بالحسبان عند التصدي لأمثال هذه العلوم.

وجادت مناهلهم باستنباطات ثمينة وفوائد عزيزة، ولهم مُلَح حسنة ولطائف رائعة، وجميعها تكتسب بخطوات، وإذا اتبعت تحصل أمثالها أو ما يقاربها، واستوت العلوم وبلغت أشدها وقاربت تمامها.

ز ـ اتضاح ترابط معارف القرآن فيما بينها، وأنها منظومة متسقة أخذ بعضها رقاب بعض، فعلم يصب نبعه في حوض آخر، وتطلب فن قرآني يميط اللثام عن وجه فن آخر، وعِلْمان يتفاودان، وهو أثرٌ يُخلفه تأمل مأثور علم الصحابة والتابعين ويستخرج منه، فعلم أسباب النزول ووقائع الآيات التي حفظوها ونقلوها تسهم في تعيين المكي والمدني وبيان المبهمين في القرآن، واستقصاء مرويات جمع القرآن وكتابته تحل شيئاً من موهم الأحرف السبعة.

وإحدى طرق معرفة الناسخ والمنسوخ تعلم من معرفة المكي والمدني، وروايات نوع السورة تكشف عن أسمائها، وهكذا في تسلسل متسق في عقد العلوم الجليلة.

ح ـ انتفاء الأقوال المغلوطة والآراء المنحولة حين تتصدر في غياب الأثر أو تشيع، والرواية تضادها وتنفيها، فإن التوصل إلى مرحلة تنقية العلوم مما تلبس بها، وتحقيق موضوعاتها غاية التحقيق مشروط بالعناية بآثار الصحابة والتابعين في أوجه العلوم ومفرداتها المنقولة، وحسن حيازتها من مصادرها المبثوثة في دواوين السُّنَّة والمسانيد.

أما ذيوع ما هو غلط من القول أو ما تصادمه النصوص فمنشأه فقدان المروي عند التأصيل للفن القرآني وعدم العلم به، نتيجةَ نثر المرويات بين تضاعيف الأسفار وعدم إيعابها جمعاً وتصنيفاً وضماً للنظير إلى نظيره.

وما تقدم يحتمل وقوعه في العلوم النقلية، أما الاجتهادية فيتم تغافل معالم للعلوم تأسست في حقبة زمانية بالغة الشأن، كان أصحابها نقلة العلم في عهده الأول واندراس مناهج تلقاها الصحابة عن معلمهم ﷺ، وأخذها تلاميذهم.

وانظر إلى ما أُثقلت به دواوين بعض العلماء من رد دعاوى النسخ الوارد عن السلف في آيات متناثرة، وما سببه من كثرة القول بالنسخ جعلت منه محلاً للنقد واعتباره تزيداً مذموماً حين لم يفهم المصطلح الذي أراده الصحابة والتابعون بالنسخ في عصرهم، ومحاكمة رواياتهم على ما استقر عليه المصطلح عند المتأخرين بمعناه الخاص، وأوقع عدم تحديد المراد بأسباب النزول في كثرة حكاية ما يظنه أنه وقائع للنزول وحوادث، بينما هي عند الفحص والمدارسة إما من قبيل التفسير، أو هي عن السببية بمعزل.

وقلْ مثلَه وأوضحَ منه استغلاق معنى الأحرف السبعة أو الجنوح بها بعيداً عن الصواب فيها أو ما هو قريب من الصواب لما مرَّت أعداد من النصوص بلا تمعنٍ وتحقق وإحصاء للأثر.

ومثله كثيرٌ من مسائل الجمع القرآني في عهديه، فكم لفقد الآثار المفصحة المبينة أو عدم إيعابها من عقبات في طريق ضبط ما تم في الجمعين على وجه القطع واليقين.

ط ـ ترسيخ العلم بمقاصد تتبع علوم الكتاب، والغايات التي تنتهي إليها حين تُحصى آثار الصحابة والتابعين في مختلف الفنون، وتدرس بفهم حصيف

عميق فإن منها ما يعود نفعه إلى تبيان مراد الله تعالى من كلامه، كما أراده تعالى من ضرب الأمثال في القرآن، أو كشف تفسيرات الآيات حين تعرف أسبابها وحوادث نزولها، ومنها ما يرجع إلى الأحكام الشرعية عملاً وامتثالاً، لمَّا يحاط بمسائل النسخ والعموم والخصوص، وبعضها يحفظ جوانب الكتاب التاريخية من نزول وجمع وكتابة، وما احتف به في مراحل توثيقه وتدوينه من إتقان وتحرز وحيطة تبث في قلوب المؤمنين الإيقان بأنه محفوظ قد حماه المولى ﷻ من كل زيادة أو نقص وتحريف، وترد بذلك افتراءات الطغام وشبه الزائغين.

الفصل الثالث

إفادة مصنفي علوم القرآن
من آثار الصحابة والتابعين

وتحته سبع قضايا

[إفادة مصنفي علوم القرآن من آثار الصحابة والتابعين]

يراد بهذا الفصل معرفة حال أهل مصنفات علوم القرآن مع مأثور الصحابة والتابعين، ومدى إفادتهم من نصوص السلف ورواياتهم في مختلف معارف الكتاب، بما تمثله الرواية من أسس ركائز، وأصول معتمدة لهذه الفنون القرآنية.

وفائدة معرفة ذلك متحصلة في أمور:

الأول: ظهور مدى تقعيد أصحاب المؤلفات من نصوص الصحابة والتابعين، وتأسيسهم قضايا القرآن وموضوعاته على نورٍ من المأثور.

الثاني: تبيين ثراء نصوص الأقدمين، وأن من قلبوا في تضاعيفها البصر لم يحيطوا بكل أطرافها بل ما زال في القوس منزع، وفسحة لمتأمل.

الثالث: كيف كان نهج المصنفين في درس مرويات الصحابة والتابعين، وما يمكن أن يضاف إلى مسالكهم في الإفادة من هذه النصوص، وبناء منهجية مستوثقة للظفر بخفايا الآثار تكون عمدتها ما دونه أهل التآليف القرآنية.

فأولاً: قلما يخلو مؤلف قرآني من علم من العلوم الأصلية التي حظيت بمأثور وفير عن الصحابة والتابعين إلا أفرد له المصنفون نوعاً مستقلاً، وضموا تحت عنوانه مسائل العلم وأفراد قضاياه؛ كالنزول، والأسباب، والنسخ، والمكي والمدني، والمبهمات، والمشكل، في كمٍّ وفير من الفنون لا يسع استقصاؤها.

ثانياً: من العلوم ما جاءت تسميته في الرواية؛ كالنسخ، والمحكم والمتشابه، والمقدم والمؤخر، وأمثال القرآن، وفيه ما أشارت إليه أحاديث النبي ﷺ كالأحرف السبعة، ونزول القرآن، فهذه لا تختلف مسمياتها في مصنفات علوم القرآن، ووافقوا الأوائل في عناوينها.

أما ما لم ترد تسميته في الآثار فهذه يُجتهد في العثور على عنوان للعلم

وتسميةٍ مطابقة دالة على محتوى العلم القرآني، وفي الغالب أنها عناوين كاشفة مضامين العلوم ولا يستشكل منها إلا ما ندر؛ كعلم **مفردات القرآن**، وهو علمٌ اهتم به الصحابة والتابعون، وتسميته بالمفردات تسمية حادثة اجتهد فيها، ولا تدل صراحة على مراده ومحتواه.

ثالثاً: لما انقسمت الفنون القرآنية إلى قسمين «نقلية، واجتهادية»، فإن أهل التصنيف تباين نهجهم وحظ الآثار من تآليفهم حسب نوع العلم القرآني.

فأما العلوم النقلية مما عمدته الأثر فلا تبنى قضاياه وأفراد علومه إلا عليه، فإنها موضع عناية وذكر وترادف لمرويات السلف فيها؛ لأن شرطها أن لا تعرف موضوعاتها وتضبط مباحثها إلا من طريق الرواية، وتميز المصنفون القدماء من أمثال السخاوي والسيوطي ومن في صفهم في أمرين:

الأول: الإكثار من سرد الروايات المأثورة بنصوصها وألفاظها.

والثاني: تعقيبها ـ في بعض الأحايين ـ بشيء من التصحيح والتضعيف للأسانيد.

وبرع السيوطي كثيراً في هذا الأمر وطرّز كثيراً من مرويات الصحابة والتابعين بذكر الإسناد بتمامه معزواً إلى كتب السُّنَّة والأثر، وخصوصاً في ما هو في عداد المفقود من ذخائر التراث، كما أكثر وأحسن في ذكر شذرات من كتاب المصاحف لابن أشتة، وهو سِفر مفقود، فكان هذا مفيداً في قضايا جمع القرآن وكتابته، ثم أبدع ـ وهو توأم الإبداع ـ بذكر شيء من الأحكام الحديثية لبعض طرق الروايات ونصوصها، وعليه فقد فاق أضرابه من أهل علوم القرآن في هذه الخصال الثلاث:

١ ـ وفرة المرويات الأثرية في جملة من علوم القرآن بما لا يكاد يوجد عند غيره.

٢ ـ حسن تعقيبها بشيء من التصحيح والتضعيف، وبيان الوصل والانقطاع في أسانيدها.

٣ ـ حفظ في طيات إتقانه كثيراً من المرويات المنصوصة عن السلف التي غاب مصدرها من كتب السُّنَّة والأثر، بل نقل عدداً من المروي بإسناد صاحب الكتاب، وهذا مفيدٌ في معرفة حال السند ورجال الطريق.

ويشترك مؤلفو علوم القرآن القدماء منهم والمحدثون بالاعتناء بالمرويات في هذه المعارف القرآنية خصوصاً وإن تباينوا قدراً ونظراً في هذه النصوص، وفاق الأقدمون بجودة سرد الآثار بتمامها واستيفاء نصها بينما مال المتأخرون إلى ذكر مستخلصات الروايات ودلالتها على طُرز مسائل وقضايا دون الإكثار من ألفاظ الأثر ذكراً ونصاً.

وعمل الأوائل ـ في ظني ـ أكثر نفعاً وأعظم فائدة، فإن بسط ألفاظ النصوص وإيعاب حروفها يثمرُ ثمرات جليلة وهي:

الأولى: أن تعلم أُصول القضايا القرآنية وأُسسها من كلام الصحابة والتابعين أي: يعرف تقريرات العلم مع مستنده وعاضده من كلامهم.

الثانية: أن جمع الروايات وضبطها في قوالب متقنة تفتق الأذهان عن روائع الاستنباطات من النصوص، وتثري المسائل المنتزعة من آثارهم.

الثالثة: معرفة أي الأقوال أكثر تابعاً وأطول باعاً عند الأوائل، وما اتفق عليه الصحابة والتابعون، وما هو قول كبارهم في العلم، وهذه الفائدة العزيزة لا تحصل دون احتواء المرويات بتمامها وجمع متفرقها، وفي علم أوائل ما نزل وأواخره آكد دليل.

الرابعة: أن العناية الفائقة بكلام الصحابة وتلاميذهم مرشدٌ إلى إدراك وجه قولٍ أو دليله أو نهج صاحبه وطريقته في بسطه العلم القرآني، ومثال ما تقدم يدرك بالنظر في علم القرآن وكتابته، ثم المقارنة بما كتبه أبو شامة والسيوطي بما هو عند أهل الزمان المحدثين.

ومما فاق به القدماء من أتى بعدهم وضوح الوجهة الحديثية متمثلة في تعقب الطرق والأسانيد بتصحيح أو تضعيف أو وصل وانقطاع، ورواتها توثيقاً وتوهيناً، كمثل ما جاء في مرشد أبي شامة، أو إتقان السيوطي، وفي بعض المتفرقات عند ابن عقيلة المكي.

وبقدر تباين احتفائهم بنصوص العلوم النقلية ومرويات الأوائل فيها، كان تفاوت النظر وتمايز الاستيعاب لمضامين تلك المرويات.

فهناك قدر واسع من الاجتهاد في استخلاص الموضوعات وتفريع المسائل منها، وإن كانت عمدتها نقولاً مؤسسة من كلام الصحابة التابعين.

أما حال أهل المصنفات القرآنية مع العلوم الاجتهادية من نحو:

المشكل، وموهم الاختلاف، والمقدم والمؤخر، والأمثال فكانت أقل مما هي عليه مع الآثار والنصوص في العلوم النقلية، وذلك للأسباب التالية:

أ ـ أن مدخل النظر وصيغة الاجتهاد فيها وسَّع من طرائق لقط مفاتيح العلوم، وفَتَحَ فضاءاتٍ رحيبة في إحراز مهماتها؛ لأنه لم يلزم فيها نصوص منقولة لا يحملها إلا الصحابة والتابعون ولا تصدر إلا عنهم.

ب ـ أن معظم آثار الصحابة والتابعين في تلكم المعارف القرآنية مما يمكن التأصيل من خلاله، كانت عن طريق الأمثلة بالشواهد، ولم تكن الجادة في نقول مؤسسة وعبارات صريحة مؤصلة، إنما هو نظر عميق في الشواهد وتأمل في الأمثلة يستخلص منها القضايا والموضوعات.

ج ـ نمت هذه العلوم في الأزمان المتأخرة، وارتقت على يد أهل العلم بما لم يكن في زمان السلف الأوائل، فرست قواعدها، وتحققت أُصولها، واستبانت مسائلها، وخصت بتآليف متوالية وكتب مترادفة؛ لأن إطلاقها من شرط أثر لا يمكن البناء إلا على أساسه، ولا استقاء مفرداته إلا عبر مورده، أطلق العنان للأفهام تجول في ميادينه، وتضم متفرقات علومها، وتؤسس مهمات فنونها.

ولكن نصيب هذه العلوم الاجتهادية من عناية المصنفين بما حوته من مرويات الصحابة والتابعين مختلفٌ أيضاً، فبعض العلم أحظى من بعض، وهذا راجع إلى أن نصيبه من الأثر أعظم وارداً من غيره، وإلى موقعه من بناء المعارف العالي، فالنسخ بمروياته ونصوصه أحظى من المقدم والمؤخر، والوجوه والنظائر مثلاً، فإن اهتمام السلف بالنسخ ووفرة آثارهم فيه فائق غيره من العلوم، فكان توجه الهمم تلقاءه تحصيلاً ودرساً أعظم مما سواه.

ومن إشاراتهم المقتضبة لمأثور الصحابة والتابعين من بعض العلوم الاجتهادية ما قاله السيوطي عن المقدم والمؤخر:

وهو جدير أن يفرد بالتصنيف، وقد تعرض السلف لذلك في آيات. اهـ، ثم ساق بعض الأمثلة[1].

---

(١) انظر: الإتقان (٤/ ١٣٩٩).

وقال كذلك عن الكليات:

قد تعرض النبي ﷺ والصحابة والتابعون لشيء من هذا النوع.اهـ، ثم أورد مقتطفات من مأثور السلف في علم الكليات(١).

وأوردوا متفرقات من وقائع موهم الاختلاف عن الصحابة والتابعين شواهد للعلم، وتبياناً لاتجاههم إلى تجليته ونفي الإيهام عنه.

رابعاً: تداخل علم أصول الفقه مع علوم القرآن في جملة من فنون الكتاب وأنواعه، وهو اشتراك وقع بين الفنين في علوم النسخ، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص.

ويضبط هذه العلوم المشتركة أنها ما كان في سياق دلالات الألفاظ، وما يجري عليها من الإحكام والنسخ، والعموم والخصوص ونحو ذلك.

هذا الاشتراك الحاصل صبغ مدارسة علماء القرآن هذه المعارف القرآنية بصبغة أُصولية غالبة، حيث عوَّلوا على أُهل الأصول وأفادوا من تقريراتهم، وتناولوا هذه الأنواع بيدٍ أُصولية حاكمة معظم الأحيان، حتى خيل إليك وأنت تطالع بعض الأسفار القرآنية أنها من كتب الأُصول لا علوم القرآن؛ من كثرة النقول واقتفاء خطى الأصوليين في تقسيمات الفنون، والمباحث التي دار حولها العلم.

إن هذا الاشتراك بين الأُصول وعلوم القرآن في شيء من المعارف خلَّف نتائج تظهر عند التأمل وحين المقارنة بين العلم عند أهل كل فن، وهي كالآتي:

أ - غلبة النَّفَس الأُصولي على هذه العلوم عند مدارستها ضمن معارف الكتاب، محتذين روح العلم الأصولي، معتمدين على براعة أئمة الأُصول المبرزين فيه.

ب - تلونت كثير من مسائلها ومفرداتها بتحقيقات أهل الأُصول وتقريراتهم، وما دبجوه من التعريفات والتقاسيم حتى كان الاعتماد على ما قسموا وأصَّلوا من قضايا علمية وهي ذات منطلقات أُصولية صرفة، وكان

---

(١) انظر: الإتقان (٣/ ٩٩٣ ـ ٩٩٥).

بالإمكان تطويع هذه المعارف وإكسابها الصبغة القرآنية، فانظر إلى تعريف النسخ مثلاً والمقصود بالمحكم والمتشابه يصدقك هذا الملحظ وتيقنه.

ج - ضعفت الصلة بنصوص الصحابة والتابعين عند عرض العلوم المشتركة ومباحثها؛ لأن علم الأصول متأخر النشأة، وبالتالي لما تابعهم أهل علوم القرآن كثيراً لم تحظ نصوص الأوائل بما تستأهله من الذكر والاشتغال، وإقامة بناء علوم القرآن على أسس السابقين، والمقصود ما لاقاه درس العلوم التي تشترك مع أُصول الفقه وطغيان التأثير الأُصولي على نهج تلك المعارف.

ولا يراد بهذا عيب الاشتراك فهو أمر لا محيد عنه، لكن المؤمل أن تستقل مسالك علماء القرآن في بحثهم العلوم المشتركة، وبقي أمر الاقتران والتلاقي بين الفنون في شيء من الأنواع من ما لا بد منه، ولا يضير ذلك بعد تفرد النظرة القرآنية في بسط علوم الكتاب العزيز.

وتلك مرحلة تنطلق من آثار الصحابة والتابعين تأسيساً وتشييداً لقواعدها من علومهم الأثرية.

خامساً: كان لطائفة من فنون القرآن صلات بضروب البلاغة وتعلق بأنواع البيان، وذلك غير ما لها من علاقة أُخرى بالمعاني والتفسير.

من أمثال: المقدم والمؤخر، أمثال القرآن، المفصول والموصول، فهذه العلوم وأضرابها تشاطر فيها الأولون وأهل التآليف أوجه العناية وصنوف الاهتمام، فكان للسلف جانب العناية الفائقة بالمعاني، واستنباط النكت، وتحصيل الفوائد.

ولم يلتفتوا إلى إظهار محاسن البيان ومكنونات الفصاحة فيها؛ لأن ذلك متمكن في نفوسهم قد تذوقوا جماله وألمُّوا بفائق براعته، ونتج عن ذلك عدم الإفاضة في إشهار تلك الجوانب وتوضيح مسائلها البلاغية.

أما أهل المصنفات في علوم القرآن فأَوْلَوا جانب البلاغة وأوجه الفصاحة جليل الاعتناء وغاية الاهتمام، وفي علم المقدم والمؤخر، وأسرار التقديم والتأخير البيانية مثال مستنير.

وبقي في مطاوي مرويات الصحابة والتابعين ما يمكن تحصيله من متعلق

المعاني والتأويلات، والتفنن في حوز مهماته والظفر بتقسيماته، وتنويعه تنوعاً يفي بأجزائه ومتفرقاته.

سادساً: أن أمر تأسيس علوم القرآن على ضوء روايات الصحابة والتابعين قائم على ركيزتين مهمتين:

أولاهما: رصف الأقوال وجمع النصوص من بطون أسفار السُّنَّة ودواوينها.

ثانيهما: كشف المدلولات، وتحليل مضامين الآثار، وسبر غورها وتقعيد مفرداتها.

وهاتان الركيزتان تباين عمل المصنفين تجاهها، وبدا اهتمامهم بالأثر في العلوم المنقولة أكثر تحصيلاً من العلوم الاجتهادية.

وفوق ذلك فإن جانب الرواية في الفنون الاجتهادية لم تنل نصيبها الأوفى من الكشف والتجلية، فمثلاً مرَّ أثر علي بن أبي طالب ﷺ في أهمية النسخ دون فحص مضمونه وشرح محتواه، فلم يعقبوه بكلمة مفصحة مبينة، ومثله أقوال السلف في تعيين المراد بعلم المحكم والمتشابه، وهذا طريقٌ لا بد من اتباعه حتى تنهض العلوم وتسير نحو النضج والاكتمال.

وأما سبب ندرة التحليل للرواية وتيمم الوجهة إليه فمضى بعضه، وهو اشتراك بعض العلوم مع علم أُصول الفقه اشتراكاً مفضياً إلى غلبة فنٍّ على آخر وضمه تحت جناحه.

ثم ترادف أهل العلم المحققين ونهمهم المحمود في تقعيد المعارف وتفتيق أكمامها من ما جمع بين دفتي التصانيف السائرة والمؤلفات النيرة، وتوالي ذلك على مر الأزمنة وكر العصور، فكأنه حلَّ محلَّ مأثور السلف؛ لأنهم لم يتعانوا أمر استيعاب الآثار والروايات المبثوثة في بطون الكتب.

سابعاً: لا يختلف في أن أصحاب التصانيف في علوم القرآن من المعاصرين كانوا عالةً على المحققين الجهابذة من القدماء؛ كأبي شامة، والسخاوي، والسيوطي والزركشي، وبخاصة ما خطته أنامل العالمين الكبيرين الزركشي والسيوطي ـ رحمهما الله ـ فكتاباهما ـ بحقٍّ ـ أبوان، وما توالد من تآليف بعدُ في فنون الكتاب المبين ذريتُهما.

وأمر ما ورثه الصحابة والتابعون في علوم القرآن قد برعا فيه واستنارا بنوره، فالإفادة من سبق أهل السبق أمر محمود لا ينفك منه أحد، فكل يستفيد من إبداع أهل العلم وصوابهم، والعلم رحم بين أهله.

لكن المؤمل أن تسير المصنفات في ركاب التدقيق، وتمحيص المسائل وتهذيب الأنواع، وتنقيتها من شوائب الأقوال التي لا دليل عليها أو تصادمها الرواية والنقل، فظاهرة استنساخ التآليف بعضها من بعض ينبغي أن تزول، وأن تُحقق علوم القرآن حتى تنضج، وأكاد أجزم أن الخطوة الأولى في هذا المطلب احتواء الأثر والنص من مظانه وتأصيل القضايا القرآنية على قبسٍ من تلكم الرواية عن أئمة الشأن من الصحابة والتابعين، السابقين زمناً وقدراً، فالشوط طويل والآمال عريضة، وفي الأُفق ما يبشر بغيثٍ مدرار وفجرٍ ساطع. والله أعلم.

الخاتمة

بعد تطواف مثمر في أسفار الأثر ودواوين الرواية مع معارف القرآن العظيم في زمن العلوم الأول، تسطع هذه النتائج وتختم هذه الفوائد بجملة وافرة من القضايا، يجمل التنبيه عليها والوصاية بها ليفوح مسك الختام، ويسطع بدر التمام:

١ ـ شمولية تلقي علوم الكتاب المجيد مع كل ما يتعلق بالقرآن تفسيراً ومعانٍ، وحروفاً وأداءً، وعلوماً ومعارف، فقد نهل الصحابة والتابعون من معين التنزيل بمجموعها، لا ينفصل علم عن آخر ولا فنٌّ عن قرينة.

وهو تآخٍ للعلوم وما يتصل بكتاب الله، تعلماً وتعليماً، تلقياً ونشراً.

ولهذا نُقلت إلى المتأخرين علوم القرآن التي أسَّسَها الصحابة وعلموها وخاضوا في أفرادها وأفاضوا في موضوعاتها بالأسانيد نفسها التي حملت مروياتهم في التفسير وحروف القرآن وأداء ألفاظه.

٢ ـ أن علوم القرآن التي أفاض فيها الصحابة والتابعون علومٌ أثرية، نقلتها أسانيد الرواية، والحديث عن قوة الطرق وضعفها ووصلها وانقطاعها هو ما ذكره العلماء النقاد وأطنبوا فيه عند مروياتهم التفسيرية؛ لأن سبل نقلها هي سبل نقل الآثار التفسيرية، واستبان أن ضعف الطريق إلى الرواية في علوم القرآن غير مانع من التأصيل منها، وتأسيس موضوعات الفنون عليها؛ لأمور:

أ ـ ضعف الطريق لا يلزم منه ضعف المتن.

ب ـ أن الحكم بالضعف والتوهين كان من خلال ما وصل إلى المعاصرين من كتب السُّنَّة ودواوين الأثر، وبقيت ذخائر مفقودة، ربما جاءت الرواية من طريق صحيح أو على أقل حالٍ عضدت الطريق الضعيف وارتقت به إلى الحسن لغيره.

ج ـ أن بوابة التأصيل الكبرى لمعارف الكتاب عند أولئك السلف الأولين كان

عبر تأمل الأمثلة والشواهد التي يتكون من مجموعها مسألة علمية وقضية قرآنية، فلو وُهِّن سند رواية لأمكن أن يصح برواية أُخرى، ولو وهنت الأُخرى لتقوت الطرق بعضها ببعض فتثبت المسألة القرآنية وتعتمد.

٣ ـ ظهر أن فنون القرآن على ضربين:

الأول: علوم نقلية، وشرطها مشاهدة التنزيل وحضور الوقائع ومعاصرة الأحداث، وهو شرط لا يتوفر إلا في الصحابة الكرام.

وما ورد عن التابعين من آثار في العلوم النقلية هو في حقيقة أمره روايةٌ ونقلٌ لما تلقوه عن شيوخهم من الصحابة يؤكد هذا ويعضده أنها مسائل لا مدخل فيها للاجتهاد، فلم تبق إلا الرواية عن ملازمي النبوة وتنزلات القرآن.

الثاني: علوم اجتهادية، ولا يشترط فيها ما اشترط في العلوم النقلية، فكان الأمر فيها واسعاً ما دام للنظر والرأي فيها موطن.

وما دام في القرآن علومٌ مردها التفكر وحسن التبصر فهي دعوة إلى نشر ما في مكنونه من المعارف التي لا تنتهي والغوص على فنونه الغزيرة المستودعة بواطن الآي الكريمة.

٤ ـ يظهر قدر العلم القرآني وبالغ منزلته بين العلوم الأُخرى، وجليل اعتناء الصحابة والتابعين في تحصيله بأمرين:

الأول: نصوص معربة عن شأنه وعلو كعبه بين العلوم القرآنية؛ كالوارد في أهمية الأسباب، والنسخ، والمكي والمدني.

الثاني: التوجه إلى ضم متفرقات العلم والتوسع في تقصي أفراده وتحصيل موضوعاته، توجهاً عملياً لا قولياً، وهذا تم في علم المكي والمدني والتعرف إلى أنواع السور وما استثني منها، وعلم المبهمات واستيفاء كل مبهم في القرآن وبيانه وغيرها من الشواهد.

وقد يجتمع في العلم الأمران من النص على قدره ومكانته قولاً، ثم الإفاضة في ذلك عملياً بتتبع موارده في آي القرآن كعلم الأسباب أو النسخ مثلاً.

٥ ـ يظهر أن مصطلح «علوم القرآن» سار مواكباً في إطلاقه ومعناه لشمولية ما يتصل بالقرآن من علوم وفنون منذ بداياتها، فكان مصطلحاً

فضفاضاً، ثم بدأ يتشكل بمعناه الخاص من المائة الرابعة من الهجرة، وتأكد هذا وطبع بسيما خاصة بعد المائة الخامسة، وظهر في مروياتهم ألفاظ مرادفة لمصطلح **علوم القرآن** من نحو: **المعرفة بالقرآن، القرآن ذو فنون، علم القرآن،** ونطق الحسن البصري بمصطلح **علوم القرآن** في أثره المشهور وكان واسع المضمون يشمل معارف القرآن بمعناه الاصطلاحي المتأخر ويشمل غيرها، ثم أشاع الشافعي المصطلح في قصته المعروفة مع هارون الرشيد، وكان ذلك بمعناه الذي استقر عليه فيما بعد، دل على ذلك تعداد الشافعي لعلومٍ قرآنية هي أمهات العلوم ورؤوس فنونها، حتى عدَّ ـ كما في الأثر ـ ثلاثة وسبعين علماً قرآنياً.

٦ ـ أن الصحابة الكرام ومن بعدهم من التابعين كانوا أعلم الناس بمهمات العلوم وترتيبها أهمية وابتداء بما يستحق البداءة به، ولهذا أولوا العلوم حقها ووضعوا كل علم في منزلته التي يستأهلها دون بخس فنٍ ولا مغالاة في آخر.

وبدا وجه اهتمام كبير بالعلوم القرآنية التي لها صلات بعلم التفسير من نحو: أسباب النزول، والمكي والمدني، وغيرهما، وما ذاك إلا لأنها عائدة على التفسير والتأويل بالفائدة والأثر.

٧ ـ أن الجادة في تأصيل قضايا العلوم القرآنية من روايات الصحابة والتابعين، كانت عبر تأمل الأمثلة والشواهد للمسائل القرآنية؛ أي: من خلال المرويات التطبيقية للعلوم، فلم تكن في النصوص المأثورة عبارات تأسيسية صريحة وتقسيمات واضحة، وجملٌ مرصوفة مؤصلة، ولهذا دقَّ أمر تأسيس المعارف والحال هذه واستوجب النظر المتمعن والتتبع المستقصي لموارد العلم وشواهده في الآثار.

٨ ـ من جهة الألفاظ وسبك العبارات امتازت مرويات السلف بالجملة الوجيزة والمعاني الغزيرة، والإشارات الدقيقة والفهم الواسع، وجودة الاستنباط، وذكاء القرائح، ولهذا فمن أهم سمات الرواية أنها ليست جملاً مستطيلة وعبارات مطنبة، إنما إيجاز وافٍ، متسع المراد، متشعب الوجوه، متنوع الإفادة، ثري الفائدة.

٩ ـ تطابق الصحابة والتابعون في أنواع العلوم التي صرفوا وجوه الاهتمام إليها، وتدارسوا موضوعاتها وقرروا مسائلها، فلم يفض الصحابة القول في علم إلا وتابعهم التابعون عليه وسلكوا نهجهم واقتفوا خطاهم، ولا أثرى التابعون مفردات علم إلا ولأشياخهم من الصحابة قدم سبق إليه.

هذا في أصل العلوم القرآنية، ويبقى تفاصيل كل علم موطن تباين في الآثار كثرة وقلة، مع إمكان الاختلاف في تفصيلات كل علم على حدة.

١٠ ـ عظيم أثر تأصيل معارف القرآن على مأثور الصحابة والتابعين، إذ به تحفظ علومهم الغزيرة، وتؤسس فنون الكتاب المبين على قبس من الأثر والرواية الأصيلة.

وتكشف حالة العلوم في بداياتها الأولى زمن الصحابة والتابعين وتطورها عهداً بعد عهد حتى عصر الاستقرار والتمايز، ثم ما يتحصل من الإفادة من طرائق الصحابة والتابعين ومسالكهم في تناول صنوف المعارف القرآنية وفنونها، وتمييز تدرج مصطلحات العلوم ومراداتها منذ نشأتها إلى استقرارها على ما هي عليه الآن، إلى غير ذلك من الثمار والفوائد.

١١ ـ أن أهل علوم القرآن ممن صنَّف وألَّف قد تباينت مناهجهم في الإفادة من مرويات الصحابة والتابعين في علوم القرآن، فإن كان العلم من العلوم النقلية؛ فجانب الأثر مهمٌّ ومعتنىً به، وإن كان من العلوم الاجتهادية فأمره أخف من سابقه، وبقي للمتأمل فسحة يستطيع الإفادة من روايات السابقين على تنوع العلوم، ويكد الذهن إيعاباً لما تكتنزه من مسائل قرآنية.

١٢ ـ يحسن التوصية بسلوك منهج تأصيل العلوم القرآنية انطلاقاً من مروي الصحابة والتابعين، في كل علم لهم فيه قدم سابقة ويد راسخة، وأن يُستقصى في جمع الروايات وتصنيفها مع بالغ الاعتناء بألفاظهم وعباراتهم، فعلى وجازتها تنطوي تحتها مفاتيح الموضوعات القرآنية، وكذلك يستبين آراء أئمة العلم من الصحابة والتابعين وما قاله المقدمون منهم في علم القرآن، وما يتتابع عليه جماعاتهم، وكل ذلك يعزز من قوة الأقوال ويعضدها، ويفيد عند الترجيح والمقارنة بين الأقوال.

١٣ ـ اتضح مدى ترابط معارف القرآن فيما بينها وشديد صِلالتها

لبعضها، فهي منظومة متناسقة، علمٌ يكشف عن آخر، وفنٌّ يبين عن قرينه، وعلمان يتفاودان ويتكاملان، خاصة في ما هو من عداد العلوم النقلية، كأسباب النزول، والمكي والمدني، والمبهمات، ونزول القرآن فبينها عظيم اتصال واتساق.

١٤ ـ لا يفوتني التنبيه إلى معاناة توصيف المعارف القرآنية عند الصحابة والتابعين، وعمق درسها ودقة مسائلها فما هي إلا استخراج بالمناقيش في مجمل علومها؛ لأن الأوائل لم يطيلوا العبارات ويرصفوا الجمل المطنبة، إنما كلام مقتضب وإشارات بطينة تلتقط وتبنى على أساسها القضايا القرآنية.

وعليه فلازم ذلك أمران:

الأمر الأول: احتواء النصوص والروايات وإيعابها.

الأمر الثاني: تدقيق النظر وتكرار التمعن حتى تتجلى المسائل ويقود بعضها إلى بعض في استكمال منظومة الموضوعات التي ورثوها في كل علم قرآني.

١٥ ـ كان للصحابة والتابعين مراجعات وتعقيبات في شيء من قضايا العلوم، وهم بهذا يقررون عظم الحاجة إلى تنقيح الأقوال ونخل الآراء حتى لا يثبت منها ويعتمد إلا على قدم من الدليل وراجح التعليل، وهذه النزعة النقدية هي ما تحتاجه الكثير من المصنفات القرآنية اليوم حتى ينتفي الضعيف منها، ويتنقى الصحيح من الشوائب التي تكدره وتورد الاعتراضات عليه.

١٦ ـ بما أن دراسة العلوم القرآنية زمن الصحابة والتابعين هي لبنة أُولى في تحقيق معارف التنزيل وتأصيل قواعدها وتقعيد موضوعاتها، فمن المستحسن المفيد إكمال هذا البناء العلمي بدرس العلوم زمن أتباع التابعين فمن بعدهم وصولاً إلى عهد انبثاق التآليف وتقييد الفنون القرآنية في التصانيف المخصوصة، ورسوخ معارفها واستقلالها عن بقية علوم الكتاب.

١٧ ـ استبان بعد هذا كله، جليل فضل الصحابة والتابعين وعظيم منزلتهم، وسبقهم الذي لا يدرك في العلم والدين، فهم من تحمل هذه العلوم القرآنية حفظاً وإتقاناً، ثم تبليغاً لمن خلفهم من الأُمة، وهي خصيصة اصطفاهم المولى بها، لتكون لهم يد باذلة وقدم صادقة وأُجور متتابعة، فحقهم على أُمة

القرآن كبير، جزاء هذا الخير والنور الذي ورَّثوه، حباً وثناءً وترضياً وامتناناً، فجزاهم الله خير ما جزى صحباً عن نبيهم وكتابهم وأُمتهم، وجمعنا بهم في دار كرامته ونزل جنته بمنه وعفوه وإحسانه.

وختاماً:

أبتهل إلى المولى العزيز الوهاب القدير أن يُحسن العمل ويخلص لوجهه المقصد ويُبلغ الأمل، وأن يعفو عن التقصير ويصفح، ويهب التوفيق ويمنح، فما الخير إلا بيديه، ولا التسديد والقبول إلا من لديه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاةً وسلاماً دائمين سرمدين على نبي الرحمات وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الميامين الثقات.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١ - **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير**: أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقاني الهمداني، (ت٥٤٣هـ)، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢ - **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**: أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الراية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣ - **الإبانة عن معاني القراءات**: مكي بن أبي طالب حموش القيسي، (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٤ - **أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)**: صديق حسن خان القنوجي، (ت٣٠٧هـ)، أعده للطبع ووضع فهارسه: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق - سوريا، ١٩٧٨م.

٥ - **إبطال الحيل**: أبي عبد الله عبد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، (ت٣٨٧هـ)، تحقيق وتعليق: سليمان بن عبد الله العمير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦ - **إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة**: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن.

٧ - **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**: محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨ - **إتقان البرهان في علوم القرآن**: أ.د. فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

٩ - **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٠ - **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية لبنان، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١١ - **الآحاد والمثاني**: ابن أبي عاصم النبيل، (ت٢٨٧هـ)، تحقيق: الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٢ ـ **الأحاديث المختارة**: ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، (ت٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣ ـ **الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم**: عرض ودراسة، د. أحمد عبد العزيز القصير، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٤ ـ **أحاديث في ذم الكلام وأهله**: انتخبها: أبو الفضل المقرئ، دراسة وتحقيق: د.ناصر الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥ ـ **الأحرف السبعة**: أبي عمرو عثمان سعيد الداني، (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن الطحان، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، (ت٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٧ ـ **أحكام القرآن**: أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨ ـ **أحكام القرآن**: أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، (ت٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٩ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: علي بن محمد الآمدي، (ت٦٣١هـ)، علق عليه: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٠ ـ **إحياء علوم الدين**: أبي حامد محمد الغزالي، (ت٥٠٥هـ)، مكتبة ومطبعة «كرياطه فوترا» سماراغ.

٢١ ـ **أخبار القضاة**: وكيع محمد بن خلف بن حيان، (ت٣٠٦هـ)، مراجعة: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب.

٢٢ ـ **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**: أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي، القرن الثالث الهجري، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار مضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٣ ـ **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، (ت٢٥٠هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٤ ـ **أخلاق حملة القرآن**: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، حققه وخرج أحاديثه: محمد عمرو عبد اللطيف، بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٥ ـ **الآداب الشرعية**: عبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي، (ت٧٦٣هـ)، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وقدم له: شعيب الأرنؤوط وعمر القيَّام، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٦ ـ **أدب الكاتب**: أبي بكر محمد يحيى الصولي، (ت٣٣٦هـ)، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤١هـ.

٢٧ ـ **الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية**: محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٨ ـ **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**: محمد بن علي الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٩ ـ **أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص**: دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، د. عماد الدين محمد الرشيد، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٠ ـ **أسباب نزول القرآن**: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١ ـ **استخراج الجدل من القرآن الكريم**: فاصح الدين عبد الرحمٰن بن نجم المعروف بابن الحنبلي، (ت٦٣٤هـ)، تحقيق: د. زاهر بن عواض الألمعي، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٢ ـ **الاستقامة**: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ابن تيمية)، (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤١١هـ.

٣٣ ـ **الاستيعاب في بيان الأسباب**: سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، ط١، شعبان ١٤٢٥هـ.

٣٤ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، (ت٤٦٣هـ)، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٥ ـ **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، أخرجه الدكتور: عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦ ـ **الأسماء والصفات**: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع.

٣٧ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: للحافظ علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت٨٦٢هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٣٨ ـ **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، لبنان، ط٣، ١٩٨٠م.

٣٩ ـ **أصول التفسير وقواعده**: خالد عبد الرحمٰن العك، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٠ ـ **أصول السرخسي**: أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، (ت٣٩٠هـ)، حقق أصوله: أبو الوفاء الأفغاني، عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد ـ الهند.

٤١ ـ **أصول السُّنَّة**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين، (ت٣٩٩هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله محمد عبد الرحمٰن بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٢ ـ **الأضداد**: محمد بن القاسم بن الأنباري، (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٣ ـ **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي، (ت١٣٩٣هـ)، خرَّج أحاديثه: عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٤ ـ **أطراف الغرائب والأفراد للحافظ الدارقطني**: تأليف: الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي، نسخه وصححه جابر عبد الله السريع، ط١، ١٤٢٨هـ.

٤٥ ـ **الاعتبار في بيان الناسخ من المنسوخ في الآثار**: أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمذاني، (ت٥٨٤هـ)، طبعة دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٥٩هـ.

٤٦ ـ **الاعتقاد على مذهب السلف أهل السُّنَّة والجماعة**: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبي الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري، دار العهد الجديد للطباعة، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

٤٧ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن القيم)، (ت٧٥١هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٨ ـ **الإكسير في علم التفسير**: سليمان بن عبد القوي الصرصري البغدادي المشهور بالطوفي، (ت٧١٦هـ)، حققه أ.د: عبد القادر حسين، الناشر: مكتبة الآداب بالقاهرة.

٤٩ ـ **الإكليل في استنباط التنزيل**: جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥٠ ـ **إكمال المعلم بفوائد مسلم**: أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥١ ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**: الحافظ ابن ماكولا، (ت٤٧٥هـ)، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: عبد الرحمٰن المعلمي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٥٢ ـ **الأم**: أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت٢٠٤هـ)، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.

٥٣ ـ **أمالي المحاملي ـ رواية ابن يحيى البيع**: لأبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي البغدادي، (ت٣٣٠هـ)، تحقيق وتخريج: د. إبراهيم إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٤ ـ **الأمثال في أحاديث النبي ﷺ**: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، (ت٣٦٩هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، طبعة الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٥ ـ **الأموال**: أبي عبيد القاسم بن سلام، (ت٢٢٤هـ)، تقديم ودراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٦ ـ **الانتصار للقرآن**: القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفتح للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٧ ـ **الأنساب**: أبي سعد عبد الكريم محمد التميمي السمعاني، (ت٥٦٢هـ)، حقق نصوصه وعلق عليه: الشيخ عبد الرحمٰن المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥٨ ـ **الأهوال**: أبي بكر بن أبي الدنيا البغدادي، (ت٢٨١هـ)، تحقيق: د. ضياء الله محمد إدريس المباركفوري، الدار السلفية، بومباي ـ الهند، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٩ ـ **الأوائل**: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج: محمد شكور محمود الحاجي أمرير، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٠ ـ **الأوائل**: أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، (ت٢٨٧هـ)، حققه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: محمد ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

٦١ ـ **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف**: أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت٣١٨هـ)، تحقيق: د. أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٦٢ - **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ**: أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحمٰن الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦٣ - **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٤ - **الإيمان**: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٥ - **الإيمان**: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، (ت٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. علي ناصر فقيهي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٦٦ - **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**: للحافظ ابن كثير، (ت٧٧٤هـ)، شرح أحمد شاكر، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، حققه وتمم حواشيه: علي حسن بن علي عبد الحميد الحلبي الثري، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦٧ - **الباعث على إنكار البدع والحوادث**: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الشافعي، (ت٦٦٥هـ)، مطبعة النهضة الحديثة، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٨ - **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، (ت٢٩٢هـ)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٩ - **بحر العلوم، المعروف بـ تفسير السمرقندي**: أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، (ت٣٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: علي معوض، عادل عبد الموجود، زكريا النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣١هـ - ١٩٩٣م.

٧٠ - **البحر المحيط في أصول الفقه**: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٧١ - **البحر المحيط**: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (ت٧٥٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه: د. زكريا النوتي، ود. أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٢ - **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**: فهد بن عبد الرحمٰن الرومي، مكتبة التوبة، ط٤، ١٤١٩هـ.

٧٣ ـ **بدائع الفوائد**: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، (ت٧٥١هـ)، دار الخير، توزيع دار الخاني، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٤ ـ **البداية والنهاية**: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: معالي الدكتور عبد الله التركي، مركز البحث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٧٥ ـ **البدع**: أبي عبد الله بن وضاح القرطبي، حققه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، ط٣، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
٧٦ ـ **البرهان في علوم القرآن**: بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٧٧ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، لبنان.
٧٨ ـ **البعث والنشور**: أبي بكر أحمد بن الحسين البيقهي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٧٩ ـ **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**: تأليف: نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي الشافعي، (ت٨٠٧هـ)، تحقيق ودراسة: د. حسين الباكري، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٨٠ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٨١ ـ **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم**: د. علي أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
٨٢ ـ **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه: محمد حامد الفقي، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٧هـ.
٨٣ ـ **البيان في عد آي القرآن**: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٨٤ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٨٥ ـ **التاريخ الأوسط**: محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. تيسير بن سعد أبو حيمد، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
٨٦ ـ **تاريخ الرسل والملوك**: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر.
٨٧ ـ **تاريخ القرآن الكريم**: د. محمد سالم محيسن، ١٤٠٢هـ.

٨٨ ـ **تاريخ القصاص وأثرهم في الحديث النبوي ورأي العلماء فيهم**: د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي.
٨٩ ـ **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٩٠ ـ **تاريخ المدينة المنورة**: أبي زيد عمر بن شبَّه النميري البصري، (ت٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت.
٩١ ـ **تاريخ بغداد وتاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانها من العلماء من غير أهلها ووارديها**: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
٩٢ ـ **تاريخ جرجان أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان**: أبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي، (ت٤٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد ـ الهند، ط١، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.
٩٣ ـ **تاريخ خليفة بن خياط ٢٤٠هـ**: تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٩٤ ـ **تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر، (ت٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٩٥ ـ **تأويل مشكل القرآن**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت٢٧٦هـ)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر.
٩٦ ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، محمد علي النجار وعلي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان.
٩٧ ـ **التبيان في آداب حملة القرآن**: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم، ط٤، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٩٨ ـ **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن**: عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، (ت٦٥١هـ)، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.
٩٩ ـ **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان**: الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، (ت١٣٣٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية لبحلب، ط٣، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٠٠ ـ **تجريد أسماء الصحابة**: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، دار المعرفة، لبنان.

١٠١ ـ **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

١٠٢ ـ **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**: جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، (ت٧٦٢هـ)، اعتنى به: سلطان الطبيشي، ط١، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٣ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، بيروت ط٢، ١٤١٥هـ.

١٠٤ ـ **تذكرة الحفاظ**: أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٠٥ ـ **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**: أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: صالح أحمد الوعيل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٦ ـ **الترغيب والترهيب**: أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني ـ قوام السُّنَّة ـ اعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة.

١٠٧ ـ **تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول**: خالد عبد الرحمٰن العك، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٠٨ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل**: أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: محمد سالم العاشم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٩ ـ **التصاريف ـ تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه**: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م.

١١٠ ـ **التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام**: عبد الرحمٰن السهيلي، (ت٥٨١هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ـ ليبيا، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١١١ ـ **تغليق التعليق**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق: سعيد عبد الرحمٰن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٢ ـ **التفسير البسيط**: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

١١٣ ـ **تفسير الراغب الأصفهاني**: دراسة وتحقيق: د. عادل الشدي، مدار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١٤ ـ **تفسير القرآن**: للإمام أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي، (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس، دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ.
١١٥ ـ **تفسير القرآن الحكيم المسمى «المنار»**: محمد رشيد رضا، ط٢، مطبعة المنار، ١٣٥٠هـ.
١١٦ ـ **تفسير القرآن العزيز**: أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت٢١١هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١١٧ ـ **تفسير القرآن العزيز**: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١١٨ ـ **تفسير القرآن العظيم**: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
١١٩ ـ **تفسير القرآن**: أبي بكر محمد بن إبراهيم المنذر النيسابوري، (ت٣١٨هـ)، حققه وعلق عليه: د. سعد محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٢٠ ـ **التفسير القرآني للقرآن**: عبد الكريم الخطيب، طبعة دار الفكر العربي.
١٢١ ـ **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**: للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٢٢ ـ **التفسير بالمأثور**: عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، (ت٣٢٧هـ)، ضبطه وراجعه: أحمد فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، ـ ١٤٢٧هـ.
١٢٣ ـ **تفسير جزء عم**: محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٢٤ ـ **تفسير جزء عم**: محمد عبده، مطبعة مصر، ط٣، ١٣٤١هـ.
١٢٥ ـ **تفسير سفيان الثوري**: لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، (ت١٦١هـ)، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٢٦ ـ **تفسير سورة البقرة**: محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٢٧ ـ **تفسير غريب القرآن**: أبي محمد عبد الله بن محمد بن قتيبة، (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١٢٨ ـ **تفسير كتاب الله العزيز**: هود بن محكم الهواري، (ت٣هـ)، حققه وعلق عليه: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م.

١٢٩ - **تفسير مقاتل بن سليمان**: أبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٣م.

١٣٠ - **التفسير ورجاله**: محمد الفاضل بن عاشور، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٣١ - **تقريب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، حققه وعلق عليه: أبو الأشبال صغير بن أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

١٣٢ - **تقريب التهذيب**: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

١٣٣ - **التقريب والإرشاد (الصغير)**: أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، (ت٤٠٣هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٣٤ - **التكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن**: محمد بن علي بن خضر الغساني، ابن عساكر، (ت٦٣٦هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٣٥ - **تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم**: أحمد علي بن ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: سكينة الشهابي، ط١، ١٩٨٥م.

١٣٦ - **التمهيد في أصول الفقه**: محفوظ بن أحمد بن الحسن أبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي، (ت٥١٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. مفيد محمد أبو عمشة، طبعة جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٣٧ - **التمهيد في علم التجويد**: محمد بن محمد بن الجزري، (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: د. علي حسن البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣٨ - **التمهيد في معرفة التجويد**: أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، (ت٥٦٩هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٣٩ - **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم كتاب الله المبين**: أبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي، تقديم وتصحيح: محمد الشاذلي النيفر، الناشر: مؤسسات عبد الكريم عبد الله، (ت١١١٨هـ).

١٤٠ - **تهذيب التهذيب**: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، اعتناء: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

١٤١ - **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار**: محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، قرأه وخرج أحاديثه أبو مهز محمود محمد شاكر، مطبعة المدني.

١٤٢ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، (ت٧٤٢هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤٣ ـ **التوحيد وإثبات صفات الرب** ﷻ: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، (ت٣١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٤ ـ **التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته بين الاتفاق والتفرد**: أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن تركي بن منده، (ت٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. علي محمد الفقيهي.

١٤٥ ـ **التيسير في قواعد التفسير**: محمد بن سليمان الكافيجي، (ت٨٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: ناصر محمد المطرودي، دار القلم، دمشق، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٤٦ ـ **الثقات**: لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، (ت٣٥٤هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٤٧ ـ **جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير**: جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، وأحمد عبد الجواد، دار الفكر.

١٤٨ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمود شاكر وأحمد شاكر، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٤٩ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: معالي الدكتور عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥٠ ـ **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**: صلاح الدين أبي سعيد بن خليل كيكلدي العلائي، (ت٧٦١هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١٥١ ـ **جامع الترمذي**: أبي عيسى محمد بن عيس الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، إشراف ومراجعة: معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٥٢ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**: لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٥٣ ـ **جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم السنن**: عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د. عبد الملك بن دهيش، ط٣، ١٤٢٥هـ.

١٥٤ ـ **جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها**: عليوي بن خليفة عليوي، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٥٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله**: أبي عمر يوسف بن عبد البر، (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٥٦ ـ **الجامع لتفسير القرآن**: عبد الله بن وهب بن مسلم أبي محمد المصري، (ت١٩٧هـ)، برواية سحنون بن سعيد، (ت٢٤٠هـ)، تحقيق وتعليق: ميكلوش موراني، جامعة بون، ألمانيا، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

١٥٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٨ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: الحافظ الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٥٩ ـ **الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقها على المذهب الراجح**: عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٠ ـ **الجليس الصالح الكافي والأنيس الفاصح الشافي**: أبي الفرج المعافي يبن زكريا النهرواني الجريري، (ت٣٩٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦١ ـ **جمال القراء وكمال الإقراء**: علم الدين بن محمد السخاوي، (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكةالمكرمة، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٦٢ ـ **جُمَل من أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جاسر البلاذري، (ت٢٧٩هـ)، حققه وقدم له: أ.د. سهيل زكّار، ود. رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦٣ ـ **الجهاد**: عبد الله بن المبارك المروزي، (ت١٨١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د.نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة.

١٦٤ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، (ت٨٧٥هـ)، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، أ.د.عبد الفاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٦٥ ـ **الجواهر المضيئة على المقدمة الجزرية**: سيف الدين بن عطاء الله الفضالي المصري البصير، (ت١٠٢٠هـ)، دراسة وتحقيق: عزة هاشم قعيني، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٦٦ ـ **الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون**: جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٦٧ ـ **الحجة في القراءات السبع**: ابن خالويه، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط٣، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٦٨ ـ **حجج القرآن**: أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي، (ت٦٣١هـ)، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٦٩ ـ **حسن الظن بالله**: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، (ت٢٨١هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الحميد شانوحة، مؤسسة الفن الثقافية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٧٠ ـ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ.

١٧١ ـ **حِكَمٌ من القرآن جرت مجرى الأمثال**: توفيق عمر بلطة جي، دار الفكر، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٢ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: سعيد بن سعد الدين خليل الإسكندراني، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧٣ ـ **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل**: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، دراسة وتحقيق: فهد سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٧٤ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٧٥ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: معالي الدكتور عبد اللهالتركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٧٦ ـ **درء تعارض العقل والنقل**: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية، (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٧٧ ـ **الدرر البهية بشرح المقدمة الجزرية في علم التجويد**: أسامة عبد الوهاب، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٧٨ ـ **دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب**: محمد الأمين الشنقيطي، (ت١٣٩٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧٩ ـ **دلائل النبوة**: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٨٠ ـ **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**: دراسة تحليلية: د. منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٨١ ـ **الذرية الطاهرة النبوية**: أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي، (ت٣١٠هـ)، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
١٨٢ ـ **ذكر أخبار أصبهان**: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي.
١٨٣ ـ **ذم التأويل**: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، (ت٦٢٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه بدر عبد الله البدر، دار الفتح، الشارقة، ط١ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٨٤ ـ **ذم الكلام وأهله**: عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، أبي إسماعيل الهروي، قدم له وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: أبو جابر عبد الله بن محمد عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية.
١٨٥ ـ **ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة**: أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسني، إصدار جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية، فلسطين.
١٨٦ ـ **الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله**: أحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تحقيق: صبري سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
١٨٧ ـ **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق**: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: علي محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ.
١٨٨ ـ **الرسالة**: محمد بن إدريس الشافعي، (ت٢٠٤هـ)، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٨٩ ـ **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**: د. غانم قدوري الحمد، طبعة الجمهورية العراقية، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٩٠ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩١ ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي (ابن قيم الجوزة)، (ت٧٥١هـ): خرج أحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
١٩٢ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
١٩٣ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٩٤ ـ **زغل العلم**: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: محمد ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية.
١٩٥ ـ **الزهد**: سلميان بن الأشعث السجيتاني (أبي داود)، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر إبراهيم محمد، وأبي بلال غنيم عباس غنيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٩٦ ـ **الزهد**: عبد الله بن المبارك المروزي، (ت١٨١هـ)، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٩٧ ـ **الزهد**: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٩٨ ـ **الزهد**: هناد بن السري الكوفي، (ت٢٤٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩٩ ـ **الزهد**: وكيع بن الجراح، (ت١٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي.
٢٠٠ ـ **زهرة التفاسير**: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٢٠١ ـ **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**: محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، (ت١١٥٠هـ)، مجموعة رسائل جامعية، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
٢٠٢ ـ **السبعة في القراءات**: ابن مجاهد، (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣.
٢٠٣ ـ **سعيد بن منصور ٢٢٧هـ**: دراسة وتحقيق: د. سعد الحميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٠٤ ـ **سعيد بن منصور ٢٢٧هـ**: دراسة وتحقيق: د. سعد الحميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٠٥ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٠٦ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٠٧ ـ **السُّنَّة**: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، (ت٣١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٠٨ ـ **السُّنَّة**: أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، (ت٢٩٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وآثاره وعلق عليه: د. عبد الله بن محمد البصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٠٩ ـ **السُّنَّة**: عبد الله بن أحمد بن حنبل، (ت٢٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد سعيد القحطاني، دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢١٠ ـ **سنن الدارمي**: أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن بهرام الدارمي، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢١١ ـ **سنن الدراقطني**: علي بن عمر الدارقطني، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: مموعة من الباحثين، بإشراف: معالي الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢١٢ ـ **السنن الكبرى**: أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، (ت٣٠٣هـ)، قدم له واعنى به وخرج أحاديثه: جاد الله بن حسن الخراش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢١٣ ـ **سنن النسائي الصغرى، المجتبى من السنن**: أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، (ت٣٠٣هـ)، إشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٤ ـ **سنن سعيد بن منصور ٢٢٧هـ**: حققه وعلق عليه: حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢١٥ ـ **السنن**: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، إشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٦ ـ **السنن**: أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني، (ت٢٧٣هـ)، إشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٧ ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢١٨ ـ **سيرة النبي ﷺ**: لأبي محمد عبد الملك بن هشام، (ت١٨٣هـ)، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢١٩ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم**: أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور اللالكائي، (ت٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.

٢٢٠ ـ **شرح التبصرة والتذكرة**: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت٨٠٦هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. عبد اللطيف الهميم، ود. ماهر الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٢١ ـ **شرح السُّنَّة**: الحسين بن مسعود البغوي، (ت٥١٦هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢٢ ـ **الشرح الممتع على زاد المستقنع**: محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، محرم ١٤٢٨هـ.

٢٢٣ ـ **شرح الهداية**: أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، (ت٤٤٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.

٢٢٤ ـ **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**: أبي عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، دار الطلائع.

٢٢٥ ـ **شرح صحيح البخاري**: لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك «ابن بطال»، تحقيق: د. محفوظ الرحمٰن زين الله، ضبط نصه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٢٦ ـ **شرح مختصر الروضة**: لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي، (ت٧١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٢٧ ـ **شرح مشكل الآثار**: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٢٨ ـ **شرح معاني الآثار**: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي، (ت٣٢١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وفهرسته: د. يوسف المرعشلي، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٢٩ ـ **شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية**: (ت٧٢٨هـ)، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٣٠ ـ **الشريعة**: لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، (ت٣٦٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٣١ ـ **شعب الإيمان**: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٣٢ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو مازن المصري، وكمال سعيد فهمي، المكتبة الوقفية.

٢٣٣ ـ **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**: أحمد بن فارس، عنيت بتصحيحه ونشره المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد: القاهرة ـ ١٣٣٨هـ ـ ١٩١٠م.

٢٣٤ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٣٥ ـ **صحيح الإمام البخاري**: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٣٦ ـ **صحيح الإمام مسلم المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، عناية: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٣٧ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٣٨ ـ **الصحيح المسند من أسباب النزول**: مقبل هادي الوادعي، مكتبة صفاء الأثرية، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٣٩ ـ **صحيح سنن ابن ماجه**: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٥هـ)، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٠ ـ **صحيح سنن أبي داود**: تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني، (ت١٤٢٠هـ)، دار غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٤١ ـ **صحيح سنن الترمذي**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤٢ ـ **صحيح سنن النسائي**: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٤٣ ـ **الصحيح من أسباب النزول**: عصام الحميدان، دار الذخائر، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٤٤ ـ **الصفات**: أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، (ت٣٨٥هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. علي ناصر فقيهي، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٤٥ ـ **صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم**: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الحنبلي، ابن أبي الدنيا، (ت٢٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة، راجعه فضيلة الدكتور: نجم عبد الرحمٰن خلف، دار البشير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٦ ـ **صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي المعرف بـ شعلة الحنبلي، (ت٦٥٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد صالح البراك، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٤٧ ـ **صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل**: أبي عبد الله محمد بن علي البلنسي، (ت٧٨٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٤٨ ـ **الصلة**: أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، (ت٥٧٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٤٩ ـ **الصمت وآداب اللسان**: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، (ت٢٨١هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٥٠ ـ **الضعفاء**: أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، (ت٣٢٢هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٢٥١ ـ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامي.
٢٥٢ ـ **ضعيف سنن ابن ماجه**: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٥هـ)، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٥٣ ـ **ضعيف سنن أبي داود**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشروالتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٥٤ ـ **ضعيف سنن الترمذي**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٢٥٥ ـ **ضعيف سنن النسائي**: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٥٦ ـ **طبقات الحفاظ**: جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٥٧ ـ **طبقات الحنابلة**: أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، (ت٥٢٦هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين، طبعة المئوية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٢٥٨ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، (ت٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية.
٢٥٩ ـ **طبقات القراء**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٦٠ ـ **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٦١ ـ **طبقات المفسرين**: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة بعابدين ـ مصر، ط١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٢٦٢ ـ **طبقات المفسرين**: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، (ت٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٦٣ ـ **الطرازات المعلمة في شرح المقدمة**: عبد الدائم الأزهري، دراسة وتحقيق: د.نزار خورشيد عقراوي، دار عمار، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٦٤ ـ **طرح التثريب في شرح التقريب**: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن حسين العراقي، (ت٨٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

٢٦٥ ـ **الطيوريات**: انتجاب أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني من أصول كتب الشيخ أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري بن عبد الله الصيرفي الحنبلي، دراسة وتحقيق: د. سمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٦٦ ـ **العجاب في بيان الأسباب**: للحافظ ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٦٧ ـ **العدة في أصول الفقه**: القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، (ت٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د. أحمد بن علي سير المباركي، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٦٨ ـ **العظمة**: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبي الشيخ الأصبهاني، (ت٣٦٩هـ)، دراسة وتحقيق: رضاء الله محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض.

٢٦٩ ـ **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**: أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني، (ت٤٤٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. ناصر محمد الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٧٠ ـ **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**: أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق وتخريج: د. محفوظ الرحمٰن زين الله السلفي، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار طيبة.

٢٧١ ـ **علل الوقوف**: أبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، (ت٥٦٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد عبد الله العيدي، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٧٢ ـ **العلل ومعرفة الرجال**: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، تحقيق وتخريج: د. وصي الله محمد عباس، دار الخاني، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧٣ ـ **العلل**: أبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٧٤ ـ **علم الجَذل في علم الجدل**: لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي، (ت٧١٦هـ)، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٧٥ ـ **العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، قدم له وصححه وراجع أصوله: عبد الرحمٰن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٢٧٦ ـ **علوم التفسير**: د. عبد الله شحاته، دار الشروق، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧٧ ـ **علوم الحديث**: أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، (ت٦٤٣هـ)، تحقيق وشرح: نور الدين عتر.

٢٧٨ ـ **علوم القرآن بين البرهان والإتقان**: دراسة مقارنة: د. حازم حيدر، دراسة مقارنة، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٢٧٩ ـ **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**: د. عدنان بن محمد زرزور، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
٢٨٠ ـ **عمدة القارئين والمقرئين**: أحمد بن أحمد الشقانصي القيرواني، (ت ما بين ١٢٢٨ ـ ١٢٣٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الرزاق بسرور، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢٨١ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، (ت٨٥٥هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٨٢ ـ **العواصم من القواصم**: القاضي أبي بكر ابن العربي، تحقيق: د. عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٢٨٣ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، (ت٧٣٤هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت.
٢٨٤ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**: لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي الشافعي، (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
٢٨٥ ـ **غذاء الجَنان بثمر الجِنان**: محاضرات في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.
٢٨٦ ـ **غريب الحديث**: أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٨٧ ـ **الغريبين في القرآن والحديث**: أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب الأزهري، (ت٤١٠هـ). تحقيق: أحمد فريد المزيدي، م نزار الباز مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٢٨٨ ـ **فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه**: لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري (ابن الصلاح)، (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار السوعي، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٨٩ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار الريان للتراث، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٩٠ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن**: صديق حسن خان القنوجي، المحقق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٩١ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد علي الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمٰن عميرة، دار الوفاء، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٩٢ ـ **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**: شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي الشافعي، (ت٩٠٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الكريم الخضير، ود. محمد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٩٣ ـ **فتوح البلدان**: أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وشرح وعلقه على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف ـ لبنان ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩٤ ـ **الفردوس بمأثور الخطاب**: أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، (ت٥٠٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٩٥ ـ **الفروع**: شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، (ت٧٦٣هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٩٦ ـ **الفصول في سيرة الرسول ﷺ**: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد العبد الخطراوي، ومحي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٤٠٣هـ.

٢٩٧ ـ **فضائل أبي بكر الصديق**: أبي طالب محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي الحربي المعروف بالعشاري، (ت٤٥١هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه عمرو بن عبد المنعم، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٩٨ ـ **فضائل الأوقات**: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، دار الكتب العلمية ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٩٩ ـ **فضائل القرآن العظيم**: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: أبي إسحاق الجويني الأثري، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ

٣٠٠ ـ **فضائل القرآن الكريم**: عبد السلام الجار الله، دار التدمرية، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٠١ ـ **فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تُلاته حملته**: أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أحمد بن حسن الرازي، (ت٤٥٤هـ)، تحقيق وتخريج: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٠٢ ـ **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**: أبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي، (ت٢٩٤هـ)، دراسة وتحقيق: مسفر سعيد الغامدي، دار القلم، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠٣ ـ **فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل وفي كم يقرأ والسُّنَّة في ذلك**: أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، (ت٣٠١هـ)، تحقيق وتخريج ودراسة: د. يوسف عثمان فضل الله جبريل، مكتبة الرشد، ط٣، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠٤ ـ **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**: أبي عبيد القاسم بن سلام، (ت٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.

٣٠٥ - **فضائل القرآن**: أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري، (ت٤٣٢هـ)، تحقيق وتخريج: د. أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠٦ - **فضائل القرآن**: لأحمد بن شعيب النسائي، (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ودار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٢م - ١٤١٣هـ.

٣٠٧ - **فضائل رمضان**: تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، (ت٦٠٠هـ)، تحقيق: أبي عبد الله عمار بن سعيد تمالت الجزائري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٠٨ - **الفقيه والمتفقه**: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، حققه: عادل يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٠٩ - **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**: أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣١٠ - **الفهرست للنديم**: أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، تحقيق: رضا تجدد.

٣١١ - **فهم القرآن**: الحارث بن أسد المحاسبي، (ت٢٤٣هـ)، قدم له وحقق نصوصه: حسين القوتلي، دار الكندر، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣١٢ - **الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة الشيخ سيدي الحاج محمد بن علي بن يالوشة**: ناشر ومصحح الشرح المذكور: عبد الواحد إبراهيم المارغني، المطبعة التونسية، بوق البلاط، عدد ٥٧ بتونس، ط٤، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

٣١٣ - **الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان - مقدمة ابن النقيب -**: أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي الشهير بابن النقيب ٦٩٨هـ - عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني مطبعة السعادة مصر - ط١، ١٣٢٧هـ.

٣١٤ - **الفوز الكبير في أصول التفسير**: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي، (ت١١٧٦هـ)، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣١٥ - **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٣١٦ - **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**: لأبي بكر بن العربي المعافري، دراسة وتحقيق: د. محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

٣١٧ - **القدر**: أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي، (ت٣٠١هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد الله المنصور، أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣١٨ ـ **القرآن المجيد ـ تنزيله وأسلوبه وأثره وجمعه**: محمد عزة دروزه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان.

٣١٩ ـ **القصاص والمذكرين**: أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه وأعد فهارسه: د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٢٠ ـ **القضاء والقدر**: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، دراسة وتحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٢١ ـ **القطع والائتناف**: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمٰن المطرودي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٢٢ ـ **قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ في القرآن**: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، (ت١٠٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. سامي عطا حسن، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٢٣ ـ **قواطع الأدلة في أصول الفقه**: أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني الشافعي، (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: د. عبد الله حافظ الحكمي، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٢٤ ـ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، (ت٧٤٨هـ)، قدم لها وعلق عليها: محمد عوامة، وخرج نصوصها: أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، جدة.

٣٢٥ ـ **الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٢٦ ـ **الكافية في الجدل**: لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتورة فوقية حسين محمود، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٢٧ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، (ت٣٦٥هـ)، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣٢٨ ـ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٢٩ ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٣٠ ـ **كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر**: محمد بن محمد بن الحلبي «ابن العماد»، (ت٨٢٥هـ)، تحقيق ودراسة: فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة: محمد سلميان داود، مؤسسة شباب الجامعة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٣٣١ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
٣٣٢ ـ **كشف المشكل من حديث الصحيحين**: أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
٣٣٣ ـ **الكشف والبيان المعروف بـ تفسير الثعلبي**: أبي إسحاق أحمد المعروف بالثعلبي، (ت٤٢٧هـ)، دراسة وتحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٣٣٤ ـ **الكفاية في علم الرواية**: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، طبعة دائرة المعارف العثمانية الهند، ١٣٥٧هـ
٣٣٥ ـ **كليات الألفاظ في التفسير**: بريك بن سعيد القرني، ط١، ١٤٢٦هـ.
٣٣٦ ـ **الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية**: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٣٧ ـ **الكنى والأسماء**: أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، (ت٣١٠هـ)، حققه وقدم له: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٣٣٨ ـ **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**: د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
٣٣٩ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل**: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي (الخازن)، (ت٧٢٥هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، مطبعة البابي الحلبي بمصر.
٣٤٠ ـ **لباب النقول في أسباب النزول**: جلال الدين أبي عبد الرحمٰن السيوطي، (ت٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٣٤١ ـ **اللباب في علوم الكتاب**: لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي، (ت٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعل محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٤٢ ـ **لسان العرب**: لابن منظور، (ت٧١١هـ)، دار المعارف.
٣٤٣ ـ **لسان الميزان**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، اعتنى به: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية.
٣٤٤ ـ **لطائف الإشارات لفنون القراءات**: للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٣٤٥ ـ **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**: د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٤٦ ـ **مباحث في علوم القرآن**: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٥، ٢٠٠٢م.

٣٤٧ ـ **مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان، الناشر: مكتبة وهبة، مصر، ط١١، ٢٠٠٠م.

٣٤٨ ـ **المتواري على تراجم أبواب البخاري**: ناصر الدين أحمد بن محمد «ابن المنير» الإسكندراني، (ت٦٨٤هـ)، حققه وعلق عليه: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة العلا، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٤٩ ـ **مجاز القرآن**: صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، (ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٣٥٠ ـ **المجالسة وجواهر العلم**: أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري القاضي المالكي، (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٥١ ـ **مجمع الأمثال**: أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السُّنَّة المحمدية، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

٣٥٢ ـ **مجمع البحرين في زوائد المعجمين «المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني»**: الحافظ نور الدين الهيثمي، (ت٨٠٧هـ)، تحقيق ودراسة: عبد القدوس محمد نذير، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٥٣ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري، (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣٥٤ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، (ت٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٥٥ ـ **محاضرات في علوم القرآن**: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٥٦ ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: أبي الفتح عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ): طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٥٧ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد الله الأنصاري، عبد العال السيد إبراهيم، الرحالة الفاروق، محمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣٥٨ ـ **المحرر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة) دراسة الأسباب رواية ودراية**: تأليف: د. خالد سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ.
٣٥٩ ـ **المحرر في علوم القرآن**: د. مساعد الطيار، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.
٣٦٠ ـ **المحصول في علم أصول الفقه**: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة.
٣٦١ ـ **المحكمات في الشريعة الإسلامية وأثرها في حفظ وحدة الأمة وحفظ المجتمع**: د. عابد السفياني، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٣٦٢ ـ **المحلى**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ.
٣٦٣ ـ **محمد رسول الله ﷺ**: بحث وتحقيق: محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٦٤ ـ **مختصر الحجة على تارك المحجة**: أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، (ت٤٩٠هـ)، تحقيق وتخريج ودراسة: د. محمد إبراهيم محمد هارون، أضواء السلف.
٣٦٥ ـ **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، (ت٧١١هـ)، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٦٦ ـ **مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق وتقديم: صبري عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣٦٧ ـ **المدخل لدراسة القرآن الكريم**: محمد أبو شهبة، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٦٨ ـ **المدونة الكبرى**: مالك بن أنس الأصبحي، (ت١٧٩هـ)، رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمٰن بن قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٦٩ ـ **المراسيل مع الأسانيد**: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، دراسة وتحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار القلم، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٧٠ ـ **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**: شهاب الدين عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي، (ت٦٦٥هـ)، حققه: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٣٧١ ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي بن سلطان محمد القاري، (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٧٢ ـ **مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله ابن عباس**: حققها وعلق عليها ووضع فهارسها: د. محمد أحمد الدالي، دار الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٧٣ ـ **مساوئ الأخلاق ومذمومها**: أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الشامري (الخرائطي)، (ت٣٢٧هـ)، حقق وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٧٤ ـ **المستدرك على الصحيحين**: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت٤٠٦هـ)، صنعة: عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٧٥ ـ **المستصفى من علم الأصول**: لأبي حامد محمد الغزالي، (ت٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. حمزة حافظ، المدينة المنورة.

٣٧٦ ـ **مسند أبي داود الطيالسي**: سليمان بن داود الجارود، (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المحسن التركي، مركز هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٧٧ ـ **مسند أبي عوانة**: يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، (ت٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٧٨ ـ **مسند أبي يعلى الموصلي**: أحمد بن علي بن المثنى التميمي، (ت٣٠٧هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أكد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٧٩ ـ **مسند الإمام أبي حنيفة**: تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، تحقيق وتعليق: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٨٠ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٤١هـ**: مؤسسة الرسالة، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف: معالي الدكتور عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٨١ ـ **مسند الإمام الشافعي**: ترتيب الأمير أبي سعيد سنجر بن عبد الله الناصري الجاولي، (ت٧٤٥هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. ماهر ياسين الفحل، غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٨٢ ـ **مسند الحميدي**: أبي بكر عبد الله بن الزبير القرشي، (ت٢١٩هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، دار السقا، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

٣٨٣ ـ **مسند الروياني**: أبي بكر محمد بن هارون الروياني، (ت٣٠٧هـ)، ضبطه وعلق عليه: أيمن علي أبو يماني، قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٨٤ ـ **مسند الفاروق وأقواله على أبواب العلم**: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٨٥ ـ **المسند**: الإمام أحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، شرحه ووضع فهارسه: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٨٦ ـ **المسند**: لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، (ت٣٣٥هـ)، تحقيق وتخريج: د.محفوظ الرحمٰن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٨٧ ـ **المسودة في أصول الفقه**: تتابع على تأليفه ثلاثة من آل تيمية ـ رحمهم الله ـ، حقق أصوله وفصَّله وضبط مشكله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
٣٨٨ ـ **مشكاة المصابيح**: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٨٩ ـ **مشكل القرآن الكريم**: د. عبد الله حمد المنصور، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ.
٣٩٠ ـ **المصاحف**: أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف بابن أبي داود، (ت٣١٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٩١ ـ **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**: أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي الشافعي، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٩٢ ـ **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**: أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني المصري، تحقيق ودراسة: د. عوض الشهري، طبعة الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
٣٩٣ ـ **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**: لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، (ت٨٤٠هـ)، طبعة بحاشية سنن ابن ماجه، بتحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٣٩٤ ـ **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ**: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. حسان الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٩٥ ـ **المصنف**: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.
٣٩٦ ـ **المصنف**: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوَّامة، شركة دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
٣٩٧ ـ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة، دار الغيث، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٩٨ ـ **معالم التنزيل**: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت٥١٦هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار طيبة، الإصدار الثاني، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٩٩ ـ **معالم السنن**: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، (ت٣٨٨هـ)، طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م.

٤٠٠ ـ **معاني القرآن الكريم**: أبي جعفر النحاس، (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، طبعة جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٤٠١ ـ **معاني القرآن وإعرابه**: أبي إسحاق إبراهيم السري الزجاج، (ت٣١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٠٢ ـ **معاني القرآن**: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٠٣ ـ **معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم**: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٠٤ ـ **معترك الأقران في إعجاز القرآن**: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر الإسلامي، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٤٠٥ ـ **المعتمد في أصول الفقه**: أبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، (ت٤٣٦هـ)، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه: محمد حميد الله بتعاون: أحمد بكير وحسن حنفي، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٤٠٦ ـ **المعجزة الكبرى**: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٤٠٧ ـ **معجم الأدباء إرشاد الأدريب إلى معرفة الأديب**: ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

٤٠٨ ـ **المعجم الأوسط**: الحافظ الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٠٩ ـ **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت.

٤١٠ ـ **معجم الصحابة**: أبي الحسين عبد الباقي بن قانع، (ت٣٥١هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء لأثرية.

٤١١ ـ **المعجم الصغير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤١٢ ـ **المعجم الكبير**: أبي القاسم أحمد بن سليمان الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢، القاهرة.

٤١٣ ـ **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤١٤ ـ **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**: عاتق غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٤١٥ ـ **معجم علوم القرآن، علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات**: إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤١٦ ـ **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المشهور بابن الأبار، طبع في مدينة مجريط بمطبعة روخس، سنة ١٨٨٥م.

٤١٧ ـ **معجم مقاييس اللغة**: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤١٨ ـ **المعجم**: أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن بشر ابن الأعرابي، تحقيق وتخريج: عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤١٩ ـ **معرفة الصحابة عند المحدثين**: دراسة توثيقية مقارنة، د. أحمد الباتلي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٢٠ ـ **معرفة الصحابة**: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبي نعيم الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل يوسف العزازي، دار الوطن، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٢١ ـ **معرفة علوم الحديث**: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت٤٠٥هـ)، شرح وتحقيق: أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٢٢ ـ **المعرفة والتاريخ**: أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، (ت٢٧٧هـ)، حققه وعلق عليه: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٢٣ ـ **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت٨٠٦هـ)، اعتنى به: أشرف عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٢٤ ـ **مفاتيح التفسير**: معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصلطحاته ومهماته، أ.د. أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٤٢٥ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**: أحمد مصطفى طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٢٦ ـ **مفحمات الأقران في مبهمات القرآن**: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٢٧ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٢٨ ـ **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، (ت٦٥٦هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ويوسف علي بديوي، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٢٩ ـ **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسِّر**: د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٤٣٠ ـ **مقدمة التفسير**: الراغب الأصفهاني، طبع بمطبعة الجمالية بمصر، ط١، ١٣٢٩هـ.

٤٣١ ـ **المقنع في رسم المصحف**: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٣٢ ـ **مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**: أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، تحقيق ودراسة: د. عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٤٣٣ ـ **المكتفى في الوقف والابتدا**: لأبي عمرو الداني، (ت٤٤٤هـ)، دراسة وتحقيق: جايد زيدان مخلف، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٣٤ ـ **منار الهدى في بيان الوقف والابتد**: أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٤٣٥ ـ **مناقب الإمام الشافعي**: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (ت٦٠٦هـ)، د. أحمد حجازي السقا، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٣٦ ـ **مناقب الشافعي**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٤٣٧ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٣٨ ـ **المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية**: ملا علي القاري، (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٤٣٩ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ابن تيمية)، (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٤٠ ـ **المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج**: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت٦٦٧هـ)، المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.

٤٤١ ـ **منهج الاستنباط في القرآن**: فهد مبارك الوهيبي، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٤٤٢ ـ **المنهل الراوي من تقريب النواوي**: محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، (ت٦٧٦هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. مصطفى الحسن، منشورات دار الملاح للطباعة والنشر.

٤٤٣ ـ **الموافقات**: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، (ت٧٩٠هـ)، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.

٤٤٤ ـ **موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر**: للإمام علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٤٥ ـ **مورد الظمآن في علوم القرآن**: صابر حسن أبو سليمان، الدار السلفية بالهند، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٤٦ ـ **الموسوعة القرآنية المتخصصة**: طبعة وزارة الأوقاف بمصر، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٤٤٧ ـ **موسوعة علوم القرآن**: د. عبد القادر منصور، دار القلم العربي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٤٨ ـ **الموصول لفظاً المفصول معنى في القرآن الكريم من أول سورة يس إلى آخر القرآن الكريم، جمعاً ودراسة**: خلود شاكر العبدلي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ.

٤٤٩ ـ **موضح أوهام الجمع والتفريق**: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد ـ الهند، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

٤٥٠ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، أ.د. عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العليمة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٥١ ـ **ناسخ الحديث ومنسوخه**: أبي جعفر عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، (ت٣٨٥هـ): حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: سمير أمين الزهيري، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، ط١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٥٢ ـ **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه**: هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم المعروف بابن البارزي، (ت٨٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٥٣ ـ **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن**: أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، (ت٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: محمد صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض.

٤٥٤ ـ **الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي**: عبد المتعال الجبري، الناشر: مكتبة وهبة، مصر، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٥٥ ـ **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**: لابن حزم الأندلسي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٥٦ ـ **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**: للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري، (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٥٧ ـ **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ واختلاف العلماء في ذلك**: أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (ت٣٣٨هـ)، دراسة وتحقيق: د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٤٥٨ ـ **الناسخ والمنسوخ**: أبي منصور عبد القاهر البغدادي، تحقيق: د. حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار العدوي، عمان ـ الأردن.

٤٥٩ ـ **الناسخ والمنسوخ**: شهاب الدين الزهري، (ت١٢٤هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٦٠ ـ **الناسخ والمنسوخ**: قتادة بن دعامة السدوسي، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٦١ ـ **نتائج الفكر في النحو**: أبي القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله السهيلي، (ت٥٨١هـ)، حققه وعلق عليه: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٦٢ ـ **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٦٣ ـ **نزول القرآن الكريم**: د. محمد الشائع، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٦٤ ـ **النشر في القراءات العشر**: محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، (ت٨٣٣هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، الطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية.

٤٦٥ ـ **نصب الراية لأحاديث الهداية**: جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، (ت٧٦٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

٤٦٦ ـ **نظام الأداء في الوقف والابتداء**: ابن الأصبغ الأندلسي المعروف بابن الطحان، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٦٧ ـ **نظرات في القرآن**: محمد الغزالي، ط٦، ٢٠٠٥م، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٦٨ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

٤٦٩ ـ **نفائس الأصول في شرح المحصول**: أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي، (ت٦٨٤هـ).

٤٧٠ ـ **نقط المصاحف**: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٧١ ـ **النكت والعيون**: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (ت٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان، مؤسسةالكتب الثقافية.

٤٧٢ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٤٧٣ ـ **نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول**: لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر «الحكيم الترمذي» اعتنى به: إسماعيل بن إبراهيم متولي عوض، مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٧٤ ـ **نواسخ القرآن**: أبي الفرج ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق ودراسة: محمد أشرف الملباري، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٧٥ ـ **الهداية إلى بلوغ النهاية**: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبعة جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٤٧٦ ـ **الواضح في أصول الفقه**: أبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، (ت٥١٢هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٧٧ ـ **الواضح في علوم القرآن**: د. مصطفى ديب البغا، ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٧٨ ـ **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت٧٦٤هـ)، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٧٩ ـ **الوجوه والنظائر**: مقاتل بن سليمان البلخي، (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أ.د. حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٤٨٠ ـ **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٨١ ـ **الوقف والابتداء في كتاب الله**: أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، (ت٤٦٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. عمار أمين الددو، مجلة الشريعة والقانون، العدد ٣٤، ربيع الثاني ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

الرسائل العلمية:

٤٨٢ ـ **الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء**: لأبي محمد عبد الله بن محمد النكزاوي، (ت٦٨٣هـ)، رسالة دكتوراة، مسعود أحمد إلياس، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٤٨٣ ـ **الأمثال في القرآن**: منصور العبدلي الشريف، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٣٩٤هـ.

٤٨٤ ـ **تفسير القرآن العظيم**: ابن أبي حاتم، عيادة أيوب الكبيسي، سورتي الأنفال والتوبة، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.

٤٨٥ ـ **موهم التعارض بين القرآن والسُّنَّة**: عبد الرحمٰن المحيميد، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

٤٨٦ ـ **وصف الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء**: إبراهيم بن عمر الجعبري، (ت٧٣٢هـ)، تحقيق الباحث: نواف الحارثي، رسالة ماجستير من قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ.

٤٨٧ ـ **الوقف والابتداء**: لأبي الحسن علي بن أحمد الغزَّال، رسالة دكتوراة، الباحث: عبد الكريم العثمان، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي	أ
مقدمة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه	د
المقدمة	٥
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٦
أهداف البحث	٧
الدراسات السابقة	٨
خطة البحث	٩
منهج الكتابة في البحث	١١
التمهيد، ويشتمل على ما يلي:	١٧
نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره، وتعريف الصحابة والتابعين	١٨ ـ ٤٤

الباب الأول

علوم القرآن المتعلقة بالنزول عند الصحابة والتابعين، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: نزول القرآن	٥٥
الفصل الثاني: أسباب النزول	٩٧
الفصل الثالث: أول ما نزل وآخر ما نزل	١٧٧
الفصل الرابع: المكي والمدني	٢٢٩
الفصل الخامس: المبهمات	٢٧٣

الباب الثاني

علوم القرآن المتعلقة بالمعاني عند الصحابة والتابعين، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الوجوه والنظائر	٣٠٣
الفصل الثاني: المقدم والمؤخر	٣٣١
الفصل الثالث: مشكل القرآن	٣٥٥
الفصل الرابع: موهم الاختلاف والتعارض	٣٩٣
الفصل الخامس: أمثال القرآن	٤٢٧

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس: الجدل في القرآن ٤٥٧

الباب الثالث

علوم القرآن المتعلقة بدلالة الألفاظ عند الصحابة والتابعين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المحكم والمتشابه ٤٧١

الفصل الثاني: العام والخاص ٥٠١

الفصل الثالث: النسخ ٥٤٧

الباب الرابع

علوم القرآن المتعلقة بالوقوف عند الصحابة والتابعين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: الوقف والابتداء ٦٢٣

الفصل الثاني: المفصول والموصول ٦٤٧

الباب الخامس

أنواع متفرقة من علوم القرآن عند الصحابة والتابعين، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: الأحرف السبعة ٦٧٥

الفصل الثاني: جمع القرآن وكتابته ٧١١

الفصل الثالث: مفردات القرآن ٧٧٩

الفصل الرابع: تعضيد السنة بالقرآن ٨٠٧

الفصل الخامس: ملح التفسير ولطائفه ٨٢٧

الفصل السادس: تحزيب القرآن والمفصل ٨٤٩

الفصل السابع: الاستنباط من القرآن ٨٧٧

الباب السادس

سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين،
وآثار تأصيل هذه العلوم، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سمات علوم القرآن بين عهدي الصحابة والتابعين ٩١٣

الفصل الثاني: آثار التأصيل لعلوم القرآن عند الصحابة والتابعين ٩٢٩

الفصل الثالث: إفادة المؤلفين في علوم القرآن من هذه النصوص والآثار ٩٣٥

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج وتوصيات الباحث ٩٤٥

الفهارس: وتشمل الفهارس: ٩٥١

- فهرس المصادر والمراجع ٩٥٢
- فهرس الموضوعات ٩٨٩